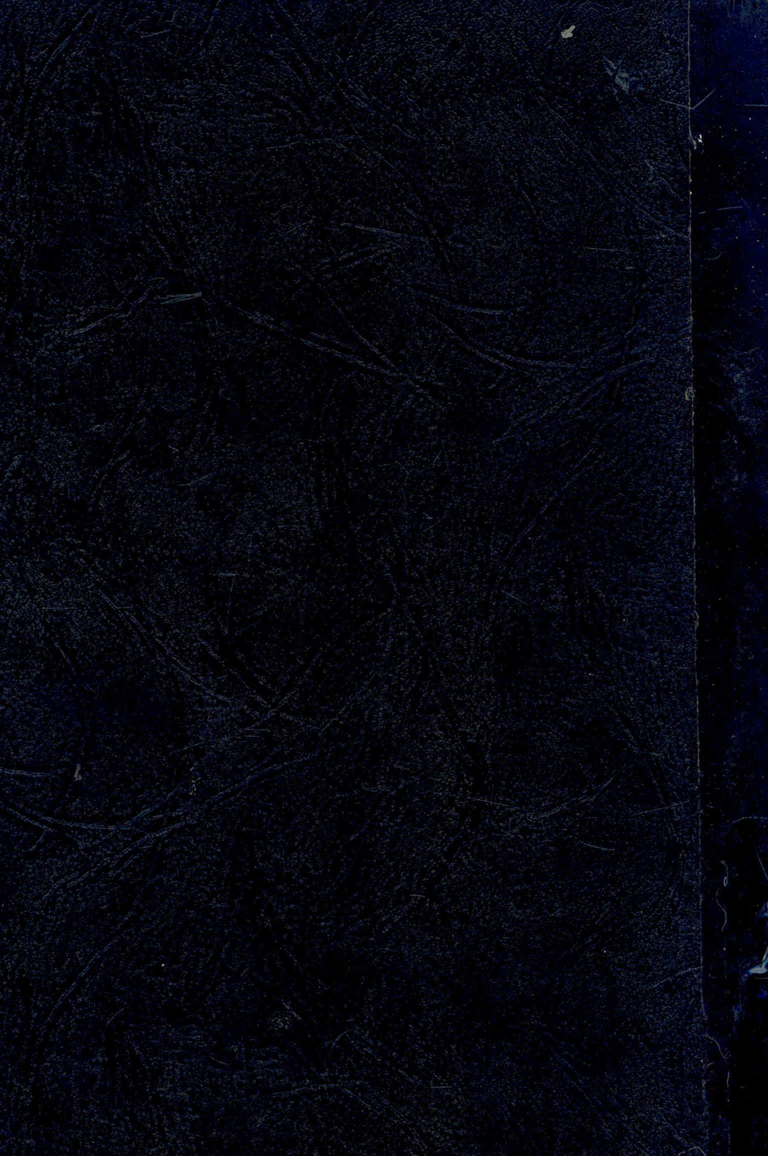
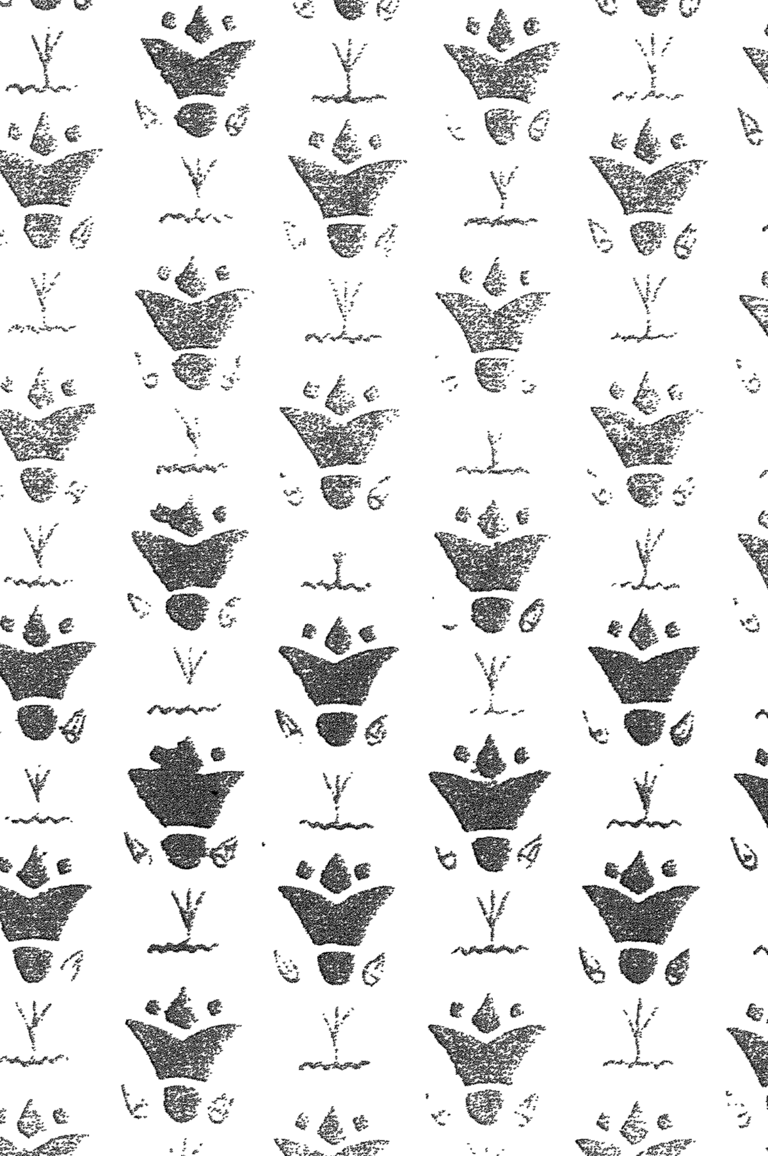
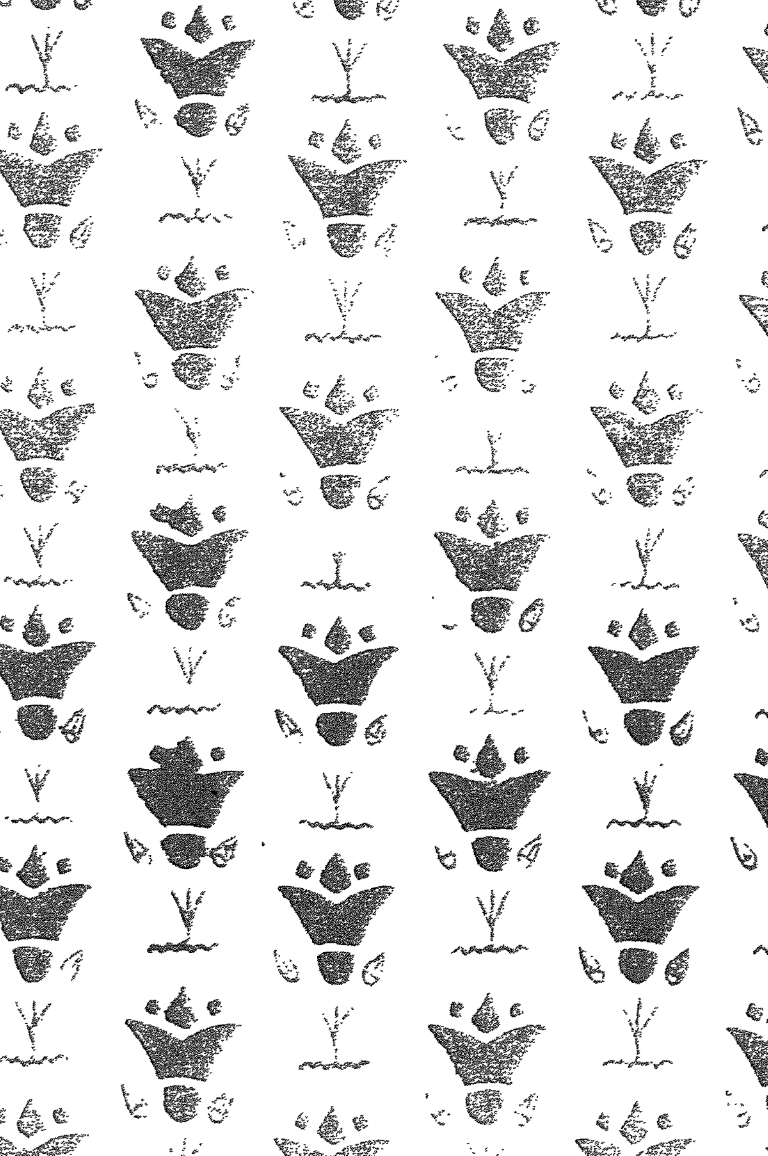






تراثنا



اختيار

ابن منظور محمد بن مكرم

٦٣٠ هـ — ٧١١ هـ

الجزء الثالث

تحقيق

عبد العليم الطحاوي

الدار المصرية للتأليف والترجمة

خرج هذا الكتاب بالتعاون

مع

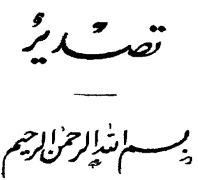
معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية

القاهرة

١٣٨٥هـ — ١٩٦٥م

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه

ج ٠ ع ٠ م ٠



تصدير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .

وبعد :

فقد عهدت إلىّ الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربيـــة تحقيق القسم الثالث من (مختار الأغانى) ، وهو يشتمل على تراجم بقية حرف الحاء ، وتراجم حرفى الخاء والدال ، وبعض حرف الراء .

ولم آل جهدا فى إخراج هـذا القسم إخراجا علميا ، واصطناع الوسائل التى أتيحت لى لتحقيقه ، فاعتمدت على مصادره المباشرة وهى مخطوطات ثلاث عارضتها بكتاب الأغانى وما أشير فى هامش مطبوعاته من مخطوطاته ، ذلك إلى مصادر غير مباشرة أشرت إليها فى هامش هذا القسم .

والمخطوطات الثلاث هى : مخطوطة التيمورية ورمزنا إليها بحرف (ت) ، ومخطوطة مكتبة الأزهر وأشرنا إليهـا بحرف (ز) ، ومخطوطة مكتبة كوبرلى وخصصناها بحرف (ك) وهذه النسخة أصح وأتم وأضبط نسخ المختار فى هذا القسم وعليها كان الاعتماد كله .

أما المخطوطتان : (ت ، ز) فهما صورتان من نسخة واحدة ، إلا أن (ت) تمتاز بكثرة التحريف والتصحيف ، ويشتركان فى كثرة الأسقاط ، مما جعلنا

لا نثبت منهما إلا ما أيدته نسخ الأغانى وكان فى ذكره فائدة من تقويم للنص أو تصحيح لكلمة أو ترجيح لقراءة؛ وقد رمزنا إلى الأغانى بحرف (غ) متبوعا بطبعته فإذا لم نقيد كان المقصود كليهما .

وأبرز ما فى هذا القسم ترجمة الحسن بن هانئ التى أغفلتها نسخ الأغانى فعقد لها ابن منظور كتابا خاصا أشبع فيه الحديث عنه ، ولمّ شتات أخباره ، ووسمه بالجزء الثالث من تقسيمات مختاره . وقد حرصت كل الحرص على توثيق ما جمعه ابن منظور بمقابلته بالمصادر التى رجحت استمداده منها ، أو تكون هى شاركته فى النقل عنها من كتب التاريخ أو الأدب أو المحاضرات ، وإن كان فى النفس شىء من كثير مما نسبته إليه هذه الأخبار .

وإنى لأرجو أن أكون قد وفقت فى اتباع ما رسم لإخراج هذا الكتاب . وحسبى أن غاية الوسع بذلت، والله منه العون والتوفيق . م؟

عبد العليم الطحاوى

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحَسَن بن هانئ أبُو نوَاس*

قال عبد الله محمد بن مُكَرَّم : هذه الترجمة ترجَم عليها أبو الفرج رحمه الله تعالى بما صورته : أخبار أبي نواس وجِنان خاصة إذ كانت أخبارُه قد ذكرت مقدّما[1] . ولم أجد لأبى نواس ترجمةً مفردَة فى نسخ الأغانى التى وقفتُ عليها . وما أدرى هل أغفل أبو الفرج ذِكْرَه فى كتابه أم أُسْقِطت مِن كتابه مِنْ بعدِه[2]؟! وليت شعرى إذا أغفل أبو الفرج ذِكْر أبى نواس فى كتابه فمَنْ ذَكَر ؟ ! على أنّ أبا الفرج ليس ممّن يجهل قدْرَ أبى نواس فى فَضْله ونُبله وجِدّه وهَزْله وسائر فنونه من صِدْقه

---

* مراجعه : الأغانى : فى كثير من أجزائه وبخاصة الجزء الثامن عشر (أخباره مع جنان) . أخبار أبى نواس لأبى هفان «تحقيق الأستاذ عبد الستار فراج» ـ تاريخ الإسلام للذهبى : (مخطوط) المجلد العاشر صفحة ١٦١ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادى : ج ٧/٤٣٦ ـ تهذيب تاريخ ابن عساكر ج ٤/ (ترجمة الحسن بن هانئ) ـ شذرات الذهب : ج ١ / ٣٤٥ ـ الشعر والشعراء : ٥٠١ ـ طبقات ابن المعتز : ١٩٣ـ٢١٦ ـ عقد الجمان (مخطوط) : حوادث سنة ١٩٥ ـ عيون التواريخ حوادث سنة : ١٩٥ ـ مسالك الأبصار (المجلد:٩) . وفيات الأعيان (لابن خلكان) ـ الموشح للمرزبانى (ترجمته) ـ مقدمة ديوانه لحمزة الأصبهانى ـ ديوانه (تحقيق الغزالى) أو (طبع آصاف) ـ مجون أبى نواس المعروف بالفكاهة والإيناس ـ معاهد التنصيص : ١/٣٠ (تحقيق الأستاذ محيى الدين) عدا كتب الأدب مثل : الحيوان للجاحظ والبيان والتبيين ، والكامل للمبرد ، ونهاية الأرب ، وشرح الشريشى على المقامات ، وذيل زهر الآداب المعروف بجمع الجواهر ، وغير ذلك مما هو مشار إليه فى هامش الكتاب .

(١) ذكرت مقدما : الذى فى نسخ الأغانى : قد أفردت خاصة .

(٢) كذلك قال ياقوت فى معجم الأدباء (ترجمة أبى الفرج الأصبهانى) ج ١٣/٩٩ (ط دار المأمون) .

ومُجُونه . وإنّه لطِراز الكُتب[1] بل عَلَم أهل الأدب . ولقد ذكر عنه ابنُ خالَوَيْه[2] من تقريظه ما لم يقُلْه أحدٌ من العُلماء فى حقّ أحد ، حتى إنه قال فى شرحه[3] لأرجوزته التى أولها :

* وَبلْدَةٍ فيها زَوَرْ *

فإنّه شرحَها وقال فى شرحها عنه: لولا ماغَلَب عليه من الهَزْل لاستُشْهِد بكلامه فى كتاب الله تعالى .

وكان ابنُ الأعرابى[4] يقول : لولا أنّ أبا نواس وَضَع نفسَه بهذه الأدناس والأرفاث لاستشهَدْتُ بشعرِه ولاحتَجَجْت به .

وقال: « ختمتُ الشعْرَ بشعر أبى نُواسٍ فلم أدَوِّن بعدَه لشاعر »، وناهيك بهذا القول من دلالة على قَدْر من قِيل فى حقّه ومكانته من الفضل والعلم .

وقد أضفتُ إلى ما ذكره فى ترجمته أشياء من نَمَط كتابه ، على أنّه لم يَذكر فى ترجمته إلّا ما مِقدار مختارِه ورقتان[5] أوثلاثة لاغير ؛ فكأنّا نحن قدعرَّفنا[6] عنه بهذه الترجمة .

---

(١) طراز الكتب :يريد أنها تزين بأخباره وأدبه .

(٢) ابن خالويه : هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه الهمذانى النحوى إمام فى اللغة توفى بحلب سنة (٣٧٠ هـ) سبعين وثلاثمائة « بغية الوعاة » .

(٣) شرحه لأرجوزته : الذى فى لسان العرب مادة (يأيأ) أن ابن جنى هو الذى شرحها ، وكذلك فى معجم الأدباء لياقوت (ترجمة ابن جنى) . ويوجد هذا الشرح بدار الكتب المصرية وقد استنسخنا منه نسخة حققناها للنشر.

(٤) فى طبقات ابن المعتز وتهذيب ابن عساكر وتاريخ بغداد للخطيب البغدادى : قال أبو عمرو الشيبانى : لولا ما أخذ فيه أبو نواس من الرفث لاحتججنا بشعره لأنه محكم القول .

(٥) مقدار مختاره ورقتان : فى هامش الجزء العشرين من الأغانى طبع بيروت أشار محققه الأستاذ عبدالستار فراج إلى أن فى مكتبة غوطه بألمانيا الشرقية مخطوطة فيها ترجمة وافية لأبى نواس.

(٦) عرفنا : فى ك : عزمنا .

هو الحَسَنُ بن هانئ بن الصبّاح[1] بن عبد الله بن الجرّاح بن جُمَادة[2] ابن أَفْلَح بن زيد بن هِنْب بن دَوَّه[3] بن غُنْم بن سُلَيم بن حَكَم بن سعد العشيرة ابن مالك .

وكنيته أبو نُواس . سئل عن كُنْيَته ما أراد بها ومن كنَّاه بها ، وهل هو نُواس أو نَوَّاس فقال : نُواس وجَدَن ويَزَن وكُلَال وكُلَاع أسماء جبال لملوك حمير ، والجَبَل الذى لهم يقال له نُواس .

قال : وكان سبب كُنيتى أنّ رجلا من جيرانى بالبصرة دعا إخوانا له فأبطأ عليه واحد منهم ، فخرج من بابه يطلب من يبعثه إليه يستحثُّه على المجىء إليه ، فوجدنى مع صبيان ألعب معهم ، وكان لى ذُؤابة فى وَسَط رأسى ، فصاح بى : يا حسن امْضِ إلى فلان جئنى به ، فمضيت أعدُو لأدعُوَ الرجلَ ، وذؤابتى تتحرّكُ ، فلمّا جئت بالرجل قال لى : أحسنتَ يا أبا نواس، لتحرُّكِ ذؤابتى ؛ فلزمتنى هذه الكنية .

وسئل مرة أخرى فقيل له: من كنَّاك أبا نواس ؟ قال : أنا كنيت نفسى بذلك

---

(١) فى نسب أبى نواس اضطراب شديد ، فبينا يقف بعض المؤرخين نسبه إلى الصباح إذ يسوق آخرون النسب إلى سعد العشيرة بن مالك باعتباره حكميا صلبية ، بل يذكر البغدادى فى تاريخ بغداد ٧/٤٣٦ نسبه رواية عن عبد الله بن أبى سعد الوراق فيصل به إلى سام بن نوح، على أن هذا الاضطراب قد يكون ناشئا من أن هانئا جد أبى نواس كان مولى الجراح ، فلعل بعض الناسخين أسقط كلمة مولى أو أبدل منها كلمة ابن فاختلط نسبه بنسب مولاه الذى سيق بعد ذكر اسمه، أو أنهم اعتمدوا ما حكاه ابن حزم فى جمهرة أنساب العرب : ٣٨٤ رواية عن محمد بن داود الجراح أن ولد إسماعيل بن إبراهيم بن هانئ وهو ابن أخى الحسن بن هانئ كانوا يقولون إنهم حكميون .
والذى فى الاشتقاق لابن دريد: ٤٠٦ : ومن بنى الحكم الجراح بن عبدالله بن جعادة بن أفلح ابن حارث بن دوه صاحب خراسان وهو مولى هانئ أبى أبى نواس .

(٢) جعادة فى الأصول حماد والتصويب من الاشتقاق .

(٣) دوه : فى ت ، ز ، ك : دده والتصويب من الاشتقاق ٤٠٦ .

لأنى من قوم لا يشتهر منهم إلا من كان اسمه فَرْدًا وكانت كُنيته سنمة[1]، فتكنَّيت بأبى نُواس[2] . ويروى بفتح النون [والواو] مخففة وأما النوَّاس[3] بن سَمْعان فهو مشدّد .

وكانت كنيته الأصلية أبا على ، وإنما هو كان يشتهى أن يلقَّب بأبى نواس لشهرته ، وأنه من أسماء ملوك اليمن ، ومن أسمائهم أيضا ذو نُواس .

وكان هانئ أبو الحَسَن بن هانئ كاتباً لمسعود المادرانى على ديوان الخراج ، وكان اسمه هُنَىّ ، وكان راعِىَ غَنَم ولم يكن له وَلاء ولا حلف حتى مات ، فلمّا كبر أبو نواس وأَدُبَ[4] قال لنفسه « حسن بن هانئ » وإنما كان حسن بن هُنَىّ .
وقيل : كان أبو أبى نواس حائكا[5] .

وقيل : كان من جند مَرْوان بن محمّد من أهل دمشق ، وكان فيمن قدم الأهواز فى أيام مَرْوان للرباط بها والشِّحنة ، فتزوج بجُلّ بان وأَوْلدها عدّة أولاد ، منهم أبو نواس وأبو معاذ واسمه أحمد ، وكان أبو معاذ أحمد مؤدب أولاد فرج الرُّخَّجى[6] ، وكان أبو معاذ عطلا من مذاهب أبى نواس لا يُحْسِن شيئا إلّا أنه تعيَّش بأنه أخ لأبى نواس . فنقلت أبا نواس أمُّه إلى البصرة وهو ابن ستّ سنين .

---

(١) كذا فى (ك) وسنمة : حسنة جميلة . وفى ت : لسبعة .

(٢) روى الإمام حمزة بن الحسن الأصبهانى جامع ديوان أبى نواس فى مقدمته أنه كان لخلف الأحمر أستاذه ولاء لليمن وكان أميل الناس لأبى نواس ، وأنه هو الذى كناه بهذه الكنية تعصبا لليمنية .

(٣) فى التقريب: بتشديد الواو ، وزاد فى هامش الخلاصة : وفتح النون قبلها .

(٤) أدب : صار أديبا .

(٥) نسب هذا القول إلى الأصمعى وسيرد فى باب نسبه قريبا .

(٦) فرج الرخجى: كان مملوكا لحمدونة بنت الرشيد ، وهى المعروفة بحمدونة بنت غصص، ولحق ولاؤه بالرشيد، وكان زياد أبوه من سبى معن بن زائدة ، وكان فرج سبى معه عند غزو معن الرخج (الوزراء والكتاب للجهشيارى . ط الحلبى : ٢٧٠) .

وقيل: إنّ أمّه يقال لها شحمة[١]، من نَهْرِتيرَى[٢] قرية من قُرى الأهواز تدعى بباب آذر ، وكانت تعمل الصوف وتنسج الجوارب والأخراج ، فتزوّجها هُنَىّ أبوه فولدت أبا نواس . وكان هُنَىّ قد رآها وعشقها على شط نهر من أنهار قرى الأهواز وهى تغسل الصوف . وكان لها ابن آخر . قيل وكانت تعمل الخبزران ؛ وكانت لأبى نُواس أختٌ عند فرج القصَّار ـ عبدٌ كان لأحمد بن عِصْمة الباخَرْزِى .

واختلف فى مولد أبى نواس، فقيل : كان مولدُه فى سنة ست وثلاثين ومائة، وقيل: سنة خمسٍ وأربعين ، وقيل: سنة ثمانٍ وأربعين ، وقيل: سنة تسع وأربعين[٣] .

واختلف فى موته فقيل: توفِّى سنة خمسٍ وتسعين ومائة ، وقيل : سنة ست[٤] وتسعين ، وقيل: سنة سبع[٥] وتسعين ، وقيل: سنة ثمان وتسعين ، وقيل: سنة تسع[٦] وتسعين ، وقيل: مات قبل دخول المأمون بغداد بثمان سنين ، وكان عمره تِسعاً وخمسين سنة .

وقيل: كان اسم جدّه رَباح ، وكان رباح هذا مولى الجرّاح بن عبد الله الحَكَمى والى خراسان من أهل البصرة .

---

(١) شحمة : فى كتاب الوزراء والكتاب للجهشيارى : ٢٩٦ : أن الأمين لما غضب على أبى نواس لما بلغه عنه أنه قال فى قصيدة :

* ولا صاحب التاج المحجب فى القصر *

دعاه ثم قال له : يا عاض بظر أمه شحمة العاهرة .

(٢) من نهرتيرى : فى الأصول غير واضحة ، والتصويب من طبقات ابن المعتز (ترجمة أبى نواس). وانظر فى نهر تيرى ، معجم البلدان لياقوت .

(٣) روى حمزة الأصبهانى فى مقدمة ديوان أبى نواس عن أحمد بن أبى طاهر أن أبا نواس ولد سنة إحدى وأربعين ومائة .

(٤) ست وتسعين : اعتمد ذلك ابن شاكر الكتبى فى كتابه عيون التواريخ .

(٥) سبع وتسعين : اعتمد ذلك ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة .

(٦) تسع وتسعين : اعتمد ذلك حمزة بن الحسين الأصبهانى فى مقدمة ديوان أبى نواس .

وقيل : كان أبو نواس من الُخوز من باب شَيْركان . وقيل : من قرية من قُرَى الأهواز . وقيل : بل من أرض مَناذِر الصغرى. والُمجْمَع عليه أن أصله من خُوز الأهواز . وقيل : من مَناذِر الكبرى من رُستاق مابرثى[١] من قرية يقال لها باسكنى[٢] .

وقيل : كان أبو نواس مولى محمد بن عُمَر الحكمى من حاء وحَكَمَ قبيلتين من مَذحِج من اليمن . ومحمد بن عُمَر هذا خال بِشْر بن المفضّل اللاحقى الفقيه .

وكان أبو نواس يزعم أنه من العجم . والذى صح مما ادّعاه أبو نواس أنه مولى للحكميين ، وإنّما ادَّعَى ولاء حاءَ وحَكَم بالبصرة لأنّ بها قوما منهم . وما كان فى جميع عمل الأهواز رجل واحد من حاءَ وحَكَم يقال يُدْعَى فيهم .

وكان أبو نواس قد نشأ بالبصرة وقرأ القرآن على يعقوب الحَضْرَمِىّ . فلما حَذَق القراءة رمى إليه يعقوبُ بخاتَمه وقال : اذهب فأنت أقرأ أهلِ البصرة .

وكان أبو نُواسٍ حَسَنَ الوجه ، رقيقَ اللّوْن ، أبيضَ حُلْوَ الشمائل ، حسن الجسم ، وكان فى رأسه سماجَة وتسفيط[٣] فكان دائم العِمَّة والقِلْسَة[٤] لذلك .

وكان ألثغ على الراء يجعلها غَيْنا، وهى كثيرة بالبصرة لا يخلو من العشرين اثنان أن يلثغا بها .

قال الجاحظ : ما رأيت أحدا كان أعلم باللغة من أبى نواس، ولا أفصح لهجة منه مع حلاوة ومجانبة للاستكراه[٥] .

(١، ٢) هكذا فى الأصول ولم أعثر عليهما فى معجم البلدان وباسكى فى (ك) باسكنى .

(٣) تسفيط : هكذا واضحة بالأصل ويقال : رجل مسفط الرأس أى رأسه كالسفط، يريد أن يصفه بأنه عظيم الرأس فى غير ملاحة . ويمكن أن تقرأ (تسنيط) بالنون أى لا شعر فيها ، ولهذا كان دائم العمة .

(٤) القلسة : فى ت : النلسة . والقلسة : لبس القلنسوة .

(٥) تهذيب ابن عساكر : ٤/٢٥٥ ــ تاريخ بغداد : ٧/٤٣٧ .

وكان نحيفا ، فى حَلْقه بُحَّة لا تُفارقه .

قال : ولما شَبَّ أسلمته أمّه برَّاء يبرى عُودَ البَخور . وكبر وتأدّب وصحب أهلَ المسجد والمُجّان(١) .

واشتهى الكلام فقعد إلى أصحابه فتعلّم منهم شيئا من الكلام ، ثم دعاه ذلك إلى الزندقة فكان ذلك يحسب منه على جهة العبث ، ثم مَجَن فى شعره وشخص إلى مدينة السلام فأقام بها ، وعاشر الملوك فحظ منه بجونه ، ووضعه خُبث لسانه ، وحطَّ منه تهتُّكه وكثرة سَفَهه وعبثه .

وكان يُنادم ولد المهدىّ فلم يبق مع أحد من الناس . ونادم القاسمَ بن الرشيد هارون ولقى منه أشياء كرهها وكُرِهت له .

جلس أبو نواس إلى الناشئ الراوية فقرأ عليه شعرَ ذى الرُّمّة، فأقبل الناشئ على أبيه هانئ وقال له : إن عاش ابنُك هذا وقال الشعر ليقولنّه بلسان مشقوق .

وكان ابتداء صلة أبى نواس بوالِبَة بن الُحباب الأسدىّ أنّ والبةَ جاء من الأهواز إلى البصرة إلى سوق العطّارين يشترى حوائجَ وبَخوراً ، فاشترى منها عُوداً هنديًّا ، وأبو نواس غلام يَبْرِى العودَ، فاحتاج إليه فى بَرْى ذلك العود وتنقيته . فلمّا رآه والبةُ بنُ الُحباب كاد عقله يذهب ؛ فلم يزل يختدعه حتى صار إليه فحمله إلى الأهواز وقَدِم به الكوفة ، فشاهد معه أدباء أهل الكوفة فى ذلك الوقت فتأدَّب بأدبهم(٢) .

وكان أول شعر قاله فى الكوفة إذ دخل معه إلى منزل محمد بن سيّار بن مقرن .

---

(١) أخبار أبى نواس لأبى هفان : ١٠٨ — ١٠٩ .

(٢) الخبر فى تاريخ بغداد : ١٣/٥١٨ (ترجمة والبة) .

وكان لمحمدِ ابنُ جميل ، وله قِيانٌ[١] يُخرجهنَّ إلى ندمائه ، فاتفق أن أخرجهنَّ وجلس ابنُ محمد فى صَفهنَّ ، فقال أبو نواس حينئذ[٢] :

يا ظَبْيَ آلِ سيَّارِ وزَيْنَ صَفِّ القِيانِ
لَيَنْعَتَنَّك وَهْمِي إنْ كَلَّ عنك لِساني
خُلِقتَ فى الحُسْنِ فَرْداً فما لِحُسنِك ثاني
كأنما أنتَ شيءٌ حَوَى جميعَ المَعاني
وَيْلِي لقد كنتُ عنكم بِمَعْزِلٍ ومَكانِ[٣]
عَلِقتُ مَنْ جَلَّ[٤] عَنِّي وشأنُه عَزَّ شاني
من ليس يَطْمَع فيه إلَّا فُلانُ الفُلانِ

وقيل فى اجتماعه بوالِبةَ غير ذلك ، وهو أنّ النجاشى[٥] الأَسَدى والى الأهواز للمنصور احتاج إلى عِطرٍ يُعمل له ، فلم يجد فى الأهواز من يعمله ، فبعث إلى البصرة فحمل عطارين فيهم أستاذ أبى نواس وأبو نواس معه، فكانوا يعملون فى دار النجاشى، وقدم عليه والِبَةُ بن الحُباب الأسدى الشاعر وهو ابن عَمِّه فرأى أبا نواس فاستحلَى قدَّه وأُعجِب بظَرفه فقال له : إنى أرى فيك مخايلَ فَلاحٍ ، وأرى لك ألَّا تُضَيِّعَها ، وستقول الشعر وتعلو فيه ، فاصحبنى حتى أُخَرِّجَك . قال : ومَنْ أنت ؟ قال :

---

(١) القيان : جمع قينة ، وهى الأمة المغنية .

(٢) الديوان : ٢٤٤ باختلاف فى الترتيب . ورواية الشطر الأول من البيت الأول:
ياظبي يا ابن سيار

(٣) هذا البيت والبيتان بعده ليست فى الديوان (غز).

(٤) جل عنى : فى ت : حل عينى .

(٥) النجاشى : هكذا أيضاً فى أخبار أبى نواس لأبى هفان : ٩ ١٠ والذى فى الأغانى ترجمة والبة أن اسمه أبو بجير الأسدى وهو الذى تولى للمنصور الأهواز . وفى تاريخ بغداد: ٥١٨/١٣ (والبة) أن يحيى الدهقان هو الذى وجهه لشراء البخور .

أبوأسامة . قال : وَالِبَة ؟ قال : نعم . قال : أنا والله ـ جُعلت فِداك ـ فى طلبك ، وقد أردتُ الخروجَ إلى الكوفة وإلى بغداد من أجلك . قال : ولماذا ؟ قال: شهوة لقائك ولأبيات سمعتها لك . قال : وماهى ؟ فأنشده :

وَلَهَا ولا ذَنْبَ لها حُبٌّ كأطرافِ الرِّماحِ[1]
جَرَحَتْ فؤادَك بالهوَى فالقلبُ مجروحُ النَّواحِى
سَلَّ الخليفةُ صارِماً هــو للفسادِ وللصَّلاحِ
أحْذاه كفُّ أبى الوَلِيـ ـدِ يَداً مبارِكَة الرِّياحِ
ألْقَى بجانب خَصْرِه أمضَى من الأَجَلِ المُتاحِ
وكأنَّما ذَرَّ الهبا ءُ عليه أنفــاسَ الرِياحِ

فمضى معه ، فلما صار إلى منزله وأكلا وشربا أراده والبة، فلما كشف عنه رأى حُسْنَ بَدَنِه فلم يتمالك أن قَبَّل استه ، فَحَبَقَ[2] أبو نواسٍ فقال له : يا خبيثُ ما هذا ؟ قال : كرهتُ يا سيِّدى أنْ يضيعَ المثل ولا أُحققَه فى قولهم : جَزاء من قَبَّلَ الاستَ ضرطة . فازداد به حُبًّا وعُجْبًا . ومضى معه إلى الكوفة[3] .

وروى أنه قال له : يا حبيبى أُقَبِّلك وتجازِينى بهذا ؟! فقال : كرهتُ أن يضيع المثل .

قال وَالِبة بن الُحباب[4]: رأيت فيما يرى النائم كأن إبليسَ أتانِى فقال : ترى غلامك الحسن ابن هانئ . قلت : ما شأنُه ؟ قال : إنَّ له لشأنا ، ووالله لأُغْوِيَنَّه

---

(١) غ (بولاق) : ١٦/١٤٧
(٢) حبق : ضرط .
(٣) المصدر السابق : ١٦/١٥٠
(٤) قال والبة : الخبر فى غ (بولاق) : ١٦/١٥١ .

أمّة محمد ، ثم لا أرضىَ حتى أُلْقِىَ محبّته فى قلوب المُرائين من أمّته ، وقلوب العاشقين لحلاوة شعره .

ولما اشتدَّ أبو نواس وكبر وعُرِف قَدْرُه وفضله قال : واعَجَبا من شاعرٍ مُغْلِق ينيكه والبةُ بن الُحباب .

وكان أبو نواس[١] متهتّكا أيضا فى مؤاجَرَته وبعدَ كِبَره ، فإنَّه ذُكر عنه لما كان بمصر ووَرد على الخصيب جَمَّش[٢] غلاماً من أهل مصر فنفر منه وتَتَايَه عليه وتَجَنَّى فقال :

تَتِيه علينا أنْ رُزِقْتَ ملاحةً ... فمَهْلًا علينا بعض تِيهك يابَدْرُ

فقد طَالَ ما كُنَّا مِلاحاً ورُبَّمَا ... صَدَدْنا وتِهْنَا ثُمَّ غَيَّرنَا الدَّهرُ

وكَمْ من صَدِيقٍ قدتَرَهَّزَتُ تحته ... فأَعْجَبَه منِّى التَّرهُّز والعَصْرُ[٣]

فطِبْتُ له نفساً بما لا يَضُرُّنِى ... وبادرتُ إمكانِى فعادَ له شُكْرُ

قال أبو العشنزر[٤] : قلت الشعرَ وأنا غلام وأبو نواس غلام ، وكُنَّا جميعاً نَبْرِى[٥] العودَ ، وكنت أحْسنَ وجهاً من أبى نواس ، وأبو نواسٍ أطبع منى ؛ فتفاخرنا بالشعر ، فقلت له : خِلْقتى أحسن من خلقتك ، فقال : بل أنا أحسنُ منك وجها وأفْرَه[٦] فجعلنا بيننا شيخا من جيراننا معروفا باللُّواط فدخلنا إليه وهو يكتب كِتابا ، وبين يديه دواة كبيرة ، فاحتكمنا إليه فقال : الحكم على الغَيْب لا يجوز ،

---

(١) هذا الخبر يروى فى غ (بولاق) : ٦/٢٠٤ ــ ٢٠٥ منسوبا إلى الحسين بن الضحاك .

(٢) جمش : غازل ولاعب .

(٣) هذا البيت والذى يليه ليسا فى رواية الأغانى .

(٤) أبو العشنزر : فى ت : أبو القشير . وفى ك : غير واضحة ، والتصويب من معجم المرزبانى باب الكنى .

(٥) نبرى العود : فى ت : نضرب العود .

(٦) أفره : أكمل وأتم حسنا وأحذق .

ولكن هذه دراهم تخذوها ودعونى أحكم عن علم ، فأخذناها منه . فلما رأى حُسْن وجهى بدأ بى ثم ثنّى بأبى نواس فأبطأ عليه ، وكان عظيم الرأس أصلَع، فقال له أبو نواس : ماهذه الزيادة ؟ عذّبتنى ! فقال له : اسكت فديتك فإنى أريد أن أسجِّل لك . قال: فأخذ أبو نواس سوادا من الدواة فجعل يسوِّد صلعتَه فقال : ماهذا ؟ فقال: أسوِّد القِمَطْر حتى يُعلم أنك قاض . فقال : قم لعنك الله فإنك عضلة من العضل .

وروى أبو هِفَّان أنّ أبا نواس لمّا نشأ وتأدّب وظرُف ورغب فيه فتيان البصرة للمصادقة قال : لا أصادق إلّا رجلا غريبا شاعِراً يشرب الخمر ويصفها ويصف المجالس ، ويكون له سخاء وشجاعة . فذكروا له جماعة فلم يُحِبّ أن يكون الرجلُ من أهل بلده فهرب إلى الكوفة . وذُكر له بها رجل من بنى أسد يقال له والبة ابن الُحباب يشرب الخمر ويقول الشعر ويجمع الخصال التى أراد أبو نواس ، فصار إليه ، فسأل عنه فقيل له إنه بطِيزَناباذ[1] يشرب الخمر عند خَمّارٍ هناك، فصار إلى منزله . فسأل عنه فأخبر بأنه فى مجلسه فاستأذن عليه فأذنت له جارية لوالبة فدخل فإذا والبة نائم سكران ، فقال للجارية: أعندكِ ما يؤكل ويُشرب ؟ قالت : نعم . قال: هاتيه . فجاءته بطعام فأكل ، وجاءته بشراب فلم يزل يشرب ويغنِّى حتى نام مكانه. فانتبه والبة فقال : مَنْ هذا الرجل النائم ؟ فأخبرته الجارية خبره فقال : هاتى لنا طعاما فأكل ولم يزل يشرب وأبو نواس نائم حتى نام والبة . فانتبه أبو نواس فسأل عنه وعما كان من خَبَرِه فأخبرته الجارية فقال : هاتى طعامك فأكل ولم يزل يشرب

(١) طيزناباذ (بكسر أوله وسكون ثانيه ثم زاى مفتوحة ثم نون وبعد ألفها باء موحدة وآخرها ذال معجمة) موضع بين الكوفة والقادسية على حافة الطريق وبينها وبين القادسية ميل ، كانت من أنزه المواضع محفوفة بالكروم والشجر والحانات والمعاصر، وكانت أحد المواضع المقصودة للهو والبطالة (معجم البلدان) .

ووالبة نائم حتى نام أبو نواس. ثم انتبه والِبَة فسأل عن خبره فأخبرته فقال : هاتى طعامك فأكل ولم يزل يشرب وأبو نواس نائم حتى نام والبة وانتبه أبو نواس فسأل عن خبره فأخبرته بما كان من أمره، فدعا بماء وتَطَهَّرَ ودعا بالطعام والشراب. ولم يزل كل واحد منهما على هذه الحال سبعة أيام لا يلتقيان ، وهما فى مجلس واحد(١) .

ثم إن والبة أمر الجارية أن تحبس عنه الشراب إلى وقت قيامه. فلما انتبه أبو نواس قال للجارية: أصلحت طعامك؟ قالت: الآن يصلح. قال: لا، قد عرفت ما أراد ، لعله قال لك دافعيه حتى أنتبه . فقالت الجارية : ما أحسبك إلا من الجن ، وما رأيت إنسيا على حالك ! فانتبه والبة فسأله عن خبره وحاله فأخبره بما قصد إليه ، فسُرَّ والبةُ به(٢) ووجَّه إلى أصحابه وندمائه فجعل لهم مجلسا ، وأخبرهم خبر أبى نواس وما قصد له . فلبثوا على ذلك أياما فى صَبُوح وغَبُوق .

ثم إن والبة مَدَّ يده إلى أبى نواس على سُكْر؛ فلما عَرَّاه رأى بَدَناً حسنا، وكان جميل الوجه حسن البدن ، فأطار عقله ولم يتمالكْ أن قَبَّل استَه ، فضرط أبو نواس فى وجهه ، فغضب والبةُ من ذلك واستشاط وقبض على سكينة وهَمَّ به، فقال له أبو نواس : جعلنى الله فداك ، هل تعلم ما حملنى على ما فعلت ؟ قال : لا . قال : المثل المضروب : « جزاء من قَبَّلَ الاسْتَ ضَرْطَة » . فضحك والبة منه وعرف أنه أحد المُجَّان . فلم يزل مقيما عنده(٣) .

---

(١) يشبه هذا الخبر ما يروى عن أبى الهندى وأصحابه وانظر غ (بيروت : ٢٠ / ٢٩٥ . طبقات ابن المعتز : (١٣٦–١٣٧) — وفى الأغانى المصدر السابق عقب أبو الفرج على هذا الخبر وقال: وهذا الخبر بعينه يحكى لوالبة بن الحباب مع أبى نواس وقد ذكر فى أخبار والبة، والصحيح أنه لأبى الهندى .

(٢) «به» فى ت : بذلك .

(٣) غ (بولاق) : ١٦/١٥٠ .

ثم سأله أن يخرج إلى البادية مع وفد بنى أَسَد ليتعلّم العربية والغريب ، فأخرجه مع قوم منهم ، فأقام بالبادية سنة ، ثم قدم ففارق والبةَ ورجع إلى بغداد .

قال أبو السماح : قلت لوالبة ، وكنت أَرَى أبا نواس عِنده وهو غـلام حَسَن الوجه ، أنا والله أشتهى حَسَناً غلامَك . فقال لى : ويلك ! ما تستحِى!؟ هو غلامى . فقلت له : أحدِثُ فى متاع الشُّطَّار . قال : فلا تبرح حتى يجىء . فجاء أبو نواس فقال له والبة : إن أبا السماح يشتهيك . فقال له أبو نواس : جُعِلت فداك ، تأمرنى بحسن التَبَعُّل وتقضِى بى حوائج الإخوان ؟! قال أبو السماح ، فقلت له : ويلك احذر هـذا الغلام فإنه إنْ بَقِىَ كان داهية .

حدث يحيى بن الجون راوية بَشَّار قال : جاء أبو نواس إلى بشار فأنشده قصيدته اللامية التى يصف فيها النخل[1] فاستحسنها ، فلما خرج قال بشار : لقد حسدت هذا الغلام على هذا الـكلام وماذا أخرج منه غُرْمُول شاعر الـكُوفة . يعنى والبةَ ابن الُحباب .

وكان أبو نواس متكلِّما جَدِلًا ، راوية فحلا ، رقيق الطبع ، ثابت الفهم فى الـكلام اللطيف ، ويدل على معرفته بالـكلام أشياء من شِعْرِه منها قوله[2] :

وذَاتِ خَـدٍّ مُوَرَّد   قوهِيَّة[3] المُتَجَرَّدْ

---

(١) قصيدة النخل ، فى الديوان : ٦٩٨ وأولها :

مالى بدارٍ خَلَت من أهلها شُغُلُ   ولا شَجانى لها شَخْصٌ ولا طَلَلُ

(٢) أخبار أبى نواس لأبى هفان : ٨٩ وفى الديوان : ٢٣٢ قال : إنها فى جنان .

(٣) قوهية : فى ت: فضية، وفى الديوان: فتانة. وفى ك: موهية والتصويب من سمط اللآلى ٧٢٠ والبيان والتبيين ١/ ١٤٠ — وقوهية : نسبة إلى قوهستان بمعنى الجبل، وذلك لأن الجبل يبيض من الثلج الراكد عليه فيبدو جميل البياض . وقيل: إنها منسوبة إلى الثياب القوهية وهى بيضاء. والتوجيه الأول أجمل وأبدع .

تَأَمَّلُ العينُ منها ... محاسناً ليس تَنْفَدْ
والحسن فى كلِّ شىء ... منها مُعادٌ مُرَدَّدْ
فبعضُه قد تَناهَى ... وبَعْضُه يَتَوَلَّد

ومنها قوله(١) :

يا عاقدَ القَلْبِ مِنِّى ... هَلَّا تذكَّرْتَ حَلَّا
تَركْتَ مِنِّى قليلًا ... من القَليل أَقَلَّا
يكاد لا يَتَجَزَّا ... أَقَلُّ فى اللَّفْظِ مِنْ لا

ومنها قوله فى امرأة اسمها حُسْن(٢) :

ان اسْمَ حُسْنٍ لوجهها صِفَةٌ ... ولا أرى ذا فى غَيْرِها اجتمَعَا
فهى إذا سُمِّيَتْ فقد وُصِفَتْ ... فَيَجْمَع الاسمُ(٣) معنيين مَعَا

ومنها قوله فيما يتعلّق بالحكمة(٤) :

قل لزُهَيْرٍ إذا حَدَا(٥) وَشَدَا ... أَقْلِلْ وأَكْثِرْ فأَنْتَ مِهْذارُ
سَخُنْتَ من شِدَّةِ البرودَة حَتَّى ... صِرْتَ عندى كأنَّك النارُ
لا يَعْجب السامعون من صِفَتِى ... كذلِكَ الثَّلْجُ بَارِدٌ حَارّ

هذا شىء أخذه أبو نواس من مذهب حكماء الهند ، فإنهم يقولون : إن الشىء إذا أفرط فى البرد انقلب حارًّا . وقالوا : إن الصَّنْدَل يُحَكُّ منه اليسير فيبرد ، فإذا أكثر منه سَخُن(٦) .

---

(١) البيان والتبيين (هارون) : ١/١٤١ .
(٢) الديوان (غز) : ٢٦٣ .
(٣) الاسم : فى الديوان : اللفظ .
(٤) الديوان (غز) : ٥٤٥ ــ الحيوان : ١/٣٩ ــ عيون : ٢/٧ .
(٥) حدا : فى الديوان : اتكا . وفى الحيوان والعيون : انتحى . وزهير هذا مغن .
(٦) : الشعر والشعراء : ٧٧٧ .

وله من هذا الجنس أشياء كثيرة توضع فى مواضعها من هذه الترجمة .

قال أبو عمرو قعنب[١] : خرجت مع الأصمعى من[٢] المسجد الجامع، فلما صرنا على الدرب الذى يخرج من سكة المربد إلى بنى أَصْمَع وقف بى على دار مبنية بالآجُرّ والجِصّ هناك ، فقال : أترَى هذه الدار ؟ عهدى بها مَرَّةً[٣] من قَصَب ، وكان فيها طوّاز حائك ، وكان فيها إنسان فارسىّ تزوج امرأة فولدت غلاما فأرضعت بلبانه غلاماً من ثقيف ، فتعلّم الصبىُّ من الحائك القرآنَ ، ثم قال الشعر وخرج إلى بغداد ، وبلغنى أنه قال :

اهْجُ نِزاراً وأفْرِ جِلْدَتَها ... وهَتِّك السترَ عن مثالِبها[٤]

وادَّعى اليَمَنَ وتولَّاهم . فسألته عنه . فقال : هو أبو نواس .

وإنَّما ادَّعَى حاءَ وحكم فى آخر أمره ، وذكر أنه مولى لهم ، لأنّ منهم بالبصرة قوما فذكر أن جَدَّه مولى أولئك .

وكان دَعِيًّا يخلِط فى دعْوته ، فمن ذلك قوله :

فإنْ أكُ بَصْرِيًّا فإنَّ مُهاجَرِى ... دِمَشْقُ ولكنَّ الحديثَ فُنُون[٥]

---

(١) قعنب : ليس فى ت .

(٢) من المسجد : فى ت : إلى المسجد .

(٣) فى ت : عامرة .

(٤) البيت فى الديوان : ٥٠٨ من قصيدة أولها :

ليست بدار عفت وغيّرها ... ضَرْبان من قَطْرها وحاصبها

(٥) الديوان : ٥٤٦ ـ فنون فى الديوان : شجون . والبيت من قصيدة أولها :

ألا كل بصرى يرى أنما العلا ... مُكَمَّمَةٌ سُحْقٌ لهن جرين

ثم هجا اليَمَن فى هذه القصيدة بقوله :

لأَزْدِ عُمـــانٍ بالمُهَلَّب نَزْوَةٌ إذا ذُكِرَ الأقوامُ ثم تَلِـــينُ[(١)]

وإنما نشأ بالبصرة وليس له بدمشق قَبْلٌ ولا بَعْد .

ومما هجا به اليمنَ قوله لهاشِم بن خُدَيْج :

ويختم ذاك بفخرٍ عليك بِكِنْدة فاسْلَح على كِنْدَهْ[(٢)]

وقوله :

بخُدَيْج فخَرْتَ يا ابن خُدَيْج وخُـدَيْجٌ به تسمَّى العَبِيــدُ

وقوله :

ياهـــاشِمُ بن حُدَيْجٍ لو عدَدْتَ أباً مِثْلَ القَلَمَّسِ لم يَعْلَق بك الدَّنَسُ[(٣)]

فانظر إليه[(٤)] كيف قدَّم نِزارا .

والقَلَمَّس[(٥)] أحدُ بنى كِنانة وهو الذى نسأ النسىء فى الشهر الحرام فأطاعته العرب، وقال الله جلّ وعَلَا « إِنَّمَا النَّسِىءُ زِيَادَةٌ فِى الكُفْرِ »[(٦)] .

ومنه قوله فى هاشم بن خُديج :

يا هاشِمُ بنُ خُدَيْجٍ ليس فخركم بقتل صِهْرِ رسول الله بالسَّدَدِ[(٧)]

---

(١) الديوان : ٥٤٦ من القصيدة السابقة . وذكر فى الديوان : افتخر — النزوة : الحدة والسورة — والأزد : قبيلة يمنية كبيرة تفرعت فرعين هما : أزد عمان وأزد شنوءة . والمهلب بن أبى صفرة من أزد عمان .

(٢) الديوان : ٥٥٠ .

(٣) الديوان : ٥٥٢ .

(٤) إليه : ليس فى ت .

(٥) القلمس : أبو ثمامة جنادة بن أمية من بنى المطلب بن حدثان بن مالك بن كنانة (ت : ٢٢٢/٤)

(٦) الآية : سورة التوبة : ٣٧ .

(٧) الديوان : ٥٥١ .

إنْ تَقتُلُوا ابنَ أبى بكرٍ فقد قَتَلَتْ ... حُجْراً بدَارةِ مُلْحُوبٍ بنوأسَدِ

فكلُّ كِنْدِيَّةٍ قالت لجَارَتِها ... والدَّمْعُ ينهَلُّ من مَثْنَى ومُنْفَرِدِ

ألْهَى امرأ القَيْسِ تَشْبيبٌ بغَانِيَةٍ ... عن ثَأرِه وصِفاتُ النُّؤْىِ والوَتَدِ

وإنما عَيَّر ابنَ حُدَيْج لأنّ جدَّه قتل محمدَ بنَ أبى بكر رضى الله عنهما وهو عاملُ علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه على مصر .

وقوله بدارَة مَلْحُوب : أراد قَتْلَ بنى أسد حُجْرَ بنَ عَمْرو آكل المُرار الكِنْدى جَدَّ امرئ القيس فما أدرك بثأره عُود حَرْمل ، واشتغل بالنساء والغزل إلى أن قتله ملك الروم .

وكان أبو نواس فى أول دعوته ادَّعى أنّه من ولد عُبَيْد الله بن زياد بن ظَبْيان من بنى عائش بن تَيْم[١] اللات بن ثَعْلَبَة بن عُكابة. وعُبيد الله بن زياد هو الذى قَتَل مُصْعَب بنَ الزُّبير . فقيل لأبى نواس إنّ الرجل الذى تدَّعِى له لا عَقِبَ له لأنه فُلِج ومات ولا ولد له ، فلو أنّك قلت إنك من ولد النابئ[٢] بن زياد أخى عبيد الله قبلنا منك . وكان النابئ خارجيّا قتله مُصْعَب فقتل عبيدُ الله مصعباً بأخيه ، فاستحى أبو نواس وهرب من بنى تَيْم اللات بن ثعلبة ، وقد كان يُرَى بينهم[٣] . ثم طلب الأخبار والأشعار ونفر عن المثالب والأنساب لمكان هذه القصة[٤] . وأقام لهذه العلة بالبصرة فى العطارين ، فإذا كان العشىّ أتى أبا عبيدة يسأله عن أخبار العرب وأيام

---

(١) عائش : فى جمهرة أنساب العرب : ٢٩٧ ، وفى اشتقاق ابن دريد : ٣٥٤ : (عائش ابن مالك بن تيم الله بن ثعلبة).

(٢) النابئ : انظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم : ٢٩٧ وفى نسخة أبان «وهو تحريف».

(٣) يرى بينهم : فى ت : مرافقهم ، ولعلها تصحيف يرى فيهم .

(٤) القصة : فى ت القضية .

الناس ، ثم اختلف إلى أبى مُحْرِز[1] خلف الأحمر مولى الأشعريين فكان يسأله عن الشعر ومعانيه . ثم رَثَى خلفاً بعد موته بشعره :

* أَوْدَى جميعُ العِلْمِ مذ أَوْدَى خَلَفْ[2] *

واختلف إلى أبى زيد فكتب الغريبَ والألفاظ ، ثم نظر فى نحو سيبويه ، ثم طلب الحديث فكتب عن عبد الواحد[3] بن زِياد ، ويحيى القَطّان[4] وأَزْهر السَّمَّان[5] وغيرهم فلم يتخلّف عن أحد ، وأدرك الناسَ فعَلِم . ثم قدم بغداد بعد ذلك .

وكان أيضا يتنزّر ويدَّعى للفرزدق .

حدَّث أبو يحيى الثَّقَفى صاحب أبو نواس ونديمه قال : قدم علينا أبو نواس بغداد وكان يُكنى بأبى فراس، فقلنا له : مِمَّن الرجل ؟ فقال : من وَلَد الفرزدق .

ثم وقع بينه وبين الحكم[6] بن قَنْبَر بن رِزام التميمى الذى كان يُهاجِى مُسْلِمَ ابن الوليد فهجاه الحكم بن قنبر بن رزام التميمى وذكر بِرْيَه العُود ، وبَغَى عليه وثَلَبه وعارضه فى قوله :

* أَلَمْ تَرْبَع على الطَّلَلِ الطَّمَاسِ[7] *

---

(١) فى ت: أبى محمد وخلف. وذلك غير واضحة والتصويب من معجم الأدباء .

(٢) الديوان : ٥٧٧ من قصيدة أولها :

لو كان حى وائلا من التلف ... لوألت شغواء فى أعلى شَعَف

جميع : فى الديوان: جماع .

(٣) عبد الواحد بن زياد : أحد الأئمة الأعلام له أحاديث فى البخارى ومسلم مات (١٧٠ هـ) الخلاصة. (٤) يحيى القطان : حافظ حجة توفى (١٩٨ هـ) الخلاصة .

(٥) أزهر السمان : أبو بكر أزهر بن سعد الباهلى بالولاء السمان البصرى توفى (٢٠٣هـ) الخلاصة .

(٦) الحكم بن قنبر : له أخبار فى الأغانى وانظرج ١٣/ ٩ — ١٢ .

(٧) ألم تربع : البيت من قصيدة فى الديوان : ٥٢٢ وتكملة البيت :

عفاه كل أسحم ذى ارتجاس

بقوله :

دع الأطلال عنك أبَا نُواسِ ... عفاها كُلّ أسْحمَ ذِى ارتجاسِ
فما ذكراك من رَسْم مُحِيـل ... ومن نُؤْيٍ ومن طَلَلٍ طِماسِ
وبالأهْواز أمّك فاذكرنْهـا ... مطيَّة كلّ عِلْج فى كِنَـاس
وهَنَّى من الأخواز وغـدٌ ... ورَاعِي البَهْم فى كَنفَىْ هساسِ
وبرْئُ العود ما لا تَدْفَعنْـهُ ... فما دَعواك صُلْبَ أبى فِراسِ
سألت الخوزَ عنك فما أساءوا ... وقالوا ثابتٌ فينا الْرَاسِى
عَهِدْنا شَيْخَةً[1] ترعَى رِماماً ... ونَسَّاجاً بدُورِ أبى حـلاسِ
بخوزِستان أنسج من رأينـا ... ولا سِيَما لجِلْبابٍ خُماسِى
كَكِنْدَة فى الحياكة بل علاها ... بحِذْقٍ طَمَّ فى فَنٍّ[2] القِياسِ

ويقال : إن هذا الشعر مصنوع على الحكم بن قنبر لأنه من ردىء الكلام ، وكلام الحكم فوق هذا .

وقيل : كانت أم أبى نواس عجميّة نبّاذة فى الفرات . وقيل : كانت سندية يقال لها جُلّ بان . وفيها يقول اللاحق :

أبو نواس بن هانى ... وأُمّـه جُـلّ بان[3]
والنـاس أفْطَنُ شىء ... إلى دقيـق المعانى
إن زدتُ حرفاً على ذَا ... يا صاحِ فاقْطَعْ لسانى

يريد أنه ليس لجلّ بان أب يعرف . قال : وتفسير جُلّ بان بالعربيـة وردة[4] على أذن .

---

(١) شيخة فى ك سحه وفى ت : شحمة، وشحمة هى أم أبى نواس على قول.

(٢) فى ت : أمر .

(٣) الأبيات فى طبقات ابن المعتز ترجمة أبان : ٢٤٢ وقيل إنها لحمدان بن أبان .

(٤) وردة على أذن : المعروف أن جل بمعنى زهر فيكون تفسير جل بان : زهر البان .

كانت عنان جاريةُ الناطفى لا تُبالِى ما قالت ، فوقع بينها وبين أبى نواس شرٌّ ، فدسّت إليه سفهاء الكرخ والعَيَّارين[1] فقالت : إذا مرَّ بكم أبو نواس فصيحوا به وعَطْعِطوا[2] عليه :

أبو نُواسِ اليَمانِى وأُمُّه جُـــلٌّ بانِ

والنَّغْلُ[3] أفطنُ شىء إلى حُروفِ المعانى

وأرادت بقولها النغل أبا نواس .

وجُلّ بان امرأة موسرة بالبصرة كانت تجمع أولاد الزنا وتربّيهم . ففعلوا ذلك وشاعت القضية .

فقال له الفضـلُ بن الربيع وإسماعيل بن صُبَيْح : بالله عليك إلّا أخجلتَها ، وإن أخجلتَها فلك عندنا ما تحبّ . فأتاها أبو نواس وعنـدها جماعة فسلّم عليها ، ثم تحدثوا ساعة ثم قال لها : يا عنان ! ما هجاء أير . فصاحت بأعلى صوتها أى ر ومدّت صوتها ، فقال لها : لِمَ رفعت صَوْتَك ومددتِه به ؟ قالت : لِيعْظُم حقّه علينا . فخرج أبو نواس يجرّ رجله خجلا .

فلما نفاه ابن قَنْبر وفضحه بأبياته السينية انقلب على النزاريَّة وادّعى أنه من حاءَ وحَكَم ، فزجره آل يزيد بن منصور الِحمْيَرِى خال المهدى وقالوا له : أنت خوزى فما لك وللحاء وحكم ! قال : أنا مولى لهم . فتركوه وقال بعضهم لبعض : إنه لظريف اللسان غزير العلم ، فدَعُوه وهذا الولاء ، يتعصّب لنا ويكايد عنا ، ويهجو النزاريةَّ . فكان كما قالوا ، وكما ظنّوا . فانقلب إلى اليمن ونزل عن كنيته بأبى فراس واكتنى

---

(١) العيارون : جمع عيار وهوالمتهتك فى المعاصى، أو الغلام لاعمل له .

(٢) عطعطوا : صيحوا عليه بقول عيط عيط وذلك شأن المجان إذا غلبوا غيرهم .

(٣) النغل : ولد الزنية (فاسد النسب) .

بأبي نواس تشبّها بكنية ذى نُواس ، كما كانت اليمن تـكتنى . وندم على هجاء اليمن ووجدهم له أنصَر ولدعوته أقبَـل . فاعتذر إلى هاشم بن حُدَيج . فقال[1] :

أهاشمُ خذ منّى رِضاكَ وإن أتَى ... رِضاكَ على نفسى فغـير مَلُومِ

فأُقسِم ما جاوزتُ بالشتم وَالِدِى ... وعِرْضى وما مَزَّقْتُ غيرَ أديمى

وما كنتُ إلّا كالذى كشفَ استَهُ ... بمرأى عُيـونٍ من عِدًا وحَميمِ

فعذت بِحَقْوَى[2] هاشمٍ فأعاذَنى ... كريمٌ أراهُ فوق كلِّ كريمِ

وإنّ امرأً عَفّى[3] على مثل زلّتى ... وإن جَرحت فيه لَجِدٌ[4] حَلِيمِ

تطاوَل فوق الناس حتّى كأنّما ... يرَوْن به نَجْماً أمامَ نُجـومِ

إذا سارَت[5] الأحسابُ يوماً بأهلها ... أناخَ[6] إلى عاديَّةٍ وصَميمِ

إلى كلّ معصوبٍ به التاجُ مِقْوَلٍ[7] ... إليــه أتاوَى[8] عامرٍ وتَميمِ[9]

وكان قبل أن يتولّى اليمن ويدّعى أنه من نزار يتعاجم فى شعره ، فمن ذلك قوله :

فاسقِنيها وغَنِّ صو ... تَ لك الخيرُ أعجَما[10]

ليس فى نَعْت دِمْنَةٍ ... لا ولا زَجْرِ أشْأَمَا

---

(١) الأبيات فى : الديوان : ٦٠٧ .

(٢) بحقوى : تثنية حقو وهو الجانب ، يريد عذت بجانبه .

(٣) عفى : فى الديوان : أغضى .

(٤) لجد : فى الديوان لعين .

(٥) سارت : فى الديوان وت : احتازت . ولعلها تصحيف اجتازت .

(٦) أناخ : انتسب إلى بيت قديم خالص .

(٧) المقول : الملك من ملوك حمير .

(٨) أتاوى : جمع إتاوة وهى الخراج .

(٩) عامر وتميم : قبيلتان من مضر .

(١٠) الديوان : ٨٠ من قصيدة أولها :

اسقنى يا ابن أدهما ... واتخذنى إليك ابنما

وقوله :

تُدار علينا الـكأسُ فى عَسْجَدِيَّةٍ   حَبَتْها بأنواعِ التصاوير فارسُ
قَرارَتُها كِسْرَى وفى جَنَباتِها   مَهاً تَدَّرِيها بالقِسِيِّ الفوارِسُ

وقوله :

تُراثُ أَبِى ساسانَ كِسرَى ولم يَكُنْ   مواريثَ ما أَبقَتْ تميمٌ ولا بَكْرُ

كان الجاحظ يقول : ما أعرف لأبى نواس شعرا يَفْضُل هذه القصيدة[1] :

ودَارِ ندامَى عَطَّلوها وأَدْلَجُوا[2]   بها أثرٌ منهم جديدٌ ودَارِسُ
مَساحِبُ من جَرِّ الزِّقاق على الثَّرَى   وأضغاثُ[3] ريحانٍ جَنِىٌّ ويابِسُ
حَبَستُ بها صحبى فجدَّدت عهدَهم   وإنّى على أمثـال تلك لحابِسُ
ولم أدرِ مَن هم غير ما شَهِدَتْ لهم   بشرقىّ ساباط[4] الدِّيارُ البسابِسُ[5]
أقمنا بهـــا يوماً ويوماً وثالثاً   ويوماً له يومُ الترحُّلِ خامسُ
تُدار علينا الـكأسُ فى عَسْجَدِيّة   حَبَتْها بأنواع التصاوير فارسُ
قَرارَتُها كِسرى وفى جَنَباتِها   مَهاً تَدَّرِيها[6] بالقِسِيِّ الفوارِسُ
فلِلْخَمر ما زُرَّت عليـه جُيوبُها   ولِلماء ما دارَتْ عليـه القلانِسُ[7]

ليس فى الشعراء من تقدَّمه إلى هذا المعنى ولا من شاركه فيه . ومعناه أنّ كسرى

(١) الديوان : ٣٧ .
(٢) أدلجوا : ساروا من أول الليل .
(٣) أضغاث : جمع ضغث وهو القبضة من النبات .
(٤) ساباط : مدينة فارسية قريبة من المدائن .
(٥) البسابس : المقفرة .
(٦) تدريها : تختلها لتصطادها .
(٧) القلانس : أغطية الرأس الشائعة إذ ذاك واحدها قلنسوة .

مصوَّر فى سُفْل الكأسِ وقرارِها وفى جوانبها بقرٌ ترميها الفوارس . وقوله :

* فللخمر مازُرّت عليه جُيوبها *

يعنى أن الخمر مصبوب فيها إلى حلوق الصور صِرْفا .

* وللماء ما دارت عليـــه القلانس *

يعنى أنهم صبوا الماء فى مَزْجها حتى علا رءوسها . . .

قال الجاحظ : أنشدت هذه الأبيات أبا شعيب القلّال وكان عالما شاعرا فقال : يا أبا عثمان هــذا شعر لو نُقِرَ لطَنّ . فقلت له : ويلك ما تفارق الجِرار والخَزَف حيث كنت !

وقال الجاحظ[1] : نظرنا فى الشعر القديم والمحدَث فوجدنا المعانى تُقلَّب وبعضٌ يأخذ من بعض ، وقلّ معنى من معانى الشعر القديم تفرّد بإبداعه شاعر إلا ورأيت من الشعراء من زاحمه فيه واشتق منه شيئا ، غير قول عنترة يصف ذُبابا خلا فى دار عبلة ، وذلك قوله[2] :

وخلا الذُّباب بها فليس بِبارِحٍ	غَرِدا[3] كفِعْلِ الشاربِ المُترنِّمِ
هَزِجاً يحــــكُّ ذِراعَه بذراعِه	فِعْلَ[4] المُكِبِّ على الزِّناد الأجْذَمِ

وقول أبى نواس من المحدثين :

قرارتُها كِسرَى وفى جَنباتِها	مَهاً تدَّرِيها بالقِسِىِّ الفوارس
فللخمر ما زُرَّتْ عليــه جُيوبُها	وللماء ما دَارَتْ عليه القَلانِس

---

(١) قال الجاحظ نظرنا فى الشعر : الحيوان : ٣/٣١١ . والبيان : ٣/٣٢٦ (تحقيق هارون) .

(٢) المعلقة (شرح القصائد العشر : ١٨٦ — ١٨٧) .

(٣) غردا : فى ك : دهرا ، والترجيح من المعلقة و ت .

(٤) فعل فى المعلقة : قدح .

وقال يصف كَرْماً(١) :

لنا هَجْمَةٌ لا يدَّرِي(٢) الذئبُ سَخْلَها ... ولا رَاعها رَزُّ(٣) الفحالة والخطْرُ

كنى عَن الكَرْم بالإبل وهو يعني الدنان ولا راعها رَزُّ الفحالة : صوت الفحالة.

إذا امتُحِنَت ألوانُها مال صُفرُها ... إلى الكُمْتِ إلاّ أنّ أوبارها خُضْرُ

الكُمتُ : لون العنب . والخضر : وَرق الكرم .

وإن قام فيها الحالبون اتَّقتهُمُ ... بنجلاء ثقب الخرْتِ دِرَّتُها الخَمْرُ

اتقتهم : يعني الدنان ـ ونجلاء : يعني البزال .

مسارِحها الغربيّ من نهر صَرْصَرٍ(٤) ... فقُطربُلٌ(٤) فالصالحيَّةُ فالعَقْرُ

قَصَرْتُ بها لَيلِي وليلَ ابن حُرَّةٍ ... له حَسَبٌ زاكٍ وليس له وَفْرُ(٥)

تراث أبي ساسان(٦) كِسْرَى ولم تكن ... مواريثَ ما أبقت تميمٌ ولا بَكْرُ

وفي تماجن أبي نواس في شعره يقول الرَّقاشي يهجوه(٧) :

نَبطِيٌّ فإذا قيل لهُ ... أنتَ موْلَى حَكَمٍ قالَ أجلْ

هو مَوْلَى اللهِ إن كان بهِ ... لاحِقاً فاللهُ أعْلَى وأجَلّْ

واضِعاً نسبتَه حيثُ اشتهَى ... فإذا ما رابَه رَيْبٌ رَحَل

---

(١) الديوان : ١٠٢ .

(٢) يدري : في الديوان : يدرك .

(٣) رز : في الديوان تزو .

(٤) صرصر : قريتان ببغداد عليا وسفلى . قطربل : قرية بين بغداد وعكبرا ينسب إليها الخمر وكانت متنزها وحانة للخمارين (ياقوت)ـ الصالحية : قرية بالرها ومحلة ببغداد ـ العقر : موضع قرب الكوفة (ياقوت) .

(٥) الوفر : المال .

(٦) أبي ساسان : في الديوان : أنوشروان .

(٧) مقدمة الأصبهاني ديوان أبي نواس (الباب الأول) طبع آصاف: ٣٦ .

فقال أبو نُواسٍ يهجوه[1] :

هجوتُ الفضلَ دهرى وهو عندى رَقاشِىٌّ كما زَعَم المَسُولُ[2]

فلمَّا أنْ نصصناها إليه لِيَعْلَمَ ما يُقالُ وما يَقُولُ

وجدنا الفضلَ أبعدَ من رقاش من الأُتْنِ ادّعتْ فيها الفيولُ[3]

وَجَدْنا الفضلَ أكرمَ من رَقاشٍ لأنَّ الفضلَ مولاهُ الرَّسُولُ

يريد بذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: « أنا مَوْلَى مَنْ لا مَوْلَى له[4] ».

وقوله: «من الأُتْن ادَّعت فيها الفُيول» أراد بذلك قول يزيد بن مفرّغ يخاطب معاوية:

ألا أبلغ معاويةَ بنَ حَرْبٍ مُغَلْغَلَةً من الرجُلِ اليَمانِى[5]

أتغضَبُ أن يُقال أبوك عَفٌّ وترضَى أن يُقالَ أبوكَ زَانِى

وأشهد أنَّ رِحْمَك من زِيادٍ كرِحمِ الفِيلِ من وَلَدِ الأتانِ

وكان أبو نواس فى دعاويه يتماجن ويعبث ويُخفِى نسبه واسم أمّه لئلا يُهْجَى ، وذلك مشهور عنه . ولو غضب هو نفسه على أبيه لهجاه ولم يحتشم .

والمذكور من أمره أنه كان مَوْلَى الحَكَمِيِّين ، فيفخر باليمن ويمدحهم لذلك ، ويمدح العَجَم ويذكرهم لأنه منهم ، فلذلك قال فى العجم ما قال .

وكان أكثر أستاذى أبى نواس تأديباً وتخريجا له خَلَفٌ الأحمر وأقدمَهم فى أستاذيّته والبة بن الحباب[6] .

---

(١) الديوان : ٥٢٥ باختلاف فى الترتيب وفى بعض الكلمات .

(٢) المسول : المسئول : وترك الهمز لضرورة الشعر .

(٣) ليس فى الديوان والبيت فى الموشح : ٢٧٢ برواية * من ابن الأتن من ولد الفيول * وراجع غ بيروت : ١٦/١٨٠ ترجمة الرقاشى .

(٤) الحديث: رواه أحمد فى مسنده: ١٨٩ و٣٢٣ تحقيق الأستاذ شاكر — ورواه الترمذى : ٣/١٨٢ وابن ماجه ٢/٨٦ .

(٥) غ (بيروت) : ١٨/١٩١ — الموشح : ٢٧٣ .

(٦) طبقات ابن المعتز ترجمة أبى نواس وترجمة والبة .

ولما رجع أبو نواس من الكوفة إلى البصرة وفارق والبة قيل له: أرغبت عن والبة وملت الكوفة ؟ قال : هى أعذب وأطيب من أن تُمَلَّ ، ووالبة ممن لا يُرغَب عنه ؛ ولكنى نزعت إلى الأوطان واشتقت إلى الإخوان .

حدث أبو سعيد الجُهَنِى عن أخيه بدر البَرَّاء ، وكان يَبْرِى العودَ فى السوق ، قال : كان أخى صاحب غلمان ثم أقلع وتاب وتزوّج ، ووُلِدَ له أولاد ، وكان فى أيام فتوّته له غلمان ، أبو نواس من جملتهم . قال : قدمت بغدادَ ومعى ثلاثة أولاد لى، قريبة أسنانهم بعضهم من بعض، فبينا أنا أمشى فى بغداد إذا أنا برجل أشْيَبَ على بِرْذَوْن فارهٍ ومعه شاكِرِىّ[1] فلما رآنى عرفنى ولم أعرفه . فأقبل نحوى فسلَّم علىَّ وبَرَّنى ، فأنكرتُه ، فقال : وَيْحَك يا بدر ألا تعرفنى ؟ قلت : لا . قال : أنا أبو نواس ! فعرفته فسألته عن حاله وألطفته ، فقال لى : يا بدر مَنْ هؤلاء الغلمان معك ؟ قلت : هم أولادى . فقال : لا إله إلا الله ، تزَوَّجْت ووُلِدَ لك ! قال : قلت نعم . قال : ويحك يا بدر كاد هؤلاء الأولاد أن يكونوا مِنِّى لو بقيت معك . قال : فنهرته ، وقلت له : قبَّحك الله وقبَّح ما جئت به . فقال : هو ما قلت لك . وقد أفلتَّ ، ثم مضى ، وهو يضحك .

قال محمد بن عمر: رأيت أبا نواس فى البساتين يؤاجر وأسْوَد مِثْل الحمارِ فوقَه[2].

قال أبو الإصْبع ذؤيب بن رَبِيعىّ الهُذلى : طلبت أنا وصباح بن خاقان المنقرى ، ويحيى الأَرْقط ، وعيسى بن غُصَيْن ، وابنُ الكَهْل مولى بنى تميم ، وعُبَيْد العاشِقَيْن ، وإنما سمىَ عُبَيْد العاشِقَيْن ، لأنه كان فى جواره رجلان أحدهما يعشق غلاما مملوكا ، والآخر يعشق مغنّية مملوكة ، فلم يزل يسعَى له حتى ملكهما فسمى [بعبيد] العاشِقَين .

---

(١) شاكرى : أجير أو مستخدم (معرب چاكر) .

(٢) يؤاجر : يبيح نفسه بأجر . هذا الخبر ليس فى ت .

قال أبو الإصبع : خرجنا نبتغى مؤاجَراً فأتينا باب أبى عمرو بن العَلاء ، فإذا نحن بغلام من أحسن الناس وجها ، وأحسنهم قَدًّا وهو يتثَنَّى . قال : فقلت له ما اسمك ؟ قال : الحسن بن هانئ . فقلنا له : أبو مَنْ ؟ قال : أبو نُواس . قال : فشارطناه ثلاثة أيام بدينار فى شارِعة الصبّاح ، وهو نهر بالأُبُلَّة وأخذناه ومضينا . وطبنا أطيب يوم وليلة ، حتى إذا كان اليوم الثانى وطبنا كانت حَمَالَةٌ فى بنى تميم . فأَعْطَى مَن أَعْطَى . وجاء أعرابى عليه عمامة كأنّه فسطاط إلى صباح ؛ فظنّ أبو نواس أنه يحمل عليه فانحدر إلى البصرة هاربا ، وانحدر القوم بعده . فجلسوا إلى باب أبى عمرو بن العلاء إذْ أقبل أبو نواس . فقالوا : ويحك ما حَسَنٌ ما صنعتَ بنا . فقال : رأيت عندكم من لم تسمح نفسى بعاشرته ولا عينى بالنظر إليه ففررت منكم ، وقد قلت شعرا فيكم ، وما قلت قبل ذلك شعرا ، وأنتم علماء هذا الباب . فقلنا له : ما قلت ؟ فقال[1] :

كنت فى قُرَّةِ عَيْنِ ... مع عيسى بن غُصَيْنِ[2]
وابن كَهْـلٍ وابن خَاقَا ... ن النجيبِ الأبَوَيْنِ[3]
والفـَتى الأرقَطِ يَحْيَى ... وعُبَيْـــدِ العاشِقَيْنِ
وابنِ رَبَعِيِّ الفـَتى السَّمْـ ... ـحِ الجـوادِ الراحَتَيْنِ
عِنـــدنا الصهباءُ صِرْفاً ... فى قواريرِ اللُّجَـــيْنِ
ونَدامَى ســـادة[4] ... كلُّهم زَيْنٌ لِزَيْنِ
وحَدِيث كان أَشْهَى ... من إيابٍ بعـــد بَيْنِ

---

(١) الأبيات فى الديوان : ٥٣٧ .

(٢) الرواية فى الديوان : مع أبىّ وحصين .

(٣) ليس فى الديوان .

(٤) فى الديوان : وندامای کرام .

ونُغَنِّى حينَ نَلْهُو ... لِغَرِيضٍ وحُنَيْنِ[1]
إذ أتى اللهُ بأحْمَدٍ ... أو كأحْمَدٍ مرَّتَيْنِ
بفتًى[2] فَظٍّ غليظٍ ... ساقَه اللهُ لِحَيْنِى
حالَ[3] من شِقْوَةِ جَدِّى ... بينَ إخوانِى وبَيْنِى

قال : فاتخذناه صديقا لا تفارقه .

كان أبو عبيدة يقول : ذهبت اليَمَن بجِدِّ الشِّعر وهَزْله : امرؤ القيس بِجِدِّه وأبو نواسٍ بهَزْله .

وكان يقول : ذهبت اليَمَن بجَيِّد الشعر فى قديمه وحديثه . امرؤ القيس فى الأوائل ، وأبو نواس فى المُحْدَثين[4] .

وكان يُقال : شعراء اليمن ثلاثة : امرؤ القيس، وحَسّان بن ثابت، وأبو نواس[5] .

وقال أبو عبيدة : أبو نواس فى المحدَثين مثلُ امرئ القيس فى المتقدمين ، فتح لهم هذه الفطن، ودلّهم على المعانى، وأرشدهم إلى الطريق والتصرُّف فى فُنونه[6] .

---

(١) غريض : أبو مروان عبد الملك مولى العبلات غلب عليه لقب الغريض لطراوة وجهه ونضارته، كان يضرب بالعود ،أخذ الغناء عن ابن سريج فبرع فيه وتقدم (غ بولاق ٢/١٢٩).

حنين : هو حنين بن بلوع الحيرى . شاعر فحل من فحول المغنين له صنعة فاضلة متقدمة قيل: إنه من العباديين من تميم (غ بولاق) ٢/١٢٠ .

(٢) الرواية فى الديوان : وخم .

(٣) حال : فى الديوان : ذاك .

(٤) معاهد التنصيص (تحقيق الأستاذ محي الدين) : ١/٨٤ .

(٥) مقدمة الديوان لحمزة الأصبهانى (طبع آصاف) : ٩ .

(٦) تهذيب ابن عساكر: ٤/٢٥٥ — تاريخ بغداد : ٧/٤٣٧ — معاهد التنصيص: ١/٨٤— عقد الجمان : ١١/٣٠٤ (مخطوط) .

قال ميمون بن هَارُون : سألت يعقوب بن السكيت عَمَّا يختار لى روايته من أشعار الشعراء ، فقال: إذا رَوَيْتَ من الجاهليين لامرئ القيس والأعشى ، ومن الإسلاميين لجرير والفرزدق ، ومن المحدَثين لأبى نواس فحسبك[١] .

قيل للعُتْبِي: مَنْ أشعر الناس ؟ قال : أعند الناس أم عندى ؟ قال : قلت عند الناس.قال: امرؤ القيس. قال: قلت: فعندك؟ قال: أبو نواس.

قال عبيد الله بن محمد بن عائشة : من طلب الأدب فلم يَرْوِ شعر أبى نواس فليس بتامٍّ الأدب .

قال إبراهيم بن العباس الصولى : إذا رأيت الرجل يحفظ شعر أبى نواس علمت أن ذلك عنوان أدَبه ورائد ظرفه .

سُئل حَبِيب بنُ أوسٍ عن شعر أبى نواس كيف هو عنده ، فقال : أبو نواس ومسلم ، اللات والعُزَّى ، وأنا أعبدُهما[٢] .

وكان أبو نواس يقول عن نفسه : سَفُلْت عن طبقة مَنْ تقدَّمَنى من الشعراء ، وعَلَوْت عن طبقة من معى ومن يجىء بعدى ، فأنا نسيج وَحْدِى[٣] .

حدَّث جماعة من الرُّواة ممن شاهد أبا نُواس قالوا : كان أقلَّ ما فى أبى نواس الشعر ، وكان فَحْلًا راوِيةً عالما .

---

(١) تهذيب ابن عساكر : ٤/٢٥٥ ـ تاريخ بغداد : ٧/٤٣٧ عقد الجمان : ١١ /٣٠٤ (مخطوط) .

(٢) غ (بيروت) : ١٨/٣٣٥ ترجمة مسلم بن الوليد ـ أخبار أبى تمام : ١٧٣ ـ طبقات ابن المعتز : ٢٨٤ .

(٣) مقدمة ديوان أبى نواس لحمزة الأصبهانى (طبع آصاف) : ١٠ .

قال سُلَيْمان بن أبى سَهْل : قلت لأبى نواس : ماالذى أستجيد من أجناس شِعْرك؟ فقال : أشعارى فى الخمر لم يُقَلْ مثلُها ، وأشعارى فى الغَزَل فوق أشعار الناس ، وهما أجود شعرى إن لم يزاحم غزلى ما قلته فى الطَّرْد .

وكان أبو نواس يقول : ما قلت الشعر حتى رَوَيْتُ لستين امرأة من العرب منهنّ الخنساء وليلَى ، فما ظنُّك بالرجال[1] ! وإنى لأروى سبعمائة أرجوزة ما تُعْرَف[2] .

وكان قد استأذن خَلَفاً الأحمر فى نظم الشعر فقال : لا آذَنُ لك فى عمل الشعر إلى أن تحفظ ألف مقطوع للعرب ومائة أرجوزة قصيد ومقطوع ، فغاب عنه مدة وحضر إليه فقال له: قد حفظتها، فقال: أنشدها، فأنشده أكثرها فى عدة أيام. ثم سأله أن يأذن له فى نظم الشعر فقال له: لا آذن لك إلى أن تنسى هذه الألف أرجوزة كأنك لم تحفظها. فقال له: هذا أمر يصعب علىّ فإنى قد أتقنت حفظها فقال: لا آذن لك أو تنساها. فذهب إلى بعض الديرة وخلا بنفسه وأقام مدة حتى نسيها، ثم حضر إليه فقال: قد نسيتها حتى كأن لم أكن حفظتها قط. فقال : الآن فانظم الشعر .

كان أبو نواس يقول : لا أكاد أقول شعراً جيّدا حتى تكون نفسى طيّبة وأكون فى بستان مُونِق ، وعلى حال أرتضيها من صلةٍ أوصل بها أو وعد بصِلة ، وقد قلت وأنا على غير هذه الحال أشعارا لا أرضاها . وكان يعمل القصيدة ثم يتركها أياما ثم يعرضها على نفسه فيسقط كثيرا منها ويترك صافيها ، ولا يسره كل ما يقذف به خاطره. وكان نهمه للشعر فى الخمر فلا يعمله إلا فى وقت نشاطه. ولم يكن فى الشعراء لا بالبطىء ولا بالسريع بل كان فى منزلة وسطى .

---

(١) طبقات ابن المعتز : ١٩٤ ـ تاريخ بغداد : ٧/٤٣٧ ـ ليلى : اسم لإحدى عشرة امرأة شاعرة من العرب ، اشتهر منهن بجيد الشعر : ليلى الأخيلية وليلى العامرية .

(٢) طبقات ابن المعتز : ٢٠١ .

سئل ابن عائشة: مَن أشعر المحدَثين ؟ فقال : الذى يقول[١] :

كأنّ ثيابه أطْلَعـ ـن من أزْراره قَمَرا
يَزيدك وجهه حُسْناً إذا ما زِدْتَه نَظَرَا
بعين خالط التفتيـ ـر من أجفانها الحَوَرا
ووجهٍ سابِرِىٍّ لَوْ[٢] تَصوّب ماؤه قَطَرَا
وقد خَطَّت حواضِنُهُ له من عَنْبَرٍ طُرَرَا[٣]

كان الأصمعى يقول : يعجبنى من شعر الشاطر[٤] بيت واحد[٥] قد أجاد قائله وهو[٦] :

ضعيفة كَرّ الطَّرْف تحسب أنّها قريبة عهد بالإفاقة من سُقْمِ
وإنّى لآتى الأمرَ من حيث يُتّقَى وتَعْلَمُ سهمى حين أنْزِعُ[٧] مَنْ أرْمِى

وهذا شعر أبى نواس .

قال أبو ثابت حبيبُ بن النعمان بن حبيب الحِمْيَرىّ: سمعتُ كُلثومَ بن عمرو العتَّابى يقول لرجلٍ وتناظرا فى شعر أبى نواس : والله لو أدرك الخبيث الجاهليَّة ما فَضَل عليه أحد[٨].

---

(١) الأبيات فى الديوان : ٥٥٩ باختلاف فى الترتيب .

(٢) وجه سابرى : جميل .

(٣) طررا : جمع طرة وهى خطوط للزينة والتمليح تكون فى مقدم الناصية أو على الأصداغ.

(٤) الشاطر : لقب عرف فى العراق وأطلق على أهل البطالة والمستهترين بالدعارة .

(٥) بيت واحد : المروى هنا بيتان ولعله يريد أحدهما .

(٦) الديوان : ٨٧ من قصيدة أولها :

ألا لا أرى مثل امترى اليوم فى رسم تغص به عينى ويلفظه وهمى

(٧) أنزع : أمد فى وتر القوس .

(٨) تهذيب ابن عساكر : ٤/٢٥٦ ـ تاريخ بغداد : ٧/٤٣٧ .

وكان أبو عبيدة يقول : يعجبنى من شعر أبى نواس قوله(1) :

بَنَيْنَـا على كِسْرَى سماءَ مُدامَةٍ مكلَّلَةً حافاتُهـا بنُجوم

فلو رُدَّ فى كِسْرى بنِ ساسانَ رُوحُه إذاً لاصطفانِى دون كُلِّ نديم

كان أبو عمرو الشيبانى يقول: أشعر الناس فى وصف الخمر ثلاثة : الأعشَى والأخْطَل وأبُو نواس .

قال بعضهم : كنت أَلْقَى أبا عبـد الله محمد بن زياد الأعرابى عند ولد سعيد ابن مسلم، وكانت مع ابن الأعرابى صحيفة لا تفارق كمه، فكنا نحب أن نقف عليها فدخل يوما إلى المتهيَّأ وترك صحيفته تلك فى مجلسه ، فنظرنا فيها فإذا فيها كثير من شعر أبى نواس فى الخمر، وقد كنّا إذا ذكرنا أبانواس استخفَّ به وبذكره. فأعدنا عليه ذكره وعرف فى وجوهنا وقوفنا على ما فى الصحيفة فقال : أو قد قرأتم الصحيفة ؟ قلنا : أجل . وعجبنا من ازدرائك بأبى نواسٍ مع تدوينك شعره . فقال : إنه لمن أشعر الناس، وما يمنعنا من رواية شعره إلّا تبذله وسخفه. فكتبنا ما فى الصحيفة لأمرين: أحدها أن تكون رواية ابن الأعرابى، والآخر لعلمنا أن ذلك من جيد شعره لأنه اختيار ابن الأعرابى لنفسه .

قال محمد بن عمر : لم يكن شاعر فى عصر أبى نواس إلا وهو يحسُدُه لميل الناس إليه ، وشهوتهم لمعاشرته ، ولبعد صوته ، وظرف لسانه .

قال أبو حاتم السجستانى [سئل أبو نواس عن شعره فقال] : إذا أردت أن أجدّ قلت مثل قصيدى:

* أيُّها المُنتاب عن عُفُره *

---

(1) الديوان : ٤٤٨ من قصيدة أولها :

لمن دِمَنٌ تزداد حُسْـــن رُسوم على طُول ما أَقْوَتْ وطِيب نسيم

وإذا أردت العَبَث قلت مثل قصيدى :

* طاب الهَوى لعَمِيدِه[1] *

فأما الذى لعبى فيه وحدى جدّ فإذا وصفت الخمر.

قال أبو ذَكْوان: كنّا عند الثورى فذكرت عنده أبا نواس فوضع [بعض الحاضرين] منه ، فقال له الثورى : أتقول هذا لرجل يقول :

تخافه الناس ويَرْجُونَه كأنَّه الجَنَّةُ والنار

والذى يقول :

فما فاته جُودٌ ولا حَلَّ دُونه ولكن يَصِيرُ الجودُ حيثُ يَصيرُ[2]

والذى يقول :

فتمشَّت فى مفاصِلهم كتمشِّى البُرْء فى السَّقَمِ[3]

إلى ما سوى ذلك، والله لقد لَحِقَ مَنْ قبلَه وفات مَنْ بَعْده .

قال ابن الأعرابى يوما لجلسائه : ما أشعر ما قال أبو نواس فى الخمر ؟

فقال بعضهم : قوله :

إذا عبَّ فيها شارِبُ القوم خِلْتَه يُقَبِّلُ فى داجٍ من اللَّيل كَوْكَبا[4]

---

(١) طاب الهوى . . : تكملته : لولا اعتراض صدوده .

(٢) الديوان : ٤٨١ من قصيدة أولها :

أجارة بيتينا أبوك غيور وميسور ما يرجى لديك عسير

(٣) الديوان : ٤١ من قصيدة أولها .

يا شقيق النفس من حكم نمت عن ليلى ولم أنم

(٤) الديوان : ٢٢ من قصيدة أولها :

أعاذل أعتبت الإمام فأعتبا وأعربت عما فى الضمير وأعربا

وقال آخر: بل قوله :

كأنَّ كُبْرَى وصُغْرَى من فَواقِعها حَصْباءُ دُرٍّ على أرضٍ من الذَّهَبِ[1]

وقال آخر: بل قوله :

تَرى حيثُما كانت من البَيْتِ مَشْرِقاً وما لم تَكُنْ فيه من البيت مَغْرِبا[2]

وقال آخر: بل قوله :

فكأنَّ الكُئوس فينا نُجومٌ دَائراتٌ بُرُوجها أَيْدِينا[3]

وقال آخر: بل قوله :

صَفراءُ لا تَنْزِلُ الأحزانُ ساحتَها لو مَسَّها حَجَرٌ مَسَّتْهُ سَرَّاء[4]

فقال ابن الأعرابى : إن هذا كلّه لشاعر قد انفرد بالإحسان فيه وتقدَّم مَنْ سَبقه ومن تأخَّر عنه ، ولكنه أشعر من هذا كله فى قوله :

لا يَنْزِلُ الليـلُ حيث حَلَّت فدهرُ شُرَّابِها نهارُ[5]

قال مَسْلمة بن مِهْزم[6] : لقيت أبا العتاهية فقلت : مَنْ أَشْعَر الناس ؟ قال : تريد جاهليًّا أو إسلاميًّا أو مولَّدًا ؟ قلت : كُلاًّ أريد . قال: الذى يقول فى المَدِيح :

---

(١) الديوان : ٧٢ من قصيدة أولها :

ساعٍ بكأسٍ إلى ناشٍ على طرب كلاهما عجبٌ فى منظر عجبِ

(٢) الديوان : ٢٢ من القصيدة السابقة .

(٣) الديوان : ٣٠ .

(٤) الديوان: ٦ من قصيدة مفتتحها :

دع عنك لومى فإن اللوم إغراء وداونى بالتى كانت هى الداء

(٥) الديوان : ٧٤ من قصيدة أولها :

أعطتك ريحانها العُقار وحان من ليلك انسفار

(٦) فى تهذيب ابن عساكر : ٢٥٧ وتاريخ بغداد : ٤٤٣/٧ : مسلمة بن مهدى . وفى ت مسلم بن بهرم وهو تصحيف أيضا .

إذا نحن أثنينا عليك بصالحٍ فأنتَ الّذِى نُثْنِى وفوق الذى نُثْنِى (١)
وإن جَرَت الألفاظ يوماً بِمِدْحَةٍ لغيرِك إنساناً فأنت الّذِى نَعْنِى

والذى يقول فى الهجاء :

وما أبقيتُ من عَيْلان إلّا كما أبقت من البَظْرِ المَواسِى (٢)
وما حامت عن الأحساب إلّا لترفَع ذِكْرَها بأبى نُواس

والذى يقول فى الزُّهد :

وما الناس إلّا هالكٌ وابن هالكٍ وذُو نَسَبٍ فى الهالكين عَرِيق (٣)

فقلت: هذا كله لأبى نواس؟ قال : هو هو . ثم لقيت العتّابى فسألته عن هذا السؤال فأجابنى بهذا الجواب كأنهما كانا اتفقا عليه .

قال الجاحظ : سمعت النظّام يقول : وقد أُنْشِد شعراً لأبى نواس فى الخمر : كأنّ هذا الفتى جُمِعَ له الكلام فاختار أحسنَه (٤) .

وقال بعضهم : كأنّ المعانى حُبِست عليه فأخذ منها حاجته وفَضّ الباقى على الناس .

---

(١) الديوان (آصاف) : ٦٦ ـ تاريخ بغداد: ٧/٤٤٣ ـ ابن عساكر : ٢٥٧ ـ مسالك الأبصار : ٩/٢٢٦ (مخطوط) .

(٢) الديوان : ٥٢٣ . عيلان: أبو قيس عيلان الذى تنسب إليه جميع قبائل قيس، وهو ابن مضر بن نزار .

(٣) الديوان : ٦٢١ من قصيدة أولها :

أيا ربّ وجه فى التراب عتيق ويارب حسن فى التراب رقيق

ورواية البيت فى الديوان :

أرى كل حى هالكا وابن هالك وذا نسب فى الهالكين عريق

(٤) تاريخ بغداد : ٧/٤٣٧ ـ تهذيب ابن عساكر : ٢٥٥ . الخمر : فى تاريخ بغداد: الجبر.

كان أبو العتاهية يقول[1] : سبقني أبو نواس إلى ثلاثة أبيات وَددْتُ أنّي سبقته إليها بكلّ ماقلته، فإنه أشعر الناس فيها، منها قوله:

يا كَبيرَ الذنب عفو الـلّـــــهِ مِنْ ذَنْبِـك أَكْبَرْ[2]

وقوله :

من لم يكن لِلهِ مُتَّهِمـــاً   لم يُمْسِ مُحتاجاً إلى أحَدِ

وقوله :

إذا امتحن الدنيـا لبيبٌ تـكشَّفَتْ   له عن عَدُوٍّ فى ثيـــابِ صَدِيقِ

ثم قال : قلت فى الزهد ستة عشر ألف بيت وددت أنّ أبا نواسٍ له ثلثُها بهذه الأبيات ؛ وهذه الأبيات لأبى نواس ، وأولها[3] :

أَلَا[4] رُبَّ وَجْهٍ فى التراب عَتيقِ   ويا رُبَّ حُسْنٍ فى التُّراب رَقيقِ
ويا رُبَّ حَزْمٍ فى التراب وَنْجَـدةٍ   ويا رُبَّ رَأْيٍ فى التُّراب وَثِيـقِ
فقل للقَرِيب اليومَ إنَّك رَاحلٌ[5]   إلى منزلٍ دَانِى المَحَــلِّ سَحِيــقِ
وما النَّاس إلَّا هالِكٌ وابنُ هَالِكٍ   وذُو نَسَبٍ فى الهالِـكين عَرِيـقِ
إذا امتحن الدُّنيا لبيبٌ تـكشَّفَتْ   له عن عَدُوٍّ فى ثيـــاب صَدِيقِ

---

(١) الخبر والأبيات فى تهذيب ابن عساكر : ٤/ ٢٦٠ .

(٢) البيت من قصيدة فى الديوان : ٦٢٠ وأولها :

يا نواسىّ توقّر   وتجمّل وتصبر

(٣) الديوان ٦٢١ .

(٤) ألا: فى الديوان : أيا.

(٥) راحل : فى الديوان : ظاعن .

كان المأمون يقول[1] : لو سُئِلت الدنيا عن نفسها فنطقت لما وَصَفَت نفسها كما وصفها أبو نواس فى قوله :

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشَّفَتْ ... له عن عدوٍّ فى ثياب صَدِيقِ

وكان أبو نواس يقول[2] : لو أن شِعْرِى يملأُ الفم ما تقدَّمنى أحد .

قال أبو حاتم[3] : كانت المعانى مدفونة حتى أثارَها أبو نواس .

وقال المكّىّ : مازالت المعانى مكنوزةً فى الأرض حتى جاء أبو نواس فاستخرجها.

قال أحمد بن القاسم[4] : كنتُ أنا وعبد الله بن طاهر عند المأمون وهو مستلقٍ على قفاه . فقال لعبد الله بن طاهر : يا أبا العبَّاس مَنْ أشعر الناس فى خلافة بنى هاشم؟ فقال: أميرالمؤمنين أعْلَى عينا وأعرف بهذا ! فقال: على [كل] حال [فقل][5] وتكلم أنت [أيضا][6] يا أحمد بن القاسم .

فقال عبدالله: أشعرُهم الذى يقول :

ويا قَبْرَ معنٍ كنتَ أوَّلَ حُفْرَةٍ ... من الأرض خُطَّت للسماحة مَوْضِعاً[7]

قال: فقلت : بل أشعرهم الذى يقول:

أشبهتِ أعدائى فصرتُ أُحِبُّهُم ... إذْ كان حَظِّىَ منكِ حَظِّىَ منهمُ[8]

---

(١) تهذيب ابن عساكر : ٢٥٦ – مقدمة ديوان أبى نواس لحمزة الأصبهانى: ١٥ (طبع آصاف) خاص الخاص : ٨٧ – ابن خلكان ١/١٩٨ .

(٢) الموشح : ٢٦٤ برواية : لو كان شعرى كله ...الخ .

(٣) مقدمة ديوان أبى نواس رواية حمزة الأصبهانى (طبع آصاف) : ١٥

(٤) الخبر فى غ (بولاق) ١٤/١١٨ (ترجمة الحسين بن مطير) وسيأتى فى ترجمة الحسين بن مطير – أحمد بن القاسم : فى غ : أحمد بن يوسف .

(٥) ما بين القوسين زيادة يقتضيها القياس ، وفى غ : وعلى ذلك فقل .

(٦) ما بين القوسين زيادة يقتضيها السياق .

(٧) البيت للحسين بن مطير (غ : ١٤/١١٨) . (٨) البيت لأبى الشيص الخزاعى .

فقال المأمون : يا أحمد ، أبيتَ إلّا غزَلا. أين أنتم عن الذى يقول :

يا شقيق النّفسِ من حَكَمِ نمتَ عن ليلى ولم أنَمِ

فقلنا: صدقت يا أمير المؤمنين .

ورد على العتّابى بحلب عدّة من الكتاب(١) من أهل قِنّسرين، فدخلوا وسلّموا، وكان فى يده رُقعة ينظر إليها ، فقال لهم : لقد سلك صاحب هذه الرقعة واديا ماسلكه أحد قبله ، لله درُّه . قال: فنظروا فإذا هو شعر أبى نواس:

رَبْعُ الكَرَى بين الجفون مَحِيلُ عَفَّى عليه بُكًا عليك طَويلُ(٢)

يا ناظراً ما أقلعت لَحَظاتُه حتّى تشحَّط بينهنّ قَتيلُ

أَحْللت قلبى من هواك مَحلّةً ما حَلّها المشروبُ والمأكولُ

بكمالِ صورتك التى من دُونِها يتحيَّر التشبيه والتمثيل

اجتمع أبو نواس(٣) وأبو العتاهِيَة يوما عند إسحاق بن إبراهيم بن مَيْمون، وكلّ واحد منهما لا يعرف صاحبَه ، قال إسحاق: فأخبرت أبا العتاهية بمكان أبى نواس فسلّمَ عليه واستنشده وقال : كنت أحب أن أراك. فجعل أبو نواس يُنشده من سَفْساف شعره، فلما رأى ذلك أبو العتاهية اندفع فأنشده من غير أن يسأله، فقال أبو نواس: هذا والله المُطمِع الممتنع . فقال أبو العتاهية : هذا القول خيرٌ من كل ما أنشدتُ اليوم ، ثم قال : كيف قلتَ فى اعتذارك إلى الرشيد أو قال إلى الفضل بن الربيع ؟

قال: فأنشده الشعر الذى يقول فيه(٤):

مامن يد فى الناس واحدةٍ كيَدٍ أبو العبّاس مولاها

(١) فى ت : الكبار .

(٢) الأبيات فى الديوان : ٢٥٥ ــ والرواية فى الديوان : رسم الكرى ــ محيل: مجدب ــ عفى عليه: محاه.

(٣) تهذيب ابن عساكر : ٢٦١ .

(٤) الديوان : ٤٥٩ .

قد كنت خِفْتُك ثم أمَّنَنِى … من أنْ أخافَك خوفُك اللهَ

فقال أبو العتاهية : ما عليك ألّا تقولَ بعد هذا شيئا . قد كنتُ واللهِ أحب أن أكون قد سبقتك إليه .

قال عبد الله بن سليمان بن العباس[1] : كنت أسير فى طريق أصبهان فإذا أنا برجل عليه فَرْوٌ جالس إلى عينٍ فى المنزل ، فقال لى: مِمَّن الرجل ؟ قلت: من أهل البصرة . قال : أنشدنى لأبى نُواسِكم شيئا ، فإنه لو كشف استه ومضى بين الناس كان أحسن من قَوْله[2] :

وَجْه جِنَانٍ سَراةُ[3] بُسْتَانِ … جُمِّع فيـــهِ كُلُّ ألوانِ[4]

قلت: فأُنشدك له؟ قال: هات فأنشدته[5]:

مُتَتَابِهٌ بجماله صَلِفٌ … ما يُستطاعُ كلامُه تِيها

للحسن فى وَجَناتـــه بِدَعٌ … ما أنْ يَمَــلٌّ الدرسَ قارِيها

لو كانت الأشيـــاء تعقلُه[6] … أَجْلَلْنَه إجلالَ بارِيها

أو تستطيع الأرض لا نقَبَضَتْ … حتَّى يصيرَ[7] جميعُه فِيهــا

قال: أنشِدْنى غيرَ هذا . فأنشدتُه[8] :

إنّ السحاب لتستَحْيِى إذا نظرت … إلى نَداكَ فقاسَتْهُ بما فيها

---

(١) الموشح : ٢٨٦ وفيه : عن عبد الله بن سلمة بن عياش .

(٢) الديوان : ٢٣٤ .

(٣) سراة: فى الأصول: سراى. والتصويب من الديوان (غز) ، وسراة كل شىء: خياره.

(٤) فى الديوان: يجتمع فيه كل ريحان .

(٥) ليس فى الموشح، والأبيات فى الديوان: ٢٩١ .

(٦) الأشياء تعقله : فى الديوان : الأشباح تعرفه .

(٧) يصير: فى الديوان : يكون .

(٨) الديوان : ٤٦٤ .

حتّى تهمّ بإقلاع فيمنعها خوفٌ من السُّخط من إجلال مُنشيها[1]

قال: أحسن وأجاد. قلت: من أنت؟ قال: كُلثوم بن عمرو العتّابى. قلت: أنشدنى من شعرك، فأنشدنى:

طَمع النفوسِ مطيّةُ الفقْر ولِباسُها أدنَى من الوَفْرِ
اصبر إذا بَدَهَتْك نازِلةٌ ماعال مُنقَطِعٌ إلى الصبرِ
الصبر أمْثل ما اعتصمتَ به ولنعم حَشْو جوانِح الصَّدْرِ

ويقال: إن هذا الحديث مصنوع؛ لأن هذا الشعر ليس من شعر العتّابى فى شىء وإنما هو لخلد الطائى، وأن الذى أنشدَ من شعر أبى نواس ليس بأجود شعره ولا مختاره.

قال محمد بن صالح بن بَيْهَس الكلابى[2]: لمّا دخلتُ العراق صرت إلى مدينة السلام فسألت عمَّنْ بها من الشعراء المحسنين، وذلك فى أيام خلافة الأمين أو عند موته قبل دخول المأمون بيسير. فقيل لى: قد غلب عليهم فتى من أهل البصرة يقال له: الحسن بن هانئ يعرف بأبى نواس، وقد كنتُ سمعت شيئا من شعره، فأتانِى فتى كان يألفنى من أهل الأدب فقلت له: هل ترْوِى لأبى نواسكم هذا شيئا؟ قال: نعم أروى له أبياتا فى الزهد وليس هو من طريقه. فقلت: أنشدنيها، فأنشدنى[3]:

أَخِى ما بالُ قلبك ليس يَنقَى كأنّك لا تظنّ الموتَ حَقّا
ألا يا ابن الذين فَنَوْا وبادُوا أمَا والله ماذهبوا لِتَبقَى
وما للنَّفْس عندك من مقام إذا ما استكْملَتْ أجَلا ورِزْقا
وما أحدٌ بزادِكَ منك أحْظَى ولا أحدٌ بذَنْبك منك أشْقَى
ولا لك غير تقوَى اللهِ زَادٌ إذا جعلتْ إلى اللَّهوات تَرْقَى

---

(١) خوف من السخط ... الخ: فى الديوان: خوف العقوبة فى عصيان منشيها.

(٢) الموشح: ٢٧٥.

(٣) الديوان (طبع آصاف): ١٩٨.

فقلتُ له أحْسَن والله . قال : أفلا أنشدك أحسن من هـذا ؟ فقلت . بلىَ ، فأنشدنى[1] :

طَوَى الموتُ ما بينى وبين محمَّدٍ ... وليس لمـا تطوى المنيَّـةُ ناشِرُ
ولا وصلَ إلا عـبرةٌ يستديمُها ... أحاديث نَفْسٍ مالها الدهرَ ذاكِرُ
لـئن عُمِّرَتْ دُورٌ بمن لا تُحِبّه ... لقـد عمرتْ ممّن تُحِبّ المقابِر
وكنت عليهِ أحذرُ الموتَ وَحْدَه ... فـلم يَبْقَ لى شئٌ عليهِ أحاذِرُ

قال : قلت: بحقٍّ ما غلبَ هذا على أهل الأدب وقدَّموه على غيره .

قال أبو مخلد : جاء أبو العَتاهية إلى عندى فقال لى إنَّ أبا نواس لا يُخالفك ، وقد أحببت أن تسأله ألّا يقول فى الزهد شيئا فإنى قد تركت له المديح والهجاء والخمر والرقيق ، وما قالت فيه الشعراء ، والزهد سُوقِى . فبعثت إلى أبى نواس فجاء وأخذنا فى شأننا ، وأبو العتاهية لايشرب النبيذ . فقلت لأبى نواس : إن أبا إسحاق مَنْ قد عرفت فى جلالته وتقدّمه ، وقد أحبَّ أنك لا تقول فى الزهد شيئا . فوجم[2] وقال : يا أبامخلد ، قطعت علىّ ما كنت أحب أن أبلغه من هذا ، ولقد كنت على عزم أن أَقول فيه ما أُتوّب به كلَّ خليع . وقد فعلت ولا أُخالف أبا إسحاق فيما رغب إليه .

قال محمد بن جعفر الأحمر[3] : كنَّا عند أَبى نعيم فتذاكرنا قول عائشة حين ذكرت شعر لبيد يرثى أَخاه أربد[4] :

ذَهَبَ الذين يُعاشُ فى أكنافِهِم ... وبَقِيتُ فى خَلَفٍ كجِلْدِ الأَجْرَبِ

---

(١) الديوان : ٥٨١ ــ وفى الشعر والشعراء : ٧٩١ باختلاف فى الترتيب .

(٢) وجم : سكت عن غيظ .

(٣) الأحمر : فى ت : الأصم .

(٤) أربد: هوأربدبن قيس بن جزء بن خالدبن جعفر بن كلاب، وهوأخو لبيدبن ربيعة لأمه.

قال : ولقد أنشدنى أبو نميم أبياتا ، قلنا فأنشِدْناها فقال[١] :

ذهب الناس فاستقلُّوا[٢] وصرنا خَلَفاً فى أراذِل النِّسناسِ

فى أناسٍ نعدُّهم من عَديدٍ فإذا فتِّشُوا فليسوا بناسِ[٣]

كُلَّما جئتُ أبتغى الفضل[٤] منهم بدَرُونى قبل السؤال بياسِ

وبَكَوْا لى حتى تمنَّيت أنِّى مُفلِتٌ عند ذاك رَأْساً براسِ[٥]

ثم قال لنا : أتدرُون لمن الشعر ؟ قلنا : لا . قال : للحسن بن هانئ .

قال أبو عبد الرحمن الضرير[٦] : رأيت مسلم بن الوليد بجرجان وهو يتولّاها فسألنى عمَّن خلّفت من الشعراء، فقلت له : أمّا من الكوفيين فأبو العتاهية وهو مقدّم عندهم . فقال : ويحك كيف يتقدَّم وهو يقول :

* رويدك يا آنسى لا أين تقفر *

أرأيت تقفر خرجت من بين فَكَّىْ شاعر محسن قط ! قلت : وأما من البصريين فالحسن بن هانئ المعروف بأبى نواس فإنه مقدم عندهم فى فنون الشعر . فقال : ويلك ! وكيف يكون ذلك وهو يُحِيل ويتخطّى فى صفة المخلوق إلى صفة الخالق ؟! قلت : مثل ماذا من قوله ؟ قال : أما فيما أحال فكقوله :

وأخفت أهل الشرك حتى إنّه لتخافُكَ النُّطَفُ التى لم تُخلَقِ[٧]

---

(١) الديوان : ٦٠٥ .

(٢) استقلوا : ذهبوا ورحلوا .

(٣) البيت مؤخر فى الديوان بعد : وبكوا .

(٤) الفضل : فى الديوان : النيل .

(٥) مفلت عند ذاك رأسا براس : يريد: لا على ولا ليا .

(٦) الموشح : ٢٨٤ ــ أبو عبد الرحمن الضرير : هو عبد الله بن يوسف السمرقندى الخارج مع سيار بن رافع على المأمون وكان راوية أديبا .

(٧) الديوان : ٤٠١ من قصيدة :

خَلَقَ الشباب وشِرَّتى لم تخلقِ ورُمِيتُ فى غرض الزمان بأفوَقِ

وهذا من الإغراق المستحيل فى المقول ، ومما ليس على مذهب القوم . وأما فى تخطّيه بصفة المخلوق إلى صفة الخالق فهو كقوله :

يَجِلّ أنْ تَلْحَق الصفاتُ بِهِ فكُلُّ خلقٍ لخلقه مِثْلُ

وكقوله :

* بَرِئٌ من الأشباهِ ليس له مِثْلُ *

لقى العتَّابى أبا نواس فقال له[1] : يا أبا علىّ أما خفت الله حيث تقول :

وأخفت أهل الشرك حتى إنّه لتخافك النّطف التى لم تُخْلَق

فقال أبو نواس : أما خفتَ أنت الله حيث تقول :

ما زلتُ فى غمراتِ الموت مطَّرحا يَضيقُ عنى وسيعُ الرأى من حِيَلى

فلم تزلْ دائباً تسعى بلُطْفِك لى حتّى اختلستَ حياتِى من يدَىْ أَجَلِى

فقال العتَّابى : قد علم الله وعلمتَ أنّ هذا ليس مثلَ قولِك . ولكنّك قد أعددت لكلّ قائل جَوابا .

ومما قيل عن أبى نواس[2] : إن الشعر إنما هو بين المدح والهجاء وأبو نواس لا يُحْسِنُهما ، وأجود شعره فى الخمر والطَّرْد ، وأَحسن ما فيها مأخوذ ليس له ، وإنما سرقه . وحسبك من رجل يريد المعنى ليأخذه فلا يُحسن أن يقفّى[3] عليه حتى يجىء به قبيحا[4] .

مثل قوله :

* ودَاوِنى بالّتى كانتَ هى الداء *

---

(١) الموشح : ٢٨٥ ــ ٢٨٦ .

(٢) الموشح : ٢٨٢ ــ ٢٨٣ .

(٣) يقفى : فى الموشح : يعفى .

(٤) قبيحا : فى الموشح : نسخا :

أَخذه من قول الأعشى :

* وأُخْرَى تداوَيْتُ منها بها *

والذى أخذ منه أحسن مما قال .

ومنه أيضا قوله :

* كانَ الشبابُ مطيَّةَ الجَهْلِ *

أخذه من [قول] النابغة:

* فإنّ مطية الجهل الشباب(١) *

وقوله :

* كَطَلْعَةِ الأَشْمَطِ من جِلْبابِهِ(٢) *

فإنّه أخذه من قول أبى النجم :

* كَطَلْعةِ الأَشْمطِ من كسائه *

ولكنه رُزق فى شعره أنْ سار وحملَه الناس وقدَّمه أهلُ مصره ، وإن له على ذلك لأشياء حسانا لا يدفعها ولايطرحها إلا جاهل بالكلام أو حاسد .

وإنّ مما استُجيد له قوله :

وما الناسُ إلّا هالكٌ وابنُ هالِكٍ وذو نَسَبٍ فى الهالِكِين عَرِيق(٣)

وقوله فى الخمر :

صَفْراء لا تنزِلُ الأحزانُ ساحتَها لو مَسَّهَا حَجَــرٌ مسَّتْه سرّاءُ(٤)

---

(١) صدر البيت : فإن يك عامر قد قال جهلا .

(٢) صدر البيت : لما تبدى الصبح من حجابه . الديوان : ٦٣١ .

(٣) الديوان : ٦٢١ .

(٤) الديوان : ٦ .

وقوله أيضا :

إذا عَبَّ فيها شارِبُ القوم خِلْتَه ... يُقَبِّلُ فى داجٍ من الليل كَوْكَبا[1]

قال أبو عبد الله أحمد بن صالح بن أبى فنن: كان أبو بحر عبد الرحمن بن أبى الهداهد شاعرا مجيدا ، وكان لا يكاد يقول شيئا إلّا نُسِب لأبى نواس ، وكذلك الحسين بن الضحّاك . وقد غلب على كثير من شعرهما .

فما هو لأبى بحر وقد نسب إلى أبى نواس :

وشاطرٍ ماجِن الشمائل قدْ ... خالَط منـه المُجون تَخْنِيثَا
تَراه طَوْراً مـذكَّراً فإذا ... عاقَر رَاحاً رأيتَ تأْنِيثَا
يَميل للمَشْىِ فى مُعَصْفرَةٍ ... يَحْكِى لنا الجُلَّنار والتُوثَا[2]
أغرُّ يحكِى بحُسْنِ مَنْطِقِه ... دُرًّا بِقطْعِ الجُمانِ[3] مَبْثُوثَا
خُصَّ بِرِدْفٍ كأنَّ مِئْزَرَه ... على رُكام من النَّقَا لِيثَا[4]
ألثغ إن قلتَ يا فدَيْتُكَ قُلْ ... مُوسَى يَقُلْ فى رُطونَةٍ مُوثَى
ما زال حَتَّى الصباح مُعْتَنِقِى ... مُطارِحِى فى الدُّجَى الأحادِيثَا

قال أبو عبد الله : أنشدنيها أبو بحر لنفسه ، فقلت له : إنهم يزعمون أنها لأبى نواس ، فقال لى : فأبو نواس بينى وبينك ، فوالله لقد غلبَنى على غير شعر ، وما يدَّعِيه ولكنه قد حَظِىَ أن يُنْسَب إليه كلّ إجادة وملاحة .

(١) الديوان : ٢٢ .
(٢) التوث : الفرصاد وهو التوت الأحمر ـ الجلنار : زهر الرمان (فارسى معرب) .
(٣) الجمان : اللؤلؤ .
(٤) الركام : ماتجمع بعضه فوق بعض ـ النقا : الكثيب من الرمل ـ ليث : اختلط .

اجتمع أبو نواس(١) ومسلم فى مجلس فتلاحيا على نبيذ ، فقال مسلم لأبى نواس : والله ما تُحْسِنِ الأوصافَ . فقال : لا والله ما أحسن أن أقول :

سُلَّتْ فسُلَّتْ ثم سُلَّ سَلِيلُها ... فأتى سَلِيلُ سَلِيلِها مَسْلُولا(٢)

والله لو رَجَمْتَ الناس فى الطُرق لكان أحسن من هذا .

قال أبو عبد الله الحسن بن المُنْذِر : كنت وأبو نواس فى منزل صديق لى ، فوقعت منى عربدة فأخذ بيدى وأخرجنى إلى منزله على نهر الدجاج(٣) . قال : فدخلت فإذا فى جوانب البيت على كل حائط سطر ممدود ، قال : ودخل معنا غلام من أبناء التجار جاء ليكتب من شعره ، فقرأت أنا والغلام الكتابَ فإذا فى صدر البيت :

أما المِكاسُ(٤) فشىءٌ لستُ أعرِفُه ... والحمد لله ، فى نَيْكٍ وفى راحِ(٥)

وثانى هذا البيت :

ها تِيك أَنْفِى بها همِّى وذا أَمَلِى ... فلستُ عن ذا ولا عن تلك بالصَّاحِى

وفى جانب البيت الأيمن :

مَنْ دخَلَ البيتَ فهو آمِنٌ ... مِن كلِّ شىء ما خَلا النَّيْكَا

وثانى هذا البيت :

فقال : قد جئنا على خِبْرَةٍ ... فقلتُ : لبَّيْكَ وسَعْدَيْكَا

---

(١) الموشح ٢٨٩ .

(٢) الديوان : ٤٧ ـ الشعر والشعراء : ٨١٤ .

يقول : رققت بطول القدم ثم رقق رقيقها فأتى رقيق رقيقها مرققا أى مسلولا .

(٣) نهر كان يأخذ من كرخايا قرب الكرخ من الجانب الغربى (ياقوت) .

(٤) المكاس : المشاكسة واستحطاط الأجر أو الثمن .

(٥) فى الأصول : ولا راح .

وفى الجانب الآخر :

خَلَعْتَ العـــذار وأَلْقيْتَه فلم يَبْقَ فى الرَّأْسِ إلّا الرَّسَنْ

قال : فقلت للغلام: أَلْقِ عَلَىَّ نفسَك بما قد قرأت . فأَعْطَى بيده وقضى حاجتى .

[ومن أحسن مدائح أبى نواس قوله يمدح الفَضْل بنَ الرَّبيع :][1]

[وبَلْدَةٍ فيهـا زَوَرْ صَعْراءَ تُخْطَى فى صَعَرْ.[2]

مَرْتٍ إذا الذئبُ اقتفَرْ بها من القَوْمِ أَثَرْ.[3]

كانَ له مِنَ الجَـزَرْ كُلُّ جَنِينٍ ما اشْتَكَرْ.[4]

ولا تَمَـلّاه شَمَـــرْ مَيْتُ النَّسا حَىُّ الشَّفَرْ.[5]

عَسَفْتُهـــا على خَطَرْ وغَرَرٍ من الغَـــرَرْ.[6]

---

(١) ما بين القوسين تكملة من تهذيب الأغانى . الفضل بن الربيع : وزر للرشيد بعد البرامكة وظل فى الوزارة إلى أن مات الرشيد، ووزر لابنه الأمين حتى قتل، فاستتر حتى بويع لإبراهيم بن المهدى فظهر، ثم استتر حين استتب الأمر للمأمون وظل مستترا حتى رضى عنه، وتوفى سنة ثمان ومائتين فى شهر اختلف فيه (وفيات باختصار) .

هذه القصيدة سقط كثير من أبياتها فأكملناها من مخطوطة لها مشروحة بشرح ابن جنى وقد أشرنا إليها سابقا ووضعنا الأبيات بين معقفين [ ] دلالة الزيادة عن الأصل، ومكان هذه الأبيات من الأصل بياض فى ك وت، والقصيدة مذكورة فى الديوان ٤٣٨ وفى طبع (آصاف) : ٧٧ .

(٢) البلدة : كل قطعة مستحيزة من الأرض عامرة أو غامرة ــ الزور : الميل والاعوجاج ــ الصعر : الميل ــ تخطى فى صعر: تقطع فى اعوجاج لأن سماتها معوجة .

(٣) مرت : لا تنبت شيئا ــ اقتفر : اقتفى واتبع .

(٤) الجزر : جمع جزرة وهى الشاة المذبوحة ، وأراد بها هنا السخال ــ ما اشتكر : ما نبت عليه الشكير وهو الوبر، لأن أمه قد أجهضته .

(٥) تملاه: علاه ــ ميت النسا : النسا : عرق مستبطن الفخذين إلى الساقين. يريد ليس له عرق يضطرب غير شفر عينيه، وهو يخبر بهذا عن نقصه وعجزه عن التمام .

(٦) عسفتها : ركبتها على غير تدبير وبغير قصــد ــ خطر : مخاطرة بالنفس فى ركوب ذلك المهمه، ويمكن أن يراد على خطر أى ناقة تخطر فى سيرها بقوتها ونشاطها ــ غرر : مخاطرة ومغامرة .

بِبـــازِلٍ حين فَطَرْ تَهُـزُّه جِنُّ الأَشَرْ.(١)
لا مُتَشَكٍّ مِنْ سَـدَرْ ولا قَرِيبٌ من خَوَرْ.(٢)
كأنَّه بعـــد الضُّمُرْ وبعـد ما جال الضُّفُرْ.(٣)
وامَّحَ نَيٌّ كَفَسَرْ جَأْبٌ رَباعِى المُتَّغَـرْ.(٤)
يَحْدُو بِحُقْبٍ كالأُكَرْ تَرْمِى بأَثْبَاجِ القَصَرْ.(٥)
مِنهُنَّ تَوْشِيمُ الجَـدَرْ رَعَيْنَ أبكارَ الخضَرْ.(٦)
شَهْرَى رَبِيـعٍ وصَفَرْ حَتَّى إذَا الفَحْلُ جَفَرْ.(٧)
وشَبَّـه السَّفَا الإِبَرْ ونَشَّ إذْخارُ النُّقَرْ.(٨)
قُلْنَ له ما تَأْتَمِـرْ وهنَّ إذْ قُلْنَ أَشِرْ.(٩)
غَـيْرُ عَوَاصٍ ما أَمَرْ كأنَّهـــا لِمَنْ نَظَرْ

---

(١) البازل : الـكامل القوى من الإبل ــ فطر : حين ظهر نابه وذلك فى السنة التاسعة ــ الأشر : البطر والشره .

(٢) السدر : الدوار فى الرأس ــ الخور : الضعف. يصف البازل بأنه شديد ولا علة به .

(٣) الضمر : الهزال وانضمام بعض الأجزاء إلى بعض ــ جال: تحرك ــ الضفر : جمع ضفيرة وهى من حبال الرحل .

(٤) امح : ذهب ودرس ــ الى : الشحم ــ الجأب : الغليظ من حمران الوحش ــ المتغر : من الاتغار وهو نبات الأسنان بعد سقوطها ، يقال بالتاء والثاء .

(٥) يحدو: يسوق ــ الحقب : جمع حقباء وهى الأتان على حقويها بياض . الأثباج : الأوساط. القصر: جمع قصرة وهى أصل العنق.

(٦) توشيم : نقش ــ الجدر : أثر العضاض .

(٧) جفر : انقطع عن الضراب لشدة الحر .

(٨) السفا : شوك البهمى ــ نش: يجوز أن يعنى به ، غلا كما تغلى القدر من شدة الحر، وقيل: نس بالسين غير المعجمة أى جف ــ الإذخار : ما يجتمع فى النقرة من ماء .

(٩) تأتمر : تفتعل من الأمر ، أى تشير وتطلب .

رَكْبٌ يَشِيمُونَ مَطَرْ ... حَتَّى إذا الظِّلُّ قَصَرْ (١)

يَمَّمْنَ مِنْ جَنْبَيْ هَجَرْ ... أَخْضَرَ طَمَّامَ العَكَرْ (٢)

وبَيْنَ أَحْقَافِ القُتَرْ ... سارٍ وليْسَ لِسَمَرْ (٣)

ولا تِلاواتِ سُوَرْ ... يَمْسَحُ مِرْنَاناً يَسَرْ (٤)

زُمَّتْ بِمَشْزُورِ المِرَرْ ... لأْمٍ كَحُلْقُومِ النُّغَرْ (٥)

حَتَّى إذا اصْطَفَّ السَّطَرْ ... أَهْدَى لها لَوْ لم تَحَرْ (٦)

دَهْيَاءَ يَحْدُوهَا القَدَرْ ... فتلكَ عَنْسِي لم تَذَرْ (٧)

شِبْهاً إذا الآلُ مَهَرْ ... إليكَ كَلَّفْنا السَّفَرْ (٨)

خُوصاً يُجاذِبْنَ الجُرَرْ ... قد انْطَوَتْ منها السُّرَرْ (٩)

---

(١) يشيمون : ينظرون إليه أين يقصد وأين يمطر ـ الظل قصر : أى فى منتصف النهار .

(٢) يممن : قصدن ـ جنبا هجر : ناحيتاه ـ أخضر : يريد ماء أخضر ويعنى به الصافى ـ طمام : مرتفع ـ العكر : ما يرتفع على الماء من البعر والريش والحطام .

(٣) أحقاف : جوانب ونواحى ـ القتر : جمع قترة وهى حفرة الصائد التى يتوارى فيها لرمى الصيد ـ السمر : الحديث بالليل .

(٤) المرنان : القوس ترن أى تصوت إذا رمى عنها ـ يسر : مباركة ميسورلها الصيد.

(٥) زمت : شدت ـ مشزور : مفتول ـ المرر : جمع مرة : القوة من الوتر أى الطاقة ـ لأم : ملتئم لا عوج فى فتله ـ النغر : طائر صغير مستوى خلقة العنق (البلبل أو صغار العصافير) .

(٦) لو لم تحر : لو لم تخطئ . يقال: حار السهم عن الغرض .

(٧) دهياء : يريد بها السهم ـ يحدوها : يسوقها ـ العنس : الناقة الشديدة .

(٨) الآل : السراب ـ مهر : اشتد وقوى .

(٩) خوصا : جمع خوصاء وهى الغائرة العين لشدة السير ـ الجرر : جمع جرير وهو الحبل المضفور . فى الديوان النخر : وهى موضع البرة من المنخرين ـ السرر : جمع سرة : ويكنى بهذا عن ضمور أوساطها من تكليفها بالسفر .

طَيَّ القرارِيِّ الحِبَرْ	لم يتقمّدْها الطِّيَرْ(١)
ولا السَّنِيحُ المُزْدَجَرْ	يا فَضْلُ للقَوْمِ البُطُرْ(٢)
إذْ ليس فى النَّاسِ عَصَرْ	ولا مِنَ الخَوْفِ وَزَرْ(٣)
وَنَزَلَتْ إحدَى الكُبَرْ	وقيل صَمَّاءُ الغِيَرْ(٤)
فالنّاسُ أبناءُ الحَذَرَ	فرَّجْتَ هاتِيكَ الغُمَرْ(٥)
عَنَّا وقد صابَتْ بقُرْ	كالشَّمْسِ فى شَخْصِ بَشَرْ](٦)
أعْلَى تَجارِيكَ الخَطَرْ	أبُوكَ جَلَّى عن مُضَرْ(٧)
يومَ الرُّواقِ المُحْتَضَرْ	والخَوْفُ يَفْرِى ويَذَرْ(٨)
لَمّا رَأَى الأَمْرَ اقْمَطَرْ	قام كَرِيمًا فانْتَصَرْ(٩)

(١) القرارى : الخياط ــ الحبر: جمع حبرة وهى برد للنساء ــ يتقعدها : يبطئها ويريثها ــ الطير : جمع طيرة وهى التشاؤم .

(٢) السنيح : الطائر يجىء من مياسرك فيوليك ميامنه ــ المزدجر : المتفاءل به من زجر الطير ــ البطر : جمع بطير وهو الذى أطغته النعمة .

(٣) العصر : المنجا ــ الوزر : الملجأ .

(٤) الكبر: جمع الكبرى؛ يريد الشدة والسنة الصعبة ــ صماء : شديدة كأنها لقسوتها لا تسمع ــ الغير : الخطوب ــ .

(٥) الغمر : جمع غمرة وهى الشدة .

(٦) عنا : يريد فرقها عنا ــ صابت : تحدرت ــ بقر ــ بلغت قرارها . وهى مبالغة فى وصف الشدة ــ كالشمس فى شخص بشر : أى أنت فى الجلالة وشريف الفعل كالشمس إلا أنك فى شخص بشر .

(٧) من هنا موجود فى الأصل (كوت) ــ الخطر : المخاطرة ــ جلى عن مضر: يعنى أخذ الربيع البيعة للمهدى على الناس ببئرميمون فى طريق مكة. لما توفى المنصور احتال الربيع على الناس حتى أخذ البيعة عليهم وهو خبر مشهور .

(٨) يفرى: يقطع ــ يذر : يدع . يريد المبالغة فى شدة الأمر حتى إن الخوف كان يأخذ الناس ويدعهم فهم مضطربون .

(٩) اقمطر : اشتد .

كهزة العضب الذكر　　ما مس من شىء هبر (١)

وأنت تقتاف الأثر　　من ذى حجول وغرر (٢)

معيد ورد وصدر　　وإن علا الأمر اقتدر (٣)

فأين أصحاب الغمر　　إذ شربوا كأس المقر (٤)

وقسروا فيمن قسر　　هيهات لا يخفى القمر (٥)

أصحرت إذ دبوا الخمر　　شكراً وحر من شكر (٦)

والله يعطيك الشبر　　وفى أعاديك الظفر (٧)

والله من شاء نصر　　وأنت إن خفنا الحصر (٨)

وهر دهر وكشر　　عن ناجذيه وبسر (٩)

أغنيت ما أغنى المطر　　وفيك أخلاق اليسر (١٠)

---

(١) العضب : السيف القاطع ــ هبر : قطع

(٢) تقتاف : تتبع أثر أبيك . ويعنى بذى الحجول والغرر أباه الربيع .

(٣) يريد هنا بالورد والصدر إيراد الأمور وإصدارها ، أى يقتدر على الأمر وإن كان عاليا صعبا .

(٤) الغمر : الحقد ــ المقر : الصبر .

(٥) قسروا : غلبوا .

(٦) أصحرت : ظهرت ووضحت ولم تساتر عدوك لفضلك ــ الخمر : ما وارى من شجر ويريدون أنهم يتطلبون غرته من تحت تحت خوفا منه فهم يساترونه العداوة ولا يواجهونه فيها ــ الحر : الكريم .

(٧) الشبر : النماء والكثرة . ويريد العطايا والخير .

(٨) الحصر : ضيق الأمر اشدته .

(٩) شبه تجهم الزمان وقطوبه بالكلب إذا هر ــ كشر : أبدى أنيابه ــ النواجذ : أقاصى الأضراس ــ بسر : تجهم .

(١٠) اليسر : المياسرة. يريد أن أخلاقك المعهودة المياسرة إلا أن تسام الضيم .

فإنْ أَبَوْا إلَّا العُسُرْ ... أَمْرَرْتَ حَبْلًا فاستَمَرْ(١)
حتَّى تُرَى تِيكَ الزُّمَرْ ... تَهْوِى لأَذْقَان الثُّغَرْ(٢)
مِنْ جَذْبِ أَلْوَى لَوْ نَتَرْ ... إليه طَوْدٌ لانـأَطَرْ(٣)
صَعْبٌ إذا لاقَى أَبَرْ ... وإنْ هَفَا القَوْمُ وَقَرْ(٤)
أوْ رَهِبُوا الأَمْرَ جَسَرْ ... ثُمَّ تَسَامَى ففَغَرْ(٥)
عَنْ شِقْشِقٍ ثُمَّ هَدَرْ ... ثُمَّ تَفاجَى نَخَطَرْ(٦)
بِذِى سَبِيبٍ وغُدَرْ ... يَعْصَعُ أَعْرافَ الوَبَرْ(٧)
هَلْ لكَ والهَلُّ خَيَرْ ... فيمَنْ إذا غِبْتَ حَضَرْ(٨)
أو نَالَكَ القَوْمُ ثَأَرْ ... وإنْ رأَى خَيْرًا شَكَرْ(٩)
أوْ كَانَ تَقْصِيرٌ عَذَرْ ؟

---

(١) أمررت : فتلت فتلا محكما وضرب بذلك مثلا، أى جددت فى مساوى أعدائك. وخفف الراء فى استمر لأنها وقعت حرف روى، والحروف المشددة إذا وقعن حروف روى فى شعر مقيد خففن .

(٢) الزمر : جمع زمرة، والزمرة : الجماعة_ تهوى: تخر على وجوهها من شدة فعلك بها _ الثغر : جمع ثغرة وهى ثغرة النحر .

(٣) ألوى : شديد _ نتر : جذب بشدة وحمية _ الطود : الجبل _ انأطر : انعطف واعوج وأنثنى .

(٤) أبر : زاد وغلب أعداءه وقهرهم _ هفا : زل _ وقر : ثبت وارتبط جأشه .

(٥) رهبوا : خافوا _ جسر : شجع _ فغر : فتح فاه .

(٦) الشقشق : ما يظهر فى فم البعير خارجا من حلقه عند الهدير كأنه شكوة _ هديره : شدة صوته وذلك من علامات صياله _ تفاجى : فحج برجليه_ خطر: ضرب بذنبه يمينا وشمالا .

(٧) السبيب : شعر الذنب _ الغدر : الخصل من الشعر. يعصع : يحرك ذنبه _ أعراف الوبر: أطرافه وأوائله .

(٨) فيمن إذا غبت حضر: ينوب عنك ويخلفك بالجميل. يعنى أبو نواس بذلك نفسه يعرض نفسه عليه.

(٩) ثأر : فى الديوان أثر، يعنى ذكر مآثرك _ ثأر : أخذ بثأرك منهم.

وقال فى آل الربيع وأجاد[1] :

سادَ الملوكَ ثلاثةٌ ما منهمُ إنْ حصّلوا إلّا أغرُّ قريعُ[2]
سَاد الربيعُ وساد فضلٌ بعدَه وعَلَتْ بعبَّاسِ الكريمِ فُرُوعُ[3]
عبّاسُ عباسٌ إذا احتدَم الوَغَى والفَضْلُ فَضْلٌ والرَّبيعُ رَبيعُ

وقال يمدح الفضل بن الربيع لما قدم بغداد على محمد بالأموال والقضيب والخاتم وقدمات الرشيد، وقد[4] اشتد فرح الأمين وقرَّبه وألطفه وقلّده الأمور وفوّض إليه ما وراء بابه ، فهو الذى يولى ويعزل ويحلّ ويعقد عن محمد ، واحتجب فلم يكن يقعد إلّا فى الفَيْنة :

لَعَمْرُكَ ما غاب الأمين محمّدٌ عن الأمر يعنيه إذَا شَهِدَ الفَضْلُ[5]
ولولا مواريثُ الخلافة أنها لَهُ دُونَه ما كان بَيْنَهُما فَضْلُ
فإنْ كانت الأجسادُ منهم تباينَتْ فقولُهما قولٌ وفِعْلُهما فِعْلُ
أَرَى الفَضْلَ للدُّنيا وللدِّين جامِعاً كما السهمُ فيه الرِّيشُ والفُوقُ والنَّصْلُ[6]

وله[7] :

مَنْ كان تُعجبه الأُنثَى ويُعجِبُها من الرجال فإنى شَفَّنِى الذَّكَرُ
فوق الخُماسِىّ لمَّا طَرَّ شَارِبُه رَخْصُ البَنَان خلا من جِلْدِه الشَّعَرُ
لم يُجْفَ من كِبَرٍ عَمَّا يُرادُ به من الأُمورِ ولا أَزْرَى به صِغَرُ

---

(١) الديوان (غز) : ٤٦٣ .

(٢) الأغر : الأبيض والمشهور ـ القريع : السيد .

(٣) الربيع: والد الفضل كان وزيرا للمنصور ـ الفضل : كان وزيرا للرشيد ثم لمحمد الأمين ـ العباس : ابن الفضل .

(٤) وقد: فى ت «لما» .

(٥) الأبيات فى الديوان : ٤٤٩ .

(٦) الفوق : موضع الوتر من رأس السهم ـ النصل : حديدة الرمح والسهم .

(٧) أخبار أبى نواس لأبى هفان : ١٠٦ ـ المثل السائر : ٤٧٥ ـ وانظر مسالك الأبصار .

وقال[1] :

يا قَلْبُ وَيْحك جِدٌّ منك ذا الكَلَفُ ... ومن كَلِفْتَ به جافٍ كما تَصِفُ
وكان فى الحقِّ أنْ يهواكَ مُجْتهِدًا ... كذاكَ خَبَّرَ مِنَّا الغابِرِ السَّلَفُ
قل للمليح أما تَرْوِى الحديثَ بما ... خالَفْتَ فيه وقد جاءَتْ به الصُّحُفُ
إنَّ القلوبَ لأَجْنادٌ مجَنَّدَةٌ ... لِلّهِ فى الأَرضِ بالأَهْواء تَخْتَلِفُ
فما تعارَفَ منها فهو مُؤْتَلِفٌ ... وما تناكَرَ منها فهو مُخْتَلِفُ

وقال[2] :

مَرَّ بنا والعُيُونُ تَرْمُقُه[3] ... تجرحُ منهُ مواضِعَ القُبَلِ
أُفْرِغَ فى قالَبِ الجَمالِ فما ... يَصْلُح إلّا لذلك العَمَلِ

وقال ملغزا فى طريف ، ويُرْوَى لعبد الله بن طاهر :

اسمُ مَنْ أهواه إسْمٌ حَسَنْ ... فإذا صَحَّفْتَه[4] فهو حَسَنْ
وإذا أسقطتَ منه فاءه ... صار مغنى لهواه المختزن[5]
وإذا أسقطتَ منه ياءه ... صار فيه بعض أسباب الفِتَنْ
وإذا أَلْقَيتَ مِنْهُ راءَه ... صار شيئاً يَعْتَرِى عند الوَسَنْ
وإذا أَلْقَيْتَ عَنْه طاءَه ... صار فيه عَيْشُ سكّان المُدُنْ
فَسِّروا هذا ولنْ يعرِفَه ... غَيْرُ مَنْ يسبَحُ فى بَحْرِ الفِطَنْ

---

(١) الأبيات فى الديوان : ٢٧٧ .

(٢) الديوان : ٣٠٢ .

(٣) ترمقه : فى الديوان : تأخذه .

(٤) التصحيف : قلب الحروف بتغيير إعجامها .

(٥) هذا البيت ليس فى ت .

وقال(١) :

رسولى قال أوْصَلْتُ الكِتابا ... فما رَدُّوا عليكَ له جَوابَا(٢)

فقلتُ : أليْس قد قرَأُوا كتابِى ... فقال : بَلَى ! فقلتُ الآنَ طَابَا

فأرجُو أن يكونَ هُمُ جوابِى ... بلا شَكٍّ إذا عَرَفوا الخِطابَا(٣)

أُجيدُ(٤) لك المُنَى ياقلبُ كَيْلا ... تَمُوتَ عَلَىَّ غمًّا واكتِئابَا

وقال متغزّلا فى رَحْمة بن نجاح(٥) :

إذا ابتهلتُ سألت الله رَحْمَته ... كَنَّيْتُ عنكَ ومايَعْدُوكَ إضْمارِى

أحبَبْتُ مِن شِعْرِ بشّارٍ لُحبِّكُمُ ... بَيْتًا لَهِجْتُ به من شِعْرِ بَشّارِ

(يارَحْمَةَ اللهِ حُلِّى فى منازِلنا)(٦) ... وجَاوِرِينا فدَتْكِ النَّفسُ من جارِ

وقال(٧) :

لَلَطْمَة يلطِمُنِى أَمْرَدٌ ... تأخُذ منِّى العَيْنَ والفَكَّا

أَطْيَبُ منْ تُفّاحَةٍ من يَدَىْ ... ذِى لِحْيَةٍ قد حُشِيَت(٨) مِسْكَا

---

(١) الديوان : ٢٨٨ .

(٢) فما ردوا ... فى الديوان : ولكن ليس يعطون الجوابا .

(٣) عرفوا الخطابا : فى الديوان : قرأوا الكتابا .

(٤) أجيد : فى الديوان : أجد .

(٥) الديوان : ٣٢٣ .

(٦) صدر بيت لبشار قاله فى امرأه يهواها اسمها رحمة وتمام البيت :

يا رحمة الله حُلِّى فى منازلنا ... حَسْبِى برائحة الفِرْدَوْس مِنْ فِيكِ

(طبقات ابن المعتز ٣١) .

(٧) نهاية الأرب : ٤/٨٩ .

(٨) قد حشيت : فى نهاية الأرب : محشوة .

وقال[1] وقد أفطر يوما من شهر رمضان وشرب ولاط وزَنَا ، فعَذَله إخوانه في ذلك :

دع عنك ما جَدُّوا به وتبَطَّلِ ... وإذا لَقِيتَ أخَا الحقيقة فاهزِلِ
لا تركَبَنَّ من الذُّنوبِ صغيرَها ... واعْمَدْ إذا قارفْتَها للأنبَلِ
وخَطِيئَةٍ تعلو على مُسْتَامِها ... يأتِيك آخرها بطَعْمِ الأوَّلِ
ليست من اللَّاتِي يقول لها الفَتَى ... عند التذكُّرِ[2] ليْتَنِي لم أفْعَلِ
حَلَّتْ لا حَرجاً علىَّ حَرَامَها ... ولَرُبَّما حَلَّتْ[3] غير مُحَلَّلِ

وقال :

أُزاحِمُه إذا صَلَّى ... لتَمْسَح رِجْلَه رِجْلِي
وأطلُب تحتَهُ نَعْلِي ... وما إنْ تَحْتَه نَعْلِي
فهل أحدٌ بما جَمَّـ ... ـشتُ جَمَّش شادِنًا قبْلِي

وله[4] :

ومستَعْبِدٍ إخوانَه بثَرائه ... لبستُ لهُ كِبرًا أبَرَّ على الكِبْرِ
إذا ضَمَّني يَوْماً وإيّاه مَحْفل ... رَأى جانِبِي وَعْراً يزيد على الوَعْرِ
أخالفُه في شَكْلِه وأجرُّه ... على المَنْطق المَنْزُورِ والنَّظَرِ الشَّزْرِ[5]
وقد زَادَنِي تِيهاً على النَّاسِ أنَّنِي ... أرانِيَ أغناهم وإن كنت ذَا فَقْرِ
فواللهِ لا يُبْدِي لسانى لحاجَةٍ ... إلى أحدٍ حتى أُغَيَّبَ في قَبْرِي

---

(١) الأبيات في الديوان : ١٩٩ باختلاف في بعض الكلمات .

(٢) التذكر : في هامش ك : التندم وهي رواية الديوان .

(٣) حلت : في الديوان : وسعت .

(٤) الديوان : ٥٩٧ .

(٥) المنطق المنزور : القليل — النظر الشزر : نظر الغضب وهو بمؤخر العين .

فلا يَطْمَعَنْ فى ذاكَ مِنّىَ طامِــعٌ[1] ولا صاحبُ[2] التاجِ المحجَّبِ فى القصْرِ
فلو لَمْ أرِثْ فَخْراً لـكانت صِيانَتِى فَمِى عن سؤالِ الناسِ حَسْبِى من الفخر

وقال[3] :

يا من جَفَانِى ومَلَّا نسيتَ أهلًا وسَهْـــلًا
ومات مَرْحَبُ لَمَّـا رأيتَ مالِىَ قَلَّا
إنِّى أظنُّكَ تَحْــكِى فيما فَعَلْتَ القِرِلَّى
تلقاهُ فى الشَّرِّ ينأَى وفى الرَّخَا يَتَدَلَّى

القِرِلَّى : مَوْلًى كان لِحْمْيَرَ، وكان لا يسمع بأحَدٍ يأخذ شيئا إلّا جاء إليه وأدخله . ولا يتخلَّف عن طعام لأحد ، وإذا سمع بخصومة لم يقرب ذلك الطريق . ضُرِب به المثل حتى قيل لطير من طيور الماء ـ يرفّ عليه ـ القرِلّى .

وقال يخاطب أبان بن عبد الحميد اللاحقىّ قبل أن يتهاجيا :

أبانُ نَــكِّب عن عداوَتِنا لَكَ غَيْرُ قَرْعِ صَفَاتِنا لَهْوُ
إنِّى نذيرُكَ[4] أن تصيّر لِى شُغُلًا هجاءك إنَّنِى خِلْوُ

وقال[5] :

أخِى مابال قَلْبِـك ليس يَنْقَى كأنّك لا تَظُنُّ الموتَ حَقّــا
ألَا يا ابنَ الَّذِين فَنَوْا وبَادُوا أمَا واللهِ ما ماتُوا لتَبْقَى
وما لِلنَّفْسِ عندكَ من مُقامٍ إذا ما استَــكْمَلَتْ أجَلًا ورِزْقَا

---

(١) طامع : فى الديوان : سوقة .
(٢) صاحب التاج : فى الديوان : ملك الدنيا .
(٣) الديوان : ٦٠٠ .
(٤) إنى نذيرك : فى ت : أنى يزيدك وهو تصحيف .
(٥) الديوان (آصاف) : ١٩٨ ـ الـكامل للمبرد (طبع ليدن) : ٢٣٤ .

وما لك غير ما قدّمتَ زادٌ   إذا جعلت[1] إلى اللّهوات ترقى
وما أحدٌ بزادك منك أحظى   ولا أحدٌ بذنبك منك أشقى

وقال[2] :

ومُستَطِيلٍ على الصّهباء باكرها   في عُصْبَةٍ[3] باصطباحِ الرّاحِ حُذّاقِ
حتّى حساها فلم يَلْبَثْ وما لَبِثَت   أنْ خرَّ مَيْتاً صَرِيعاً ما لَهُ وَاقِ
فكلّ كَفٍّ رآها ظنّها قدحاً   وكُلُّ شَخْصٍ رآه ظنّه السّاقِ

وقال :

ليس لى فى الحِرِ حاجهْ   نَيْكُه عِنْدِى لَجَاجَهْ
ما يُرِيدُ الحِرَ إلّا   كُلُّ ذى فَقْرٍ وحاجَهْ
أَدْخِلوا باللّه يا قَوْ   مُ مكانَ الأَيْرِ سَاجَهْ
وإذا نِكْتُمْ فنيكوا   أمْرَدًا فى لَوْنِ عاجَهْ

ولمّا عمل أبو نواس قصيدته :

* ومستعبدٍ إخوانه بثرائه[4] *

بلغت الأمينَ فبعث إليه وعنده سليمان بن أبى جعفر ، فلما دخل عليه قال له: يا عاضَّ بَظْرَ أمّه[5] العاهرة ، ويا مُدَّعِى ولاء حاء وحَكَم ، أتدرِى يا ابن اللّخناء

---

(١) جعلت : يريد نفسه وروحه ــ اللهوات : جمع لهاة : وهى اللحمة المشرفة على الحلق ، ويشير إلى الآية الكريمة : (فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ) وهى حالة سكرة الموت .

(٢) الديوان : ٢٠٤ .

(٣) فى عصبة : فى الديوان : بفتية ــ المستطيل : المتطاول المتفضل .

(٤) الديوان ٥٩٧ وتمام البيت : لبست له كبرا أبر على الكبر .
وانظر فى الخبر الوزراء للجهشيارى (طبع الحلبى) : ٢٩٦ ــ ذيل زهر الآداب : ١٣٥ ــ الطبرى : مجلد ٣/ ٩٦٤ ــ ٩٦٥ .

(٥) أمه العاهرة : فى الجهشيارى : أمه شحمة العاهرة .

من تواليْتَ وإلى من ادّعَيْت ؟! إلى ألْأَم قبيلتين فى اليمن علوج باغين . أنت تكتسب بشعرك أوساخ أيدى الناس اللئام وتقول :

* ولا صاحب التّاج المحجّب فى القصر *

أمَا والله لا نلتَ منّى شيئا أبدا .

فقال له سليمان بن أبى جعفر: أى والله ثم هو مع هذا من كبار الثَّنَوِيّة[1] ، وكان يُرْمَى بذلك . فقال محمد : هل يشهد عليه شاهد بشىء ؟ فأتاه سليمانُ بعِدَّة نفر فشهدوا عليه أنه شرب فى يوم مَطِير ، فوضع قَدَحَه تحت السماء فى المطر فوقع فيه المطر فقالوا : ما تصنع ويحك ؟ قال : أنتم تزعمون أنه ينزل مع كل قطرة مَلَك فكم تُرانى أشرب الساعة من الملائكة ؟! ثم شرب ما فى القدح . فغضب محمد وأمر به إلى السجن ، فذلك قول أبى نواس[2] :

يا رَبِّ إن القومَ قد ظَلَمُونى	وبلا اقْتِرافٍ تَعَطُّلٍ حَبَسونِى
وإلى الجُحود بما عَرَفْت خلافَه	رَبِّى إلَيْهِ بكذبهم نَسَبُونى[3]
ما كان إلّا الجَرْى فى ميدانهم	فى كل خِزْيٍ والمجانةُ دِينِى
لاالعُذْرُ يُقْبَل لى فيفرَق شاهدِى	منهم ولا يَرْضَوْن حَلْفَ يَمِينِى
ولكان كَوْثَر [كان][4] أولى محبسا	فى دار مَنْقَصةٍ ومنزلِ هُونِ
أمّا الأمينُ فلستُ أرجو دَفْعَه	عنّى فمَنْ لى اليَوْم بالمَأْمُونِ

---

(١) الثنوية : فرقة تدين بإثنينية الإله تزعم أن النور والظلمة قديمان، لأن النور يمثل إله الخير والظلمة إله الشر (انظر الملل والنحل للشهرستانى) .

(٢) الديوان : ٥٩٦ .

(٣) فى الطبرى : منى إليه بكيدهم نسبونى .

(٤) ما بين القوسين زيادة من الطبرى ليستقيم الوزن. والرواية فى الديوان :

ما كان لو يدرون أول مخبأ ... فى دار منقصة ومنزل هون

فبلغت أبياته المأمون فقال : والله لئن لحقته لأُغنينّه غناء لا يؤمِّله . فمات قبل دخول المأمون بغداد .

قال السجستانى: كنت وأنا غلام فى المسجد الجامع بالبصرة يوم الجمعة، فبينا أنا كذلك إذ دخل أبو نواس، فجاء حتى جلس إلىّ وجعل يعبث بى ويُنشدُنى الشعر ، فقلت : اللهم خلِّصنى منه ومن يديه كيف شئت . قال : فدخل غلام ثَقَفِىٌّ من أجمل الناس ، فلما بَصرَ به قال : ههنا ههنا فحَلْحَلَ عن مكانه فأجلسَه بينى وبينه ، وجعل يحدّثه ويُنشده إلى أن أقاموا الصلاة ، فالتفت إلىّ وقال: اسمع[1]:

أُتيحَ لى يا سهلُ مُستَظْرَفٌ ... تسحرُ عينى عينُه الساحِرَهْ

ثم التفت إليه وقد قام الغلام فنظر إلى مؤخّره وهو أرسحُ[2] فقال :

ما شئتَ من دُنْيا ولـكِنَّه[3] ... مُنافِقٌ ليست له آخِرَهْ

قال: فقلت له على عَمْد : قد سمعت هذا الشعر منك مرة . فقال : والله ماقلته إلّا الساعة .

قال سليمان بن أبى سهل: دعوتُ أبا نواس يوما ، وكان عندى غلام قد ربَّيته عجِيب الحسْن ، وهو يسقينا يومئذ ، فوضع أبو نواس عينه عليه، فما زال يَعْبَثُ به ثم قال : أحب أن تَهَبه لى ، فإنه مادام فى ملـكك لن أعرض [له] . فقلت له : وَيْحَك صبىٌّ قد ربَّيته وهو عندى مثل ولدى كيف أفارقه ؟! قال : والله لابد منه، فقد فتنتنى عيناه. قلت : أنظر فى ذلك. فلم يزل يشرب إلى أن أخذت منه الأقداح مأخذها، فأراد الانصراف فقال : أنصرف وقد سألتك حاجةً فلم تَقْضِها لى . فتذمّمت[4] منه أن

---

(١) الديوان : ٧٢٩ .

(٢) أرسح : قليل لحم العجز والفخذين .

(٣) فى الديوان : دنياه ما شئت ولـكنه ...

(٤) تذممت : استحييت واستنكفت .

يسأل حاجة وأردّه عنها ، وخفت مع ذلك لسانه فإنه لم يكن يبالى ما قال . فقلت له صِفه بديها ، فإنْ أَجَدْت وصفه واستحسنتُه نخذ بيده وانصرف ، فكأنه والله كان قد علم ماأردت من قبل أن أقول فيه فيَّا له شعرا، وقال على المكان: اسمع . وأنشد[1]:

وغريرِ الشَّبابِ مُحتَبَك[2] الحُسْـ	ـنِ عـلى جيدِه مناطُ التَّميمِ
قد غَـذاه النعيمُ فاحمرّت الوجْـ	ـنَةُ منه على فساد الحُـلُوم
فهْوَ عفُّ الجفون فى النَّظَرِ العمْـ	ـدِ حِذاراً عـلى فؤادِ النَّديمِ
يتثَنَّى إذا مشَى فهـو لَدْنٌ	فى اعتـدالٍ بجَوْدَةِ التَّقْويمِ
أَنْدَبَت[3] كفَّهُ الزجاجةُ وهْنًا	فَهْى فيها جِراحُ تلك الكُلومِ
فهو الراحـل المَطِيَّ إلينا	من أبارِيقِ قَهْوَةٍ[4] الخُرْطومِ
بِنْتُ دَهْرٍ[5] أَباحَها كَرَمُ الجوْ	هَرِ منـه ورقَّةٌ فى الأَديمِ
يَلْحقُ الظَّبْىَ والظَّلِيمَ من الجرْ	ىِ ويُزْرِى بكُرْبَة المَغْمُومِ

ثم قال : من لايعجبه هذا الوصف فأمّه زانية ، وأمّ من يرجع فى هِبَته زانية. وأخذ بيد الغلام وخرج، فلم أقدر [أن] أكلِّمه بنُطْقة[6] .

كان محمد الأمين[7] شديد المحبة للشراب ، فاصطبح يوما مع ندمائه وأبو نواس عنده فقال محمد : نشرب اليوم كلّنا لننظر أيّنا أجودُ شُرْباً ، ولأَجْوَد القوم شُرْباً

---

(١) الديوان : ١٧٧ .

(٢) محتبك الحسن : جيد الحسن بالغه ــ مناط التميم: خيط يعلق به التمائم على الصغار ليمنع الحسد.

(٣) أندبت : جرحت .

(٤) قهوة : فى الديوان : صفوة ــ الخرطوم : الخمر الشديدة الإسكار .

(٥) فى الديوان : كرم .

(٦) بنطقة : بكلمة .

(٧) الخبر فى أخبار أبى نواس لأبى هفان (٨٣ــ٨٥) برواية عن يوسف بن الداية مع اختلاف فى العبارة واتفاق فى المعنى .

حُكمه . فلم يزالوا يشربون إلى نصف الليل ثم هوَّم[1] القوم سُكْراً . وبقى محمد وأبو نواس وكَوْثر يشربون ، ثم قام محمد وكوثر وبقى أبو نواس وحده . فلما لم يَرَ له مساعِداً أغفى غفْوة ، ثم انتبه ووضع الشراب بين يديه ، ثم قام إلى النّدماء يحرّك واحداً واحداً ليشرب معه فوجدهم مَوْتَى لا حَراكَ بهم . فقال : ليس لى إلّا محمد . فجاء إلى مرقده فصاح: ياسيدى ياأمير المؤمنين ليس هذا من الإنصاف ، نحن نشرب وأنت نائم ! فانتبه وقعد يشرب معه . فقال له محمد : وَيْلَكَ ألستَ أنت من الناس؟! لا تنام مع ما قد شربت ! فقال له : يا سيدى لَذّة الشراب تقوم مقام لَذّة النوم . فشَرِبا باقى ليلتهما ، ثم أراد محمد أن ينام بعد أن أصبح سَكِرًا . فقال أبو نواس: يا سيِّدى على رِسْلك، ثم قال[2] :

ونَدْمانٍ يرى غَبَناً عَلَيه	بأن يُلْفَى[3] وليس به انتشاءُ
إذا نادَيْتَه[4] من نَوْمِ سُكْرٍ	كَفاه مَرَّةً منـك النّـداءُ
فليس بقائلٍ لك : إيهِ دَعْـنِى	ولا مُستَخْبِرٍ لك ما تَشاءُ[5]
ولـكِنْ سَقِّـنِى ويقول أيضا	عَلَيْكَ الصِرْفَ إن أعياكَ ماءُ
إذا ما أدْرَكَتْه الظُّهْرُ صَلَّى	ولا عَصْرٌ عليـه ولا عِشاءُ
يُصَلِّى هَذِه فى وقْتِ هَـذِى	فـكُلُّ صَلَاتِه أَبَداً قَضاءُ
وذَاكَ مُحَمَّدٌ[6] تَفْدِيه نَفْسِى	وحقٌّ له وقَـلَّ له الفِدَاءُ

---

(١) هوم : هز رأسه من النعاس .

(٢) الأبيات فى الديوان : ٢٣ ـ نهاية الأرب : ٤/١٥١ـ الشريشى : ٢/١٤٥ .

(٣) يلفى : فى الديوان : يمسى .

(٤) ناديته : فى الديوان : نبهته ونوم السكر أثقل نوم

(٥) يريد أنه مساعد موافق .

(٦) وذاك محمد : سيأتى أن أبا نواس مات فى بيت محمد بن منصور الصيرفى ، وأنه قال فيه هذا البيت .

فقال محمد : أحسنتَ والله . يا كوثر أعْطِه بحياتى لكلِّ بيت ألفَ درهم . فقال أبو نواس : هذا حَقُّ الأبيات فأين حَقِّى عليكم فى الشرب؟ قال : قل ماشئت . قال : مثل حق الأبيات . قال : وتعمل ماذا ؟ قال : يا سيدى، أبكّر فى هذه الغداة الطيبة إلى الفِرْك[1] فإنى قد هجرتها منذ أيام فأتنزّه وأشرب وأفسق وأرجع . قال : يا كوثر أعطه لا بارك الله له .

نظر أَبو نواس إلى غلام قد ابتدأ عارِضُه فقال :

بدا الشَّعْرُ فى خَدَّيْه فازددْت صَبْوةً ... إليه ولم يَهْدَا الجوَى والتّشَوُّقُ
وأَحسن ما كان القضيبُ نَضارَةً ... إلى العَيْن فى أَزْمانِه حين يُورِقُ

وقال[2] :

أَنْضَيْتِ أَحْرُفَ (لا) مِمّا لَهِجْتِ بها ... فحوِّلى رَحْلَها عنها إلى (نَعَمِ)[3]
أو حوِّليها إلى ما[4] فهْى تَعْدِ لها ... إن كُنْتِ حاولتِ فى (لا) قِلَّةَ الكَلِمِ
قِسْتُم علينا فحاوَلْنا قياسَكُم ... بمَنْ تباعَد عن جُودٍ وعن كَرَمِ
ولستُ، تَفْديكم نَفْسِى، أُحَمِّلُكُم ... ثِقْلى بمَيْنٍ ولا كَفٍّ ولا قدَمِ

قال يوسفُ بن الداية : نظر أَبو نواس إلى غلام مقنَّع قد أَخرج فَرْدَ عين، وإذا هو أَحسنُ الناس فى تلك الهَيْئة، فمازَحه فرآه ظَرِيفاً حُلْوَ النغمة، فقال لى : عليك به. فتأمّلتُ وجهَه فإذا فى عينه كَوْكَب . فقلت له : يا وَيْلك! أَنْت أَعمى تتعشّق العِمْيان

---

(١) الفرك : قرية قرب كلواذى . فى أبى هفان : الفزل وهو تصحيف . — هجرتها : فى أبى هفان : هويتها .

(٢) الديوان : ٢٤٩ .

(٣) رواية الشطر الثانى فى الديوان : فحق لى رحلة منها إلى نعم .

(٤) ما : هكذا فى النسخ ، ولعلها إى بمعنى نعم، وهى حرفان مثل لا، ويؤيده آخر البيت.

أماترى الكَوْكَبَ[1] في عَيْنه أعظم من كَوْكَب الذنَب. فأراد أن ينصر هَواه وخطأه ويُغايظنى فقال[2] :

أَحْوَرُ المُقْلَةِ من غير دَعَجٍ[3] لَوْ عداه عَوَرُ العَينِ سَمُجْ
تَحْسَبُ النُّكتةَ فى ناظِرِه دُرَّةً بيضاءَ فى فِصِّ سَبَجْ[4]

فقلت: قاتَلَك الله ! حَبَّبْتَ والله بشعرك وظَرْفك العَوَرَ إلى البشر .

قال الجَمَّاز : أنشدنى أبو نواس[5] :

يا واضِعاً بَيْضَ القَطَا تحتَ الزَّمامج[6] للفِراخِ
لو أيقنَتْ ما تَحْتَها لَمْ تَأْلُ[7] من نَقْرِ السِّماخِ[8]
يا غارِساً بيَمِينِه شَجَرَ الحِفاظ على السِّباخِ
فَسَدَ الخَلائقُ كلُّهم فانْظُرْ لنفسك مَنْ تواخِي

عزم عيسى بن أبى جعفر المنصور على أبى نواس أن يقيم معه بالقُفْصِ[9] أسبوعا وحمله وخَلَع عليه ووصله ، فلما أقاموا الأُسبوع وأرادوا الانصراف قال له : بحياتى عليك صِفْ مجلسنا هذه الأيام كلها التى أقمناها ، فأنشأ يقول[10] :

---

(١) الكوكب : النكتة على إنسان العين .
(٢) والبيتان فى الشريشى : ٢/٣٣٠ وليسا فى الديوان .
(٣) دعج : فى الشريشى : عوج .
(٤) السبج : الخرز الأسود .
(٥) الديوان : ٥٩٩ .
(٦) الزمامج : جمع زمجى : وهى أصل الذنب للطائر .
(٧) تأل : فى الديوان : تخل .
(٨) السماخ : الصماخ .
(٩) القفص : بلدة بين بغداد وعكبرا .
(١٠) الديوان : ٧٩ ، ٨٠ .

ياطيبنا بقصور القفص مشرقة ... فيها الدساكر[1] والأنهار تطرد
لما أخذنا بها الصهباء صافية ... كأنها النار وسط الكأس تتقد
جاءتك من بيت خمار بطينتها[2] ... صفراء مثل شعاع الشمس ترتعد
فقام كالغصن قد شدت قراطقه[3] ... ظبي يكاد من التهييف[4] ينعقد
فاستلها من فم الإبريق فانبعثت ... مثل اللسان جرى واستمسك الجسد
فلم نزل في صباح السبت نأخذها ... والليل أجمعه[5] حتى بدا الأحد
ثم ابتدأنا كلانا اللهو من أمم[6] ... في نعمة غاب عنها الضيق والنكد
حتى بدت غرة الإثنين واضحة ... والسعد معترض والطالع الأسد
وفي الثلاثاء أعملنا المطي بها ... صهباء ما قرعتها بالمزاج يد
والأربعاء كسرنا حد شرته[7] ... والكأس يضحك في تيجانها الزبد
ثم الخميس وصلناه بليلته ... قصفا وتم لنا بالجمعة العدد
يا حسننا وبحار القصف تغمرنا ... في لجة الليل والأوتار تنترد
في مجلس حوله الأشجار محدقة ... وفي جوانبه الأنهار تطرد
لا نستخف بساقينا لغرته ... ولا يرد عليه حكمه أحد
عند الأمير أبي عيسى الذي كملت ... أخلاقه فهي كالأوراق تنتقد

(١) الدساكر : بيوت الأعاجم يكون فيها الشراب والملاهي .

(٢) بطينتها : بخاتمها لم تفض .

(٣) قراطقه : في الديوان : مناطقه . والقراطق : جمع قرطق : قباء ذو طاق واحد .

(٤) التهييف : ضمور البطن ورقة الخاصرة .

(٥) أجمعه : في الديوان : يجمعنا .

(٦) الرواية في الديوان : ثم ابتدأنا الطلا باللهو من أمم — أمم : قرب .

(٧) شرته : في الديوان : سورتها .

قدم[1] على أبي نواس أهلُه من البصرة يعذلونه على فعله، ويقولون له: ياهذا إنه قد نفد عمرُكَ وساء عملك ، فلو تزوّجت امرأةً من أهل بيتك رجونا أن تُقصِر عن بعض ما أنت فيه . فأبَى عليهم ؛ فما زالوا به حتّى زوَّجوه جارية جميلة من أهل بيته فلما دخل بها أعرض عنها وخرج إلى غلمان كانوا يأتونه ، فجمعهم وألبسهم الأُزُرَ المصفرة وخَلَى بهم يومه ، فلمّا أمسى طَلَّقها وأنشأ يقول[2]:

صاحبةَ القَرْقَرِ قُوِمى ارْحَلِي   تَنَقَّبِي صاغِرَةً واذهبِي[3]
مُرِّى فكم مِثْلك من حُرَّةٍ   رائقةٍ لم تَكُ من مَطْلَبِي
لا أَبْتَغِي بالطَّمْث مطمُومَةً   ولا أَبِيعُ الظَّبْيَ بالأَرْنَبِ
لا أُدْخِلُ الجُحْرَ يدى طائعاً   أَخشَى من الحَيَّةِ والعَقْرَبِ

وروى أنه لم يتزوّجها ، وأنهم دسُّوا إليه امرأة وقالوا لها كلِّميه، فجعلت تقول قد وجدت لك امرأة جميلة مُوسرة ولها دارسرِيّة كبيرة تجعلها لك، فقال : ويحك! لست أنت أدعَى إلى الرُّشد من الله عز وجل ، وقد دعانى إليه وأبَيْتُ ، وليست المرأة التى تصفينها بأحسنَ من الحور العين ، ولا الدار التى تذكرينها بأحسن من الجنة، وكُلُّ هذا قد بَذَله لى مَنْ هو أصدق منك إن أُرعويتُ فلم أقبل ، فكيف أقبل مِنْكِ أنت؟! ثم قال[4] :

أَقُول لها لما أَتَتْنِي تَدُلُّنى   على امرأةٍ موصوفةٍ بجَمالِ
أصبتِ لها ياأختُ فحلًا كما اشتهتْ   إن اعتَفرت مِنّى ثلاثَ خِصالِ

---

(١) أخبار أبي نواس لأبي هفان : ٢٠٧ باختلاف فى العبارة .

(٢) الفكاهة : ٦٣ .

(٣) الرواية فى الفكاهة : صاحبة القرقر لاتشغى   تحملى طالقة واذهبى

القرقر : لباس للنساء خاصة .

(٤) الديوان : ٣١٢ . وفى محاضرات الراغب : ٨٧/٢ نسبها إلى أعرابى قد عرضت عليه دلالة امرأة .

فمهن فِسْقٌ لا يُنادَى وَليدُه ورقَّةُ إسـلام وقلَّةُ مالِ

ولوأنهافىالحسْنِ كانت كيُوسُفٍ وبِلْقيس أو كانت كخَطِّ مِثالِ[١]

وقالت تزَوَّجني فمهري درْهَمٌ لقُلْتُ أعزُبي عَنِّي فمهرُكِ غالِ

فقال أهله : والله لا أفلح هذا أبداً ويئسوا منه . وقال أيضا فى ذلك[٢] :

طَمعتْ فىَّ قَحْبَـةٌ رُبَّ راجٍ مُخيَّب

لَسْتُ والله مُدْخِلًا إصْبَعِى جُحْرَ عقرَبِ

ابْتَغِى لى مُـؤاجَراً واذْهَـبِى أنْتِ قَحِّبِى

روى أن صديقا لأبى نواس استأثر عليه بغلام واحتجب عنه، فوقف على الباب وقال :

اتَّقِ الله رَبَّكَا لا تَنِيكَنَّ وَحْدَكَا

إنَّ مَنْ ناكَ وَحْدَهُ كان باللهِ مُشْرِكَا

فصاح به: ادخل عليك لعنة الله.

ويقال إن هذه الحكاية كانت مع الأمين ، وأنه أُهدى إليه مملوك فأخذ بيده إلى بعض المراقد ، وأنّ أبا نواس أنشده :

اتق الله ربكا لا تنيكن وحدكا

رافعا صوته فارتاع الأمين لذلك وهاله الصوت ، فخرج إليه وقال : سَمِعْتَ ياحسن ما سمعتُ ؟ قال : وما ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : سمعت هاتفا يقول : (اتَّقِ الله رَبَّكا) قال : نعم يا أمير المؤمنين (لا تَنِيكَنّ وحدكا) .

إن من ناك وحده كان فى اللّوْم مثلكا

فقال له الأمين خذ بيده لا بارك الله لك فيه .

---

(١) خط مثال : معتدله فى جميع أجزائها. والمثال : الحجر ينقش عليه الرسم والسمة .

(٢) الفكاهة : ٢٥ باختلاف فى الترتيب .

لمّا حبس الرشيد أبا نواس لشُرْبه الخمر كان كثيرا ما يلعب الشِّطْرنج والنَّرد فى رَحْل رجل[1] آخر معه فى الحبس ، فجاءه أبو نواس يوماً فوقف على بابه فسمع نَفَساً عاليا ، فتوهم أنّ عنده غلاما فوقف بالباب ينتظر فراغه ، فلما سكن نَفَسُه دفع الباب ودخل فإذا ليس عنده أحد ، فعلم أنه يجلد عُمَيْرَة ؛ فضحك وأنشأ يقول[2] :

إذا أنتَ أنكَحْتَ[3] الكريمةَ كُفْوَءها

فأنْكِح[4] خُنَيْساً[5] راحةَ ابْنَةِ ساعِدِ

وقُلْ بالرِّفا ما نِلْتَ من وَصْلِ حُرَّةٍ ... لها ساحَةٌ حُفَّت بخَمْسِ وَلائدِ

تُعَفِّفُه ما دام فى السِّجنِ ثاوِياً[6] ... وما حالفَتْه مُصْمَتاتُ[7] الحدائدِ

فإنْ جَرَتِ الأقـــدارُ يوماً بفُرْقَةٍ ... تَبدَّلَ منها كلَّ بيضاءَ[8] ناهِدِ

قال سَهل بن أبى سَهل[9] بن نوبخت[10] : سألت أبا نواس أن يشرب عندى أيّاما متتابعة لا يمضى فيها إلى أحد ، فأجابنى ، فأعددت ما احتجنا إليه من سَماع وغيره ، وأخذنا فى الشُّرب ، فلما كان فى آخر النهار وعَمِل فيه الشراب جعل يشكو وَجْده بجارِية قد أحبَّها ويقول : إنه ما يهنيه لذة بسببها . فقلت له : ويلك أتعشَق النساء ؟!

---

(١) رجل : يقال هو خنيس مولى حسين بن حسن بن زيد بن على زين العابدين ، وقيل: هو خنيس ، وقيل : حسين .

(٢) الديوان : ٥٥٦ .

(٣) أنكحت : فى الديوان : زوجت .

(٤) فأنكح : الديوان فزوج .

(٥) خنيسا : فى الديوان : خيسا ، وفى هامش ك : حسينا .

(٦) ثاويا : مقيما .

(٧) مصمتات الحدائد : الأغلال .

(٨) بيضاء : فى الديوان : عذراء .

(٩) الخبر فى أخبار أبى نواس لأبى هفان : ٤٠ باختلاف يسير فى التعبير .

(١٠) نوبخت : فى ت : بوارب، وهو تحريف .

قد انتكستَ . فقال لى : بل هو ما قلت لك . فقلت : سمِّها لى وعرِّفنى خبرَها لأعاوِنَك عليها وأعمل لك فى أمرها . فاستَحْيَا منِّى وطوَى عنِّى شأنهَا وجعل يقول: لستَ تعرفها ، ولا أعرف أنا اسمها من غير أن تقدر عليها، فقلت له: صف لى خَلْقها فعلِّى أقع عليها. فأنشأ يقول[1] :

كَفاكَ ما مَرَّ عـلى رَاسِى ... من شَادِنٍ قَطَّع[2] أنفاسى

أكْثر ما أبْلُغُ من وَصْفِـه ... تَحَدُّثِى عن قَلْبِـه القاسِى

أغـارُ أن أنْعتَ منـه الّذى ... يَنْعَتُه الناسُ من النَّاسِ

ولَمْ أرَ العشَّـاقَ قَبْلِى رَأَوا ... بوَصْف مَنْ يَهْوون مِنْ بَاسِ

كُلّ أحادِيثِى سِوَى نَعْتِها ... منـكشِفٌ مِنِّى لجُلَّاسِـى

لا حبَّذَا الشِّرْكَة فى حُبِّهـا ... وحَبَّذا الشِّرْكَةُ فى الـكَاسِ

فلما رأيت أنه لا يحب أن يُعلِمنى سكتُّ عنه . فلما كان فى الليل سَكِرَ ونام ونامَ كُلٌّ من عندنا ، فغفوت غفوة ثم انتبهت فإذا هو قاعد وَحْدَه، فقلت : أباعَلِىّ مالى أَراكَ ساهِراً ؟ لعلَّه فكرة فى ذلك الرجل . قال : إى والله، ثم قال لى : اسمع ، قلت : هات ، فأنشدنى[3] :

رَسْمُ الـكَرَى بين الجُفُون مَحِيلُ ... عَفَّى عليه بُـكاً عليك طَوِيل[4]

يا ناظِراً مـا أقلعتْ لحظاتُه ... حتى تَشَحَّط بينهنَّ قَتِيـلُ

أحْللْتَ مِنْ قلبِى هَواكَ مَحلّةً ... ما حَلَّها المشرُوبُ والمأْكُولُ

---

(١) الديوان : ٢٨٤ عدا البيت الرابع .

(٢) قطع انفاسى : فى الديوان : هيج وسواسى ــ الشادن : ولد الظبية إذا قوى . ويراد به هنا الفتاة الناعمة الغريرة .

(٣) الديوان : ٢٥٥ .

(٤) الرسم : ما بقى من آثار الدار بعد أن خلت ــ محيل : مجدب ــ عفى عليه : محاه .

بكَمال صورتك التي في مِثلِهـا يتحيّرُ(١) التشبيه والتّمثيلُ
فوق القَصِيرة والطّويلةُ فوقَهـا دُون السَّمين ودُونَهـا المَهْزُولُ

فقلتُ له: ذكَرتَ قدَّها وأحسَبُني وَقَفْتُ عليها . فقال : هيهات . يُؤْيِسُني بذلك أن أعرفها . وقد كنتُ أراه يُحِدُّ النظر إلى جارية لبعض أهلنا يقال لها نَرجس تجيئنا بالطُّرفة بعد الطُّرْفَة من عند مولاتها مرارا . فقلت: ما عَنَى غيرَها. ثم أمسكت . فلما كان بالغد قلت للساقي : حِفْ عليه في السَّقي . فخاف عليه فسكر سُكْراً ما رأيته قط سَكِرَ مثلَه . فبينا هو في سُكْرِه إذ قال :

أحرف أربعٌ سبَيْنَ فُؤادِي لم أَذُقْ بعدَهُنَّ طَعْم الرُّقادِ(٢)
غير أنّى أحتال فيهن مَعْنًى وأُعادِى به جميعَ العِبادِ

فاستيقنت أن نَرجس صاحبته . فوجّهت إلى مولاتها أن تبيعنيها فوجّهت إليّ : قد وهبتُها لك . فلمّا أفاق أبو نواس اصطبحنا فقلت له بعد أن شربنا أرطالا : أتحبُّ أن تشرب اليوم مع حبيبتك؟ قال : خذ فيما يكون. قلت: ياغلام أَحْضِرْ ذلك الرجل . فدخلت نَرجس فلما رآها بُهِت ناظرا إليها . فقلت : لا تطوّل ، هي لك . فضحك ثم قال : وتَمْلِكُها حتى تَهَبَهَا لى ؟ قلت : نعم ، البارحة وأنت سكران قلت كذا وكذا وتيقّنت أنها(٣)[طَلِبَتك، فأردت شراءها لك، فوهبَتْها لى مولاتُها، وهي لك .

---

(١) يتحير : في الديوان : يتخير بالخاء المعجمة .

(٢) في أبي هفان بعد هذا البيت .

خفت إظهارهن خشية واش واتقـاء العـدو والحسـاد
أشتهي النون من (نوار) وأهوى ثانيـا من حروف إسم مـراد
و(جنان) قـد شفني مبتداهـا و(سعـاد) فديت مبـدا سعـاد
لا تراني أحب خلقـا سواهـا أبـدا مـا بقيت حتى التنـادي

(٣) ما بين القوسين تـكملة من أخبار أبي نواس لأبي هفان . ومكان هـذه الزيادة بياض بالأصل .

فوالله لقد رأيت وجهه أشرق وأنار وقام فقبّل رأسى. ثم أقعدها إلى جانبه وجعل كلما شرب كأسا قبّلها ثم أنشأ يقول[١] :

مَا لِيَ فى النـاس كُلهم مَثَلُ ... مائِيَ خَمْرٌ[٢] ونَقْلِيَ القُبَلُ

قومى[٣] حتى إذا العيون هَدَتْ[٤] ... وحَانَ نَوْمِى فعرسى[٥] ثَمَلُ

يأيها الناس فاسمَعُوا عِظَتِى[٦] ... فكُلُّ نَفْسٍ وراءها أجَــلُ

ليَحْمَدِ الله مِنْكُمو رَجُــلٌ ... ساعَدَه فى حَبيبه الأَمَــلُ

فلمـا أمسى قال : قد جُدْتَ بالمُنَى ، والتمام الإذنُ فى الانصراف . قلت : معافًى مصحوبا مَكْلُوءا] .

لمَّا وصلت الخلافة إلى محمد الأمين وولَّى الفضلَ ، وتفرَّغ محمد لِلَهْوِ الصَّيْدِ والنُّزهة ، فكان لا يخرج إلا لصيد أو لنزهة ، فخرج ذات يوم وقد أمر الجند والقوّاد فركبوا ، ولبس ثيابه وتقلَّد سيفه وأُعِدَّت الحرّاقات[٧] والزلالات فى دِجْلة فقال له إسماعيل بن صبيح وكان كاتب سره : يا أمير المؤمنين إن قوادك وجندك وعامة رعيتك قد خَبُثَتْ[٨] نفوسهم وساءت ظنونهم ، وكَبُرَ عندهم ما يَرَوْن من احتجابك عنهم ، فلو جلست لهم ساعة من نهار ، فدخلوا عليك فإن فى ذلك تسكيناً لهم

(١) الديوان : ٣٧١
(٢) خمر : فى الديوان : عقار .
(٣) قومى : فى الديوان: كذاك.
(٤) هدت : فى الديوان : غفت .
(٥) فعرسى ثمل : فى الشعر والشعراء ٧٧٧ والديوان: ففرشى كفل.
(٦) فاسمعوا عظتى : فى الديوان : بادروا أملا .
(٧) الحراقات والزلالات : نوع من السفن .
وفى الطبرى : ٩٥١/٣ (سيرة محمد بن هارون) رواية عن حميد بن سعيد: وأمر بعمل خمس حراقات فى دجلة على خلقة الأسد والفيل والعقاب والحية والفرس ، وأنفق فى عملها مالا عظيما .
(٨) خبثت نفوسهم : تغيرت وفسد ولاؤها وكرهوا ما هم فيه من حال .

ومراجعةً لآمالهم. فجلس فى مجلسه ، وأذِنَ للناس عامة ، فدخلوا على مراتبهم ومنازلهم ، وقام الخطباء فخطبوا والشعراء فأنشدوا ، فلم يكن أحد منهم يتعدّى إلى الإطناب والتطويل إلا أمر بالسكوت ومنع من القول . وقام فيمن قام أبو نواس فقال : يا أمير المؤمنين هؤلاء الشعراء أهل حَجَر ومَدَر وإبل ووصف البعر ، وبيوت الشَّعَر قد جَفَتْ ألفاظهم وغَلُظت معانيهم ، ليس لهم بَصَرٌ بمدح الخلفاء ونشر مكارمهم ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فى إنشاده فليفعل. فأذن له فأنشده[1] :

ألا دارها[2] بالماء حتى تُلينَها	فلن تُكرم الصَّهباء حتى تهينَها
أُغالى بها حتى إذا ما ملكتُها	أَهَنْتُ لإكرام الخليلِ مَصونَها
وصفراء قبل المَزْج بيضاء بعدَه	كأنَّ شُعاع الشمس يلقاك دُونَها
ترى العينَ تستعفيك من لمعانها	وتَحْسِرُ[3] حتى ما تُقِلُّ[4] جُفونَها
تَرُوغُ بنفس المرء عمّا يسوءه	وتَجْدِلُه ألّا يَزال قرينَها
كأنّ يواقيتاً رواكدَ[5] حولَها	وزُرْقَ سنانيرٍ[6] تُديرِ عيونَها
وشَمْطاء[7] حَلَّ الدهرُ منها بنَجْوَةٍ	دَلفتُ إليها فاستَلَلْتُ جَنينَها
كأنّا حُلولٌ بين أكناف رَوْضَةٍ[8]	إذا ما سلَبْناها مع اللّيلِ طينَها

إلى أن أكمل القصيدة . فقال له محمد : ألم أنهك عن شُرْب الخمر ؟ ! قال : بلى

(١) الديوان : ٢٠ .

(٢) دارها: خاتلها بالماء لأنها بدونه شموس صعبة المذاق .

(٣) تحسر : تكل .

(٤) تقل : تحمل .

(٥) رواكد : فى الديوان : عواكف .

(٦) سنانير : جمع سنور وهو الهر (يصف الحبب) .

(٧) شمطاء : عجوز ، ويريد بها خابية الخمر .

(٨) يريد ما يفوح من طيبها بعد فض ختام دنانها .

يا أمير المؤمنين ، والله ما شربتها منذ نهيتنى عنها ومنعتنى من شربها ، وأنا الذى أقول[1] :

أيها الرائحان باللـــوم لُومَا لا أذوقُ المُدامَ إلّا شَمِيمَا
نَالَنى بالمَلام فيهـــا إمامٌ لا أرى لى خِــلافَهُ[2] مستقيمَا
فاصْرِفاها[3] إلى سِـــواى فإنّى لستُ إلّا على الحـــديث نَدِيمَا
كُبْرُ[4] حَظّىَ منها إذا هِىَ دارَتْ أنْ أراهـا وأنْ أشمَّ النَّسيمَا
فـكأنّى وما أُزَيِّنُ[5] منهـا قَعَدِىٌّ[6] يُزَيِّنُ التحكيما
كَلَّ عن حَمْلِه السلاح إلى الحرْ ب فأَوْصَى المُطِيقَ ألّا يُقِيمَا

فتبسّم محمد . وقام بعض الشعراء فأنشد[7] :

تَرَقَّى فى فضائـلِهِ الأمينُ وزايَلَه المُشاكِلُ والقَرِينُ
وأوْرَقَ زهرُهُ التَقْوَى وعزَّت خـلافَتُهُ وصُدِّقت الظُّنُونُ
تَمَسُّ منابِرَ الخلفاء منــــه يَـدٌ بخلاف طاعَتِها المَنُونُ
يخافُ الخوفُ صولَتَه ويَرْجُو نَـداه الجـود فَهْوَ له خَدِينُ

فقال عدّة ممّن حضر : قد أوجز وأجاد ، أكرم الله أمير المؤمنين .

---

(١) الديوان : ٢٩ ــ الطبرى : ٣/٩٦٣ ــ أخبار أبى نواس لأبى هفان : ٨٨ ــ الكامل : ٥١٣

(٢) خلافه : مخالفته .

(٣) اصرفاها : رداها .

(٤) كبر : معظم وغاية ــ وفى رواية الطبرى : إن حظى .

(٥) أزين : أحسن .

(٦) القعد : فرقة من الخوارج يرون الخروج على السلطان ويحرضون أصحابهم على ذلك ولا يخرجون .

(٧) مقدمة الديوان لحمزة الأصبهانى (الباب الأول) (طبع آصاف : ٣٦) بدون عزو .

فقال أبو نواس : أَشْعَرُ منه يا أمير المؤمنين الذى يقول[١] :

أَلا يا خَيْرَ من رأتِ العيونُ ... نظيرُك لا يُحَسُّ ولا يكونُ

وفضلُك لا يُحَدُّ ولا يُجارَى[٢] ... ولا تَحْوِى حيازَتَه الظنونُ

فأنت نسيجُ وَحْدِك لا شَبِيه ... نُحاشِيه[٣] عليك ولا خَدِينُ

خُلقتَ بلا مُشاكَلَةٍ لشىءٍ ... فأنت الفوْقُ والثقَلان دُونُ

كأَنَّ المُلْكَ لم يَكُ كان شَيْئاً ... إلَى أن قام بالمُلْكِ الأَمينُ

قال: ففضَّله محمد وأحسن جائزته . ويقال : إنه قالها بديها .

ثم نهض محمد من مجلسه ذلك فركب الحرّاقة إلى الشمَّاسيَّة[٤] واصطفّت له الخيل والرجال على شاطئ دِجْلة وحُملت معه المطابخ والخزائن ، وكان ركوبه حرَّاقةً على مثال الأسد ، فما رأى الناس مَنْظَراً كان أَبْهَى ولا سَيْداً كان أحسنَ من ذلك المنظر والسيِّد .

وركب أبو نواس معه يومئذ وهو ينادمُه فقال[٥] :

سَخَّرَ الله للأمين مطايَا ... لم تُسَخَّرْ لصاحب[٦] المِحْرابِ

فإذا ما ركابه سار بَحْراً[٧] ... سار فى الماء راكِباً لَيْثَ غابِ

أَسَداً باسطاً ذراعيه يعدو ... أَهْرَتَ[٨] الشِّدق كالِحَ الأَنْيابِ

---

(١) الديوان : ٤١٩ . وفى طبقات ابن المعتز ٢٧٢ (ترجمة النظام) نسبت الأبيات إلى النظام.

(٢) لا يحد ولا يجارى : فى ك وت : لايحق ولا يجرى، والتصويب من الديوان .

(٣) نحاشيه : نستثنيه .

(٤) الشماسية : محلة كانت مجاورة لدار الروم التى فى أعلى مدينة بغداد ، منسوبة إلى بعض شماسى النصارى .

(٥) الأبيات فى الديوان : ٤١٤ ــ الطبرى ٣/٩٥٢ .

(٦) صاحب المحراب : يريد سليمان بن داود .

(٧) بحرا : فى الديوان : برا .

(٨) أهرت الشدق : واسعه .

لا يُمانِيه[1] باللِّجام ولا السَّوْ طِ ولا غَمْزِ رِجْلِه فى الرِّكابِ
عَجِبَ الناس إذ رأوكَ على صُو رَةِ لَيْثٍ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ
سَبَّحوا إذْ رأوكَ سِرْتَ عليهِ كيف لو أَبْصَرُوكَ فوقَ العُقابِ
ذاتَ زَوْرٍ ومِنْسرٍ وجَناحَيْـ ـنِ تشقّ العُبابَ بعد العُبابِ[2]
تسبق الطير فى السماء إذا ما اسـ تعجلوها بجيئةٍ وذَهابِ
باركَ اللهُ للأمينِ وأَبْقَا هُ وأَبْقَى لـه رِداءَ الشَّبابِ
مَلِكٌ تقصُر المدائحُ عنه هاشِمِىٌّ مُوفَّقٌ للصوابِ

ويقال إن هذا الشعر قاله أبو نواس فى محمد وقد ركب حَرَّاقته الدُّلفين[3] فقال له شيخ إلى جانبه: اتَّقِ الله يا هذا . فقال له أبو نواس : يا شيخ إن الله لم يسخِّر لصاحب المحراب الدُّلفين وقد سخَّر له ما هو خير من الدُّلفين ، فأىّ شىء تُنْكر من هذا ؟!

قال الحسن بن علىّ الرياحى: قال لى الرِياشىّ ذات يوم وقد خلا مجلسه: أنشدنى:

* أَلَا دارِها بالماء حتى تُلِينَها *

فقلت له : ما أحفظها . فقال : ويحك بَصْرِىٌّ شابٌّ متأدِّب متغزِّل يُسأل عن شعر شاعر مصرِه ورئيس عصره فيذهب عنه . والله إنى لفى سِنِّ جدِّك وإنى لأفكّه نفسى فى اليوم مرَّات بها وبأشباهها من شعره ! ! فقلت : تقصير وقع ، وشُغل شَغَل ، وإغفال للفائدة فى ذلك ، ولكن تفضّل علىَّ بإملائها . فأملاها علىّ وكتبتها . ثم قلت له : ما معنى :

* فلن تُكْرِمَ الصهباءَ حتى تُهِينَها *

---

(١) لا يمانيه : لا يسوسه ولا يدبر أمره .

(٢) يصف الحراقة التى على صورة العقاب .

(٣) فى الطبرى : ٣/٩٥١ (سيرة محمد بن هارون الرشيد): «ابتنى الأمير سفينة عظيمة أنفق عليها ثلاثة آلاف ألف درهم، واتخذ أخرى على خلقة شىء يكون فى البحر يقال له الدلفين .

فقال : حتى تبذلها لإخوانك وتبتذلها بالشرب للناس فيمدحونها، لأنها مادامت في دَنِّها فهي غير معلوم فضلُها ، فإذا أهنتها وبذلتها لهم فشربوها عرفوا فضلها فمدحوها . ولا إكرام أكرم من المدح ، فإهانتها بذلها لشاربيها؛ أو تهينها بالمزج أى حتى تلين شدتها بالماء فتزول سطوتها التى تمنع من شربها وتطيب ، ويمكنك شربها فتشربها طيبة ليّنة فتعرف كرامتها .

وهذا نحو ما قال الأخطل[1] :

فقلت: اقتلُوهاعنكُمُ بمزاجِها　　فأَطْيِبْ بها مَقْتُولَةً حِينَ تُقْتَلُ

وقول الأخطل من قول حسّان بن ثابت[2] :

إنّ التى ناولتَنِى فرَدَدْتُهـا　　قُتِلَتْ قُتِلْتَ فهاتِهـا لم تُقْتَل

والشمطاء[3] : الخابِيَة . وبنَجْوَةٍ أى بناحية . وتَرُوغُ النَّفس رُوى فيه تَرِيع أى ترجع .

قال الحسن بن أبى المنذر لمّا قال أبو نواس[4] :

دِيارُ نَوارٍ ما دِيارُ نَوارِ　　كَسَوْنك شَجْواً هُنَّ مِنْهُ عَوَارِى

يمدح بها العبّاس بن عبد الله بن جعفر ، أُنْشِدت الرشيد إلى أن سَمع قولَه :

يقولُون فى الشَّيْبِ الوَقارُ لأهـلِه　　وشَيْبِى بحَمْدِ اللهِ غَيْرُ وَقارِ

فأمر الرشيد بإحضاره وقال له : ويلك أتخالف الإسلام فى كل شيء من أمرك ؟ ! قال : وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لايَشِيبُ الرجل المُؤمن شَيْبَةً فى الإسلام إلا كانت له حِجاباً من النار) وتقول أنت كذا وكذا؛

---

(١) ديوان الأخطل (بيروت) : ٤١ .

(٢) ديوان حسان (طبع البرقوقى) : ٣١١ .

(٣) هذا شرح لألفاظ مرت فى قصيدة : ألا دارها بالماء حتى تلينها، صفحة ٧٦ .

(٤) الديوان : ٤٣٥ «فى ثمانية وعشرين بيتا» .

وما أظنُّك إلا على غير دين الإسلام ، فمن أين زَعَمْت أنه غَيْرُ وقار ؟ فقال : يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك ، انظر إلى البيت الذى بعده . فقال : وما هو ؟ قال :

إذا كنتُ لا أنفَكُّ عن أَرْيَحِيَّـــةٍ   إلى رشَـأٍ يَسْـعَى بكأسِ عُقَــارِ[1]

إنما قلت وشيبى غـيرُ وقارٍ إذا كنتُ على هـذه الحالة وأشباهها ، لما أجاوزه من تعجيل الذنوب وتأخير التوبة . فأقررتُ بالذنب ولم أَجْحَد أن يكون هو وَقارا . قال : أنت أعلم بخُبْثِ سريرتك ، وقبح عملك ، فمن ثَمَّ شَهِدْت بما شهدت به على نفسك .

شَرِب أبو نواس الخمر فانتهى ذلك إلى محمد بن زُبَيْدة فأمر به فحُبِس ثلاثة أشهر ، ثم دعا به وحوله بَنُو هاشم وغيرُهم ، ودعا بالنِّطع والسيف وأراد قتله ، فأنشأ يقول[2] :

تَذَكَّرْ أمينَ اللهِ والعَهْدُ يُذْكَر   مقامى وإنشاديك والنَّاسُ حُضَّرُ

ونَـثْرِى عليك الدُّرَّ يا دُرَّ هاشمٍ   فيا من رأى دُرًّا على الدُّرِّ يُنْثَرُ

أبوكَ الَّذى لم يَمْلِكِ الأرضَ مِثلُه   وعَمُّك موسَى[3] صِنْوُهُ المتخَيَّرُ

وجدُّكَ مَهْـــدِىُّ الورَى وشقيقُه   أبو أُمِّك الأدْنَى أبو الفَضْلِ جَعْفَرُ[4]

ومَنْ مِثْلُ مَنْصُورَيْكَ مَنْصورِ هاشمٍ   ومَنْصُورِ قَحْطانٍ إذا عُدَّ مَفْخَرُ

فمن ذا الَّذِى يرمى بسَهْمَيْكَ فى العُلا[5]   وعَبْدُ مناف والِدَاكَ وحِمْــيَرُ

---

(١) البيت هنا مركب من بيتين فى الديوان :

إذا كنت لا أنفك عن طاعة الهوى   فـإن الهـوى يرى الفتى ببـوار

فهـا إن قلـبى لا عـالـة مـائل   إلى رشأ يسعى بكأس عقار

(٢) الديوان : ٤٢٦ — الشعر والشعراء : ٧٧٩ .

(٣) موسى الهادى ، أخو الرشيد .

(٤) جعفر : هو ابن أبى جعفر المنصور وهو والد زبيدة أم الأمين .

(٥) العلا : فى الديوان : الورى .

تحسّنت الدُّنيا بحُسْن خَليفَةٍ ... هو البَدْرُ إلَّا أنَّه الدَّهْرَ مُقْمِرُ[١]

أيا خَيْرَ مأمولٍ يُرَجَّى أنا امْرُؤٌ ... أَسيرٌ رهينٌ فى سُجونك مُقْبَرُ

مضتْ لى شهورٌ مذ حُبِسْتُ ثلاثةٌ ... كأنّى قد أذنبْتُ ما ليس يُغفَرُ

فإن كنتُ لم أُذْنِب ففيم حَبَسْتَنِى ؟ ... وإنْ كنتُ ذا ذَنْبٍ فعَفْوُك أكْبَرُ

قال : فإن شربتها ؟ قال : دمى لك يا أمير المؤمنين . فخلَّى سبيله .

دخل أبو نواس على محمد الأمين فأنشده[٢] من أبيات :

قد يَنْقُصُ القَمَرُ المنيرُ إذا استوَى ... وبهاءُ نورِ[٣] محمَّدٍ لا يَنْقُصُ

وإذا بنو المنصور[٤] عُدَّ حَصامُهُمْ ... فمحمَّدٌ ياقوتُها المتخَلَّصُ[٥]

صَدَقَ الثناء على الأمينِ محمَّدٍ ... ومن الثناء تكذُّبٌ وتخرُّص[٦]

فأراد إعناته فقال: وهل تركتَ لى شيئا من ثنائك بعد قولك فى الفضل[٧] :

أوْحَدَهُ[٨] الله فما مِثْلُه ... لطالبٍ ذاك ولا واجِدِ[٩]

وليس لِلّهِ بمستَنْكَرٍ ... أنْ يَجْمَع العالَمَ فى واحِدِ

فجعلته واحد الناس ، وجعلت العالم كلهم فيه ؟ ثم تقول فى آل الربيع[١٠] :

---

(١) مقمر : مسفر .

(٢) الديوان : ٤٢٣ باختلاف فى الترتيب .

(٣) نور : فى الديوان : وجه .

(٤) المنصور : فى الديوان : العباس .

(٥) المتخلص: فىالديوان : المستخلص.

(٦) تخرص : افتراء .

(٧) الديوان : ٤٥٤ .

(٨) أوحده : فىالديوان: أوجده .

(٩) واجد : فى الديوان : ناشد .

(١٠) الديوان : ٤٦٧ .

آلَ الربيـــع فَضَلْتُمْ فَضْلَ الخميس[١] على العَشِيرِ[٢]
من قاس غَـيْرَكُم بِـكُم قاس الثِّمادَ[٣] إلى البُحورِ

فقال : يا سيّدى قد سبق من قولى فى أمير المؤمنين أكرمه الله ما لو استحضرتُه الآن لاكتفيتُ به من عُذرى. قال : وأى شىء قلتَ حتى أستحضره ؟ قال : قولى[٤] :

إذا نحن أثنينا عليك بصالِـــحٍ فأنتَ كما نُثْـنِى وفوق الذى نُثْـنِى
وإنْ جرَت الألفاظُ يوماً بمِدْحَـــةٍ لِغَـيْرِكَ إنساناً فأنتَ الَّذى نَعْنِى

وإنما هو شىء صدر فى وقت . فاستحسن الأمينُ ذلك منه وقدَّمه وكان ذلك سبب وصلته به .

كان أبو نواس[٥] قد هجا سليمانَ بن أبى جعفر وأجنف عليه ، وكان إذا هجا رجلا لم يكد يَمدَحه ولا يرجع عن مكروهه . فشكاه سليمان إلى محمد بعد خلافته فقال : يا أمير المؤمنين حسن بن هانئ هجانى ، ومن هجانى فغير مادح لك. قال : فما يرضيك؟ قال : حبسه فى المُطبِق . فقال : يا عم أحبسه بعد قوله :

قد أصبَـح المُلْكُ بالمـنَى ظَفِرَا كأنّما كان عاشقـــاً قَدَرَا
قِيـدَ[٦] بأَشْطانِهِ إلى مَلِكٍ لم يعشَـقِ المُلْكُ قبلَـه بَشَرَا

---

(١) الخميس : الخمس .
(٢) العشير : العشر ، والخمس أكبر من العشر فى الكور . ويمكن أن يراد الخميس : الجيش . والعشير : المرافق .
(٣) الثماد : الماء القليل .
(٤) مسالك الأبصار : ٩/٢٢٦ (مخطوط) — مقدمة الديوان (طبع آصاف) .
(٥) الخبر والأبيات : فى تاريخ الطبرى (ترجمة محمد الأمين) ٣/٣٣٩—٣٤١ والديوان: ٤٢٤.
(٦) قيد : سيق — الأشطان : الحبال .

خليفــةٌ يعتَـنِي بأمَّتــه ... وإن أتَته ذنوبُهــا غَفَرَا
حتَّى لو اسْطاعَ من تَحَنُّنِه[1] ... دافعَ عنهــا القضــاءَ والقَدَرا

وبعد قوله يا عم[2] :

تضحكُ الدُّنيا إلى مَلِكٍ ... قام بالإسلام[3] والسُّنَنِ
يا أَمينَ اللهِ عِشْ أَبَدًا ... عِشْ على الأيَّامِ والزَّمَنِ
أنتَ تَبْـقَى والفَناء لنـا ... فإذا أفنيْتَنا فـكُنِ
كيف تسخو النَّفْسُ عنك وقدْ ... قُمْتَ بالغـالِي من الثَّمَنِ
سَنَّ للناسِ النَّدَى فندَوا ... فـكأنَّ البُخْلَ لم يـكُنِ

ولـكن يا عمّ نجىء به صاغــرا فيعتذر سامعا مطيعا ، وترضى يا عمّ إن شاء الله تعالى . ثم دعا به فأُحْضِر . فقال له الأمين : ويلك تهجو عمِّى وشَيْخى ؟ ! فقال : يا أمير المؤمنين وإمام المسلمين ، إن أبا أيوب متحامِلٌ على عَبْدِك . فتكلّم سليمان وقال : وما أنت وهجاؤك ، وما قلت إلّا ما يُشبِه قَدْرَك ، وما قدرت على أكثر من قولك فى كَلْبٍ مثلك ، يعنى إسماعيل بن أبى سهل[4] :

خُبْزُ إسماعيــلَ كالوَشْـ ... ـىِ إذا ما شُقَّ[5] يُرْفَا

فَحمِى أبو نواس عند ذلك وقال : يا أمير المؤمنــين إن كنت قلت هذا فأنا الذى أقــول :

يلاحِظُهم وهُمُ يأكلُو ... نَ طَوْراً فُرادَى وطَوْراً مَعَا
فيَمْنَعُهم ذاكَ أنْ يَشْبَعُوا ... ويَمْنَعُـه الغَيْظُ أن يَشْبَعَا

---

(١) تحنته : حنانه .

(٢) الديوان : ٤١٣ .

(٣) بالإسلام : فى الديوان : بالأحكام

(٤) الديوان : ٥١٥ .

(٥) شق : فى الديوان : انشق ، وكذلك سيرد فيما بعد .

فقال سليمان : يا أمير المؤمنين أيقال فى شيخك مثل هذا وتُمْسِك ؛ فأمر بحبسه فبقى فى الحبس دهرا. وكتب منه إلى الفضل بن الربيع أبياته التى يقول فيها[١] :

أنتَ يا ابنَ الرَّبيع علَّمتنى[٢] الخيْـ ـرَ وعوَّدْتنيه والخـيْرُ عادَهْ

فعرَض الأبيات على محمد ، وقال : يا أمير المؤمنين لقد انقطعت المادَّة من هـذه الآداب بحبس هذا الشَّاعِر. فلم يَسْمَع منه ولم يُطْلِقه .

فـكتب إلى الأمين من المُطْبِـق :

تَذَكَّرْ أمينَ اللهِ والعهْدُ يُذْكَرُ مقامى وإنشادِيكَ والنَّاسُ حُضَّرُ[٣]

فأطلقه وتقدم إليه ألَّا يَهْجُوَ أحداً من الناس .

قال الحسن بن محمد[٤] : ضُرِبت لإسماعيل بن أبى سهل بن نوبَخْت طارِمَة[٥] فى صَحْنِ داره ، فاصطبحنا أربعين يوما ومعنا أبو نواس، فأنفق إسماعيل أربعين ألف درهم ، فقال أبو نواس بعد ذلك فيه[٦] :

خُبْزُ إسماعيلَ كالوَشْـ ـى إذا ما انشقَّ يُرْفَا
عَجَباً من أثَرِ الصَّنْـ ـعَة فيـه كيـف يَخْفَى
إنَّ رَفَّاءك هَـــذا أَلْطَفُ[٧] الأُمَّـةِ كَفَّا

---

(١) الديوان : ٤٥٩ .

(٢) علمتنى الخير : فى الديوان : ألزمتنى النسك .

(٣) الديوان : ٤٢٦ .

(٤) الخبر والأبيات فى ديوان المعانى : ٢/٢٠٣ ـ نهاية الأرب : ٣/٣٢١ .

(٥) الطارمة : بيت من خشب ونحوه كالقبة. قال الجاحظ فى البخلاء : ٦٣ : وكان أبو نواس يرتعى على خوان إسماعيل بن نيبخت كما ترتعى الإبل فى الحمض بعد طول الخلة ، ثم كان جزاؤه منه أن قال : خبز إسماعيل كالوشى : البيت .

(٦) الديوان : ٥١٥ .

(٧) ألطف : فى الديوان : أحذق .

فإذا قابل النصـ ـف من الْخُبْزَة[1] نِصْفاً
ألطفَ الصَّنْعةَ حتَّى لا ترَى مَطْعَنَ[2] إشْفَى
مِثْل ما جاء من التَّنُّو رِ ما غادرَ حرْفاً
وله فى الماء أيضاً عَمَلٌ أبدَعُ ظَرْفاً
مَزْجه العذبَ بماء الـ ـبير حتى عاد[3] ضِعْفاً
فهو لا يَشْرَب مِنْهُ مثل ما يَسْقِيكَ صِرْفاً[4]

ولأبى نواس وربّما نسبت إلى غيره[5] :

فأوّل شُرْبك طَرْحُ الرداء وآخِر شُرْبك حَلُّ الإزارِ
وما هَنأَتْك المَلاهِى بمثْـ ـلِ إماتَةِ مَجْدٍ وإحياءِ عارِ
ولا جادَ دَهرٌ بلذَّاتِه على مَنْ يَضِنُّ بخَلْع العِذارِ

اجتمع أبو نواس[6] وعلى بن الخليل مولى يزيد بن مزيد الشيبانى وإسماعيل القراطيسى، وزُرْزُر[7] الكاتب، ومضوا إلى سوق الكَرْخ فتذاكروا ضروب الأدب وتفنَّنوا فى أفانين العلم ، فلما اشتد الحرُّ قالوا : فأين نحن يومنا هذا ؟ فكلٌّ قال أنتم عندى . فقالوا: ليقل كلّ واحد شعراً يصف ما هو فيه ، وما عِنْدَه يجتَمع عليه ، فمن أجاده صِرْنا إليه .

---

(١) الخبزة : فى الديوان : الجردق . والجردق : الرغيف .

(٢) مطعن : فى الديوان : مغرز ـ الإشفى : المثقب .

(٣) حتى عاد : فى الديوان : كى يزداد .

(٤) رواية الديوان : فهو لا يسقيك منه مثل ما يشرب صرفا

(٥) نهاية الأرب : ٤/١٢٠ .

(٦) الخبر وما ورد فيه من أبيات فى أخبار أبى نواس لأبى هفان : ٨٥-٨٧ باختلاف فى ترتيب القائلين وبعض العبارات .

(٧) زرزر : فى ت : زرزور . وفى أبى هفان : رزين .

فقال أبو نواس[١] :

أَلَا قوموا إلى الكرخ إلى مَنْزِل خَمَّارِ
إلى صَهْبَاءَ كالمِسْك لدى جُونة عَطَّارِ
وبستان له نَهْرٌ لَدَى نَخْلٍ وأَشْجارِ
فأطعمكُم بـه لَحْماً من الوَحْشِ وأَطْيارِ
وإن أَحْبَبْتمُ لَهْواً أتيناكُمْ بِزَمَّارِ
وإن أحبَبْتمُ نَيْكاً فنيكُوا ربَّةَ الدَّارِ

وقال علىّ بن الخليل[٢] :

ألا قُوموا جماعَتكُم أَخلّاىَ فحيُّونِي
إلى صهباءَ كالمِسْكِ وأَبكارٍ من العِينِ
وإن أَحْبَبْتمُ نَيْكا فها إستى فنيكُونِي
ألا سَخَّركم رَبِّى جميعا أن تُواتُونى

وقال إسماعيل القراطيسى[٣] :

ألا قُوموا جماعتكم إلى بيت القراطِيسِى
فقد هُيِّى لنا البيتُ بظَبْىٍ أمْردٍ طُوسِى[٤]
وقَيْنات من الحُورِ كأمثال الطَواوِيس

---

(١) الديوان: ٤١٠ ورواية البيت الثالث فيه:

وبستان به نخل له زهر وأشجار

(٢) على بن الخليل : شاعر كوفى، وهو مولى معن بن زائدة الشيبانى وكان يعاشر صالح بن عبد القدوس فاتهم بالزندقه، ثم أمنه الرشيد واختص به بعد ذلك (غ) .

(٣) إسماعيل القراطيسى : كوفى شاعر مليح الشعر، كان يصاحب أبا نواس وأبا العتاهية. والأبيات فى كتاب الورقة ١٠٠ ، ١٠١ ـ معاهد التنصيص : ٣٩/٤ ـ غ : ترجمة إسماعيل القراطيسى

(٤) الرواية فى الورقة والمعاهد :

فقد هيا لنا نزلا غلام فاره طوسى

وألوانٍ من الطَّـــيْرِ وألوان من العِيسِ
وقـــد هُيِّئ التي جاءَ بها من أَرْضِ بِلْقِيسِ
فنيـــكوهنَّ يا قـــوم على رغْمٍ من[1] ابليسِ

وقال زُرْزُر[2] :

ألا قُوموا جماعتـكم لعِنْدِي لا إلى غَـيْرِى
فعنـدى مجلسٌ حُـلْوٌ كثير الـوَرْد والَخِـيْرِ[3]
وعِنْـدى من إذا غَنَّى تَهِمُ الأرضُ بالسَّـيْرِ
نُخشُّـوا بعضـكم بعضاً فمـا فى ذاكَ من ضَيْرِ
وإن كنتم تُناكُونَ فهذا بينـكم أَيْرِى

قال: فضحكوا منه وقالوا: أنت أظرف القوم نجيئك ولا نحتاج إلى أيرك . واليوم يومك فقم بنا . فصاروا إليه جميعا .

كان حمدان بن زكريا مولعاً بهجاء أبى نواس ومعارضته فى البرز أى فى الطرد. وكان حمدان عالما بصفات الطير بزياً . فقيل لأبى نواس وقد مرَّ حمدانُ يوما: هذا حمدان ابن زكريا . فسلّم عليه وقال له : ويلك لِمَ تهجُونى ؟ قال : رأيتك كثيرا فى الناس فأحببت أن أضع منك لعلك تقلّ فأكثُر عليك . فقال أبو نواس : ما نلت من ذلك إلا الحظ الخسيس ، وأنشأ يقول[4]:

قولوا لحمـــدان وما شيمتى أن أُظهر الودَّ[5] له مُخْلصَا

---

(١) فى الأصول : أنف .

(٢) زرزر : فى ت : زرزور . وزرزر الرفاء يكنى أبا الخطاب، بغدادى شاعر مليح الشعر قليله (الورقة : ٣٧) .

(٣) الخير : ويقال: الخيرى بكسر الخاء وهو نوع من الزهر معروف بالمنثور الأصفر.

(٤) الديوان: ٥٦٠ ــ وفى معاهد التنصيص ٩١/١ برواية: قل لسليمان ، وأنها قيلت فى سليمان ابن سهل. (٥) الود : فى الديوان : النصح.

وما أنت بالحرّ فتُلْحَى[1] ولا   بالعبْد نستعتِبُه بالعصَا

فرحمة الله على آدم   رحمةَ من عَمَّ ومن خَصَّصا

لو كان يَدْرِي أنّه خارجٌ   مثلُك من جُرْدانِه[2] لاختَصَى

فقال له حمدان : والله لا أهجوك بعدها أبدا . فقال أبو نواس : ولا أنا إن لم تَعُدْ .

كان بالكوفة[3] فتى من أهلها يقال له جَمال من بنى دارم وقدم بغداد أيام هارون الرشيد، وكان جميلا حديث السنّ، وكان لا يشرب الخمر وله شطارة وجَلَد وقوة . وكان يَقرِض الشعر ، فوَصف من مُردان بغداد خمسين غلاما، وقرض فيهم خمسين قصيدةً يذكر هزله فيهم وجدّه فأجاد القول فيهم . وقرئ من شعره على أبى نواس شىء فسأل عنه ، فقالوا : لجمال الكوفى ، فاستظرفه واستحسن معانيه . وكان جمال صاحب جراحات وآفات ولم يستوف العشرين سنة ، فعَظُم فى عين أبى نواس وتمنّى أن يراه . وكان خبره فشا فى الكرخ وعَظُم ذِكره . فبينا أبو نواس فى أصحاب القراطيس، وكان له مجلس ببغداد فى الكرخ فى درب القراطيس ومجلس بعسكر المهدى فى الوراقين، إذ مر به غلام فى قدّ الفِتيان فاستحسن قدَّه ، واستحلَى وجهه وراعه منظَرُه ، ففطن له أصحاب القراطيس فأخذوا بطرف ردائه وقالوا : أتدرى مَنْ هذا ؟ قال : لا . قالوا : هذا جمال الكوفى . فقال: قاتله الله ! هو والله كما سُمِّىَ . قالوا : إن له بأسا وجلداو كرهنا أن يمالجك بالحديد فيأتى على نفسك . فقال : أما من رسول

(١) فتلحى : فتلام .

(٢) الجردان : الإحليل. وفى الديوان : أبنائه .

(٣) كان بالكوفة : الخبر فى أخبار أبى نواس لأبى هفان: ٣٢ باختلاف .

يبلِّغه شِعْرِي؟ فأتوه بغلام . وكتب معه رقعة فيها[1] :

يا واصفَ الحسينَ لو تَعْدِلُ ... لكانَ فيهم اسْمُك الأوَّلُ[2]

وصفت خمسين فيزْتهم ... وأنت أنتَ الظبيـة المُغْزِلُ[3]

جَمالُ دعهم عنك أو صِفهُم ... أنتُ وربِّي منهمُ أجْمَلُ

لن يبرح اللوطيّ ممَّا يرَى ... بحُسْنِ أردافِك أوْ يُنْزِلُ[4]

يا حُوتَةً تأكل حِيتانَهَا ... وقد تلاها اللَّحِمُ الأجْدَلُ[5]

رَكِبتَ والقصة لم تَنْقَضِي ... أرفُق حَبيبي أنت مُسْتَعْجِلُ .

فأتاه الغلام بالشعر ، فلما قرأه قال : قل له يا دعيّ يا شاربَ الخمر ، والله لأنتزِعَنَّ نفسَك يا ابن الزانية ! فرجع الغلام فأخبره بقوله .

فقال أبو نواس فى ذلك :

قد يَخْضَع الحرُّ للغلام فما ينـ ... قص ذاكَ الخضوعُ من شَرَفِهْ

فُسبَّ ما شئتَ سيِّدى أبداً ... هـذا خُضوعى له على سَرَفِهْ

ثم بعث بالبيتين . فقال للغلام : أترى خنجرى هذا ، وأخرجه من كُمِّه ، أبلغه عنى أنى والله قاتله به .

فقال أبو نواس[6] :

---

(١) الأبيات فى الديوان : ٧١٢ .

(٢) رواية البيت فى الديوان :

يا واصف الغلمان فى شعره ... أنت وربى منهم الأول

(٣) المغزل : الظبية لها ولد (غزال) .

(٤) فى الأخبار : لحسن ردف كالنقا ينزل ، وفى الديوان :

لا يبرح البطىء فى لذة ... من غنج ألحاظك أو ينزل

(٥) اللحم الأجدل : النسر .

(٦) الديوان : ٣٥٤ .

يامُوعِدى بالقتْل قد حالف اا | خنجر فى قتْلى كَفَّيكا[1]
ما خنجر يقتُلُنى سيِّدِى | أقتل من تَفْتيرِ عينيْكَا
يا من دعا قلبى إلى حبِّهِ | فقال : لبَّيكَ وسعدَيْكَا
أعِزْ ولا تَبْخل يا سيِّدى | سُوَيْعَةً ما بين فَخِذَيْكَا

وبعث بها إليه فازداد جمالٌ غيظا وغِلْظَةً ، وتوعَّده فما صنع شيئا . فلم يزل أبو نواس يُدارِيه وينادمه حتى لَطُفَ موقعه منه وآنس به . ودبّ إليه ليلة وقد سكر وقال[2] :

يَخْتال فى مشْيَتِــه | كالغُصْنِ فى قامَتِــه[3]
والوَرْد فى وَجْنَتِــه | والطِّيب فى عُكْنَتِه
والمِسْكُ فى نَكْهَتِه | والدُّرُّ فى لثغتـــه
والفَتْكُ من هِمَّتِه | والبأسُ فى قَبْضَتِــه
نازعتُــه مشمــولةً | كالبَرْقَ فى لَمْعَتِــه[4]
فقلتُ خُذْهاواسْقِنِى | والشأنُ فى غفلتـــه[5]
سَقْياً لها من دَعْوَةٍ | قادَت إلى نَيْكَتِــه

(١) الرواية فى الديوان :

أوعدتنى بالقتـــل من غير مـــا | جرم وقلبى رهن كفيــكا

وفى أخبار أبى نواس لأبى هفان :

يا من عـــدا بالقتل ظلما لقــد | حالفــت ذا الخنجر كفيــكا

(٢) الفكاهة : ٢٧ ـ ٢٨ .

(٣) قامته : فى الفكاهة : دقته .

(٤) لمعته : فى الفكاهة : خطفته .

(٥) غفلته : فى ك : فضلته .

كان بالكرخ غلام يقال له حَمْدان الرفاء، وكان جميلا حاذقاً بعمله، وله أب متديّن فكان يأتمى فى ابنه كلّ بلاء من الفسّاق . فجعله فى غرفة فوق دكانه ، فكان إذا صعد إلى غرفته شال السلّم ، وتركه يعمل وحده عمله ، فذُكر فى مجلسٍ قد حضره أبو نواس فحفظ صفة الدكان فقصد قَصْد الغلام وجعل يصرف الحيل فى أمره . فتهيّأ له أن أخذ خلعة من خِلَع محمد بن زُبَيْدة فيها مواضع أرفاء ، فحلَق شاربه، وشمّر ثيابه ، وأظهر سَمْتا ووقارا ، وقصد الشيخ وجلس إليه وحدّثه حتى أنس الشيخ به . ثم عرض عليه الحال وأظهر الخلعة . وقال : أنا رجل شاعر من أهل البصرة متصل بأمير المؤمنين ، وقد وقع فى هذه الخلعة مواضع حَرْق ، وقد احتجت إلى من يرفوها فدُلِلْتُ عليك . فأخذ الخلعة وقلّبها وصاح بابنه فأشرف عليه فقال : خذ هذه الخلعة فارفُ ما فيها وجوِّدها واترك ما فى يديك من العمل وعجِّلها . فأخذها الغلام وقعد أبو نواس. فلما أبطأ فى القعود قال أبو نواس للشيخ : أحتاج أن أصعد إلى هذا الفتى لأقفه على ما يَعمل . فأمره أن يصعد إليه ووثق به، فصعد إلى الغلام فآنسه وحدّثه ومازحه وأخذ يقبّله وينشده، وأراده فنانعه الغلام . فقال أبو نواس لأبيه: عرِّف هذا الفتى أعزّك الله ماجئناك له، وائْذَنْ له فى التعجيل بقضاء حاجتى . فقال : افعل يا بنى. فنال منه مراده ، وقال فيه :

وظَبْىٍ هَمَمْتُ بتَعليقه	وقد مَرَّ يَخطِرُ فى سُوقِهِ
نقىّ الأديمِ بَطارِيقُهُ	وصافى الحرائر فى زِيقِهِ
حَسَدْتُ الخيوطَ وقد بَلّها	بعذب المُباحة من رِيقِهِ
أعانَ القميصُ على نَيْكِهِ	ونِلْتُ مُناى بتَخْرِيقِهِ

دخل أبو نواس إلى ديوان الخراج فرأى غلاما من الكتّاب فى مجلس سلمة ابن نجاح فضرب به عينيه فجمّشه ، فإذا أمجن غلام وأظرفه ، فأخذ قلمه وكتب إليه: « تحبُّنى كما أحبك »؟ فكتب الغلام : لا. وفطن صاحب المجلس له فزاد الصبى فى كتابته:

إلهَ إلّا هو ، ثم قال للذى نظر إليهما : إنه قال لى : أرنى خطّك . فعجب أبو نواس من فطنته ، وقال :

ومُسْتَمِدٍّ من الدواة وما يشغَلُه القومُ بالذى فَاهُوا
يكتب لِى لا فإن هم فَطِنوا زاد عليها إلهَ إلّا هُو

قال سليمانُ بن أبى سهل بن نوبخت : بات عنـدى أبو نواس ليلة ، فلما كان فى السحر أيقظنى ثم قال اسمع[1] :

يا سليمان غَنِّنى ومن الرّاحِ فاسْقِنِى
فإذا دارت الزجا جةُ خذها وعاطِنِى
ما ترى الصبحَ قد بَدَا فى إزارٍ مُتَبَّنٍ[2]
اسْقِنِى الخمرَ جَهْرَةً وأَلِطْنِى وأَزْنِنِى

قال : فدعوت غلاما لى جميـل الصورة فقلت : شأنك به ، ودعوت جارية لى أحسن من الغلام فقلت : عليك بها . وأصبح فأراد أن ينصرف فقال لى : يا سليمان (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ)[3] قال : وكنت يومئذ من أحسن الناس وجها .

قال أبو هفان[4] : حدثنى عَمِّى[5] قال : كنت أمشى مع أبى نواس فى الميدان ببغداد إذ رأى غلاما حسنا فاستحسنه، ثم قال لى : أما ترى الجنة تزفّ فى الأرض! قد كدت والله أُفْرِغ أو أفرغت فى سراويلى . فقلت له : فهل قلت فى ذلك شيئا ؟ قال : نعم وأنشدنى :

---

(١) الأبيات فى الديوان : ٣٣ باختلاف فى الترتيب وزيادة .
(٢) متبن : مصنوع على هيئة التبان ، وهو سروال صغير يستر العورة المغلظة .
(٣) الآية : سورة الصافات : ١٠٧ .
(٤) الخبر والأبيات فى أخبار أبى نواس لأبى هفان : ١١٤ .
(٥) هو محمد بن حرب .

إنَّ لى أيراً خبيثا لستُ أَدرى ما عِقابُهْ
كُلَّما أبصرَ وَجْهاً حَسَناً سالَ لُعابُـهْ

كان لأبى نواس صديق من الكُتّاب يقال له أيوب بن محمد ، فتعشّق غلاما من الهاشميين فكان لا يقدر عليه ، فإذا تشوّق إليه خطّ اسمَه فى كفّه ودلك عليه ؛ فقال أبو نواس[1] :

رأيتُ المحبِّين الصحيح هواهُمُ إذا ذُكِرَ الشوقُ استراحُوا إلى البُكَا
ولكنَّ أيُّوباً إذا ما فؤادُه بذِكر الّذى لسنا نُسَمِّى تَحَرَّكا
دعا بدَوَاةٍ عنـد ذَاكَ مُلاقَةٍ فخَطَّ اسمَه فى كَفِّهِ ثم دَلَّكَا
فلو كان يرضَى العاشقون بمِثْل ما رَضِيتَ به ماحَنَّ صَبٌّ ولا اشْتَكَى

عاتبَ أبو العتاهية أبا نواس[2] وقال : قد بلغتَ من السنّ والعلم ما فى دونه يتّعظ اللّبيب ، وينزجر العاقل الأريب ، وأنت تجالس الفتيان وتلعب بالغلمان ، وتصبو صبوة الشبّان ! قال : فأطرق هنيهة ثم رفع رأسه إليه وقال :

أتَرانى يا عَتـاهِى تارِكاً تلك المَلاهِى
أتَرانى مُفسِداً بالنُّسْكِ عندالمُرْدِ[3] جاهِى

فقال له : اذهب ، لا تاب الله عليك .

ولأبى نواس فى غلام سامِرِىّ[4] :

ومن حَيْنِى بُلِيتُ بسامِرِىٍّ يكلِّمنى بِمَهْ وبلا مِساسِ[5]

(١) الأبيات فى الديوان : ٥٣٧ ــ مسالك الأبصار : ٩/٢٣٦ .
(٢) غ (بولاق) : ٣/١٧٧ ــ تهذيب ابن عساكر : ٤/٢٦٩ ــ تاريخ بغداد: ٧/٤٤٦ .
(٣) المرد : فى ابن عساكر : القوم ــ وفى تاريخ بغداد : بين الناس .
(٤) الديوان : ٧٠٦ باختلاف فى الترتيب .
(٥) الرواية فى الديوان :

بليت من الشقاء بسامرى يعاملنى الغداة بلا مساس

وآلَى[١] لا يكلِّمُنى ثلاثا   يردِّدُهنَّ إلّا وهْوَ ناسِى
فيا من يُبْلِغ النِّسيانَ عنِّى   يقول له فِداك أبُو نُواسِ
أَلِمَّ به فأَنْسِبْنيه علِّى   أنالُ وِصالَهُ عند التناسِى

أراد أبو نواس[٢] أن يكتب ورقة إلى [آل][٣] عبد الوهاب بن عبد الحميد الثقفى ، فحلق رأس غلامه وكتب إليهم فيه بحاجته ، وكتب : إذا قرأتم الكتاب فشقُّوا الرقعة . قال : فضحكوا وصفعوا غلامه وردُّوه بلا جلدة رأس ، فشتمهم فقالوا : ما ذنبنا مولاك أمرنا .

كان أبو نواس يتعشّق أحمد بن أبى صالح ، فكان يلازم دار علىّ بن معاذ لموضع أبى صالح . وأحمد بن أبى صالح هذا هو الذى يقول فيه أبو نواس :

يا أَحْمَد المُرْتَجَى فى كُلِّ نائبَةٍ   قُمْ سَيِّدِى نَعْصِ جَبَّارَ السَّماواتِ

وهذا البيت من قصيدة أولها[٤] :

ما أستزيد حبيبى فى مُوَاتاتى[٥]   وإنْ عَنُفْتُ عليه فى الشِّكاياتِ
هو المُواصِلُ لِى لكنْ يُنَغِّصُه[٦]   بطول فَتْرة ما بين الزِّياراتِ
قالوا: ظفرتَ بمن تَهْوَى، فقلتُ لهم: الآن أبرحُ[٧] ما كانت صَباباتِى
لا عُذرَ للصبِّ أنْ تهوَى جوارحُه   وقد تَطَعَّم فُوه بالمُواتاةِ
وداهِرِىّ سما فى فرع مكرُمَةٍ   من مَعْشَرٍ خُلقوا فى الجود غاياتِ

---

(١) آلى : أقسم .
(٢) الخبر فى ذيل زهر الآداب : ٢٠٢ .
(٣) زيادة يقتضيها السياق .
(٤) الديوان : ١٧٤ .
(٥) المواتاة : الإقبال على المرء .
(٦) ينغصه : فى الديوان : ينغصنى .
(٧) أبرح : فى الديوان : أكثر .

رَقَت كتابة نَعْلَيه ذُرَى شَرَفٍ من العُلَا فَعَلَا محض الضَّرِيباتِ[1]

ناديتُه بعد ما مال النُّجوم وقد صاح الدَّجاجُ بِبُشْرَى الصبح مَرَّاتِ

فقلتُ والليلُ يجلوه الصَّباح كما جَلَا التبَسُّم عن غُرٍّ الثنيَّات

يا أحمدَ المرتجَى فى كلِّ نائبةٍ قم سَيِّدى نَعْصِ جَبَّار السماواتِ

وها كَهَا قهوةً صفراء[2] صافيةً منسوبةً لقرى هِيتٍ[3] وعاناتِ[4]

صدمته[5] بحُمَيَّاها لأبسُطَه باللِّين طَوْرًا وبالتشديد تاراتِ

حتى تَغَنَّى وما تَمَّ الثَّلاثُ له حُلْوَ الشمائل محمودَ السجيّاتِ

«يا ليت حَظِّىَ من مالٍ ومن وَلَدٍ أنِّى أجالِسُ لُبْنَى بالعَشِيَّاتِ»

لمّا وقع الْخُلْف بين الأمين والمأمون[6] كان ذو الرياستين يخطب بمساوى الأمين، وقد أعدَّ رجلا يحفظ شعر أبى نواس فيقوم بين يديه فيقول : ومن جلسائه رجل ماجن كافر مستهتر ، متهكِّم يقول كذا وكذا وينشد :

* ألا فاسْقِنِى خَمْـراً وقُلْ لِى هىَ الخَمْر *

وينشد :

يا أحْمَد المرتَجَى فى كلِّ نائبةٍ قُمْ سيِّدى نعص جَبَّار السماوات[7]

---

(١) ليس فى الديوان .

(٢) صفراء : فى الديوان : صهباء .

(٣) هيت : واد بالعراق كثير الكروم .

(٤) عانات : بين الرقة وهيت من أعمال الجزيرة .

(٥) صدمته : فى الديوان : ألزه .

(٦) ذيل زهر الآداب : ١٣٦ . وروى هذا الخبر فى أخبار أبى نواس لأبى هفان برواية مخالفة، وأن الفضل هو الذى سعى به عند الرشيد . والذى فى الطبرى مختصر يوافق ما هنا : ٩٦٣/٣ .

(٧) الديوان : ١٧٤ .

وغير ذلك من قبائح شعره ومجونه . ويذكر أهل العراق فيقول : أهل فِسْقٍ وفُجور وخُمور وماخور ، ويلعنهم من يحضر المجلس من أهل خراسان . فكتب بذلك إلى محمد الأمين عيونُه ، فجزع له وأمر بقتل أبى نواس ، فكلّمه فيه الفضل وغيره فأطلقه .

ولما أحضره للقتل أحضر الفقهاء بعد أن جمعوا له كلّ من يحسُده من الشعراء والفضلاء وغيرهم ، ثم قيل له: ألست القائل:

يا أحمد المرتجَى فى كلّ نائبة قُمْ سيدى نعصِ جبّار السماوات

قال : بلى يا أمير المؤمنين . قال : كافر . ثم قال للفقهاء : ما تقولون يا معشر الفقهاء والشعراء ، ؟ قالوا : كفر يا أمير المؤمنين . فقال أبو نواس : يا أمير المؤمنين إن كانوا قالوا هذا بعقولهم فما أنقصها ، وإن كانوا قالوه بآرائهم فما أجهلهم . أيكون زنديق مُقِرًّا بأن للسماوات جبّارا ؟ قال : لا والله . ولقد صدقت ، قم . فقام وأطلقه .

وقيل : إنه قال له : يا أمير المؤمنين اجمع كلّ زنديق فى الأرض فإن زعموا أن فى السماء إلٰها واحدا فاضرب عنقى ، ولكنى أصحب قوما جُهَّالًا لا يعرفون المزح من الجِدّ ، وأنا الذى أقول :

قد كنتُ خِفْتُك ثم آمَنَنِى من أن أخافَك خَوْفُكَ اللهَ

كان أبو نواس يألف آلَ نوبخت ولا يفارقهم . فحدّث بعض أصحابهم قال[1] : كان أبو نواس يألفنى ولا يصبر عنى ، فأخذ بيدى مرة ونحن فى أول يوم من رجب فمضينا إلى قُطْرَبُّل[2] فلم نزل بها ، حتى إذا كان أول يوم من شعبان صرنا إلى

---

(١) الخبر فى بدائع البدائه : ٢/٧٣ ، ويروى على أنه مع أبى نواس وعيسى بن الرشيد .

(٢) قطربل : قرية بين بغداد وعكبرا تنسب إليها الخمر ، وكانت حانة للخمارين .

القفص[1] فأقنا إلى آخر يوم منه، فقال لى : ويلك قد أظلّنا هذا العدو ونحن فى آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة ، والناس فى شكٍّ من يومهم هذا فما ترى ؟ قلت : ويحك إنه لا عوض لنا من يومنا هذا . ثم لقينا جماعة فخبّروا أن الهلال لم يُرَ ، فرجعنا فشربنا ثم أصبحنا ، فقلت : قم بنا فقد أخذنا بأوفر الحظوظ من يومنا الماضى . فقال : اسمَعْ وأطع :

لو شئت لم نَبْرَحْ من القُفْصِ ... نأخُذها صَفراءَ كالحِصِّ
نَسْرِقُ هذا اليومَ من شَهْرِنا ... فربَّما يُعفَى عن اللِّصِّ

قال الحاكى : فقلت قد أُنشِدْتُ هذا الشعرَ لغير أبى نواس ، ولعله كان مما يُضاف إليه . قال الراوى : إن الذى حدثنى بذلك كان أظرف من أن يكذب فى مثل هذا .

حَدَّث بعض آل نوبخت قال : جاء النظّام يوما فسألنا عن منزل أبى نواس ، فقلنا : تلك الغرفة وأومأنا إلى غرفة كان ينزلها ، وله غلام أسود وحمار أسود ، قال : فأتاه فاستأذن عليه ، وقال : أنشدنى قولك[2] :

تركتَ منّى قليلًا ... من القليل أقلّا
يكاد لا يتجزّا ... أقلّ فى اللفظ مِنْ «لَا»

فأنشده . فقال له النظّام : أنت أشعر الناس فى هذا المعنى ، والجزء الذى لا يتجزأ منذ دهرنا الأطول نخوض فيه ما خرج لنا فيه من القول ما جمعته أنت فيه فى بيت واحد .

---

(١) القفص: قرية كانت مشهورة بين بغداد وعكبرا قريبة من بغداد، وكانت من مواطن اللهو ومجالس الفرح ، تنسب إليها الخمور الجيدة .

(٢) البيتان فى البيان والتبيين : ١/١٤١ (تحقيق هارون) .

أقبل[1] أبو نواس إلى مجلس عبد الواحد بن زِيادٍ بالبصرة وقد كثُر عليه أصحاب الأحاديث . فقال : ليَسْأَلْ كلُّ رجلٍ عن ثلاثة أحاديث وليَمْضِ . ففعل الناس ذلك حتى انتهى إلى أبي نواس ، فقال : ياغلامُ سَلْ أنت. فقعد بين يديه وقال : هاكَ الحديث . فقال : هات . فأنشده :

ولقد كُنَّا رَوَيْنَا عن سَعِيدٍ عن قَتادَهْ[2]

عن زُرارَهْ إبنِ أَوْفَى أنّ سعدَ بنَ عُبادهْ[3]

قال مَن نالَكَ حبيبا فازَ منه بالسَّعادَهْ[4]

وإذا ماتَ مُحِبًّا فله أَجْرُ الشَّهادَهْ

والَّذى يَجْمَعُ إلْفَيْنِ على حُسْنِ الإرادهْ

بوقَارٍ وسكونٍ وتأَتٍّ للمُرَادَهْ

هو فى ذَاكَ حَكِيمٌ زَعَمَتْ ذاكَ جَرَادَهْ

جَرادةُ التى عناها قوّادة كانت بالبصرة ينتابُها الفسّاق .

نِيَّةُ العاشِقِ فاعلَمْ هى خَيْرٌ من عِبادَهْ

إنّما الدُّنيا ثلاثٌ ليس فيهنّ زِيادَهْ

فحَبِيبٌ ومُحِبٌّ ثم ثَلْثٌ بالقِيادَهْ

أَتَرى ذاكَ صَوابًا نتَّبع منه سَدادهْ

قد رَوَى ذاكَ هِشامٌ وَأبانٌ عن جنادَهْ

---

(١) تهذيب ابن عساكر : ٤/ ٢٦٦ ومابعدها باختصار واختلاف فى الأبيات ـ تاريخ بغداد ٧/ ٤٣٨ .

(٢) عن قتادة فى « ك » : بن قتادة . والتصويب من المرجعين السابقين .

(٣) الرواية فى التهذيب وتاريخ بغداد :

عن سعيد بن المسيّبْ ثم عن سعد بن عبادهْ

(٤) ليس فى تاريخ بغداد ولا فى تهذيب ابن عساكر .

فقال له عبدالواحد: قمْ عليك لعنة الله . والله لا أحدثك وأنا أعرف وجهك .
فقام أبو نواس وقال : والله لا أتيت مجلسك وأنت تردُّ الصحيح من الأحاديث .

قال ابن عائشة[1] دخلت بغداد أريد السَّماعَ من عبد الله بن المبارك[2] فلمَّا صرتُ إلى واسط قلت : لو دخلت إلى هذا الشيخ إسْحاق الأزرق[3] فسلَّمت عليه ، فصرت إليه ، فلما رآنى أجهش باكيا. فقلت : ما الذى يبكيك ؟ قال : ألم تر إلى هذا الفاسق ؟ قلت : أى فاسق ؟ قال : الحسن بن هانئ . قلت : مالك وله ؟ قال : كذب على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وزعم أنى حدثته بحديث عن عبد الله بن مسعود ، ولا والله ما حدثته به ولا تكلمتُ به . قلت : وما هو ؟ قال: ياجارية هاتى القرطاس الذى دفعته إليك بالأمس ، فجاءت به فإذا فيه :

يا حَسَنَ[4] المُقْلَتَيْنِ والجيدِ ... وقاتِلى منه بالمَواعيدِ
تُوعِدُنى الوعدَ[5] ثمَّ تُخْلِفُه ... فيا بَلاىَ[6] من خُلْف مَوْعُودى
حَدَّثنى الأزرقُ المُحدِّث عن ... عَمْرِو بن شمرٍ عن ابنِ مسعُودِ[7]
لا تُخْلِفُ الوعدَ غير كافرةٍ ... أو كافِرٍ فى الجحيم مَصْفُودِ
وحَابِس الدَّوْر بالحديثِ عن ال ... قَوْمِ وتسويف صاحِب العُودِ

(١) تهذيب ابن عساكر : ٣/٢٦٧ـ عقد الجمان : ٣٥٨ .
(٢) عبدالله بن المبارك: أحد الأئمة، حدث عن مشاهير التابعين ولد سنة ١١٨هـ وتوفى سنة ١٨١ (الخلاصة) .
(٣) إسحاق الأزرق : أبو محمد إسحاق بن يوسف بن مرداس المخزومى الأزرق الواسطى أحد الأئمة الأعلام فى الحديث، حدث عنه أحمد بن حنبل توفى سنة ١٩٥هـ (الخلاصة).
(٤) فى تهذيب ابن عساكر : يا ساحر .
(٥) فى تهذيب ابن عساكر : الوصل .
(٦) فى تهذيب ابن عساكر : فياويلاى .
(٧) الرواية فى تهذيب ابن عساكر :
حدثنى الأزرق المحدّث عن ... شمر وعوف عن ابن مسعود

حكى عن خَليفةَ صاحبِ الشرطة قال : لمّا حُبِس أبو نواس كان أكثر مَنْ يزوره فى حبسه المُرد والشُبّان والخمّارون وأصحابُ الرِّيَب، فعرفت منهم من لم أكن أعرف، فجعلت عليهم الضرائب. فلما أطلق فقدت ذلك وتفرّقوا.

قال محمد بن هشام[١] : كُنّا عند أبى عُبَيْدة فى المسجد الجامع ونحن نتحدّث ومعنا أبو نواس إذ كتب إنسان على دفتره شيئا وقد لحظ الأُسطوانة . فقال له أبو عبيدة: ما هذا الذى تكتب ؟ فنظرنا فإذا بيت قد قاله أبو نواس :

صَلَّى الإلٰهَ على لُوطٍ وشيعَتِهِ　　أَبَا عُبَيْدَةَ قُلْ باللهِ آمينَا[٢]

فقال: هذا عمل الخبيث ، يعنى أبا نواس . وكُنّا أربعة أو خمسة، فقال أبو عبيدة لكيسان : أيّما أحبّ إليك أن تَطُبّ[٣] لى فأمحوه أو أُطُبّ لك فتمحوه أنت ؟ قال : طُبّ أنت لى . فانحنى أبو عبيدة وحمل كيسان على ظهره ، وقال له : حُكّهُ . قال كيسان : فجعلت أحُكّه وهو يقول لى : ويحك عَجِّل لا نفتضح عند الناس . ثم قال لى : قد فرغْتَ ؟ قلت: قد بقى لُوطٌ وحده . قال : ويحك وهل نهرب إلّا من لوط ، حكّه . قال : فحككته .

وقيل: إن هذا البيت وُجد فى رُقعة فى مجلس أبى عبيدة وبعده بيت آخر وهو :

فأنت عندى بلا شكٍّ بقيّتهم　　منذ احتلَمْتَ وقد جاوزت سبعينَا[٤]

---

(١) الخبر فى محاضرات الراغب — وفى غ (بولاق) ١٨/٧٩ ، ٨٠ (ترجمة اليزيدى) ما يقارب هذا الخبر .

(٢) الديوان : ٥٣١ .

(٣) تطب: يريد أن ينحنى له ليعلو فوق ظهره فيتمكن من محو المكتوب . ولعله المراد من جبى تجبية : أى قام قيام الراكع .

(٤) الديوان : ٥٣١ .

فاتّهم بذلك أبا محمد اليزيدي[(١)] وأبا نواس . فاعتذر إليه أبو نواس فقبل عذره . ولم يعتذر اليزيدي فقال أبو عبيدة : والله لافخرت عديّ الرباب بأنى ذكرتُها أبدا ، فكيف أذكر عبيدها ! وكان اليزيدي مولًى لعديّ الرباب.

وكان أبو نواس يتعلّم من أبي عبيدة ويصفه ، ويشنأ الأصمعي ويهجوه .

وقيل له : ما تقول فى الأصمعى؟ قال : بلبل فى قفص . قيل : فما تقول فى خَلَفٍ الأحمر ؟ قال : جمع علم الناس وفَهِمَه . قيل : فما تقول فى أبي عبيدة ؟ قال: ذاك أديم طُوِىَ على علم .

جاء أبو نواس فى يوم ٍشديد الحرّ بناطف[(٢)] فألقاه على سارية أبي عبيدة . وجاء أبو عبيدة فاتّـكأ على قفاه إلى السارية ، فلما انتصف النهار واشتدّ الحرُّ ذاب الناطف فسال على وجه أبي عبيدة وعينيه ولحيته وثيابه . فقال : قبح الله الماجن الخبيث أبا نواس فإن هذا من عمله !

جاء أبو نواس يوماً إلى أبي عُبيدة وهو يصف المادِنَ ويقول : معدِنُ بنى سُلَيْم ينبت القطعة من الذهب مثل عنق البعير ، ومعدن كذا ينبت كذا ، وجعل يصف المعادن وما تنبت، فأخرج أبو نواس أيره ثم قال : فى أى معدن ينبت هذا يا أبا عبيدة؟ فقال : قم قبحك الله فما نُقْلِت منك على حال . فقال له أبو نواس : يا جِلْف[(٣)] وما عليك لو قلتَ فى حِرِ أُمّك ! .

---

(١) اليزيدى : يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوى النحوى اللغوى، أدب أولاد يزيد بن منصور الحميرى فنسب إليه، مات بخراسان سنة ٢٠٢ هـ (بغية الوعاة).

(٢) الناطف : القبيطى، وهو نوع من الحلوى ينتطف أى يقطر قبل خثورته وفساده .

(٣) فى الأصول: ياخلف .

قال الجمّاز: كُنّا فى حَلقة أبى عبيدة فوجدنا فيها رِقاعاً، فى كل رقعة منها مكتوب :

أَمَرَ الأميرُ بأَخذِ أولادِ الزِّنَا فتفرّقوا لا تؤخَذوا فتُعاقَبُوا

فقال أبو عبيدة : من فعل هذا لعنه الله ؟ فقال أبو نواس : لو علمتُ من فعلَ هذا لأهجونّه. فضحك أبو عبيدة وقال:

* ومحترسٍ من مِثْله وهْوَ حارسُ *

قال أحمد بن العبّاس بن الحكم(١) : جاءنى أبو نواس فى غَداةِ يومٍ من أيّام الرَّبيع وقد طَشَّت السماء ساعة . فلما دخل علىَّ أنشأ يقول(٢) :

ما مِثْلُ هذا اليوم فى طِيبِه عُطِّلَ من لَهْوٍ ولا ضُيِّعَا

فما ترَى فيه ؟ وما ذا الّذِى تُحِبُّ فى ذا اليوم أن تَصْنَعا

هَلْ لك أن تَغْدُو على قَهْوةٍ تُسْرِع فى المرء إذا أسرَعا

ما وَجدَ الناسُ ولا جرّبُوا لِلْهَمّ شيئاً مثلَها مدْفَعَا

قال : فقلت له : ما كان يُساعدنى فى هذا اليوم غيرك ، أقم فهاهنا ما يُصلحك . فأقام يومَه ذلك عندى .

سئل على بن إسحاق بن إسماعيل عن قول أبى نواس :

* دَاوِ يحيي منْ خُمارِه *

مَنْ يَحْيَى هذا ؟ قال : لا أعرفه أنا ، وإنما أنا أروى هذا الشعر:

* دَاوِ يَارِى منْ خُمارِه *

ويارى خمّار نصرانىٌّ كان فى نهر طابق(٣) نازلا ، وكان أبو نواس يغشاه كثيرا ، فجاءه مرّة فوجده مخمورا فقال هذا الشعر ، فقلبه الناس فقالوا يحيي.

---

(١) أخبار أبى نواس لأبى هفان : ٢٠ وسيأتى أن المتحدث هو سليمان بن أبى سهل .

(٢) الأبيات فى الديوان : ٥ .

(٣) محلة ببغداد من الجانب الغربى قرب نهر القلائين شرقا . قال ياقوت: وإنما هو نهر بابك .

قال يَحْيَى الثَّقفِي: قولُ أبي نواس :

* دَاوِ يَحْيَى من خُماره *

فيَّ قالها .

والقصيدة المذكورة هي[1] :

دَاوِ يَحْيَى مِنْ خُمارِه ... بابْنَةِ الدَّنِّ وقَارِه[2]

مِنْ شرابٍ كِسْرَوِيٍّ[3] ... ما تُمُنِّيَ باعْتصارِهْ

طَبَخَتْه الشمسُ لَمَّا ... بَخِل العِلجُ بنارِهْ

فأَتَى الدَّهْرُ عليــه ... غَـيْرَ شيءٍ في قَرارِهْ

فتَجَلَّت عن شِهابٍ ... يَـتراءَى بشَرارِهْ

رَكَد الليلُ[4] عليهِ ... فكَفَى ضوء نَهـارِه

ونَديمي كُلُّ خِرْقٍ[5] ... زانَه عِتْقُ نِجَـارِه[6]

وغَزال تَشْرَهُ النفـ ... سُ إلى حَلِّ إزارِهْ

بَسَطَتْه سَوْرَةالكَأْ[7] ... سِ لنا بعْدَ ازوِرَارِهْ[8]

فأَطَفنـا بنَوَاحِيـ ... ـهِ ولم نَعرِضْ لِدَارِه

---

(١) الديوان : ٩٥ .

(٢) القار : الزفت ، ويشير بهذا إلى طلائهم دنان الخمر وكؤوسها بالقار .

(٣) كسروى : في الديوان : خسروى .

(٤) الليل : في الديوان : الدهر .

(٥) الخرق : السخي والظريف .

(٦) عتق نجاره : كرم أصله .

(٧) الكأس : في الديوان : الراح .

(٨) ازوراره : إعراضه .

ولأبى نواس[1] :

أنا امرؤٌ أبغِضُ النِّعاج وقد ... يُعْجِبُنى من نتاجها الحَمَلُ

يُعجِبُنى الأمردُ الطَّرِيرُ إذَا ... أبصرتُه مُخْطَفًا له كَفَلُ

حَتّى إذا ما رأيتُ لِحْيَتَه ... فليس بَيْنِى وبينَه عَمَلُ

إلّا سليمان إنّه رجُلٌ ... يَحِلّ بينى وبينَهُ القُبَلُ

ومن عرائس قصائد أبى نواس هذ القصيدة :

قال المازنى: سمعت رجلا يقرأ على أبى عبيدة شعرَ بشار . فمرّت قصيدته الميمية التى أولها :

أبا جَعْفَرٍ ما طُول عَيْشٍ بدائمٍ ... ولا سَالِمٌ عَمَّا قليل بسالِمِ

فقال له : هاتِها فهى أَوْزَن من ميميّتَي[2] جرير والفرزدق . ولقصيدةَ[3] مروان بن أبى حفصة : (طرقتك زائرة فحىّ خيالها) أجود من قصيدة الأعشى : (رحلت سميّة غُدوة أجمالها) . ولقصيدة أبى نواس : (أيها المنتاب عن غُفره) خير من قصيدة امريءُ القيس :

رُبّ رامٍ من بنى ثُعَل ... مُخرِجٌ كفَّيْه من سُتَرِه

---

(١) الفكاهة .

(٢) ميمية جرير هى التى أولها :

سرت الهموم فَبِتْنَ غير نيام ... وأخو الهموم يروم كلّ مرام

ميمية الفرزدق هى التى أولها :

عَفَى المنازل آخر الأيام ... مطر ومور واختلاف العام

(٣) قصيدة مروان بن أبى حفصة :

طرقتك زائرة فحىّ خيالها ... بيضاء تخلط بالجمال دلالها

قال أبو نواس[١] :

أيُّها المُنْتاب[٢] عن عُفُرِه[٣] لَسْتَ من لَيْلِي ولا سَمَرِهْ
لا أذُود الطَّيْرَ عن شَجَرٍ قد بَلَوْتُ[٤] المُرَّ من ثَمَرِهْ
فامْضِ لا تَمْنُنْ عليَّ يَدًا مَنُّكَ المعروفَ من كَدَرِهْ
فاتَّصِــلْ إن كنتَ مُتَّصِلًا بقُوَى مَنْ أنتَ من وَطَرِهْ
خِفْت مأثورَ[٥] الحديث غدًا وغَــدٌ دانٍ[٦] لمُنتَظِرِهْ
خابَ من أَسْرَى إلى مَلِكٍ غيرِ معــلومٍ مَدَى سَفَرِهْ
وسَّــدَتْهُ ثِنْيَ ساعِدِهِ سِــنَةٌ حلَّتْ إلى شُفُرِهْ[٧]
رُبَّ فِتيــانٍ رَبَأْتُهم[٨] مَسْقِط العَيُّوقِ فى سَحَرِهْ
فاتَّقَوْا بى ما يَرِيبُهم إنَّ تَقْوَى الشىء[٩] مِنْ حَذَرِهْ
وابن عمٍّ لا يُكاشِفُنــا قد لَبِسناه على غَمَــرِهْ[١٠]
كَمَنَ الشَّنْآن فيه لَنــا ككُمُونِ النَّار فى حَجَرِهْ[١١]
ورُضاب بتُّ أرْشُــفه يَنْقَعُ الظمآنَ من خَصَرِهْ[١٢]

---

(١) الديوان : ٤٢٧ .

(٢) المنتاب : معتاد المجىء .

(٣) عفره : الليلة السابعة والثامنة والتاسعة من ليالى الشهر، وحركت للضرورة.

(٤) فى رواية بهامش الأصل : جنيت .

(٥) مأثور الحديث : ما يروى ويتناقله الناس .

(٦) دان : فى الديوان : أدنى .

(٧) شفره : أجفان عينه .

(٨) ربأتهم : حرستهم — العيوق : نجم فى طرف المجرة .

(٩) الشىء : فى الديوان : الشر .

(١٠) الغمر : الحقد، وحرك للضرورة .

(١١) تدور أقوال فيما يعود عليه ضمير حجره .

(١٢) ينقع : يروى — الخصر : البرودة . والضمير يعود على الرضاب .

عَلَنيـه خُوطُ إسْحِلةٍ لان مَتْنـاه لمُهْتَصِرِهْ[١]
ذا ومُغْبرّ مَخارِمُه تحسر الأبصارُ عن قُطُرِهْ[٢]
لا ترى عين المُبين به ما خَـلا الآجال من بقَرِهْ[٣]
خاضَ فى لُجَّيْـه ذو جرَزٍ مُفْعَم الفَضْلَيْن من ضَفَرِهْ[٤]
يكتسى عُثْنـونُه زَبَدًا فَنَصيـلاهُ إلى نَحَرِهْ[٥]
ثم يعتَمُّ الحِجـاجُ به كاعتِمام الفوفِ فى عُشَرِهْ[٦]
ثم تذروه الرياح كمَا طار قُطْن النَّدْفِ عن وَتَرِهْ
كُلّ حاجاتى تنـاوَلَها وهْوَ لم ينقص قُوَى أَشَرِهْ[٧]
ثم أَدْناني إلى مَلِكٍ يأمن الجانِى لَدَى حُجَرِهْ
تأخذ الأيدِى مظالمَها ثم تَسْتَذْرِى ذُرَى عَصَرِهْ[٨]
كيف لا يُدْنِيك من أَمَلٍ مَنْ رسـولُ الله من نَفَرِهْ
فاسْلُ عن نَوْءٍ تؤمِّلُهُ حَسْبُك العَبّاس من مَطَرِهْ
مَلِكٌ قَلَّ الشَّبيه لَهُ لم تَقَعْ عينٌ على خَطَرِهْ[٩]
لا تُغَطِّى عنـه مَكْرُمَةٌ رُبًا وادٍ ولا خَمَـرِهْ[١٠]

---

(١) الخوط : الغصن ـ الإسحلة : شجر يستاك به ـ مهتصره : جاذبه
(٢) المخارم: الطرق الجبلية ـ وقطره : نواحيه.
٣) المبين : فى الديوان : البصير ـ الآجال : قطعان حمر الوحش .
(٤) لجيه : جانبى الوادى ـ جرز : قوة ـ الضفر : ما يشد به البعير كالحزام .
(٥) النصيل : ما تحت العين إلى الحطم .
(٦) الحجاج : العظم المشرف على غار العين . الفوف : الزهر ـ العشر : شجر .
(٧) أشره : نشاطة .
(٨) تستذرى : تستظيل ـ العصر : الملجأ .
(٩) خطره : مثله .
(١٠) الخمر : ما وارى من الشجر .

ذُلِّلتْ تلك الفِجاجُ لهُ فهْوَ مُختارٌ على بَصَرِهْ
سَبَقَ التفريطَ رائدُه فكفاه العَيْنَ[1] من أثَرِهْ
وإذا مَجَّ القَنَا عَلَقًا[2] وتراءى الموتُ فى صُوَرِهْ
رَاح فى ثِنْيَىْ مُفاضَتِه أسداً يَدْمَى شَبا ظُفُرِهْ[3]
تَتَأيَّا الطَّيْرُ غُدْوَته ثِقَةً بالشِّبْع من جَزَرِهْ[4]
وترى السادات ماثلةً[5] لسَليل الشمس من قَمَرِهْ
فَهُمُ شَتَّى ظُنونُهم حَذَر المَكْنونِ من فِكَرِهْ
وكَريم الخال مِنْ يَمَنٍ[6] وكَريم العَمِّ من مُضَرِهْ
قد لَبِسْتُ الدهر لبسَ فتًى أحْكَمَ الآدابَ عن عِبَرِهْ[7]
فادَّخِرْ خَيْرًا تُثَابُ به كُلُّ مَدْخُورٍ لمُدَّخِرِهْ[8]

لما أُنشِدَ أبو عبد الله بن الأعرابى هذه القصيدة قال: أحسن والله! لو تقدَّم هذا الشعر فى صدر الإسلام لكان فى صدر الأمثال السائرة.

قال أبو على الأصفر وكان من رُواة أبى نواس: لما[9] أنشدنى أبو نواس هذه القصيدة فلما بلغ إلى قوله:

---

(١) العين: حقيقة الشىء.
(٢) العلق: الدم.
(٣) المفاضة: الدرع الواسعة — الشبا: الحد.
(٤) تتأيا: تقصد وتتعمد. جزره: المراد قتلاه.
(٥) ماثلة: قائمة.
(٦) كريم الخال من يمن: يعنى أن أمه يمنية.
(٧) عبره: فى الديوان: غيره، بالمنقوطة والمثناة من تحت.
(٨) ليس فى الديوان.
(٩) الموشح: ٢٧٩.

وإذا مجَّ القَنا عَلَقا   وتراءى الموتُ فى صُوَرِه
راح فى ثِنْيَيْ مفاضته   أسداً يدمَى شَبَا ظُفُرِه
تتأيّا الطيرُ غُدْوَتَه   ثِقَةً بالشِّبْع من جَزَره

قلت له: أحسنت والله وجاوزت الإحسان! هذا والله مالا يُحسنه أحد ، ولم يبلغه متقدِّم ولا يلحقه متأخر .

فلما أنشدنى :

كيف لا يُدْنيك من أَمَلٍ   مَنْ رسُولُ الله منْ نَفَرِه

علمت أنه كلام رديء موضوع فى غير موضعه ، وأنه مما يعاب به ، لأن حق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أجدر أن يضاف إليه ولا يضاف هو إلى أحد . فرأى ذلك فى وجهى . فقال لى : ويلك إنما أردت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم من القبيل الذى هو منه . كما قال حسّان بن ثابت[1] :

وما زال فى الإسلام من آلِ هاشمٍ   دَعائم عِزٍّ لا تُرام ومَفْخَرُ
بَهالِيل منهم جَعْفَرٌ وابن أمِّه   علىٌّ ومنهم أحْمدُ المتخَيَّرُ

فقال منهم كما قلتُ مِن نفره [أى][2] من النفر الذين العباس منهم. فما تعيب من هذا ؟ قال : فعلمت أنه ضرب من الاحتيال ، ولكن قد أحسن المخرج منه .

قال: فقلت له: أرأيت قولك :

كَمَنَ الشنآنُ فيهِ لنَا   ككُمون النّارِ فى حَجَرِهْ

---

(١) ديوان حسان .

(٢) زيادة من الموشح .

قال : رددتُ التذكير إلى النور ، ومثل هذا فى أشعارهم كثير إن فتشته . قال : فعلمت أنه لا يقول شيئا إلا عن علم وحجة بما يقوله .

وقال الكسائى: إنما أراد فى حَجَرِها فغلط .

وقال أبوالعباس : إنما أراد فى حَجَره رده إلى القادح ؛ وجوَّدُوا هذا التأويل .

وقال قوم إنما رَدَّ الحجر إلى السكون . وكيف كان فقد أحسن فيه .

ومثل هذا ما أنشده الفرّاء :

لِكُلِّ دهرٍ قد لَبِستُ أثوُبا ... من رَيْطة[1] واليُمْنَة المُعَصَّبَا

فجعل المعصّبا نعتاً لليُمنة وهى مؤنثة فى اللفظ ، لأن يُمنة ضرب وصنف من الثياب الوَشْى فذهب إليه، ومثل ذلك قراءة يحيى بن وَثّاب ﴿ ذُوالقُوَّةِ المَتِينِ ﴾[2] بالكسر صفة للقوة ومعناه الحَبْل .

قال محمد بن شبيب : قلت لأبى نواس ما معنى قولك :

لا أذُودُ الطَّيْرَ عن شَجَرٍ ... قد بَلَوْتُ المُرَّ من ثَمَرِه

فقال : كانت لى صديقة من أهل الحرماز[3] وكنت أحِبّها ، فبلغنى أنها تختلف إلى رجل من أهل البصرة فلم أصدّق ذلك ، فتبعتها يوماً حتى دخلَتْ منزلَه فرجعت إلى منزلى وأنا مغموم ، فرميتُ بنفسى فجاءت فرمت بنفسها إلى جانبى ، فحوّلت وجهى إلى الحائط وتناومت فنمت . فرأيتُ كأنَّ قائلا يقول لى قل :

لا أذُودُ الطيرَ عن شَجَرٍ ... قد بَلَوْتُ المُرَّ من ثَمَرِه

فقمت فأخرجتُها عنى وأدخلت البيتَ فى قصيدتى .

---

(١) الريطة : الملاءة إذا كانت قطعة واحدة .

(٢) الآية : سوره الذاريات /٥٨ .

(٣) الحرماز : حىّ من تميم .

وفى هذه القصيدة :

تَتَأيَّا الطـيرُ غُدْوَتَـه ثِقَةً بالشِّبْع من جَزَرِه

أخذ هذا المعنى مُسلم ، فقال[١] :

قد عَوَّدَ الطيرَ عاداتٍ وثِقْن بها فهُنَّ يتبعنه فى كلِّ مرتَحَلِ

وكأنّما أخذه من قول حُمَيد يصف الذئب بأنّه يُقْبل والطير تتبعه :

إذا ما غـدا يوماً رأيت غَمامَةً من الطير ينظُرْن الّذى هو صانِعُ

وأول من افتض هذا المعنى النابغة ، فقال :

إذا ما غَدا بالجيش حَلَّق فوقَهُم عَصائبُ طَيْرٍ تهتَدِى بعصائب

جَوانحُ قد أَيْقَنَّ أنّ قَبيلَه إذا ما التقَى الجَمْعان أوَّلُ غالِبِ

وفى قصيدة أبى نواس هذه :

خَاب من أَسرَى إلى مَلِكٍ غيرِ مَعْلومٍ مدى سَفَرِه

يقولُ : خاب من ركب الغرر ولا يعرف مقدار سفره إلى من يقصده . يقول : لست كذلك، لكنى أقصد من أثق بإحسانه إلىّ ، وأعلم تعجيل أَوْبتِى بما أُحِبّ منه.

وفى هذه القصيدة :

لا أَذودُ الطيرَ عن شَجَرٍ قد بَلَوْتُ المُرَّ من ثمَرِه

هذا مثل ، يقول : أنت جافٍ فأنا أتركُك ولا أمنع منك من يريد مواصلتك ، لأنّى قد ذُقت مودَّتك وجرّبتها فوجدتك غَدَّاراً جافِياً لمن يريد وُدَّك .

قالعبّاد بن أسلم[٢] : قلت لأبى نُواس: أىّ شعرك أَشْعَر ؟ قال : إذا أردتُ الجِدَّ قلت :

---

(١) البيت من قصيدة يمدح بها يزيد بن مزيد الشيبانى أولها :

أجررت حبل خليـع فى الصبا غزل وشمرت همم العـــذال فى العـذل

(٢) ورد هذا الخبر عن أبى حاتم السجستانى، وقد تقدم فى ص ٣٦ .

* أيُّها المُنتابُ من عُفُرِه *

وإذا أردت الهزل قلت :

طَابَ الهوَى لِعَمِيــدِه　　لولا اعتراضُ صدُودِه[١]

وله فى أحمد بن الحسين :

أقول للدَّهر وقد عَضَّنِى　　منهُ بأنيـــابٍ وأضراسِ
يا دَهْرُ إنْ أبقَيت لى أحْمَدًا　　فاذْهَب بمن شئتَ من النَّاسِ
ما النَّاسُ إلَّا أَحْمَدُ وَحْدَه　　غـــير خُشاراتٍ ونَسناسِ

وله فى امرأة اسمُها دُنْيا[٢] :

إن دُنْيَا الَّتى علَى　　مُهْجَــةِ النفسِ قَادِرَهْ[٣]
ظَلَمُوها نِصْفَ[٤] اسمِها　　هى[٥] دُنْيَا وآخِــرَهْ

قال يوسف بن الدَّاية[٦] : كانت الشعراء تجتمع فى كل يوم بباب أسماء بنتِ المهدى. وكان لهم مجلس يجتمع عليهم فيه أهل الأدب . فكان يحضر ذلك المجلس أبو نواس ، فنظر يوما إلى وصيفة قد خرجت من قصر أسماء غلاميّة شاطّة[٧] عجزاء مَطْمومة[٨]

---

(١) الديوان: ٩٧ ٤ وهى قصيدة قالها فى مدح موسى بن الفضل الوصيف أخى الحسين الحاجب

(٢) فى العقد الفريد : ٤٢٩/٣ أن الأصمعى دخل على الرشيد وبين يديه جارية فلما عرفه أن اسمها دنيا قال هذين البيتين .

(٣) الرواية :

إن دنيــا هى الــتى　　تمــلك القلب قاهــرة

(٤) فى العقد : شطر .

(٥) فى العقد : فهى .

(٦) الخبر والشعر فى أخبار أبى نواس لأبى هفان : ٢٨ باختلاف .

(٧) شاطة : حسنة القامة معتدلتها .

(٨) مطمومة : مقصوصة الشعر

ناهد ، وعليها أقبية ومنطقة وفى رجلها نَعْل ؛ فاشتدّ عجبه بها ومازحها فلم يزل على ذلك دهرا إذا خرجت لحاجة إلى ما يلى باب القصر عبث بها وداعبها، وأنشدها أشعارا يخبرها فيها بحبّه لها ، ولا ينكر ذلك عليه أحد لما كان معه من العبث بالناس والمجون ، ولأنه لم يكن يعتدّ بالنساء . فقال لى[1] يوما : امض بنا إلى باب أسماء لننظر إلى من يحضر اليوم من الشعراء ونتعرّف خبرا إن كان حدث . فمضينا . فبينا نحن على باب أسماء إذا الجارية قد خرجت وعليها قباء وشى منسوج بالذهب ، وسراويل وشى أخضر منسوج بالذهب ، وعلى رأسها عِصَابة منسوجة بالذهب إبريسمية ، وفى رجلها نعل مغشّاة بديباج ، وعليها مِنْطقة ذهب مفرقة[2] على زنّار حرير عريض وقد غابت فى خصرها من انهضامه فما تكاد تبين ، وفى يدها قضيب خَيْزُران تعبث به ، فدهشت وكل من حضر إليها وبهتنا إلى براعة جمالها وحلاوتها ، وحسن زيها . فقال لى : مثل هذه يا نخّاس فاشتر لا مثل رقيقك . فقلت : دعنى فما رأيت مثل هذه قط على كثرة ما يمر على يدى ، وما تصلح هذه إلا للخليفة . فأقبلت تخرج وتغيب وتَهادَى وتتثنّى فى مشيها حتى وقفت حيالنا ونظرت إليه نظراً دلّنى على أن فى قلبها منه شيئا ، فأنشأ يقول وهى تسمعه وكان اسمَها معشوق[3] :

لقد صُبِّحَتْ بالخير عينٌ تَصَبَّحَتْ بوَجْهِك يا « معشوقُ » فى كلّ شارقِ

---

(١) فقال لى: الرواية هنا تشير إلى أن المتحدث معه هو يوسف بن الداية، وفى أبى هفان أن المتحدث معه هو رجل آخر يقال له الجند يسابورى ولعله كان نخاسا. فنى القصة أن أبا نواس خاطبه بقوله : مثل هذه يانخاس فاشتر لا مثل رقيقك .

(٢) مفرقة : هكذا فى النسخ. وفى أبى هفان : معرقة بالذهب، ولعله يريد أن بها عروقا أى خطوطا من ذهب على هيئة العروق ، ويمكن أن تكون الكلمة مصحفة عن مفوفة أى فيها خطوط على الطول .

(٣) الديوان : ٢٥٨ .

مُقَرْطقة لم يُخزِها سَحْبُ ذيلها ... ولا نازعتها الرِّيحُ فضلَ البنائقِ
تشاركُ فى الصُّنع النساء وسلَّمت ... لهن صنوف الحلىْ غير المناطقِ
ومَطْمومة لم تَتَّصِل بذُؤابة ... ولم تَعْتَقِد بالتاج فوقَ المَفارقِ
كأنّ مَخَطَّ الصُّدْغِ فى حُرِّ وَجْهِها ... بقيَّة أنقاسٍ بإصبعِ لائقِ [1]
دعَتْه [2] بماء المِسْك حتى أجابها ... إلى مستقرٍّ بين أذْنٍ وعاتقِ
غُلامٌ وإلّا فالغُلام شَبِيهُها ... ورَيْحان دُنْيا لَذَّةٌ للمُعانقِ
فطانَةُ زنديقٍ ولحظة قَيْنَةٍ ... بغير الذى يخفى ومُنْيَة عاشقِ
لقد كَسَبَت عينٌ عليك بليّة ... لصاحبها يا فتنة للخَلائقِ

فلمّا فرغ من إنشادها ضحكت وولّت راجعة ، فإذا أحسن الناس قَدًّا ومؤخرا وحلاوةً ، فانصرفنا وقد أخذت بمجامع قلبى. فمكثنا أياما فلم أشعر إلا بأبى نواس قد غدا إلىّ فقال : ويلك أتدرى ما كان من حالى ؟ قلت : لا فعرِّفنى . قال : كنت أمس كسلان فلم أَنشط للشرب ، فبينا أنا قاعد فى وقت صلاة العصر إذ دخلت علىّ وصيفةأسماء بغير إذن، فقالت: تقبل الطُّفَيْلِيّة ! فوثبت وقبّلت رأسها وعينيها وثدييها ورجليها ، وقلت : يا سيدتى الحمد لله الذى ألان لى قلبك وسخّرك لعبدك ، ومتّعنى بقربك ، فأعلميني كيف تخلّصت ؟ قالت : خرجت لأداء رسالة فكنتَ أهمَّ إلىّ فى نفسى . فوضعنا الشراب وقالت : أبو نواس يكون عنده الأحمر [3] ؟ فقلت : هو مطبوخ صحيح ، وإن يكن فيه إثمٌ فأنا أحمله عنك . فشربنا حتى طابت نفسُها وانبسطت ، وعبثت وكانت بكرا فجزعت وقالت : والله ما مسّنى بشر ، وإنما خَلَبْتنى

---

(١) أنقاس : جمع نقس وهو المداد يكتب به ــ اللائق : مصلح مداد الدواة .
(٢) دعته : فى الديوان : ندته . وفىأبىهفان: غذته .
(٣) الخمر .

بظرْفك وحلاوتك وشِعْرك ، وما فكرت فى رجل . فلم أزل أداريها وأحمل عليها فى الشراب حتى أمكنتنى ، فمن إدمانى فى العمل طول الليل صيّرتُها غلاما ، فلما أصبحت غدوت وجئتك . قلت : فصف هذا الآن فى شعرك . قال : قد فعلت فى طريق إليك وأنشد :

وناهدةِ الثّدْيَيْن من خَدَمِ القَصْرِ
سبَتْنِي بحُسْنِ الجِيدِ والوَجْهِ والنَّحْرِ [1]

ومضينا غير مرة فى طلبها فما رأينا لها أثرا ولا سمعنا لها خبرا

صار أبو نواس فى حداثته إلى مجلس الهَيْثم بن عَدِيّ [2] فجلس والهيثم لا يعرفه ، فلم يستدْنِه ولم يقرِّبْ مجلسه ، فقام مُغْضَباً وتبيّن الهيثم فى وَثْبَتِه الغضب ، فسأل عنه فخُبِّرَ باسمه . فقال : إنّا لله ! هذه والله بلية لم أجنها على نفسى ، قوموا إليه لنعتذر . فصار إليه فدقّ الباب عليه وتسمّى له فقال : ادخل . فدخل وإذا هو قاعد يصفّي نبيذا له وقد أصلح بَيْتَه بما يصلح به مثله . فقال : المعذرة إلى الله ثم إليك ، لا والله ما عرفتك ، وما الذنب إلا لك حين لم تعرّفنا نفسك ، فنقضي حقك ، ونبلغ الواجب من برّك . فأظهر له قبول العذر . فقال له الهيثم : ما أستعهدك من قول يسبق منك فيّ . فقال : ما قد مضى فلا حيلة فيه ، ولكن لك الأمان فيما يستأنف . قال : وما الذى مضى جُعِلتُ فداك ؟ قال : بيت مَرَّ وأنا فيما ترى . قال : فتنشدنيه ، فدافعه ، وألحّ عليه فأنشده :

إذا نَسَبْتَ عَدِيًّا فى بَنِي ثُعَلٍ
فَقَدِّمِ الدال قَبْلَ العينِ فى النَّسَبِ

---

(١) الديوان : ٢٦٤ .

(٢) هو الهيثم بن عدى بن عبد الرحمن الثعلى الطائى الكوفى ، مؤرخ عالم بالأدب والنسب . توفى سنة ٢٠٧ هـ (الوفيات: ٢/٢٠٣) .

وأنشد أبو شبل لأبى نواس فى الهَيْثَم تمام هذه الأبيات[١] :

الهَيْثَمُ بن عَدِىّ فى تَلَوُّنه فى كلِّ يوم له رَحْلٌ على خَشَبِ[٢]

فما يزال أَخَا رَحْلٍ ومرتحلا[٣] إِلَى الموالى وأحيانا إلى العَرَبِ

له لسانٌ يُزَجِّيـهِ بجَهْوَرِه كأنَّه لم يَزَلْ يعدى على قَتَبِ[٤]

لله أنت فما قُرْبَى تَهُمُّ بها إلَّا اجتلبتَ لها الأنسابَ من كَثَبِ

إذا نَسَبْتَ عَدِيًّا فى بنى ثُعَلٍ[٥] فقدِّم الدالَ قبل العَيْنِ فى النَّسَبِ

فعاد إليه الهيثم حين بلغته الأبيات فقـال : يا سبحان الله أليس قد لقيتنى وجعلت لى عهدا ألَّا تهجونى ؟ فقال : (وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ)[٦] .

قال يوسف بن الداية[٧] : كنت عند أبى نواس نتحدّث إذ جاءه فتى قد التحَى ، فلما طلع من الباب قال لى : يا يوسف قم فاقعد على الباب ساعة حتى أفرغ من أمر هذا . فقلت : ويلك بهذه اللحية ! قال : نعم يا فضولى . فخرجت فدرت دورة ثم رجعت . فقال : تدرى مَنْ هذا ؟ قلت : لا والله ، غير أنى أرى صاحب لحية تامة. فقال : هذا غلام كنت أُحِبُّه ، وكان معى ، فلما الْتَحَى صار فى السرَّاجين ، فربما رآنى فى الأحايين فآخذه على طيبه الأوّل . وقد كاد أن يمتنع الساعة ولـكن كانت الغلبة لى . ثم قام فاغتسل ورجع إلى موضعه وأنشأ يقول :

(١) الديوان : ٥٢٤ باختلاف فى الرواية واختلاف فى الترتيب .

(٢) ليس فى الديوان .

(٣) رواية الديوان: فلا يزال أخا حل ومرتحل .

(٤) ليس فى الديوان .

(٥) ثعل : قبيلة من طيء .

(٦) الآية : الشعراء : ٢٢٦ .

(٧) وردت هذه القصة والشعر فى أخبار أبى نواس لأبى هفان : ٤٨ بنقص بيتين، وورد الشعر فى الفـكاهة ص : ٤٣ بتمامه .

رأى بخــدّيه نابتاً زَغباً ... فضَنَّ عنى هُنــاك بالقُبَل
وقال : قد صرتُ يا فتًى رجلًا ... وذَا قبيحٌ أراه بالرَّجُــل
قد كان ما كان فى صِباىَ فلا ... تعرِضْ لوصلى ولَجَّ فى عَذلِى
فقلتُ : يا من زَهَــا بلحْيَته ... الآن واللهِ طبتَ للعَمَل
ذَا زَعْفرانٌ والمســكُ تُرْبَتُه ... يَنبُتُ من تحت صِدْغك الرَّجِل
تُراكَ لو قد خَضَبْت من كِبَرٍ ... وسِحْرُ عينَيْكَ فيك لم يَحُل
صَبَرْتُ عن عضّ وجْنَتَيْك وعَنْ ... مَصّ رُضاب بفيكَ كالعَسَل !
هَيْهاتَ هَيْهات فانثَنى حَصِراً[1] ... يَقرَعُ أسنانه من الخَجَل
فقمت أسعَى إليه مبتدِراً ... والقلبُ من سُخطه على وَجَل
حتى اعتنقنا على الفراش وقَدْ ... غيضَ مُهْرِى الجُموحُ فى الكَفَل

وقال فى هذا المعنى[2] :

قال الوُشاة: بدَت فى الخدّ لحيته[3] ... فقلتُ: لا تُكثِرُوا ما ذلك عائِبُهُ
الحسْنُ منه على ما كُنْتُ أعهدُه ... والشَّعْرُ حِرْزٌ لَه ممَّن يُطالِبُهُ
أبْهَى وأكثر[4] ما كانت محاسِنُه ... إذْ سال عارِضُه واخْضَرَّ شارِبُهُ
وصارمن كان يَلْحَى[5] فى محبَّته[6] ... إن سِيل عَنّى وعَنْهُ قال[7] صاحِبُه

---

(١) حصرا : مغلوبا على أمره .

(٢) الديوان : ٣٤٦ .

(٣) فى ت : بدا فى الخد عارضه .

(٤) أكثر : فى ت : أكرم .

(٥) يلحى : يلوم .

(٦) فى الديوان : مودته .

(٧) قال : فى ك : قيل ، والتصويب من الديوان .

روى جماعة أن أبا نواس غرِىَ(١) بغُلام من ثقيف . وقد كان الغلام قد نَسُك ، فكان لا يَدْخُل المسجدَ إلّا للقرآن أو للفرائض ولا يتشاغل بغيرهما مخافة أن يحتال عليه أبو نواس . فما زال يحتال عليه حتى قاعَدَ أهلَ النحو ، ثم مال به إلى أهل العروض، فمازال ينقله من عِلْم إلى علم حتى أقعده فى حَلْقة الشعراء . وكان لهم بالبصرة موضعان : موضع بالمِرْبَد وموضع بالمسجد . ثم قال له يوما : يا سيدى أىّ ذنب لك فتتوب منه ، ومن أى شىء تنسّكك ؟ أنت تنسّك الناس ! أيرَى الله عزّ وجل حُسْنَ وجهك وهو يسىء إليك أو يسىء إلى أحد بك ! فلما صار طوعَه لعب به وأنشأ يقول(٢) :

إذا ما وَطِئَ الأَمْرَ ... دُ للعِلْم حَصَا المَسْجِدْ
فقد حلّ لنا عَقْداً ... من التِّكَّة واستَنْفَدْ(٣)
فإنْ كان عَرُوضِيًّا ... فقولوا : سَجَد الهُدْهُدْ
وإنْ أعْجَبَه النَّحْوُ ... فهاذَاك لَهُ أَجْوَدْ
وإن مال إلى الفِقْهِ ... فَلَلْفِقْهُ له أَفْسَدْ
وإن كان كَلاميًّا ... فحَرِّكْ طَرف المِقْوَدْ
وَميلُه إلى الجَبْرِ(٤) ... ففيه قُرْبُ ما يَبْعُدْ
وخُذْه كيف ما شئت اقْ ... تِضابًا(٥) أو على مَوْعِدْ
وقُلْ هذا قضاء اللّـ ... ـهِ هَلْ يُدفَعُ أو يُجْحَدْ

---

(١) غرى بالشىء : أولع به من حيث لا يحمله عليه حامل .
(٢) الديوان : ٢٩٥ .
(٣) فى الديوان : تستعقد .
(٤) الجبر : فى الديوان : الجد . ورواية الجبر ألصق بعلم الكلام .
(٥) اقتضابا : مغالبة واقتسارا ، من اقتضب الدابة : ركبها قبل أن تراض .

فيـــا من وَطِئَ الَسْجـــدِ مِنْ ذى بَهْجَةٍ أَغْيَدْ[١]
أَنَا قِسْتُ على نَفْسِـــى َ فى ذَا الأَمْرِ لا أُجْحَدْ[٢]

ولأبى نواس يهجو الرّقاشى[٣] :

قُلْ للرّقاشِىِّ إذا جئتَهُ لو مُتَّ يا أحمقُ لَمْ أَهْجُكا
دونَك عِرْضِى فاستَبِحْ شَتْمَهُ[٤] لا تدنَسُ الأعراضُ منْ شِعْرِكا
واللهِ لو كنتُ جَرِيراً لَمَا كنتُ بأهْجَى لك من وَجْهِكَا[٥]

كان أبو نواس جالسا عند عطّار وامرأة تشترى منه عطرا فقرقر بطنُها قرقرة شديدةً بقوة ، فأراد أبو نواس أن يتَنادر عليها فقال لهـا : يا ست أَتبيعِينى هذا الزاغب ؟ فقالت له : أما البيع فلا ، ولـكن إذا أَفرخ أَطعمناكَ من فراخِه .

وكان أبو نُواس يعشق جنان[٦] جارية آل عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى المحدّث الذى كان ابن مناذر يصحب ابنه عبد المجيد .

وكانت[٧] جنان حُلوة جميلة المنظر بديعة الُحسن أديبة عاقلة ظريفة تعرفُ الأخبار وترْوِى الأشعار . وكانت مقدودة حَسَنة القَوام ، ويقال: إن أبانواس لم يَصْدُق فى حبّ امرأةٍ غيرها .

وكان أوّل كَلَفه بها أنها مرّت وهو جالس فى المِرْبد مع فِتيان من أهلها

---

(١) أغيد : ناعم لين .
(٢) ليس فى الديوان .
(٣) الديوان : ٥٢٦ .
(٤) فاستبح شتمه: فى الديوان : فاهجه راشدا .
(٥) وجهكا : فى الديوان : أصلـكا .
(٦) غ بيروت : ٢٠ /٣ — ٤ .
(٧) غ (بيروت) : ٢٠/٤ .

يتنزّهون وينشدهم ، فأبرزت عن وجهٍ بارعِ الجمال ، فجعل ينظر إليها . فقال له أصحابه : خرجت من حَدِّك الذى كنت تنتسب إليه ، يعنى من حبّ الغلمان إلى حب النسوان . فأنشأ يقول(١) :

إنّى صرفتُ(٢) الهوَى إلى قمَرٍ لم تَبْتَذِله(٣) العيونُ بالنَّظرِ
إذا تأمّلتَه تعاظمك الإ قرارُ فى أنَّه من البَشرِ
ثُمَّ يعود الإنكارُ مَعْرِفَةً منك إذا قِسْتَه إلى الصُّوَرِ
مُباحَةٌ ساحةُ القُلُوب لَهُ يَأْخُذ منها أطايبَ الثَّمَرِ

وشغف بها حُبًّا وهام بها وقال فيها أشعاراً كثيرة ، وشكا وَجْدَه بحبّها وهو لا يعرفها . وسأل عنها فلم يقع على خبرٍ منها بعد اليوم الذى رآها فيه . فقال :

كما لا ينقضى الأَرَبُ كذا لا يفتُرُ الطَّلَبُ(٤)

وتناقَل أهلُ البصرة شكايتَه من حبّها وشِعْرَه فيها ، وأكثروا ذكره فى كلّ محفل وجمع .

وكانت جنان تحبّ النساء وتميل إليهن، فذكرته امرأة لها وأنشدتها بعضَ شعره. فقالت جنان: قد والله رأيته بالمِرْبَد يُنشد؛ وما زال يُتبِعُنى نظرَه إلى أن غبت عنه. فتواعدن أن يخرجن ويعبثن به ويمازحنه . فخرجن يوما وأبو نواس على غفلة من ذلك حتى وافَيْنَه . فلما رآها كاد عقلُه يذهب وتحيَّر ، وأقبل وأدبر ، فدنت منهن واحدة إليه فقالت : يا فتى ، أنت أبو نواس ؟ فقال :

---

(١) الديوان : ٢٤٠ .
(٢) صرفت الهوى : حولته .
(٣) لم تبتذله : فى الديوان: لا يتحدى .
(٤) البيت أول قصيدة فى الديوان : ٢٤٥ وبعده :

خلت من حاجتى الدنيا فليس لوصلها سبب

أنا المُعَنَّى بمَنْ لَا ترث لطول شِكاتى

فقالت له : بالله أنت عاشق . قال : أى والله . قالت : لمن ؟ قال : لمن لا يعلم ما بى ولا أعلم من هو!

قالت : فاجعلنى رسولا إليه فلعلّ الله أن يمنّ علىّ وعليك . قال : هى والله التى معك ، وأَوْمَأَ إلى جنان . فانصرفت عنه إلى جنان وهى تضحك ، فأعلمتها ما دار بينها وبينه . فأنكرت ذلك عليها ، وقالت : مثل هذا الكلب تُطْمِعينه فِىَّ ! وانصرفت ، واتَّبعَهَا حتى عرف منزلها ومولاها ، وسأل عن اسمها فأخبروه فانصرف، وقال :

* تراءتْ لنا كالبَدْرِ وَسْط الكَواكِبِ *

ثم لم يزل يشبِّب باسمها ويُظهره حتى عُرِف بها واستهتر . وأرسل إليها فانتهرَتْ رسولَه وشتمته . وقال فيها أشعارا .

قال أبو نواس : ثم سمعت بعد ذلك أنها للثقفيِّين فعاشرتهم ونادمتهم حتى اشتهرت بها ، ثم راسلتها فجعلت تشتمنى وتشتم رسلى دهرا .

فمما قال فى سبّها له [(١)] :

أتانى عَنْكِ سَبُّكِ لى فسُبِّى ... أليس جَرَى بِفيكِ اسْمِى فَحَسْبِى

وقُولى ما بدَالَكِ أن تَقُولى ... فما ذَا كله إلَّا لِحُبِّى

قُصاراكِ الرجوع إلى وِصالِى ... فما تَهْوَيْنَ[(٢)] مِن تَعْذيب قَلْبِى

تشاهدت[(٣)] الظُّنُون عليكِ عِنْدِى ... وعِلْمُ الغيب فيها عند ربى

---

(١) الديوان : ٢٤١ .

(٢) تهوين : الديوان : ترجين .

(٣) تشاهدت : فى الديوان : تشابهت .

قال أبو نواس : ثم واصلتنى بعد ذلك بحين . وخرجت إلى بغداد وفى نفسى بقايا ما فارقتنى ولا تفارقنى إلّا مع خروج روحى .

قال : وأرسلتُ إليها رسولًا مرة فقالت لها: واضَيَاعاه ! لم يبقَ لى غير أن أُحِبَّ هذا الكلب ! قال : فجاءتنى رسولى متغيّرة فأبلغتنى ما قالت . فقلت :

كَسَرَ الُحبُّ نشَاطِي ولقد كُنْتُ نَشِيطا[1]

قال أبو نواس: شكتنى جنان يوما إلى مولاها فشتَمَنى ، ثم نَدِم على شَتْمى ، فشكانى إلى بعض إخوانى وخاف أن أهجوَه فذكر لى ذلك فقلت[2] :

مَنْ سَبَّنِي من ثَقِيفٍ فإنَّنِي لَنْ[3] أَسُبَّهْ

فكان ذلك مما عطفها ورقَّق قلبها ، وكان أول الأسباب إلى وصلها .

ولمّا بلغه سبُّها له قال للرسول حين أخبره بسبّها له أبياتاً منها[4] :

ما غَضَبِي[5] من شَتْمِ أحْبابِي أعْظَمُ من شَتْمِهِمُ ما بِي

ومما بلغه عنها أن جنانا قالت : فعل الله بالمخنث الكاذب فى حُبّه ، فقال[6] :

جنانُ تَسُبُّنى ذُكِرَتْ بخَيْرٍ وتزْعُم أنَّنِي مَذِقٌ خَبِيثُ[7]
وأنّ مودّتى كَذِبٌ ومَيْنٌ وأنّـى لِلّذى أهوَى بَثُوثُ
وما صدَقَتْ[8] ولا رَدَّ عليها ولـكنَّ المَلُولَ هو النَّكُوثُ

---

(١) البيت من كلمة فى الديوان : ٣٢٧ .

(٢) البيت فى الديوان : ٢٤٠ .

(٣) لن : فى ك : لا . والتصويب من الديوان لأن القافية مفتوحة .

(٤) الديوان : ٢٧٩ .

(٥) غضبى : فى النسخ : عصمتى . والتصويب من الديوان .

(٦) الديوان (آصاف) ٣٦٩ .

(٧) مذق خبيث : فى الديوان: رجل خبيث .

(٨) وما صدقت : فى الديوان : وليس كذا .

ولِي قلبٌ ينازِعُنى إليها ... وشَوْقٌ بين أضلاعِى حَثِيثُ
رأتْ كَلَفِى بها ودوام عَهْدِى ... فملّتنى كذا كان الحديثُ(١)

وكان أبو نواس يحب أيضا جارية لجعفر بن سليمان اسمها حُسْن ، وحُرِمَ صُحبتها كما حُرِم صحبة جنان وعنان ، وكأنه لم يكن مجدودا منهن كما كان من الغلمان .

قيل لأبى نواس : إن(٢) جنانا قد عَزمت على الحج فكان هذا سبب حجه، وقال: أما والله ما يفوتنى الحج والمسير معها عامى هذا ، إن أقامت على عزمها. فظُنَّ مازحا ، فسبقها إلى الخروج بعد أن علم أن جنانا خارجة ، وما كان ينوى الحج ولا أحدث عزمه إلا خروجها .

وقال وقد عاد من حجه(٣) :

أَلَمْ تَرَ أنَّـنى أفنيتُ عُمْرِى ... بمَطْلَبِها ومَطْلبُها عَسِيرُ
فلما لم أجِدْ سَبَباً إليهَا ... يقرِّبُـنى وأعيَتْنى الأُمورُ
حَجَجْتُ وقلتُ قد حَجَّتْ جِنانٌ ... فيَجْمَعُنى وإيّاها المَسِيرُ

حدّث من شاهد أبا نواس لمّا(٤) حج مع جِنان وقد أَحْرَم ، فلما جَنّه الليل جعل يُلَبّى بشعر ، ويَحْدُو ويُطَرِّب فى صوته حتى فُتِنَ به كل من سمعه وهو يقول(٥) :

(١) ليس فى الديوان .
٢) غ (بيروت) : ٢٠/٤ .
(٣) الديوان (آصاف) : ٣٧٧ ـ غ (بيروت) : ٢٠/٤
(٤) غ (بولاق) ١٩/٣ ـ غ (بيروت) : ٢٠/٥
(٥) الديوان : ٦٢٣ باختلاف فى الترتيب ، وكذلك فى غ (بيروت) : ٢٠/٥ .
وفى أخبار أبى العتاهية أنه اجتمع مسلم بن الوليد فى بعض المجالس فجرى بينهما كلام فقال له مسلم : والله لو كنت أرضى مثل قولك:

الحمد والنعمة لك ... والملك لا شريك لك
لبيك إن الملك لك

لقلت فى اليوم عشرة آلاف بيت . غ (بيروت) : ٤/٢٩ ـ مختار الأغانى : ١/٣٠ .

إلـهنا ما أعدلك　　مليك كل من ملك
لبيك قد لبيت لك　　لبيك إن الحمد لك
والملك لا شريك لك　　ما خاب عبد سألك
أنت له حيث سلك　　لولاك يا رب هلك
لبيك إن الحمد لك　　والملك لا شريك لك
والليل لما أن حلك　　والسابحات في الفلك
على مجاري المنسلك　　كل نبي وملك
وكل من أهل لك　　سبح أو لبى فلك
يا مخطئا ما أغفلك　　عجل وبادر أجلك
واختم بخير عملك　　لبيك إن الحمد لك
والعز لا شريك لك　　والحمد والنعمة لك

وفي جنان يقول أبو نواس[١] :

جفن عيني قد كاد يسـ　　قط من طول ما اختلج
وفؤادي من حر حبـ　　ك والهجر قد نضج[٢]
خبريني فدتك نفـ　　سي وأهلي متى الفرج
كان ميعادنا خرو　　ج زياد وقد خرج
أنت من قتل عائذ　　بك في أضيق الحرج[٣]

---

(١) الديوان : ٢٣٠ ـ غ (بيروت) : ٢٠/٥ ـ غ (بولاق) : ١٧/١٢ .

(٢) الرواية في غ (بيروت) ١٨/١١٠ ترجمة ابن مناذر :

وفؤادي من حر حبـ　　ك قد كاد أو نضج

(٣) العائذ : المستجير ـ الحرج : الإثم .

زياد هذا الذى أشار إليه هو زياد بن عبد الوهاب بن عبد الجيد الثقفى[١]، وكان يتعشّق امرأة أبيه بانةَ بنت أبى العاص . وولدت من عبد الوهاب أبا العاص وزيادا وعثمان وعبد الجيد صاحب ابن مناذِر الذى رثاه ابن مناذر بقوله[٢] :

إنّ عبد المجيد يومَ تولّى ... هدَّ رُكْناً ما كان بالمَهْدُودِ

شهدت جِنان[٣] عُرْساً فى جوار أبى نواس فانصرفت منه وهو جالس، فلما رآها امتُقِعَ لونه وقال :

شَهِدَتْ جَلْوَةَ العَرُوس جِنانٌ ... فاستمالَتْ بحُسْنِهـا النظَّارَهْ

حَسِبوها العَرُوسَ حِينَ رأَوها ... فإليها دون العروس الإشارَهْ

قال أهل العروس حين رأَوهـا ... ما دهانا بهـا سِوَى عمّارَهْ

عمّارة: مولاة جنان وهى زوجة عبد الرحمن الثقفى. فلما قال[٤] ذلك قالت له جنان: كأنك كنت معنا . هكذا كانت والله الصفة .

وكان[٥] أبو نواس على حُبِّه لها وصدقه فيها دون من كان يشبّب به من النساء لم تـكن تحِبُّه، فمَّا عاتبها به حتى استمالها بصحّة حبّه لها ، فصارت تحبّه بعـد نبوّها عنه ، قوله[٦] :

جِنانُ إن جُدْتِ يا مُناىَ بما ... آمُلُ لم تقطرُ السماءُ دَمَا

وإن تَمادَىْ ولا تَمادَيْتِ فى ... مَنعِك أُصْبِح فى قفرةٍ[٧] رِمَمَا

---

(١) غ (بيروت) : ١٨/١١٠ .

(٢) غ (بيروت) : ١٨/١١٢ (ترجمة ابن مناذر) .

(٣) غ (بيروت) ٢٠/٦ .

(٤) فلما قال : ليس فى غ .

(٥) غ (بيروت) : ٢٠/٧ .

(٦) الديوان : ٢٣٣ .

(٧) فى قفرة : فى الديوان بقفرة .

عَلِقْتُ بِمَنْ لو أتى على أنفُسِ الـ ... ـماضين والغابِرين ما نَدِمَا
لو نظرتْ عينُه إلى حَجَرٍ ... ولَّدَ فيـه فُتورُها سَقَمَا

قال الجَمّاز[1] : كنت جالسا عند أبى نواس إذ مرت بنا امرأة ممّن تُداخِل الثقفيين ، فسألها عن جِنان وألحف فى المسألة واستقصَى ، فأخبرته خبرها ، وقالت : قد سمعتُها تقول لصاحبةٍ لها من غير أن تعلم أنّى أسمع : وَيْحَكِ قد آذانى هذا الفتى وأبرَمَنى وضيَّق علىّ الطرق بحدّة نظره وتهتّكه ، ومن كثرة فعله لذلك قد لَهِج قلبى بذِكْره والفكرة[2] فيه حتى رَحِمْتُه . ثم التفتت فرأتنى فأمسكت عن الكلام . فسُرَّ أبو نواس بذلك .

ولمّا قامت المرأة أنشأ يقول[3] :

ياذا الذى عن جِنانٍ ظَلَّ يُخبرنِى ... بالله قُلْ وأَعِـدْ يا طيِّب الخَبَرِ
قال اشتكتْكَ وقالت ماابتُليتُ به ... أراه من حيث ما أقبلتُ فى أثَرِى
ويُعْمِلُ الطَّرْفَ نحوى إنْ مرَرْتُ به ... حتَّى يُخجِّلنى مِنْ حِدَّةِ النَظَرِ
وإن وَقفت له كيما يُكلِّمنى ... فى المَوْضِـع الخِلْو لم يَنْطِقْ من الحَصَرِ
مازال يَفْعَل بى هـذا ويُـدْمِنُه ... حتّى لقد صار من هَمِّى ومن وَطَرِى

انصرف[4] محمد بن حفص بن عمر التَّيمى وهو أبو ابن عائشة ، وكان يتولَّى القضاء ، فانصرف من المسجد فرأى فيما بين دار أبان ودار حمران بالبَصْرَة فتًى لَبِقا

---

(١) غ (بيروت) : ٢٠/٧ و ٨ .
(٢) الفكرة فيه حتى رحمته : فى غ : الفكر فيه من كثرة فعله لذلك .
(٣) الديوان : ٢٤٨ .
(٤) غ (بيروت) : ٢٠/٨ — تهذيب ابن عساكر : ٢٦٤/٤ .

دَمِثاً حسن الثياب وعلى رأسه قَلَنْسُوة مُضَرَّبَة[١] واقفاً مع امرأة يكلّمها . قال : فدنوتُ منه وقلت له : يا هذا إن كانت هذه المرأة منك بسبب لقد عرّضتها للتُّهمة ووقفتها موقف سوء ، وإن كانت غريبة منك فحقيق عليك اتّقاء الله وألّا ترضى لغيرك إلّا بما رضيته لنفسك . فالتفت إلىّ وقال لى : القولُ ما قلتَ ، وأنا قابل نصيحتك وغير عائد إن شاء الله تعالى . فولّيت وأنا مفكّرٌ فى أمره فلا أدرى أَستحسِنُ سرعةَ جوابِه أم حسن مراجعته إياى بقلّة الخلاف ، أم ظرف لسانه ؟! فدخلت المسجد الجامع وجلست ساعة ، فلم أشعر إلّا برقعة قد رفعها إلىّ غلام . وإذا فيها : يقول لك أبو نواس[٢] :

إنَّ التِى أَبصَرْتَهَا ... سَحَراً[٣] تكلّمُنى رَسُولُ
لَيْستْ هى القَصْدَ الّذِى ... يُومَى إليه ولا السَّبِيلُ
أَدّتْ إلىّ رسالَةً ... كادت لها نَفْسِى تَسِيلُ
مِنْ ساحِرِ العينَيْنِ يَجْـ ... ذِبُ خَصْرَه رِدْفٌ ثَقِيلُ[٤]
متقلّدٌ[٥] قوسَ الصِّبَا ... يَرْمِى وليس لَهُ رَسِيلُ[٦]
فلو أنَّ أُذْنَكَ بَيْننا ... حَتّى تَسَمَّعَ ما نقُولُ

---

(١) مضربة : ذات طاقين بينهما قطن .
(٢) الديوان : ٢٧٠ .
(٣) سحرا : فى غ : بكرا .
(٤) فى تهذيب ابن عساكر :

من فاتن العينين يُتـ ... عب خصره ردف ثقيل

(٥) متقلد : فى ابن عساكر : متنكب .
(٦) الرسيل : المرافق فى النضال .

لرأيتَ ما استقْبَحْتَه   من أمرِنا وهو الجَمِيلُ[١]
وعلمتَ أنِّىَ فى نَعِيـ   ـمٍ لا يَحُولُ ولا يَزُولُ[٢]

فلما أثبتَه معرفةً خفتُ لسانَه وكان شرِّيرا ، فكتبت إليه : « عزيزٌ علىَّ ما نالكَ من غَرْب لسانى وبادرة لائمتى ، وأنت أحدُ إخوانى فاعذر فإنّ ذاك منّى على غير معرفة ولا اعتماد ، ولست تسمع منّى بعدها شيئا إن شاء الله تعالى » .

كان أبو أُمَيَّة[٣] زوجاً لعارة مولاة جِنان ، وكانت له ضيعة بحَكَمان يقدَمُها هو وابنُ عمِّه وأخوه أبو عثمان . فغابت بحَكَمان ، وأرادت مولاتها أن تغيِّبها عنه لينساها ، وظنت أنّ ذكرَه لها عبث منه ، فكان يقصِدُ الجبلَ بالبصرة فيسأل كل من أقبل من تلك الناحية ، إلى أن جاء يوما فرأى بعض من يعرف.

فقال أبو نواس[٤] :

أسألُ القادمَيْن من حَكَمانِ[٥]   كيف خَلَّفْتُمَا أَبَا عُثْمانِ
وأبا مَيَّـة المهذَّب والمـأ   مول والمرتجَى لرَيْبِ الزّمانِ
فيقولان لى جِنان كما سَرَّ   كَ فى حالِها فسَلْ عن جِنان
ما لَهُم لا يُبـارِكُ الله فيهم   كيف لم يُغْنِ عندهم كِتْمانِى

---

(١) الرواية فى ابن عساكر والأغانى :

لرأيت مـا استقبحت من   أمرى لديك هو الجميل

وفى الأغانى : أمرى هو الأمر الجميل .

(٢) ليس فى غ ولا فى تهذيب ابن عساكر .

(٣) غ (بيروت) : ٢٠/١٠ .

(٤) الأبيات الأربعة فى الديوان (غز): ٢٥٢ ــ غ (بيروت) ٢٠/١٠ ــ معجم البلدان (حكمان) .

(٥) حكمان : اسم لضياع كانت بالبصرة سميت بالحكم بن أبى العاص الثقفى ، وكان اصطلاح أهل البصرة إذا سموا ضيعة باسم زادوا عليها ألفا ونونا .

صرت كالتِنِّ يشرب الماء فيما قال كِسْرَى بِمِلَّةَ الرَّيْحانِ[١]
أو كما قِيلَ قَبْلُ: إيّاكِ أَعْنِي واسْمَعُوا يا معاشِرَ الجيرانِ

فلما بلغت مولاتَها هذه الأبيات بعث إليه : إن أردتَ وهبتُها لك . فقال : أريد ذلك إن أرادته هى . فأُخبرت جِنان بذلك فقالت : نعم، لكن على شرط ألّا يلوط. فقال : ليس إلى هذا سبيل ، ولم أكن لأضمن لها شيئا لا أفى به ، وقال[٢]:

يُشارِطُنى الحبيبُ على الشُّروط ولستُ لما يُشارِطُ بالسَّخُوطِ
أرى تَرْكَ اللِّواط علىَّ عــاراً لأنّى واحِدٌ من قــومِ لُوطِ

قال محمد بن عبد الملك بن مروان الكاتب[٣] : كنت جالسا بسُرَّ من رَأى فى شارع أبى أحمد فأنشدتُ قول أبى نواس :

أسألُ القادِمَيْن من حَكَمان كيف خَلَّفتما أَبَا عُثْمان

وكان إلى جانبى شيخ جالس فضحك . فقلت له : لقــد ضحكت من أمرٍ ! قال : أجل، أنا أبو عثمان الذى قال فيه أبو نواس هذا الشعر ، وأبو ميَّة ابنُ عمِّى ، وجِنان جارية أخى ، ولم يكن فى موضع عشق ولا عِشرة ولا كان مذهب أبى نواس النساء ، ولكنه كان[٤] عبثاً منه .

قال أبو العباس محمد بن يزيد[٥] : قال النابغة [الجعدى][٦] .

أُكْنِى بغير اسْمِها وقد عَلِم الــــلهُ خفيَّاتِ كلِّ مُكْتَتَمِ

---

(١) هذا البيت والذى يليه فى الديوان (آصاف) ٣٩٥. والتن : يبيس الحشيش .
(٢) البيتان فى محاضرات الراغب .
(٣) الخبر فى غ (بيروت) ٢٠/١٠-١١ .
(٤) فى غ : عبث خرج منه .
(٥) غ (بيروت) : ٢٠/١١ .
(٦) زيادة من غ للتوضيح .

وهو سبق الناس إلى هذا المعنى ، وأخذوه جميعا منه فزادوا ونقصوا ، وأحسنُ من أخذه أبو نواس حيث يقول :

* أسأل القادِمَيْن[١] من حَـكَمان *

أشرف[٢] أبو نواس من دارٍ على منزل عبد الوهاب الثقفي وقد مات بعضُ أهله وعندهم مأتم، وجنان واقفة مع النساء تَلْطُم وفي يدها خِضاب ، فقال[٣] :

يا قمـــراً أبرَزَهُ مأتَمٌ ... يَندُب شَجْـواً بَيْنَ أَتْرابِ
يَبْكِي فيُذْرِي الدُرَّ من نَرْجِس ... ويَلْطُم الـــوَرْدَ بعُنَّابِ
لا تبْكِ مَيْتاً حــلَّ في حُفرةٍ ... وابْـكِ قَتيلًا لك بالبــابِ
أبرزَهُ المـأتمُ لي كـارِهاً ... برَغْم دَاياتٍ وحُجَّابِ
لا زَالَ مَوْتاً دأبُ أصحابِه[٤] ... وذَاكَ أن أُبْصِرَه دَابي[٥]

كان سُفيان بن عُيَيْنَة يقول[٦] : لقد أحسن بصريُّكم هذا أبو نوّاس ـ وفتح النون وشدّد الواو ـ حيث يقول:

يا قمراً أبرزَه مأتَمٌ ... يَندب شَجْواً بين أَتْرابِ

ويتعجب[٧] من قوله :

* ويَلْطُم الوَرْدَ بعُنَّاب *

---

(١) في غ (بيروت): المقبلين .
(٢) غ (بيروت) : ١٢/٢٠ .
(٣) في غ والديوان : ٢٤٢ .
(٤) أصحابه : في الديوان : أحبابه.
(٥) في غ : ولا زِل رؤيته دابي .
(٦) أخبار أبي نواس لأبي هفان : ٢٢ ـ تهذيب ابن عساكر : ٢٥٧/٤ ـ تاريخ بغداد : ٤٣٧/٧ ـ غ (بيروت) ١٣/٢٠ .
(٧) في غ : وجعل يعجب .

وقيل(١) إنّ أبا نواس قال هذا الشعر فى غير جِنان ، وذلك أنه كان بدرب عَوْن(٢) حارسٌ(٣) يقال له مُبَارك وكان يلبس ثِياباً نظيفةسَرِيّةً ويركب حِمارا فيطوف عليه السوق بالليل ويكريه نهاراً ، فإذا رآه من لا يعرفه ظنّ أنه من التجار ، وكان يصل إليه فى كل شهر من السوق ما يسعُه ويَفْضُل عنه ، وكانت له بنت من أحسن النساء . فمات مبارك وحضره الناس، فلما خرجت جَنازَتُه خرجت بِنْتُه حاسرة بين يديه ، فقال أبو نواس فيها :

يا قمراً أبرزَه مأتمٌ ... يَنْدُب شجْواً بين أتْرابِ

خرج أبو نواس يوما فلقى جِناناً خارجةً إلى بعض المآتم بالبَصْرة وعليها قِناع وَشْى، فاتبعها وكلّمها وقال : أين تريدين؟ قالت : مأتم آل فلان أُعزّيهم عن ميّت لهم . قال : فأنا والله أتنقّب وأجىء معك حتى أراكِ حاسرة . قالت : شأنك. قال : فتنقّب ومضى معها فى هيئة النساء حتى إذا رآها حاسرة قال فيها(٤) :

يا مُنْسِىَ المأتمِ أشجانَهُم(٥) ... لمَّا أتاهم فى المُعَزِّينَا
حَلَّتْ(٦) قناع الوَشْى عن صورة ... ألْبَسها اللهُ التَّحاسِينا
فاستفتَنَتْهُنَّ بتمثالها ... فهنّ للتكليف يبكينا
حقٌّ لذاكَ الوجه أن يَزْدَهِى ... عن حزنه من كان محْزُونا

---

(١) غ : بيروت : ٢٠/١٣ .
(٢) فى ت : عوف .
(٣) فى ت : رجل ، والتصويب من : غ .
(٤) غ : ٢٠/١١ وفيه الأبيات ولم يذكر الخبر — الديوان : ٢٤٢ .
(٥) أشجانهم : فى غ وتهذيب ابن عساكر : أشجانه .
(٦) حلت : فى الأغانى : سرت ، وسرا الثوب : ألقاه .

قيل لأبى نواس[١]: إنّ امرأةً ذكرت لجنان عشقه لها فشتمته جِنان وتنقّصته وذكرته أقبح الذِكْر، فقال[٢]:

وَابأبى من إذا ذُكِرْتُ لَهُ — وطُولُ وَجْدِى به تَنَقَّصَنى

لو سألوهُ عن وجْهِ حُجَّتِه — فى سبِّه لى لقال: يَعْشَقُنى

نَعَمْ إلى الحشْرِ والتَّنادِ، نَعَمْ — أعشقه أَوْ أُلَفَّ فى كَفَنِى

لا أنثنى ويْكَ عن محبَّتِه — ما دام رُوحى مصاحِباً بَدَنِى[٣]

أَصِيحُ جهراً لا أَستسِرُّ به — عَنَّفَنى فيه من يُعَنِّفُنِى

يا معشر الناسِ فاسمعوهُ وعُوا — إنّ جِناناً صديقةُ الحَسَنِ

فبلغها ذلك فغضبت عليه غضباً شديدا وهجرته وأطالت هَجْره. فرآها ذاتَ ليلةٍ فى منامه وكأنها قد صالحَتْه فاهتاج شوقا إليها، وكتب إليها[٤]:

إذا التقَى فى المَنام طَيْفانَا — عادَ لنا الوَصْلُ كما كانَا

ياقُرَّةَ العينين مابالُنا — نَشْقَى وَيلْتَذُّ خَيالانَا

لوشئتِ إذأحسنت لى فى الكَرَى — أَتْمَمْتِ إحسانَك يَقْظانَا

ياعاشقَيْن اصطلحَا فى الكَرَى — وأَصبحَا غَضْبَى وغَضْبانَا

كذلك الأحلام غَرَّارَةٌ[٥] — ورُبَّما تَصْدُق أحْيانَا

ورآها[٦] يوما فى ديارِ ثقيف فتجَهَّمته[٧] بما يَكْره فغضب وهجرها مدَّة.

---

(١) غ (بيروت): ٢٠/١٥.

(٢) الديوان: ٢٩١.

(٣) لا أنثنى: فى الديوان: لا تثنى. وهذا البيت ليس فى غ.

(٤) الديوان: ٢٤٤.

(٥) غرارة: فى غ والديوان: غدارة بالدال المهملة.

(٦) غ: ٢٠/١٦.

(٧) فتجهمته، فى الأغانى: فجبهته: أى استقبلته بمكروه.

فأرسلت إليه رسولا لتصالحه فردّه ولم يصالحْها، ورآها في النوم تطلب صُلْحه فقال[١]:

دَسَّتْ له طَيْفها كيما تُصالحــه ... في النَّوْم حين تَأَبَّى الصُلْحَ يَقْظَانا

فلم يَجِدْ عند طَيْفِي طَيفها فَرَجاً ... ولا رَثَى لتَشَكِّيه ولا لَانَا

حَسِبتْ أنّ خَيالِي لا يكون كمَاَ ... أكُون من أَجْلِه غَضْبانَ غَضْبانَا

جِنانُ لا تسأليني الصُلْح سرعة[٢] ذا ... فَلَمْ يكن هَيِّناً منك الّذي كانا

كتب أبو نواس إلى جِنان[٣] وقد عتب عليها من أجل كِتاب[٤] :

أَكْثِري السَّهْوَ في كتابك وامْحِيـ ... ـه إذا ما مَحَوْتِه باللِّســانِ

وأَمِرّي[٥] المسحــاة بين ثَنايا ... كِ العِذاب المفلَّجات الحِسانِ

إنّني كلما مــررتُ بسَــطْرٍ ... فيه مَحْوٌ لطعتهُ[٦] بلساني

تلكَ تَقْبيلة لكُم من بَعيدٍ ... قَرُبت لِي وما بَرِحْتُ مَكاني

مرّت[٧] جارية للقاسم بن الرشيد جميلة وفي كفّها نرجس فجمّشها أبو نواس فلم تكلّمه، فقال: ماأقبح الهَجْرَ بك ياسيدّتي! فقالت له: أقبحُ من هَجْرِي إفلاسُك! فأنشأ يقول[٨] :

---

(١) المصدر السابق ــ الديوان : ٢٨٣ .

(٢) في الديوان : مسرعة .

(٣) غ (بيروت): ٢٠/١٨ .

(٤) الديوان : ٢٧٧ والرواية فيه بزياد بيت :

اكتبي إن كتبت يامُنْيَــةَ النفـ ... ـس بنصح ورقَةٍ وبيــان

(٥) أمري: في غ : امرري .

(٦) لطعته : لحسته .

(٧) أخبار أبي نواس لأبي هفان : ٤٥ .

(٨) الديوان (آصاف) : ٤٧ (الباب الأول) .

قُلْتُ لها يوماً ومرّتْ بنا رُعْبُوبَةٌ[١] فى كَفِّها نَرْجِسُ
ما أقبحَ الهجْرَ ! فقالت لنَا : أَقْبَحُ منــهُ عَاشِقٌ مُفْلِسُ

قال أبو نواس[٢] : تعشّقت جارية مغنّيــة من جوارى آلِ المهلَّب فكانت تراسلنى وأراسلها ، فأرسلت إلىّ يوما وصيفة لها لطيفة فعبثت بها ، فأخبَرَتْ بذلك سيِّدتَها ، فكتبت إلىّ تقول :

ليس الفَتَى الحرُّ المُحِبّ مُجَمِّشاً لرَسول حِبَّةِ قلبــه المُرْتاحِ
ذَاكَ الخَلِيُّ من الهوَى وعذَابِه وحَلِيفُ كلّ إرادة ومِزاحِ[٣]

فكتب إليها :

زَعَم الرَّســولُ بأنّنى جَمَّشْتُه كَذَب الرسولُ وفَالِقِ الإصْباحِ
إنْ كنتُ جَمَّشْتُ الرسولَ فغافصت[٤] رُوحِى أناملُ قابِضِ الأرْواحِ
شُغْلِى بِحُبِّك عن سِواكَ وليس لى قَلْبانِ مَشْغُولٌ وآخــرُ صَاحِى
قَلْبِى الذى لم يُبْقِ فيــه هَواكُمُ فَضْــلًا لتَجْمِيشٍ ولا لمِزاحِ

قال الجَمَّاز[٥] : حججنا فى السنة التى حجّ فيها أبو نواس ، فالتقينا فى الطواف جميعا ، ثم تقدّمنى فكنت أراه خلف امرأة ولا أكاد أراه إلّا خلفها ، وهما أمامى ، فلم أدرِ مَنْ هى . ثم صرت إلى الحجر الأسود فإذا أنا بالمرأة تَلْثُمُ الحجرَ وإذا هو قد لَثَمه معها حتى أَلْصَق خدَّه بخدِّها ، فقلت : هــذا أفسق الناس . ثم تَفَطَّنْت

---

(١) رعبوبة : بيضاء حسناء .

(٢) الخبر فى مقدمة الديوان (آصاف) الفصل الأول : ٤٧ ـ الفكاهة : ١٢ ـ المحاضرات : ٢ / ٢٧ .

(٣) إرادة : فى الديوان : خلاعة ـ مزاح : فى الديوان : مراح ، وهو الأشر والنشاط .

(٤) غافصت : فاجأت وأخذت على غرة .

(٥) الخبر والأبيات فى مصارع العشاق : ٥١ على أن المزاحم غلام لا امرأة .

فإذا هى جِنان . فلما انصرفا لقيته ، فقلت له : ويحك فى هذا الموضع لا يَزْجُرك زاجِر ولا يمنعك خوفُ الله عز وجل ، ولا يردُّك حياءٌ من الناس ! قد رأيتُك وما صنعتَ اليــوم . فقال : يا أحمق وحسبت قَطْع المهامِه والسَّباسِبِ والرِّمال إلّا للذى حججت له وإليه قصدت . ثم أنشأ يقول[1] :

وعاشِقَيْنِ التفَّ خَــدَّاهُما عنــد التِثام الحَجَرِ الأَسْوَدِ
فاشتفَيَا من غير أن يَأْثَما كأنّما كانا على مَوْعِــد !
لولا دِفاعُ النــاس إيّاهُما لَمَا استفاقا آخِرَ المُسْنَدِ[2]
ظللنا كِلانا ساتِراً وجهَــه مِمَّا يَلِى جانِبَه باليَدِ
نَفْعَلُ بالمَسْجِد مالم يَكُنْ يَفْعَلُه الأبرارُ فى المَسْجِــدِ

قال هارُون بن سعد بن الحارِث[3] : كنت أسمعُ فى الكوفة بذكر أبى نواس . فسألت أبى أن يجهِّزنى إلى بغداد بتجارة ، ففعل ، فوصلتُ بغداد ولزمت دار أبى نواس وخِدْمتَه حتى قَرُبتُ من قلبه . فإنّى معه ذات يوم فى بعض الطُرق إذ أقبل غلامٌ ما رأيتُ قبله أحسنَ منه بطُرَّةٍ على جبينه ، وشعرة حسنة ، ولباس حسن . وكان أبو نُواسٍ فى يومه ذاك واجِماً كثير الفكر ، فوقف الغلام وسلَّم عليه فردَّ أبو نواس ، وجعل الغلام يمازِحُه فـلا ينبسط أبو نواس له ، فحمل عليه الغلام فى المِزاح والكِياد . فلما أضجره قال لى : معك ألواح ؟ قلت : نعم . قال : هاتِها . فأخذها ، وكتب فيها[4] :

اذهَبْ نجَوْتَ من الهِجاء ولَذْعِه وأما ولَثْغَةِ رَخْمَةَ بن نَجاحِ

(١) الأبيات فى الديوان : ٢٣٣ .
(٢) المسند : الدهر .
(٣) الخبر والأبيات فى تهذيب ابن عساكر : ٤/٢٦٥ .
(٤) الديوان : ٣٨٧ .

لولا فُتورٌ فى كلامك يُشتَهَى ... وترفُّقِي لك بَعْدُ واستملاحِي
وتكسُّر فى مقلتَيْك هـو الّذى ... عَطَف الفؤاد إليك بعد جِمَاحِ
لَعَلِمتَ أنّك لا تمازِحُ شاعِراً ... فى ساعةٍ ليستْ بحِين مُزاحِ

ورحمةُ هذا هو عم نَجاح بن سليمان الكاتب وهو الذى يقول فيه أبو نواس[١] :

إنّى حُمِمْتُ فلم أشعر بحُمَّاكَا ... حتى تَحَدَّثَ عُوّادِى بشَكْواكَا
فقلتُ ما كانت الحُمَّى لتَمْهَدَنِى ... عن غَيْرِ ما عِلّةٍ إلّا لِحُمَّاكَا
وخَصْلَةٍ هى أيضا يُسْتَدَلُّ بها ... عَافَانِىَ اللهُ منها حِينَ عافاكَا
أمَّا إذا اتَّفَقَتْ نَفْسِى ونَفْسُك فى ... هَذَا وذَاك وفى هَذَا وهَا ذاكَا[٢]
فكُنْ لنا رَحْمَةَ نفسى فِداؤك لا ... تَكُنْ خِلافاً لما ذُو العرشِ سَمَّاكَا
فقد علمتَ يقيناً أو ستَعْلَمُه ... صَنِيعَ حُبِّك فى قَلْبِى وذِكْراكَا

وفيه يقول أبو نواس[٣] :

رَحْمَةُ يا نَفْسِى الفِدَا ... ويا غَزَالَ الكَتَبَهْ
قد شَفَّنِى حُبُّك حَتَّـ ... ـى صِرْتُ مِثْلَ القَصَبَهْ[٤]
فليت حَظِّى قُبْلَةٌ ... منك شِرَاءٌ أوْ هِبَهْ
فقال لِى مُسْتَهْزِئاً : ... أَلَا تَمَنَّى حَدَبَهْ
قُلتُ : بلَى يا سيِّدِى ... وسَلْعَةً فى الرَّقَبَهْ

---

(١) الديوان : ٢٩٩ .
(٢) هذا كا : فى الديوان : وفى ذا كا .
(٣) الديوان : ٣٩٦ باختلاف من قصيدة أولها :

يا من لعَيْنٍ سَرِبَهْ ... تفعل فعل الطَّرِبَهْ

(٤) روايته فى الديوان :

أنحلنى الحب فأصـ ... ـبحت شبيه القصبهْ

وقال أبو نواس (١) يهجو عبيد الله (٢) بن أبى سهل بن نُوبَخت :

ثَقِيـلٌ يُطالِعُنا مِنْ أَمَم ... إذا سَرَّه رَغْم (٣) أَنْفِى أَلَمّ (٤)

لِطَلْعته وخْـزَةٌ فى الحَشَا ... كوَقْع الشَارِط فى المُحْتَجِمْ

كأنَّ الفـؤادَ إذا ما بَـدَا ... بإشفَى إلى كَبِـدِى مُنْتَظِمْ

أقُول له إذْ أتَى لا أتَى ... ولا حَمَلْته (٥) إلينـا قَـدَمْ

فقدتُ خيالك لا مِنْ عَمًى ... وصَوْتَ كلامِك لَا مِنْ صَمَمْ

تَغَطَّ بما شِئْتَ عن ناظِرِى ... ولو بحِرِ أمِّـكَ لا تَحْتَشِمْ (٦)

فلما بلغ ذلك أخاهُ سليمانَ بن أبى سهل بن نوبخت أجابَه عنه بقوله (٧) :

وذِى ثَرْوة من قَبِيح الشِّيَم ... صَرِيح الدناءَةِ مولَى الكَرَمْ

بعينَيْه عن كلِّ حُسْنٍ عَمًى ... وأُذْنَيْه عن كلِّ خَيْرٍ صَمَمْ

خَفِىٌّ عـلى أعيُنِ المكرمات ... وأشْهَرُ فى رِيبَـةٍ من عَلَمْ

إذا رُفِعت للخَنَا رايَـةٌ ... ألحَّ على سَاقِهِ واعْـتَزَمْ

وإنْ نَهَضَ النَّاس للمَـكْرُمَاتِ ... فمَا تَحْمِلُ السَّاقَ منه القَدَمْ

ويَغْدُو بحِرْفَتِه (٨) للصَّديق ... وإنْ حَصَّنَتْه دُرُوع النِّعَمْ

---

(١) الديوان : ٥٣٨ .

(٢) عبيد الله بن سهل : فى الديوان (آصاف) : وقال : يهجو ثقيلا يقال له روحاء العمى ويلقب بالجبل .

(٣) رغم أنفى : فى الديوان : رعف أنفى .

(٤) ألم ــ مشدد الميم، وسكن للروى ــ : زارنا .

(٥) حملته : فى الديوان : نقلته .

(٦) فى الديوان : ولو بالرداء به تلتثم .

(٧) الديوان (آصاف) : ٣٤ .

(٨) حرفته : يعنى شكواه من سوء حظه وفقره .

أقــدُّ لنُماه من شَفْرَةٍ ... وأقطع فى عمره من حَــلَمْ[١]
وينمى إلى حَــكَمٍ دَعْوَةً ... وما إنْ له نَسَبٌ[٢] فى حكَمْ
كأن الوقاحة قدّت له ... على وَجْهِه رقعــةً من أَدَمْ
أحبُّ إلى النــاس من قُرْبِـه ... حُـلولُ المَشِيب بهم والسَّقَمْ
وأَشْهَى إلى العَيْن من شَخْصِه ... سَفاً[٣] بَيْن أجفانِها تنتظم
وأسْعَدُ ما تجتَنِيه الأنُـوفُ ... إذا ما تَــكَلَّم داء الخَشَم[٤]
أشَـدُّ الأماكِنِ من نَتْنِـه ... مناسَبةً بيـن دُبْرٍ وفَم
ولمّا تطرّقَ[٥] أعراضَنا ... ولم يَـكُ فى عِرْضِه مُنْتَقَمْ
كتَبْتُ الهجاء على أخْدَعَيْه[٦] ... بمزدَوجٍ من أَكُفِّ الخَدَمْ

فلما سمع أبو نواس هذا الشعر وغيره مما هَجَوْه به قال[٧] :

لقد نَسَلَت رُزَّيْنُ[٨] نَسْلاً من استِها ... عليهن سِيماً فى العُيون تَلُوح
فَعَشْواء مِفحاش[٩] وأعشَى مُضَلّل ... وأَعْوَرُ دَجَّال عليـه قُبُوح[١٠]
إذا استُنطقت رُزَّينُ يوماً تَماجَنَتْ ... وفُو فَرْجِها بالفاحِشاتِ فَصِيحُ
سيبقَى بَقاءَ الدَّهْرِ ما قلتُ فِيكُمُ ... وأما الّذى قـد قُلْتُمُوه فَرِيحُ

---

(١) الحلم : دويبة تسرع فى إفساد الجـلد .

(٢) نسب : فى الديوان : سبب .

(٣) سفا : فى الديوان : غفا ، والغفا : شيء كالزوان والتبن .

(٤) الخشم : فقد الشم لعلة .

(٥) تطرق : فى الديوان : تطرف، ومعناها : نال من أطرافها.

(٦) أخدعيه : يريد قفاه .

(٧) الديوان : ٥١٦ .

(٨) رزين : أم إسماعيل بن نوبخت .

(٩) مفحاش : فى الديوان : مضليل .

(١٠) قبوح : قبح .

خرج[1] أبو نواس مع أصحاب له إلى متنزه بالبَصْرة ، فلما صاروا بدجلتها انشقّ زِقٌّ لهم فيه شَراب ، فقالوا لأبي نواس : ما لنا غيرك . اكتُبْ إلى عبد الملك بن إبراهيم بن قبيصة في نبيذ ، وكان في ضيعة له ، فكتب إليه :

يا ابنَ إبراهيم ياعَبْدَ المَلِكْ وابِقاً أقبلْتُ باللّه وبِكْ
أنتَ للمالِ إذا أصلحتَـه[2] فإذا أفْسدْتَه[3] فالمَالُ لَكْ
إنَّ زِقًّا كان يرْوِي شَرْبَنا عصف الدَّهْرُ عليـه فهَلَكْ

فأمر لهم بما أرْواهم من النبيذ وبدنانير وقال : هذه نفقة هذا .

وكتب أبو نواس إلى صديق له يستهديه نبيذا :

يَوْمُنا يـومٌ لَذِيذُ مالَنَا فيـهِ نَبِيذُ
أنا من تَعْطِيلِ يَوْمِي بِكَ فيه أستَعِيذُ

شرب يحيي بن زكريا دواء ، فأهدَى إليه الناس هدايا وتبارَوْا فيها ، فكتب إليه أبو نواس[4] :

تَنَوَّق في الهديَّة كلُّ قَـوْم إليك غَداةَ شُرْبِك للدَواء
فلما أنْ هممتُ بها مُدِلاً إليك بحُرْمتِي بك والإخاء
رأيتُ كَثِيرَ ما أهْدَوا قَليلًا لمِثْلك فاقتصَرْتُ على الدُّعاء

---

(١) الديوان (آصاف) الباب الأول : ٤٣ .

(٢) أصلحته : في الديوان : أمسكته .

(٣) أفسدته: فيالديوان : أنفقته .

(٤) نسب المرزباني في معجم الشعراء (تحقيق الاستاذ عبد الستار فراج) ٣٨٦ هذه الأبيات إلى أبي الحسن محمد بن أبي حليم المخزوى .

قال بعضهم: صار إلىَّ الحسن بن هانئ[١] فى ليلة من الليالى وهو مرعوب، فنزع ما كان عليه من الثياب وأخذ قميصا وسراويل وإزاراً من ثيابى ثم تطهّر ولبسها، وما زال يصلّى باقى ليلته إلى الصبح ، ثم أصبح صائماً. فسألتُه عن السبب فى ذلك فقال: كنت منصرفا من بعض المَواخير فاجتزْت فى مقبرة ، فبينا أنا ماشٍ فيها إذ أَنْشدت قول ذِى الرمَّة :

بِطِيزَناباذَ كَرْمٌ ما مَرَرْتُ به　　إلَّا تعجَّبْتُ ممَّنْ يَشْرَب الماءَ[٢]

فأجابنى مجيبٌ من المقبرة أسمع صوته ولا أرى شخصه :

وفى جَهَنَّم ماءٌ ما تَجَرَّعَــه　　حَلْقٌ فأبقى له فى الجوف أمْعاءَ

فراعنى ذلك ، فكان منِّى ما رأيت .

قال يحيى[٣] : دخلت على أبى نواسٍ فى عِدّة من الظُّرفاء . فقلنا له : صف لنا الأشرِبَة فقد عرفنا تمكُّنها من شهوتك ، ونَشْوَ محبَّتها فى طبيعتك. فقال : أما الماء فيعظُم خطرهُ بقدر تعذُّره[٤] ، وأما السَّوِيق فبُلْغَة العجْلان وتعِلّة المريض ، والسَّكَنْجَبين دواء المرضَى ويشاركُهم فيه الأصحاء ، والجُلَّابُ[٥] شراب الصبيان ، وأمّا اللّبَن فيُشبع الجائع الغَرْثَان[٦] ويروى الظمآن . وأما الدّاذِى[٧] فكالبَياض

---

(١) فى نهاية الأرب : ٤/ ٢٠٠ تروى هذه القصة عن محمد بن مسروق وأنه خرج فى أيام جهله نشوان يغنى بالبيت (بطيزناباذ .) فسمع البيت الثانى، فكان ذلك سبب توبته واشتغاله بالعلم .

(٢) لم نعثر عليه فى ديوان ذى الرمة ولا فى ملحقه .

(٣) أخبار أبى نواس لأبى هفان : ٩٢ ـ الشريشى : ١/ ١٩٩ وفى المحاضرات للراغب : ١/ ٣٢٦ معزوة إلى بعض الحكماء .

(٤) تعذره : فى الشريشى : تعززه.

(٥) الجلاب : ماء الورد .

(٦) الغرثان : فى النسخ العريان . والغرثان : الجائع .

(٧) الداذى : نبت حبه على شكل الشعير يوضع مقدار رطل منه فى الفرق فتعبق رائحته ويجود إسكاره .

فى الدِّثار والتَّرْسِىِّ[1] فى الشِّعار . وأما العَسل فنبيل المَنْظر سخيف المَخْبَر . وعن الخَمْرة تنفرون، وهى شقيقة الرُّوح وصديقة النفس ما ارتُضِعَتْ ممزوجة، وصِرْفُها غيرُ مأمونٍ على إنهاك البدَن بعاجل الألَم ، وآجل السَّقم ، مع غرس سَقَمٍ يؤدِّى إلى عطب . ثم قال[2] :

لائمى فى المدام غيرُ نَصُوحِ	لا تَلُمْنِى على شَقِيقَةِ رُوحى
لا تَلُمنِى على التى فتنَتْنِى	وأرَتْنِى القَبِيحَ غيْرَ قبيحِ
قَهْوَة تَتْرُكُ الصحيحَ سَقِيماً	وتُعيرُ السَّقِيم ثوْبَ الصَّحيحِ
إنّ بَذْلِى لهـا لبَذْل جَوادٍ	واقْتِنائى لها اقْتِناء شَحِيحِ

ومن جيد شعر أبى نواس[3] ، :

لا تُعَرِّج بدارسِ الأطْلالِ	واسْقِنِيهـا رَقيقَةَ السِّرْبالِ
عُتِّقَتْ فى الدِّنان حتى استفَادَتْ	نُورَ شَمْسِ الضُّحَى وبَرْدَ الظِّلالِ
فهى بِكْرٌ كأنها كُلُّ شىء	حَسَنٍ طَيِّبٍ لَذيذٍ زُلالِ
ولَعَمْرُ المُدام إنْ قلتَ فيها	إنَّ فيها لموضعاً للمَقالِ

كان الجاحظ[4] يزعُم أن عَمْراً أرشَقُ الأسماء وأخفّها وأظرفها وأسهلها مخرجاً ، وكان يسمّيه الاسم المظلوم لإلزامهم[5] به الواو التى ليست منه ولا فيه دليل عليها ، ولا إشارة إليها ، ويزعم أن هذا الاسم لم يقع فى الجاهلية إلا على فارسٍ مذكور أو مَلِكٍ مشهور ، أو رئيس مطاع ، أو سيّد متبوع ، ويعُدُّ جماعة من ذلك .

---

(١) الترسى : ثياب بيض تنسب إلى تُرس : قرية بنواحى الكوفة .

(٢) الديوان : ٢٤ .

(٣) الديوان : ٩٧ .

(٤) شرح الصفدى على لامية العجم (الغيث المسجم) : ١/٤١

(٥) إلزامهم : فى الصفدى : إلزاقهم .

وأنشد على ذلك لأبى نواس يهجو أشجع السُّلَمِى[١] :

أيُّها الدَّعِى ولاء سُلَيمٍ ... لستَ منها ولا قُلاَمَةَ ظُفْرِ
أنت فيها مُسْتَلْحَقٌ مثلَ وَاوٍ[٢] ... أُلحِقَت فى الكِتابِ ظُلماً بعَمْرِو[٣]

وأنشد لأبى نواس أيضا فى ذلك من قصيدة[٤] :

فقلْتُ له: ما الاسم؟ قال سَمَوْءَلٌ[٥] ... على أنَّنِى أُكْنَى بعَمْرٍو ولا عَمْرَا
وما شَرَّفَتْنِى كُنْيَـةٌ عربيَّـةٌ ... ولا أكْسَبَتْنِى لا سَنـاءً ولا فَخْرا
ولـكنَّهـا خَفَّت و قَلَّت حروفُهـا ... وليست كأُخْرَى إنما جعلت وَقْرَا
فقُلْنا له عُجْباً بظَرْفِ لِسانِه : ... أجَدْتَ أبَا عَمْرٍو َنجُودٌ لنا الخَمْرَا

فاستدلّ بقوله :

* وما شرَّفَتْنِى كنية عربية . . . *

على أنها كُنْية الأشراف والملوك والأكابر ، وقوله: «ولا عَمْرا» أى لا وَلَدَ لى لأننى صبى .

وبقية هذه القصيدة :

فأدْبَرَ كالمُزْوَرِّ يَقسِم طَرْفَـه ... لأَرْجُلِنا شَطْراً وأوْجُهِنا شَطْرَا
وَقَالَ: لَعَمْرِى لو أحَطْتُم بوَصْفِها[٦] ... لَلُمْنَاكُم لـكنْ سنُوسِعُكم عُذْرَا

---

(١) الديوان : ٥٤٥ .

(٢) الرواية فى الديوان : إنما أنت من سليمى كواو .

(٣) الـكتاب : فى الديوان : الهجاء .

(٤) الديوان: ٦١ أولها :

وفتيـان صدق قد صرفت مطيهم ... إلى بيت خمار نزلنا به ظهرا

(٥) سموءل : يقال إنه معرب : شميل .

(٦) بوصفها : فى الديوان : بأمرنا. وفى رواية حمزة : لو نزلتم بغيرنا .

فجاء بها زيتيّةً ذهبيّة ... فلم نستطع دون السّجود لها صبرا
خرجنا على أن المُقامَ ثلاثةٌ ... فطاب لنا حتى أقمنا بها عشرا
عِصابةُ سوء لا يُرَى الدهرَ مثلُهم ... وإن كنتُ منهم لا بريًّا ولا صِفرا
إذا ما دنا وقتُ الصلاة رأيتَهم ... يَحُثُّونها[١] حتى تفوتهم سُكرا

ولأبى نواس فى آداب المنادمة[٢] :

ولستُ بقائلٍ لنديمِ صِدقٍ ... وقد أخذ الشرابُ بِعُقْلَتَيْهِ
تناوَلْهَا وإلّا لم أذُقْها ... فيأخذها وقد ثقُلَتْ عليه
ولكنّى أُدِيرُ[٣] الكأس عنه ... وأصرفها بغمزة حاجبَيْه
وإنْ مدّ الوِساد لنوم سُكرٍ ... دفعتُ موسّدى[٤] أيضاً إليه
فذلك ما حَيِيتُ له وإنّى ... أبرُّ بمثله من والديه

وقال أبو نواس[٥] :

وبكر سُلافةٍ فى بيت حانٍ[٦] ... لها دِرْعانِ من قارٍ وطينِ
تحكّمَ عِلْجُها[٧] إذ قلتُ سُمْنى ... على غير البخيل ولا الضّنينِ
فضضتُ[٨] ختامها والليل داجٍ ... فدرّتْ دِرّةَ الوَدَج[٩] الطّعينِ

---

(١) يحثونها : يريد كؤوس الخمر .
(٢) المحاضرات للراغب : ١/٣٣١ــ حلبة الكميت : ٣٣ .
(٣) أدير الكأس : فى المحاضرات: أدارى الشرب .
(٤) موسدى : فى المحاضرات : وسادتى .
(٥) الديوان : ٣٢ .
(٦) بيت حان : فى الديوان : قعردن . ويشير بهذا البيت إلى تقيير الدنان لتسد مسامها ، وتطيينها ليشتد التخمير .
(٧) العلج : كل اعجمى .
(٨) فضضت ختامها : فى الديوان : شككت بزالها .
(٩) الودج : عرق فى العنق .

بِـكفِّ أغرَّ مختضِبٍ بنـانًا ... مُذالِ الصُّدغِ مَضْفُورِ القُرُونِ
لنا منه بعَيْنيـهِ عِدَاتٌ ... يخاطبنا بها كسرُ الجُفُونِ
كَأنَّ الشمس مُقبلةٌ إلينـا ... تَمَشَّى فى(1) قلائد يا سَمِيـنِ
أقول لناقتى إذْ بلَّغَتْـنى ... لقد أصبحتِ عندى باليَمِينِ(2)
فلم أجعلك للغرْبانِ(3) نُحْلًا ... ولا قُلْتُ اشرَقِى بدَمِ الوَتِينِ(4)
حَرُمت على الأزمَّة والوَلايَا ... وأعلاق الرِّحالَة والوَضِينِ

الوَلَايا : البرادِع ـ أعلاق الرحال : ما عليها من العهون وغيرها ـ الوضين : حزام الرحل .

كان أبو نواس يقول(5) : ما أحسن الشماخ فى قوله :

إذا بلّغتِنِى وحملتِ رحـلى ... عَرابة فاشرَقى بدم الوتين

أولا قال كما قال الفرذدق :

علام تلَفَّتِين وأنتِ تَحْتِى ... وخَـيْرُ النَّاسِ كُلُّهم أمامِى
مَتى تأتِ الرّصافةَ تَسْتَرِيحى ... من الأنْساعِ والدّبرِ الدَّوَامِى

وقال أبو نواس(6) :

اسْقِنِى يابنَ أَذِينٍ(7) ... من سُلافِ الزَّرَجُونِ

---

(١) تمشى : فى ك وت : بشمس والتصويب من الديوان .

(٢) باليمين : يريد أنها مصونة مضنون بها .

(٣) للغربان نحلا : فى الديوان : للقربان نحرا .

(٤) اشرقى بدم الوتين : يشير إلى بيت الشماخ .

(٥) غ (بولاق): ٨/١٥٦ .

(٦) الديوان ٧٠ .

(٧) ابن أذين : هو الخمار، وأذين أمه (ذيل زهر الآداب : ٣٢) واستشهد على صحة ما قال بهذا البيت . وفى البيان والتبيين ١/٩٤ (هارون) : «ومن تمام آلة الخمار أن يكون ذميا ويكون اسمه أذين أو شلوما أو مازيار أو أزدانقاذار أو ميشا، ويكون أرقط الثياب مختوم العنق» . هـ . وعلى هذا فيكون أذين خمارا .

اسقِنِى حتى تَرَى بِى ... جِنَّةً غَيرَ جُنونِ
عُتِّقت فى الدَّنِّ حتَّى ... هى فى رِقَّةِ دِينِى
قهوةٌ غُيِّبَ عنها ... ناظِرًا رَيْبِ المَنُونِ
ثم شُجَّتْ فأدارت ... حَوْلَنا مثلَ العُيُونِ[1]
حَدَقًا تَرْنُو إلينا ... لَمْ تُحَجَّرْ بجُفونِ[2]
ذَهَبًا يُثمِرُ دُرًّا ... كُلَّ إبَّانٍ وحِينِ
بيدَىْ ساقٍ عليه ... حلَّةٌ من ياسَمِينِ
وعلى الأُذْنَينِ مِنْهُ ... وَرْدَتا آذرِيُونِ[3]
غايَةٌ فى الظَّرْفِ والشَّكْـ ... ـلِ وفَرْدٌ فى المُجُونِ
غَنِّنى يا ابْنَ أَذِينِ ... ولَهَا بالماطِرُونِ[4]

قال أبو نواس: قلت يوماً لأبى دعامة امضِ بنا إلى عنان. قال: هى تكره مجيئك إليها وعَبَثك بها. قلت: ليس عليها منِّى بأس. قال: فجئنا وكان الظُّهر وهى غير ظاهِرة، ثم تطلَّعت فسلَّمت وسلَّم عليها ولم تقلْ له فى الصُّعودِ شيئا فقال:

عِنانُ يا مُنْيَتِى ويا سَكَنِى ... أما تَرَيْنِى أَجُول فى سِكَكِكْ
مَلَكْتِنِى اليومَ يا مُعَذِّبَتِى ... فصيِّرينى الغَدَاةَ مِنْ فَكَكِكْ
وعَجِّلِى ذاكَ وارْحَمِى قَلَقِى ... وانْبِتِى لى البَرَاةَ فى صَكَكِكْ

---

(١) شجت: مزجت ـ العيون: يريد الحباب (الفقاقيع تعلو الشراب).
(٢) بجفون: فى ك: بعيون، والتصويب من الديوان.
(٣) الآذريون: زهر أصفر.
(٤) الماطرون: موضع بالشام قريب من دمشق. والشطر من بيت ليزيد بن معاوية:

ولها بالماطرون إذا ... أكل النمل الذى جمعا

فضحكت وقالت :

لم يَبْقَ مما نطقتَ قافِيَة ... يقولها قائلٌ سِوَى عَكَكِكْ
بَلَى وأُخْرَى إنْ قالَها فَطِنٌ ... يقولها فى قَرِيض ذى تِكَكِكْ

ثم سكَتَتْ فقلت :

بَلَى وإنْ شئتِ قُلْتُ فيشلة ... تُسْكِن الهائجات من حِكَكِكِ

فأغلقت باب الخوخة وقالت : لا بارك الله فيك . ألم أقل لك لا تَجِئْنِي به ؟!

قال أبو عبد الله أحمد بن أبى فَنَن : دخل مروان بن أبى حفصة على الذّلفاء جارية ابن طرخان وعندها أبو نواس فأعظمه مولاها وأجلّه وقرّب مجلسه، فوجَد أبو نواس من ذلك فى نفسه . فقال : قل لها فلتُجِزْ بيت الحبيب جرير :

غَيَّضْنَ من عبَراتِهنَّ وقُلْنَ لى ... ماذَا لَقِيتَ من الهوَى ولَقِينَا

فقالت وكانت تشبّب بالرشيد :

قد هِجْت بالبيت الذى أنشدْتَنِى ... حُبًّا بقَلْبِى للإمام دَفِيناَ

فقام أبو نواس وهو يقول:

عَجَباً من حماقة الذّلْفاء ... تَتَشهَّى فَياشِلَ الخُلفَاء

قال أبوعبد الله: وزدت أنا على بيت أبى نواس :

لو تَشَهَّيْتِ غيرَها كان أحْرَى ... من أيُور الدُّناةِ والضُّعفاء
إن أحرى الأمورِ عِنْدى مَنَالًا ... شهواتُ الأَكْفاء للأَكْفاء

قال: وألحقت ذلك بشعره فنسب إليه دونى ورواه الناس له .

قال أبو نواس : أوّل اتصالى بالخلفاء أنّ الرشيد قال ذات ليلة لهرثمة بن أَعْيَن : اطلبْ لى رَجُلا يصلُح للحديث والسَّمَر . فخرج فسأل فدُلَّ علىَّ . فأدخلنى عليه فسألنى عن اسمى واسم أبى ، ثم قال لى : ياحَسَنُ أَرِقْتُ فى هذه الليلة تخطَر ببالى هذان البيتان وهما :

وقَهْوَةٍ كاليَقِينِ صَافِيَةٍ ... يَطِيرُ من حُسْنِها لهاشَرَرُ
زَوَّجْتُها الماءَ كي تَذِلَّ لَهُ ... فامْتَنَعتْ حِينَ مَسَّها ذَكَرُ

قال فقلت بديهاً :

كذلِكَ البِكْرُ عند خَلْوَتِها ... يَظهر مِنها الحياءُ والخَفَرُ
حتَّى إذا سَاسهاَ مُمَلَّكُها ... فما لَها فِيـه ثَمَّ مُزْدَجَرُ
عادَتْ لـه ثَيِّبًا تُفاكِهُه ... قد غابَ عنها بالرِقَّةِ الأَشَرُ
تُرْضِعُه تارةً وتتبعه ... صَرِيعَ كَرْمٍ بعَيْنِه حَـوَرُ

فقال : أحسنت والله! وأمر لي بمال ، وكان سببَ اتصالي به .

صعد[1] الرشيد يوما على بعض سطوح قَصْرِه فرأى جارية عُريانة، فلم يزل يديم النظرَ إليها وهي تغتسل حتى التفتت فنظرت إليه ، فلما رأته سترت فَرْجها بيدِها ونزلت عن السطح الذي كانت عليه ، ونزل الرشيد فقال : عَلَيَّ بأبي نواس . فجيء به فلما دخل قال له : قل على بيتٍ قُلْتُه . قال : قل يا أمير المؤمنين . كيف قلت ؟

فقال الرشيد :

نَظَرَتْ عَيْنِي لِحَيْنِي ... نَظَراً وافَقَ شَيْنِي

فقال أبو نواس :

سَتَرتْه إذ رأتـني ... بين طَيِّ العُكْنَتَيْنِ
فبَدَتْ مِنْه فضُولٌ ... ما تُوارَى باليَدَيْنِ

فقال : عرفتَ القصّة يا ابن الخبيثة ! لخلف ماعرفها ، ولكن شيء وافق شيئا . فأمر له بعشرين ألف درهم . قال : وأمر بجوارِي القصر يُعْرَضن فلم يظفر بالجارية

(١) هذا الخبر وارد في طبقات ابن المعتز : ٣٤ في أخبار بشار ، وأن القصة بين المهدي وبشار وأنه هو الذي قال هذه الأبيات، وانظر أيضا تجريد الأغاني : ٣٩٩ .

فيهنّ ، فصعد ومعه مسرور الخادم فأوَى إلى الحجرة التى رآها ، وإذا هى طبّاخة فحظيت عنده وولدت منه .

قال بعض النُّوبَخْتِيّين ممّن يحيط علما بأحوال أبى نواس : إن هذه الحكايات عن أبى نواس والرشيد موضوعات ، وإن أبا نواس ما دخل على الرشيد قط ولارآه ، وإنما دخل على محمّد الأمين ، وماملك أبو نواس عشرين ألف نَواة ، فكيف عشرين ألف درهم ! !

كان محمّد الأمين يُعَرْبِدُ إذا سكر وأراد كَوْثَرٌ أن يُطْرِف الأمينَ بأبى نواس فجمع بينهما . فقال أبو نواس لكوثرٍ : إن السّقى إليك فارفُق به ، يعنى محمدا ، فإنه إذا سكر عربد وقتل . قال : فجعل كوثر يسقيهما ، ثم إن محمّدا غلب عليه السكر فقال لكوثر : جئنى برأس أبى نواس . فأخذه كوثر فقال له : قد أُمِرتُ بقَتْلِك ولا بد من إمضاء الأمر فيك . فقال له أبو نواس : أنا والله أصحَى من أبى حنيفة ، والرجل سكرانُ وليس يُحِب قتلى ، ولكنه مغلوب. قال : ومايدريك لا بدّ من إنفاذ أمره. فقال : أغلق علىّ أىّ المجالس شئت وأَقفِل وأنا فيه حتى يصبح . ففعل ذلك واستوثق منه . فلما نهض من سكره قال : أين أبو نواس ؟ فقال له كوثر : قتلته يا سيّدى البارحة بأمرك ! فزبر كوثراً وصاح عليه وقال : والله لو قتلته قتلتُك . فأتى كوثر ففتح عليه وجعل يُضاحكه ويُلاعبه ويقول له : أنت ساحر ، أنت شيطان . ثم قال : دعنى وإياه يابن الفاعلة . والله لأفعلنّ به ولأصنعنّ . فلما نظر إليه قال له أبو نواس : إنما أنت عربيد ! فجعل لا يدع بليَّة إلّا قالها ، ومحمّد يضحك . فمّا قال[1] :

---

(١) الأبيات منسوبة إلى الحسين بن الضحاك مع إبراهيم المهدى غ (بولاق) : ٦ / ١٧٩ تجريد ٨٦٠ .

نَديمى ليس منسوباً إلى شــــىء من الحَيْف

سَقانى ثمّ حيّـانى كَفِعْل الضَّيْفِ للضيْفِ

فلمَّا دارت الـكاس دَعَا بالنِّطْع والسَّيْفِ

كذا من يَشْرَبُ المـاء مع التِّنِّين فى الصَّيْفِ

فأمر له بجائزة ومركب ، وقال : الزم المنادَمَة .

وروى فى هذه الأبيات غير هذا ، وهو أن القاسم بن الرشيد كان ماجنا وكان أجمل أهل زمانه ، فقال يوما لأبى نواس : سألتك بالله لما صَدَقْتنى عمّا أسألك . قال : إى وحياتك يا سيدى . قال: أنشتهينى ؟ قال : ما خطر ببالى هذا قط . فقال القاسم : بَلَى قد رأيتُك تنظر إلىّ بشهوة ، فبحياتى عليك إلّا صدقتنى . فقال : يا سيدى ماأظن أحداً من العباد يراك فيعافك. فقال : يابن الفاعلة ! ثم أمَرَ به أن يُشَدَّ ويُضربَ عنُقُه. فأنشأ يقول:

نَديمى غَيْرُ مَنسوبٍ إلى شىء من الحَيْفِ الأبيات .

وتُروَى هذه الأبيات للحسين بن الضحاك يقولها لإبراهيم بن المهدى .

وكان[1] أبونواس قد تعشَّق كوثراً هذا، فقال له أصحابه: لِمَ لا تقول الشعرَ فيه ؟ قال : فالتفت فقال : يا مجانين أمَّا وأنا أروِى بيتاً واحداً للنابغة فلا . ثم أنشأ يقول[2] :

أصبحتُ[3] صَبًّا ولاأقولُ بِمَنْ مِنْ خَوْف من لا يَخافُ من أَحَدِ

---

(١) ذيل زهر الآداب : ١٣٦ .

(٢) الديوان : ٤٢٥ .

(٣) أصبحت صبا : فى الديوان : إنى لصب .

إنْ أنا فكرتُ في هَوايَ لَهُ   مَسَسْتُ رأسِي هل طار عَن جَسَدِي
إنِّي على ماذَكَرْتُ من فَرَقٍ   لآمِلٌ[1] أن أنالَهُ بيدِي

وبيت النابغة الذى عناه أبو نواس هو :

نُبِّئتُ أنّ أبا قابوسَ أوْعدَنِى   ولا قَرار على زَأْرٍ من الأَسَدِ

وقيل إن هذه الأبيات التى هى :

* أصبحت صَبًّا ولا أقول بِمَنْ *

إنمـا قالها أبو نواس فى محمد الأمين . وقالوا إن أبا نواس[2] كان يشرب يوما مع الأمين فنشط للسباحة فلبس ثياب مُلْحَم[3] ولبس كوثر مثل ذلك ووقعا فى البركة فنظر أبو نواس إلى بدن محمد فرأى شيئا لم ير مثله . فلما كان من غد جاءه الحسين ابن [أبى] المنذر مسلِّما عليه ، قال الحسين : فسألته عن خبره مع محمد فقال : ويلك! رأيت الفتنة . ثم حدّثنى بخبره معه ، وأنشد هذا الشعر فى محمّد الأمين :

* أصبحت صَبًّا ولا أقول بِمَنْ *   الأبيات .

قال الحسين : فقلت له : ويحك اتّقِ الله فى رأسك فإنه إن بلَغَه قتلك! فأمسك.

وقيل إن الأبيات التى أباح بها الأمين،[5] قتل أبى نواس هى[6] :

يا قاتِلَ الرَّجُلِ البرى   ءِ وغاصِبًا[7] عِزَّ المُلُوكْ
كَيْفَ السَّبِيلُ لِلَثْم سا   لِفَتَيْكَ أو تَقْبِيلِ فِيكْ

---

(١) لآمل : فى الديوان : لا آمل .

(٢) أخبار أبى نواس لأبى هفان : ١٠١ .

(٣) الملحم : ثياب سداها إبريسم ، أى حرير أبيض ، ولحمته غير إبريسم .

(٤) زيادة يقتضيها تصويب الاسم .

(٥) الأمين : فى ك: المأمون، والتصويب من الواقع التاريخى .

(٦) الأبيات فى ذيل زهر الآداب : ١٣٦ .

(٧) غاصبا : فى ذيل زهر الآداب : سالبا

اللهُ يعلمُ أنَّنِي أهْوَى هَواكَ وأشْتَهِيكْ
وأصُدُّ عنكَ حِذَار أنْ تَقَعِ الظُّنون عَلَيَّ فيكْ
إنّى أهابُك أن أبُو ح بِمَا أُجِنُّ وأتَّقِيكْ

قالوا : الصحيح أن هذه الأبيات إنما قالها أبو نواس فى كوثر خادم الأمين .

وكان الأمين[١] معجبا بشعر أبى نواس ، فلما سمع محمد قول أبى نواس[٢] :

اسقنيها يا ذُفافه مرة الطَّعم سلافَهْ
هاتِها جَهْرًا ودَعْنِي من أحاديثِ خُرافَهْ
قَهْوة ذات اخْتِيَالٍ سَلِمَتْ من كلّ آفَهْ
إنّ غَيْرِى مَنْ قَلاها[٣] لِرَجاءٍ أو مَخَافَهْ
ذَلّ بل ضَاع الّذِى به ذل فيها يا ذُفافهْ
مِثْلَما ذلّت وضَاعَتْ بَعْد هارُون الخلافه[٤]

حَقَد عليه الأمين ذلك .

فلما أنشد قوله[٥] :

وفِتيان صِدْقٍ قد صرفن مَطِيَّهُمْ إلى بيت خَمّار نَزلنا به ظُهْرَا
فلمّا حكَى الزنّار أن ليس مُسْلِما ظَننّا به خيراً فصيَّره[٦] شَرًّا

---

(١) الأمين : فى ك: المأمون. وانظر الطبرى : ٣/٩٧٣ .

(٢) الديوان : ٩٦ باختلاف ترتيب وزيادة .

(٣) قلاها : أبغضها .

(٤) البيت يشير إلى الخلاف الذى وقع بين المأمون والأمين ولدى هرون الرشيد .

(٥) الديوان : ٦١ ـ أخبار أبى نواس لأبى هفان مع خبر طويل : ٢٤ـ٢٥ .

(٦) فصيره شرا : فى الديوان : فظن بنا شرا .

فقُلنا علىٰ دين المسيح بن مَرْيم ... فأعرضَ مُزْوَرًّا وقال لنا كُفْرَا[١]
ولكنْ يَهُودِيّ يُحِبُّك ظاهراً ... ويُضْمِر فى المَكْنُون منه لك الغَدْرَا[٢]
فجاء بها زيتيَّة ذَهَبِيَّة ... فلم نستطع دون السُّجود لها صَبْرا
إذا ما دَنا وقت الصلاة رأيتَهُم ... يَحُثُّونها حتى تَفُوتَهمُ سُكْرا

وسمع أيضا قوله فى مواضع أخر من كفره ، حبسه وقال: أنت زنديق .

ولما[٣] أحضره وقرّره على الزَّنْدَقَة قال : لا والله يا سيدى . ثم أنشده بديها :

أُصَلِّى صَلَاةَ الخمْسِ فى حِينِ وَقْتِها ... وأَشْهَد بالتَّوْحيد لِلّٰه خاضِعاَ
وأُحْسِنُ غُسْلًا إنْ ركبتُ جَنابَةً ... وإن جاءنى المِسكينُ لم أَكُ مانِعاَ
وإنّى وإنْ حانت من الكأْسِ دَعْوةٌ ... إلى بيعة السَّاقِى أَجِبْه[٤] مُسارِعًا
وأَشْرَبها صِرْفا على جَنْبِ[٥] ماعزٍ ... وجَدْيٍ كثير اللَّحْمِ أصبح راضِعاَ
بجُوذاب[٦] حُوّارَى وخُبْزٍ[٧] وسُكَّرٍ ... وما زال للمخمور مُذْ كانَ نافِعاَ
وأَجْعَلُ تَخْلِيط الرَّوافِض كُلِّهم ... لفَقْحَةِ بَخْتَيْشُوع فى النَّارِ طَابَعاَ

قال : فضحك وقال : ويلك كيف اختصرت على بختيشوع ! فقال : يا سيدى لم تستقِم القافية إلّا به . فأمر له بجائزة وأطلقه .

---

(١) كفرا : فى رواية هجرا . والهجر : القبيح من الكلام.
(٢) الغدر : فى رواية : الختر ، وهو بمعناه .
(٣) تهذيب ابن عساكر : ٤/٢٦٩ــ تاريخ بغداد : ٧/٤٤٠ .
(٤) أجبْه : فى تاريخ بغداد : أجبت .
(٥) جنب : فى تاريخ بغداد : لحم .
(٦) الجوذاب : طعام يتخذ من لحم ورز وسكر .
(٧) خبز : فى تاريخ بغداد وابن عساكر : جوز .

قال عاصم بن حُمَيْد بن تميم الورّاق[١] : رأيت أبا نُواسٍ وهو فى سراويل والناس يَجُرُّونه ويضربونَه فى قفاه بالنِّعال ويقولون : زِنْدِيق ، ويرمونه بالحجارة حتى أدخلوه إلى محمد بن زُبَيْدة . فقال : ما هذا ؟ قالوا : زنديق . فقال : السيف والنِّطع . فقال أبو نواس : أصلِّى ركعتين . فأفرجوا عنه، فتهيَّأ للصلاة ثم رفع رأسه إلى السماء وكَبَّر وصَلَّى ركعتين ، وقال[٢] :

سُبحانَ من خَلَقَ الخلْـ ... قَ من ضَعيفٍ مَهينِ[٣]

فسَاقَــه من قَرَارٍ ... إلى قرارٍ مكِــينِ

فى الحُجْبِ شيئاً فشيئاً ... يُحارُ[٤] دونَ العيونِ

حَتَّى بَدَتْ حَرَكاتٌ ... مَخْلُوقَةٌ من سُكونِ

فقال محمد : ما هذا زنديق . أعطوه ألف درهم واخلعوا عليه . فخرج تحت الخِلَع وطردوا الناس عنه . وقال : أَجْرُوها عليه. فلم يزل يُجْرِيها عليه حتى مات .

قال النظام : لما سمعت هذه الأبيات نبَّهتْنِى لشىء كنت غافلا عنه حتى وضعت كتاباً فى الحركة والسكون .

قال ابنُ حبيب[٥] : كنت مع مُؤْنس بن عِمران ونحن نريد الفَضْلَ بن الربيع ببغداد . فقال لى مؤنس : لو دخلنا على أبى نواس فى السجن فسلّمنا عليه . ففعلنا . فقال أبو نواس لمؤنس : أين تريد ؟ قال : أردت أبا العباس الفضل بن الربيع .

---

(١) فى تهذيب ابن عساكر خبر عن هذه الأبيات يخالف ما هنا ، وأنه كتبها على دفتر كتب عليه أبو العتاهية أبياتا قبله ، وكذا فى طبقات ابن المعتز ٢٠٧ .

(٢) الديوان : ٦١٩ ــ طبقات ابن المعتز (ثلاثة أبيات) : ٢٠٧ .

(٣) ضعيف مهين : يشير إلى قوله تعالى (من ماء مهين) .

(٤) يحار : فى الديوان : يحور . والمعنى يحول من شىء إلى شىء ، ورواية البيت فى طبقات ابن المعتز :

يحول خلقــا فخلقا ... فى الحجب دون العيون

(٥) الخبر والأبيات فى الطبرى : ٣/٩٧٣ .

قال فتبلّغه[١] رقعةً أعطيكها ؟ قال : نعم . فأعطاه رقعة فيها[٢] :

ما مِنْ يَدٍ فى النـاسِ واحدةٍ ... كَيَدٍ أبو العبـاس مَوْلاهَا[٣]
نام الثقات[٤] على مَضاجِعِهم ... وسَرَى إلى نَفْسِى فأحياهَـا
قد كنتُ خِفْتُك ثم آمَنَـنِى ... مِن أن أخافَك خَوْفُك اللهَ
فعَفَوْتَ عَنِّى عَفْوَ مقتدِرٍ ... وَجَبَتْ له نِقَمٌ فألْغاهَـا

فكانت هذه الأبيات سبب خُروجه من السجن .

انصرف أبو نواس من بعض المواخير سكران فمرَّ بمسجدٍ قد حضرت فيه الصلاة فدخل . فقام فى الصفّ الأول فقرأ الإمام « قل يا أيها الكافرون » ، فقال أبو نواس مِنْ خَلْفِه : لبَّيْك . فلمّا قُضِيت الصلاة لَبَّبُوه وقالوا له : يا كافر نشهد عليك بالكفر ، ورفعوه . فبلغ خبرُه الرشيدَ فدعا له حَمْدَوَيْه[٥] صاحب الزَّنادِقَة وأحضره ، فقال له ياأمير المؤمنين: إن هذا ماجن وليس هو بحيث يظُنُّ أميرُ المؤمنين . فقال له الرشيد : ويحك! إنه وقع فى نفسى منه شىء فامتحِنْه . قال : فخط له صورة مانى وقال له ابصق عليها . فأهوى أبو نواس يده إلى فيه ليقىء عليها . فقال له حَمْدَوَيه: قد قلت لك ياأمير المؤمنين إنّه ماجن . قال: ودعا برجل من الزنادقة مشهور فقال له : ابصُق عليها فقال : وما معنى البصاق ، إنه ليس من أخلاق السَّراة[٦] ولا أفعالهم . وأبى أن يفعل . فقال الرشيد لبعض خدم القصر : امض بهذا -يعنى أبانواس- إلى السِّنْدِى[٧] فقل له أدِّبه وأَطْلِقه ، وبهذا -يعنى الزنديق- فقل له احبسه

(١) فتبلغه : فى النسخ : فبلغه - والتصويب من الطبرى .
(٢) الديوان : ٤٥٩ .
(٣) أبو العباس : الفضل بن الربيع - مولاها : صاحبها والمتفضل بها .
(٤) الثقات : الخلصاء والأصدقاء .
(٥) حمدويه : فى ك وت : حمدونة والتصويب من الوزراء والكتاب . وهو حمدويه بن على
(٦) فى ت : الشركة .
(٧) السندى : هو السندى بن شاهك وكان يلى الجسرين ببغداد (الوزراء : ٢٣٦) .

قبلك إلى أن تستتيبه، فإن تاب وإلا قتلناه . فمضى بهما الخادم، فلما صار فى آخر الصحن قال أبو نواس للخادم: إلى أين تذهب بنا ؟ قال : إلى السِّنْدى . قال : ما تقول له ؟ قال : أقول له يحبسك قبله حتى تستتاب أو تقتل ، ويؤدب هذا ويطلقه . قال : فرفع أبو نواس يده ولطمه وقال: ياابن الزانية أمن الساعة نسيت ؟ ! وبصر بهم الرشيد فقال : ردوهم . فردوهم . فقال لأبى نواس : ما هذا الذى رأيت منك ؟ قال أراد والله أن يهلكنى ويطرحنى بحيث أُنسى أبدا وأبقى مخلّدا . سله ياأمير المؤمنين عن الرسالة. فسأله فإذا هو قد غيّرها . فضحك من أبى نواس وأطلقه .

قال محمد بن المُكَرَّم : هذا والله من المُجون البارد الغَثِّ الخارج عن حد العقل والأدب والاستحسان . ولعمرى إنّ الماجن ليتأدّب مع مخلوقٍ مثله إذا كانت له أدنى صورة ، فكيف لا يتأدّب مع القدرة الرّبانية ! ولأبى نواس فيما عدا ذلك من المجون مجال مُتّسع . ولقد أذكرتنى هذه الصورة حكايةً عجيبة سمعتها ، وذلك أنّى مررت فى بلاد الغور على سَدُوم ومدائن قوم لوط والبُحَيْرة ، فرأيت فيها من العبرة ما ذكره الله عز وجل فى كتابه الكريم فى قلبها ، ورأيت عاليها سافلها وسافلها عاليها ، وهى فى غاية ما يكون من الظلام والقتام والخراب، تقشعر منها الجلود حتى كأنّ النار فى أرجائها ، والدخان يتصعّد من أنحائها ، فتعجبت من ذلك وتعوذت من عذاب الله تعالى . فقال لى شَخص من أهل زغر : أُطْرِفُك بأعجوبة ما يُحْكَى أعجب منها ! فسألته عنها فقال : مرّ رجل فى هذا المكان فرأى ما رأيتَ من هذه المدائن فتعجّب منها وسأل عنها فقيل له : هذه مدائن قوم لوط ، فقال : هاه ، هذه مدائن أصحابنا . فما استتم كلامَه حتى غاصت به الأرض وابتلعته ، فكأن لم يكن فى موضعه أحد ! فليت شعرى ما الحامل لأبى نواس على هذا المجون المملوء من التهكّم بالربوبية ! نعوذ بالله من خذلانه ، ونستغفر الله رَبَّ العالمين.

قال رزين الكاتب : اجتمعنا يوما أنا وأبو نُواس وعليّ بن الخليل والقراطيسى فى سوق الكَرْخ ، وكنا نجتمع ونتناشد ونتذاكر ونتحدّث ، فقال أبو نواس: ياقوم جفانى أوْثَرُ مَنْ كان فى نفسى ، وكان أسرع الخلْق إلى طاعتى ، فما أدرى ما أحتال له . فقال على بن الخليل يمازحه : يا أبا علىّ سل شيخك وأستاذك يعطفه عليك ! قال : مَن تَعْنِى ؟ قلت : من أنت فى طاعته ليلك ونهارك ، يعنى إبليس، فإن لم يقض لك هذه الحاجة فما ينبغى أن تسأله مسئلة ، ولا أن تقرّ عينه بمعصية . فقال : هو أشدّ كرامة من أن يخلّ بى ويخذلنى . وانقض مجلسنا ذلك . فلما كان بعد أيام اجتمعنا فى ذلك الموضع وأخذنا فى أحاديثنا ، فضحك أبو نواس ، فقلنا : ما أضحكك ؟ فقال : ذكرت قول على بن الخليل يومئذ سل شيخك يعطِّف عليك حبيبك ، قد سألته يا أبا الحسن فقضى الحاجة ، وما مضت والله ثالثة حتى أتانى من غير أن أبعث إليه ومن غير أن أستزيره ، فعاتبنى واسترضانى ، وكان الغضب منه والتجنّى ! وأحسب الشيخ كان يتسمع علينا فى وقت كلامنا . وقد قلت أبياتا فى ذلك. فقلنا له : هاتها فأنشد[1]:

لمَّا جفـانِى الحبيبُ وامتنعت ... عَنِّى الرسالاتُ منهُ والخَبرُ
اشتدَّ شوقِى فـكاد يَقْتُلنِى ... ذكْرُ حبيبى والهمّ والفـكر
دعوتُ إبليسَ ثم قلتُ لـه ... فى خَـلْوةٍ والدُموع تَنْحَدِرُ
أمَا تَرَى كيف قـد بليت وقد ... أقرَح جَفْنِى البكاء والسهرُ
إنْ أنتَ لم تُلْقِ لى المودَّة فى ... صَدْرِ حبيبى وأنْتَ مُقْتَدِرُ
لا قلتُ شعراً ولا سمعتُ غِنـاً ... ولا جَرَى فى مَفاصِلِى السَّكَر
ولا أزالُ القُرآن أدْرُسـه ... أرُوحُ فى دَرْسـه وأبتَـكِرُ

(١) الديوان : ٣١٣ عـدا البيتين الأخيرين .

وأَلْزَم الصومَ والصَّلاةَ ولا ... أزالُ دَهْرِى بالخَيْرِ آتمِرُ
فما مضَتْ بعد ذاك ثالِثَةٌ ... حتى أتانى الحبيبُ يَعْتَذِرُ
ويطلبُ الوُدَّ والوِصالَ على ... أفضل ما كان قَبْلُ يَهْتَجِرُ
فيالها مِنّة لقد عَظُمتْ ... عندى لإبليسَ ما لها خَطَرُ

قال الحسين[1] بن أبى المنذر : كان أبو نواس يشرب عند عبيد بن أبى المنذر وبات ليلته ثم قال : لا بد لى من عُمَّى[2] فقوموا بنا . فأتيناها ودخلنا حانةَ خَمَّار قد كان يعرفه ومعه غلام كان قد أفسده على أبويه وَغيبه عنهما زمانا ونحن فى أطيب موضع . فذكّرنا ما نحن فيه من الطِّيبة والنعيم نعيمَ الجنة وطيبها والمعاصى وما يحول عنه منها وهو ساكت ، فقال[3]:

يا ناظراً فى الدِّين ما الأَمْرُ ... لاَ قَدَرٌ صَحَّ ولا جَبْرُ
ما صَحَّ عندِى من جَمِيعِ الّذِى ... يُذْكَر إلّا المَوْتُ والقَبْرُ

فامتعضنا من قوله وأطلنا توبيخَه وأعلمناه أننا نتخوف من صحبته . فقال : ويلكم والله إنى لأعلم ما تقولون ، ولكن المجون يُفرط علىّ ، وأرجو أن أتوب فيرحمنى الله تعالى . ثم قال[4] :

أيّة نارٍ قدح القادِحُ ... وأىّ جَدٍّ بلغ المازِحُ
لِلّه درُّ الشَّيْب من واعِظٍ ... وناصحٍ لو حذر[5] الناصحُ
يأبى الفتى إلّا اتباع الهوَى ... ومنهجُ الحق له واضِحُ

---

(١) تاريخ بغداد : ٧/٤٤١ ـ أخبار أبى نواس لأبى هفان : ٣٦ ـ تهذيب ابن عساكر : ٢٧٠.
(٢) عمى : قرية من نواحى بغداد قرب البردان وعكبرا .
(٣) الموشح : ٢٧٦ ـ وفى المعانى للعسكرى : ٢/٢٥١ بدون عزو .
(٤) الديوان : ٦١٨ .
(٥) حذر : فى الديوان : سمع .

فاعمد[١] بمينيك إلى نسوة مهورهنَّ العملُ الصالِحُ
لا يَجْتَلِى العذراء[٢] فى خِدْرِها إلا امرؤٌ مِــيزانُه رَاجِـحُ
مَن اتَّقى اللهَ فذاكَ الّذِى سِيــق إليه المَتْجَرُ الرَّابِحُ
فاغْدُ[٣] فما الدِّين أغلوطةٌ ورُحْ بمــا أنت له رائحُ

ثم قال : هذا هو عمل الشيطان ألقى الزهد فى الـكلام ليُفسد يومكم . فلمْ نَزَل فى أطيب موضع . فلما أردنا الانصراف قال : أمْهِلُوا ، ثم أنشدنا[٤] :

يا رُبَّ مجلِسِ فتيانٍ لهوتُ[٥] به والّليل مستخلَس[٦] فى ثَوْبِ ظَلْمَاء
نشْتف[٧] صافيةً من صدر خابِيَــةٍ تُعْشِى عيونَ نداماها بلألاء

كان الجاحظ يقول[٨] : لا أعرف من كلام الشعراء كلاماً هو أرفع ولا أحسن من قول أبى نواس :

* أيَّةَ نارٍ قدَح القادِح . . . *

قال سليمانُ بن أبى سهل[٩] : مرَّ بى أبى نواس فى يوم من أيام الربيع وقد طَشّت السماء[١٠] فلما دخل من الباب لم يكلمنى حتى قال[١١]:

---

(١) فاعمد فى الديوان : فاسم .
(٢) العذراء : فى الديوان وأبى هفان : الحوراء .
(٣) فاغد : فى الديوان : شمر .
(٤) الديوان : ١٠٧ .
(٥) لهوت: فى الديوان : سموت .
(٦) مستخلس : فى الديوان : عتبس .
(٧) نشتف : فى الديوان : لشرب .
(٨) تاريخ بغداد : ٧/٤٤٢ ـ تهذيب ابن عساكر ٤/٢٧٠ .
(٩) أخبار أبى نواس لأبى هفان : ٢٠ وقد تقدم هذا الخبر فى ص١٠٣ عن أحمد بن العباس.
(١٠) طشت السماء : أمطرت فوق الرذاذ .
(١١) الديوان : ٥ .

ما مِثْل هذا اليوم فى طِيبِه   عُطِّلَ من لَهْوٍ ولا ضُيِّعَا
فما تَرَى فيه وما ذا الّذى   تُحِبُّ فى ذا اليوم أن تَصْنَعا
هَلْ لك أن نغدُو على قَهْوَةٍ   تُسْرِع فى المرء إذا أُسْرِعا
ما وَجَد الناس وما جَرَّبُوا   لِلهَمِّ شيئاً مِثْلَها مدفَعَا

قال : فقلت له : ما كان يُسْعِدُنى على هذا اليوم غيرك . أقم فعندنا كلّ ما نحتاج إليه. فأقام عندى يَوْمَه. فلما كان فى السَّحَر وقد أفرط عليه السُّكر حتى ظننته لا يُطيق إنشادَ بيت ، قال : يا سليمان اسمع وأنشد[1] :

باح لسانى بعضمَرِ السِّرِّ   وذاك أنى أقول بالدهر
ولَيْسَ بَعْدَ المَمات مُرْتَجَعٌ   وإنما الموت بَيْضة العقر

ثم قال اكْتُم عنّى فالمجالس بالأمانة .

قال إبراهيم بن محمد الكَرْخى : أرسل إلىّ سليمان بن أبى سهل بن نوبخت أن أبا نواس عندنا فصِرْ إلينا فإنى أحسبك لا تراه بعد اليوم . فلم ألبث أن جاء أبو نواس فدخل وعليه درّاعة وَشْىٍ كوفى ، وقلنسوة ما رأيت أحسن منها ، وإذا العلّة قد بلغت به ، فهو فى آخر رمقه . فلم يجد أوسع من الموضع الذى أنا فيه فجلس إلى جانبى .فقلت له : يا أبا علىّ ما رأيتك لبستَ مثل هذا اليوم! فقال لى: وما تعرف قصته ؟ قلت : لا والله، وما هى ؟ قال : أمر الرشيد الكسائى أن يختلف إلى محمد بعد ما ولاه العهد وأمره أن يلزمه وأن يحضرنى إذا حضر لأنشد محمداً الشعر النادر وأحدّثه الغريب ، فكنت أفعل . وكان خادم من قبل الرشيد موكّل بمحمد ، فجرى بين الخادم وبين محمد يوما كلام وأنا حاضر . فقال محمد : يا أبا نواس اهجُ هذا الخادم ابن الفاعلة. قال : فقلت نعم يا سيدى . وقلت فى نفسى قد وقعت فى بليّة ، إن هجوتُ الخادم خفت أن يغتابنى

(١) الموشح: ٢٧٧ـ رسائل بين المعرى وداعى الدعاة : ٧ـ وفى معانى العسكرى: ٢/٢٠١ نسبت لابن أبى البغل ـ وفى الأشربة : ٤٣ نسبت إلى روح المعروف بابن حام .

عند الرشيد فيقتلنى ، وإن لم أفعل خفتُ محمداً أن يقتلنى . فانصرفت على أن أهجو الخادم فلم أرجع أياما ، فما علمت إلا والكسائى قد وافانى فقال لى : ويلك إنّ محمداً الأمين يتهدّدك بالقتل إن لم تهجُ الخادم . فقلت : ياأبا الحسن ، ما يحتال لى فى هذا غيرك . فقال : أنا صائر إليه ومصلح بين الخادم وبينه ، فإذا فعلت أخبرته أننى لقيتك الساعة مُنصرفا من دار العبّاس بن موسى الهادى، وأنك عند خروجك من عندنا لقيك فأخذك أسيراً فمضى بك إلى منزله فلم يدعك إلا فى هذا اليوم ، فإنه سيبعث إليك فيحضرك ، فلاتبرح من منزلك. فمضى الكسائى فأصلح بينه وبين الخادم وخبّره بما قال لى . فبعث إلىّ محمد فصرت إليه ، وقلت له مثل ما قال الكسائى. قلت: وبلغنى أنك تهدّدنى بالقتل ! فقال : نعم ، فلما بلغك أنى تهدّدتك بالقتل ما قلتَ فى ذلك؟ فحضرنى على المكان[١] .

بك أستجير من الرّدى   وأعوذُ من سطوات بأسك
وحياةِ رأسك لا أعُو   دُ لمثلها وحَياةِ راسِك
فإذا قتلـت أبانُـوا   سِكَ من يكون أبا نُواسِكْ

فتبسم ثم قال : لا يكون . ياغلام اذهب إلى فلان الخادم فقل له : ابعث بالتّخْت[٢] الذى بعث به البارحة سيدتى أم جعفر . فذهب الغلام فجاء بالتّخت فدفعه لى . وانصرفت فكان فيه ثَوْبًا وَشْىٍ هذا أحدهما ، والآخر احتجت إلى ثمنه فبعته ، وقطعت هذه الدرّاعة[٣] والقلنسوة واحتجت إلى أن رهنت الدراعة . فلما بلغت من العلّة إلى ما ترَى قلت : أُنْعِم نفسى بلبس هذه الدرّاعة فافتككتُها[٤] ولبستّها . وفارقته فى ذلك اليوم فما رأيته بعده .

---

(١) الديوان : ٤٢٤ .
(٢) التخت : وعاء تصان فيه الثياب .
(٣) الدراعة : الجبة المشقوقة المقدم ، ولا تكون إلا من صوف .
(٤) افتككتها : استخلصتها من الرهن .

ومما قاله فى هذا المعنى يعاتب الأمين به[١] :

قُلْ للخليفة إننى حسن أراك بكل ناس[٢]
مَنْ ذا يكون أبا نُوا سِك إنْ حَبَسْتَ أبانُواسِ
أَقْصَيْتَه ونسيتَه ولِعَهْده بك غيرُ نَاسِى
قد كنتُ آمُل غيرَ ذا لو كنتَ تُنصف فى القياسِ
إنْ أنت لم تَرْفَع به[٣] رَأْساً هُدِيتَ فنصف راسِ

فلما سمع العتَّابى[٤] بذلك قال له : يا ابن كذا وكذا ما أحسن نصف رأس خليفة يرفع ! فقال : جعلنى الله فداك يا أبا عمرو لا تنبهنّ على ذَنْبِى فتهلكنى .

هذا[٥] عندى من الشعر الذى لا يخاطَب به الخلفاء ولا يخاطَب به إلا من لا أستحسن ذكره ، فإن عليه أمارُ الفِسْق والتخانُث .

كان أبو نُواسٍ يختلف إلى محمد بن زُبَيْدَة[٦] ، وكان الكسائى يعلّمه النحو، فقال أبو نواس للكسائى: إنى أريد أن أقبّل محمدا. فقال له الكسائى : إنّ علىّ فى هذا وصمة وأكره أن يبلغ هذا أميرَ المؤمنين . فقال له أبو نواس : إنك إن تركتنى أقبّله وإلا قلت فيك أبياتا ورفعتها إلى الرشيد . فأبى عليه الكسائى وظن أنه لا يفعل .

---

(١) الديوان : ٤٢٤ .

(٢) فى الديوان : حتى أراك بكل باس .

(٣) به : فى الديوان : له .

(٤) الموشح : ٢٧٨-٢٧٩ .

(٥) هذا تعقيب ابن منظور على الشعر .

(٦) الخبر وما فيه من أبيات فى تهذيب ابن عساكر : ٢٦٥/٤ . وتروى قصة مماثلة مع قطرب وحماد تجريد : ١٥٩٩ — فى المستطرف (٣/٢) أنها بين بشار وحماد .

فكتب أبو نواس فى رقعة[1] :

قل للأمير جَزاكَ اللهُ صالِحةً لاتجْمَع الدّهرَ بين السخْلِ والذِّيب

السّخْل غِرٌّ وهمُّ الذئب غَفْلَتُه والذّئب يعلمُ مافى السّخلِ من طِيبِ

ويروى : * السّخل يعلم أنّ الذئبَ آكله *

ورفعها إلى بعض الخدم ليوصّلها إلى الرشيد فجاء بها الخادم إلى الكسائى . فلما قرأها علم أنه شعر أبى نواس ، وأنه لا يُقلع عنه إلا بقضاء حاجته . فلما جاء أبو نواس فى الغد، وهو لايشكّ فى وصول رقعته إلى الرشيد، قال له الكسائى : ويحك هذا أمر عظيم وأخاف أن يلحقنى منه مكروه ، ولكن سأتلطف لك فغب عنا أياما ثم احضر كأنك قادم من غيبة وسلِّم علىّ وعلى محمد ، فإنّى أسلّم عليك وأعانقك ، ويسلّم عليك محمد ويعانقك ، فتكون قد قبّلته ولم يُنْكِر عليك ولا علىّ وتبلغ حاجتك . فغاب ، وتحدّث الكسائى أن أبانواس غائب . ثم جاء فقام إليه الكسائى وسلّم عليه وعانقه، وسلّم أبو نواس على محمد وقبله . وقال أبو نواس :

قد أحدث النــاسُ ظَرْفاً يَعْلُو عــلى كلِّ ظَرْفِ

كانوا إذا ما تَــلاقَوْا تصَافَحُوا بالأَكُفِّ

فأَحْدَثوا اليومَ رشف الـ خُدود والرَّشْفُ يَشْفِى

فصرتَ تلثم من شئ ت من طريق التّحَفّى

فصار رَشْفٌ وبَوْسٌ وذَاكَ يَشْفِى ويَكْفِى

والحمد لِلّهِ هــــذا من بعض لَهْوِى وقَصْفِى

قال الصولى : من هذا أخذ ابن المعتز قولَه :

قِفْ لنــا فى الطَّرِيقِ إنْ لم تَزُرْنا وَقْفَةٌ فى الطَّرِيق نِصْفُ الزِّيارَهْ

---

(١) الديوان (آصاف) : ١٧٥ . وقال : إنها فى قطرب النحوى . ونسبت الأبيات لحماد عجرد تجريد ١٥٩٩ . وفى المستطرف ٢/٣ نسبت إلى بشار .

قال ابن طاهر: وهذا الحديث مصنوع باطل ، لأن أبناء الخلفاء فى مثل حال المخلوع أجلّ مكانا أن يعانِقُوا أحداً من الرعية .

وقد ذكر هـــذا الشعر لعبد الصمد بن المعذّل . وأخبرنى أبو علىّ الفضل بن جعفر بن الفضل بن يُونس المعروف بالنصير أنه له ، وأنه قاله وهو فى الكوفة فى حَداثَة من سنه .

لما[١] قدم أبو نواس على الخصيب بمصر أذِن له وعنده جماعة من الشعراء ، فاستنشده فقال له : ههنا جماعة من الشعراء هم أقدم منى وأسن فَأْذَنْ لهم فى الإنشاد ، فإن كان شعرى نظير أشعارهم أنشدت وإلّا أمسكت . فاستنشدهم فأنشدوا مديحا فى الخصيب فلم تكن أشعارهم مقاربة لشعر أبى نواس . فتبسّم ثم قال : أنشدك أيها الأمير قصيدة هى بمنزلة عصا موسى تلقف ما يأفكون ! قال : هات فأنشده[٢] :

أجـارةَ بيْتَيْنَا أبوكِ غَيُورُ ⁂ ومَيْسُورُ مايُرْجَى لَدَيْكِ عَسِيرُ

حتى أتى على آخرها . فانفضّ الشعراء من حوله .

ويقال : إن أبا نواس كان خرج إلى مصر فى زىّ الشطّار[٣] وتقطيعهم بطرّة قد صففها وكُمّين واسعين وذيل مجرّرة ونَعل مُطْبَق . وكان خروجه مع سليمان بن أبى سهل ، فلما دخل على الخصيب بهذه الصورة ازدراه واستخفّ به . وكان أورد عليه كتبَ الجِلّة ممن بباب السلطان ، فقرأ كتبه ولم يستنشده . فانصرف مهموما .

---

(١) المستطرف : ١/٢٠١–٢٠٢ .

(٢) الديوان : ٤٨٠ .

(٣) الشطار : طائفة من أهل البطالة المستهترين بالدعارة ، وكان اجتماعهم على الفساد والضلال وكلهم من ذوى الطبائع الثورية الخارجين على النظم الاجتماعية والأوضاع الخلقية ، وكانوا يعرفون أيضا بالفتاك . وكان لهؤلاء زهو بذلك وخيلاء حتى اتخذوا لهم زيا خاصا بهم ، وأخص ما فيه مئزر يأتزرون به على صدورهم يعرف بإزرة الشطار (بتصرف من ألحان الحان) .

وجاءه أهل الأدب فاستمعوا شعره وكتبوه وأنشدوه للخصيب فاستحضره ، فأنشده :

أجارة بيتَيْنا أبوكِ غيــور ومَيْسور ما يُرْجَى لديك عسير

فلما بلغ إلى قوله :

تقول الّتي من بَيْتها خَفَّ مركَبِي عزيزٌ علينا أن نَراكَ تَسِيرُ

أما دُونَ مِصْرٍ للغِنَى مُتَطَلَّبٌ بَلَى ! إنّ أسبابَ الغِنَى لكَثيرُ

فقلتُ لها واستعجلَتْها بَوادِر[1] جَرَتْ فجَرَى فى جَرِيِهنَّ عَبيرُ[2]

ذرِينى أُكَثِّرْ حاسدِيك برِحْلَةٍ إلَى بَلَدٍ فيها الخَصِيبُ أَميرُ

فقال له الخصيب : إذاً يكثُر حُسَّادها وتبلُغ أملها . وأمر له بألف دينار .

ومن هذه القصيدة :

إذا لم تزرِ أرضَ الخصيب رِكابُنــا فأىّ فتًى بعــد الخَصِيب نَزُورُ

فمـا جازَه جُود ولا حَـلَّ دونَه ولـكنْ يصير الجودُ حيث يَصيرُ

فَتًى يشــتَرِى حُسْنَ الثناءِ بمـالِه ويعـلم أنَّ الدائراتِ تَــدُورُ

ولم تَرَ عَيْنِى سُؤْدداً مِثْلَ سُؤددٍ يحِلُّ أبو نَصْرٍ به ويَسيرُ

وإنى جديرٌ إذ بلغتُك بالمُنَى وأنتَ بمـا أمَّلْتُ منــكَ جَديرُ

فإنْ تُولِنِى منكَ الجَميـلَ فأهْلُه وإلا فإنى عـاذِرٌ وشَــكُورُ

فلما كان من غدِ ذلك اليوم الذى دخل فيه أبو نواس دخل إليه أيضا واستنشده فأنشده[3] :

يا منَّــة إمْتَنَّهـا السُّكْرُ ما ينْقضى مِنّى لهـا الشُّكْرُ

أعْطَاكَ فوقَ مُناكَ من قُبَلٍ قد كان قَبْلَ مَرامهـــا وَعْرُ

---

(١) بوادر : دموع منهملات .

(٢) عبير : رائحة طيبة مما تدهن به من طيب .

(٣) القصيدة فى الديوان : ٤٧٨ .

يثنى إليك بها سوالفه(١) رشأ صناعة عينيه السحر
ظلت حميا(٢) الكأس تبسطنا حتى تهتك بيننا الستر
فى مجلس ضحك السرور به عن ناجذيه وحلت الخمر(٣)

قوله: وحلت الخمر. كان قد حلف ألا يشرب حتى يواصله الذى شبب به فواصله فقال: وحلت الخمر، إلى أن انتهى إلى قوله:

أنت الخصيب وهذه مصر فتدفقا فكلاكما بحر
لا تقعدا بى عن مدى أملى شيئا فما لكما به عذر
ويحق لى إذ صرت بينكما ألا يحل بساحتى فقر

فقال له الخصيب: إذاً لا يخيب أملك ولا ينقطع مرادك. ثم أمر له بألف دينار أخرى. فقبض الألفين، ثم بكر عليه فى اليوم الثالث فأنشده:

محضتكم يا أهل مصر نصيحة فدونكم من ناصح بنصيب
ولا تثبوا وثب السفاة(٤) فتحملوا على حد حامى(٥) الظهر غير ركوب
فإن يك باق إفك فرعون فيكم(٦) فإن عصا موسى بكف خصيب
رماكم أمير المؤمنين بحية أكول لحيات البلاد شروب

(١) سوالفه: جمع سالفة وهى صفحة العنق أو أعلاه، وللعنق سالفتان ولكنه جمعها على جعل كل جزء سالفة.

(٢) حميا الكأس: سورتها وحدتها وبلوغها من شاربها.

(٣) فى الشعر والشعراء قال ابن قتيبة: وهذا بيت يسأل عن معناه، وإنما أخذه من قول امرئ القيس حين قتلت بنو أسد أباه فحلف لا يشرب خمرا حتى يدرك ثأره، فلما أدرك ثأره قال:

حلت لى الخمر وكنت امرأً عن شربها فى شغل شاغل

(٤) السفاة (بالضم): الحية، فإن كسرت السين فيكون جمع سفيه أى السفهاء.

(٥) حامى الظهر: يعنى السيف.

(٦) الرواية فى الديوان: فإن يك فيكم إفك فرعون باقيا.

وكان أهل مصر قد شَغَبوا[١] على الخصيب لزيادة فى أسعارهم ، وكان على شُرْبه وعنده أبو نواس ، فوثب أبو نواس وقال : دعنى أيها الأمير أكلّمهم . فقال : ذاك إليك . فخرج حتى وافى المسجد الجامع وقد تواعدُوا أن يجتمعوا فيه ، فأنشد هذه الأبيات ، ويقال إنه ارتجلها على المنبر ، فلمّا سمعها من اجتمع تفرّقوا فلم يبق أحد منهم . وعاد إلى مجلس الخصيب فأمر له بألف دينـار أخرى ، وقال له : ارتحل فما لك عندنا مقام ، فزوّده من طرائف ما بمصر ووهب له جارية حسناء ووصيفا نظيفا ، وقال له: ارتحلهما فى طريقك وتزوّد منهما فى مقامك .

قدم[٢] بعض التجار من الرُّوم بغلمان فعُرِضوا على الخَصيب، فإذا فيهم غلام بديع الحسن فريد الجمال حين بلغ، فقال الخصيب : علىّ بأبى نواس. فحضر فأراه الغلام وقال: أرأيت فى من وصفت من الغلمان مثل هذا قط ؟ ! قال : لا . قال : فهو لك . فأخذه. ثم مكث يسيرا فأتى بعض التجار أيضا ومعه جوارٍ روميّات بديعات الحسن غريبات الجمال ، فعُرِضْن عليه وإذا فيهن وصيفة غُلاميَّة عجيبة أحسن من فيهن، فدعا أبا نواس فقال : أرأيت فى الغلاميّات التى وصفتهن مثل هذه قط ؟ قال : لا . قال : فهى لك فمضى بها .

وكان الناس يتعجّبون من جمالهما . فكان[٣] إذا خرج من منزله أخرجهما معه وإذا دخل أدخلهما معه ، فطال عليه ذلك، فدعا غلامه وقال له: قد زوّجتك بها . فعذلَه أصحابُه وعنّفوه وقالوا : قد ضيّعتها وكنت أحقّ بها منه مع كثرة ثمنها . فقال : إنى قد دبرت أمرهما فأحسنت التدبير لأنى لا أعفّ عنهما، وهذان إذا نظر أحدهما إلى الآخر

---

(١) شغبوا : فى ت : شنعوا .

(٢) الخبر فى طبقات ابن المعتز : ٢٠٥ باختلاف.

(٣) فى المحاضرات للراغب ٢/١٢٠ حكيت هذه القصة عن ابن نوبخت .

لم يصبرا أن يجتمعا ، فأردت أن أزوّجه بها لتكون امرأته وأُكَشْخِنَه[١] أنا فيها ، وذلك أحبّ إلىّ من أن تكون جاريتى ويكشخننى هو فيها .

قال الرشيد يوما لأبى نواس[٢] : أنشدنى قولك فى الخصيب :

* منحتُكُم يا أهل مصر مودّتى . . . *

فأنشده إياها. فلما بلغ إلى قوله :

فإنْ يكُ باقى إفكُ فِرْعون فيكم فإنّ عصاَ موسَى بكَفِّ خَصِيب

فقال له الرشيد : ألا قلت « فباقِى عصا موسَى بكَفِّ خَصِيب » ! فقال له : هذا ياأمير المؤمنين أحسن ، ولكنه لم يقع لى .

وقيل: إن أبا نواس إنما كان امتدح الخصيب بقصيدته التى هى[٣] :

لم تَدْرِ جارتُنا ولا تَدْرِى أنَّ اللَامَةَ ربَّما[٤] تُغْرِى
هَبَّت تلُومك غيرَ عاذِرَةٍ ولقد تَرَى لك واضِحَ العُذْرِ[٥]
واستبعدَتْ مصراً وما بَعُدت أرضٌ يكون بها أبو نَصْرِ
ولقد وصلتُ بك الرجاءَ ولى مندوحةٌ لو شئتُ عن مِصْرِ
فيما تنافسه الملوكُ من الْ حُورِ الحسان وعاتِقِ الخَمْرِ
ومحدّث كثرت طرائفه عانٍ[٦] لدىَّ لقلّةِ الوفر
إنّى لآملُ يا خصيبُ على يَدِكَ السعادةَ[٧] آخرَ الدَّهْرِ

---

(١) كشخنه : جعله ديوثا .

(٢) الموشح : ٢٧٦ .

(٣) الديوان : ٤٨٤ــ٤٨٥ .

(٤) ربما : فى الديوان : إنما .

(٥) الرواية فى الديوان: ولقد بدا لك أوسع العذر .

(٦) العانى: الأسيرـ الوفر : المال.

(٧) السعادة : فى الديوان : البشارة .

وكذاك نعمَ السُّوق أنتَ لمن ... كَسَدت عليه تِجارَةُ الشِّعْرِ
أنتَ المـبرَّز يوم سبقهم ... أنتَ الجواد بِعِرْقِه[١] يَجْرِى
عرف الخليفةُ أنَّ نعمتَه ... حلَّت بساحة طيِّب النَّشْرِ
كافٍ إذا عَصَب الأمـورَ به ... ماضِى العزيمـةِ طيِّب الذكر[٢]
فانقـع بسيبك غُلَّة نَزَحَتْ ... بى عن بلادِى وارتهن شُكْرِى[٣]

فلما أنشده إياها بكمالها أمره أن يقيم عنده فلم تطب نفسه بالمقام.

وقيل: إنه سئل كم وَهب لك الخصيب مع مدائحك فيه وقصدك من العراق إليه فقال: لا والله لم يهب لى إلا مائة دينار، والناس يكثرون فى ذلك!

قال البِطَين بن أميّة الحِمْصى الشاعر: لما[٤] خرج أبو نواس إلى مصر كتب الناس إلينا بذلك، فلم نزل نترقبه حتى قيل لنا قد قَدِم، فجئتُ الخان لأسأل عن خبره فإذا إنسان قاعد على دَرَجة متَّشح بخَلُوقيّة يَسْتاك. فدنوتُ منه فقلت: يا فتى إنسـان قَدِم من العراق يقال له أبو نواس، ومعى ابنٌ لى حسن الوجه جدا، فقال: ما تجعل لمن يدلّك عليه؟ قلت: حُكْمَه. قال: قبلة من هذا الغزال الذى معك. قلت له: ويحك هذا ابنى. قال: آدم خير منك والناس يقبّلون بنيه ويلاعبونهم. قال: قلت له: أنت أبو نواس. قال: أناهو فمن أين عرفتنى؟ قلت: بنور الإيمان. قال: لا والله ولـكن بظلمة الـكفر! مرحبا بك. فما زلت أنادمه وما فارقته حتى ارتحل عن حمص وشيعته.

---

(١) بعرقه يجرى: فى الديوان: بعرفه (بالفاء) وفسره محققه بمعروفة. ولـكن المراد هنا بالعرق الأصل، والخيل تجرى على أعراقها ونسبها فى جياد الخيل.

(٢) طيب الذكر: فى الديوان: جامع الأمر.

(٣) انقع: أرو ـ السيب: العطاء ـ الغلة: العطش.

(٤) الورقة: (١٠ـ١١) ـ طبقات ابن المعتز: ٢٤٩. البطين: غير واضـح فى الأصل. والبطين هو ابن أمية البجلى كنيته أبو الوليد وهو حمصى جيد الشعر (الورقة / ١٠).

كان معاوية بن حُدَيج[1] من أهل مصر وكان عالما فيلسوفا ، فقال له أبو نواس يهجوه[2] :

كلّنا يا ابن حُدَيْـج لك في العِلْمِ خَوَلْ[3]
غير أنّ الطِّبَّ أوْلَى بك من كُلِّ عَمَلْ
أنتَ عندِي فيلسوفٌ وبَصِـيرٌ بـالعِلَلْ
فلِمَ الأيرُ خَفِيفٌ فإذا قـامَ ثَقُـلْ
فإذا أفرغَ مـا فيـ ـهِ تَدَلَّى وذَبُـلْ
أحَدِيثٌ[4] ذاك فيه أمْ قَدِيمٌ لم يَزَلْ

وقيل: إن أبا نواس اكتسب من مال الخصيب بمدحه وقصائده ألفَ دينار ، واكتسب بجاهه ألفَيْ دينار فتفرّغ لغلمان مصر وشرب الخمر . وأحب أن يتلذّذ بمصر وأنفق ممّا نال قطعة صالحة بمصر ، وأقام بها سنة بعد قضاء حوائجه في لهوه وباطله .

فبينا[5] هو يَدُور في أسواق مصر وبها يومئذ ثلاثة غلمان أقران أخدان، حِسان الوجوه كأنهم الأقمار، أصحاب ظَرْف وأدَب ومروءة وحالة حسنة . ولم يكن بمصر أحدٌ يتقدَّم عليهم في صَباحة الوُجوه: أحدُهم من وَلَد شبيب[6] بن رِبْعِيّ التميمي ، والآخر من ولد عطيّة بن الأسود الخارجي ، والآخر من أولاد الدّهاقين . فرآهم أبو نواس فأعجبته هيأتهم وجمالهم فقال في نفسه: إن أنا لم أعمل على الفرص من هؤلاء فلم أعمل بمصر شيئا، وإن أنا قضيت الغرض منهم فلا خير في مقامي في مصر بعد ذلك .

(١) حديج : في الفكاهة : جديع .
(٢) الفكاهة : ١٨ .
(٣) خول : خدم .
(٤) أحديث ذاك : في الفكاهة : حادث ذاك .
(٥) الخبر بتمامه في أخبار أبي نواس لأبي هفان : ٦٠ .
(٦) شبيب : في أبي هفان : شبث .

فدخلوا يوما سوق الجِداء[١] والحملان والرّيحان ، فاشتروا من ذلك شيئا كثيرا فسأل عنهم وعن أخبارهم فأخبر أنهم وَرِثُوا مالا جليلا وقد انفردوا فى غرفة لهم لها رَوْشَن[٢] يأوون إليها ولا ينادمون أحدا حَذَراً على أنفسهم وشغلا بما هم عليه، ونفقتهم واسعة وأمرهم جميل ، فلا يطمع أحد نفسه فيهم .

فلما أعيته الحيل فيهم سمع أحدَهم يوما يقول للآخر : إذا كان يوم الأحد اصطبحنا. فلما سمع أبو نواس ذلك اشترى جُبّة صوف وكساء مَهْنَة وغير ذلك وجعل نفسه حَمَّالا ، ولبس ذلك القماش وأخذ ثيابه وجعلها كرزنا[٣] على رأسه ، وجلس لهم فى السوق بين الحمّالين ، فإذا هم قد أقبلوا فاتبعهم إلى الموضع الذى يشترون حوائجَهم منه . نخفّ بين أيديهم وتعرّض لحَمْلهم ، فقالو : يا شيخ نحن نستحِى أن نحمل على مثلك لسنّك. فقال : إنى غريب مضطر تؤجَرُون فىّ . فحملوا عليه . فلما صاروا إلى المنزل ووضعوا الحمولة عنــه فرّق كل شىء على حدته ورتّبه ، وخفّ إلى البيت فكنسه وغسله ونفضه ونَظّفَه . ثم نظر إلى زجاج لهم فغسله وصيّره من جودة الغسل كالجديد الزاهر، ثم أصلح مكانهم وصَفّ أوانيهم ونَضّد ريحانهم ، فأعجبوا به جميعا وقالوا له: يا حَمّال أقم اليوم معنا فاخْدُمنا ونحن نُحسن إليك . فأقام . فلمّا تغدّوا قام إلى شراب مُطَيّن ففتح بُزَاله[٤] ، ثم سكب منه وسقى القوم . ولم يزل يَسْقِيهم ويشرب معهم إلى أن سكروا وناموا وهم لا يعقلون سكرا ، فقام حين علم أنه قد أمكنه ما يريد منهم فقضى حاجته منهم جميعا ، وترك كل واحد منهم مسطوحا على وجهه محلول السراويل والبَلَل بين فَخِذيه ، ثم حلّ سراويله ونام على وجهه وجعل بين فخذيه من بزاقه على مثل حالهم.

---

(١) الجداء : جمع جدى ، وهو ولد المعزى ـ الحملان : جمع حمل، وهو ولد الشاة .

(٢) الروشن : الكوة .

(٣) الكرزن : فارسى بمعنى التاج ، ولعله يريد أنه جعلها غطاء لرأسه ليحمل عليه .

(٤) البزال : خرق المبزل من الدن .

فلما انتبه أوّلهم نظر إلى حاله فاتّهم أبانواس وقال : هذا عمل الحمّال! فنظر فإذا أبو نواس أيضا على مثل حاله . فأنبهه[1] وقال : قم ياشيخ ، فقام مرتاعا ، وتفازع لما رأى من حاله ، وأنبه الآخرين، وقال : انظروا ويحكم ما هذا ؟ فلم يتهموا غير أبى نواس إلا أنهم قد رأوه على مثل حالهم. فقال بعضهم لبعض. ليس الرأى أن يشيع هذا الأمر ولا أن نفضح أنفسنا . فقام كل واحد منهم فاغتسل . ثم قال لهم أبو نواس : يا فتيان كل واحد منا قد أصبح عَرُوسا فاصطبحوا بنا وباكروا اللذّة كما باكرة العروس وأهلها اللذة . قالوا : صدقت فتغدّوا جميعا ثم وضعوا الشراب . فلمّا دار الشراب بينهم وفى رؤوسهم قام أبو نواس كأنه يقضى حاجة فخرج فلبس ثيابه التى من خِلَع الخصيب ورجع . فلما دخل عليهم من الباب أنكروه وقالوا : يا هذا من أنت ؟ فلما دنا منهم وعاد إلى موضعه قال : أنا الحمّال الذى صيّركم البارحة عرائس ! قالوا أنت أبو نواس ؟ قال: أنا أبو نواس . فصفق كل واحد منهم على جبهته وتشاجروا . فقال لهم : قد وقع الأمر الآن موقعه ، ونحن على الشراب فإن ساعدتمونى كان عندى أوفق لكم. فشربوا معه على كره منهم وحياء . فلما أمسى انصرف وهو يقول :

وفِتْيــة فتنــة قد اجْتَمَعُوا ... مثل الدّنـانير حين تُنتَقَدُ
سا قَــنى الدهرُ[2] نحوهم فإذا ... هم يقــولون إنْ دنا الأَحَدُ
فبا كِروا الراحَ فاقطموه بهــا ... غــدوتُ للمَوْعد الذى اتَّعَدُوا[3]
علىّ إكليلةٌ ومِشْمَلَةٌ ... وَميهة[4] إِلِى حِبالُها مَسَدُ

---

(١) فأنبهه : فى ت : فأتاه .

(٢) الدهر : فى أبى هفان : الحين .

(٣) اتعدوا : فى ت: وعدوا، وفى أبى هفان : عمدوا.

(٤) ميهة : وكذلك فى أبى هفان : ميهة، وفى ت: بهمة ولعلها مهنة لأن من معانى المهنة عند العامة خرقة أو ثوب يستعمل حال الخدمة . وربما كانت من أدوات الحمالين فى ذلك العصر .

عَمْدًا تنكّرت[١] وارتصدتهم حتى أتَوْا سحرة كما وَعَدُوا
حتى إذا ما اشتروا حوائجهم والحاجُ تُرْجَى لهم وتُرْتَصَدُ
مِلْتُ إليهم فقلت : أحمله فإن عندى لحَمْله العُدَدُ
حَبْلٌ وثيق ومبهة وأنا بحَمْله عالمٌ ومُتَّئِدُ
قالوا : فخُذه فأنت أنتَ له سَوْفَ نُكافيك عند ما تَرِدُ
سِرْتُ وساروا إلى مُشَيَّدَةٍ فقيل لى اصْعَد هناكَ إذْ صَعَدوا
إذا الأباريق والزُّجاج بها يطرّب فيها المطرِّب الغَرِدُ[٢]
فثُرْتُ نحوَ الزجاج أغسِلُه حتى تَلالاَ كأنّه البَرَدُ
فأعجبَ المُرْدَ خِفّتى لهم ولَيْس فى خِفَّتى لهم رَشَدُ
قالوا لِيَ اقعُد وهاتِ صفّ[٣] لنا وباكِرِ الليلَ قَبلَ يُفتَقَدُ[٤]
قلت إذ ذاك هامَةً وُضِعَت على ضَئِيلٍ كأنّه وَتِدُ
فمرّ يهْوِى كأنّه رَجُلٌ يشْخَبُ منه الدِّماء مُفْتَصَدُ
ما زلت أسقيهمُ مُشَعْشَعةً تخدّر من وقع كأسِها الجَسَدُ
حتى رأيت الرءوسَ مائلةً ولم يكُنْ فى رِقابها أَوَدُ
واعتُقِلَتْ أَسْوُقٌ وأَلْسِنَةٌ فمُمسِكٌ رأسه ومُسْتَنِدُ
قمتُ إلى نيكهم على طَرَبٍ وكُل من دَبَّ فهْوَ يَرْتَعِدُ
فبطَّأتْ بى عن لذَّتى تِكَكٌ حتى إذا ما حَلَلْتَ ما عقَدُوا
عن كُلِّ رِدْفٍ حسرتُ مُنْتَفِجٍ أبيض كالوَرْدِ فيه يَطَّرِدُ

(١) تنكرت : فى أبى هفان : فبكرت .
(٤) الرواية فى أبى هفان : نظرت فيها المغرد الصرد .
(٣) صف : فى أبى هفان : صب .
(٤) يفتقد : فى أبى هفان : نفتقد (بالنون) .

يا ليـــلة بتُّ أجتنى ثمر الـ   لذّات بينَ الرُّدان إذْ هَجَدُوا[١]
منْ ذا إلى ذَا وقد أمرت بأن   أعفج[٢] هذا وكُلَّ من أَجِدُ
حتّى إذا أفاق أوَّلهُم   قام ونخـــذاه بينها خَضَدُ[٣]
كأنّما البيض رُض بينهُمـا   فهو ندىٌّ بجـــلده لَبِدُ
أيقظ إذْ ذاك ترْبــه[٤] فزعا   أَهَلْ تُحِسّنّ مثلَ ما أَجِد ؟!
أو إنّما ذاك الّذى بنا عَرَقٌ   أما تَرَاه كأنــه زَبَـدُ !
والصّمتُ والحِلْمُ عن كلامهم   أَحْسن بى والكُؤُوس تَطرِدُ[٥]
عَلَىَّ قُوهِيَّة وأقْمِصَة   أزديَّة الحوكِ كُلُّها جُدُدُ[٦]
ثم تَغَنَّيْتُ وامِقاً فَرِحاً :   «ياليْتَ سُعْدى وَفتْ بما تَعِد»

دخل الجمّاز على أبى نواس وبين يديه خمر وعنب وزبيب فقال له : ما هذا ويحك؟!
فقال : الأب والابن والرُّوح القدس .

قال رجل لأبى نواس : ما رأيت أكثر عشقا منك ! فقال : جوارحى صحيحة

---

(١) هجدوا : ناموا .
(٢) أعفج : أطأ .
(٣) خضد : بلل ورطوبة .
(٤) تربه : يريد صاحبه ، والترب : من كان من سنه .
(٥) فى أبى هفان :

حتى إذا المجلس استوى بهم   غادرتهـم والكئوس تطرد
صرت إلى منزلى فأبت وقد   زينت نفسى وحلتى العدد

(٦) بعده فى أبى هفان :

فقيل : من أنت ؟ قلت صاحبكم   لا عقل يرجى لكم ولا قود
أنا الذى نكتكم بأجمعكم !   قالوا : نواس؟ فقلت : بل لبد

وخواطرى سليمة ، وذِهْنِى نقىّ ، وأنا مهيَّأ للعشق ، فلم لا أعشق ولى فى كل مليح أرب ؟ ! فقلت له : ليس على هذه الحال ينقضى عشقك أبدا . فقال : لا انقضى أبدا .

قال ابن أبى خلصة : كان فى سوق يحيى نصرانىّ صَيْرَفىّ ، وله ابن يتحدّث عن حسنه أهلُ بغداد ويُضرب به المثل فيما بينهم ؛ وكانت دكّانه على باب دارِه فلم يكن يبرح ولا يدعه أبوه ينصرف ، ولا يمكّنه أن يتجاوز دكّانه . فاشتدّ على أبى نواس ولم يَدْرِ كيف يحتال فى أمره . فعمد إلى جبة صوف قصيرة فلبسها ، وسراويل قصير ونعل رقيق وتزَيَّا بزىّ الزُّهَّاد ، وحلق شاربه وأخذ شَعْرَه وسرَّح لِحْيته ، وأخذ بيده دفترا ومحبْرة ، ثم جاء يمشى بخشُوع وتؤدة حتى سلَّم على الصَّيْرَفىّ وقعد على دُكّانه فيما بين العصر والمغرب . وأخرج ديناراً ودفعه إليه وقال له : أعطنى به دراهم فرأى الصيرفىّ سيماء حسنة ووقاراً وزِيَّ القراء فأعظَمَه ورفعه ، ثمّ وزن بقيمة الدينار دراهمَ فدفَعها إليه . فأخذ ما أعطاه ولم يسأل عن السعر ولا ماكَسَه ، وأقبل يسائله عن بغداد وعن سِيرة السلطان بها ، ومَنْ يعرف من المحدِّثين كأنّه رجلٌ غريب . وجعل كلَّما مرّ مسكين تصدَّق عليــه بالنصف والدرهم والقطعة . فعظُم فى عين الصيرفى . فلما كان المغرب قال أبو نواس فى حديثه للصيرفى : إن لى قرابة بقرب الكناس وعليه أنزل ، والطريق بعيد جِدّا . فقال له الصيرفى : فلا تتجشَّم بُعْدَ الطريق فى هذا الوقت الضيق ، وبت عندى الليلة فإذا أصبحت مضيتَ مُصاحَباً . فشَكَره وقال : ما أكرهُ ذلك . وكان للصيرفى غرفة على دُكّانه فأصعدَه . وحانت صلاة المغرب فصَفَّ أبو نواس قدَمَيْه وأقبل على الصلاة ، فجاءه الصيرفىّ بطعام طيّب وسأله أن يتحرّم به ، فانفتل من صلاته وتناول شيئا يسيرا ، وقال : هذا إفطارى ولا أفطر إلّا من الليل إلى الليل . وجاء بنبيذ فتنافَرَ منه أبو نواس وقال : لست من أهله ولا ممّن يستعمله ولا ذُقْتُه إلا فى أوائل العمر والحداثة ، وحملنى على ذلك حينئذ غِرَّة الشباب

إذْ كان مُسْكِراً ، والسُّكر حامل على كلّ معصية ، مذموم عند أهل كل ملة! فأتاه بحَلْوَى فأكل منها . وقعد النصرانى وابنهُ وأخوه يشربون وأبو نواس يحدّثهم بأحاديث الزهاد والنساك والقرّاء والصالحين والسياح على عَهْدِ عيسى عليه الصلاة والسلام حتى ذهب اللَّيل وكاد الصبح أن يسفر، وعَمِلَ النبيذ فيهم وناموا فى الغرفة معه نوما مستثقلا بالسكر والسهر . فأمهلهم حتى علم أن قد استغرقوا فى النوم ، ثم قام إلى الغلام فقضى منه أربه، فانتبه الغلام فَزِعاً مذعورا . فلما رأى ما فُعِلَ به أقبل يشتمه ويسبه ووثب عليه . فقال : ترفّق ياحبيبى فالطيش والحَرَد بحمد الله تعالى لا يُشبهانك وأنت بحمدالله تعقل. واشتغل الغُلام بالنظر إلى ماجرى عليه ونجس من ثيابه . فنزل أبو نواس من الغرفة وقد مرّ أوائل الناس فى الطريق حَتَّى أَتَى منزله بباب الطاق . فلما أصبح غَيَّر ثيابه وحضر باب أسماء بنت المهدى وكان يجتمع عنده الشعراء ، فجئت فقعدت إلى جانبه فحدَّثنى الحديث .

وقال فى المجون يصف ماجرى له معه[1] :

إذا هَجَعَ النيامُ تَخَـلَّ عنِّى ... وعَمَّن كان يَصْلُح للدَّبِيبِ

فإنِّى عالِمٌ فَطِنٌ أرِيبٌ ... ولا يُخْبِرك مثلُ فَتًى أرِيبِ

أَلَذُّ النَّيْكِ ماكان اغتصاباً ... بِمَنْعِ الحبِّ أو مَنْعِ الرَّقِيبِ

بُليت بشادِنٍ أحْوَى رَبِيبٍ ... بَعِيدٍ فى مَـوَدَّتِه قَرِيبِ

كأنَّ تَعَطُّفَ الأغصانِ منـهُ ... قَضِيبٌ مَالَ فى أَعْـلَى كَثِيبِ

ظَفِرتُ بِعَـقْدِ الزُّنَّارِ منـهُ ... وما ارتابَتْ ظُنونُ المُسْتَرِيبِ

فَجُلْتُ بخِفَّةٍ فى الرِدْفَ أَجْرِى ... على ما شِئْتُ من لِينٍ وَطِيبِ

---

(١) الأبيات فى نهاية الأرب : ٤/٨٨، ٨٩ .

فلما اشتدَّ للشبَقِ اضْطِرابى(١) ورَفَّعَ من ذَلاذِلِه قَضِيبِى
تَنَبَّه حين أمطرَه سَحابِى وأنكرَ حالتِى ورأى وثُوبِى
فقامَ يَسُبُّنِى ويَحُطُّ قَدْرِى فقلْتُ لَهُ : ترفَّقْ يا حَبِيبِى .

فعجبت ممّا يتأتّى له . وقلت له : إن كان لإبليس خليفة فى الإنس فأنتَ هو افقال لى : لا تشكَّ فإنّى أنا ذلك . وقال فى المجون أيضا(٢) :

ومُنْتَبِهٍ من نومه بعد هَجْعَةٍ وقد دَبَّ رَبُّ البيتِ شَوْقاً إلى السَّاق
فأولَجَ فيه مِثْلَ أَسْوَدَ سَالِخٍ(٣) أَصَمَّ من الحَيَّاتِ ليس له رَاقِ
أَشَقَّ لزيقِ الإسْتِ من حَدِّ شَفْرَةٍ وأنفَذَ فى الخصْيَيْنِ من زُجِّ(٤) مِزْراقِ
فقلتُ له لمَّا تَوَرَّكَ فَوْقَهُ وأَطْرَق عند النَّوْمِ أيَّةَ إطْراقِ
نَشَدْتُك أَلَّا تُلْفَيَنَّ مُقَصِّرًا ولا مُشْفِقاً فى غير مَوْضعِ إشفاقِ
أَجِدْ وجَأْ خُصْيَيْه فإنَّ سكوتَه وإطراقه للنَّيْك إطراق مُشْتَاقِ
فلَوْ لَم يكن يَقْظَانَ ما قَامَ أَيْرُه ولا لَفَّ عند النَّيْكِ ساقاً على سَاقِ

وقال(٥) :

نادِمِ الغُرَّ الكِراماَ وخُذِ اللَّهْوَ اصْطِلاماَ(٦)
وارْكبِ الآثامَ حَتَّى يبعث اللهُ الأنامَا
فلقد نِكْنَا بِدينا رٍ قَمَرْناه(٧) غُلامَا

---

(١) اضطرابى : فى ت : اضطرارى . (٢) نهاية الأرب : ٤/٨٦ .
(٣) الأسود السالخ : العظيم من الحيات .
(٤) زج : فى ت : حد . والزج : الحديدة فى أسفل الرمح .
(٥) الفكاهة : ١٠٣ باختلاف فى بعض العبارات .
(٦) الاصطلام : الاستئصال، ويريد هنا ألايدع لونا منه .
(٧) قمره : غلبه فى القمار .

وشربنا يومَنــا ذَ لك بالبـاقِ مُداما
وكَذا فِعْلى لعَمْرِى أبداً كَىْ لا أُلامَــا
لَستُ أعْطى فى حَرامٍ أبداً إلَّا حَرَاما

وقال[1] :

حلفتُ برًّا يَمينــاَ علىَّ حقًّا يَقيناَ
أن لَا أكون لأُنْثَى حَـــتَّى المماتِ قَرِيناَ
ولا أُريدُ بنَاتٍ ولا أُريد بَنِـيناَ
بَـلَى أُريد ظُهُوراً ولا أُريد بُطونــاَ
وقد فَطِنْتُ لشىء يَخْـفَى على العالَمِينا
به أُنِيك حَبِيبى فى لَيْـلَةٍ عِشْرِينـا

أخبر اليُؤْيُؤ ، قال : قال لى أبو نواس: خَلَوت يوماً فقلت:

لا لا تنك من أنت صَبٌّ به فالحبُّ لا يَصْفُو لمن نَاكاَ

فأجابنى إبليس :

إن لم تَنِكْ من أنت صَبٌّ به ضَرَّطَــك الحبُّ وخَرَّاكا

جَرَى فى مجلس سُفيان بن عيينة حديث يُرْوَى عن مالك بن دينار أنه ذُكِرَ إبليس فقال : وما إبليس ! والله لقد عصى فما ضرَّ ، ولقد أُطِيع فما نفع . فقال رجل لسفيان : يا أبا محمّد أُنْشِدك للحسن بن هانئ الشاعر فى هجاء إبليس شيئا مطبوعا ؟ قال : هات. فأنشده[2] :

---

(١) الفكاهة : ١١٤ .

(٢) الشعر والشعراء : ٧٩١ ــ الفكاهة : ٢٧ .

عَجِبْتُ من إبليس فى كِبْرِه(١) وخُبْث ما أظهرَ من نِيَّتِهْ
تَاهَ عــلى آدمَ فى سَجْــدَةٍ وصار قوَّادا لذُرِّيَّتِهْ

فاستضحك سفيان ثم قال : وأبيك لقد ذهب مَذْهَباً وقال قولا ، ما تنفكّ من مُلْحَةٍ تأتينا عن هذا الشاعر !

كان أبو نواس يتعشّق غلاما ، فى أصحاب التّرْسى يقال له يَعْقوب ، مشهورا بالجمال ، فكان يتبعه ويشكو إليه وَجْده به فلا يكلّمه . فكان أبو نواس يأخذ بيد الحسين بن المنذر فى كل وقت فيقف فى أصحاب التّرسى ليراه . فمكث بذلك حينا إلى أن وعده أن يزوره مرّة بعد أخرى فلم يَفِ له . فوقف له يوماً فكلّمه وشكا إليه وَجْده به وطول عشقه له ، وأنه قد وعده مرة بعد أخرى فغدر به . فقال له : ويحك قد فضحتنى وشهرتنى فما الذى تريد ؟ قال : يا سيدى تنى لعبدك بوعدك . قال : ويلك لو عزمت على ذلك وكنت أدخل منزلك خفت الشهرة . فقال : يا سيدى تخرج كأنك تتنزه فى الكرخ(٢) فنجتمع هناك فى حانة أختارها لك ، لا يكون معنا فيها أحد من خلق الله إلا الخمار . فقال : أما بالنهار فلا أقدر ، ولكن إذا حان انصرافى من السوق فقف لى . فقال : نعم . واشتد فرحه بذلك واستطال ذلك اليوم وقال فيه شعرا . فلما كان وقت انصرافه وقف له فجاءه ، فقال : تقدمنى ؛ فتقدمه حتى صار إلى حانة نظيفة ، وقد أعدّ له فيها طعاما طيبا وأصناف الرياحين والفاكهة ، فقعدا ليس معهما إلا الخمّار يخدمهما ، فظل فى كل ما يتمنّى إلى أن أصبح فأدلج الغلام إلى سوقه ، وأقام أبو نواس هناك مصطبحا .

---

(١) كبره : فى رواية : تيهه . من قصيدة أولها :

ياذا الذى يخطر فى مشيته قد صفف الشعر على جبهته

(٢) الكرخ : لفظة آرامية معناها القلعة ، والمراد هنا كرخ بغداد ، وهى محلة من محال بغداد (ياقوت) .

وقال :

قلبي على مـا كان من شِقْوَتِه	صَبٌّ بمن يهوَى على جَفْوَتِهْ
يختلق السَّخْطة لى ظالِمـاً	أحوج ما كنتُ إلى رَحْمَتِهْ
وكُلَّما جَـدَّدَ لى مَوْعِداً	أخلفَهُ التنغيصُ مِـن عِلَّتِهْ
أُضمر فى القلب عتـاباً له	فإنْ بَدَا أُنسيتُ من هَيْبَتِهْ
ينتسب الُحسْن إلى وجهه	والطِّيب منسوب إلى نَكْهَتِهْ(١)
لو أمـكن الصوفى(٢) فى خَلْوَةٍ	عامَلَه الشيخ على عِفتِهْ
وليلة قصَّرها طولَها	بالكَرْخ أن مُتِّعت من رؤيتِهْ
أشرب من رِيقتِه(٣) مَرَّةً	ومَرَّةً أشرب من فَضْلَتِهْ(٤)
فى مجلسٍ يضحك تفاحُه	من الرَّياحين إلى حضرتهْ
ليس يَرَى خلوتَنا ثالثٌ	إلا الَّذى نشرب من قَهْوَتِهْ(٥)
فكلَّما عَضَّض تفاحةً	قَبَّلْتُ ما يخرج من عَضَّتِهْ
حتى إذا ألقى قِناع الَحيَا	ودَبَّتِ الخمرةُ فى وَجْنَتِهْ
مَلَّكَنِى حَلَّ سراويلِه	وكان لا يَأْذَن فى قُبْلَتِهْ
دَبَّ له إبليسُ فاقتادَهُ	والشَّيخُ تقَّاعٌ على لَمْتَتِهْ
عَجِبت من إبليسَ فى تِيهه(٦)	وخُبْث ما أَظْهَرَ من نِيَّتِهْ
تاهَ على آدَمَ فى سَجْدَةٍ	وصار قَوَّادًا لِذُرِّيَّتِهْ

---

(١) نكهته : ريح فه .

(٢) فى ك : العوفى .

(٣) الريقة : الريق ، لعاب الفم .

(٤) يريد فضلة كأسه ، وهو ما بقى بعد شربه .

(٥) القهوة : الخمر .

(٦) تيهه : فى رواية : كبره .

تَمَشَّى أبو نواس يوم عيد فطر إلى المُصَلَّى لصلاة العيد ومعه الحسين بن قُرَّة النَّوْفَلى، فأنشد أبو نواس :

أُوصِي حُسيناً بما نَفْسِي أَخُصّ به ... من الوَصِيَّة مَحْضاً دُون من نُصِحَا

لا تَرْفَعِ الأَيْرَ فى شَوَّالَ عن أَحَدٍ ... فقد أَعَقَّك شهرُ الصوم ما صَلَحَا

خذ للمعاصى إذا أفطرت أُهْبَتَها ... وانْزِعْ قِناعَ الحياَ واسْتَعْمِل الفرَحَا

قال الحسين : خفت والله أن نُخْصَب .

قال الجَمّاز : كان أبو نواس يعشق رَحْمَةَ بن نَجاح . وكان يغشى ديوان الخراج بنفسه ، وكان رحمة قد علم بذلك فكان يتقبّض منه ويتحرز منه . قال : فأتاه يوما واغتفله وذهب ليعانقَه ، فاختلس قُبلةً من خدّه ، فعَجِل إلى مكانها فسحه بكمّه ، وخجل من حيلة أبى نواس عليه . وأنشأ أبو نواس يقول[1] :

يا ماسِحَ[2] القُبلَةَ من خَدِّه ... من بعد ما قــد كان أَعْطاهَا

أَخِفْتَ[3] أن يَعْرِف إعجامَها ... أبوكَ فى الخــدِّ فيَقْراهــا

لو كنت لمّا خفت ذا قُلْتَهُ[4] ... كنّا إذا بُسْنا مَحَوْنَاهَا[5]

أو لتركنا شــكل إعجامهــا ... ولامَها منها حــذفناهَا[6]

فصــار فى موضعهــا قُبَّــةٌ ... للحُسْنِ فى وَجْهِك صُغناها

---

(١) الديوان : ٣٢٧ باختلاف .

(٢) فى ك : مانع .

(٣) فى الديوان : خشيت .

(٤) الرواية فى الديوان : لو علمنا أنه هكذا .

(٥) فى الديوان . مسحناها .

(٦) فى الديوان : محوناها .

دخل أبو نواس بعد مانَسَك على قوم من إخوانه وعندهم شرابٌ ومُغَنٍّ . فعرضوا عليه الجلوس فأبى ، وأخذ الدواة والقرطاس وكتب[١] :

أيا من بَيْن باطِيَــةٍ ودَنٍّ وعُـودٍ فى يدَىْ غاوٍ مُغَنّى[٢]

إذا لم تَنْهَ نفسَك عن هَواهـا وتُحْسِن صَوْنَها فإليكَ عَنِّى

فإنّى قـد شبِعتُ من المَعاصِى ومنْ إدمانها وشَبِعْنَ مِنِّى

ومَن أَسْوَا[٣] وأَقْبَحُ من لَبِيبٍ يُرَى مُتَطَرِّباً[٤] فى مِثْلِ سِنّى

قال إسماعيل بنُ صُبَيْح: قال لى الرشيد : يا إسماعيل ابْغِنى وصيفةً مليحةً فَطِنَةَ مقدودة[٥] شـكلة[٦] حلوة ظريفة عالِمَةً تسقِينِى فإنّ الشربَ يطيب من يد مثلها . قال : فقلت ياسيدى على الجَهْد . فقال : اجعل قول هذا العيَّارِ[٧] أمامك، يريد أبانواس، وامتثل فيها ما حدَّ فى مثلها لك . قلت : ياسيدى وما قوله ؟ قال[٨] :

من كَفِّ ساقِيَةٍ ناهيكَ سَاقِيَةً فى حُسْنِ قدٍّ وفى ظَرْفٍ وفى أدَبِ

كانت لربِّ قِيـانٍ ذى مُغَالَنَةٍ

بالفِسْقِ مُحْتَرِفٍ بالـكَشْخِ[٩] مكتسِبِ

فقد رأت ووعت عنهن واختلفت ما بينهن ومن يهوَيْن بالـكُتُبِ

حتى إذا ما غَلَى ماءُ الشَّباب بهـا وأُفْعِمت فى تمـام الجسم والقصَبِ

(١) الديوان : ٦١٧ وهذه القطعة مثبتة فى ديوان أبى العتاهية.

(٢) فى الديوان : يغنى .

(٣) أسوا : أسوأ مسهلة الهمزة .

(٤) خفيفا إلى الطرب، منتشيا به .

(٥) حسنة القوام .

(٦) ذات دل ، حسنة الشـكل .

(٧) الذى يخلى نفسه وهواها لا يردعها .

(٨) الديوان : ٧٢ .

(٩) الجمع بين الرجال والنساء لريبة .

وجُمِّشت[١] بخَفِيِّ اللحظ[٢] فانجمشت

وجَوَّبَ[٣] الوعدُ بين الصدْق والكذبِ

تَمَّت فلم يرَ إنسانٌ لها شَبَهًا ... فى مَنْ بَرَى اللهُ من عُجْمٍ ومن عُرُبِ

تلك التى لو خَلَت من عَيْنِ قَيِّمِها ... لم أَقْضِ منها ولا من حُبِّها أَرَبِى

قال إسماعيل: فوالله ماقدرت على جاريةٍ فيها بعضُ ذلك .

وقوله: « تلك التى لو خلت من عين قيّمها » معناه لو قدرتُ عليها لم أشبع منها أبدا . وأول هذه القصيدة البائيّة[٤] :

ساعٍ بكأس إلى ناشٍ على طَرَبٍ ... كلاهُما عَجَبٌ فى مَنْظَرٍ عَجَبِ

لا يُعرف ناشٍ بمعنى مُنْتَشٍ ؛ على أن أبا نواس فى ذلك حُجَّة . وقيل : إن من رواه بالسين المهملة فقد غلط فيه ، والرواية بالشين المعجمة :

قامت تُرِيك وأمرُ اللَّيْلِ مجتَمِع ... صُبْحاً تولَّد بين الماء والعِنبِ

كأن تُركاً صفوفا فى جوانِبِها

تراشَقُوا[٥] الرَّمْىَ بالنُّشَّاب من كَثَبِ

كَأَنَّ صُغْرَى وكُبْرَى من فَواقِعِها ... حَصْباء دُرٍّ على أرضٍ من الذهَبِ

كان المأمون لَمَّا[٦] عقد على بُوران ابنة الحَسَن بن سَهْل اهتمَّ الحسن بن سهل بذلك هِمَّة مثله لمثل المأمون، وكان من أعجب ما سُمِع النثارُ الذى نُثِر فى الإملاك عليها. وذلك أنه عمد إلى الضياع والعَقارات والبساتين والأملاك والحَمَّامات وغير ذلك ،

---

(١) جمّش المرأة: غازلها .

(٢) فى ت : اللفظ.

(٣) جوب الوعد : تردد .

(٤) الديوان : ٧٢ .

(٥) تراشقوا : تراموا . ويريد بالنشاب هنا الحبب .

(٦) الجبرى تاريخ بغداد : ٧/ ٣٢٠، ٣٢١ (ترجمة الحسن بن سهل) والشريشى ٢/ ٢٢٩ .

فكتب أسماءها كل اسم فى رقعة ودَرَجها(١) وجعلها فى بَنادق(٢) من عنبر معجون بمِسْك، و نُثرت تلك البنادق على الناس فى الإملاك . والتقطها الحاضرون، فكل من التقط شيئا فتحه وأخذ الرقعة وأحضرها إلى الحسن بن سهل فيشهد له بذلك الذى التقطه ، ويكتب إلى وكيله بتسليم ذلك المكان إليه مع بذوره وقوته وغلّاته وجميع ما فيه . وسلّم إليه كُتب أصوله .

ولما دخل المأمون عليها أجلس على حصير من ذهب ، وقد نسج فى الحرير كما يفعل فى الحصر ، وجُعل قضبان الذهب ممدودة بدلا من الأسَلِ(٣) ، والإبريسم(٤) مكان الخيوط ، وجيء بمِكْتَلٍ(٥) من ذهب مرصّع بالجوهر فيه جواهر مختلفات الأصناف والألوان والأثمان ، ونثر منه كِبار الجوهر من الدر الفاخر واللؤلؤ والياقوت الذى كل حبّةٍ منه بألوف على تلك الحصير .

وكان أهل المأمون من الهاشميّات قياما وفيهن أم جعفر زبيدة واسمها أمة العزيز(٦) بنت جعفر بن أبى جعفر المنصور، وإنما رقّصها المنصور وهى صبيّة وكانت بيضاء سمينة فجعل يقول : أنت زُبَيْدَة أنت زُبَيْدَة ، فاستمرّ ذلك اسمها . وفيهن حَمْدُونة بنت الرشيد وغيرهما ، فتكبّرن أن يلتقطن ، فقال المأمون : ما هذا الوجُوم ؟ أكرمنها

---

(١) درجها : طواها .

(٢) بنادق : جمع بندق، وهى كرات صغيرة أشبه بالبندقة التى تؤكل .

(٣) الأسل : عيدان طوال دقاق لاورق لها .

(٤) الإبريسم : الحرير .

(٥) المكتل : الزنبيل .

(٦) أمة العزيز : هكذا فى تاريخ بغداد : ١٤/٤٣٣ وقال : إنها أم جعفر أمة العزيز بنت جعفر . والذى فى الطبرى مجلد ٣/ ٧٥٧ عند ذكره من كان عند الرشيد من النساء المهائر : قيل إنه تزوج زبيدة وهى أم جعفر بنت جعفر بن المنصور . ثم قال : وتزوج أمة العزيز أم ولد موسى فولدت له على بن الرشيد .

بالتقاطكن من نِثارها ؛ ثم بدأ فأخذ واحدة فالتقطن كلٌّ واحدة واحدة واثنتين تطرّفا وامتثالا لأمره ، وبقى أكثر الجوهر على الحصير . فقال المأمون : لله دَرُّ ابن هانئ حيث يقول:

كأنَّ صُغْرَى وكُبْرى من فَواقِعها حَصْباء دُرٍّ على أرضٍ من الذَهَبِ

كأنّه شاهد معنا هذا المجلس .

ولمّا حبس الأمينُ[1] أبا نواس فى إدمانه شُرْبَ الخمر قال[2] .

أعاذِل أعتَبْتَ الإمامَ فأعتبَا وأَعْرَبْتَ عمّا فى الضمــير فأَعْرَبَا

وقلتُ لساقِينا أجِزْها فما أكُنْ ليأبَى أمـــيرُ المؤمنين وأَشْرَبا

فجوَّزَها عَنّى عُقاراً تَرَى لهـا إلى الشرف الأعلى شُعاعاً مُطَنّبا

إذا عَبَّ فيها شاربُ القوم خِلْتَه يُقَبِّـل فى داجٍ من اللّيْل كَوْكَبا

تَرَى حيثُما كانت من البيت مَشْرِقا وما لَمْ تـكُن فيه من البَيْت مَغْرِبا

يماطِيكَها[3] ساقٍ أغـرُّ تَرَى له على مُسْتَدار الخدّ صُدْغاً مُعقرَبَا

سَقاهُمْ ومَنَّانِى بعَيْنَيْه مُنْيَـةً فـكانت إلى قَلْبِى أَلَذَّ وأَعْجبَا[4]

قال الحُسَين بن الضَّحَّاك[5] : حججتُ فلقيت أبا نواس منصَرفَه من عند الخصيب بمكّة وهو يَطُوف، فسألنى عمّا أحدثتُ بعده فأنشدته :

وشَاطِرِىّ اللسان مختلق التَّـكْ رِيه شاب المُجونَ بالنُّسُـكِ

حتى انتهيتُ إلى قولى :

كأنما يُصيبُ كأسَه قمَرٌ يَـكْرَعُ فى بعضِ أنْجُمِ الفَلَكِ

---

(١) فى النسخ: المأمون. والذى تثبته الروايات أن أبا نواس مات قبل دخول المأمون بغداد .

(٢) الديوان: ٢٢ .

(٣) فى الديوان : يدور بها .

(٤) فى الديوان : وأطيبا .

(٥) طبقات ابن المعتز : ٢٧٠ ـ تجريد الأغانى ٨٥٦ ـ غ (بولاق) ١٧٥/٦ .

قال فأنشدَنى بعد أيام :

إذا عَبَّ فيها شارِبُ القوم خِلْتَه ... يُقَبِّــل فى داجٍ من اللَّيل كَوْكَبا

فقلت : يا أبا على ، هذه مُصَالَتَة[١] ؛ فقال : أتظن أنه يُرْوَى لك معنى حسن وأنا فى الدنيا ؟

وأخذ الناس هذا المعنى فقال ابن الرومىّ :

فــكأنَّها وكأنَّ شارِبَها ... قَمَرٌ يقبِّل عارِضَ الشَّمْسِ[٢]

ومن شعر أبى نواس[٣] :

عَفَّى المُصَلَّى وأَقْوَت الكُثُبُ ... مِنِّىَ فالمَرْبدان فاللَّبَبُ[٤]

منازل قد عَمَرْتُها يَفِعــاً ... حتى بَدَا فى عِذَارِىَ الشُّهَبُ[٥]

فى فِتْيَةٍ كالسيوفِ هَزَّهُم ... شَرْخُ شبابٍ وزانَهُم أَدبُ

ثُمَّ أرابَ[٦] الزمانُ فاقتسمُوا ... أَيْدِى سَبا[٧] فى البلاد فانْشَعَبُوا[٨]

لن يُخْلِف الدهرُ مثلَهم أبداً ... علىَّ هيهاتَ شأنُهُم عَجَبُ

لَمَّا تيقَّنتُ أن رَوْحَتَهــم[٩] ... ليس لها ما حَيِيتُ مُنْقَلَبُ[١٠]

---

(١) المصالتة: أن يأخذ الشاعر بيتا لغيره لفظا ومعنى من غير قصد تضمين أو إبداع أو استعانة أو إلمام.

(٢) ديوان المعانى : ٣٠٦/١ والرواية فيه: وكأنه والـكأس فى فمه .. البيت .

(٣) القصيدة فى الديوان : ٣ .

(٤) الـكثيب : تلال الرمل ــ المربدان : يريد المربد وهو موضع بالبصرة . اللبب : موضع

(٥) الشهب: جمع شهبة: بياض يخالطه سواد. ويروى الشهب (بضمتين) : جمع شهاب .

(٦) أراب الزمان : كثرت صروفه وخطوبه .

(٧) سبا : بناها العرب على السكون وليست مخففة من سبأ . وسبأ : بلدة أغرقها السيل فتفرق أهلها فضرب بهم المثل .

(٨) انشعبوا : تفرقوا .

(٩) روحتهم : ذهابهم .

(١٠) منقلب: رجوع.

أَبْلَيْتُ صـبراً لم يُبْلِهِ أحَدٌ واقتسمتْنى مآربٌ شُعَبُ(١)
كذاكَ إنّى إذا رزئتُ أخـا فليس بَيْنِى وبَيْنَه نَسَبُ

يريد أن مؤاخاته على المجون فلا يبكى صاحبه وذلك أنه إذا مات صاحب له استبدل غيره ، وهو مَثَلٌ ضربه ، ليس أنه لا يغتمّ على موت صديق ، ولـكنه أراد تبدّلت بالبصرة وأهلها بغداد وأهلها ، ثم قال :

قُطْرَبُّلٌ مَرْبَعِى ولى بقُرَى الـكَرْ خِ مصيفٌ وأمّى العنَبُ(٢)
ترضعنى دَرَّها وتلحَفُنـى بظِلِّها والهَجِيرُ يلتهبُ
إذا ثنته الغصونُ جَلَّلـنى فَيْنانُ ما فى أديمه جُوَبُ

الهاء فى إذا ثنته يعود على الظلّ . والفينان : الظلّ الـكثيف . وجُوَب أى لا خَلَل فيه .

تَبيتُ فى مأتمٍ حمائمُه كما تُرَثّى الفواقدُ السُّلُبُ(٣)
يهبُّ شَوْقى وشوقهنّ معاً كأنما يستخِفُّنا طَرَبُ
فقمت أحبُو إلى الرّضاع كما تحامَلَ الطِّفْلُ مَسَّه سَغَبُ(٤)
حتى تخيرت بنت دَسْكَرةٍ قد عَجَمتْها السِّنُون والحِقَبُ
هَتَكْتُ عنها والليلُ معتكِرٌ مُهَلْهَلَ النَّسْجِ ما لَهُ هُدُبُ(٥)

---

(١) شعب : متفرقة .

(٢) قطربل : قرية بين بغداد وعكبرا كان ينسب إليها الخمر المعتقة وكان فيها مواضع للبطالين وحانات الخمارين. وقد حددت فى تخطيط بغداد اليوم فى الموضع المسمى بالتاجى شمـال الـكاظمية (عن مجلة الرسالة مقال للاستاذ شـكرى أحمد)ـ مربعى : ينزل فيها فى الربيع ـ المصيف: المـكان ينزل فيه صيفا .

(٣) الفواقد : جمع فاقد، وهى المرأة مات عزيز عندها ـ السلب : جمع سالب وهى بمعناها .

(٤) تحامل : تـكلف ـ سغب : جوع .

(٥) معتـكر : شديد الظلمة ـ مهلهل النسج : يريد نسيج العنـكبوت .

من نَسْجِ خَرْقاءَ لا تُشَدُّ لها آخِيَّةٌ فى الثرى ولا طُنُبُ

خرقاء : لا تحسن العمل ، والطُّنُب : حَبْلُ الخباء . يقول : تنسج بغير أداة نسّاج .

ثمّ توجَّأتُ خَصْرَها بِشَبَا الْـ إشْفَى فجاءت كأنّها لَهَبُ(١)

فاستوسق الشرب للندامَى وأجـ راها علينا اللُّجَيْن والغَرَبُ(٢)

أقولُ لمَّا حَكَتْهُما نَسَباً أيّهمـا فى القَرابة الذَّهَبُ(٣)

هُمَا سواءٌ وفَرْقُ بينهمـا أنّهما جامِدٌ ومُنْسَكِبُ

أخذه ابن المعتز منه فقال :

وزَنَّا لهـا ذَهَباً جامِدًا فكالَتْ لنا ذَهَباً سائِلاً(٤)

وقوله : أقول لما حكتهما يعنى الذهب والفضة ، فحكَت الذهبَ صِرْفاً والفضّةَ بالمزج .

مُلْسٌ وأمثالُهـا محفَّـرة صُوَرٌ فيها القُسُوس والصُّلُبُ

يَتْلُون إنجيلَهم وفَوْقَهُمُ سَماءُ خَمْرٍ نُجُومها حَبَبُ

كأنّهـا لؤلؤٌ تبدِّدُهُ أَيْدِى عَذَارَى أُفضَى بها لَعِبُ

يقول : إنّ التصاوير فى الأقداح قُسُوس فى أيديهم الأناجيل يقرءونها فعلت الخمرة فى الأقداح على التصاوير فصارت عليهم كالسماء . والحبب : ما يتدوّر من صبّ المزج فى الأقداح فهو كالنجوم فى السماء .

---

(١) توجات : ضربت — شبا الإشفى : حد المثقب .

(٢) اللجين : الفضة — الغرب : الذهب . يريد كؤوس الخمر .

(٣) الرواية فى الديوان :

أقول لمـا تحاكيا شبهـا أيهما للتشابه الذهب

(٤) الشعر والشعراء لابن قتيبة (ترجمة أبى نواس) .

ومن جيّد شِعْره ما قاله لمّا منعه الأمين من شرب الخمر . وذلك أن المأمون أمر[١] الخطباء بخراسان أن يعيبوا الأمين بشعر أبى نواس ويقولون : هو جليسه ونَديمُه ويُنْشدون على المنابر شعرَه معه ، فمنعه الأمين . فقال[٢] :

غَنِّنا بالطلول كيفَ بَلِينا ... واسْقِنا نُعْطِك الثناءَ الثَّمِينا
من سُلَافٍ[٣] كأنه كُلُّ طِيبٍ[٤] ... يتمنَّى مُخَيَّرٌ أن يكونا
أكَل الدهرُ ما تجسَّم[٥] منها ... وتبقَّى لُبابُها المكنونا
ثم شُجَّتْ[٦] فاستضحكت عن لآلٍ ... لو تَجمَّعْن فى يَدٍ لاقتُنِينا
وإذا ما لَمَسْتَها[٧] فهَباءٌ ... يمنع الكفَّ ما يُبِيح العيُونا
فى كؤوس كأنهنّ نجومٌ ... باديات[٨] بُروجُها أيْدِينا
طالعاتٌ مع السُّقاةِ علَيْنا ... فإذا ما غَربْنَ يَغْرُبْن فِينا
لو تَرى الشَّرْبَ حَوْلَها من بَعِيدٍ ... قلتَ قَوْمٌ من قِرَّةٍ يَصْطَلُونا[٩]
وغزال يُديرها ببَنانٍ ... ناعماتٍ يَزِيدُها الغَمْزُ لِينا
بادغِيسٌ أبُوه أو جَيْلان ... أو بُخَارا أراهُ أو شَرْوِينا

---

(١) راجع الطبرى ج ٣ / وذيل زهر الآداب : ١٣٦ .

(٢) الديوان : ٣٠ .

(٣) السلاف : لفظة فارسية مركبة من سول : عذب ، وآب : ماء ، والمراد هنا الخمر الصافية .

(٤) طيب : فى الديوان : شىء .

(٥) ماتجسم : هو العكر وغيره .

(٦) شجت : مزجت .

(٧) لمستها : فى الديوان : اجتليتها .

(٨) باديات : فى نسخة جاريات .

(٩) الشرب : جماعة الشاربين — القرة : البرد .

(١٠) هذا البيت والذى يليه ليس فى الديوان .

قَرْطَق مزنبق فى قَبَاء ... كرد نام[١] مدرَّز بالروينا

كُلَّمَا شئتُ عَلَّنى[٢] برُضابٍ ... يترك القَلْبَ للسرورِ قرينا[٣]

ذاكَ عَيْشٌ لو دام لِى غيرَ أنِّى ... عِفْتُه مُكْرَهاً وخِفْتُ الأمِينا

أَدِرِ الكَأْسَ حان أَنْ تَسقِينا ... واقْرِ العُودَ إنَّه يُلهِينا

ودَعِ الذِّكْرَ للطُّلُولِ إذا مَا ... دَارَت الكَأْسُ يَسْرَة ويَمِينا

كانت عَبَّاسة بنت المهدى أُخت الرشيد تحت محمد بن سليمان ، فتوفى عنها فورثته ثم تزوَّجها إبراهيم بن صالح فولَّاه الرشيد مصر فتوفى بها وورثته ، فخطبها عيسى ابن جعفر ، فقال مهلهل الشاعر :

أَعبَّاسَ أنتِ الذُّعاف الَّذى ... يَضِلُّ لديه رُقَى النَّافِثِ

قَتَلْتِ عَظيمَيْن من هاشمٍ ... وأنتِ على طَلَبِ الثَّالِثِ

فمَنْ ذا الَّذى غَمَّه مالُه ... يعرِّض بالمال للوارِثِ

فلم يتزوَّجها عيسى بن جعفر ولا غيره حتى ماتت .

وفيها يقول أبو نواس[٤] :

ألا قُلْ لأمينِ اللَّـ ... ـهِ وابنِ القادَةِ السَّاسَهْ

إذا ما ناكِث سَرَّ ... كَ أن تُفْقِدَه رَاسَهْ

فلا تَقْتُلْه بالسَّيفِ ... وَزوِّجْهُ بعَبَّاسَهْ

كان أبو نواس عند محمّد بن زُهَيْر فى يوم من أيام شهر رمضان يتحدّث، وكان محمد شديد المحبّة له، فتذاكروا الشُّرْب فقال محمّد : ياأبا علىّ كيف صبرك عنه فى النهار؟

---

(١) كردنام، ويروى جردنام : دائر الذيل

(٢) علنى : سقانى أول الشرب .

(٣) قرينا : فى الديوان : خدينا .

(٤) الديوان : ٥٢٠ .

فقال : صَبْرٌ ضعيفٌ رَثُّ القُوَى ، وإن كنتُ ليلا أستوْفِي ما يفوتُنى نهارا . ولو أجدُ مُسْعِداً ما فقدته فى ليل ولا فى نهار ؛ ثم أنشأ يقول[١] :

لو كان لى مُسْعِدٌ[٢] فى الراحِ يُسْعِدُنى ... لَمَا انتظرتُ بشُرْبِ الراحِ إفطارَا

الرّاحُ شىءٌ عجيبٌ أنتَ تاركُه ... فاشْرَبْ ولو حَمَّلَتْكَ الراحُ أوْزَارَا

يا مَنْ يلوم على صَفْرَاءَ[٣] صافيةٍ ... كُنْ[٤] فى الجِنان ودَعْنِى أسْكُنُ النّارَا

لما وَلَّى[٥] هارونُ إسماعيلَ بن صُبَيْح ديوانَ الرسائل بعد البرامكة — وكان كاتبَهم — فسعى بهم — استخلف ابنَه محمّداً عليه وهو أمردُ حسن الوجه جدا ، فقال لأبى نواس يوماً يا أبا على ادخل إلى ابنِك محمد فحدّثه وأنشده، فدخل إليه ، فكان أول ما أنشده :

قُبلةٌ منك نَيْكَةٌ من سواكا ... وهُما فى القياس عندى كذاكَا

فإذا ما رأيتُ وجهاً مليحاً ... كان حَظِّى من نَيْكِه أنْ أرَاكا

بأبى أنتَ من بَدِيعٍ جَمِيلٍ ... بَزَّ حُسْنَ الوُجوهِ حُسْنُ قَفَاكَا

خُلِقَ الناسُ كى يَسُوسُوا أموراً ... قلّدوهَا وأنتَ كيما تُنَاكَا

ما يَرَى اللهُ مثلَ وَجْهِكَ وَجْهاً ... قد أحلَّ التعطيلَ[٦] والإشراكا

فبلغ ذلك أباه فلقيه فقال : يا أبا على سبحان الله بمثل هذا تُشافِهُ الأحداث ؟ فقال : كذا رُزِق ابنك على لسانى وهو أحوجُ له .

---

(١) الديوان : ١١١ .
(٢) مسعد : فى الديوان : سكن .
(٣) صفراء : فى الديوان : حمراء .
(٤) كن : فى الديوان : صر .
(٥) الخبر والأبيات فى أخبار أبى نواس لأبى هفان : ٤٩ — الفكاهة : ٤٠ .
(٦) التعطيل : ألا تقام الحدود على من وجبت عليه .

حدّث[١] أبو نواس أنه غاب عن بغداد فقدم إليه رجل منها فقال : هل من خَبَرٍ ؟ فقال : نعم خَبَرٌ ظريف ! قال : ماهو ؟ قال : أنشد بعض الشعراء زُبَيْدة مدحاً وهى تسمع فقال :

أَزُبَيْدَةَ ابنةَ جَعْفَرٍ طُوبَى لزائرك الْمُثَابِ
تُعْطِين من رِجْلَيْك ما تُعطِى الأَكُفُّ من الرِّغابِ

فوثب إليه الخدم يضربونه فمنعتهم من ذلك وقالت : دَعُوه فإنه أراد خيرا فأخْطأ ، ومن طلب خيرا فأخْطأ أحبُّ إلينا مِمّن طَلَب شرًّا فأصاب؛ سمع قول الناس شمالك أَنْدَى من يَمِين غيرك ، وقفاكَ أحْسَنُ من وَجْهِ غَيْرِك ، فظَنّ أنه إذا قال هكذا كان أبلغ فى المَدِيح . أعطوه ما أمّل وعلّموه ما جهل . قال : فقلت له : والله لو ورد هذا الحكم على أبى العباس جدّها الذى كان النهايةَ فى العَقْل ما كان عنده من الحِلْم والاحتمال أكبر من هذا ! !

قال : وكانت زُبيدة أعْقل الناس وأفصحهم .

ومن هذه الأجناس لأبى نواس قصيدة[٢] امتدح بها العبّاس بن عبد الله بن جعفر بن أبى جعفر :

غَرَّد الدِّيك الصَّدُوحُ فاسقِنِى طابَ الصَّبُوحُ
اسْقِنِى حَتَّى تَرَانِى حَسَناً عِنْدِى القَبِيحُ
قَهْوة تَذْكُر نُوحاً[٣] حِينَ شادَ الفُلْكَ نُوحُ
نحنُ نُخْفِيها ويَأْبَى طِيبُ عَرْفٍ[٤] فيَفُوحُ

---

(١) الخبر فى الموشح : ٣٥٢ ـ المحاضرات للراغب : ١/٤٣ .
(٢) الديوان : ٤٣٤ .
(٣) تذكر نوحا : يريد قديمة معتقة .
(٤) عرف : فى الديوان : ريح .

فكأنّ القومَ نَعْشٌ ... بينهم مِسْكٌ ذَبِيحُ
أنا فى دُنْيا من العبّـ ... ـاسِ أَغْدو وأَرُوحُ
هاشِمِيٌّ عَبْدَلِيٌّ(١) ... عنده يَغْلُو المَدِيحُ
عَلَمُ الجُودِ كِتابٌ ... بين عَيْنيهِ يَلُوحُ
كُلُّ جودٍ يا أميرِى ... ما(٢) خلا جُودك رِيحُ
إنّما أنت عَطايا ... أبداً ما تستريحُ
ضَجَّ صوتُ المالِ مِمّا ... مِنْكَ يشكُو ويَصِيحُ
مالهذا آخِذٌ فَوْ ... قَ(٣) يدَيْـه أو نَصِيحُ
جُدْتَ بالأموالِ حتّى ... قِيل ما هَذَا صَحِيحُ

من قول الشاعر :

ما كان يُعْطِى مثلَها فى مِثْلِه ... إلّا كريمُ الخِيمِ أوْ مَجْنُونُ(٤)

فَهْوَ بالمالِ جَوَادٌ ... وهْوَ بالعِرْضِ شَحِيحُ
صُوِّرَ الجودُ مِثالاً ... ولَه العباسُ رُوحُ(٥)

كان أبو نواسٍ قد صحب إبراهيم بن سيّار النظّام وهو صبيّ فأخذ عنه ، ثم فارقه وعاد إليه بعد ذلك . وكان النظّام يدعوه إلى مذهب المعتزلة والقول بعُمُوم الوعيد ، وينهاه عن أفعاله ويقول له : إن الكبائر مخلّدات فى النار ، وإن مذهب المعتزلة هو الحق . فأَبَى أن يُجيبَه إلى ذلك وفارقه وهجاه معرِّضاً به ، فما عَرَّض به فى هجائه قوله

---

(١) عبدلى : نسبة إلى عبد الله بن العباس .
(٢) ما : فى الديوان : لا .
(٣) آخذ فوق يديه : يريد مانعا .
(٤) الصناعتين : ٢٨٩ (المبالغة) بدون عزو .
(٥) هذا البيت متقدم فى الديوان .

فى هذه القصيدة وهى تسمَّى القصيدة الإبراهيمية لأنه شنّع فيها على إبراهيم فامتنع من مجالسته وطرده، فقال[١] :

دَعْ عنك لَوْمِى فإنّ اللَّوْم إغراءُ ... وداوِنى[٢] بالّتى كانت هى الدّاءُ
صَفراءُ لا تَنْزِل الأحزانُ ساحتَها ... لَوْ مَسَّها حَجَرٌ مَسَّتْه سَرّاءُ
من كَفّ ذاتِ حِرٍ فى زِىّ ذى ذَكَرٍ ... لهــا مُحِبّان لُوطِىٌّ وزَنّاءُ
قامت بإبريقها واللَّيل مُعْتَكِرٌ ... فلاح من وَجْهِها فى البَيْتِ لألاءُ[٣]
فأرسلَتْ من فَمِ الإبريق صافِيَةً ... كأنّما أخْذُها بالعقل إغفاءُ
رَقَّت عن الماءِ حتى ما تُمازِجُه[٤] ... لطافَةً وجَفَا عن شَكْلِها الماءُ
فلو مَزَجْتَ بها نوراً لمازَجَها ... حَتَّى تَولَّدَ أنوارٌ وأضْوَاءُ
دارَت على فِتْيَةٍ ذَلَّ[٥] الزمانُ لهم ... فما يُصيبُهم إلّا بما شاءوا
لِتلْك أبْكِى ولا أبْكِى لمنزلة ... كانت تَحُلّ بها هِنْدٌ وأسْماءُ
حاشَا لِدرَّةَ[٦] أن تُبْنَى القباب[٧] لهَا[٨] ... وأنْ تَرُوح عليها الإبْل والشّاءُ

---

(١) الديوان :

(٢) داونى : يقال إنه أخذ هذا المعنى من قول الأعشى :

وكأس شربت على لذة ... وأخرى تداويت منها بها

(٣) معتكر : مظلم — لألاء : بريق .

(٤) ما تمازجه : فى الديوان : ما يلائمها .

(٥) ذل : فى الديوان : دانت .

(٦) الدرة : اللبن يحلب ، ويريد هنا الخمر .

(٧) القباب : فى الديوان : الخيام .

(٨) لها : فى ك : بها ، والتصويب من الديوان .

ثم قال يخاطب إبراهيم بن سيار النظام معرضا به :

فقل لمن يدعي في العلم فلسفة حفظت شيئا وغابت عنك أشياء
لا تحظر العفو إن كنت امرأ حرجا فإن حظركه بالدين[1] إزراء

قال أبو حاتم السجستاني : اختلف الناس في هذه القصيدة وفي قصيدة الحسين ابن الضحاك :

* بدلت من نفحات الورد بالآء *

فخرجنا إلى المربد وقلنا نطلب أعرابيا فصيحا فنسأله عن القصيدتين ، فلقينا أعرابيا فسألناه وقلنا: قد اختلفنا في قصيدتين ورضينا بحكمك فيهما . قال : أنشدوني. فأنشدناه قصيدة الحسين بن الضحاك :

* بدلت من نفحات الورد بالآء *

فلما فرغنا قال : أعيدوها ، فإن أول نظرة فلوت . فأعدناها عليه فاستحسنها ثم قال : هاتوا الأخرى ، فأنشدناه :

* دع عنك لومي فإن اللوم إغراء *

قال : فقال :

* دع عنك لومي فإن اللوم إغراء *

هذا النصف كفاء للقصيدة الأولى وتركنا وانصرف .

قال ابن الأعرابي يوماً : أنشدوني بيتاً أوله أكثم بن صيفي في اختيار الرأي وآخره ابن ماسويه المتطبب في المداواة. فقالوا : ما نعرفه . فقال : قول أبي نواس:

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء وداوني بالتي كانت هي الداء

---

(١) بالدين : في الديوان : في الدين .

قال أبو نواس: كنت بقطْربُّل فأشرفت على خراب فإذا شيخ سكران قد قضى حاجته وفرغ وأخذ جَمْساً يابسا واستنجَى به ، فقلت : أسخن الله عينك من شيخ ، ما هذا الذى تعمل ؟ فقال : يا خَرا هذا من قولكم :

* وأُخْرَى تداوَيْتُ منها بِها *

كان إبراهيم النظام يتعجّب من قول أبي نواس :

وكَمْ فى الحبِّ من قَلْبٍ ... بــداء الُحبِّ مَغْمُوسِ

وطرف ليس عن رُوحٍ ... ولا نَفْسٍ بمَحْبُوسِ

ومَعْنًى غــيرِ مَعْقُولٍ ... ولَفْظٍ غــير مَحْسُوسِ

أصبح[1] المأمون يوما مُصْطَبِحاً فدخل عليه يحيي بن أكثم فأراد أن يعبث به فقال له : أيها القاضى قد أصبحتُ مخموراً فدلَّنى على شىء أنفي به خُمارِى . فقال له ياأمير المؤمنين أَدُلُّك من كتاب الله وسنة رسول الله ؟ قال : وكان المأمون متّكئا فاستوَى جالسا وقال له : من كتاب الله وسنّة رسول الله ! فقال: نعم يا أمير المؤمنين قال : قل . فقال : يا أمير المؤمنين قال الله تعالى : « وما آتاكُم الرسولُ فخذوه وما نَهاكم عنه فانتهوا » ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « استعِينُو على كُلّ صَنْعَةٍ بصالِحِى أهلها» . ونظرتُ فى هذه الصناعة فلم أجدْ فيها أصنع من الأعْشَى وأبى نواس ، وقد قال الأعشى[2] :

وكأس شربتُ على لَذّةٍ ... وأُخْرَىتداويتُ مِنها بِها

---

(١) مثل هذا الخبر يروى فى خاص الخاص للثعالبي : ٤٨ عن حامد بن العباس فى أيام وزارته أنه سأل على بن عيسى وهو على الدواوين عن دواء الخمار فتلجلج فسأل أبا عمرو القاضى فأفتى بما هو وارد فى هذا الخبر .

(٢) ديوان الأعشى : ١٢١ .

وقال أبو نواس :

دع عنك لومى فإنّ اللّومَ إغراء ... وداوِنى بالّتى كانتْ هى الدّاء

فَلْيستدْعِ أميرُ المؤمنين رِطْلًا فيشربه ينفكُّ عنه خُماره . فقال المأمون : قاتلك الله . والله ما رأيت من يأمُر بالفِسْق من كتابِ الله وسنّة رسوله سِواكَ !

ومن شعر أبى نواس وقد جاء رمضان فى الحر[1] :

يارِبِّ يا مَلِكَ الرِّقابِ ... أنَصُومُ فى هذا العَذابِ ؟!

إنْ كنتَ قدّرتَ الصِّيَا ... مَ فأعفِنا من شهرِ آبِ[2]

أوْ لَا فإنّا مفطرو ... نَ وصابِرُون على العَذابِ

مر أبو نواس فى بعض سكك البصرة ومعه حَمْدان بن بشر وكان يقود عليه ، فرمقهما الناس بأبصارهما فاستحيا . فقال حمدان لأبى نواس : تقدّمنى حتى أتبعك. فقال له أبو نواس : لا بل أنت تقدّم وأنا أتبعك ، ثم أنشد :

أقول لِحَمْدان بن بِشْرٍ مجاوِباً ... وقد رشَقَتنا باللّحاظِ النّواظِرُ

وأطرقَ منه الرأسَ ثُمَّتَ قال لى: ... تقــدَّم قليلا إنّنى متأخِّرُ

تقدَّم قليلًا يعرفِ الناسُ حالَنا ... بأنّك قوّادٌ وأنّى مُؤَاجَــرُ

قال أبو نواس : سبقنى والبة بن الحُباب إلى بيتين قالهما ، وددت أنّى قلتهما وسبقته إليهما وأن بعض أعضائى اختلج منّى ، وهما قوله[3] :

ولَيْسَ فَتَى الفِتيان من راح واغْتَدَى ... لِشُرْبِ صَبُوحٍ أو لشُرْبِ غَبُوقِ

ولـكن فَتَى الفتيانِ من رَاحَ واغْتَدَى ... لضَرِّ عَدُوٍ أو لنفع صَـــدِيقِ

---

(١) فى طبقات ابن المعتز : ٤٥٠ تنسب هذه الأبيات إلى عيسى بن زينب .

(٢) آب : شهر رومى يقابل أغسطس .

(٣) مجموعة المعانى (الجوائب) : ١٧٥ بدون عزو، وكذلك فى المستطرف : ١ / ١٠٧ والرواية فيهما : وليس فتى الفتيان من جل همه ... صبوح وإن أمسى ففضل غبوق

لمّا كان أبو نواس فى أوّل أمره فى العطارين يَبْرِى العود ، كان له أستاذ يُكنَى أبا الأزهر ، فتزوّج أبو الأزهر امرأة فلم تلبث معه حتى سألته الطلاق فطلّقها ، ثم تزوّج أخرى فكانت كذلك ، فنقَّر[١] عن أمره مع نسائه فوجد أبا نواس يغريهنّ به ويبلّغهنّ ما لم يَقلْه ولم يفعله . فقال له : ما الذى حملك على هذا ؟ فقال : سمعت أنه من لم يضرّ ولم ينفع فليس من الناس . وأنا صبىّ لا أقدر على النفع فقلت أضرّ لأدخل فى جملة الناس . فقال له : اذهب فوالله لا تُفلِحُ أبداً .

قال على بن العباس بن جُرَيْجٍ الرُّومِىّ الشاعر : وجّه[٢] بى الأمير عبيد الله ابن عيسى بن جعفر إلى السّندىّ بن صَدَقة ، والسندى أحد وُجوه مدينة السلام وأدبائها ، وهو خال أحمد بن يحيى البلاذرى . قال : فإنى عنده إذ دخل عليه رجل أسمرُ طويلٌ مفتولٌ حَسَنُ الوجه ، جيِّد اللحم أسودُ اللِّحية ، بعارضيه نَبْذَة بياض وعليه بِزّة حسنة ، وفى رجليه نعل رقيقة . فلمّا بصر به السندى قام إليه وأجلّه ، فأنشده الفتى الداخل عليه قبل قعوده :

إذا انكسرت عليك دَلِفْتَ نحوى ... وإن قامت فأنت غُرابُ نوحِ

وإن صرنا إليك نُرِيدُ شُرْباً ... برزتَ لنا أصمَّ على جُموح

فقال له السندى : بالحُرْمَة إلا أمسكتَ ولم تَزد . فأمسك وقعد. وسأله السندى أفى هذا اليوم البارد فى رداء ونعل؟ فقال : قد قلت فى هذا اليوم بيتين وعوّلت بهما عليك. قال : قل. فأنشده الفتى وكان فى أيام العجوز[٣]:

---

(١) نقرعن أمره : بحث .

(٢) هنا سقط فى سند الخبر وإلا كان محالا ، فابن الرومى ولد سنة إحدى وعشرين ومائتين، أى بعد وفاة أبى نواس بست وعشرين سنة فكيف التقى بأبى نواس فوثق أنه لم يعرفه ! ذلك إلى أن الصورة التى يصف فيها الداخل لا تنطبق على أبى نواس. فلعل الخبر مدخول، وأبيات أبى نواس مستشهد بها فى الخبر لا غير .

(٣) البيتان فى الديوان : ٢٢٦ .

ويَوْمٍ مِنَ أيّامِ العَجُوز كأنَّمـا وجُـوه النّدامَى فيـه بالثّلْج تُلْفَحُ
جعلنا صِلاهُ[1] الراحَ فالتهبَت بنا وأوْقَدَت الأَجوافَ فالجِلْدُ يَرْشَحُ

فقلت من هذا ؟ فقال : هذا أبو نواس .

ومن شعر أبي نواس[2] :

لمَّـا رأيتُ الغزالَ مُنْجَدِلاً لا حَرَسٌ دُونَه ولا رَصَـدُ
قُمْتُ إليـــه أدُبُّ مُرْتَعِدًا وكُلٌّ من دَبَّ فهْوَ يَرْتَعِدُ
هتـكتُ سترَ التُقى[3] بنَيْكَتِه ونِلْتُ منـه ما لم يَنَلْ أَحَدُ

ذكر سُفيان بن عُيَيْنَةَ[4] يوماً أبا نواس . فقال : كان أبو نواسٍ واللهِ ظرِيفاً .

وقرأت نقش خاتَمِه: « الـكِبْرُ ذُلٌّ »، وهذا نقش الحـكماء .

وحدّث[5] مَن دفن[6] أبا نواس قال : كان نقش خاتمه :

تعاظمني ذنبي فلمّا قرنتـه بعفوك ربِّي كان عفوك أعظما

وقيل : كان نقش خاتمه : من لم يحل لم يبل .

قال محمد بن أبي عُيَيْنَة : لقيت أبا نواس بعسكر مُـكْرَم[7] فقلت له أُحبّ أن تُنْشِدنى من شعرك شيئا تضنّ به على غيرى ، فأنشدنى[8] :

يَكْفِى الـكريمَ من الـكَلا مِ لمن يُحادِثُه أَقَلُّهْ

---

(١) صلاه : وقوده وما يستدفأ به .

(٢) الفـكاهة .

(٣) فى ت : الفتى .

(٤) سفيان بن عيينة : إمام عالم ثبت ورع محدث ولد سنة ١٠٧ وتوفى سنة ١٩٨ هـ .

(٥) عيون الأخبار : ٣٠٣/١ وسيأتى هذا الخبر .

(٦) دفن : فى ت : رأى .

(٧) عسكر مكرم : من نواحي خوزستان « ياقوت » .

(٨) ليس فى الديوان وهى أشبه بأبى العتاهية .

والشَرُّ شيء لم يَزَلْ بأدقه يأتى أَجَلُه
إنْ لم يصبك من الكَرِيـ ـم الحـرُّ وابلُـه فطَلُّهْ
إنَّ الكريم له عَلَى معروفِه نَفْسٌ تَدُلُّهْ
يُبْدِى مكارِمَه كَما يُبْدِى فِرِنْدَ السيفِ سَلُّهْ
والنَذْلُ يوقع نفسَه متعمدًا فيما يُذِلُّهْ
والحـرُّ يُكْرِمُ نَفْسَهُ بالصَّفْحِ عَمَّن لا يُجِلُّهْ

قال سليمان سخطة : قدم حيٌّ من أحياء العرب بادية البصرة ليمتارُوا ويرجعوا . فنزلت الأبياتُ ظاهر البصرة، فقال أبو نواس يوما : اخرج بنا إلى الأبيات . فخرجنا فاستقريناها ، فلما صرنا إلى آخرها إذا نحن بامرأة شديدة الأُدْمَة إلا أنها مع تلك الأُدْمة أحسنُ الناس وَجْهاً وأحلاهُ وأغزله وأنقاه ثغْرًا ، وأحوره عينا ، فوقفنا ننظر إليها. وداعبها أبو نواس وداعبته، فإذا هى ظريفة آنسة ضاحكة ماجنة من الأعراب . فقال لها أبو نواس :

هل عندكِ اليوم من خَمْرٍ فنشربَها أم هل سَبيلٌ إلى تقبيل عَيْنَيْكِ
فلست أبغِى سوى عينيكِ منزلةً إنْ لم تجودِى لنا عَفْواً بخدَّيْكِ
أو تأذنينَ بريقٍ منك أرْشُفُه أو لَمْس بَطْنِكِ أو تغميز ثدْيَيْكِ[1]

فأجابته على المكان :

أنت امرؤٌ ليس يُجزِيه مُقَبَّلُنا ولا تُرِيدُ سِوَى التَّرْهِيز والنَّيْكِ
فَلِمْ تُجَمْجِم فيما لستَ تُوضِحه أَوْضِح وأَبْدِ الَّذِى فى خفى كَشْحَيكَ
إنِّى فتاةٌ بيذل الوُدِّ سامحةٌ أُجيب من رامَنِى يوماً بلَبَّيْكَ

فاستظرفها أبو نواس . فكنا نحمل فى كلِّ وقتٍ شرابا ونجىء فنشرب عندها ومع زوجها، وكانت وزوجها يشربان، ولم نزل كذلك حتى رحلوا.

---

(١) ثدييك : فى ت عطفيك .

جاء مسلم بن الوليد والعتَّابى والنُّمَيرى والجرجانى[1] والتّميمى وسَلْم وأبو الشَّيص ومَرْوان وأبوالعتاهية إلى أبى نواس فقالوا: بلغنا عنك أنّك تحقّرنا وتشتمنا وتستخفّ بنا وبأشعارنا ، فتعالَ حتى نُهاجيك ونُشاعرك . فأنشأ يقول مجيبا :

الوَيْلُ للشُّعراء من شُعَرائكم ... يتعرَّضُون لواحدِ الشُّعراءِ
اللهُ أخــزاهم فجـاء جميعُهــم ... يستمطرون صَواعِق وهِجائى
أهْجُوهُمُ متفرقين وجُمْـلَةً ... هانُوا علىَّ وليس من أعـدائى
يتشرَّفُـــون بأنّــنى أهجُوهُم ... حتَّى كأنهم من الُخلَفـاءِ

فقال العتَّابى : قوموا بنا عنه فقد نهيتُكم عن المصير إليه ، هو والله أشعر منكم ، وعلى الشعر أقدر منكم .

كانت للفضل بن أبى سهل بن نوبخت وصيفةٌ ظريفة فمابثها أبو نواس فقالت له : وجهك والحرام لا يجتمعان، فقال[2]:

أبَتْ عيناىَ بعدكِ أن تنامـاَ ... وكيف ينامُ من ضَمِنَ السَّقاما
بُليتُ مــن الغَرام بمـا ألاقِى ... وراجعتُ الصّبـابة والغَراماَ
رجعت إلى العِراق برَغْم أنْفِى ... وفارَقتُ الجزيرَة والشَّـآما
على شَطّ البَلِيخ[3] وسا كِنيه ... سلامُ مُسَلِّم لَقِىَ الحماماَ
مذكّرةٌ مؤنّثة مَهاةٌ ... إذا برزت تُشَبِّهُها الغُلاماَ
تعافُ الماءَ والعَسَل المُصَفّى ... وتَشرب من فُتُوّتها[4] المُداما

---

(١) الجرجانى : هو أحمد بن سيار كان راوية شاعرا مداحا ليزيد بن مزيد .

(٢) الديوان : ٢٥٠ .

(٣) البليخ : فى الديوان : الشآم — والبليخ : نهر بالرقة يجتمع فيه الماء من عيون ، يصب فى الفرات بعد الرقة بميل (ياقوت) .

(٤) فتوتها : اكتمال شبابها .

تَقُولُ لسيفها[1] ياسيفُ أَبْشِر ... ستَرْوَى من دَمٍ وتَقُدُّ هَامَا
وقائلةٍ لها فى وَجْه نُصْحٍ ... عَلامَ قتلت هذا المُسْتَهامَا ؟!
فكان جوابُها فى حُسْن مَسٍّ ... أأَجْمع وَجْهَ هذا والْحَرامَا !
لقد رَبحَت تِجارةُ كلِّ صَبٍّ ... تُهادِيه حَبِيبَتُه السَّلامَا

وقال[2] :

لَلطْمــــة يلْطُمنى أمْرَدُ ... تأْخُذُ مِنِّى العَيْنَ والفَكَّا
أَطْيَبُ من تُفَّاحةٍ من يَدَى ... ذى لحيةٍ قد حُشِيت مِسْكَا

كان العباس بن محمد يتشوّق أبا نواس ويميل إليه ، فلما رآه وسمع منه ورأى ظرفه وكماله أقبل عليه وقال : يا أبا على ، أريد أن أقول لك شيئاً فاستحييك واستحى من نفسى فى تَرْكِ نصحك ، وقد بلغنى أنك مُكِب على المعاصِى مُسْتَهْتَر بالقبائح والمجون. فقال : أيها الأمير أما المعاصى فإنى أثق فيها بعفو الله عز وجل وقوله تعالى ؛ فوالله لو أن السندى يقول ما قال الله سبحانه وتعالى لوثقت به ، فكيف بقول رب العالمين عزّ وجلّ وهو يقول ﴿ياعبادِىَ الّذين أَسْرَفُوا على أَنفُسِهم لاتَقْنَطُوا من رَحْمَةِ اللهِ إنّ اللهَ يغفر الذّنُوب جميعا﴾ وأمّا المُجون فما كل أحدٍ يُحْسِنُ أن يَمْجُن ، وإنما المُجون ظَرْف ، ولستُ أبْعُد فيه عن حَدِّ الأدب ولا أتجاوز مقداره . ثم نهض . فقال العباس : هذا والله الأدب الذى يحسن معه كل شىء .

حدّث[3] الجمّاز أن أبا نواس احتاج حاجة شديدة واشتاق إلى شرب الخمر وهو ببغداد، فلم يَقْدِر على ما يشترى به خمرا ، فذكر له أخاً شاعرا فى بعض القُرَى فخرج إليه ، فوجد صاحبه أسوأ حالاً منه ووجده وعنده خابية شراب لا غير . فقال له :

---

(١) يريد نظرات عينيها .
(٢) نهاية الأرب : ٤/ ٨٩ .
(٣) أخبار أبى نواس لأبى هفان : ١٩ .

ما حالك ؟ فقال : والله ما عندى مأكل فأشرب عليه الشرب . فقال له أبو نواس : ما ههنا أحد نمدحه ؟ فقال : ههنا رجل من مضر يكنى أبا مالك ، إذا مدحتُه مدحنى ، وإذا هجوته هجانى مِثلاً بِمِثْل . فنظر أبو نواس فى شعر المضرى فإذا هو شعر متظرف متكلّف . فدعا بالدواة وكتب إليه[1] :

قل لأبى مالكٍ فَتَى مُضَرٍ ... مقـال لا مُفْحَم ولا حَصِرِ
جئنـاكَ فى مَيِّتٍ تُـكَفِّنُهُ ... ليس من الجِنِّ لا ولا البَشَرِ
بل هو ميْتٌ عِظامُـه[2] خَزَفٌ ... والجِلدُ[3] قارٌ والرُّوح من عَـكَرِ
ليس لنا ما به نـكفِّنُه ... فـكفِّنِ المَيْتَ يا أخا مُضَرِ
واعجل فقـد مات فاعلَمَنَّ ضُحًى ... ونحن من نتنه على خَطَرِ
يا لك مَيْتاً صلاةُ شيعَتِه ... عَزْفٌ عليـه والنَّقْرُ بالوَتَرِ

فلما قرأ المضرىُّ الشعر أقبل بحَشَمِه وغلمانه لمّا عرف أنّ أبا نواس عنده ، وأنه هو الذى قال الشعر ، ثم أَكَبَّ عليه فقبّل رأسه واعتذر إليه ألّا يكون عَلِمَ فاستقبله . وحوّل إليهما مااحتاجا إليه، وأقام عندها يومه ذلك. وأمر لأبى نواس بخمسة آلاف درهم ولصاحبه بثلاثة آلاف درهم .

وقال أبو نواس يمدح الأمين[4] :

صَبَبْتُ على الأمينِ[5] ثيابَ مَدْحِى ... فـكلُّ الناسِ حَسَّنَ واستَجادَا
ولولا فضله ما جادَ شِعرِى ... ولا أعطَتـنِىَ الفِطَنُ القِيادَا[6]

---

(١) الديوان : ٦٨٦ .
(٢) فى ك . ت وأخبار : سلاحه . ورجحنا عبارة الديوان .
(٣) فى الأخبار : والجسم قان .
(٤) الديوان : ٤٣٣ وفيه : يمدح العباس بن عبد الله .
(٥) الأمين : فى الديوان : الأمير .
(٦) فى الديوان : ولا ملك التنا منى القيادا.

وقالُوا قـــد أَجَـدْتَ فقلت إنّى ... وجــدتُ القولَ يُمْكِننى فجَادَا[١]

قال إبراهيم بن المهدى : قلت لمحمد الأمين : ما رأيت كما قد أظهرت من التّهتّك وخَلْع العذار وتَخْلِية نفسك وهواك ، حتى لقد نادمت أبا نواس وهو خليع الفكر مشهور بالمجون والتهتك! فنظر إلىّ نظرة منكرة وقال: الساعة ترى ، هاتوا أبانواس. فلما جاء سلّم وجلس ناحية . فقال محمد : ههنا فأدناه حتى حكّت ركبتُه ركبتَه ، وأقبل يُنشده ويحادثه ويفكّهه و يَبْتَدِهُ[٢] له من كل ضرب . ثم قام لبعض حوائجه فأقبل علىّ محمد وقال : يا إبراهيم من يصبر عن هذا ولا يحتمل فيه كل شىء ؟ ! والله إن هذا يحسن منه كُلُّ ما يأتى به . فعَلِمْتُ أنّ الذى قاله الأمين حَقّ ، وما رأيت فى الدنيا مثله قط .

ومن شعره فى الأمين[٣] :

قام الأمين بأمر الله فى البَشَرِ ... واستقبل المُلْكَ فى مستقبل الثَّمَرِ

فالطيرُ تُخْبِرنا والطير صادِقَةٌ ... عن طِيبِ عَيْش وعن طُولٍ من العُمُرِ

فيملك الأرضَ أقصَى ما تَعُدُّ[٤] يد ... حتى يدبَّ كليلَ الصوتِ والنَّظَرِ

قــد زَيَّن الله دُنيانا وحَسَّنَها ... بابْنِ الشَّفيع إلى الرَّحْمن فى المَطَرِ[٥]

وازدَادَتِ الأرض لمَّا ساسها سعة ... وأضعفَ[٦] اللهُ نورَ الشَّمْسِ والقَمَرِ

وقال فيه أيضا وهو ولىّ عهد إذ ذاك :

تتيهُ الشمسُ والقمرُ المُنيرُ ... إذا قلنا كأنَّهما الأَمِــيرُ

---

(١) فى الديوان : رأيت الأمر أمكننى فزادا .

(٢) فى ت :«ينبذه» وفى ك: بدون نقط . ويبتده له : يرتجل ويأتى به على البديهة .

(٣) الديوان : ٤٢٢ .

(٤) تعد يد : ما يستطيع أن تحسبه .

(٥) يريد العباس بن عبد المطلب، وقد استسقى به الناس فى أيام عمر (رض) لقرابته من رسول الله

(٦) أضعف الله : فى الديوان : حتى تضاعف .

فإنّ يك أشبهَا منــه قَليلًا فقد أخطاهمـا شَبَهٌ كثيرُ
لأنّ الشمسَ تَغرُبُ حين تُمسِى وأنّ البدر يَنقُصُه المَسيرُ
ونُور محمّدٍ أبـــداً تمَـامٌ على وَضَحِ الطريقةِ لا يَحُور

ومن شعره[1] :

وَعَدْتَنِى وعــدَك حتّى إذا أطمَعْتَنى فى كَنْزِ قارُون
جئتَ من اللَّيْـلِ بغسّالَـةٍ تَغسِل ما قُلْتَ بصابُون

ومن شعره[2] :

سألتُ أخِى أبا عِيسَى وجبريلٌ له عَقْـلُ
فقلْتُ الراحُ[3] تُعجِبُنى فقال : كثيرها قَتْـلُ
فقلتُ لـه : فقـدّر لى فقال : وقولُـه فَصْلُ
وجـدتُ طبائعَ الإنسا نِ أربعةً هى الأَصْـلُ
فأربعــةٌ لأَرْبَعَـــةٍ لـكُلِّ طبيعةٍ رِطْـلُ

لقى[4] أبو نواس مسلمَ بن الوليد فقال له : يا حسن حدّثنى عن قولك :

جَرَيْتُ مع الصِباَ طَلْقَ الجَمُوح وهانَ علىَّ مأثــورُ القَبـيح

لِمَ جعلت فرسَك جَمُوحا ؟ ولِم سمّيت لهوك قَبيحا ؟ فقال : يا مسلم[5] ، الجَمُوح أبعد الأفراس شأواً وأبطؤها فتورا ؛ وسمّيت اللّهو قبيحا إيثارا للعقل لا للجهل . وتتمة هذه القصيدة[6] :

(١) ليس فى الديوان .
(٢) الديوان : ٦٠ .
(٣) فى الديوان : الخمر .
(٤) الموشح : ٢٨٣ ــ تاريخ بغداد : ٧/٤٤١ .
(٥) فى ك : يا أبا مسلم .
(٦) الديوان : ٧١ ــ تاريخ بغداد : ٧/٤٤١ .

وجدت أَلَذَّ عاريةِ الليالى ... قِرانُ النَّغْمِ بالوَتَرِ الفَصيحِ
ومُسْمِعَة إذا ماشئت غنَّت ... متى كان الخيامُ بذى طُلُوحِ
تَمَتَّع من شبابٍ ليس يَبْقَى ... وصِلْ بِعُرَى الغَبُوقِ عُرَى الصَّبوحِ
وخذها من مُشَعْشَعَةٍ كُمَيْتٍ ... تنزّل دِرَّةَ اللَّحِز الشَّحيحِ[1]
تخيَّرها لكسرى رائداهُ ... لها حَظَّان من لَوْنٍ وريحِ[2]
ألم تَرَنِى أبحتُ الراحَ عِرْضِى ... وعضّ مراشف الظَّبْىِ المَليحِ
لأنّى عالمٌ أنْ سوف تنأى ... مسافةُ بينِ جُثْمانِى ورُوحِى

اجتمع[3] أبو نواس ومسلم يوما فقال له مسلم : ما أعلم لك بيتا إلا مدخولا مَعِيبًا ساقِطًا ، فأنشدنى أىّ بيت شئت من شعرك . فأنشد أبو نواس إنشاد المُدِلّ :

ذكَر الصَّبوحَ بسُحْرَةٍ فارتاحَا ... وأَمَلَّه دِيكُ الصباح صِياحَا[4]

فقال له مسلم : قف عند حجّتك ، لِمَ أملّه صياحا وهو الذى بَشّره بالصّبوح الذى ارتاح له ؟ فانقطع أبو نواس انقطاعا بيّنا ، فجعل الجواب له معارضة ، فقال : أنشد أنت أيضا ما أحببْتَ من شِعرك ، فأنشده مسلم :

عاصَى الشبابَ فراح غيرَ مُفَنَّدٍ ... وأقام بين عَزيمةٍ وتَجَلُّدِ

فقال له أبو نواس : حسبك حيث بلغت ، ذكرت أنه راح ، والرَّواح لا يكون إلا بالانتقال من مكان إلى مكان ثم قلتَ :

* وأقام بين عَزيمَـة وتَجلُّد *

---

(١) الشعشعة : الممزوجة ــ الكميت : من أسماء الخمر لما فيها من احمرار إلى اسوداد ــ الدرة : المراد العطاء ــ اللحز : البخيل .

(٢) ذكر اللون والريح ولم يذكر الطعم لأن لونها وريحها متى طابا طاب طعمها ضرورة وليس العكس .

(٣) الخبر : فى الموشح ٢٨٣ ــ الشعر والشعراء : ٧٨١ ــ غ (بيروت) : ١٨ / ٣١٧ .

(٤) من قصيدة فى الديوان : ١ وسيأتى بعد هذا الخبر تكملتها .

فجعلته منتقلا مقيما ، وقلت : عاصَى الهوى ، ثم قلت : وأقام بين عزيمة وتجلد ، فكيف يكون ذلك مع المُعاصاة ؟ ! فانقطع مسلم وتشاغبا وافترقا . والبيتان جيدان بديعان ، ولكن قلّ من طلب عيبا إلا وجده .

وفى قصيدة أبى نواس بعد البيت الأول فى صفة الديك[1] :

أَوْفَى على شَرَف الجِــدار بسُدْفَةٍ   غَرِداً يصفِّق بالجَناح جَنــاحَا

فأَدِرْ[2] صَباحك بالصَّبُوح ولا تَكُنْ   كمُسَوِّفين[3] غَـدَوا علَيْك شِحاحَـا

إنّ الصَّبوحَ جِـلاءُ كلّ مُخمَّرٍ   بدَرَتْ يداه بكأسه الإصْباحَا

وخدين لذّات مُعلَّلِ صـاحبٍ   تَقْتات منـه فـكاهةً ومُزاحَا

نَبَّهته والليل مُلْتَبِسٌ بـه   وأزَحْت عنـه نُعاسَه فانْزاحَـا[4]

قال : ابْغِنى المِصْباح قلتُ له اتَّئِد   حَسْبِى وحَسْبُك ضَوْءها مِصباحَا

فسكبتُ منها فى الزجاجة شَرْبةً   كانت له حتّى الصباح صَباحَـا

من[5] قهوةٍ جاءتك قَبْل مِزاجها   عُطُلًا فألبَسها المِزاجُ وِشَاحَـا

شَـكَ البِزالُ فؤادَها فـكأنّما   أهْدَتْ إليـك بريحهـا تُفَّاحَا

صفراء تفترش النفوس فـلا ترى   منها بهن سوى السِّنات[6] جِراحَا

---

(١) الديوان : ١

(٢) فى الديوان : بادر .

(٣) كسوفين: سئل أبونواس: من المسوفون؟ فقال : الذين يقولون بشربها فى الآخرة (هك).

(٤) فى الديوان : وأزحت منه حثاثه فانزاحا . والحثاث : بقية النوم فى الجفون .

(٥) من قهوة.. : يريد أنها لما مزجت صار حبابها عليها كالوشاح .

(٦) السنات جمع سنة : الفترة فى العين من النوم .

قال رُزَين[1] أخو دعبل : كان الأدب يجمعنا كثيرا فيؤنسنا التناشد والمذاكرة ، فاجتمعنا يوما عند أبى نواس وهو إذ ذاك فى رهج دوامة مع محمد بن زُبَيدة ، وفينا دِعْبل بن علىّ ، ومسلم بن الوليد ، وأبو الشيص ، فلما كادت الكؤوس أن تغلِبَ العقول قال أبو نواس : قد اتفق اجتماعنا فلم لا نتّم يومنا بما يذكرنا به المتأدّبُون ؟ قلنا له : إنه ليوم ذاك . فالتفت إلى مسلم فقال : هات فلله إحسانك فى الإجابة إذا نوديت فاختر من شعرك ما شئت ، فليس من شاعر إلا وهو يعرف حبَّة القِلادة من شعره . فاستوى مسلم جالسا وقال : ليست بك حاجة إلى مكاثرتنا ، فقد علمنا أنّ معك من الكلام دُرَّه وخالص جوهره ، وإنما أردت إقرارنا لك بذلك، فقد سلّمناه لك .

فقال أبو نواس : مالهذا قصدت ، ولكنك تريد أن تفخر علينا بجودة شعرك فامض لما اجتمعنا عليه ، فلن ندع مشاركتك فى ذلك لما تقدم من بقاء ذكره بين الأدباء على مر الأيام .

فابتدأ[2] مسلم فى قوله :

أجررتُ حَبْلَ خليعٍ فى الصِّبَا غَزِلٍ ... وشمَّرت هِمَمُ العُذَّال عَنْ عَذَلى

فلما انتهى فيها إلى قوله :

مُوفٍ على مُهَجٍ فى يوم ذِى رَهَجٍ ... كأنّه أَجَلٌ يسعَى إلى أَمَلِ

فقال أبو نواس : ما أراه يجىء بعد هذا الكلام ما يفى بوزنه . ثم التفت إلى دعبل فقال : هات الآن فكأنّى بك قد جئت بسَقَط شعرك :

* ضَحِكَ المشيبُ برأسه فبَكَى *

---

(١) الخبر هنا من روايتين تداخلتا . انظر الطبقات : ٧٢ ــ ٧٤ ورواية أحمد بن عبيد ورواية رزين فى غ (بولاق) ١٥/١٠٩ــ١١٠ ــ وفى الأشربة : ٤٤ باختصار .

(٢) فى غ : فاندفع رجل كان معهم فقال: اسمعوا منى أخبركم بما ينشد كل واحد منكم قبل أن ينشد ، فقال لمسلم : أنت يا أبا الوليد ، فكأنى بك قد أنشدت ...

قال دعبل : هو ذلك فتجاوزنى إلى غيرى . فقال : كلا فأين استلذاذ السمع بعذوبة جيِّد الكلام؟! فجاء بها إلى آخر بيت. فقال أبو نواس : أحسنت ملء فيك . ثم التفت إلى أبي الشيص فقال : الضادية الضادية، فما خطر بخلدى قط قولك :

* لَيْسَ الْمُقِلُّ عن الزَّمان بِرَاضٍ *

إلّا حَرَّكَ[1] مِنِّى ساكنا ! وإنما اخترتها استحسانا لها . فإن الأعشى كان إذا قال قصيدة عَرَضها على ابنته، وكان قد ثقَّفها حتى بلغت مبلغ التحكيم والإحسان لجيِّد الكلام . ثم يقول لها : عدّى لى المخزيات فتقول[2] :

أَغَرُّ أروعُ يُستَسْقى الغَمام به لوقارَعَ الناسَ عن أحسابهم قَرَعا[3]

فقال أبو الشيص : لا أفعل فليست عندى عقد درّ مفصّل ، ولكن أكاثر بغيرها من قولى وأنشد :

وقَفَ الهوَى بى حيثُ أنتِ فليس لى متأخَّر عنه ولا مُتَقَدَّم

وذكر الأبيات . فقال أبو نواس : أردت صرفك عنها فأبيت إلا أن تُخَلِّى سَلَبك! قال: فكيف ترى هذا الطراز؟ قال: أراه نَمَطا حسنا! فكيف تركت قولك:

فى رداء من الصَّفيح صَقِيل وقَمِيصٍ من الحديد مُذالِ

قال : كما تركَ المختارُ إحدى الدرّتين لما سَبَق إلى الخاطر ، وزُيِّن فى الناظر .

قال رزين : فعاتبنى ساعة لأُسمِعَه فأبيت ، وكنت أصغر القوم سنا ودونهم

---

(١) إلاحرك ...: فى الأغانى : إلاأخزيتك استحسانا .

(٢) فتقول: فى ك : تقول . وفى الأغانى : فتعد قوله .

(٣) ديوان الأعشى : ٨٦ وفى غ بعد هذا البيت : وما أشبهها من شعره .

(٤) لا أفعل فليست عندى .. : عبارة غ : لا أقول إنها ليست عندى .

فى الشعر . ثم قالوا[1] : يا أبا على فقد انقدنا لك فى الطاعة ! فقال : هو حقكم ولم تدخلوا فى شىء إلا وأنا شريككم فيه . ثم احتبى بمنديل وأنشد[2] :

لا تَبْكِ ليلَى ولا تَطْرَبْ إلى هِنْدِ ... واشربْ على الوَرْدِ من حَمْراءَ كالوَرْدِ
كأساً إذا انحدرت فى حَلْق شارِبها ... أَجْدَتْه[3] حُمرتَها فى العَيْن والخَدِّ
فالخَمْرُ ياقوتةٌ والكأسُ لؤلؤةٌ[4] ... من كفِّ لؤلؤةٍ ممشوقةِ القَدِّ
تَسْقيك من طَرْفها[5] خَمْراً ومن يَدِها ... خَمْراً فما لك من سُكْرَيْن من بُدِّ
لِى نَشْوتان وللنُّدْمان واحِدَةٌ ... شىءٌ خُصِصْتُ به من بينهم وَحْدى

قال : فقمنا فسجدنا[6] له . فقال : أعملتموها أعجمية ؟ ! لا والله لا أكلمكم ثلاثا وثلاثا وثلاثا ثم أطرق مَلِيًّا ورفع رأسه وقال : تسعة أيام فى مُهاجَرة الأخلاء والله كثير .

ثم التفت إلينا فقال : أعلمتم أنَّ رجلا عتب على أخيه فغضب عليه فكتب إليه الأخ المغضوب عليه : يا أخى إن أيام العمر أقصر من أن تَحْتَمِل الهجرَ ، ومن أقرَّ بالذنب وأَلْزَم نفسه العيبَ سَهَّل بها طريقَ الصفح عمّا فرط منه ، وأيام السرور خُلُس ، والمُقَصِّر فى تناول اللَّذَّة إذا أمكنت غيرُ مصيب فى رأى ولا حَزْم ، وأنت حَرِيٌّ فى استكمال المِنَّة بالصفح ، وتحصيل اللذة بالمبادرة قبل الفَوْت . والسلام .

---

(١) قالوا : فى النسخ : قال . والتصويب من السياق .
(٢) الديوان : ٢٧ .
(٣) أجدته : أعطته .
(٤) لؤلؤة : فى الديوان : جارية .
(٥) طرفها : فى الديوان : عينها .
(٦) الأشربة : ٤٤ باختلاف واختصار — وفى تهذيب ابن عساكر أن أبا هفان استنشد أبا نواس هذه القصيدة فلما فرغ منها سجد فقال : ألم أنهك عن هذا . إلى آخر القصة قريبا مما هو مذكور هنا .

لمّا سمع المأمون قوله :

* لا تَبْكِ لَيْلَى ولا تَطْرَبْ إلى هِنْدِ *

قال : اللهُ أكبر ، هَذَا واللهِ هو الشعر ، لا قوله :

* أَلَا هُبِّى بِصَحْنِكِ فاصْبَحِينا[1] *

الكأس : اسم الإناء إذا كان فيه الخمر ، فإذا لم يكن فيه خمر فهو إناء ، والمائدة : اسم لها إذا كان عليها طعام ، فإذا لم يكن عليها طعام فهى خوان . والرمح : اسم له إذا كان فيه زُجٌّ ، فإن لم يكن فيه زج فهو قناة .

قال دِعْبل[2] : كان أبو نواس يسألنى أن أجمع بينه وبين مسلم بن الوليد . وكان مسلم يسألنى أن أجمع بينه وبين أبى نواس ، فكان أبو نواس إذا جاء تخلّف مسلم ، وكان مسلم إذا جاء تخلّف أبو نواس ، إلى أن اجتمعا عندى ، فأنشد أبو نواس :

أَجَارَةَ بَيْتَيْنَا أبُوكِ غَيُورُ   ومَيْسُورُ مايُرْجَى لَدَيْكِ عَسِيرُ[3]

وأنشده مسلم قصيدته التى يقول فيها :

لِلّهِ من هاشِمٍ فى أرضِهِ جَبَلٌ   وأنتَ وابنُكَ رُكْنَا ذَلِكَ الجَبَلِ[4]

قال : فقلت لأبى نواس : كيف رأيت مسلما ؟ فقال : هو أشعر الناس بَعْدِى . وسألت مسلما كيف رأيت أبا نواس ؟ فقال : أنا أشعر الناس بعده . فعجبت من اتفاق لفظيهما .

---

(١) ألا هبى : يريد معلقة عمرو بن كلثوم.

(٢) غ (بيروت) : ١٨/٣٣٥ .

(٣) البيت أول قصيدة فى الديوان : ٤٨٠ . وهى فى رحلته إلى مصر لزيارة الخصيب .

(٤) ديوان مسلم: ٤٦ من قصيدة أولها :

أجررت حبل خليع فى الصبا غزل   وشمرت همم العذال فى العذل

فى مدح يزيد بن مزيد الشيبانى .

لقى أبو نواس مسلم بن الوليد فسلّم عليه وقال له : يا مسلم ، ذهبتَ والله بالشعر ! فقال له مسلم : أمَّا وأنت القائل :

* أجارَةَ بيتَيْنا أبوكِ غَيُور *

فلا واللهِ ! لقد غلبت أهل زمانك .

قوله : أَجَارَةَ بيتينا . . . يريد جارة فى البيت وجارة فى النسب .

قال على بن العباس الرُّومىّ الشاعر : كنت عند أبى جعفر بن محمد بن حبيب فجرى ذكر الشعراء ، فذكر الناس شعراء الجاهلية: امرأ القيس وطرفة والأعشى ، فجعلوا يقدّمونهم ، وذكروا شعراء الإسلام فقدّموا جريرا والفرزْدق وأنا ساكت. فقال لى: يا أبا الحسن لم لا تتكلّم ؟ فقلت : أذكر لكم رجلا أشعر من هؤلاء ؟ فقالوا: من هو؟ فقلت: أبو نواس . فقال: أولئك جاءوا إلى المعادن فاقتلعوها . فقلت له : فأىٌّ أشعر ؟ مَنْ جاء إلى المعادن فاقتلعها بتبرها وتُرابها وغشها، أو من خلّص التّبر من التُّراب؟! هذا الفرزدق قيل له : أيّما أحب إليك، تتقدّم الجود أو يتقدّمك ؟ فقال : لا أتقدّمه ولا يتقدّمنى ، ولكن أكونأنا وهو معا . وهذا أبو نواس يقول:

فما فاتَهُ جُودٌ ولا حَلَّ دُونَهُ ولكن يَسِيرُ الجودُ حيثُ يَسِيرُ[1]

وإلا فأنشدونى مثل قوله :

كَمنَ الشنآنُ فيه لنا ككُمُون النَّارِ فى حَجَرِه[2]

قال نوبخت[3] : سمع أبو نواس يوما من المنجمين يقولون : كان لدوران الفلك ابتداء كانقبله ساكنا ، والهند يقولون: إنالله عز وجل لما خلق النجوم خلقها مجتمعة واقفة فى مكان واحد ، ثم فرّقها وأدارها ، فقال أبو نواس قصيدته التى أولها[4] :

(١) الديوان : ٤٨١ .
(٢) الديوان : ٤٢٨ .
(٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة : ٧٧٣ ـ ٧٧٤ .
(٤) الديوان : ٧٣ .

أعطتكَ ريحانَها المُقـارُ   وحان من لَيلِك انْسِفارُ

أعطتك ريحانها أى لمّا شربتها تحوّل طيبُها إليك . منها :

تُخَـيِّرتْ والنُّجومُ وَقْفٌ   لم يَتَمَـكّن بهـــا المَدارُ

فسبك قول المنجمين فى هذا البيت . والمنجمون يقولون : إن النجوم كانت واقفة وإنها لا تزال تسير إلى أن تجتمع فى البرج الذى ابتدأها فيه ، فإذا عادت إليه جميعها فى درجة واحدة قامت القيامة وبطل العالم .

والهند يزعمون أنها لما اجتمعت فى برج الحوت اجتمعت إلا يسيرا منها ، فهلك الخلق بالطوفان وبقى من العالم بقدر ما بقى منها خارجا عن الحوت ، ولو كانت بأسرها فى الحوت لم يبق أحد[1] .

ومن طيّب هذه القصيدة قوله :

فـلم تَزَلْ تأكلُ اللّيالِي   جُثْمانَها ما بِها انتصارُ

حتّى إذا ماتَ كلُّ ذامٍ[2]   وخُلِّص السرُّ والنِّجَـارُ[3]

عادَتْ إلى جوْهَـرٍ لطيفٍ   عِيانُ موجودِهِ ضِمَـارُ[4]

كأنَّ فى كأسِها سَرَاباً   تُخيِلُه المَهْمَهُ القِفَارُ[5]

لا يَنزِلُ الليل حيث حَلَّتْ   فدَهْرُ[6] شُرّابِها نَهارُ

---

(١) قال ابن قتيبة بعد ما أورد ما سبق : ولم أذكر هذا لأنه عندى صحيح، بل أردت التنبيه على معنى البيت ونظر هذا الشاعر فى هذا الفن.

(٢) الذام : العيب .

(٣) النجار : الأصل .

(٤) الضمار : خلاف العيان . يريد أن جوهرها لطيف كأنه غير مرئى لشدة لطفه ورقته .

(٥) تخيله : توهم به — المهمه : المفازة .

(٦) فدهر : فى الديوان : فليل .

كان الأصمعي يفضّل أبا نواس على شعراء زمانه بهذه القصيدة[١] :

أما تَرَى الشمس حَلَّتِ الحَمَلا وطَابَ[٢] وقتُ الزَّمانِ واعْتَدَلا
وغَنَّتِ الطيرُ بعد عُجْمَتِها واستوفَتِ الخمرُ حَوْلَها كَمَلَا
واكْتَسَت الأرضُ من زخارِفِها وَشْيَ ثِيابٍ تخالُه حُلَلَا
فاشرَبْ على جِـدَّةِ الزمان فقَدْ أصبَح وَجْهُ الزمان مُقْتَبِلَا
كَرْخِيَّةً تترك الطَّويل مَن الـ عَيْشِ قصيرا وتبسُط الأَمَـلَا
تلعب لعب السَّراب فى قَدَح الْـ قَوْم إذا ما حَبابُها انتضلَا
يقول : صَرِّفْ إذا مزجَتْ لـه من لم يكن للكَثِيرِ مُحْتَمِلَا
فسقِّ هذا بقَدْر طاقَتِـه واحْمِل على ذَا بقَدْرِ ما احتَمَلَا[٣]
عُجْنَا بِثِنْتَيْن من طبائعها حُسْناً وطِيباً ترى به المَثَلا

اختُلف[٤] فى معنى قوله :

* واستوفت الخمر حولها كَمَلا *

فقيل إنه أراد أن الكَرْم أول ما يعقد ويخرج من العدم إلى الوجود إنما هو فى شمس الحَمَل ، ثم إنّ الخمر إنما يكمل طِيبُها ونُضْجُها وتعصر فى آخر الأسد وأول السُّنْبُلة ، ثم إنها تبقى فى الدِّنان والأوعية إلى أن تُشْرَب ، فإذا شُرِبَت فى نزول الشمس برجَ الحَمَلِ فقد استوفت سنةً بهذا الاعتبار .

وقد لَعِب أبو نواس أيضا بذلك فى قوله :

---

(١) الديوان : ٦٣ .
(٢) وطاب وقت : فى الديوان : وقام وزن.
(٣) البيت ليس فى الديوان .
(٤) الشعر والشعراء : ٧٧٣ .

قد جَرَى فى عُودِكَ المَا ء فأَجْرَى الخَمْرَ فِينَا[1]

فالماء أول ما يجرى فى عود الكرم هو الذى يصير ماء فى العنب بعينه ، ثم هو الذى يُعْتَصر خمرا بعينه ، فهو من أول جَرْيِهِ فى العود إلى أن يصير عنبا إلى أن يُعْصَر إلى أن يُشْرَب يستكمل سنةً عند حلول الشمس الحمل .

وقيل : إن الهاء فى قوله حولها تعود على الشمس لا على الخمر ، والكناية عنها تحسن لتقدّم ذكرها وإن كان ذكر الخمر فى البيت الثانى إلا أنه بدأ بذكر الشمس فى شعره فقال : أما ترى الشمس ، ثم ذكر الزمان والخمر والطير فقال :

* واستوفت الخمر حَوْلَها كَمَلا *

يعنى حولَ الشمس كاملا ، لأن الشمس إذا حلّت الحَمَل تكون قد قطعت الفَلَك من أوّله إلى آخره فى حول كامل ، ثم إنها تبتدئ فى الحول الثانى .

ومعنى[2] استيفائها حَوْل الشمس أنّ الله عز وجل خلق الشمس والقمر والنجوم فى رأس الحَمَل ، والليل والنهار سواء والزمان معتدل فى الحرّ والبرد ، فكلّما حلت الشمس رأس الحمل فقد مضت سنة للعالم، فقال استوفَت الخمرُ حَوْلَ الشمس وإن لم تأت الخمر فى نفسها على حول، وإنما أراد أن شربها يطيب فى هذا الوقت لاعتدال الزمان وتفتّح الأنوار ، وتفجر المياه وغناء الأطيار ، وإزهار الأشجار .

وكان أبو عمرو الجرمى يقول : أقوى ما يكون الخمر لدون السنة فإذا زادت على ذلك شيئا رقّت وحسن لونُها وضعف أخْذُها .

وكان ثعلب يقول : لما كان قد مضى أكثر شهور الحول استجاز أن يقول :

---

(١) من قصيدة فى الديوان : ٣١ أولها :

يا ابنة الشيخ اصبحينا ما الذى تنتظرينا

(٢) الشعر والشعراء : ٧٧٣.

* استوفت حولها كَمَلا *

كما قال الله تعالى : « الحَجُّ أشهرٌ معلومات » وهى شهران وأيام ، ودخل عليه قولُه كَمَلًا تأكيد . ومن قال إن الخمر لسبعة أشهر أو لثمانية أشهر قد استوفت حولها الذى هو عامها ، أو حولها الذى هو شدتها ، أو حولها الذى هو غاية انتقالها، فقد غلط لأنها لم تستوف ذلك فى هذه المدة .

وقال ثعلب أيضا : الحول : التحَوُّل ، يريد أنها كانت إلى وقت الربيع عصيرا لا يطيبُ شربه ، ثم تحولت فى ذلك الوقت فصارت خمرا مشروبة . وقيل : حولها : تغيُّرها لأنها تَحَوَّلُ فى الدَنّ مرات وتتلون، فإذا مضت هذه المدة قَرَّت ولزِمَتْ شيئا واحداً ، فكان حولها من : حَالَتْ تَحُول حَوْلًا .

وكان المبرّد يختار أن يكون حولها : قوتها ، من قولهم لا حَوْل ولا قُوَّة إلا بالله العلىّ العظيم .

كان أبو نواس لا يُستَنْشَد شيئا من شعره إلا ينشد هذه القصيدة[1] :

وخيمةِ نَاطُورٍ برأسِ مُنِيفَةٍ تَهُمُّ يدَا من رامَها بزَلِيلِ[2]
إذا عارَضَتْها الشمسُ فاءت[3] ظلالُها وإن واجهتها آذَنَتْ بدُخُولِ
حَطَطْنا بها الأثقالَ فَلَّ هَجِيرَةٍ عَبُوريَّةٍ تُذْكِى بغير فَتِيلِ[4]
تأنَّتْ قليلًا ثم جادَتْ بعَذْقةٍ من الطَّلِّ فى رَثِّ الأَباءِ ضَئِيلِ[5]

---

(١) الديوان : ١٦ .

(٢) الناطور : حارس الكرم ـ الزليل : الانزلاق .

(٣) فاءت : رجعت .

(٤) فل هجيرة : وقت انكسار حرها ـ عبورية : نسبة إلى العبور ويكون عندها توقد الهجير وبلوغه أقصاه .

(٥) تأنت : فى الديوان : تأيت وهى بمعناها ـ بعذقة من الطل : شىء يسير منه ـ الأباء : كل نبات ذى أنابيب ـ رث الأباء : باليه .

كأنّا لدَيْها بين عِطْفَى نَعامَــةٍ   جَفا زَوْرُها عن مَبْرَكٍ ومَقِيــلِ

لو قال قائل إن أبياته هذه لا يُدانيها نَظْم فى معناها بنفسها وصنعتها لصَدَق .

قال[1] : والناس ينشدون فى رَثِّ الإناء بالنون وهو غلط ، لأن الإناء ههنا لا معنى له . والصحيح أن الأَباء بالباء الموحدة .

يصف هذه الخيمة بأنها على شاهق جبل وليست بمستوى من الأَرْض ، فهى متجافية كنعامة مستوفزة باركة فى مثل هذا المكان ، وقد تجافَت عنه لوَعَرِه ولقلّة تمكّنها فيه والخيمة أيضا لم يُحْكَم بناؤها فظِلُّها متقلّص لم يستر سترا كافيا .

وقوله: فَلّ هَجيرة أى منهزمى هاجرة . وعَبُوريَّة : نسبها إلى الشِّعْرَى العَبُور ، وأيام طلوعها أيام الحر الشديد .

وقوله : تأَنّت قليلا ، يعنى الشمس أى توقّفت فى الجوّ عند زوالها، وذلك وقت للشمس تقدّر فيه كالمتحيرة ثم تزول ، وهو مثل قول ذى الرُّمّة :

* والشَّمْس حَيْرَى لها فى الجَوِّ تَدْوِيمُ[2] *

والأَباء : القَصَب .

وقوله : ثم جادت بمَذْقة: أى الشمس دخلت عليهم من خلل هذه الخيمة الخَلَقة التى بنيت على الأَباء الضعيف من القصب الرث ، فلم تقو الشمس عليهم ولم تمنعهم الخيمة بستر قوى فيصير ظِلًّا، ولكنه شمس وظل، فشبهت بمذقة أى المذوق من اللبن أى الممزوج وهذا أحسن كلام فى الدنيا .

ثم قال :

---

(١) الشعر والشعراء : ٧٧٥ .

(٢) ديوان ذى الرمة : ٥٧٨ وأوله:

معروريا رمض الرضراض يركضه

جلبت لأصحابى بها دِرَّةَ الصِّبَـــا ... بصَهْباء مِنْ ماءِ الكُروم شَمُولِ[1]

إذا ما أتت دُونَ اللَّهــاة من الفَتى ... دَعا هَمَّـه من صَدْرِه برَحِيــلِ

فلما تَوَقَّى[2] الليل جنحاً من الدُّجا ... تَصَابَيْتُ واستَجْمَلْت غيرَ جَمِيلِ

وعاطَيْت مَنْ أهوَى الحديثَ كما بَدَا ... وذَلَّلتُ صَعْباً كان غــيرَ ذَلِيــلِ

فغَــنَّى وقد وَسَّدْتُ يُسراىَ خَدَّه ... ألا رُبَّما طـالَبْت غـيرَ مُنِيلِ

وأنزلتُ حاجاتى بحَقْوَى مُساعِدٍ ... وإن كان أدْنَى صاحِبٍ وخَلِيلِ[3]

وأصبحْتُ أَلْحَى[4] السكر والسُّكْر مُحْسِنٌ ... ألَا رُبَّ إحسانٍ عليك ثَقِـيلِ

كفى حَزَناً أنَّ الجوادَ مُقَتَّرٌ ... عليــه ولا مَعْرُوف عند بَخِــيلِ[5]

سأبغى الغِـنَى إمّا جليسَ[6] خَليفَةٍ ... نقوم سواء أو مُخِيف سَبِيل

بــكلّ فتى إلّا يُستطار جَنــانُه ... إذا نوّه الرجفان[7] باسم قَتِيلِ

لنَخْمُسَ مالَ اللهِ من كلِّ فاجرٍ ... وذِى بِطْنَةَ للطَّيِّباتِ أَكُولِ

ألم تَرَ أنَّ المالَ عونٌ على النَدَى[8] ... ولَيْسَ جَــوادٌ مُقْتِرٍ كبَخِيلِ

---

(١) درة الصبا : يريد الخمر فهى لبن الشباب وشرابه ـ بصهباء : فى الديوان : بصفراء .

(٢) توقى : استوفى ـ الجنح : الطائفة ـ وخليل : الديوان : ودخيل .

(٣) حقوى: مثنى حقو وهو الكشح ومعقدالإزار ـ والخليل : الصديق يصافى الود، ورواية الديوان : ودخيل . والدخيل : الصديق يداخله ويطلع منه على بواطنه .

(٤) ألحى : ألوم .

(٥) البيت ليس فى الديوان .

(٦) جليس : فىالديوان: نديم.

(٧) الرجفان: فى الديوان : الزحفان .

(٨) الندى : فى الديوان : التقى .

قال الأصمعي : الصهباء : التي عصرت من الكرم الأبيض . ودِرّة الصبا : يعني مَطراً كان بالصَّبَا . ومن كسر الصادَ جعله من التّصابي .

وقد سلك في هذه القصيدة مسلك حاتم الطائي وكَعْب بن مامة وهرم بن سنان في الأجواد والكرم ، ومسلك مالك بن الرَّيْب وعبد الله بن الحرّ وغيرهما في الشجاعة وعزة النفس ، والارتزاق بشرف النفس وعلوّ الهمة ، ثم لم يقنع بذلك إلى أن بسط عذر من لا قدرة له على جُود ، وفرّق بينه وبين البخيل بأطيب لفظ وأعذب نطق .

ولما قال أبو نواس هذه القصيدة قال أبو عمرو الشيباني : لا يُبالِي أبو نواس أَلّا يقولَ بعد هذا شيئا !

وكان أبو نواس شديد الشغف بهذه القصيدة فكان إذا استنشد يكون أول ما ينشد هذه ، فإن استُزِيد أنشد هذه القصيدة الأخرى[1] :

كانَ الشبابُ مطيَّةَ الجَهْلِ	ومُحَسِّنَ الضَحِكاتِ والهَزْلِ
كان الجميلَ إذا ارتديتُ بِهِ	ومَشَيْتُ أَخْطِرُ مُثْبَتَ[2] النَّعْلِ
كان البليغَ[3] إذا نطقتُ بِهِ	وأصاخَتِ[4] الآذانُ للمُمْلِي
كان المشفَّعَ في مآربِهِ	عند الفتاة ومُدْرِكَ النَّيْلِ[5]
والباعِثِي والناسُ قد رَقَدُوا	حتى أكونَ خليفةَ البَعْلِ
والآمرِي حتى إذا عَزَمَتْ	نفسي أعانَ يدىَّ بالفِعْلِ
فالآنَ صرتُ إلى مقارَبَةٍ	وحططتُ عن ظهرِ الصِّبَا رَحْلِي

---

(١) الديوان : ٤٢ .

(٢) مثبت النعل : في الديوان : صيت النعل ، أي لنعله صوت .

(٣) البليغ : في الديوان : الفصيح .

(٤) أصاخت : استمعت .

(٥) النيل : المطلوب.

والراح أهواها وإن رَزَأَتْ ... بُلَغَ المعاش وقلَّت فَضْلِي[1]
صفراء مجَّدها مرازبها[2] ... جلَّت عن النُّظراء والمِثْلِ
ذُخِرَت لآدمَ قبل خِلقتِهِ ... فتقدَّمته بخَطْوة القَبْلِ
فأتاك شيءٌ لا يلامسُه ... إلَّا بحِسٍّ[3] غريزة العَقْلِ
فترُود[4] منها العَيْنُ في بَشَرٍ ... حُرِّ الصَّفيحة ناصعٍ سَهْلِ
فإذا علاها الماء ألبسها ... نَمَشاً شبيهَ جَلاجِل الحِجْلِ[5]
حتى إذا سكنَت جوارحُها[6] ... خطَّت بمِثْلِ أكارِع النَّمْلِ
خَطَّيْن من شتَّى ومُجتَمِعٍ ... غُفْلٍ من الإعجام والشَّكْلِ
فاعْذِر أخاك فإنَّه رَجُلٌ ... مَرَنَت مسامِعُه على العَذْلِ

كتب أبو نواس إلى غلام يهواه في مجلس حديث في رُقعة وناوله الرقعة من يده[7]:

من شكا رِدْفَه مُخَصَّرُه ... ومن يَرُوع[8] العيون مَنْظَرُهُ
زُرْنَا لتَحْيَا بك النفوس فما ... يَطيبُ عيشٌ ولست تَحْضُرُه

فكتب الغلام في الرقعة :

ذَرْني من المَدْحِ والهِجاء وما ... أصبحتَ تَطْوِيه لي وتَنْشُرُه

---

(١) رزأت : أصابت برزيئة — بلغ المعاش : ما يتبلغ به من العيش .
(٢) مرازبها : المرازب : رؤساء الفرس، وهم من أوائل من أكرم الخمر واحتفل لها .
(٣) بحس : في ك : بحسن، والتصويب من الديوان . وحس هنا أليق وأوفق
(٤) ترود : تطوف — بشر : جلد — الناصع : الخالص.
(٥) نمشا : في الديوان : حببا — الحجل : الخلخال .
(٦) جوارحها : في الديوان : جوانحها .
(٧) الديوان (طبع آصاف) الباب الأول : ٤٧ — وفي الأمالي (للقالي) ٣/٩٥ سبق الخبر على أن الكاتب هو أبو هفان .
(٨) يروع العيون : في الأمالي : يروق العباد .

لو وُضِعَ الدِّرهمُ الصَّحيحُ على ... بابِ حَدِيدٍ[1] لذاب أَكْثَرُه

ومن شعر أبي نواس قوله[2] :

اسْقِنا إنَّ يَوْمَنَا يَوْمُ رامٍ ... ولِرامٍ فضلٌ عَلَى الأيَّامِ

مِنْ شرابٍ ألذّ من نَظَرِ المَعْـ ... شوق فى وَجْهِ عاشِقٍ بابتسامِ

لا غَلِيظ تَنبو الطَّبيعةُ عنه ... نَبْوَةَ السَّمْعِ عن شَنِيعِ الكَلامِ

بنتُ عَشْرٍ صَفَتْ ورَقَت فَلَو صُبَّـ ... ـت على اللَّيْل رَاح كُلُّ ظَلامِ

فى رياض رَبْعِيّة بَكَّر النَّو ... ءُ عليها بِمستَهِلِّ الغمامِ[3]

فتوشَّت بكلّ نَوْرٍ أنيقٍ ... من فُرادَى نباتِه وتُوَّامِ[4]

فترى الشَّرْبَ كالأهِلَّة فيها ... يتحَسَّون خُسْرَوِىَّ المُدامِ

ولهم من جَنَاهُ آذَرْيُونٌ[5] ... وضعوهُ مواضِعَ الأقْلامِ

قوله :

* اسقِنا إنّ يومنا يوم رام *

يعنى به اليوم الحادى والعشرين ، فإن كل يوم هو الحادى وعشرين من كل شهر من شهور الفرس يلذُّون فيه ويفرحون ، ويقال له رام ، وكذلك بهرام وهو اليوم العشرون .

وكان أبو نواس يفضّل العجم ويمدحهم ويشتهى أن يذكر مناقبهم وآثارهم، وأن يتزيَّا بزيِّهم ، ويُظهر للناس أنه منهم .

---

(١) باب حديد : فى الديوان : الفولاذ — وفى الأمالى : على الفؤاد عندى .

(٢) الديوان : ٦٩ .

(٣) ربعية: نسبة إلى الربيع — النوء : النجم المائل للغروب ، وتزعم العرب أن طلوعه نذير بمطر أورياح — مستهل الغمام : ممطره .

(٤) توشت : لبست الوشى .

(٥) آذريون : زهر طيب الرائحة، وكان من عادتهم فى مجالس الشرب أن يلقوه على الآذان .

وقال يهجو محمّد بن رباح المعروف بزُنبُور[1] :

أراد محمّد بن رباح شَتْمِى	فعاد وبَالُ ذاك عـلى رَبَاح
أتذكُر إذْ حِرِ امّك فوق أيرِى	تـدُور كما يَدُور أبو رِياحِ
تَغَنّتْ لى وقـد ركِبت عَلَيْه	وصارت فوق مُنْدَمِجٍ وقَاحِ
(ألَسْنَا خَـيْرَ من رَكِبَ المَطايَا	وأنْدَى العَالَمِين بُطونَ رَاحِ)[2]
فقلتُ : دَعِى التَمَثُّل ليس هذا	وعَيْشِك وقت فَخْرٍ وامْتِدَاح
ولـكنّ الأوانَ أوانُ رَهْـزٍ	وإدْخـال الفَياشِل فى الفِقَاح
فقالت : هاكَ رِجْـلى فارفَعَنْها	وأدْخِل دَاحَ بَطْنِك جَوْف دَاحِى
فلما أن نَزعتُ بـكَتْ وقالت :	(تَداعَى آلُ بَثْنَة بالرَّوَاحِ)[3]

وقال أيضا يهجو[4] :

إذا ما بِتَّ جـار أبى حُسَيْنٍ	فبِتْ ويَداكَ فى طَرَفِ السِّلاحِ
فإنّ له نساءً سارِقاتٍ	إذا أمْسَيْنَ[5] أطرافَ الرِّماحِ
سُرِقْت وقد نزلتُ عليه أيْرِى	فلم أظْفَر بـه حَتَّى الصَّباحِ
فجاء وقد تَخَدَّش منْـكِباه[6]	يَئِنّ إلَىَّ من ألمِ الجِراحِ

---

(١) الفـكاهة : ٤ من قصيدة أولها :

تعزّى قلبنا من ذكر راح فـكيف عزاء قلب مستباح

(٢) البيت مضمن من قصيدة لجرير يمدح عبدالملك بن مروان، والرواية هناك: ألستم .

(٣) الشطر مضمن من القصيدة السابقة .

(٤) الفـكاهة : ٢٢ ــ المثل السائر (بولاق) : ٣٨٨ .

(٥) أمسين: فى المثل : يبتن .

(٦) منـكباه : فى المثل : جانباه .

نساء أبي حُسَيْنٍ صارخات قُبَيْلَ الصُّبْحِ حَيَّ على النِّكاحِ[1]
بأفْخَاذٍ يميل الطَّعْنُ عنها إلى الأَحْراحِ تُجْنَبُ بالفِقاحِ[2]

خرج[3] أبو نواس والعبّاس بن الأحنف والحسين الخليع[4] وشاعر آخر لعله مسلم بن الوليد إلى متنزه لهم ، ومعهم فتى يقال له يحيى بن المعلَّى ، فحضرت الصلاة فقام يصلِّي بهم ، فنسى الحَمْدَ وقرأ « قل هو الله أحد » فأرْتِجَ عليه في نِصفها ، فقال أبو نواس :

أَكْثَرَ يَحْيَى غَلَطاً في قُلْ هُو اللهُ أحَدْ

فقال العباس بن الأحنف :

قَامَ طويلًا ساهِياً حَتَّى إذَا أَعْيَا سَجَدْ

فقال الآخر :

يَزْحَرُ في مِحْرَابِه زَحِيرَ حُبْلَى للوَلَدْ[5]

فقال الخليع :

كأنّما لِسانُـه شُدَّ بحَبْلٍ من مَسَدْ

وقال يهجو أبا الهندي[6] :

الحَمْـدُ للهِ العَلِـ يِّ ومَنْ له كُلُّ المَحامِدْ[7]
أيسُبُّنِي رجـلٌ عليـ ـه مِن الخِزايَةِ[8] ألفُ شاهِدْ

---

(١) البيت والذى يليه : ليسا فى المثل وموجودان فى الفكاهة .

(٢) تجنب بالفقاح : فى الفكاهة : ترلج فى الفقاح .

(٣) الخبر فى محاضرات الأدباء : ١/٦٦ – الديوان (آصاف) : ٤١ .

(٤) هو ابن الضحاك .

(٥) الزحير : الصوت والنفس بأنين – للولد : فى الديوان : بولد .

(٦) يهجو أبا الهندى: فى معجم الشعراء للمرزبانى: ٣١ (ط. الحلبي): عمرو بن عبد الملك الوراق.

(٧) الأبيات فى الديوان : ٥٦٧ ومعجم الشعراء : ٣٠ عدا البيت الثالث .

(٨) فى المعجم : الدعارة .

هـــذا أبو الهِنْدِىّ فيـ ـه تَشابُـهٌ من ألْفِ واحِدْ
ماذَا أقولُ لمن لَـهُ فى كل عُضْوٍ منـه وَالِـدْ

ومن طيّب شِعْره ، والشطر الأول من القصيدة لفظ ابنُ الدُّمَيْنة[1] :

(أعاذِلَ ماعَلَى وَجْهِى قُتُوم) ولا عِرْضِى لأوّلِ من يَسُوم[2]
يُفَضِّلُنى عـلى الفِتيان أنّى أَبِيتُ فـلا أُلام ولا أُلِيم[3]
أَعاذِلَ إن يكنْ بُرْدَاىَ رَثَّا[4] فـلا يَعْدَمْك بينهُما كَرِيمُ
شُقِقْت من الصِّبا واشْتُقَّ مِنِّى كما اشتقّت من الكَرَمِ الكُرُومُ
فلست أسوّف اللذات نفسى مُيَاوِمة كما دُفِـع الغَرِيم[5]
ولا بمُدافِعٍ للكأس حتّى يُهَيِّجَنى على الطّرَب النَّدِيمُ
ومتّصِلٍ بأسبابِ المعالى له فى كُلِّ مكرُمة قَدِيمُ
رفعت له النِداء بِقُمْ نُخذها وقد أخذت مطالِعَها النُجومُ
بتفدية تُـذال النفسُ فيها وتُمْتَهَنُ الخُؤولة والعُمُومُ
فقام وقمتُ من أخَوَيْن هـاجَا عـلى طَرَبٍ وليلُهما بَهِيم[6]
أجُرّ الزِقّ وهو يَجُرّ رِجْلًا يَجُور بـه النعاسُ ويستقيمُ
سَلِ النَّدْمان ما أولَيْتُه منها وسَلْهَا مااحتَوى منها الكَرِيمُ
كِلَا الشخصَيْن منتصِفٌ ولـكن قَضَتْ وطَراً وذا مِنها سَقِيمُ

---

(١) الديوان : ٥٥ .
(٢) قتوم : غبرة — يسوم : يساوم فى البيع (يشترى) .
(٣) أليم : آتى ما ألام عليه .
(٤) رث : بلى .
(٥) الغريم : الدائن .
(٦) بهيم : مظلم جدا .

وله (١) :

إنّى صرفتُ الهوَى إلى قمرٍ لم تبتذله(٢) العيون بالنَّظرِ

إذا تأمَّلتَه تعاظَمَكَ الـ إقرارُ فى أنَّهُ من البَشَرِ

ولـه :

مَبذُولة للعيْن مُهْجَتُه ممنوعَةٌ من أناملِ الجانِى

وليس منهُ ما خَلَا نَظَراً يَشْرَكُنِى فيه كُلُّ إنسانِ

كتب أبو نواس إلى على بن أبى سهل بن نوبخت يدعوه :

كُنتَ المُعزَّى بفقدِى وعِشْتَ ما شِئْتَ بَعْدِى

أَهْدَى إلىَّ أخٌ لِى سَليل شمْسٍ وَوَرْد

أَلَذَّ من لفظِ صَبٍّ يَشْكُو حرارةَ وَجْدِ

فاخْلَع علىَّ سُروراً بكَوْنِكَ اليومَ عِنْدِى

وله من أبيات(٣) :

إنّى لأبغض كُلَّ مُصْطَبِرٍ عن إلفِهِ فى الوَصْلِ والهَجْرِ

الصَّبْرُ يحسُن فى مواضِعِهِ ما لِلْفَتَى المُشتاقِ والصبرِ

قال أبو نواس: أهدى للأمين أربعمائة دينار مُصلَّبَة(٤) فى الدينار ديناران فوهبها لى

(١) الديوان ٢٤٠ .

(٢) لم تبتذله : فى الديوان: لا يتحدى .

(٣) البيتان فى الديوان : ٢٦٢ من قصيدة أولها :

حسبي جوى إن ضاق بى أمرى ذكرى لرحم وهى لا تدرى

(٤) مصلبة : فى ك : بدون نقط، ورجحنا هذه القراءة لأن الدنانير الرومية التى كانت معروفة فى صدر الإسلام كان عليها نقوش وبعضها عليه الصليب. والخبر يشير إلى أن هذه الدنانير أهديت للأمين فهى أشبه بما يوجد من نقود القدماء اليوم ، ولو كانت مما يتعامل بها ما كان يجمل أن تسمى هدية ويؤيد ذلك أيضا أنه أشار إلى صرف هـذا الدينار فى ميزان التعامل بأنه يقدر بدينارين من دنانير عهد أبى نواس .

فقلت يأذن لى أمير المؤمنين فى المصير إلى قُطرُبُّل . فقال لى : ويلك أتريد وَجْهاً أحسن منى أو أنبل قَدْراً أو أعظم خَطرا ، أو مكانا أطيبَ من مكانى، أو آلة أحسَن من آلتى، أو مجمُوعا أحسن مِمّا نحن فيه! قلت : لا ياأمير المؤمنين، ولكنّى أريد أن أتنسّم ذلك الهواء وأمتطى ذلك الثرَى، وليس لى بها مُقام أكثر من ليلة واحدة ثم آتيك فى صبيحتّها . فأذن لى فأتيت الأرجوانى الخمّار وكان يضحك بعين ويبكى بعين ، ويَعْدو على فرد رجل يسابق بها ، فقلت : هذه عشرة دنانير لك وعشرة دنانير لآذريوننا ونَرْجسنا ومُدامنا ، وعشرة دنانير لابن أسطفنوس النصرانى . فاذهب إليه وقل له هذا أبو نواس ونديم أمير المؤمنين وإنما هو يبيت ليلة واحدة . وكان أَقْوَد من ظُلْمَة ، فما بإن إلا وقد حضر [ابن أسطفنوس] يتهادى ، تقصر الأذهان عن وصفه فما تمالكت أن خَلَسْتُ من خَدّه قُبلة . ثم لم يزل يشرب . ووجدته محتَمِلاً للشرب فتناومت[1] لينام فنام بعد جَهْد . فلما نام أخذت بضَبُعَيْه فألقيته على تلك الأسرة ، وأحس الغلام ببعض ماأنكره فى ثالث دَفْعة فوثب ضَجِراً غضبان فذلك حين يقول[2] :

لا أَنْدُب الرَّبْع قفْراً غير مأنُوسِ ... ولا أَحِنّ إلى الحادِينَ بالعِيسِ[3]
لكن بكائى على أولاد دَهْقَنَةٍ ... غُرٍّ بهاليل من أولاد آلُوسِ[4]
أحَقُّ منزلةٍ بالهجر مَنْزِلَة ... وَصْل الحبيب عليها غير مأنوسِ

---

(١) فتناومت : فى النسخ : فتناومته .
(٢) الفكاهة : ٣٥ ، ٣٦ .
(٣) غير مأنوس : غير آهل ـ العيس : الإبل.
(٤) أولاددهقنة : أولاد عز وجاه ـ بهاليل : جمع بهلول وهو السيد الجامع لصفات الخير ـ آلوس : بلدة على الفرات قرب عانات .

يا ليلةً غبرت ما كان أحسنَها ... والرّاح تعمل فى إخوانك الشُّوسِ (١)

تكردَس اللّيل كردوسا ففرّقه ... صُبحٌ أغار عليه من كَرَاديس (٢)

وشادنٍ نطقت بالسِّحر مُقْلَتُه ... مُزَنَّرٌ إلف تَسْبيحٍ وتقْديس (٣)

نازَعْتُه الكأسَ فى رِفْقٍ أحدِّثه ... فى زِىّ قاض ونُسْكِ الشيخ إبليسِ

تناول الكأسَ من كفّى وأنشدَنِى ... (حَىّ الهدملة من ذاتِ المَوَاعِيس) (٤)

لما سَكِرتُ وكل الشَّرْب قد سَكِروا ... وخفت صَرْعَته إياى بالكُوسِ

غططت مستَنْعِساً عَمْداً لأُنْعِسَه ... فاستشعرت مُقلتاه النّوم من كَيِسِى (٥)

فامتدّ فوق سرير كان أعجَبَ لى ... على تشَعُّثِه من عَرْش بِلْقِيسِ (٦)

فقمتُ أمشُق ى قرطاسِه بيَدٍ ... خَطَّاطةٍ لا تَعاياَ فى القراطِيسِ (٧)

أحسّ فى ثالثٍ عند الفراغِ وقد ... دَلّتْ على الصبح أصواتُ النواقيسِ

فقال: من أنت؟ قلت القسّ زار ولا ... بُدَّ لدَيْك من تَشْمِيس قِسّيسِ

فقام يُوسِعُنِى شَتْماً وأوسِعُه ... حِلْماً بنى فَرْعَه من غير تأسِيس

وقال: بئس لعمرى أنتَ من رَجُلٍ ... فقلت: كُفّ فإنى لستُ بالبيِيسِ

وله (٨) :

لا تَرانِى يَئِستُ منـ ... ـكَ وإنْ كنتَ مُوئِسَا

---

(١) الشوس: جمع أشوس: العظيم فيه أنفة.

(٢) الكراديس: طوائف الخيل والجند، ويريد أن الصبح قشع ظلمات الليل.

(٣) الشادن: ولد الظبية شبه به فتى صغيرا — مزنر: لابس زنارا.

(٤) هذا الشطر مضمن.

(٥) كيسى: حذق وظرف.

(٦) تشعثه: تفرق ما عليه وعدم اتساقه.

(٧) البيت كناية.

(٨) الديوان: ٣٦٣.

رُبَّما أحسَنَ الحَبِيـ ـبُ وإنْ كان قَدْ أسَا[1]
بأبي وجْهـك الَّـذي مَنْ رآهُ تَنَفَّسَا
أقطعُ الدَّهرَ سيِّدي مِنْك باللَّـوِّ والعَسَا[2]

قال غَسَّان بن محمد المُذافِرىّ ابن عمّ الحسين الخليع : خرجت إلى بغداد فنزلت على الحسين وقلت : أحبّ أن تجمع بيني وبين أبي نواس ، قال : انهض وسار بي إلى شارع العلاء الوصيف ، وأبو نواس ينزل فيه بحيـال دار العلاء الوصيف ، فطرقنا بابَه ، وقلنا لغلامه : قل له : الحسين الخليع . فخرج إلينا بنفسه فأدخلنا مجلسه ، فلما جلسنا حبسنا حتى هطلت السماء ، فحلف علينا ألَّا نبرح ، وأتانا بما حضر من طعام فطعِمنا . وصرنا إلى مستَمْطَرٍ[3] له بحذاء منزل العلاء الوصيف وفيه مناظر[4] إلى الشارع ، ففتحنا المشارِعَ[5] وجلسنا نشرب . وابتلّت الأرض بالمطر والطين . فخرج غلام من دار العَلاء الوصيف ما رأيت أحداً بعده أحسنَ منه . فلما رآه الحسين تحيّر وقال لأبي نواس : أمّه فاعلة إن كنتَ نزلت ههنا إلّا لموضع هذا الغلام . قال أبو نواس : وأمه فاعلة إن كنتَ كذبت . إلّا أنه قد قلقل أحشائي وقطع قلبي ، وأسهر ليلي محبة له ، وليس يمكّنني ، وفيه تخنيث ، وهو أرطب خلق الله وأحسنهم دَلالا . قال : فصفّق له الحسين الخليع فرفع رأسه إليه ، فأومأ إليه الحسين بيده أن تعال ، فنزع نعلَيْن كانتا في رجْليه ، ثم خاض الماء والوَحَل حتى دخل الدار . فقام أبو نواس إليه فوجده يغسل رجليه ولبس نعليه وصمد . فلمّا جلس عبث به أبو نواس

(١) أسا ، أساء وحذفت الهمزة للضرورة الشعرية .
(٢) اللو والعسا : يريد قول « لو » و « عسى » .
(٣) المستمطر : الموضع الظاهر البارز المنكشف .
(٤) مناظر : مراقب يتطلع منها إلى الطريق .
(٥) المشارع : نوافذ الإضاءة والتهوية .

ساعة ثم قال لنا : قالَت لكم جدّتي لا تحبسوا عباسا . فقال له أبو نواس : نعم يا أم الفضل ليس نحبسك . ثم سقاه أبو نواس ثلاث كاسات ، فقال له الغلام : الناس يقولون إنك زنديق ، فبالله عليك ما الزندقة ؟ فقال له أبو نواس : أولها أنت ، ولولا أنت وأمثالك ما تزندقنا ، والساعة أفسّر لك الزندقة ماهي! ثم أخذ بيده وخلا به في غرفة وفسق به ، وقال له : هذا أول الزندقة . ثم جاء إلى الحسين فقال له اذهب إليه ، فقام إليه الحسين وفسق به ، ثم خرج إلى غسّان فقال له اذهب إليه ، فقام إليه غسان وفسق به ، فلما فرغنا جاء وجلس ، فقال له أبو نواس : ياأمّ الفضل عرفت الزندقة؟ هذه هي. ثم شرب كأساً ونهض ، فأنشأ أبو نواس يقول[1] :

بِنتُ العَلاء أتتنا وهى حافِيَةٌ ... فى يَوْم وَحْلٍ كثيرِ المَاء والطّينِ

قالت لنا قَوْلَةً من قَبْلِ جِلْسَتِها ... قَالَتْ لكم جَدَّتِى بالله نيكُونِى

فمَرَّ والله يا قـــومى بفقحتها ... ما مَرَّ بالطَّبْلِ فى يوم الشَّعانِين[2]

وجهت[3] عِنان جارية الناطفى إلى أبى نواس رسالة مع صبيّةٍ لها تدعوه ، وقد دعت الحسين الخليع وكتبت فى كَفّ جاريتها:

زُرْنَا لتأكُلَ معْنا ... ولا تخلَّفْ عنَّا

فقد عَزَمنا على الشُّرْ ... بِ صبحة واجتمَعْنَا

فجاءته الجارية فقرأ مافى يدها وأدخلها إلى بيته وراودها ، فأبت عليه فلم يزل بها حتى أطاعته ففرغ منها . وكتب أسفل ذلك :

---

(١) الفكاهة : ٢٤ وفيها : وقال يهجو ابنة العلاء بن الوضاح .

(٢) يوم الشعانين : عيد مسيحى يقع يوم الأحد السابق لعيد الفصح يحتفل فيه بحمل السعف ذكرى لدخول المسيح بيت المقدس .

(٣) الخبر والأبيات فى معاهد التنصيص : ١/٩٥ ــ الفكاهة : ١٠ .

نِـكْنا رَسُولَ عِنانٍ ... والرَّأى فيما فَعَلْنا[1]
فـكان خُـبزاً بِمِلْحٍ ... قَبْلَ الشِواء أَكَلْنا

وقال لها تقدميني حتى الحقك ، فجاءت الجارية بالجواب إلى عنان .

فـكتبت عنان :

لِلنَّيْكِ مَعْنًى ولـكن ... ما للتَّهَتُّك مَعْـنَى

وقالت لها : اخرجي فقفي على الباب حتى يجيء فيقرأ ما في يدك ، وأقبل أبو نواس فأَرته ما كتبت سيّدتها في يدها ودخل فبدرته عنان .

فقالت : * أي افـــتراع تَراه ؟ *

فقال أبو نواس : * بذاك كنا افترعنا *

فقالت عنان : * فما ترى فى اصطراع ؟ *

فقال أبو نواس : * لو شئتِ قُمْنا اصطرَعْنا *

جذبتها فجحانت[2] ... كالغصن لـما تَثَنَّى

* قُومى كذا بحياتى *

فقالت الجاريةَ : * طَوَّلْتَ نِـكْنا ودَعْنَا *

ألقى أبو نواس إلى عنان بيتاً وهو :

كل يوم بأقحوان جَـدِيدٍ ... تَضْحَكُ الأرضُ عن بُكاء السَّماء[3]

فأجابته على المـكان :

فهْيَ كالوَشْىِ فى ثِياب عِـانٍ ... جَلَبَتْها التِّجـار من صَنْعاء

---

(١) البيتان فى نهاية الأرب : ٩٩/٤ .

(٢) فجحانت : فى المعاهد : فتجافت .

(٣) البيت للحسين بن مطير (غ بولاق) : ١١٦/١٤ .

ولأبى نواس:

ويلى على أحْـور مَمْـكُورِ ... وسـاحِرِ العَيْنَيْن مَسْحُورِ
تختاره الحورُ علينا كما ... نَخْتارُه نحنُ على الحورِ

ولأبى نواس[1]:

هَلّا استعنتَ على الهُمومِ ... صفراءَ من حَلَبِ الكُرُومِ[2]
ووهَبْت للعَيْشَ الحمِيـ ... ـد بقيَّةَ العَيْش الذَّميمِ
بمجالسٍ فيها المزا[3] ... هِرُ والأوانسُ كالنُّجومِ
يُهْدِى[4] التحيَّة بيْنَهم ... نَظَرُ النَّديمِ إلى النَّديمِ

ولأبى نواس:

أمسيت عَبْدًا أيَّمـا عَبْدِ ... لسـاحِرِ العَيْنَيْن والقَدِّ
صُدغاه قد سالا عـلى خَدِّه ... مِثْلَ عناقِيدٍ عـلى وَرْدِ
وصَوْلَجانُ الصّدغِ مستَمْكِنٌ ... للضَّرب من تُفَّاحَةِ الخدِّ

ولأبى نواس[5]:

عاجَ الشَّقِيُّ على رَبْعٍ يُسائِلُه ... وعُجْتُ أسأل عن خَمَّارة البَلَدِ[6]
كم بَيْن من يَشْتَرِى خَمْراً يلَذُّ بها ... وبين باكٍ على نُؤْىٍ ومُنْتَضَدِ[7]

---

(١) الديوان : ١٣٧ .

(٢) صفراء : يريد خمرا .

(٣) المزاهر : جمع مزهر : العود يضرب به وهو من آلات الطرب .

(٤) يهدى : فى الديوان : بدء .

(٥) الديوان : ٤٦ عدا بعض أبيات .

(٦) عاج : عرج وعطف رأس بعيره بالزمام — الشقى : يقصد به الواقف على الطلل يسائله — ربع يسائله : فى الديوان : دار يسائلها .

(٧) البيت مؤخر فى الديوان — النؤى : الحفير حول الخيمة يمنع عنها السيل

قالوا ذكرتَ ديار الحيّ من أَسَدٍ ... لا درَّ درُّك قلْ لى مَنْ بَنُو أَسَدِ ؟

ومَنْ تَميمٌ ومَنْ قَيْسٌ وإخوتُهم ... ليس الأعاريبُ عند اللهِ مِنْ أَحَدِ

لا يُرْقِئُ اللهُ عَيْنَىْ من بكَى حَجَرًا ... ولا شَفَى وَجْدَ من يَصْبُو إلى وَتِدِ[1]

دَعْ ذا عَدِمْتك وأشْرَبْها معتَّقةً ... صَفراءَ تُعْنِقُ[2] بين الماء والزَّبَدِ

من كَفِّ مختَصَرِ الزُّنَّارِ مُعْتَدِلٍ ... كغُصن بانٍ تَثَنَّى غير ذى أَوَدِ

لما رآنى أبوه قد قصدت له ... حَيًّا وأَيْقن أَنِّى مُتْلِفٌ صَفَدِى[3]

فجاءنى بسُلافٍ لا يجُود[4] بها ... ولا يُمَلِّكها إلّا يدًا بيَد

فاغتال يذكى له إسراف همته ... وقال إن شئت فازْدَدَ مثْلَها وزِدِ[5]

فهكذا القَصْفُ لا أطلال مَنْزِلَةٍ ... تحيَّ ذَا والعن الأَطْلال بالجرد

أَمَا رأيتَ وُجوه الأرضِ بارِزَةً ... قد أَلْبَسَتْها الزرابِى نَثْرَةُ الأَسَدِ[6]

حَاكَ الربيع لها[7] وَشْيًا فجَلَّلَها ... بزَهْرِه النَّور من مَثْنَى ومن وُحِدِ

واستوفت الخمر أحوالًا مُجَرَّمَةً[8] ... وافترّ عيشُك عن لذّاته الجـدد

لا زلت أشرَبُها صِرْفًا وأمزُجُها ... بالماء حتى تزولَ الرُّوح عن جَسَدِى[9]

فاسمح وجُدْ بالّذِى تَحْوِى يداك لهَا ... لا تَدَّخَر اليومَ شيئًا خَوْفَ فَقْر غَدِ

---

(١) مقدم فى الديوان بعد البيت الأول . يرقئ : يخفف ويسكن .

(٢) تعنق : تتحرك فى سرعة .

(٣) صفدى : ما معى من دراهم ودنانير .

(٤) يجود بها : فى الديوان : يحف لها ويريد بها أنه لا يملأ كأسها إلى حفافها .

(٥) البيت والذى يليه ليسا فى الديوان تحقيق الغزالى .

(٦) فى الديوان (آصاف) وفيه ناضرة بدلا من بارزة — الزرابى : زرابى النبات : ما بدا فيه اليبس فاحمر أو اصفر وفيه خضرة .

(٧) لها : فى الديوان : بها .

(٨) مجرمة : تامة .

(٩) ليس فى الديوان .

يا عاذِلِي قد أتتْني منك بادِرَةٌ فإن تَعَمَّدْها عَفْوِي فلا تَعُدِ
لو كان لومُك نُصْحاً كنتُ أَقْبَلُه لكنَّ لومَك محمولٌ على الحَسَدِ[1]

قال المرزباني[2] : قال إبراهيم بن الخصيب : لما كان أبو نواس عند أبي بعصر شرب ليلة حتى سَكِر ، وقام في اللَّيْل ليبول فبال وقعد على بَوْله ، وقال : لأقولنَّ الساعةَ شِعْراً لم أقل مثلَه قط ، ثم أنشأ يقول وهو سكران[3] :

يا شَقِيقَ النَّفْس[4] من حَكَمٍ نِمْتَ عن لَيْلِي ولم أَنَمِ
فاسْقِني البِكْر[5] التي اختَمَرت بخِمار الشَّيْبِ في الرَّحِمِ
ثُمَّتَ انْصاتَ الشبابُ لها بعدَ ما جازَتْ مدَى الهَرَمِ[6]
فهي لليومِ التي بُزِلت وهي[7] تِلْوُ الدَّهْرِ في القِدَمِ
عُتِّقَتْ حتى لو اتَّصلت بلسانٍ ناطقٍ وفمِ
لاحْتَبَتْ في القوم ماثلةً ثم قَصَّتْ قِصَّةَ الأُمَمِ
قَرَعَتْها بالمِزاجِ يَدٌ خُلِقَتْ للكأسِ والقَلَمِ
في نَدامَى سادةٍ زُهُرٍ[8] أَخَذُوا اللَّذَّاتِ من أَمَمِ
فتَمَشَّتْ في مَفاصِلِهم كتَمَشِّي البُرْءِ في السَّقَمِ

---

(١) في هامش نسخة ك بعد هذا البيت هذه العبارة : في شعر أبي نواس ملوكية ما تخفى ، منها قوله : قد أتتني منك بادرة فإن تعمدها عفوى ، ثم جعل نفسه محسودا في البيت الثاني وذلك كثير في شعره لمن يتأمله .

(٢) أخبار أبي نواس لأبي هفان : ٨٢ .

(٣) الديوان : ٤١ — (آصاف) : ٣٢٤ .

(٤) النفس : في أبي هفان : الروح .

(٥) البكر : في الديوان : الخمر .

(٦) انصات : أجاب وأقبل — جازت : تخطت .

(٧) تلو : في الديوان وأبي هفان : ترب .

(٨) زهر : في الديوان : نجب .

فحلت فى البيت إذ مُزِجَت ... مثلَ فعلِ الصُّبح فى الظُّلَمِ
فاهتَدى سارِى الظَّلام بها ... كاهْتداء السَّفْرِ بالعَلَمِ[1]

قال إبراهيم: فجعل ينشد وأنا أكتبها على جِصِّ الحائط إلى أن فرغ، فلما كان من الغد وأفاقَ من سُكْرِه قال لأبى : لقد قلتُ البارحة شِعْراً حسناً فى الخمر ما قلتُ مثله قط ، وقد أُنسِيتُهُ . فقال أبى : هل سمع أحدٌ منه شيئا فقلت : أنا سمعته. وأنشدته إيّاه فسُرَّ به غاية السرور وأحسن جائزتى وجائزته .

قوله :

* يا شَقِيقَ النَّفْسِ من حَكَمِ *

روى أيضا لوَالِبة[2] بحكاية هى مذكورة فى حرف الواو فى ترجمة والبة .

وقوله :

* نُمِّت أنصاتَ الشبابُ لها *

كأنها صوَّتت به فأنصاتَ لها أى أجابها .

قال عباس البَهْرانىّ : سمعنى الزبير بن بكّار وأنا أُنْشِد لأبى نواس :

عُتِّقَت حتّى لو اتّصلت ... بلسانٍ ناطقٍ وفَمِ

فقال : لا تقل عُتِّقَت فتدلّ بهذ القول على مُعتّق ولكن قل : عَتُقَت .

---

(١) السفر : المسافرون ـ العلم : الجبل أو ما ينصب فى الطريق للهداية .

(٢) روى أيضا لوالبة : فى غ (بولاق) ١٦ / ١٤٩ والشعر والشعراء ـ ٧٧١ ورواية عن الدعلجى غلام أبى نواس أنه أخبره أنها قيلت فيه وأنها لوالبة . وفى ذيل زهر الآداب: ١٢٧ : وزعم ابن قتيبة أن هذا الشعر لوالبة وأنه يخاطب به أبا نواس . وقال غيره : بل الشعر لأبى نواس وإنما أغار على والبة فى قوله :

يا شقيق النفس من أسد ... لم تنم عينى ولم تكد

وانظر أيضا الموشح: ٢٧٢ .

لما قدم المأمون وعنده اليزيدى والثقفى مولى الخيزران وإسماعيل بن نوبخت تذاكروا الشعراء فقالوا : النابغة وقالوا الأعشى وخاضوا فيهم . فقال المأمون : أشعرهم واحدٌ كان خليعا ، الحسن بن هانئ . فقالوا : صدق أمير المؤمنين. فقال: الصِّدْق على المناظرة أحسنُ من الصِّدق على الهَيْبة . قالوا : فيم قدَّمته يا أمير المؤمنين ؟ قال بقوله :

* يا شقيق النفس من حَكَم *

وبقوله الذى لم يَسبق إليه أحد :

فتمشَّت فى مَفاصِلهم كتَمَشِّى البُرْء فى السَّقم

قال المبرّد حدثنى سلمان سخطة راوية أبى نواس أن أبا نواس أول ما كان قوله :

فتمشّت فى مفاصلهم كتَمَشِّى النارِ فى الفحمِ

قال: وأنشدته الشعر لأعرضه عليه فسبقنى لسانى فقلت:

* كتمشِّى البُرء فى السَّقَم *

فقال : أعد علىّ كيف قلت ؟ فأعدته . قال : فأعجبه جدًّا ، ثم قال: اجعله لها ولقد أصبتَ . لعمرى هذا اللفظ ألطفُ معنى وأحلَى كلاماً ! فأثبتّه وترك ما كان هو قاله :

وكان ابن الأعرابى يستجيد لأبى نواس هذه القصيدة[1] :

صفةُ الطُّلول بلاغة القَدَم[2] فاجعَلْ صفاتِك لابْنَة الكَرْم

لا تُخْدَعَنّ عن الَّتِى جُعِلت سقم الصَّحيح وصحةَ السَّقَم[3]

وشَقيقةَ النَّفسِ التى حُجِبَت عن ناظرَيْكَ وقيِّم الجِسْمِ

لا كرْمُها مما يُذالُ ولا فُتِلَت مَرائِرُها على عَجَم[4]

(١) الديوان : ٥٧ (آصاف : ٣٢٣) .

(٢) القدم : العي عن الكلام فى رخاوة وقلة فهم .

(٣) سقم الصحيح : ذهاب العقل بالسكر — صحة السقم : الخمار .

(٤) يذال : يهان — المرائر : جمع مريرة وهو الحبل الشديد الفتل

قوله :

* لا كَرْمُها مِمَّا يُـذال . . . *

أى لم تدسها الأرجل بالعَصْرِ إنما سالت عَفْوا . وما كان ليستخدعها على عيب . والعجم : العَضّ أى عض العود ليعرف صلابته ، أى هى أشهر أمراً فى الجَوْدة من أن تختبر ، لأن الكرم إذا أرادوا غرسه عضّه غارسه ليختبره أجيّد أم ردىء ، وكرم هذا مِمّا بانت جودته وعَبّر عن صحته قبل الاختبار فأغنى عن أن يُعْجَم ،

وهذا كقول المخبّل :

* إنّ الجَوادَ عَيْنه فِرارُه *

أى الفرس يُنْبيك عن نفسه دون مفرّه إذا كان أصيلا :

صَهْباء فضّلها الملوك على نُظرائها لفَضيلة القُدم
فإذا أطفن بها صَمَتْنَ لها صَمْت البنات مهابَة الأُمّ
وإذا هتفْن بها لنازلةٍ قدَّمْن كُنْيَتها على الإسمِ
وإذا أردن لها مخاطبةً رَوَّحْن ما غرَّبْن من حِلْمِ
شُجَّت(٢) فعالت فوقها حَبَباً مترِاصفاً كترِاصف النَّظْمِ(١)
ثم انفرت لك عن مَدَبّ دَبًى عجلان صَعَّد فى ذُرى أَكمِ(٢)
فكأنما يتلو طرائدها نَجْم تواتر فى قفا نَجْمِ(٣)
وكأنّ عقبى طَعْمِها صَبِرٌ وعلى البديهة مُزَّة الطَّعْمِ(٤)

كان بعض الرّواة يروى كلّ مزة مُرَّة بالراء المهملة ويقول: لا معنى للمزة وإنما صحف مبتدئٌ وتبعه الناس، ولو صح ذلك لكان أجود ، وإنما الرواية مزة بالزاى معجمة .

---

(١) شجت : مزجت ــ عالت : علت .
(٢) انفرت : انشقت ــ الدبى : النمل .
(٣) تواتر : توالى وتتابع .
(٤) مزة الطعم : فيها حموضة .

وأما قوله :

* وكأن عُقبى طعمها صَبِرٌ *

فإن المعروف من تشبيه طعم الخمر بالقرنفل والزَّنجبيل ، وكلها يحذى اللسان ، فأما الصَّبر فلا يعرف من صفات طعمها ، اللهم إلا أن يكون حمل ذلك على أن كل شيء يقرص اللسان يسمى صَبِراً فى اللغة ، وكذا ورد عن بعض نقلة اللغة . ونقل أيضا أن كل ورقة خضراء تسمى بَقْلا واحتج بقول أبى نخيلة :

* ولم تذُق من البُقول الفُسْتُقا *

تَرْمِى فتقْصِد[1] من له قَصَدَتْ ... جَمّ المراح دَرِبة السَّهمِ
فعلام تَذْهَل عن مُشَمْشَمَــــة ... وتَهيم فى طَلَـــلٍ وفى رَسْمِ
تصف الطُّلول على السماع بهـا ... أفذُو العِيان كأنتَ فى العِلْمِ
وإذا نعتّ[2] الشيء متَّبعـــاً ... لم تَخْلُ من زَلَلٍ ومن وَهْمِ

قال الشيبانى[3] : قال لى الأصمعى : يا أبا عمرو ما رأيتُ أعجب من البرامكة رجالاً ولا أشرف منهم أحوالا . ما حضرت ليحيى بن خالد ولا لجعفر ولا للفضل مجلسا إلاّ انصرفت عنه وأنا مُستَقِلٌّ لنفسى بَديًّا ولكل من لقيت من أهل الأدب والمعرفة . ثم قال : طرب الفضل بن يحيى إلى مذاكرتى يوما فأرسل إلىّ فى يوم صَرِد[4] فأتيته فدخلت عليه فى بهوٍ له قد فرش كله بالسَّمور[5] وعليه دُوَّاج[6] سَمّور مظاهَر بخزٍّ أخضر ، وبين يديه

(١) تقصد : تصيب ولا تخطئ .

(٢) نعت : فى الديوان : وصفت .

(٣) الخبر فى الطبقات : ٢٠٣ وما بعدها باختلاف واتفاق فى المعنى — الشيبانى : فى النسخ الشابى وهو تحريف .

(٤) صرد : بارد .

(٥) السمور : يريد جلود السمور وهى جلود ثمينة تتخذ من الحيوان المعروف بالسمور ، وهو حيوان من فصيلة السراعيب يشبه النمس ، وفروه من أحسن الفراء ، ويوجد ببلاد الروس .

(٦) الدواج : نوع من الثياب كالجبة .

كانون من فضة فى وسطه أثفية[١] من ذهب عليها قدر يوقد تحته بالعُود المَنْدَلى[٢] وبين يديه صينيّة من فضة على أسد رابض من فضة، عيناه ياقوتتان حمراوان، والصينية والأسد قطعة واحدة، عليها إبريق زجاج فرعونى لا أصف لك حسن خَفْرِ فيه أسود لا أحسبه يفى به ثمن، وكأس مثله تسع رطلا، وطبّاخ خَزَرى[٣] واقف على القدر، والخدم خارج البهو جلوس وعلىّ يومئذ ثياب محشوّة قُطنا. فلما سلّمت أومأ إلى بالجلوس فجلست. فقال: ياأصمعى: هذا يوم خَيْرٍ وبِرّ فألا جئتنا فيه! قال: فعلمت أنه قد تحرش بالجود، وناداه فأجابه جواب مشتاق إليه، إلا أنه أحب أن يجعل لذلك سببا. قال: فقلت: جعلنى الله فداك، هو مستودع فى الخزائن فمر الخدم بإحضاره. فقـال: هيهات ما أجدت الرُّقْيَـة فى استخراج البُغْية، ولا ألطفت فى المسألة! هلّا قلت: كرهت أن أبخّلك بأن يشاهدك فى هذا اليوم جليسٌ لك بغير خلعك فإن ذلك أفتقُ للسماح مما قلت، وأبعث على النجاح لِمَا أملت. فقلت: جعلنى الله فداك لا تجمع علىّ العيبين. قال: تسألنى إبطال ما أوجبه حكم الأدب، أما علمت أن إلغاء ذلك يزيد عندهم فى الذنب ؟! فقلت: إنهم لم يطلقوا ذلك على ذى التوبة والاعتراف وحسن المراجعة على الهفوة. قال: لا أراك إلا وقفتنى مخصوما! يا غلام. فيسرع إليه الخدم فقال: يُخلَع عليه جبّة خز بسمّور، وكساء خز بحواشيه. قال: فدعيت فنزع ما كان علىّ وجعلت علىّ الجُبَّة بقميصها وخُفّها وسراويلها. قال الأصمعى: وكان الجَوْرَبُ خزا مبطّنا بسمّور.

فلما جلست قال: أما أنّى قد أبكرت الغداء وقد أردتُ نفسى على شُرْب رَطل

---

(١) الأثفية: أحد أحجار ثلاثة يوضع عليها القدر ليوقد تحته.

(٢) العود المندلى: بعض شجر يتطيب بما يفوح من رائحته عنـد إحراقه، ونسب إلى مندل بإقليم الهند حيث يجلب، وهو أجل أنواع العود وأنفسها وأفضلها ويعرف بالعود الهندى.

(٣) خزرى: من بلاد الخزر.

فما أجابت . ثم قال للذى يطبخ ، أدركَتْ[1] قدرُك ؟ قال : نعم . وحملها فما غاب عنى حتى جاء غلام يحمل خِوانا عليه ثلاث رُقاقات على كل رُقاقة رغيف . ثم جاء الطبّاخ ومعه جامُ فِضّة خُسروانية فى وسطها جُمْجُمة ، وقد نثر عليها السكر ، فما أقدر على صفة طِيب ما أكلت ، وأحسبه مُخّ خصيان[2] تذبح فى مطبخه كل يوم . فلما تملّأت[3] ورُفع الخوان جاءنى الطست فأعطيت أربعة أصناف من الأُشْنان[4] ، ما منها صنف إلا وكنت أهمّ أن أتغلّف[5] به . فلما مسحت يدى جاءنى خادم بيده ملعقة مملوءة غالِيَة[6] فتغلّفت بها . ثم إن الفضل أخذ الكأس بيده فصبّ منها من النبيذ قدر ثلثيها ثم ملأها بالماء ثم شرب ، ثم صبّ مثل ذلك فبدره إلى الإبريق وَصِيفٌ فقال : تنحّ . هذا يوم منادمة الأدب لا أحب أن يكون خادمه غيرى .

قال : ثم دفع الكأس إلىّ وقال : ابعث إلى قلبك رسولا يُرْحِل[7] عنه ماسكنه من غم ، فشربت كأسا ثم قلت : وافقت جعلت فِداك ما قال الشُوَيْعر . قال : ومن هو ؟ قلت : أبو نواس . قال : بل قل الشاعر الذى قَلّ ماأطالت فكره القوافى . وماقال ؟ قلت : قال :

إذا ما أَتَت دُونَ اللَّهاة من الفَتَى ... دَعَا هَمُّه من صَدْرِه بِرَحِيلِ[8]

قال : لِلّه درُّه ما أَبْيَنَه لدُرِّ الوصف فى هذا وفى غيره !

---

(١) أدركت : بلغت حد النضج .

(٢) مخ خصيان : فى الطبقات مخ الطير .

(٣) تملأت : شبعت .

(٤) الأشنان : مادة تتخذ من الشجر للتنظيف كالصابون .

(٥) تغلف : تلطخ وتضمخ .

(٦) الغالية : نوع من الطيب ، أصله أخلاط وتغلى مع بعضها .

(٧) يرحل : يذهب .

(٨) الديوان : ١٦ (وآصاف : ٣١٠) . من قصيدة أولها :

وخيمة ناطور برأس منيفة ... تهم يدا من رامها بزليل

وقال أيضا[١] :

دَبَّت دَبِيباً فى العِظام كأنَّه   دَبِيبُ نِعَـال فى نَقاً يَتَهَيَّلُ

وإن كان فُتِح له البابُ ورُسِم له الوصفُ لقد أحسن الاشتقاق .

ومن البديع الذى لا يوصف حسنه قوله :

فتَمَشَّت فى مفاصِلهم   كتَمَشِّى البُرْء فى السَّقَمِ[٢]

وثَرُّ[٣] معانيه فى هذا الباب كثير ، وأكره أن أشتغل به فى هذا اليوم عما أنا إليه أميل . ثم قال : والله لولا أن مجالسته سُخف يُسبّ به عند العامّة لكان ثالثنا فى هذا اليوم . ولقد كنت على بِرٍّ له ، فحال بينى وبينه الاستثقال[٤] من يوم نادانى مُطلقا من رسيس الهوى الذى يجده فى حبّ جنان ، فقال :

سأشكو إلى الفَضْل بن يحيى بن خالد   هَواكِ لعلَّ الفضلَ يجمع بيننا[٥]

ثم قال : يا غلام علىّ بمنصور الخازن . فلما وقف بين يديه قال: ابعث إلى الحسن ابن هانئ بمنديل فيه خمسة آلاف درهم فبعث بها إليه .

وكان أبو نواس قد هجا البرامكة بعد مصابهم وقبل مصابهم ، فممّا قاله فى يحيى[٦] ابن خالد :

قُلْ ليَحْـَيى بنِ خَالِدِ   يا عَـــدُوَّ المَساجِدِ

---

(١) البيت للأخطل (الديوان: ٤) من قصيدة أولها :

عفا واسط من آل رضوى فنبتل   فمجتمع الحرّين فالصبر أجـــل

فلعل فى العبارة نقصا.

(٢) من قصيدة تقدمت وهى فى الديون : ٤١ .

(٣) ثر معانيه : غزيرها .

(٤) الاستثقال : فى ك : الاسعال (بدون نقط) .

(٥) الديوان : ٤٧٤ .

(٦) فى ك : فى آل يحيى.

يُوشِكُ القومُ أن تُنَبِّـ ـهَ من نَوْمِ رَاقِدِ

فإذا أنت لا تَصُـو لُ بِكَفَّ وساعِدِ

رَاكِباً جِـذعَ نخْلَةٍ قائماً مثلَ قاعِدِ

وكان مما رثاهم به قوله[1] :

أَلَانَ اسـتَرَحْنا واستراحت رِكابُنـا

وأَقْصَرَ من يُجْدِي ومن كان يَجْتَدِي[2]

فقل للعَطايا بعـد فَضْلٍ تَعَطَّلِي وقـل للرَّزايا بعده أنْ تَجَدَّدِي[3]

وقل للمَنَايا قـد ظَفِرْتِ بجَعْفَرٍ فلن تَظْفَرِي مِنْ بعدِه بمُسَوَّدِ

فيـالك سَيْفاً بِرمَـكِيًّا مهنَّداً أُصيبَ بسَيْفٍ هاشِمِيٍّ مُهَنَّدِ

ومن طرديّات أبي نواس يصف الدرهم وهو يُرِي أنه يصف الصقر[4] :

لَمْ أَبْكِ رَسْماً مُقْفِراً ودُورا تَسْمَع للصَّعْل بها زَمِـيرَا

الصّعل : النعام ، والزَّمير : صوته .

كقسّ دَيْرٍ يقـرأ الزَّبُورا لـكن ظَلَلْتُ مُعْمِلًا سَهُورا

أَنْعَتُ صَقْراً يغلِبُ الصُّقورَا مُظَفَّرا أبيضَ مُستَدِيرا

يعني الدّرهم لأن الصقر لا يُوصف بالبَياض وإنما يوصف بالبياض البُزاة .

---

(١) الطبري : مجلد ٣/٦٨٥ — ديوان المعاني : ٢/١٧٩ في نهاية الأرب : ٥/١٨٠ نسبت هذه الأبيات إلى الرقاشي في البرامكة . والأبيات في الطبري مختلفة عما هنا في الترتيب وبعض الكلمات وفيها زيادة .

(٢) رواية الطبري : فقل للمطايا قد أمنت من السرى وطي الفيافي فدفدا بعد فدفد

(٣) وقل للرزايا في رواية الطبري : وقل للرزايا كل يوم تجددى .

(٤) هذه الطردية ليست في الديوان بطبعتيه وأورد بعضها البارودي في مختاراته في باب الصفات ج ٤ /٢٧ . وقال حمزة الأصبهاني في مقدمة الديوان :

أخبر الرواة أن أبا نواس لم يقل في الطرد إلا تسعا وعشرين أرجوزة وأربع قصائد فما كان زائدا على هذا العدد فهو منحول إليه .

* وِلادُ[1] شهرٍ واضحا مُنيرا *

يعنى قريب العهد بالضَّرْب .

* تخالُه فى قَدِّه العَبُورَا *

الدِّرهم يشبَّه بالشِّعرى العَبُور . والدِّينار يشبَّه بالمِرِّيخ .

مُكرَّمًا يجتنب الصَّفِيرَا ... إلا إذا حُرِّك أو أُثِيرا

فهو صَغِيرٌ يفعل الكَثِيرا ... ترى الَحماليقَ إليه صُورًا[2]

والصَّيد يأتيكَ بـه ميْسُورَا ... يُنْعِش ذا الحاجة والفَقِيرا

والخَلْق قد تطلبُه ظَهِيرا[3] ... يقتنص الأَعْصم والفَدُورا

الأعصمُ : الذى فى يده بَياض من ولد الوَعِل ، والفَدور : الوعِلُ المُسِنّ .

صاحبُه ممتلِئٌ سُرورا ... ولا تَراه فَزِعاً مَذْعُورَا

يختطف الأَرْنَب واليَعْفُورا[4] ... ولو بَغَى مُرْسِله النُّسُورا

والوَحْش جَمْعاً أو بغَى العَسِيرا ... لجاء سَهْلًا سَلِساً يَسِيرا

ما آب مَنْ صادَ به مَبْهُورَا[5] ... مِنْ طلبِ الصَّيد ولا حَسِيرا

ولا شَكا الأَيْن ولا الفُتورا ... يُقيل من عَثْرته العَثُورا

به يصيد السادِرُ[6] الغَرِيرا ... ما هاب من يَمْلِكه الدُّهُورا

(١) ولاد : فى مختارات البارودى : وليد .

(٢) صورا : شاخصات مقبلات .

(٣) ظهيرا : معينا .

(٤) اليعفور : الحمار الوحشى .

(٥) مبهورا : متعبا .

(٦) السادر : فى مختارات البارودى : الشادن .

وقال أبو نواس فى الفخ وأحسنَ وأجاد[1] :

قـد كادَ هـذا الفخُّ أن يَعقِرا ... واحرَوْرفَ[2] العصفورُ أن ينقرا

غيَّبتُ فى الـترب عليهِ لَـهُ ... بالمستوى خَشْيَةَ أن يَنفِرا

لَمَّا[3] رأى التُّرْبَ رأى جُثْوَةً[4] ... مائِلة الشَّخْصِ فما استَنْكَرا

حتى إذا أشرفَها مُوفِياً ... وعايَنَ الحَبَّ له مُظْهَرا

خاطبه مِنْ نَفْسِه زاجِرٌ ... قد كنتُ لا أرهبُ أن يزجُرا

فأَعْمَلَ الفِـكْرِ قليلاً ولا ... يَقتُله الرحمٰن ما فَـكَّرا

فاحتَرَبتْ «لا» و «نَعَمْ» ساعةً ... ثم انْجَلَى جُنْدُ «نعَمْ» مُدْبِرا

فضَمَّ كَشْحَيْه على جُؤْجُؤٍ ... كان إذا استَنْجَده شَمَّرا[5]

ولَم يَرُعْنى غـيرِ تَدوِيهِ[6] ... آمِنَ ما كنتُ له مُضمِرا

فاصْبِر إذا الدَّهر نَبَا نَبْوَةً ... لُجنَّة المؤمن أن يَصْبِرا[7]

فالرِّزْقُ والحِرْمان مَجْراهما ... بِما قَضَى اللهُ وما قَدَّرا

ومن قول أبى نواس فى الطَّرديات يصف الـكَلْب[8] :

لما تَبَدَّى الصُّبْح من حِجابِهِ ... كطَلْعَة الأَشمَطِ منْ جِلْبابِهِ

وهى مِمّا غلط أبو نواس فيها غلطا فاحشا ، فإنه قال فيها فى صفة الـكلب :

---

(١) الديوان (غ) : ٦٦١ وليست فى الديوان طبع آصاف .

(٢) احرورف: فى الديوان : انحرف .

(٣) لما : فى الديوان : كما .

(٤) الجثوة : الحجارة المجموعة .

(٥) كشحيه : جناحيه ــ الجؤجؤ : الصدر .

(٦) تدويه : دورانه وتحويمه .

(٧) البيت والذى يليه ليسا فى الديوان .

(٨) الديوان : ٦٣١ (آصاف : ٢١٠) .

كأنَّما الأُظفور فى قِنَّابِه مُوسَى صَناعٍ رُدَّ فى نِصابِه

القِنَّاب : الغِلاف ، وهو الشعر الذى يُغطِّى مِخْلَبه .

قال المظفَّر بن يحيى : غلط أبو نواس لأنه ظنّ أن مِخْلَبَىْ الأسد والسّنّور اللَّذَيْن يستران إذا أرادا سترها حتى لا يبينا وعند حاجتهما تخرج المخالب حُجُناً[1] محدّدة يفترسان بها ، فظن أن هؤلاء كمِخْلب الـكلب وإنّما الـكلب مبسوط الظّفر أبداً لا ينقبض .

ومن طردياته فى صفة الـكلب[2] :

أَنْعَتُ كلبا أَهْلُه فى[3] كَدِّه قد سَعِدَت جُدُودُهم[4] بجِدِّه[5]

فَـكلُّ خَيْرٍ عندهم من عِنْدِه وكلُّ رِفْدٍ نالهُم من رِفْدِه[6]

يظَلُّ مولاه له كعَبْدِه يَبيتُ أدنَى صاحبٍ من مَهْدِه

وإن غَـدَا جَلَّله[7] ببُرْدِه ذا غُرَّةٍ مُحَجَّلاً[8] بزَنْدِه

تَلَذُّ منه العينُ حُسْن قَدِّه تأخير شِدْقَيْه وطُول خَدِّه

يَلْقى الظِباءُ عنَتاً[9] من طَرْدِه تَشْرَب كأساً شَدَّها من شَدِّه

* يالَكَ من كَلْبٍ نَسِيجِ وَحْدِه *

---

(١) حجنا : معقوفات .

(٢) الديوان : ٦٢٤ (آصاف : ٢٠٦)

(٣) فى الديوان : من .

(٤) الجدود : الحظوظ .

(٥) جده : اجتهاده .

(٦) هذا الشطر ليس فى الديوان .

(٧) جلله ببرده : غطاه به .

(٨) المحجل من الدواب : ما كان البياض منه فى موضع الخلاخيل .

(٩) عنتا : مشقة شديدة .

سمعتُ من محاضرات بعض الأدباء . قال : دخل أبو بكر الخالدى على الخليفة فأنشده قصيدة امتدحه بها فراقته وأعجبته ، وبَشَّ لها وارتاح إليها ، فلما فرغ من إنشادها خلع عليه وأجازه وقلّده بالإجازة . وكان بين يديه صحن من يَشْم[1] أزرق بديع المنظر ، فلمح أبا بكر الخالدى وهو يرمُقُه بطَرْفه فى خلال إنشاده . فقال له بعد جائزته : قد رأيتك ترمق هذا الصحن وتلمحه نظر مستحسنٍ له ، خذه مع جائزتك واضممه إلى ذخائرك . فأخذه وخرج يخبّ فى خلعه ، ويخطِر فى جائزته والصحن فى يده . فرآه أبو الفتح بن خالويه وهو فى غاية الفرح والابتهاج والسرور ، فسلّم عليه وهنّأه . ومضى إلى منزله .

فلما أصبح جاء إلى الخدمة فدخل عليه وقبّل الأرض بين يديه ودعا له . فقال له الخليفة : كيف كان مبيتك؟ فقال : بأعظم خيرٍ يا أمير المؤمنين ؛ أتقلّب فى نِعَمك جمعت أهلى وفرّقتُ عليهم من صدقاتك ، وأنعمت عليهم من نِعَمك ، وبتنا كلّنا ندعو بدوام مملكتك . فقال : ما سؤالى[2] عن شىء مما أجبتنى به ، وإنما سألتك عن الصحن اليَشم ، فإنى أعلم أنه عندكَ أحلَى من الجائزة وأحسن من الخِلَع . فقال : أى والله يا أمير المؤمنين ولقد بتّ أتنعّم به وأتفنّن[3] فى رؤيته وأَملّى[4] بحسنه وقد أضفته إلى سالف برّ مولانا ورِفْده ، وكلّ خيرٍ عندنا من عنده. فتنمّر له أمير المؤمنين واستشاط فزَبَرَه[5] وقال : ذاكَ أبوكَ يا عاضّ بَظْرِ أمّه وانتهره . فخرج من عنده يجرّ رجليه وهو فى غاية الخوف والانقباض والوجل . فصادف أبا الفتح بن خالويه

---

(١) يشم : حجر قريب من الزبرجد لكنه أكثر شفافية وصفاء منه . (فارسى معرب) .

(٢) فى ت : ما سألتك عن شىء .

(٣) أتفنن فى رؤيته : أسلك فى الرؤية إليه أفانين وطرقا .

(٤) أملى : أستمتع .

(٥) زبره : زجره .

وهو على تلك الصورة . فقال له : مالك يا أبا بكر ؟ ما دهمك ؟ شتّان بين خروجك اليوم من بين يدى أمير المؤمنين وبين خروجك بالأمس !. ما الذى فعلت ؟ فقال : والله لم أفعل شيئا ، وإنما أمير المؤمنين انتهرنى وسبّنى وزبرنى وأمصّنى ، فخرجت من بين يديه على هذه الصورة ! فقال : ويلك ما فعلت ؟ قال : والله لم أفعل شيئا . قال : فما قال لك أمير المؤمنين من السّب : قال : قال لى : ذاك أبوك يا عاضّ بظر أمه . قال : فأنت تقول إنك لم تقل شيئا ، وهذا القول من أمير المؤمنين إنما هو جواب عن شىء قُلْتَهُ خرجت فيه عن الأدب ، فأعد علىّ ما دار بينكما ، فأعاد عليه الصورة إلى أن قال له : وكلّ خير عندنا من عنده . فصاح أبو الفتح وقال : أَوَ قُلْتَها ويلك لأمير المؤمنين ؟ ! فقال : أى والله ! فقال : ويلك ! أين أنت ! أين ذهب عقلك ؟ ! أتجعل أمير المؤمنين كلبا ! فقال له : والله أنت أشدّ علىّ من أمير المؤمنين ، كيف الخبر ؟ عرّفنى الصورة . فقال : أَوَ ما سمعتَ قول أبى نواس فى طَرْدياته يصف الكلب :

أنعتُ كلباً أهلُه فى كَدِّهِ قد سَعِدَت جُدودُهم بجدِّهِ

* وكُلُّ خَيْرٍ عندَهُمْ من عِنْدِهِ *

فكاد أن[1] يُغمى على أبى بكر الخالدى من ذلك . وقال له : سألتك بالله قد عرّفتنى الداء فعرّفنى الدواء ومرنى بما أعتمده . فقال : أرى لك أن تنقطع فى بيتك وتُشيع أنك محموم ، فإذا عادك أصحابك وشاع ذلك عنك وسمع أمير المؤمنين به تمضى إليه فإنه سيسألك عن سبب انقطاعك ، فقل له : حمى . فإذا قال لك : ما سببها ، فقل له : طالعت طرديات أبى نواس . فإن هذا هو دواء دائك .

فانصرف أبو بكر الخالدى إلى منزله وانقطع وأظهر أنه أصابته حمى ، فعاده أصحابه وزاره إخوانه وشاعت حُمّاه واتصل ذلك بأمير المؤمنين . ثم إنه أظهر أنه عوفى وخرج . وجاء إلى أمير المؤمنين فدخل عليه فسلّم ، فقال : ما سبب انقطاعك

(١) الأفصح حذف أن بعد كاد .

عنّي يا أبا بكر ؟ قال : حُمَّى يا أمير المؤمنين أصابتني ، حماك الله وكفاك . قال : وما سببها ؟ فقال : يا أمير المؤمنين . طالعت طرديات أبي نواس . فقال له: إخالك لم تكن طالعتها قبل ذلك ! فقال : لا والله يا أمير المؤمنين. فضحك منه حتى استلق وأمره بالجلوس .

قال عبدون الحراني : دخلت على مالك بن طوق وعنده العتّابي وعليه جبة صوف وكساء صوف وفي يده دفتر . فرفع رأسه إليّ فقال : قاتله الله ما أشعره ! قلت : مَنْ يا أبا عَمْرو ؟ قال : الذي يقول :

إذا نحن أثنَيْنا عليك بصالحٍ ... فأنت كما نُثْني وفوقَ الذي نُثْني (1)

قلت: من هو يا أبا عمرو ؟ قال: أو ما تعرفه ؟ قلت : لا ؛ قال : هو الذي يقول (2):

تَغَطَّيت من دَهْرِي بِظِلّ جَنَاحِه ... فعيني ترى دهري وليس يَرَانِي
فلو تسأل الأيامَ مااسمي ما درَتْ ... وأينَ مكاني ما عَرَفْنَ مَكانِي
أخذت بحَبْلٍ من حبالِ محَمّدٍ ... أمنت به من طَارِقِ الحدَثانِ

فقلت : من هو ؟ قال : أو ما تعرفه ؟ ! قلت : لا قال الذي يقول (3) :

إن السحاب لتَسْتَحْيي إذا نَظَرتْ ... إلى نَداك فقاسَتْهُ بما فِيهَا
حتى تَهُمَّ بإقلاعٍ فيمنعهَا ... خَوْفُ العُقوبة من عِصْيانِ مُنْشِيها

فقلت : من هو ؟ قال : أو ما تعرفه ؟ قلت: لا . قال: لا عرفت! هو أبو نواس .

---

(1) الديوان (آصاف) : ٦٦ ـ تاريخ بغداد : ٧/٤٤٣ ـ ابن عساكر : ٢٥٧ ـ المستطرف ١ / ٢٠١ .

(2) الديوان : ٤٦٩ من قصيدة أولها :

لمن طلل لم أشجه وشجاني ... وهاج الهوى أو هاجه لأوان

(3) الديوان : ٤٦٤ من قصيدة أولها :

الدار أطبق أخراس علا فيها ... واعتاقها صَمَم عن صوت داعيها

خرج[1] محمد بن خالد يوما من عند الرشيد فلقيه أبو نواس فقال له : يا أبا نواس البُشْرَى ! قال : وما ذاك؟ قال: ولّاك أمير المؤمنين القِرَدَة والخنازير . قال : فاسمع لى وأطِعْ فإنك من رَعِيَّتى . فأفحمه وأخجله .

ومن بديع شعر أبى نواس قوله[2] :

حين أوفى على ثلاثٍ وعشرٍ — لم يَطُلْ عهدُ أُذْنِه بالشُّنوفِ[3]

فيه غُنَّـــة الصِّبَا تعتليهـا — بُحَّةُ[4] الإحتلامِ للتَّتريفِ

حينَ رامَ النساء منهُ بمَيْنٍ — وطَوَى أُخْتَهامنالتَّخويفِ[5]

قال محمد بن الحكم بن عمار الواسطى : حدّثنى أبى قال : مررت وأنا غلام بداود ابن رزين الشاعر فقال لى : اصعد يا حَكَم ، فصعدت إليه وإذا معه رجل ، وفى يدى وَرْدَة فناولتُه الوردة فقال : ناولها هذا الرجل . فناولتُه إياها فقبض على كَفِّى وهى فيها فشَمَّها ، وقال :

وردَةٌ جاءَ بها وَرْدَةٌ — تُشْبِهُه رِيحاً كَخَيَالِى

عَجِبْتُ منهاحينأَبصَرْتُها — رَيْحانَةٌ فى كَفِّ رَيْحانِ

فقال له دَاوُد : أحسنت يا أبا نواس . فلما سمعت كُنيته نفضت يَدِى من يده وفررت منه. وكان الصبيان عندنا يفزَّعون به فيقال لهم: قد جاء أبو نواس اللُّوطِى !! قال: وقلت لأبى: لا أخرج إلى الكتّاب ما دام أبو نواس بواسط .

---

(١) الخبر فى ذيل زهر الآداب : ٩٣ وأن القصة بين الفتح والمجاز .

(٢) الديوان : ٧٢٠ من قصيدة مطلعها :

من يكن يعشق النساء فإنى — مولع القلب بالغلام الظريف

(٣) الشنوف : جمع شنف : القرط الأعلى .

(٤) البحة : غلظ الصوت وخشونته .

(٥) فى ذيل زهر الآداب : ١٤٣ رواية هـذا البيت هكذا :

حين رام أنسنا منه بعين — وثنى أختها من التخويف

قال الجماز : سمعت أبا نواس يقول : أشتهى شيئا لا أجده فى دنيا ولا فى آخرة . قلت : ويحك فى الجنة ما تَشْتَهى الأنفس وتلذّ الأعين . قال له : هذه الشهوة ما أجدها لا فى الدنيا ولا فى الجنة. قلت له : ويلك ما هى ؟ قال : أشتهى غلاما حلالًا . فقلت له : أعزب قبّحك الله ، فوالله لا تفلح أبدا .

قال يعقوب بن زيد الفارسى[1]: رأيت أبا نُواس بالبصرة فقلت له: أنشدنى فى الشيب شيئا يزجرنى فأنشدنى[2]:

انقضَتْ شِرّتى[3] فعفْتُ الملاهى	إذ رَمَى الشيب مَفْرِقِى بالدّواهِى
ونَهَتْنِى النُّهى فمِلْتُ إلى العَقْـ	لِ[4] وأشفقْتُ من مقالةِ ناهِى
أيها الغَافل المقيم على السَّهْـ	ـوِ[5] ولا عذرَ فى المَعادِ[6] لساهِى
لا بأعمالنا نُطيقُ خَلاصاً	يوم تبدو السِّماتُ[7] فوقَ الجِباهِ
غير أنّا على الإساءة والتفْـ	ـريطِ نَرْجُو لحسن عَفو الله

بلغ الفضلَ عن أبى نواس شىء يكرهه فبعث إليه ، فدار بينه وبينه كلام فيما يذكره أبو نواس فى الخمر والغلمان . ثم قال الفضل لمحمّد بن حمزة بن مالك ، وكان على شرطة عسكر المهدى : قم فأنزله إلى أسفل الدار فاضربه مائة مِقْرَعَة. قال : فأنزله محمد ابن حمزة . فلما صار فى أسفل الدار شدّه بحبل ثم ضربه ، فلما بلغ ثلاثين أو ما أشبه ذلك

(١) الخبر فى تاريخ بغداد : ٧/٤٤٧ .

(٢) الديوان : ٦٢١ .

(٣) الشرة : حدة الشباب .

(٤) العقل : فى الديوان : العدل. وفى تاريخ بغداد : العذل بالذال المنقوطة .

(٥) السهو : فى ت بغداد : اللهو .

(٦) المعاد : فى الديوان : المقام .

(٧) السمات : جمع سمة وهى العلامة. وفى الديوان : السماء. وفسرها محقق الديوان تفسيرا لا يتفق مع عبارة البيت.

جعل يستغيث وأقبل يقول: جعلنى الله فداك ، عذرى واضح قائم فى كتاب الله تعالى. فقال الفضل : مايقول ؟ قال : يقول : عذره واضح فى كتاب الله عز وجل . قال : هاتوه فأحضر إليه، فقال له: عذرك واضح فى كتاب الله عز وجل ؟ قال : نعم . قال: وما عذرك ؟ قال : قال الله تعالى « ألم تر أنَّهم فى كُلِّ وادٍ يَهِيمُون وأنهم يقولون ما لَا يَفْعَلُون »[1] فأنا ممن يقول ولا يفعل . فضحك الفضل وقال : خلوا سبيله أخزاه الله تعالى .

كان أبو نواس وعمر الرقاشى يمشيان فى بعض الطرقات ، فمرّ عمر الرقاشى بتَمْرةٍ ملقاة فتخطّاها . فقال له أبو نواس : ويلك ياعمر! كُلْها فلأن تلوك أيْرَ حمار خيرٌ لك من أن تـكون جائعا .

ومن شعر أبى نواس فى المجون قوله[2] :

مُسْتَحْلِف نائِـكَهُ ... بالله لا تَسْتَفِــقِ
لِيَتَكَ فَوْقى مُلْصَقٌ ... بأشْرَسٍ[3] من عَلَقِ
بالله خُذْنى هـكذا ... ثلاثةً فى طَلَقِ[4]
لو دَامَ شىء طَيِّبٌ ... لدَام هذا وَبَقِى

صار أبو نواس إلى العباس بن الفضل بن الربيع فى حاجة فلم يَقْضِها له ، فخرج من عنده وهو يقول[5] :

لعَمْرُكَ ما العبَّاس من وَلَدِ الفَضْلِ ... فيُرْجَى لعُرْفٍ[6] أو يُمِين على بَذْلِ

(١) الآية : سورة الشعراء : ٢٢٥ .
(٢) الفـكاهة .
(٣) أشرس : مادة يلصق بها وهى المعروفة بالرسراس .
(٤) الطلق : الشوط الواحد فى جرى الخيل واستعاره هنا .
(٥) الديوان : ٥١٨ .
(٦) عرف : فى الديوان : فضل .

فَتًى كُلَّمَا نادَيْتَه لِمُلِمَّـــةٍ ... دَعَوْتَ مِثالًا لا يُمِرّ ولا يُحْلِي[1]

فبلغه ذلك فشكاه لأبيه فأمر بكرَ بن المعتمر فأخذه وضربه وحبسه وقيّده وأسلمه إلى سجّان فظّ غليظ كان على المُطْبَق اسمه سعيد ، فضيَّق عليه وآذاه . . فكتب رُقعة وأنفذها إلى بكر فيها[2] :

جُعِلْتُ لك الفِدَا[3] زِدْنى قُيودا ... وثَنِّ علىَّ سَوْطًا أو عَمُودَا

ووَكِّل بِى وبالأبواب دُونِى ... من الرُّقبـاء شيطانًا مَرِيدَا

وأعْفِ مسامِعِى من صَوْت رِجْسٍ ... لَعِين[4] جَدُّه يُدْعَى سَعِيدَا

فقــد تركَ الحدِيدَ علىَّ رِيشًا ... وأوقرَ بغضُه قَلبى حَدِيدًا

فضحك بكر من الأبيات وأوقف الفضل عليها فأمر بإطلاقه . وذلك حيث يقول[5] :

يا فَضْــلُ قد أَوْدَعْتَنِى عِظَةً ... ما بعــدها غَلَطٌ ولا سَهْوُ

وبَرِئْتُ مِمَّــا تستَرِيب بِهِ ... فليهنِنى بك ذلك البُرْوُ

فاقبلْ أبا العباسِ عُذْرَةَ[6] مَنْ ... لفظَ الصِّبَا ومَذَاقُه حُلْوُ

إنْ ضاق عفوُكَ وهو ذو سَعَةٍ ... عَنِّى فليس بواسِعِى عَفْوُ

أنتَ الَّذِى لَذَّ[7] السماحَ فمَا ... غَــيْر السماحِ لقَلْبِه لَهْوُ

يغدُو جميعَ العِرض وافِرَه ... والمالُ معتصَر الثَّرَى[8] نِضْوُ

---

(١) ما يتكلم بحلو ولا مر .

(٢) الديوان : ٤٥٤ .

(٣) فى الديوان : وقيت بى الردى .

(٤) لعين جده : فى الديوان : ثقيل شخصه .

(٥) الديوان : ٤٥٨ .

(٦) عذرة : فى الديوان : عذرى .

(٧) لذ : فى الديوان : ألف .

(٨) الثرى : فى الديوان : النوى .

ومن شعره فى آداب المعاشرة قوله[1] :

إنّى وإن كنتُ شاعراً خَرِقاً ... لا يَخْطُرُ النُّسك لى على بَالِ

لَذُو حيــــاء وذو مُحافَظةٍ ... مُبتاعُ حَمْدِ الرِّجال بالغَالِى

إنْ دنّس المالُ عِرْض ذى أَدَبٍ ... فإنَّ عِرْضِى يُصانُ بالمالِ

ومن شعر أبى نواس يعبث بأبى الحارث جُمَّيز[2] :

ألا قل لأبى الحا ... رث بدّلت بسَوْداء[3]

بَياضًا غير مازِنَ ... فلا تَخْضب بحِنّاء

ولــكن وسمة خضرا ... ء أو خطراً بلا طاء

جَزاك الله يا جُمَّيْ ... ز خيراً ناقص الياء

وسَلْم ناقص الميم ... على وَجْهِكَ بالحاء

خَروفٌ لك فى البَيْتِ ... فقم كله بلا فاء

وخَرْدَلة بلا دالٍ ... ولا لَامٍ ولا هاء

قال على بن يوسف[4] : كنا نتغزل مع أبى نواس ونتبطل، فقال لنا ليلة من ليالى شهر رمضان وكان يجد بابن صاحب المسجد المعروف بالسيولى[5] وهو غلام جميــل [فقال] : قوموا بنا إليه . قال : فمضينا إليه فقدم الشيخ ابنَه بعد أن صلّى المــكتوبة

(١) الديوان (آصاف) : ٣٢٠

(٢) جيز : فى الأصول: حمر بدون نقط ويذكره المحدثون بالنون وهو خطأ . وفى التاج مادة « جن » وقد أنشد أبو بكر ابن مقسم :

إن أبا الحــارث جمــيزا ... قد أورث الحــكمة والمِزا

(٣) هذه الأبيات وردت فى كتاب الورقة : ٣٨ منسوبة إلى الحرزين العروضى فى هجاء الحارث جيز عدا الثلاثة الأبيات الأولى .

(٤) الخبر فى طبقات ابن المعتز . ٢٠٦ .

(٥) السيولى : فى الطبقات : السلولى .

يصلّى بهم الرُّوَيْحَةَ الأولى وهو يريد الخَتْم ، فقرأ : « أرأيتَ الّذى يكذّب بالدِّين »
قال : فأخذ بيدى ونَحّانى عن الصف ، ثم أنشدنى[1] :

وقَرَا مُعْلِناً لِيَصْدَعَ قَلْبِي والهَوَى يَصْدَعُ الفُؤادَ السَّقِيما[2]
أرأيتَ الّذى يُكَذِّبُ بالدِّ ينِ فذاكَ الّذِى يَدُعُّ اليَتِيما

اجتمع[3] جماعة فى مجلس منهم الفَضْلُ الرَّقاشى والخليع وأبو نواس فقال أبو نواس : أيّكم يأتى ببيت شعر فيه آية من القرآن؟ فلم يجبْه أحد فقال :

وفِتْيَةٍ فى مجلِسٍ رَيْحانُهم تحيَّةٌ قد عَدِموا الثَّقِيلا[4]
دانِيَةً عليهمُ ظِلالُها وذُلِّلَتْ قُطُوفها تَذْلِيلا

قال يوسف بن الداية[5] : غاب أبو نواس عنّا وعن إخوانه غيبة طويلة فلم يعرف له خبر ، وسُئل عن أمره فلم يعلم له أثر ، حتى مضت له سنة فظنوا أنه قتل . وبلغ ذلك الرشيد فقال: والله إن صح أنه قتل لأقتلنّ قاتله ولو كان محمّدا ، انظروا كل من كان هجاه من الناس فاكتبوا اسمه وارفعوه إلىّ . فارتجّت لذلك بغداد . فلما كان على رأس الحول إذا نحن به قد وافى . فقلنا له : يا أبا علىّ غبت هذه الغيبة عنا فغممتنا وظننا بك الظنون . قال : كنت فى بَيْتى . فقلنا له : ألم تسمع بغمّنا لك وقول الرشيد فيك ؟! فلم يبق أحد من إخوانه إلا عَذَله[6] وقالوا : إن فى هذا تعريضا لنفسك للآفات . فأنشأ يقول[7] :

---

(١) الديوان : ٦٩٦ .

(٢) السقيما : فى الطبقات : العزوما وفى الديون : الـكليما .

(٣) الخبر فى الطبقات : ٢٠٧ ـ أخبار أبى هفان : ٦٨ .

(٤) الرواية فى طبقات ابن المعتز :

وفتية فى مجلس وجوههم ريحانهم قد أمنوا الثقيلا

(٥) الخبر فى نهاية الأرب ٤/١٢٠،١٢١ .

(٦) عذله : لامه .

(٧) الديوان : ٣٧٣ باختلاف فى الترتيب وبعض العبارات .

إنى لفى شُغْل عن العا لَمِين[1] بالرَّوح والرَّيحانِ والياسَمِينْ
معى غلامٌ حسنٌ وجهُه قلبى بمـا ألقاه منـه رَهِين[2]
أقول إذ صرتُ على ظهرِه كقول قَوْم رَحَلوا ظاعِنِين
سُبحانَ مَن سَخَّر هذا لَنَا منهُ وما كُنّا له مُقْرِنِين
أستغفِرُ الله لِمَا قَدْ بَدَا مِنّا وإن كنّا له عاشقِين
فهو مُغَنٍّ وهو سَاقٍ معا وهْوَ خَدِينٌ بِأَبِى من خَدِين
من جَنَّة الفردوس مِنْ حِلِّهِ وفيه للفردوسِ عيشٌ مكِين[3]
تَفْدِيه نفسى عَيْشُ نفسى بِهِ ففِيه ما عُمِّرتُ دُنيـا ودِينْ

فلما أنشدنا قال : بحياتى من يساعدنى منـكم حتى أريه أين كنت ووجه الذى كنت معه ، فيعذرنى أو يحسدنى ؟ فغدا علينا فمضى بنا . فلما صار إلى موضعه أرانا غلاما لم نر أحسن منه . ثم قال : بحياتى خذ طنبورتك . فإذا أَحْسَنُ الناس غِناءً بها . ثم قال : أتلوموننى أن أنقطع عن أهل الدنيا وأعتـكف على هذا الوجه وقد جُمع فيه كلّ معنى ؟ !

ومما اعتمده[4] دِعْبِل من هذا الجنس :

وُيخْزِيهم[5] ويَنْصركم عليهم ويَشْفِ صُدور قَوْمٍ مؤمنينَا

---

(١) العالمين : فى الديوان ونهاية الأرب : العاذلين .

(٢) فى الديوان :

لدى شريف حسن وجهه أحور قلبى بهواه رهـــين

(٣) فى الديوان :

من ولد المهـدىّ فى ذروة مهذّب يخلط حـزنا بلين

(٤) اعتمده : قصده ، يريد تضمين الشعر آيات من القرآن الـكريم .

(٥) ويخزيهم : فى الطبقات : ويخزهم .

قال داودُ بن سهل: دعوت أبا نواس يوما فقال لى : أَجىء على شرط . قلت : ماشرطك ؟ قال : شرطى عليك أن أجىء بسعد الفلك ، وكان يعشق غلاما من موالى داود بن على يقال له سعيد وكان يعمّى عنه بسعد الفلك ، فقلت له : ذلك لك . فجاء به معه وصارا لى صديقين ، فقطعنا يومنا بأطيب عيش . فلمّا كان فى الليل قال أبو نواس للغلام : لابد أن تجعل مبيتك بقربى خوفا من غيرى عليك ، فأجابه إلى ذلك ، فلما اضطجعا أدخل يده بين فخذى الغلام ثم قال له: ما آمن عليك إلا بأن أفعل ذلك . فلما أغفى أخرج يده ووضع أيره مكانها ، فاستيقظ الغلام مرتاعا منكرا لذلك ، فقال له : أنصفنى فى القياس ، ما أرى إلا بمنزلة كفى فإنهما من أديم واحد ، وأعضاء رَجُلٍ واحد ، ثم أنشده[1] :

قُلْ للغزال غزال آل مُجَالِدٍ ... يا كافِرى نِعَمِى عليه وجاحِدى

أَترَى مُصا َفِحَتِىَ تَحِلّ ولاترَى ... حِـلاً تغيُّبَ ما وراءَ الساعدِ

إنْ كنت تنظر فى القِياس فإنّما ... أيْرِى وكَفِّى من أديمٍ واحِدِ

وفيه يقول أيضا :

رأيتُ فى كَفّه خالًا فقلتُ لـه ... لِمَ لا تجود وهذا الخالُ للجُودِ

فقال : هيهات تَأْبَى ذاكَ حُمْرَته ... وإنّما قيل منها ذاكَ فى السُّودِ

يريد أن الخال فى يدك علامة الجود . والخال : السحاب . وقوله تأبى ذاك حمرته لأن السحاب الأحمر لا يُمطر وإنما يمطر الأسود .

قال أبو نواس : هويت غلاما بالبصرة يقال له مَيامين، فكنت أصانعه بما أقول من الشعر ، وكان عنده أنجح من كلّ صِلَةَ وهديّة ، فدار يوما بينى وبينه كلام صنعته فى شعر فأعجبه وانقاد لما أردت منه ، وهو :

قلت له تَجَنَّـى علىَّ غَضَباً ... منك إذا ما قلتُ شيئا قال : لا

---

[1] الفكاهة / ٣٠ .

فقلت : ياقرّةَ عيني فاستمع مَقالتى ، وكن لها مُحْتَمِلَا
فقال : قل . فقلت : إنى عاشق لبعضكم . قال : وأبدَى خَجَلا
قال : لِمَنْ ؟قلت:لِمنْ قَالَ لِمَنْ قال : أراكَ فى الهوَى مستَعْجِلَا
قل لى مَتَى أبصرْتنى فتدَّعِى ما تدَّعِى ! قلتُ : شَقاء وبَلَا
فــلا تقُلْ للمُبْتَلَى يا سيدى لِمْ تُبْتَلَى فتُبْتَلَى ، قال : فلا
قلتُ : تُجِدْ.قال:نعم.قلت:متى ؟ قال: غدا . قلت: قطعتَ العِلَلا
فــلم أزل يَوْمِى مَعًا مولَّهـا مرتَقِبا للوعْــد حتى حَصَلا

قال الجمَّاز : سمع أبو نواس محدِّثا يروى عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إنّ القلوبَ جنود مُجنَّدة فما تعارَف منها ائتلف ، وما تناكَر منها اختلف » فقال[1] :

ياقلبُ ويحك جِدٌّ منك ذا الكَلَفُ ومَنْ كَلِفْتُ به جافٍ كما تَصِفُ
وكان فى الحقّ أنْ يَهْواكَ مجتهِداً بذاكَ خبَّر منا الغابِرُ السلف
قُلْ للمَليح أما تَرْوِى الحديثَ بما خالَفْتَ فيه وقدجاءت به الصُّحُفُ
إنَّ القلوب لأجنــادٌ مجنَّدَة لله فى الأرضِ بالأهواء تَعْتَرِفُ
فما تعارَف منهـا فهْوَ مؤتَلِفٌ وما تناكَرَ منها فهــو مُخْتَلِفُ

ولأبى نواس[2] :

لاعبتُ إنسانًا بشِطْرَنْجٍ فكادَنى بالدَلِّ والغَنْجِ[3]
كِيَادةَ مِتّ وشاهِى[4] مى وصرت فى القَمْرِ على الفَلْجِ[5]

---

(١) الديوان : ٢٧٧ .

(٢) ليس فى الديوان .

(٣) الدلال .

(٤) اسم قطعة من قطع اللعب لا يغلب من حافظ عليها .

(٥) الفوز والظفر .

ثم ثنينا اللعب في إمْرَةٍ مُطاعَة واجِبَـــةَ الخَرْجِ[1]
حتَّى إذا ما اشتبكت خيلُنـا وحربُنا ساطعة الرَّهْجِ
قهرتُه[2] مُقتَدِرا قَمْرَةً طربتُ منها طَرَبَ الـزَّنْج
فقال: هــل تقبل لى فِدْيَةً يا بأبى من أنْ تطأ فَرْجى
فقلت: لا! قال: فما حيلتى إن كان شىءٌ منكَ لا يُنْجِى
ما كان إلّا عَبَثاً ساعـــةً حتى ابتدا الحلّاج فى الحَلْجِ
ومجّ فــوهُ فى فَمِى مَجَّةً كالراحِ إذْ يمزَجُ بالثَّلْجِ
ثم تعاليتُ عـــلى رِدْفه كأنّنى طيرٌ عـــلى بُرْجِ
قال: فإنّ الجرْىَ من عادتى يافارسُ فاثبُتْ عـلى سَرْجى
فسرتُ فى الجرى عـلى قعدة ثابِتَةٍ والرُّمح فى الزَّجِّ
ما خَصْـــلة أعرِفُها للفتَى أشهَى من الرّاح مع الغَنجِ

ولأبى نواس فى الخمر[3]:

هَــذِهِ الممنوعُ مِنْهــا وأنا المحتجُّ عَنْها
مالهـا تحرُمُ فى الدنـ ـيا وفِى الجنّة مِنْهــا

ولأبى نواس[4]:

أربعةٌ مُذْهِبَـــة لِــكلِّ هَمٍّ وحَزَنْ
لذَيذةٌ يَحيَا بهــا قَلْبِي ورُوحى والبَدَنْ
المَاء والخَمْرة والبُسْـ ـتان والوَجْـــهُ الحَسَنْ

(١) الأداء والتنفيذ.

(٢) غلبته.

(٣) الديوان: ١٧٠ ــ مسالك الأبصار: ٩/٢٣٥ (مخطوط) قال محقق الديوان: أورد الصولى هذين البيتين وقال: إنهما يرويان لغيره.

(٤) الديوان: ٥١ (باختلاف فى الرواية) ــ خاص الخاص: ٨٨.

ولأبى نواس وهو مما كفر به[١] :

تَعَلَّل بالمُنَى إذ أنتَ حَيٌّ	وبعد المَوْت من لَبَنٍ وخَمْر
حَيَاةٌ ثم مَـوْتٌ ثم بَعْثٌ	حَدِيثُ خُرافـة يا أمَّ عَمْرِو

قال الجماز : كنت عند أبى نواس فقال : اسمع أبياتا حضرتنى . قلت : هات فأنشدنى[٢] :

ومُلِحَّة بالعَذْل[٣] تحسب أننى	بالجَهْل أوثِر صُحْبَة الشُطَّارِ[٤]
بَكَرَت تُبَصِّرُنى الزمانَ كأننى	لا أهْتدِى لمذاهِب الأبرار
وتقول وَيْحك قد كَبِرت عن الصِّبا	ورَمَى الزمان إليك بالإعذار
فإلى متى تَصْبُو وأنت مُتَيَّمٌ	متقلّب فى راحـةِ الإقتـارِ[٥]
أوما ترى العَصرين عن قوس الصِّبا	يتناضلان تقضِّىَ الأعمار
فأجبتها أن قد عرفتُ مذاهِبى	فصرفتُ معرفتى إلى الأبكار
ورأيت إيثارى اللذاذة والهوى	وتعجُّلا من طِيب هَذِى الدَّارِ
أحرَى وأجدر من تنظُّر آجلٍ	عِلْمى به رَجْمٌ من الأخبارِ
ما جاءنا أحدٌ يخبّر أنه	فى جَنَّةٍ مذ مات أو فى نارِ
لا تَعْتِبِنَّ علىَّ فى دَرْك الغِنَى	وتَعَتَّبِى فيه عـلى الأقدارِ
أمّا العَفـافُ فليس ذا بأوانه	حتى يلفّع بالمَشِيب عِـذارِى[٦]

(١) البيتان فى الأشربة لابن قتيبة : ٤٣٠ ـ الوساطة : ٥٨ .

(٢) أخبار أبى نواس لأبى هفان : ٤٥ـ٤٧ ـ الفكاهة : ١١٥ ـ الموشح : ٢٧٨ ستة أبيات فقط ـ الوساطة : ٥٨ (خمسة أبيات) .

(٣) العذل : اللوم .

(٤) الدهاة الذين أعيوا أهلهم ومجتمعهم خبثا ولؤما .

(٥) الفقر والحرمان .

(٦) الشعر الذى يحاذى الأذن .

لو أنّ لى رأياً أصولُ بعزْمــه   لرأيت كيـف تعفّفِى ووقارِى
لـكنَّنى أهوَى المجونَ وأشتهِى   قُبحَ الحديثِ وهُتْـكَة الأستارِ
كيف التصبّر عن غزالٍ أحْوَر   قَسَم الحتوفَ بطَرْفه السَّحَّـارِ
مُتماجِن تمَّت محاسِنُ وَجْهِهِ   فثنَت إليـه أعِنّة الأبْصـــارِ
ديباجَتا[1] خدَّيه ينتضلان عن   قوسِ الرَّدَى فى أعـين النُّظَّارِ
يغتال ألسنةَ الُمرِيــدِى نَيْـكَه   إجلالُه فَيُنـــاكُ بالإضمارِ
نلتُ الخـلودَ بجنّة الفردوس لو   قضَّيْتُ من تقبيــله أوطارِى

قال : فقلت له: ياهذا اتق الله فى نفسك واعلم أن الأعداء ينتظرون مثل هذه السقطات ، فدَعِ الإفراط فى المجون ، واكتمها إن لم يكن سمعها أحد غيرى . فقال : لا والله لا أكتمها خوفا ، وإن قُضِىَ شىء كان . وقد كان سمعها غيرى فنمى الحديث إلى الفضل بن الربيع ثم إلى الرشيد ، فما كان إلا أسبوع حتى حُبِس .

أنشد أبو الشَّمَقْمَق أبا نواس قولَه :

كنتُ فيما مضَى فتًى أمدح النا   سَ وأهجُو وذاكَ ذُلٌّ ذَليـلُ
فأنا اليومَ ليس قَوْلِىَ إلّا   حَسْبُنا الله وهْوَ نعم الوَكِيلُ

فقال له أبو نواس : يا ابن الفاعلة ، إذاً واللهِ لا يُطعِمُك أحد الخبزَ وتموت جوعا ! فنمت إلى الرشيد فأمر بطلب أبى نواس وحَبَسه ، وأعطى أبا الشمقمق عشرة آلاف درهم .

جلس[2] الرشيد مجلسا وأفاض من حَضَره فى ذكر المطبوعين من شعراء المحدَثين ، إلى أن اتّصل الذكر بالحسن بن هانىء ، فغمز عليه سليمان بن أبى جعفر فقال : يا أمير المؤمنين كافر بالله لا يَرْعَوِى عن منـكرة[3] ، ولا يأنف من فاحشة ، وقد نمى إلى

---

(١) حسن بشرتهما .
(٢) الخبر فى الموشح : ٢٧٦ وما بعدها .
(٣) منـكرة : فى الموشح: سكرة .

أمير المؤمنين خبرُه . فقال : يا عمّ(١) هل تأثُرُ عنه من ذلك شيئا ؟ قال : نعم قوله يا أمير المؤمنين(٢) :

يا ناظراً فى الأمر(٣) ما الأَمْرُ   لا قَدَرٌ صحّ ولا جَبْرُ
ما صحّ عندى من جَمِيع الّذى   يُذْكَر إلّا الموتُ والقَبْرُ

ثم أنشده قوله أيضا(٤) :

باحَ لِسانى بِمُضْمَرِ السِّرّ   وذاكَ أنّى أقـولُ بالدَّهْرِ
وليس بعد المَماتِ مُرتَجَعٌ   وإنَّما المَوْتُ بيضَةُ العُقْرِ

فاستشاط الرشيد غضبا وطار شِقَقاً(٥) ، وقال : علىّ بابن الفاعلة ! يافضلُ لا يفوتَنّك الزنديق . ونُمِى إلى أبى نواس الخبرُ فساح فى الأرض فلم يَقدِر عليه أحد .

فقال رجل من جلساء الرشيد: إن أذن أمير المؤمنين أنشدتُه من قول هذا الفاسق ما هو أشنع مما سمع . قال : هات !! قال: قوله فى غلام نصرانى :

تَمُرُّ فأستحييك أنْ أتـكلّمَا   ويَثْنيك زهوُ الحسن عن أن تُسَلِّما
ويهـتزُّ فى ثوبَيْك كلَّ عشيـةٍ   قضيبٌ من الرَّيْحان شبَّ منعَّما
بحَسْبِك أنّ الجسمَ قد شفَّه الضّنـا   وأنّ جفونى فيـك قد ذَرَفت دَمَا
أليس عظيما عند كلِّ مُوَحِّدٍ   غزالٌ مسيحىٌّ يعذّبُ مُسْلِماً ؟!
فلولا دُخولُ النار بعد بَصِيرَةٍ   عبدتُ مكانَ اللهِ عيسَى بنَ مَرْيَما

---

(١) ياعم: فى ت : ياأباعمرو .

(٢) الموشح : ٢٧٦ ـ ديوان المعانى : ٢/٢٥١ بدون عزو .

(٣) فى رواية : الدين .

(٤) الموشح: ٢٧٧ ـ ديوان المعانى : ٢/٢٥١ معزوا لابن أبى البغل ـ وفى الأشربة : ٤٣ نسب إلى روح المعروف بابن همام .

(٥) طار شققا : انفجر غضبه ـ شققا : فى النسخ : شفقا (بالفاء قبل القاف) والسياق يقتضى ما صوبناه .

فازداد قلق الرشيد عليه فقال : يا أمير المؤمنين وأشنع من ذلك ! قال : هات ؛ فأنشده فى غلام نصرانى[1] :

وَمُلِحَّةٍ بالعَذْلِ[2] ذاتَ نَصيحةٍ ... تَرجو إنابةَ ذى مُجونٍ مارِقِ
بَكَرتْ تُبَصِّرُنى الرشادَ وهِمَّتى[3] ... غيرُ الرشادِ[4] ومَذْهَبى وخلائقى
فأجبتُها كُفِّى مَلامَكِ إنَّنى ... مختارُ دينِ أَقِسَّةٍ وجَثالِقِ[5]
واللهِ لولا أنَّنى مُتَخَوِّفٌ ... أنْ أبتلى . . . . .

وقطع الإنشاد . فقال الرشيد : بماذا ويلك ؟ ! فاستعفاه فقال : ويلك بماذا ؟ فقال : بإمام جَوْرٍ فاسقٍ .

قال: فضاق المجلس بأهله وأنكر الرشيد نفسه . ثم قال : امض فيها فقال :

لَتَبِعْتُه فى دينه ودخَلْتُه ... ببَصيرةٍ منّى[6] دخولَ الوامِقِ[7]
إنّى لأعلمُ أنّ ربى لَمْ يكُنْ ... لِيَخُصَّهم[8] إلّا بدينٍ صادِقِ

فقال الرشيد للفضل : برئت[9] من المنصور إن لم يبت هذا الكلب فى المطبق لتنكره قولا وفعلا . فوجّه الفضل من ساعته فأخذ بأفواه السكك فوجد وأودع المطبق . وأعانه الفضل بن الربيع إلى أن أطلق .

---

(١) الديوان : ٢١٨ .
(٢) بالعذل : فى الديوان : فى العذل .
(٣) همتى : فى الديوان : شيمتى .
(٤) الرشاد : فى الموشح : المعاد .
(٥) جثالق : جمع جاثليق وهو رئيس النصارى .
(٦) منى : فى الديوان : فيه .
(٧) الوامق : فى ت : الوائق .
(٨) ليخصهم : فى الديوان : ليخصه .
(٩) برئت من المنصور : فى ت : يزيد بن المنصور وهو تصحيف وخلط .

فما قال فى الفضل[1] :

الله فرَّج[2] لى ورأ ى[3] الفضل من حَلَق الكُبولِ[4]
وأقالنى عثَت العثا ر وقد أيِسْتُ من القَيِل[5]

وقال أيضا فيه[6] :

أصبحتُ غيرَ مُدافعٍ نُعما كا[7] والحظّ لى فى أن أكون كذا كا
أصبحتَ ممتَنًّا[8] على بنعمةٍ ما كان يُنْعِمُها علىَّ سِوا كا

وقال[9] :

أَمُوتُ ولا تَدْرِى وأنتَ قَتَلْتَنِى ولو كنتَ تدرِى كُنْتَ لاشكَّ تَرْحَمُ[10]
أهابُكَ أنْ أشكو إليك صَبابَتى فلا أنا أُبْدِيها ولا أنت تَعْلَمُ
لِسانِى وقَلْبِى يكتُمان هَوَاكُمُ ولكنَّ دَمْعِى بالهوَى يتكلَّمُ
وإن لم يَبُحْ دمعِى بمَكنُون حُبّكم تكلَّم جسمِى[11] بالنُّحولِ يُتَرْجِمُ

---

(١) الديوان : ٤٦٠ من قصيدة أولها :

يا ربة الوجه الجميل والخال فى الخد الأسيل

(٢) فرج لى : فى الديوان : خلصنى .

(٣) فى ت : برأى .

(٤) الكبول : القيود .

(٥) الرواية فى الديوان :

وأقال من عثت الزما ن وقد يئست من القيل

(٦) الديوان : ٤٦٠ .

(٧) نعما كا : فى الديوان : مولا كا .

(٨) ممتنا : فى الديوان : معتدا .

(٩) الديوان : ٣٨١ .

(١٠) الرواية فى الديوان :

أموت ولا تدرى وأنت قتلتنى فلا أنا أبديها ولا أنت تعلم

(١١) جسمى : فى الديوان: جسم .

ومن طريف[1] أخبار أبي نواس أن أبان بن عبد الحميد اللاحقي، وكان شاعرا كاتبا متصرفا مدح بعض البرامكة فأمر له بمال ففرقه في الشعراء. فبعث إلى أبي نواس بدرهم ناقص وقال: قد أعطيتُ كلَّ شاعرٍ على مقدار شعره فكان هذا نصيبك.

ثم قال أبان بعد ذلك يعرض نفسه على خدمة البرامكة، فكتب إلى بعضهم:

أنا من حاجةِ الأمير وكَنْزٌ … من كنوز الأميرِ ذُو أرْبَاحِ

كاتِبٌ حاسبٌ خطيبٌ أديبٌ … ناصحٌ راجحٌ على النُصَّاحِ

شاعِرٌ مفلِقٌ أخفُّ من الرِّيـ … ـشة ممَّا يكونُ تحت الجَنَاحِ

لو رآني الأميرُ عايَنَ مِنّي … شمَّرِيًّا[2] كالجُلجُل[3] الصَيَّاحِ

لحْيَةٌ سَبْطَةٌ وأنفٌ طويل … واتّقادٌ كشُعْلة المِصْباحِ

لستُ بالفَدْم[4] يا أميري ولا بالمُسـ … ـتَكِين الجَحدر[5] الدَّحْدَاحِ

أعْيَنُ النَّاس طائراً يوم صَيْدٍ … لِغُدُوٍّ دُعِيتُ أو لرَوَاحِ

أبصرُ النَّاسِ بالجوارِح واللّهْـ … ـوِ وبالخُرّدِ الصِّباح المِلاحِ

فبلغ هذا الشعر أبا نواس فقال[6]:

إنَّ أوْلَى بقِلَّة[7] الحظِّ مِنِّي … لَلْمسمى بالجُلْجُلِ[8] الصَيَّاحِ

قد رَأَوْا منه حينَ غَنَّى[9] لديهم … أخرَس الصَّوْت غير ذِي إفصاحِ

---

(١) الخبر في الطبقات لابن المعتز: ٢٠٢–٢٠٤ – ديوان أبي نواس (آصاف) (الباب الأول ١٧) وانظر أيضا في الأبيات: الأوراق: أخبار الشعراء للصولي (ترجمة أبان اللاحقي).

(٢) الشمري: المجرب الماضي في الأمور.

(٣) الجلجل: في رواية: البلبل.

(٤) الفدم: العي الأحمق.

(٥) الجحدر: القصير كالدحداح.

(٦) الديوان (آصاف): ١٧ (الباب الأول).

(٧) بقلة: في الطبقات: بخسة.

(٨) بالجلجل: في الأوراق: بالبلبل.

(٩) غنى: في النسخ: غب، والتصويب من الطبقات.

ثمَّ بالريش يَنْشُب النَّفْسَ فى الخفَّـ ـة ممّا يكونُ تحتَ الجَناحِ
فإذا الشمُّ من شماريخِ رَضْوَى عنـــده خفة لدى المِسْماحِ[1]
لم يكن فيك غير شيئين ممـا قلت فى نعت خَلْقك الدَّحْدَاحِ
لحيـــة سبطة وأنْفٌ طويل وهَوَى[2] ما سواها فى الرِّياحِ
فيك ما يَحْمِل الملوكَ على الخُرْ قِ ويَهْفُو بالسيِّد الجَحْجاحِ
فالذى قلتُ فيك باقٍ صحيحٌ والذى قلتَ ذاهبٌ فى الرِّياحِ
فيك تِيهٌ وفيك عُجْب شديدٌ وطِماح[3] يفوق كُلَّ طِماحِ
بارِد الظَّرْف مظلم الـكِذْب تَيَّـ اه مُعِيدُ[4] الحديث سَمْج المِزاحِ

فبعث إليه أبان ألا تذيعها وخذ منّى ألفَ درهم . فبعث إليه : لو أعطيتنى مائة ألف درهم لم يكن من إذاعتها بدّ . فيقال إن البرمكى لمّا سمع شعر أبى نواس قال : لا حاجة لنا فى أبان ، فقد رمى بخمس[5] فى بيت لا يقبله على واحدة منها إلا جاهل . فقيل له : كذب عليه . قال : قد قِيل ذلك ! ثم أقصاه عنه .

أنشد رجل يوما أبا العباس المبرد لأبى نواس يهجو الرقاشى[6] :

قِدْرُ الرَّقاشِيِّ مضروبٌ بهـا المَثَلُ لـكلِّ[7] شيء سوى[8] النيرانِ تُبْتَذَلُ
تَشْـكو إلى قِدْرِ جاراتِى إذا الْتَقَيَا اليوم لى ســنة ما مَسَّنِى بَلَلُ

---

(١) فى الطبقات وآصاف : عنده خفة نوى المسباح .
(٢) وهوى : فى الطبقات : وهيا .
(٣) الطماح : الجماح والنشوز .
(٤) معيد الحديث : فى الطبقات : غث الحديث ـ الظرف : فى الديوان (آصاف) الطرف بالطاء المهملة ويريد العين وهو بعيد عن المراد فهو يريد أن يجعل تظرفه باردا سمجا ويقوى هذا مقارنته بعظم الـكذب .
(٥) بخمس : يريد بخمس خلال .
(٦) الديوان : ٥٢٨ .
(٧) لـكل : فى الديوان : فى كل .
(٨) سوى : فى الديوان : خلا .

فأنشده أبو العباس لغيره[١] :

أقول مَتَى باللَّحْمِ عَهْدُ قُدُورِكم ؟ ... فقالت : إذا ما كُنَّ يوماً عوارِيَاَ

من أُضْحَى إلى أَضْحَى وإلّا فإنَّها ... تـكون بنَسْجِ العنكبوتِ كما هِيَاَ

عبث[٢] قوم من إخوان أبي نواس به فأشاعوا عنه أنه قد تاب ونزع عما كان عليه من الفسوق والخمر فأقبل الناس يهنئونه، فجعل يكذّب ذلك ويقول : أنا والله شرٌّ مما كنت . فلمّا كثر ذلك عليه دعا بخمّارٍ يهودى غلام وأجلسه إلى جانبه ومعه خمر فـكلّما جاء من يهنّئه قال لليهودى قبل أن يتكلّم : صبّ لى من خمرك فيشرب قدحه ثم يقبّـل اليهودى ويقول للذى جاء يهنّئه، قد رأيت صحة التوبة ! ثم قال فى ذلك[٣] :

قالوا : نَزَعْتَ ولمّا يعلموا وَطَرِى ... فى كل أَغْيَدَ ساجِى الطَّرْفِ مَيَّاسِ[٤]

كيف النُّزوع وقَلْبى قد تَقَسَّمَه ... لحظُ العُيون ولَوْنُ الرَّاحِ فى الـكاسِ

إذا عزمتُ[٥] على رُشْدٍ تـكَنَّفَنِى ... رَأْيانِ قد شَغَلا يُسْرِى وإفلاسِى

فاليُسر فى القَصْف واللَّذَّات[٦] أَخْلُسُها ... والعُسْر فى وَصْلِ من أهوَى من الناسِ

لا خير فى العيْش إلّا فى المُجون[٧] معال ... أَكفاءِ والُحورِ والنَّسرينِ[٨] والآسِ

ومُسْمِـعٍ يتغَنَّى والـكئوس لَهـا ... حَثٌّ علينـا بأخماسٍ وأسداسِ

يا مُورِىَ الزّند قد أعْيَتْ قوادِحُه ... أَقْبِسْ إذا شئتَ من قَلْبى بمِقْباسِ

---

(١) لغيره : هو محمد بن يسير كما فى عيون الأخبار : ٣/٢٢٧ .
(٢) الخبر فى أخبار أبى نواس لأبى هفان : ١١٦ ـ ١١٧ ـ نهاية الأرب : ٤/١٢٠ .
(٣) الديوان : ١٤٠ .
(٤) نزعت : انتهيت عما كنت تهواه ـ ساجى الطرف : ساكنه ـ مياس : متبختر مختال
(٥) عزمت على : فى الديوان : نزعت إلى .
(٦) واللذات أخلسها : فى الديوان : الأيام مبتذل .
(٧) فى المجون : فى الديوان : بالمدام .
(٨) الحور والنسرين : فى الديوان : فى الورد والخيرى .

قال أبو نواس : كنت وأنا حَدَثٌ أحبّ غلاما بالبصرة وأعنّاه، وأَدَرْتُه سنين فلم يطاوعْني . قال : فلقيته يوماً بالمِرْبد فسألتُه أن يجيئني . فقال : إن كنت تحبّ حضوري فانظرلى مغنّية متظرّفة تعدّها لى، ومرت بى امرأة فى مثل الهيئة التى اقترحها. فكلّمتها وأنا أظنّها من البابة[1] ، فصاحت واستغاثت ووافتنى الأيدى ، وأقبلت الصوفية إلىّ بالنعال ، وتنحّى الغلام يضحك ويقول : هذا جزاء اللُّوطىّ والزّانى . واحتلت حتى تخلّصت منهم ، وقلت[2] :

وشادن بالمجـون دلّانى ... أنسبَ ما كنتُ فيه خلّانى[3]

قلت لهُ والأكُفُّ تأخُذُنى ... بأىِّ وجْهٍ تُراكَ تلقانى

وأنتَ أوقَعْتَنى مخـادَعةً ... فى عملٍ لا أراهُ من شانِى

فقال لى ضاحكاً يمازِحُنى : ... هذا جَزاءُ اللُّوطِىّ والزّانِى

قال دُحَيْم[4] : كان أبو نواس مع شَرْب يشربون نبيذا ، وهو يشربُ خمراً ، فدعوه إلى ما يشربون وخوّفوه الله عز وجل فقال[5] :

رُدَّا علىَّ الكأْسَ إنّكُما ... لا تَدْرِيان الكأْسَ ما تُجْدِى

لو ذُقْتُما ماذقتُ[6] ماامتزَجَتْ ... إلا بدَمْعِكما من الوَجْـدِ

خَوّفتُمانى اللهَ جهدَكُما ... وكخِيفَتِيه رَجاؤُه عِندِى[7]

إن كنتُما لا تشربان مَعِى ... خَوْفَ العِقابِ شربتُها وَحْدِى

(١) البابة : فى ت: القيان. والمراد بالبابة أنها من طائفة القيان، يقال: هذا من بابة كذا: من وجهه وشكله .

(٢) الديوان : ٧٢٤ .

(٣) أنسب : فى الديوان : أنسك ما كنت بين خلانى .

(٤) دحيم : غلام أبى نواس ، وفى النسخ: دهيم والتصويب من الطبرى ٣/٩٦٢ .

(٥) الديوان : ١٨٢ .

(٦) ذقتما ما ذقت : فى الديوان : نلتما ما نلت .

(٧) مقدم فى الديوان — .

قيل لأبي تمّام: أيّما أشعر : أنت أم أبو نواس ؟ فقال : سبحان الله إني لأستحي من ذكر هذا ؛ أليس هو الذي يقول[1] :

ولقد نهزْتُ مع الغُواة بدَلْوِهم   وأسَمْتُ سَرحَ اللّهوِ حيثُ أساموا

وهو القائل :

* يا تاركي نِضْوًا بغير فؤادِ[2] *.

قال ابن عائشة : لَيُعَذِّبَنَّ اللهُ عز وجل أبا نواس على إساءته في تحسين شُرْبِ الخمْرِ للناس ، وإن كان قد أحسن الوصف وأبدع !! أليس هو القائل[3] :

مَضَى أَيْلُول[4] وارتفع الحَرُور   وأَخْبَتْ[5] نارَها الشِّعْرَى العَبُورُ

فقُوما فالقَحَا[6] خَمْرًا بماء   فإنَّ نِتاج بينهما السُّرورُ

نتاجٌ لا تدرّ عليه أمٌّ   وحَمْلٌ لا تُعَدُّ له الشُّهورُ

إذا الطاساتُ كرَّتها علينا   تكوَّن بيننا فَلَكٌ يَدُورُ

تسير نُجومُه عَجِلًا ورَيْثًا   مشرِّقةً وتاراتٍ تَغُورُ

إذا لم يُجْرِهنّ القُطْبُ[7] مِنّا   وفي دَوَرانِهنَّ لنا نُشورُ

رأيتُ الفضلَ بان[8] بكُلّ فضلٍ   فقَلَّ له المُشاكِلُ والنَّظِيرُ

---

(١) الديوان : ٤٠٧ من قصيدة أولها :

يا دار ما فعلت بك الأيام   ضامتك والأيام ليس تضام

(٢) تمامه : أسرفت في هجري وفي إبعادي .

(٣) الديوان : ٤٥٥ .

(٤) أيلول : من شهور السنة الرومية وهو الثاني عشر منها .

(٥) أخبت : أطفأت .

(٦) القحا : امزجا .

(٧) القطب : مدار الشيء وقوامه، وهو هنا يريد به الذي يتولى السقي .

(٨) بان بكل : في الديوان : يأتي كل .

وما استغلَى أبو العباس حَمْداً[١] ولم يَكْثُر عليه له كثيرُ
ولم تكُ نفسُه نفسَيْن فيه ليَفْصِلَ بين رأيَيْه مُشيرُ
تَقبَّلتُ الربيعَ ندًى وبأساً وحَزْماً حين تَحْزُبُ بك الأُمُور[٢]

وله من أبيات يمدح بها الحسين الخادم[٣] :

تتجافَى حوادثُ الدهر عَمَّنْ كان فى ذِمَّة الُحسَيْن مُقيماَ
قال لى النَّاس إذ هَزَزْتُك للحا جَةِ أَبْشِرْ فقد هَزَزْتَ كرِيماَ
فاسْألنْه إذا سألتَ عظِيماً إنّما يحمل[٤] العظيم العَظِيماَ

وله يمدح الرشيد[٥] :

بعَفْوكَ بل بجُودِكَ عذتُ لا بلْ بفضلك يا أميرَ المُؤْمنيناَ[٦]
فلا يتَعذَّرنَّ علىَّ عَفْوٌ وَسِعْتَ به جَمِيع العاَلمينا
فإنى لم أَخُنْك بظهْرِ غيْبٍ ولا حدَّثْتُ نفسىَ أَنْ أَخُونَا
بَرَاكَ اللهُ للإسلام عِزًّا وحِصْناً دُون بَيْضَتِه حَصِيناَ
فقد أرهبت أهل الشِّركِ حَتّى تركْتَهُم وما يَتَهَرَّبُونَا[٧]
تَزُورُهمُ بنفْسِك كلَّ عامٍ زيارَة واصِلين لقاطعِينا[٨]
ولو شئتَ التفتَّ إلى نَعِيمٍ وقاسَى الأَمْرَ دونك آخَرُونا
فشَفِّعْ حُسْنَ وَجْهِك فى أسيرٍ يَدِين بحُبِّك الرحمن دِينا

---

(١) فى الديوان : مدحا .
(٢) تحزبك : فى الديوان : تحزبنى؛ حزبه أمر : نابه واشتد عليه.
(٣) الديوان : ٥٠٣ .
(٤) يحمل : فى الديوان : يسأل .
(٥) الديوان : ٤٠٣ .
(٦) فى رواية يا إله العالمينا .
(٧) فى الديوان : يتنمرونا .
(٨) فى الديوان : واصل للقاطعينا .

إذا ما الهُون حَلَّ بمستَجِير[١] فلَيْسَ لِجارٍ وَجْهك أن يَهُونا

قال قدامة بن جعفر من قول أبى نواس المتضاد فى صفة الخمر :

كأنَّ بقَايَا ما عَفا من حَبابِهــا تفاريقُ شَيْبٍ فى سَوَادِ عِذارِ

فشبّه حَباب الـكأس بالشَّيب وذلك قول جائز ، لأن الحباب يُشبه الشيبَ فى البياض وحده لا فى شىء آخر . ثم إنه قال :

تَرَدَّت به ثم انفرَى عن أدِيمها تَفَرِّىَ ليلٍ عن بَياضِ نهارِ

فالحباب الذى جعله فى البيت الثانى كالّليل ، هو الذى جعله فى الأول أبيضَ كالشيب ، والخمر التى كانت فى البيت الأول كسواد العِذار هى التى صارت فى البيت الثانى كبياض النَّهار . وليس فى هذا التناقض متصرَّف من جهة من جهات العُذر لأن الأبيض والأسود طرفان متضادّان .

ومن قول أبى نواس فى التناقض على طريق السلب والإيجاب[٢] :

أَلَا تَرَىَ ما أُعْطِىَ الأمِينُ أُعطِىَ مالم تَرَه العيُون[٣]

ولم تَـكُن تبلُغه الظُنونُ النَّسر والعُقـاب والدُّلفِين[٤]

ولىّ عهـدٍ ما له قَرِينُ ولا لَـهُ شِبْهٌ ولا خَدِينُ

استغفرُ اللهَ! بـلىَ هَارُون يا خَيْرَ من كانَ ومَنْ يَكُونُ

إلّا النبىُّ[٥] الطاهرُ الميمونُ ذَلَّتْ لك[٦] الدُّنْيا وعَزَّ الدين

---

(١) مستجير : فى الديوان : بدار قوم .

(٢) بناء الـكلام على نفى الشىء من جهة وإثباته من جهة أخرى .

(٣) الديوان : ٤١٣ .

(٤) النسر فى الديوان : الليث . والنسر والعقاب والدلفين : سفن نهرية على صورة هذه الحيوانات والطيور ــ الدلفين : دابة بحرية تنقذ الغريق .

(٥) لحن المبرد أبانواس فى رفعه المستثنى بعد إلا وهو موجب. وخرج على أن المرفوع هو وصف المستثنى لا المستثنى ، وهو مرفوع على القطع .

(٦) لك ــ فى الديوان وك : بك .

فصيّر هارون شبيهاً بولىّ العهد، ثم قال إنه خير الناس ولم يستثن هارون، فكأنه إمّا خير منه وليس خيرا منه لأنه شبيهه، أو يشبهه لأنه خير منه وهذا جمع بين النفى والإثبات .

لما هجا أبو نواس تميماً وأسداً بلغ خزيمة أن أبا نواس قال أبياته[1] :

إذا ما تَميمىٌّ أتاك مُفاخِراً فقل عَدِّ عن ذَا يا ابنَ آ كِلَةِ الضَّبِّ

فوجَّه فأحضره فقال : أصلح الله الأمير لم أقل هكذا ولكنى أقول :

خُزَيْمَـةُ خَيْر بنى خَازِم وخَازِمُ خير بَنِى دَارِمِ[2]

ودَارِمُ خَـيْرُ تميمٍ ومَا مِثالُ تميمٍ بَنو آدَمِ

فأمر له بثلاثة آلاف درهم وقال : لا تَعُد لذكرهم .

قال الجمّاز : كنت يوماً على باب عدىّ بن وجر الدارع فمرّ بى أبو نواس شبيها بالمجنون ، وإذا خلفه غلام كأنه مُهْرٌ عربىّ ، فقلت له : مالك ، فقال :

إن الرزيَّة لا رزيَّة مثلها عَوْزُ المكانِ وقد تَهَيَّا المضْرَبُ

فقلتُ : منزلى والحَذَرُ علىّ . فقال : لا أجمهما عليك وحسبي المنزل ! فعدلت به وبالغلام فأقاما عندى سائر يومهما . فلما أراد الانصراف قال لى : جعل الله لك هذا اليوم سترا من النار .

قال الجمّاز[3] : كنت وأبو نواس ـ ونحن حَدَثان ـ قاعدين بباب عثمان ، إذ مرّ بنا

---

(١) الديوان : ٥١٠ من قصيدة أولها :

ألاحىِّ أطلالا بسيحان فالعذب إلى برع فالبـثر بـثر أبى زغب

(٢) الأبيات منسوبة فى الورقة : ٣ وسمط اللآلئ : ٦٩٦ إلى ورد بن سعد العمى المعروف بابن العذافر، ووردت فى ديوان أبى نواس (طبع آصاف) وليست فى ديوانه تحقيق الغزالى .

(٣) الخبر والأبيات فى بدائع البدائه : ١/١٨٣ .

أحمد بن عبد الوهاب الثقفى وهو غلام حسن الوجه ، فقال له أبو نواس : قبّلنى قبلة . فقال له أحمد : امدحنى ببيت حتى أفعل ، فقال :

حُبُّكَ يا أحمـــدُ أَضْنَانِى يا قَمَرًا فى شخص[1] إنسانِ

فقبّله . فقلت : ما شأنى أنا ؟ فقال : امدحنى أنت أيضاً ، فقلت :

بَذَلْتَ للأوّل ما يَشْتَهِى فابْذُل[2] أبا العَبَّاسِ للثَّانى

فقبّلنى . فقال له أبو نواس : وهذا البيت يكون عليك دَيْنا :

يا وَرْدَةً أَعْجَلَها قاطِفٌ مَرَّت بنا فى بابِ عُثْمان

لقى أبو نواس امرأةً مليحة فى طريق ، فقال : ما تصنع الُحور بين الدّور ؟ فقالت : ما يصنع الشيطان بين الِحيطان ؟ فأفْحَمَتْه .

دخل[3] أبو تمام على ابن أبى دُواد فقال له : أحسبك عاتبا يا أبا تمام ، قال : إنما يعتب على واحد وأنت الناس جميعا ، فكيف يعتب عليك ؟ قال: من أين لك هذه يا أبا تمام ؟ قال : من قول الحاذق للفضل بن الربيع :

وليسَ لِلّه بمستَنْكَرٍ أن يَجْمع العالَم فى واحدِ

وهذه الأبيات يقولها أبو نواس يمدح بها الفضل بن الربيع[4] :

قُولا لهارون إمامِ الهُدَى عنداحتفالالمجْلسِ الحاشدِ
نصيحةُ الفضلِ وإشفاقهُ أخلَى له وجهَك من حاسِدِ
بصادق الطاعـةِ دَيّانِهـا وواحدِ الغائبِ والشاهدِ
أنت على مابك من قوّةٍ[5] فلستَ مثلَ الفضْلِ بالواجِدِ

---

(١) فى البدائع : زىّ .
(٢) فى البدائع : فجد .
(٣) أخبار أبى تمام : ١٤٦ .
(٤) الديوان : ٤٥٤ .
(٥) فى الديوان : قدرة .

أوْحَدَه الله فما مثــله ... لطالبٍ ذاك ولا رائـدِ[١]
وليس لِله بمستَنْكرٍ ... أن يجمع[٢] العالَم في واحِد

ومن شعر أبي نواس[٣] :

الحمدُ لله ليس لي نَشَبٌ[٤] ... قد خَفَّ ظَهْرى وقَلَّ أوْزَارِى
وأحسنت نفسى التَعزِّىَ عن ... شىء سِواها ومُتْنَ أوْطـارِى
فلستُ أخشى نفسِى على طمع ... أخافُ فيه دَرِيكَةَ[٥] العَارِ
من نظرت عينُه إلىَّ فقد ... أحاط عِلْماً بما حَوَت دارِى
خبرى فى البيت كامن وعلى ... مَدْرَجة السائِلين[٦] أسْرَارِى
إنِّى قَصَدْت العبَّاس منتَجِعاً ... وبنَفسِى جُودُه وأشعـارى[٧]
إنِّى حرىّ بأن يسدِّ لَنى ... جُودُ يدَيْه يُسْرَى بأقتارِ[٨]
عن خِبْرَةٍ جئتُ لا مُخاطَرَةً ... وبالدَّلالات يهتَدِى السَّارِى

ولد لأبى العباس الفضل بن أبى سهل بنتان فى بطن ، فبلغ أبا نواس الخبر فقال[٩] :

---

(١) أوحده : فى الديوان أوجده (بالجيم) وبالمهملة أبلغ وأليق ويؤيدها البيت بعده — رائد : فى الديوان : ناشد .

(٢) فى أخبار أبى تمام : جمع .

(٣) الديوان : ٤٣٧ .

(٤) النشب : المال الأصيل .

(٥) دريكة العار : مطاردته لى وإدراكه إياى .

(٦) السائلين : فى الديوان : الشانئين — المدرجة : الطريق .

(٧) الرواية فى الديوان :

إنى انتجعت العباس ممتدحا ... وسيلتى جوده وأشعارى

(٨) فى الديوان : بإعسار .

(٩) الفكاهة : ١٩ .

نَاكَ أبو العباس نيكَ القَتِّ(١) ناكَ على السَّمْتِ(٢) وغيرِ السَّمْتِ
ولم يَزَل جَلْدًا شديدَ النَّحتِ يَنيكُها بحْتًا(٣) وغير بَحْتِ
وهَزّها للفوق أو للتَّحْتِ لو لم يقصّر وضعـت لستّ
وهكذا نَيْك بَنِي نُوبَخْتِ لهم(٤) أيورُ كالجعاب(٥) الكُمْتِ

* لها فياشٍ كرءوس البُخْتِ(٦) *

قال سليمان بن أبي سهل لأبي نواس أحب أن تمدحني وأخي عليًّا، فقال: إنّ عليًّا يبرُّني ويحسن إليّ وأنت تعقّني، فكيف أجمعكما؟ فلم يزل به حتى قال فيهما في وقته:

قال لي يوماً سليما ن وبعض القول أشْنَعْ
صف عليًّا ثم صفني أيّنـا أتقَى وأرْوَعْ
قلت: إنّي إنْ أقل بينكما بالحقّ تَجْزَعْ
قال: كَلَّا! قلت: مهلًا قال: فافعل. قلت: فاسمَعْ
قال: صفه. قلت: يُعْطِي قال: صِفني. قلتُ: تَمْنَعْ

فقال قبّحك الله ما كان أغنانا عن هذا.

ومن شعر أبي نواس قوله(٧):

ألم تَرَنِي أبحتُ اللَّهوَ عِرْضِي ودِينِي واعْتَكَفْتُ على المَعاصِي
كأنِّي لا أعودُ إلى مَعادٍ ولا أخْشَى هناكَ من القِصاصِ(٨)

(١) الاستقصاء.
(٢) الطريق المعروف.
(٣) خالصا.
(٤) لهم: في الفكاهة: لها.
(٥) كالجعاب: في الفكاهة: كالجياد. والجعاب: جمع جعبة: كنانة النشاب.
(٦) البخت: جمال طوال الأعناق.
(٧) الديوان: ٦٢٢.
(٨) في الديوان: هنالك من قصاص.

خرج[١] أبو نواس يوما وهو مخمور يتنسَّم النسيم وذلك فى أيام الأضحى نحو الكُناسة[٢]، فاستقبل أعرابيًا ومعه غنم له، فأنشأ يقول:

أيا صاحبَ الذَّوْدِ[٣] اللواتِي يَسُوقُها ... بِكَمْ ذلك الكَبْش الذى قد تَقَدَّمَا

فأجابه بسرعة:

أَبيعُكَه إنْ كنت تَبْغِى شِراءَه ... ولم تَكُ مَزَّاحاً بعشرِين دِرْهَمَا

فقال أبو نواس:

أَجَدْتَ هَداكَ اللهُ رَجْعَ جوابِنا ... فأَحْسِنْ إلينا إنْ أردتَ تَكَرُّمَا

فقال الأعرابى:

أَحُطُّ[٤] من العشْرِين خَمْساً لأنَّنِى ... أراكَ ظَرِيفاً فأَخْرِجَنْها[٥] مُسَلَّمَا

ثم جاز. فقيل له: أتدرى مَنْ كان يكلمك؟ ذاكَ أبو نواس. فرجع فحلف عليه بصدقة غنمه إن لم يقبله. وسأل عنه أبو نواس فإذا هو من باهلة[٦] فمدحه ببيتين، فقال:

وباهِليٍّ من الأَعْراب منتخَبٍ ... جادت يداه بوَافِى القَرْنِ والذَّنَبِ

فإنْ يكن باهِلِيًّا عند نِسْبَتِه ... ففِعْلُه قُرَشِىٌّ كامِلُ الحسبِ

شرب[٧] أخ لأبى نواس دواء فأهدَى له أصحابُه هدايا. فمضى أبو نواس إلى باب الكرخ وطلب شيئا يهديه له، فنظر إلى غلام جميل حسن المنظر بديع الجمال فراوده

(١) الخبر بتمامه فى أخبار أبى نواس لأبى هفان: ١١١ – بدائع البدائه: ١/٣٩.

(٢) الكناسة: محلة بالكوفة (ياقوت).

(٣) فى أبى هفان: الضأن.

(٤) أحط: فى أبى هفان: أحد.

(٥) فى أبى هفان: فانقدنها.

(٦) باهلة: من القبائل التى يتحرج العربى من الانتساب إليها.

(٧) أخبار أبى نواس لأبى هفان: ٦٩.

فأجابه ، فأراد أن يصيرّه هديَّـة لصديقه . فلما دنا من بابه رأى الغلامُ جماعة في الباب يعرفونه فجذب يدَه من يد أبي نواس وولّى هاربًا .

فـكتب أبو نواس إلى صديقه[1] :

يا واحدَ المَكْرُماتِ والمِنَنِ ... أعقبَـكَ اللهُ صحَّةَ البَـدنِ

خرجتُ أبتـاعُ طُرْفَةً لكَ لا ... أنظر في رخصهـا ولا الثَّمنِ[2]

من بين وَرْدٍ وبين سَوْسَنَةٍ ... وبين رَيْحانَةٍ على فَنَنِ

فقلت ظَبْيٌ منعَّمٌ غَنِجٌ ... أحسنُ من كُلِّ منظرٍ حَسَنِ

أحلَى وأشهَى إلى القلوب[3] وإنْ ... أغْرَم خِلِّيَ مـالًا وأغْـرَمَنِي

فجئتُ أقتـادُه بِقَوْدِه ... آخذٌ منه مجامعَ الرُّدنِ[4]

حتّى إذا صِرْتُ عند بابِكُمُ ... حَلّ[5] شِباكَ الهَوَى وأفْلَتَنِي

فلا تَلُمْنِي ولُمْ كَشَاخِنَةً[6] ... قد لَزِمُوا البابَ يا فَتَى اليَمَنِ

وله[7] :

أظهرَ بعد الهَجْرِ[8] عِصْيانَا[9] ... وصَيَّر العاذِلات أعْوانَا

يَعُدُّ إحسانِي ذُنوبًا كَمَا ... أعُدُّ منه الذنبَ غُفرانَا

يا مُظْهِرًا في النوم هِجْرانَا ... حسبُكَ ما تفعلُ يَقْظانَا

لو كنتَ في حُبِّكَ لي مُنْصِفًا ... جازَيْتَ بالإحسان إحسانَا

---

(١) الأبيات في المصدر السابق .

(٢) ولا الثمن : في أبي هفان : وفي الثمن .

(٣) القلوب : في أبي هفان : الفؤاد .

(٤) أصل الكم .

(٥) حل : في أبي هفان : شق .

(٦) كشاخنة : في أبي هفان : قلاطبة (وهما بمعنى) .

(٧) الديوان : ٣٤٥ .

(٨) في الديوان: الوصل .

(٩) في الديوان : هجرانا .

ومن شعره[١] :

أيا من سارَ مُنطلِقاً ... وزوّدَ مُقْلتِي الأرَقا
سقاكَ اللهُ والأفقُ الّـ ... ـذى يَمّمتَـــه أفَقا[٢]
لئن أشعَرْتنى حُبَّا ... لقــد أسعَرْتنى فرَقا
كأنك خــير مشغوف ... يَرانى شرَّ مَنْ عَشِقا
سلَبْتَ الظبيَ مُقْلتَه ... ولم تترك له العُنُقا
وبِنْتَ فطار قلْبى فى ... مقــادِيرِ الهوَى شِقَقا
وطارَتْ شِقَّةٌ قلقاً ... وطارت شِقّةٌ حُرَقا
وقامَ الحبُّ بينهمــا ... يصـــدّهما إذا اتّفقا
فــكيف يكون حُبّي به ... ـد هذا الشأن مُختَلَقا
وقالُوا مَنْ عشِقْتَ فقُلْـ ... ـتَ خَيْرُ وشَرُّ من عُشِقا
فخـــيرُهم معاً حُسْناً ... وشرُّهم معاً خُلُقا

ومن مليح ما قيل للتحرك للغناء والسكون للاستماع ما أنشد أبوهفان لأبى نواس:

وأهْيَف مثــل طاقةِ ياسمينِ ... له حَظّان من دُنْيا ودِينِ
يحرِّكُ حين يَشْدُو ساكناتٍ ... وتَنْبعثُ الطبـائع للسكونِ

ومن شعر أبى نواس قوله[٣] :

القطْب والعَبْسُ بشاشاتُه ... والسبُّ والشتْمُ تحيّاتُهُ[٤]
والصدُّ والتأنيبُ ألطافُهُ ... وشِــدَّة المنع مُواتاتُهُ[٥]

---

(١) الديوان : ٢٧٨ .

(٢) الأفق : الناحية والمكان ـ أفقا: يريد مطرا غزيرا.

(٣) الديوان : ٣٩٥ .

(٤) القطب : التعبيس ـ بشاشاته : أفراحه .

(٥) ألطافه : تلطفه وظرفه ـ مواتاته : إقباله .

والموتُ إن لم ألقَهُ ساعةً   وسَكْرَةُ الموتِ مُلاقاتُهُ
أنبأتُه أنّى مُحِبٌّ لهُ   فكان هِجْرَانى مُجازاتُهُ
حَسِيبُه اللهُ الّذِى فوقَه   لن تُعْجِزَ اللهَ مكافاتُهُ

قال أبو علىّ قطرب : أجود شعر أبى نواس قصيدتُه يمدح الفضل بن يحيى بن خالد :

أَرَبْعَ البِلَى إنّ الخشوعَ لبادِى   عليكَ وإنّى لم أَخُنْكَ وِدادى[1]

وأظنه إنما بالغ فى ذكر هذه القصيدة والثناء عليها لأن أبا نواس ذكره فيها فقال :

خَلِيلية فى وَزْنِها قُطْرُبِيّة   نَظائِرُها عند الملُوكِ عَتادِى

ولم يذكر قطربا فيها إلا لأنه كان يرى رأيه ، وكان رأيهما الاعتزال وهو رأى النظام ، وعنه أخذ أبو نواس ، وأراد أن يغيظ الأصمعى بذكره لأنهما جميعا غلاما خلف الأحمر .

وكان الأصمعى يعادى قُطْرُبا لأشياء يخالفه فيها فى الأبيات . ولذلك قال أبو نواس يهجو الأصمعى :

رأيتُ دَعِيّ بنى أَصْمَعِ   من اللُّؤْم أَزْهَى من الأَعْرَجِ

يعنى الأعرج الغسانى الملك .

فقيل له : لِمَ هجوته ببيت واحد؟ فقال: أوليس بيت واحد لباهلىّ كثير! ثم قال:

وبَيْتٍ هجونا به الأصمعى   ولابدّ للبيت من مَخْرَجِ

لفظة حملها الناس عنه يعنى للرواية .

وقصيدته فى البرامكة التى هى :

* أَرَبْعَ البِلَى إنّ الخشوعَ لبَادِى *

من خيار شعره ، وأثنى عليها المبرّد ثناء كثيرا . ولكن جماعة طعنوا عليه فيها طعنا متوجها .

---

(١) القصيدة فى الديوان : ٤٧١ .

قال محمد بن طباطبا العلوى: أنكر على أبى نواس افتتاح هذه القصيدة . ولما سمعه الفضل تطير منه تطيرا منكرا فلما انتهى إلى قوله :

سلامٌ على الدنيا إذَا ما فُقِدْتُم　　　بَنِى بَرْمَكٍ من رائحين وغَادِى

استحكم تطيّر الفضل وضاق ذرعُه . فيقال : إنه لم يمض إلا أسبوع حتى نزلت بهم النازلة . وهذه القصيدة أول ما أنشده .

وكان الفضل بن الربيع قد استأذن له على الأمين بعد أن ألحّ عليه فى ذلك ، فلما دخل على الأمين دهش وتمتع وحار ، فلما مثل بين يديه امتنع عليه الشعر وارتج عليه، ورام الإنشاد بكل طريق فلم يقدر على شىء . فوقف مليًّا لا ينطق بشىء وجعل يلحظ الفضل ؛ قال أبو نواس فسمعت الفضل يقول : جلالةُ الخلافة وهيبة الإمامة وعظمة هذا المقام الشريف فيجعل هذا يوم السلام ، وغمزنى الفضل بعينه فخرجت . ورحت إلى الفضل وشكوت إليه ما نالنى . فقال : كذبْ والله ، تفضحنى ! فسألته الاستئذان ففعل بعد مدّة، فلمادخلت غمضت عينى فلم أفتحهما حتى قمت بين يدى محمد على البساط، فقيل لى : تكلّم ، ففتحت عينىّ ونظرت إليه بتبسم فأنشدته :

يا دارُ ما فعلَتْ بكِ الأيّامُ　　　لم يَبْقَ فيكِ بشَاشَةٌ تُسْتَامُ[(1)]

فجعل يتهلّل وجهُ الفضل سرورا إلى أن فرغت ، وخرجت مسرورا .

قال محمد بن عمّار : فى هذه القصيدة بيت والناس يصحّفونه يعنى فى القصيدة التى أولها :

* أرَبْع البِلَى إنّ الْخشوع لبَادِى *

والبيت :

أمامَ خميسٍ أرْجُوانٍ كأنّـهُ　　　قَميصٌ مَحُوكٌ من قَنَا وجِيَادِ[(2)]

---

(١) الديوان : ٤٠٧ والرواية فى الديوان للشطر الثانى : ضامتك والأيام ليس تضام ــ طبقات ابن المعتز ٢١١ .

(٢) الديوان : ٤٧٣ ــ الأرجوان : الأحمر .

قال: إنما هو أَدْجوان بالدَّال يصفه بالسواد .

خرج يوما سفيان بن عيينة وهو ضَجِرٌ ، فقال لِمَنْ فى بابه : أليس من الشقاء أن أكون جالست ضُمْرة بن سعيد وجالسَ أبا سعيد الُخدْرى ، وجالست عمرو بن دينار وجالس جابرا، وجالست عبد الله بن دينار وجالسَ ابنَ عمر ، وجالست الزهرِى وجالس أنسا حتى عدّ جماعة ، ثم أنا أجالسكم ! فقال له حَدَثٌ فى المجلس : أتنصف يا أبا محمد؟ قال إن شاء الله تعالى . قال: والله لشقاء من جالس أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ورحمهم بك أشدّ من شقائك بنا ! فأطرق وتمثل ببيتى أبى نواس :

* خَلِّ جَنْبَيْك لِرامٍ[1] *

وبعده :

* مُتْ بداءِ الصَّمت *

قال : فتفرق الناس وهم يتحدّثون برجاحة الغلام . وكان يحيى بن أكثم . فقال سفيان : هذا الغلام ممن يصلح لهؤلاء .

أنْشد المأمون لأبى نواس[2] :

كُلُّ مُحِبٍّ ســواى مَسْتُورُ	والنَّاسُ إلّا عن قِصَّتِى عُورُ
كأنَّ عَيْـنِى[3] عَيْنٌ عَلَىَّ لَهُمْ	فـكُلّ طَىٍّ لَدَىَّ منشورُ
ما إنْ يغِبُّ الحديثُ[4] أفْعَـلُه	حتّى تهادَاهُ بينها الــدُّورُ
يَخْرُجُ من هــذه ويدخل فى	تلك وعنــه القِناعُ محْسُورُ

(١) تمامه : وامض عنه بسلام .

(٢) الديوان ٣٦٤ .

(٣) عينى : فى الديوان : طرفى .

(٤) فى الديوان : الفعال .

كأنني عنــــد ستر مأربتى … بكلّ طرف إلىّ منظــــورُ
فما احتيالى وقـد خُلقتُ فتًى … تَجْرِى بمــا ساءنى المَقادِيرُ
لـكنّ وَجْهَ الذى كلفت[1] به … محتَمَلٌ ذَا لَـهُ ومغفُورُ

فقال المأمون : أنا ذلك الرجل ، وهذه قصتى . إنّ الخليفة لا يخفى له حديث ولا يتمتّع بما يريد . وتُروَى هذه الأبيات لعبد العزيز بن جعفر بن سليمان .

ومما اختاره أبو هفان لأبى نواس قوله[2] :

ما زلتُ أقبَضُ[3] روح الدَّنِّ فى لُطُفٍ … وأستَقِى دمَه من جوف مَجْرُوحِ
حتى انثنَيْت ولى رُوحانِ فى بَـدَنِى[4] … والدَّنُّ مُلْقًى[5] له جِسْمٌ بلا رُوحِ

كان أبو جعفر محمد بن موسى المنجم يقول : ما أعجب أبا نواس ، إذا قال كأنك أو فكأنك ، فكأنك ترى ما يقول . ثم سكت مليًا . وقال : أخزاه الله فقلنا: ماله؟ فقال : حيث يقول :

تَطَلَّعَ فى المِراةِ فقــال إيهاً … هى الشَّمْسُ التى لا شكَّ فيها
أنا واللّه أصلح للمعاصى … إذا أهــلُ الذنوب تقارَفُوها

يقال: إن الخصيب كان استزار أبا نواس فشخص إلى مصر إليه . فلما وصل دمشق نزل خانا من خاناتها فصادف فيه قوماً من أهل الأدب لهم شرف وهيئة ، فآنسهم وصاحبهم وأعلمهم أنه أبو نواس وأنه يريد الخصيب ، فأجابوه ومَضَوْا جميعا

---

(١) كلفت به : أغرمت .

(٢) الديوان : ٩٢ وفى طبقات ابن المعتز : ٢٧٢ (ترجمة النظام) : نسب البيتان لإبراهيم النظام وكذلك فى كتاب الأشربة : ٦٧ ــ والعقد الفريد .

(٣) الديوان : أستل .

(٤) فى الديوان : جسد .

(٥) ملقى له جسم : فى الديوان : منطرح جسما .

حتى دخلوا مصر . فصار أبو نواس إلى الخصيب فسأله عن خبره فى طريقه فأخبره بأمر القوم وأنشده[١] .

يا أيهذا المَلِك المُؤَمَّل قد استزرتَ عُصْبةً فأقبلوا

وعُصبةٌ لم تستزرْهم طَفَّلوا[٢] رَجوكَ فى تَطفيلهم وأمَّلوا

وللرَّجاء حُرْمة لا تُجهَلُ فأبْلِهم خَيْراً فأنتَ الأفْضَلُ

* وافعَلْ كما كنتَ قديماً تفعلُ *

ومن شعر أبى نواس يهجو عمراً الكاتب :

وإنى حين آكل خبزَ عمرو لأشجع من أبى ليثٍ هِزَبْرِ[٣]

أشق رغيفه شقًّا عنيفاً وأعمل فى ثرائده بأمْرِى

فإنْ يصبر يذُق حزناً طويلا وإن يَجْزَع ألذَّعه بشِعْرى

فتًى[٤] لرغيفه قُرْط وشنف وواسطتان من دُرٍّ[٥] وشَذْرِ

ودُون رغيفه ورد المَنايا[٦] وحَرْبٌ مثل وَقعَةِ يَوْم بَدْرِ

وإنْ فَقَد الرغيف بَكَى عليه بُكاَ الخنساءِ إذْ فُجِعت بصَخْرِ

قال دعبل بن علىّ : قلت لأبى نواس : ما للكوفة نظير، وحسبك أنّ النعمان كان يسمّى ظاهرها خدّ العذراء فإذا مر فرأى أثر حافرٍ ، أو مرٍّ قال : من خدش خد العذراء؟ فقال: أحسن وإنها لكما وصف! فقلت له: وأنت أيضا تقول هذا مع البصرية

(١) الديوان : ٤٣٣ .

(٢) طفلوا : أتوا من غير دعوة كالطفيليين .

(٣) هذا البيت والبيتان بعده ليست فى الديوان .

(٤) هذا البيت والبيتان بعده فى الديوان : ٥٣٢ وفى ديوان المعانى : ١/١٨٥ بدون عزو وفى معجم الأدباء (١١٩/١٠) نسبت إلى الحسين بن عبد الرحيم بن الوليد المعروف بأبى الزلازل.

(٥) در : فى الديوان: حرز — الشذر : قطع من الذهب الخام يفصل بها النظم أو اللؤلو الصغار.

(٦) ورد المنايا : فى الديوان : قلع الثنايا .

فقال يا أبا على : ما أخف ميزانى عندك إذاً إن كنت ممن يستهويه حبّ بلده وإلف وطنه حتى يذهب عليه الأفضل! أو تراك لم تسمع أبياتى التى أقول فيها[١] :

ذهبت بنا كُوفان[٢] مَذْهَبَها ... وعَدِمتُ عن طُرُقاتها صَبْرِى

ما ذاك إلّا أنّنى رجُلٌ ... لا أستخِفُّ صداقةَ البَصْرِى

كان أبو نواس قد أظهر توبة وقال[٣] :

نِمْتُ إلى الصبح وإبليس لى ... فى كلّ ما يوئمُنى[٤] خَصْمُ

رأيتُه فى الجَوّ مستعلياً ... ثمّ هوَى يتبَعُه نَجْمُ

أرادَ للسّمْع استراقاً فما ... لَبَّثَ[٥] أنْ أهبَطَه الرَّجْمُ

فقال لى : لمَّا هوَى مَرْحَباً ... بتائبٍ توبَتُه وهْمُ

هل لك فى عَذْرَاءَ ممكُورَةٍ ... يزينها كُسٌ لها ضَخْمُ[٦]

وَوارد جَثْلٍ[٧] على مَتْنِها ... أسودُ يحكى لونَه الكَرْمُ

فقلت : لا . قال : ففى أمرَدٍ ... يرتجُّ منهُ كَفَلٌ فَعْمُ[٨]

كأنَّه عذراء فى[٩] خِدْرِها ... وليس فى لَبَّتِه نَظْمُ

فقلت: لا ! قال: ففى قهوةٍ ... كرخيّة والدها الكرْمُ

فقلت : لا . قال : ففى مُسمعٍ ... يحسن منه النقر والنّغَمْ

---

(١) الديوان : ٥٤٨ .

(٢) كوفان : الكوفة .

(٣) الديوان : ٢٢٤ .

(٤) يؤثمنى : يوقعنى فى الإثم .

(٥) لبث : فى الديوان : عتم .

(٦) الممكورة : المطوية الخلق المستديرة الساقين ـ كس : فى الديوان : صدر .

(٧) الجثل : الشعر الكثيف الملتف .

(٨) ففى : فى الديوان : فتى ـ فعم: فى ك : ضخم . والفعم : الممتلىء .

(٩) ففى : فى الديوان : فتى .

فقلت : لا. قال : فني كلّ ما شَابَهُ[1] ما قلتُ لك الْحزْمُ
ما أنا بالآيِس من عَـوْدَةٍ منكَ على رَغمك يا فَدْمُ
لستُ أبا مُرَّةَ إن لم تَعُد تغـتر ذَا من فعلك الغَشْمُ[2]

شرب أبو نواس عند الخصيب وكان يكره شَراب مصر ولا يمكنه الخمر بها ، وكان الخصيب يُخَصُّ بشراب يُحمل إليه . فقال أبو نواس: ما ترى استئثار الخصيب علينا بشرابه ! ثم قال :

يَضِنُّ خصيبٌ بالشراب وتَرْتَجِى لدَيْه نَوالًا إن ذا لعجيبُ
وليس خَصيبٌ بالخصيبِ لضَيْفِه ولـكنّه وَعْرُ الْمحلّ جَدِيبُ
فَمَنْ كان ذا أهلٍ بمصرٍ وثرْوَةٍ فإنّى بها صِفْرُ اليَدَيْنِ غَرِيبُ

كان ابن خُدَيج الـكندى من أهل مصر واسع الأدب والفلسفة ، فشكا إلى أبى نواس وهو بمصر قِصَر آجال أهلها ، وقد جاء فى الحديث أنه اجتلب إليها كل قصير العمر ، وأن أعمار أهلها قصار . فقال أبو نواس : فقد عوّضكم الله من ذلك أنّ دنيا كم مستوية لا حرّ ولا برد عندكم ، وأنـكم تتصرفون فى حوائجكم سائر نهاركم فى أوله وآخره وفى وسطه ، وليس هذا لأحد غيركم . فقال له ابن خُديج لقد سَلَّيتنى.

ولأبى نواس فى الضرب من الشعر الذى يقال له المرجّع فى يحي بن خالد :

قُلْ ليَحـْيَي الخيرِ قلبى فاسِدٌ فاسِدٌ قلبى ليَحْيي الْخيْر قُلْ
صِلْ ذَوِى الأرحام واعرف حَقَّهُم حَقَّهم واعرِفْ ذوى الأرحام صِلْ
كِلْ إلى الرحمن جاراً صادقاً صادقاً جاراً إلى الرحمن كِلْ

---

(١) شابه : فى ت : شأنه .

(٢) أبو مرة : كنية إبليس ــ الغشم : ما يأتيه المرء بلا نظر ولا فكر .

قال أبو سهل إسماعيل بن عليّ النوبختى قال لى عَمِّى . قلت لأبى نواس: ما رأيتُ أوقحَ منك ، ما تركت خمراً ولا طردا ولا غزلًا ولا مديحا ولا معنى إلا قلت فيه شيئا . وهذا علىّ بن موسى فى عصرك لم تقل فيه شيئا ! فقال : والله ما تركتُ ذلك إلا إعظاما له ، وليس قدر مثلى أن يقول فى مثله .

ثم أنشدنى بعد ساعة :

قيل لى أنت أَوْحَدُ الناس طرًّا | فى فنونٍ من المقالِ النبيهِ
لك من جيِّد القَريض مَديحٌ | يُثمِرُ الدُرَّ فى يَدَىْ مُجْتَنيه
فعَلَامَ تركتَ مدحَ ابن مُوسَى | والخِصال التى تَجمَّعْنَ فيهِ
قلت : لا أستَطِيع مَدْحَ إمامٍ | كان جِبْرِيل خادماً لأبيهِ

ثم قال لى بعد مدة أنشدت الأبيات للإمام على بن موسى رضى الله عنه ، فقال : حدثنى أبى عن جدى الصادق [عن أبيه الباقر] عن أبيه على عن أبيه الحسين عن أبيه على ابن أبى طالب رضوان الله عليهم أن رسول صلى الله عليه وسلم قال : « إنّ مُحبِّينا إذا رامُوا الثناءَ علينا والمَحبَّةَ لنا أَيَّدَهُم الله عزّ وجلّ بروحِ القدس » .

وروى[1] أبو نواس الحديثَ فكان مما رواه عن حَمّاد[2] بن سَلَمةَ عن ثابتٍ عن أنسٍ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يموتَنَّ أحدكُم حتى يُحْسِنَ ظنَّه بالله عز وجلّ ، فإن حسن الظن بالله عزّ وجل ثَمنُ الجنة » .

قال أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن كثير الصوفى[3] دخلنا على أبى نواس نعوده فى علّته التى مات فيها ، فقال على بن صالح بن عيسى بن على الهاشمى : يا أبا علىّ ، أنت فى أول

---

(١) عقد الجمان : ج ١٣ (مخطوط) لوحة ٣٥٤ ـ البداية لابن كثير : ١٠ ـ تهذيب ابن عساكر : ٢٧٩.

(٢) حماد : أحد الأعلام ، بصرى توفى سنة سبع وستين ومائة .

(٣) المصدران السابقان .

يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا ، وبينك وبين الله عزّ وجل هَنات فتُبْ إلى الله عز وجل . فبكى ثم قال : سانِدُونى سانِدُونى ثم قال : إيّاى تُخَوِّف بالله عز وجل ، وقد حَدَّثنى حَمَّادُ بن سَلَمة[1] عن زيد الرُّواسى[2] عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلَّم: « لـكلِّ نَبِىٍّ شَفاعة ، وإنّى اخْتَبَأْتُ شفاعَتى لأهل الكَبائِر من أُمَّتِى يوم القيامة »[3] أفترانى لا أكون منهم ؟ !

قال إبراهيم الطبرى[4] . كنت فى أيام الفتنة جالسا على بابى إذ مَرَّ بى أبو نواس فقال : قم حتى نأخذ فى شأننا فدخلنا فجعلنا نشرب ، وأقبل الداخل يدخل إلينا فيقول : كان كذا وكان كذا ، فقال أبو نواس :

عِندِى للخَمْرَةِ أسماءُ ... لها دَواءٌ ولها داءُ
يُصْلِحها الماءُ إذا صفّقت ... وربّما أَفْسَدَها الماءُ
وقائـلٌ كانت لهم قِصَّةٌ ... فيها أحادِيثٌ وأَنْباءُ
فقلت له:أنت امرؤٌ جاهلٌ ... فيك عن الخيرات إبْطاءُ
اشْرَبْ ودَعْنا من أحادِيثِهم ... يَصْطَلِحُ الناسُ إذا شاءُوا

قال ابن عائشة[5] : رأيت أبا نواس قاعداً فى مجلس عبد الواحد بن زِياد يقرص خَدّ صبىٍّ فى المجلس فلما رآنى قد لَحَظْتُه كتب إلىّ :

---

(١) سلمة : فى الأصول : مسلم .

(٢) الرواسى : فى المخطوطة : الرقاشى والتصويب من تهذيب التهذيب .

(٣) فى عقد الجمان قال: ضعفه الخطيب وقال :لم يروه عن محمد بن إبراهيم غير إسماعيل بن على الخزاعى وكان غير ثقة .

(٤) الخبر فى الطبرى مجلد ٣/٩٠٧ عن على بن يزيد أنه قال: كنت يوما عند عمرو الوراق وجماعة فجاء رجل فحدثنا بوقعة طاهر بباب الكرخ، وانهزام الناس عنه، فقال عمرو ناولنى قدحا وقال فى ذلك الأبيات .

(٥) الخبر فى تهذيب ابن عساكر ، ٤/٢٦٦ ــ تاريخ بغداد : ٧/٤٤٠ .

لولا غَزال كغُصْنِ بانٍ ... يَجْرِى مع الشمسِ فى عِنانِ
ما جئتُ أسْعَى إلى فَقِيهٍ ... مُباعدِ[1] الدارِ غيرِ دانِ
أكتبُ[2] من لَفْظه فُصولًا ... غَنِيت عن ذاكَ بالقُرانِ
أنا بوَصْفِى مُقَدَّمات[3] ... من الأباريقِ والقِنانِ
وبالتَّثنِّى لحَـدٍّ ظَبْيٍ ... يسحرُ باللَّحْظِ والبَنانِ
أَحْذَقُ مِنِّى بأنْ أنادِى ... حدَّثكم ثابتُ البنانِى
وشُرْبِىَ الراحَ وَسْطَ زَهْرٍ ... حين زَهَا رَوْنقُ الزّمان
بين ظِباء كُسوا جَمالًا ... قد حَفظوا الشعْرَ والمَعانِى[4]
وفلسفوا اللَّفظ واستثاروا ... نَوادِرَ الظَّرْف والبيَانِ
فهم رجالٌ إذا أجابوا ... وهم نساء مع الغـوانى
فهمَّتى المُرْدُ لا كقوم ... قَصَّدوا الشعر فى الزَّوانِى
مالى وللشِّعرِ فى البَغايا ... لا أرَبٌ منهمُ وشانى
إنِّى مع المُرْد حيث كانوا ... وحوكى الشعر من لسانى

قال أبو المغيث موسى بن إبراهيم الرافقى[5] : كنت فى مجلس سُفيانَ بن عُيَيْنَة أكتب ، وكنت حسن الوجه ، فجلس إلىَّ فتًى له منظر وعليه قبول ، فتحدَّث معى فرأيت له أدبا وفَهْما فقال : لو أعطيتنى دفترك [الذى] تـكتب فيه ما تسمعه من الحديث ! ففعلت وشُغِلْت بالحديث واستماع ما يجرى عن تَفَقُّه ما يكتبه . وانصرفت عند انفصال المجلس إلى أخٍ لى كان محلّه محلَّ الوالد ، فسألنى عمّا سمعته ونقلته

(١) فى ابن عساكر : مبعد .
(٢) فى ابن عساكر : أطلب، وفى تاريخ بغداد : أسمع.
(٣) مقدمات : موضوع عليها القدام، وهو مصفاة أو خرقة يصفى بها ما فيها .
(٤) هذا البيت والأبيات بعده لم تذكرها المصادر السابقة .
(٥) الخبر والأبيات: فى أخبار أبى نواس لأبى هفان: ١١٩، ١٢٠ باختلاف فى الترتيب ونقص.

وكتبته ، وأخذ الدفتر فنظر فيه فأنكره وأغلظ لى وقال : ماهذا ؟ ولا هذا خطّك؟ ولا هذا مما يسمعه الناس ولا مما يورده المُحَدِّثون ؟ فكيف تُدوِّنه ؟ فعرّفته خبر الفتى . فقال : هذا والله أبو نواس ، وإذا به قد كتب فيه :

يا سَمِيَّ المَدْعُوِّ مِنْ جانِبِ الطُّورِ الأيْمَنِ
والَّذِى كانَ ثاوِياً قَبْلُ فى أَهْلِ مَدْيَنِ
وابنُ شَيْخٍ لَهُ سَنَا خَلِيلِ المُهيمِنِ [1]
وشبيه المَسْجُونِ بالظُّلْم فى شَرِّ مَسْجَنِ
والَّذِى بالذى يَجِى ءُ به الغيمُ يكتَنِى
يالقَوْمِى بَيِّنْتُ باللَّهِ أم لَمْ أُبَيِّنِ [2]
ذاكَ شخصٌ حُبِّى لَهُ قَدْ بَرانِى وشَفَّنِى
قُلْ لِمُوسَى يا سَيِّدِى سَرَّكَ اللهُ سُرَّنِى
لَكَ وَجْهٌ قد نَاكَهُ النَّاسُ منهم بأَعْيُنِ
ليس بدرُ الدُّجى ولا الشَّمْسُ منه بأَحْسَنِ
ما تَرَى يا أبا المُغِيثِ الكَثِيرِ التلَوُّنِ
فى فَتًى لم يَزَلْ عليك شديد التجَنِّى
عاشِقٍ لَمْ يَزَل عليك كثيرِ التحَنُّنِ [3]
يا قَضِيباً فى بَانَةٍ مُسْتوٍ ليس يَنْثَنِى
واصلَنِّى [4] وهَوِّن الأمرَ باللهِ هَوِّنِ

ثم قال احذر هذا الرجل يابنىّ . فتجنبت ذلك المكان بعده .

---

(١) البيت وما بعده ليسا فى أخبار أبى نواس لأبى هفان .

(٢) البيت والبيتان بعده ليست فى الأخبار لأبى هفان .

(٣) البيت والذى بعده ليسا فى الأخبار لأبى هفان .

(٤) واصلنى : فى كتاب أبى هفان : فصلنه .

ومن شعر أبي نواس :

قالت حراماً تبتغى قلتُ لا ... مَنْ حَرَّم الناسَ على النَّاسِ
نحنُ جميعاً من بنى آدمٍ ... هل يحرم الوَرْدُ على الآسِ
قالت فمن حَلَّلَ هذا لكُمْ ... قلتُ عليٌّ وابنُ عبَّاسِ

ومن شعره فى المجون فى أيام الفتنة بين الأمين وأخيه[1] :

قد رفَعْنا البصاق مُذْ شهرَين ... إذ رزقنا نَدَاوةَ البيْضتَيْن
قد أتانا معاشِرَ المُردِ تموُ ... ز بحرٍّ يُعرِّق الخصيْتَين
ويلكم فافرحوا لتأخير عَونٍ ... واجعَلوا سِعرَكم لنا دِرهَمَيْن
أرْخِصُوا سعركم فقد شغل النـ ... اس بشحنا عداوة الأخَوَيْن

حضر[2] أبو نواس مجلس بعض القصاص فظن الناس أنه قد نَسَك فهنئوه فقال : حضرت لأجل هذا الغلام وأومى إلى غلام كأنه الغزال فى المجلس ، وقال :

خلّيانى والمَعاصِى ... ودَعا ذِكْرَ القصاصِ
واسْقِيانِى الخمْرَ صِرْفاً ... فى أباريق الرَّصاصِ
وعلى وَجْهِ غزالٍ ... طائعٍ ليس بعاصى
بين فِتيانٍ كِرامٍ ... قد تَوَاصَوا بالمعاصِى
وعلَى اللهِ وإنْ أفْـ ... ـرَطْتُ فى ذَاكَ[3] خلاصِى

رأى[4] إنسان أبا نُواس وهو يفعل بغُلام وهو قائم، فقال له يا أبا نواس : هلا أضجعته . فقال وقع عليه الفعل فانتصب[5] .

(١) الديوان : ٥٥٤ — (آصاف : ١٨٨ ، قال يهزأ من الامين وخصيانه) .
(٢) الخبر والأبيات فى الشريشى : ١/٢٩ .
(٣) فى الشريشى : الذنب .
(٤) يروى هذا الخبر فى المحاضرات للراغب (١/١١٠) عن أحد المعلمين .
(٥) فى ك : قائما فانتصب وبقاؤها يفسد العبارة فأسقطناها وكذلك بدونها روى الخبر فى المحاضرات .

أرق[1] محمد بن زُبَيْدة ذات لَيْلة فأقبل يدور فى مَقاصيره فلقيته جارية من جواريه وعليها مِطْرَفُ خَزٍّ تجرُّ أطرافه : فراودها عن نفسها فقالت : تصير إلى مقصورتى غدا . فلما أصبح أتاها وقال لها : الوعد فقالت : كلام اللّيل يمحوه النهار . قال : فخرج وجلس فى مجلسه وأمر بإحضار من بالباب من الشعراء فإذا بأبى نواس والفضل الرقاشى ومصعب ، فأدخلوا . فقال لهم : لينشدنى كلّ واحد منكم أبياتا آخرها كلام : الليل يمحوه النهار .

فقال الرقاشى :

مَتَى تَصْحُو وقلبك مستطار ... وقد مُنِع القَرارُ فلا قَرَارُ
وقد تَرَكَتْكَ صَبًّا مُستهاماً ... فتاةٌ لا تَزُورُ ولا تُزَارُ
إذا ما جئتها وعَدَتْ وقالت[2]: ... كَلامُ اللّيْلِ يمحُوه النَّهارُ

وقال أبو نواس :

ولَيْلةَ[3] أقبلَتْ فى القَصْرِ سَكْرَى ... ولَكِنْ زَيَّنَ السُّكْرَ الوَقارُ
وهز المَشْىُ أردافاً ثِقالًا ... وغُصْناً فيه رُمّانٌ صِغارُ
وقد سَقَط الرِّدَا عن مَنْكِبَيْها ... من التَّجْميش[4] وانْحَلَّ الإزارِ
فقلت : الوعد سَيِّدتى فقالت : ... كلامُ الليل يمحوه النهار

فقال الأمين علىّ بجلاد يضرب أبا نواس سبعمائة سوط . فقال : يا أمير المؤمنين هذه جائزتى أم خلعتى ؟ قال : أما إنّك وصفت شيئا كأنّك كنت معنا فيه . فقال :

---

(١) الخبر والأبيات فى العقد الفريد : ٦/٤٠٩-٤١٠.

(٢) فى العقد : إذا استنجزت منها الوعد قالت .

(٣) فى العقد : وخود أقبلت . والخود : الحسنة الخلق الشابة .

(٤) التجميش: المغازلة والتقريص والملاعبة .

يا أمير المؤمنين ما كنت معكم فيه ، ولكنى سمعت لفظك فأتيتُ بمعانيه وبنيت عليه .
فأمر لهم بجوائز وصرفهم .

لمّا حُبس(١) أبو نواس بما ذُكِر عنه من الزندقة لم يزل محبوسا فى حبس الزنادقة حتى مات الرشيد وقام الأمين ، فعُرِضَ مَنْ فى الحبس ، وكان المتولِّى لذلك خالُ الفضل بن الربيع، فقال لأبى نواس: أزنديق أنت ؟ قال : معاذ الله ! قال : لعلّك ممّن يعبد الكَبْش؟ قال : أنا آكل الكبش بصوفه . قال : فلعلك ممّن يعبد الشمس . قال : إنى لأترك القُعود فيها بُغْضاً لها فكيف أعبدُها ! قال : فتذبَحُ الدّيكَ ؟ قال : ذَبحتُ ألفَ ديك لأن ديكا مرة نقرنى فحلفت ألا أجد ديكا إلا ذبحتُه . قال : فلأىّ شىء حُبِسْت؟ قال: اتّهمونى أنّى أشرب شرابَ أهل الجنة وأنام خَلْف الناس . قال : وما لك ذنب غير هذا ؟ قال : لا والله . قال: فأنا أيضا أفعل مثل ما تفعل ، فعلام حبست ؟ ثم خرج إلى الفضل فقال : ما تخشون جواز النعمة ! تحبسون من لا ذنب له فى الحبس وتجلدونه . فقال: ماالقصة ؟ فقال : رجل فى الحبس سألته عن خبره فقال : كذا وكذا ، فعرفه الفضل وضحك حتى استلقى . ثم دخل على الأمين فأخبره الخبر فضحك وأمر بتخليته .

وكان ذكر أبى نواس قد جرى فى مجلس الأمين لما ولى الخلافة وهو فى الحبس ، فقال الأمين: ليس عليه بأس . فبلغ ذلك أبا نواس ، فقال هذه الأبيات وبعث بها إلى الأمين(٢) :

أرِقتُ وطار عن عَيْنى النُّعاسُ	ونام السامِرُون ولم يُوَاسُوا
أمينَ الله قد مُلِّكت مُلْكاً	عليكَ من التُّقَى فيــه لِباسُ

---

(١) الخبر فى ذيل زهر الآداب : ١٣٤ ــ الطبرى : ٩٦٢/٣
(٢) الديوان : ٤٢٥ .

ووجهُك يَسْتَهِلُّ ندًى فيَحْيَا　　　به فى كلِّ ناحيةٍ أُناسُ
كأنّ الخلق ركِّب فيه رُوح　　　له جَسَدٌ وأنت عليه رَاسُ[١]
تُساس من السماء بكل يُسْرٍ[٢]　　　فأنتَ به تَسوس كما تُساسُ
فديتك إنّ عمرَ[٣] السجن بَأْسٌ　　　وقد أرسلت ليس عليكَ بَاسُ

فلما أنشده قال : صدق والله ! علىَّ به . فجىء به فى الليل وكُسِرَت قيودُه وخرج حتى دخل عليه فأنشأ يقول حين استقبله[٤] :

مَرْحَباً مرحبا بخير إمامٍ　　　صِيغَ من جَوْهَرِ النبوّة[٥] بَحْتَا
يا أمين الإلهِ يكلؤُك اللّـ　　　ـهُ مقيماً وظاعنا أين[٦] سِرْتَا
إنما الأرضُ كلّها لك دَارٌ　　　فلك اللهُ صاحباً حيث كُنْتَا
ياشَبِيهَ المهدِىّ جُوداً وبَذْلًا　　　وشبيهَ المنصور هَدْياً وسَمْتَا[٧]

فخلع عليه وأجازه وحَمَله ، فلم يخرج ومعه من المال شىء إلا الخلعة والمركب ، وفرّق المال جميعه على الخدم .

ومن شعره فى المجون قوله[٨] :

قد هجرت النَّديم والنُّدمانا　　　وتمتَّعتُ ما كفانِى زَمانَا

---

(١) هذا البيت والبيت الأخير من هذه القطعة ينسبان إلى أبى العتاهية وأنه كتب بهما إلى الرشيد حين علم أنه رق له وهو فى محبسه . طبقات ابن المعتز : ٢٣١ ترجمة أبى العتاهية ــ الشعر والشعراء : ٧٦٧ فى ترجمته أيضا. ورواية البيت فى ديوان أبى نواس :

كأن الخلق فى تمثال روح

(٢) فى الديوان : صنع .
(٣) فى الديوان : ليل .
(٤) الديوان : ٤٢١ .
(٥) فى الديوان : الخلافة .
(٦) فى الديوان : حيث .
(٧) سمتا : هيئة .
(٨) الديوان : ٦٩٢ .

وأَبَى لِي خليفةُ اللهِ إلَّا عَزْفَ نفسِي فقد عَزَفْتُ وآنا
ولقد طال ما أَبَيْتُ عليه فى أمورٍ خلعتُ فيها العِنانا
وغَزالٍ عاطيتهُ الكأسَ[1] حتَّى فَتَّرتْ منه مُقلةً ولِسانا
قال : لا تُسْكِرَنِّنِي بحيَاتِي قلتُ : لا بدَّ أن تُرَى سَكْرانا
إنّ لى حاجةً إليك إذا غِبْـ ت وإنْ شئتَ فاقضها يَقْظانا
فتلكَّأ تَلَكُّياً فى انْخِناثٍ[2] ثُمَّ أصغَى[3] لِمَا أردتُ فكانا

قال الجَمَّاز : قعدنا يوما وأبو نواس معنا فتمنَّى كل واحد منّا شيئا .

فقال أبو نواس : لكنّى أنا أتمنى أن أرزق كل شيء أشتهيه من المعاصى ، حتى إذا لم يبق من عمرى إلّا سنتان[4] يمسخنى الله كلباً بعرفات أعضّ أعقاب الحاج .

قال محمد بن أحمد الوَرَّاق: رأيتُ بقُطْرُبّل شعراً مكتوباً على حائطِ ماخور وذكر الخمَّار أنه رأى أبا نواس[5] كتبه بيده على الحائط ، وهو[6] :

لا يَغضَبَنَّ مُنادِمى إنْ نِكْتُه إنِّى لِنَيْكِ منادِمى معتاد
وكذاكَ لَسْتُ ألومُه إنْ نا كَنِى ولقد عَلِمْتُ كما أُكِيدُ أُكاد

قال الحسين[7] بن الضحاك: كنت يوما أسامِرُ أبانواس بالكوفة، فمررنا بكتّاب وإذا صبيّ يقرأ فى سورة البقرة : « كُلَّما أضاءلهم مَشَوْا فيه وإذا أظلَمَ عليهم قامُوا »[8]

---

(١) فى الديوان : الراح .
(٢) فى ت : فى حياء .
(٣) أصغى : مال .
(٤) فى النسخ : سنتين .
(٥) فى ت : أبو نواس . (وله وجه فى العربية) .
(٦) المحاضرات للراغب . ١/٣٣٢ بدون عزو .
(٧) الخبر فى تهذيب ابن عساكر : ٤/٢٧٢ـ نهاية الأرب : ٤/٣٣ .
(٨) سورة البقرة : ٢٠ .

فقال لى أبو نواس : وَيْلَك أىّ معنًى يُستخرج من هذا فى الخمر ! فقلت : ويحك الا تَتّقِى الله أبكتاب الله عز وجل ؟!!

فلما كان من الغد أنشدنى[1] :

وسَيَّارةٍ ضلَّت عن القصد بَعْدَما ... تَرادَفَهُم جُنحٌ من اللَّيْـلِ مُظْلِمُ

فأصْغَوا إلى صوتٍ ونحن عصابَةٌ ... وفينـا فَـتًى من سُكْرِه يـتَرنَّمُ

فلاحَتْ لهم مِنّا على البعد[2] قَهْوةٌ ... كأنّ سناهاَ ضـوءُ نار تَضَرَّمُ

إذَا ما حَسَوْناها أناخُوا مَطِيَّهُمْ[3] ... وإن جليت[4] حَثُّوا الرِكابَ وَيَمَّمُوا

دخل[5] الجمّاز على أبى نواس يعوده فى مرضة لم يَمُتْ منها . فقال : اتق الله فـكم من محصَنة قذفت ، وسيئة اقترفت ، وكبيرة ارتـكبت ، وأنت على هذه الحال . فتب ! فقال : صدقت يا أبا عبد الله ولا أفعل . قال : ولم ؟ قال : مخافة أن تـكون توبتى على يد مثلك ياعاض بظر أمّه! فقال له : إن رأت والمياذ بالله كِلْتُ لك بالصاع الأوفر . فقال: ياأباعبدالله، والله ما أشركت بالله طرفة عين قط .

ولأبى زُنبور يهجوأبانواس[6]:

كتبتُ على حِرِ أمِّ أبى نُواسٍ ... أَبا جادٍ وهَوَّازاً وحُطِّى

وصَيَّرْتُ الختامَ عليـه أيْرِى ... فإنْ هم غَيَّرُوه عَرَفْتُ خَطِّى

---

(١) الديوان : ٤٥ .

(٢) فى الديوان والتهذيب : النأى .

(٣) أناخوا مطيهم: فى الديوان : أقاموا مكانهم. وفى التهذيب : أقاموا بظلمة .

(٤) فى التهذيب : مزجت .

(٥) الخبر فى ذيل زهر الآداب : ٢٠٢ .

(٦) البيتان فى الفـكاهة : ٤ .

كان لإسماعيل بن نوبخت خادم مليح ، وكان أبو نواس عنده يوما ، فقام إلى المستراح فوضع له الخادم ماء فقبّله أبو نواس[١] ، فمحا بيده موضع القبلة فقال أبو نواس[٢] :

يا ماسِحَ القُبْلَةِ من خَـدِّهِ	من بعد ما قَدْ كانَ أعطاها
خَشِيتَ أن يَعْرِفَ آثارَها	مولاكَ فى الخدِّ فيقرَاها
ولو عَلِمْنا أنّه هـكذا	يا أملحَ الناسِ محَوْناهَا
أو تركنا بعض إعرابها	ولامَها منها حَذَفْناهَا
فصـار باقِيها لَنَا قُبَّة	لِلْحُسنِ فى خَدّكَ صُغْناهَا

قال خَلَفُ بن محمد المزنى صاحب أبى نواس : مضيت مع أبى نواس إلى فارس فنزلنا بشِعْب بَوّان فنظر إلى صخرة ملساء فوقها صخرة مُطِلَّة عليها وقد تَغَدَّينا فقال لى : هذا موضع ينبغى أن يكتب فيه شعر فقلت : شأنك فكتب[٣] :

وما لَبِسَ العشاق يوماً من الهوَى	ولا خَلَعُوا إلّا الثياب التى أبْلِى
ولا شَرِبُوا كأساً من الحُبِّ مُرَّةً	ولا حُلْوَةً إلّا وشُرْبُهم فَضْلِى

ومن شعر أبى نواس قوله[٤] :

نابَذْتُ من باصطبارٍ عنك يأمرُنى	لأَنَّ مثلَكَ رُوحى عنه قد ضَاقا
ما يرجع الطرفُ عنها حين يُبْصِرها[٥]	حتّى يعودَ إليه الطرفُ مشتاقَا

(١) تقدم مثل هذا الخبر مع رحمة بن نجاح وأنه هو المقبل . ووردت الأبيات فى ص ١٨٠

(٢) الديوان : ٣٢٧ . راجع ص ١٨٠ .

(٣) البيتان فى طبقات ابن المعتز : ٣٩٥ منسوبين إلى عبد الرحمن العطوى . وفى أمالى القالى : ١/٣٠ ومجموع المعانى : ٢٠٩ منسوبين لمشرقة المحاربة .

(٤) الديوان : ٢٥٧ .

(٥) فى الديوان : أبصرها .

ومن شعره :

وشادنٍ أحورَ فى طَرْفِهِ ... فَتْرٌ وفى منطِقِه غُنَّه

قلتُ لأصحابى وقد مَرَّ بى ... أظنُّ ذا فَرَّ من الجَنَّهْ

يُعجِبُنى تخْنيثُ ألفاظِهِ ... والأَمَلُ المطلوبُ فِيهِنَّهْ

ومن شعره يهجو أبانا اللاحقى (١) :

أأبانُ نَكِّبْ عَنْ عداوتِنا ... لَكَ غَيْرُ قرْعِ صلاتِنا لَهْوُ

إنّى نذيرُك أن تُصَيِّرَ لِى ... شُغْلًا هجاءَك إنّنى خِلْوُ

كان زُنبور الكاتِب يهجو أبا نواس ، وكان أبو نواس يهجوه . فعمل زنبور على لسان أبى نواس شعرا يهجو فيه علىّ بن أبى طالب وأشاعه فى الناس ، وهو :

لِلّه رافضةٌ بُليتُ بهم ... يتلاحَظُون بأعْيُنٍ شُزْرِ

يَهْوَون أَنْ أرْضِى أبا حَسَنٍ ... لَهُمُ وأَبْرأُ من أبى بَكْرِ

فلأَجْمَعَنَّ على عداوتِهِ ... ولأَشْهَدَنَّ عليه بالكُفْرِ

ولأَشْكُرَنَّ لراحَةٍ ضربَتْ ... تِلك المَفارِقَ آخرَ الدَّهْرِ

قال: فوجد بنو نوبخت علّةً وحجّة فى أمره فقتلوه واستحلوا دَمَه . اجتمعوا معه فى مستَنْزَهٍ لأبى سليمان بن أبى سهل ، وكان زنبور الكاتب حاضرا ، فأنشد زُنبور الأبيات وقد عمل فيهم النبيذ ، فقاموا إلى أبى نواس فتناولوه وداسوا بطنه . فلم يزل يضع أمعاه حتى مات .

وحدّث عنه بعضُ بنى نوبخت قال : حضرت أبا نواس عند موته وقد احتضر وبين يديه لوح مكتوب فيه شعر قاله هجاء فى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه . قال : فابتدأ وجهُه يسوَدُّ ويَرْبَدُّ حتى اسودّ وجهه كله ، ومات فى يومه .

---

(١) تقدم فى ص ٦١ .

وقيل : إنّ(١) إسماعيل بن أبى سهل سَمّ أبا نواس، لأنه كان قد هجاه وذكر أمّه ورماه بالبخل والرفض، فلم يقتله السم إلّا بعد أربعة أشهر .

وكان يخدمه فى علّته غلام من الأزد كان يتعلّم منه علم الشعر ، فدخل عليه يوما فقال : كيف تجدك ؟ قال : أجدنى فى الحق فإنا لله على ما فرطت ، وواسوءتاه ممّا قدمت ، وإنى لأذكر ما فرطَ منّى فأبكى عليه وأعنى أنى كنت فى طاعة الله كما كنت فى معصيته ! ثم بكى ، وأنشد(٢) :

دَبَّ فىَّ السَّقامُ(٣) سُفْلًا وعُلْواً ... وأرانِى أموتُ عُضْواً فعُضْوا

ليس تَمْضِى من لَحْظَةٍ بىَ إلّا(٤) ... نَقَصَتْنى بمَرِّهــا بى جُزْوَا

ذهبَتْ جِدَّتى بحاجةِ(٥) نفْسِى ... وتطلّبتُ طاعــةَ اللهِ نِضْوَا

لَهْفَ نفسِى على ليَالٍ وأيّا ... مٍ تجاوَزْتُهنّ(٦) لعِبًا ولَهْوَا

قد أسأْنا كلّ الإساءة فاللّـ ... ـهُمَّ صَفْحاً عَنّا وغَفْراً وعَفْوَا(٧)

ثم مات فرثاه الأزْدِى ، فقال(٨) :

ماتَ البَدِيع وأودت دولة الفِطَنِ ... واستدْرجَ الموت حُرَّ(٩) الشعر فى كَفَنِ

---

(١) أخبار أبى نواس لأبى هفان : ٣٤، ٣٥ .

(٢) الديوان : ٥٨٠ — تهذيب ابن عساكر : ٤/٢٧٦ — مسالك الأبصار ج ٩ — تاريخ بغداد : ٧ .

(٣) فى الديوان : الفناء .

(٤) فى الديوان : ليس من ساعة مضت لى إلا — ٢٢ .

(٥) فى الديوان : بطاعة .

(٦) فى الديوان : تعليتهن .

(٧) الرواية فى تاريخ بغداد :

وأسأنا كل الإساءة يارب (م) فصفحا عنا إلهى وعفوا

(٨) أخبار أبى نواس لأبى هفان : ٣٦ .

(٩) فى ت : خير — وفى أبى هفان : روح الشعر .

لِلّهِ مـــا ظَفِرت أيْدِى المَنُونِ به   وما تَضَمَّنَت الأَكْفان من حَسَنِ
مَنْ لمْ يزل وَارِثاً للمجد مُرْتَقِياً   حيثُ انتهى العِزّ فى سَيْفِ بن ذِى يزَنِ[1]
مَنْ ذَا يَرُدُّ زِواراً عنـد شِرَّتهـا   أمْ مَنْ يُدافعُ عن بُحْبُوحَةِ اليَمَنِ

وللحسين بن الضحاك فيه[2] :

كنا نُريشك للزمان يا حَسَنْ   نخاب سهمى وقرطس الزّمن[3]
ليتك إذ لم تـكن بَقِيتَ لنا   لَمْ تَبْقَ رُوحٌ يَحُوطها بَدَنْ

قال أبو محلم: أكثر الناس فى أبى نواس ومُجونه وإقدامه ، فصار إلىّ يوما فقال: يا أبا محلم اسمع منى ما قلت فى ليلتى . قلتُ : هاتِ فأنشدنى[4] :

يا نَفْسُ خافِى الله واقتَصِدِى   وارْعَىْ حِفاظَك رِعْىَ مُتَّئِدِ
من كان جَمْـعَ المـالِ همَّتَهُ   لم يَخْلُ من غَمٍّ ومِنْ نـكَدِ
يا طالبَ الدُّنيـا ليَجْمَعَهـا   جَمحَتْ بك الآمال فاقتصدِ
وأراكَ تركَبُ ظهر مُطْمِعَـةٍ   تَهوى بهـا بلَدًا إلى بَلَدِ
من لم يـكن لله مُتَّهِمـاً   لم يُمْسِ مُحتاجاً إلى أحَدِ
ولربَّ سـاعٍ فات مطلَبُه   لم يُؤْتَ من حِرْصٍ ولا جَلَدِ
ومُشَمِّرٍ فى الرِّزْقِ خَطْوَته   ظَفِرتْ يداه برَتْـعٍ رَغَدِ
وأرى صُروفَ الدهر تَفْتِنُنا   لتَحُولَ بين الرُّوح والجَسَدِ
وإذا المَنيّة أمَّمت أحَدًا   لم تَنْصرفَ عنـه ولم تَحُدِ
لو أنّ دونَ الموت واقيـةً   لفـديتُهـا بالمـالِ والوَلَدِ

---

(١) ليس فى أبى هفان .
(٢) فيه : فى غ : كتبهما على قبره .
(٣) البيتان فى غ (بولاق) ٦/٢٠٥ .
(٤) الديوان : (آصاف) : ١٩٢ بزيادة واختلاف .

مَنَّتْكَ نفسُك أن تَتوبَ غدًا ... أوَ ما تخافُ الموتَ دونَ غَدِ

يا نفسُ موعِدُكِ الصِّراطِ غدًا ... فتأهَّبِي من قَبل أن تَرِدِي

ما حُجَّتِي يوم الحسابِ إذَا ... شَهِدَتْ علىَّ بما جَنَيْتُ يَدِى!!

قال: فأبكى والله عينى. وعلمت أنه آخر عمره . فما بقى بعد ذلك إلا يسيرا .

قال حُمَيد بن سعيد[١]: رأيت أبا نواس قبل موته بأسبوع وقد أظهر زُهْداً ونُسْكا. فقلت له : يا أبا على ما هذا ؟ قال : فكّرت فقلت: الموت قريب ! قال : فما بقى بعدها إلا أسبوعا ومات.

قال غانم الوراق[٢] : دخلت على أبى نواس قبل وفاته بيوم أو يومين فقال لى : يا غانم[٣] ألواحُك معك ؟ قلت : نعم . قال : أكتب ثم أنشدنى :

* دَبَّ فىَّ السّقام سُفْلاً وعُلْواً *

الأبيات ثم أغمى عليه . وأردت النهوض ففتح عينيه ثم قال يا غانم أنشدك ؟ قلت : نعم . قال : اكتب[٤] :

شِعْرُ حَيٍّ أتاكَ من لفظ مَيْتٍ ... صار بين الحياةِ والموت وقْفَا

قد برت جسمَه الحوادثُ حتَّى ... كاد عن أَعْيُنِ الخلائق يَخْفَى[٥]

لو تأمَّلتَنِي لتُبْصِرَ وَجْهِي ... لم تَبِنْ من كتاب وَجْهِيَ حَرْفَا[٦]

ولكرَّرتَ طَرْفَ عينيْكَ فى مَنْ ... قد براه السَّقام حتَّى تعفَّى

---

(١) أخبار أبى نواس لأبى هفان : ٩٩ .

(٢) الشريشى : ١/١٨٣ .

(٣) يا غانم : فى ت : يا أبا على .

(٤) الديوان : ٥٨٠ ـ تهذيب ابن عساكر : ٤/٢٧٨ باختلاف فى الترتيب. وفى الشريشى ١/٣٠١ قال الحسن بن هانى: رأيت مانيا الموسوس فأنشدنى وأورد الأبيات الثلاثة الأول .

(٥) برت : فى الديوان : أنحلت ـ الخلائق : فى الديوان : الحوادث .

(٦) لتبصر : فى الديوان : لتثبت ـ لم تبن : فى الشريشى : لم تبين من المحاسن حرفا ـ وفى التهذيب : لم تجد من مثال رسمى حرفا .

ثم حوّل وجهه عني وأحببت أن يزيدني وصبرت ليردّ وجهه فلم يفعل . فقمت ناهضا فلم يلتفت إليّ ، فدرت إليه فإذا جبينه قد عرق وعيناه تدمعان ، فدعوت الله عزّ وجل له بالعافية ، ثم خرجت فما رأيته حتى مات .

حدّث بعض بني نوبخت فقال : شنّع الناس علينا فى قتل أبى نواس لأنه هجا آلنا وذلك باطل ، ولكن تحدّثوا أن أبا نواس مازح عليّ بن أبى سهل ولم يكن يجرى فى الحلم مجرَى أخويه عبد الله بن سليمان والعباس ، فمازحه أبو نواس فقال :

أبو الحُشَّيْنِ (١) كُنيته بحَقّ ⁂ فإنْ صحّفتَ قلت أبو الحُسَيْن

فوثب عليه فهرب أبو نواس بين يديه فدخل دار هارون بن أبى سهل ، فلحقه عليٌّ فصرَعه وبَرَكَ عليه ، فاستغاث بهارون: خُذْنى من تحته وإلّا قتلنى . فخلّصه ولم يبلغ به ذلك إلى ما يتشكّاه فضلا عن التلف .

واعتلّ بعد ذلك بمدّة علته التى مات فيها . فعاده بنو نوبخت وقالوا له : أوصنا . فقال : أوصيكم ألا تشربوا الخمر على الرِّيق فإنها هى التى قتلتنى . وتوفى بعد ثلاثة أيام من علته فبعثوا إليه بأكفان كل واحد من ولد أبى سهل ، وتشاحّوا فى ذلك ثم اتفقوا على أن كُفِّن فى جميعها .

ودفن (٢) فى التل المعروف بتل اليهود على شاطئ نهر عيسى فى مقابر الشونيزى .

قال: ومات فى بيت خمَّارةٍ كان يألفها وأوصى إلى زكريا القشارى

فبينا زكريا ذات يوم بعد موت أبى نواس بمدّة إذا هو بشيخ خاضب بحمرة ومعه عجوز فسأل عنه ولم يعرفه ، قال : فقلت له: أنا هو فما تريد ؟ قال: بلغنى أن أبا نواس أوصَى إليك . قلت: نعم فمن أنت ؟ قال : أنا رابُّ أبى نواس وهذه أمّه جُلّبان . فأخذت

---

(١) الحشين : تثنية حش . والحش : أصله النخل ثم سمى ما يتبرز فيه من الأمكنة حشا وهو الذى أراده أبو نواس وعنى فمه ودبره والتصحيف ظاهر .

(٢) ودفن الخ : أخبار أبى نواس لأبى هفان : ١٠٨ — تاريخ بغداد : ٧/٤٤٩ .

بيده وأدخلته دار بنى نوبخت ، وصحت: هذا زوج أم أبى نواس وهذه أمّه فاجتمعوا يسألونه وتأسّفوا ألّا يكونوا عرفوا ذلك قبل موته فيعيبوه به ويهجوه به .

قال[1] زكريا القشارى : كان ما سلّمته لوالدة أبى نواس من تركته ماقيمته أقلّ من مائتى درهم . والذى خلّفه هو قمطر فيه دفاتر وأضابير وجزازات قراطيس فيها نسخ أشعار وغريب ألفاظ ، ونرد وشطرنج وعود وطنبور، ولم يكن مع ذلك أحفظ منه لكل شيء يخوض فيه الناس ولا أوسع علما مع عدم كتْبه ، وما كان يعتمد إلا على ما فى صدره .

قال زكريا القشارى : دخلت على أبى نواس فى علته التى مات فيها فقال لى : كنت أكرهك وأبغضك إذا لقيتك ولا أعلم السبب فى ذلك . فلما اعتللت أوصيت إليك فعلمت أن وصيّتى إليك هى السبب فى كراهتى لك .

قال محمد بن منصور الصيرفى الذى مات أبو نواس فى منزله وهو الذى قال فيه[2] :

وذَاكَ محمّد تَفْدِيــه نَفْسى   وحَقّ له وقَلّ له الفِـــداء

قال : نزل علىّ أبو نواس قبل موته بخمسة أيام أو ستة من الغرفة التى مات فيها وبين يدى كانون فيه فحم ، فأمر بزيادة الفحم عليه ، فلما اشتعل وقويت ناره أخرج كتبا كانت فى أحد كمّيه فوضعها على النار ، فلما احترقت أخرج من كمه الآخر كتبا أخرى فأحرقها أيضا ، فسألته عن ذلك فقال : هذه أشعار كنت أضن بها أن يسمعها الناس وكرهت أن تبقى بعدى فينتحلوها فأحرقتها .

قال يعقوب بن إسماعيل بن صُبيح : كنّا عند أسود بن سالم فقال رجل : مات أبو نواس الزّنديق الكافر. فقال : لا .. لا تفعل . أليس هو القائل:

---

(١) الخبر فى عقد الجمان (مخطوط) : مجلد ١١ /٣٥٤ .

(٢) قارن هذا بما ورد فى صفحة ٦٦

يا كبيرَ الذَّنْبِ عَفْوُ اللهِ من ذَنْبِكَ أكبَرْ[1]

قال زكريا القشاري وصيّ أبي نواس : قلت لأبي نواس في علّته : ويحك ماأرَى في بيتك مصحفا ! فقال لي : النور والظلمة لا يجتمعان .

وكانت صورة وصية أبي نواس ماصورته « بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به المُسْرِف على نفسه المغترّ بأمله ، المعترف بذنوبه ، الحسن بن هانئ ، أوصى وهو يشهد أن لا إلـه إلّا الله وحدَه لا شريك له ولا نِدّ ولا مِثْل ، وكلّ معبود سواه فهو باطل ، وأن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله إلى عباده وخيرته من خلقه ، وأنّ ماجاء به حق كلّه على ذلك حيي وعليه يَموت ، وأنه لا يرجو الخلاص من عذاب الله إلا بشفاعة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبالاعتراف بذنبه والثقة بعفو ربه . وأوصى بكذا وكذا » .

قال الجاحظ : لما مات أبو نواس حضرت لأشترى من كتبه شيئاً ، فأُخرِجت إلينا قماطر ما فيها إلا لغات العرب ، وما فيها شعر شاعر البتة .

قال محمد بن نافع البصري[2] : كانت بيني وبين أبي نواس مودّة فاعتلّ فلما كان في الليلة التي توفي فيها رأيت في منامي كأنّه توفي ، وكأنني أمرت بقراءة شعر كتبه عند وفاته ، وبشّرت بأنه قد غُفر له ، فانتبهت مرعوبا وصرت إلى منزله فوجدته قد دُفن . فطلبت ما كتب حيث ثقل ، فرأيت ورقة في وسادته فإذا فيها[3] :

يا ربّ إن عظمت ذُنوبي كثرة فلقد علمتُ بأنّ عفوَكَ أعظمُ

---

(١) من قصيدة في الديوان : ٦٢٠ أولها :

يا نواسيّ توقــر وتجمّـل وتصبّرْ

وانظر تهذيب ابن عساكر : ٤/٢٧٧ .

(٢) تاريخ بغداد : ٧/٤٤٩ باختلاف .

(٣) تهذيب ابن عساكر : ٤/٢٧٨ ـ الديوان : ٦١٨ .

إن كان لا يَرْجُوكَ إلّا محسِنٌ ... فمَنِ الّذى يدعو ويَرْجُو المُجْرِمُ[1]

أدعوكَ ربِّ كما أمرتَ تضرُّعاً ... فإذا رددت يدى فمَنْ ذا يَرْحَمُ

مالِى إليكَ وسيلة إلّا الرّجَا ... وجَمِيلُ ظَنِّى[2] ثم إنّى مُسْلِمُ

فأخذت الرقعة وعرّفت أهله ما رأيت وبشّرتهم به . وبلغ ذلك أبا العتاهية فاستحسن الشعر وزاد فيه أبياتا.

قال الكرخى : دخلت على أبى نواس فى علّة موته فقلت له : ما أشدّ ما بك من الألم ؟ فقال : ألم الذنوب . فرجوت الله تعالى له عند ذلك .

كان محمد بن نافع الناسك صديقا لأبى نواس قال[3] : فلما بلغنى موتُه أسِفت عليه وكان يجول فى فكرى فرأيته فى النوم فقلت: أبانواس؟ قال: لات حين كنية[4]! قلت : الحسن بن هانئ ؟ قال : نعم . قلت : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى . قلت : بأى شىء ؟ قال : بتوبة تُبتها قبل موتى ، وبأبيات قلتها . قلت : وما هى ؟ قال: هى عند أهلى . قال : فصرت إلى أمّه ، فلما رأتنى أجهشت بالبكاء . فقلت لها : إنى رأيت كذا وكذا . فكأنّها سكنت وأخرجت إلىّ كتبا مقطّعة فوجدت فيها بخطّ كأنه قريب :

* يا ربِّ إن عظمت ذنوبى كثرة * ... الأبيات.

---

(١) الرواية فى الديوان : فبمن يلوذ ويستجير المجرم .

(٢) ظنى : فى الديوان وتاريخ بغداد : عفوك .

(٣) الخبر فى تاريخ بغداد : ٧/٤٤٩ــ الشريشى : ٢/٩٢ .

(٤) لات حين كنية : العرب لا تكنى الميت إنما تدعوه باسمه؛ قال الراجز :

وقام نسوة بجنب حفرتى ... بنات أختى وبنات إخوتى

يدعون باسمى وتناسوا كنيتى

قال محمد بن عبد الواحد[1] : كان الحسن بن هانئ نازلا علىّ فحضره الموت وكان له خاتمان أحدهما حديد صينى مربّع، عليه مكتوب: الحسن بن هانئ يشهد أن لا إله إلا الله مخلصا . وعلى الآخر وهو عقيق أحمر مربع :

تعاظمنى ذَنبِى فلمّا قرنتُه بعَفوِكَ رَبِّى كان عَفوُكَ أعظمَا[2]

فقال لى : إذا أنا متُّ فاقلع الفص الحديد واغسله مرارا ، فإذا كُفّنت فصيّره فى فَمِى وخَلِّنِى وربّى عز وجل . قال : وسأل عمى أن يلبس الفص العقيق ليذكره به ففعل . فلم يزل فى يده حتى مات .

قال محمد بن عمر[3] : رأيت أبا نواس فى المنام فقلت له : أبا نواس ما فعل الله بك ؟ فقال : الآن لات حين كنية . قلت : الحسن ، قال : غفر لى فأدخلنى الجنة . قلت : بماذا وقد كنت تشرب الخمر وتقول الشعر! قال : غفر لى بأبيات كنت كثيرا ماأتمثل بها وأقولها وهى فى وسادتى. قال : فأتيت منزله ، فأخبرتهم بما رأيت فى منامى فأتونى بوسادته فاستخرجت الرقعة منها فإذا فيها مكتوب[4] :

إنّى رضيت أبا حَفصٍ وصاحِبَه كما رضيتُ عَتِيقاً صاحبَ الغَارِ
وقد رضيتُ عَلِيًّا قـدوة عَلَما ومارضيت بقَتلِ الشيخِ فى الدّارِ
كلّ الصحابة عندى فاضلٌ عَلَمٌ فهل علىَّ بهذا القــول من عارِ
إنْ كنت تعلَمَ أنّى لا أحِبُّهم إلّا لوجهك فاعتِقْنِى من النّارِ

قال القصَافِى الشاعر[5] : رأيت أبا نواس فى النوم فقلت : مافعل الله بك ؟ قال : غفر لى . قلت : بأى شىء ؟ قال . بحُسْنِ ظَنّى .

---

(١) عيون الأخبار ٣٠٣/١ ـ المستطرف ٢٥/٢ ـ تهذيب ابن عساكر : ٢٧٩/٤ .
(٢ الديوان : (آصاف) ٢٠٠ ـ قرنته : فى العيون : عدلته .
(٣) عقد الجمان (مخطوط) ١١ حوادث ١٩٥ .
(٤) الأبيات فى المستطرف ١٢١/١ بدون عزو .
(٥) عقد الجمان : المصدر السابق .

قال الحسين الخليع : كان بيني وبين أبي نواس صحبة ومودّة لم تكن بين اثنين قط ، فلما مات اشتد جزعي عليه ، فبينا أنا ليلة من الليالي مفكّر فيه متحسّر عليه إذ غلبني النوم فنمت ، فرأيت في منامي كأني قد دخلت إلى قصر لم أر مثله حسنا ، وإذا إيوان في صدره سرير وأبو نواس فوق ذلك السرير على رأسه تاج، فلما رآني مقبلا قال لي : حسين ! قلت: لبيك ! ثم قُلْت : ما بلغ بك هذا المبلغ ؟ قال : إن الله عز وجل تجاوز لي عن مجوني بالتوحيد.

ثم قال لي : قد علمت ما كان بيني وبين إسماعيل بن نوبخت من الصحبة والمودة وأنه قد احتفر إلى جانب قبري بئرا وصنع سِقايَةً ، وهو يكثر البكاء ، وأحب أن تبلّغه هذه الأبيات وأنشدني :

سَكَبْتَ عليَّ دمعَكَ بعد مَوْتى فهلَّا كان ذا إذ كنتُ حَيَّا
أتَبْكِي بعد قَتْلك لي عَلَيَّا ومن قَبْلِ المَاتِ تُسِي[1] إليَّا
فيا من بزَّنِي عَقْلِي ورُوحِي وعاندَنِي وما أَبْقَى عَلَيَّا
تَجافَ عن البُكاء ولا تَزِدْه فإنّي ما أراكَ صَنَعْتَ شَيًّا[2]

حدّث من شهد أبا نواس وقد احتُضِرَ وهو يقول[3] :

أيا ربِّ قد أحسنتَ عَوْداً وبَدْءةً إِلَيَّ فلم يَنْهَض لإحسانِكَ الشُّكْرُ
فمَنْ كان ذا عُذْرٍ مُدِلاً بِعُذْرِه[4] فعُذْرِيَ إقرارِي بأنْ ليس لي عُذْرُ

لما حضرت أبا نواس الوفاة قيل له: قل لا إله إلا الله، فقال : آه آه ثم أنشد :

لَهفَ نفسِي علـى الزّمانِ وفي أيّ أوانٍ دهَتْنِيَ الأَزْمَانُ

---

(١) مسهلة من تسيء .

(٢) شيئا .

(٣) الديوان : ٥٧٩ — وفي المستطرف : ٢٠٦/١ بدون عزو .

(٤) رواية الشطر في الديوان والمستطرف: «فمن كان ذا عذر لديك وحجة» .

حينَ ولَّى الشِّتَاء واستُقْبِل الصَّيْـ   ـفُ وطابَ الشَّرابُ والرَّيْحانُ

ثم أغمى عليه وأفاق . فقيل له : قل لا إله إلا الله ، فقال[1] :

يا نُواسِىُّ تَوَقَّر   وتَعزَّى وتَصَبَّرْ

إن يَكُنْ سَاءكَ دَهْرٌ   فَلَمَا سَرَّكَ أكْثَرْ

يا كَبِيرَ الذَّنب عَفْوُ الـ   ـله من ذَنْبِكَ أَكْبَرْ

أكبرُ الأشياءِ فى أَصْـ   ـغَرِ عَفْوِ الله يصغُرْ

ليس للإنسانِ إلَّا   ما قَضَى اللهُ وقَدَّرْ

ليس للمَخْلُوق تَدْبِيـ   ـرٌ بل اللهُ المُدَبِّرْ

وكان عمر أبى نواس تسعاً وخمسين سنة .

وكانت وفاته قبل دخول المأمون مدينة السلام بست سنين .

---

(١) الديوان : ٦٢٠ تهذيب ابن عساكر : : ٤/٢٧٧ .

حُجْر بن عَدِىّ الكندى*

هو صاحب أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه ومن شِيعته .

لمّا ولى المُغيرة بن شُعْبة الكوفة كان يقوم على المنبر فيذمّ علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وشيعتَه وينالُ منهم ، ويلعنُ قَتَلة عثمان رضى الله عنه ويستغفر له ويزكّيه ، فيقوم حُجر بن عدىّ فيقول: أيها[1] النّاس كونوا قوّامين بالقِسْط شُهداء لله ولو علَى أنفُسِكم . وإنى أشهد أنّ من تذمّون أحقّ بالفضل ممّن تُطْرون، ومن تزكُّون أحقّ بالذمّ ممن تَعيبُون ! فيقول له المُغيرة : يا حُجر وَيْحَك ! كفُفْ عن[2] هذا واتق غَضَب[3] السلطان وسطوتَه فإنها كثيرا ما تقتلُ مثلك ! ثم يكفّ عنه .

فلم يزل كذلك حتى كان المغيرة يوما يخطب على المنبر فنال من علىّ رضى الله عنه. ولعنه ولعن شيعته وبالغ فى ذلك، فوثب حُجر فنعر به نَعْرة أسْمَعت[4] من كان فى المسجد وخارجه وقال له : أيها الإنسان إنك لا تدرى بمن تُولع[5] ! أوَ هَرِمْتَ ؟ مُرْ لنا بأعطياتنا وأرزاقنا فقد حبستَها عنّا ولم يكن لك ذلك ولا لمن كان قبْلك. وقد أصبحتَ مولَعاً بذمّ أمير المؤمنين وتزكية[6] المجرمين . وقام معه أكثر من ثمانين[7] نفسا

* الأغانى (طبع بولاق) : ١٦/١-١١ ، (طبع بيروت): ١٧/٧٩-٩٦ تهذيب ابن عساكر ٢/٣ تاريخ الطبرى : (حوادث سنة إحدى وخمسين هجرية) .

(١) القراءة « يا أيها الذين آمنوا . (سورة النساء : ١٣٥) ولعل الذى هنا اقتباس .

(٢) فى غ : من .

(٣) فى غ : غضبة .

(٤) فى النسخ : سمعت من كل مكان ورجحنا رواية : غ .

(٥) تولع : تغرى .

(٦) فى غ : تقريظ .

(٧) فى غ : ثلاثين .

يقولون : صدق والله حُجْر ، مُرْ لنا بأعطياتنا فإننا لا ننتفع بقولك هذا ولا يجدى علينا . وأكثروا من[١] ذلك. فنزل المُغيرة ودخل القصر ، فاستأذن عليه قوم ودخلوا فلاموه فى احتماله حُجرا . فقال لهم : إنى قد قتلتهُ! قالوا : وكيف ذلك ؟ فقال : إنه سيأتى أمير بعدى فيحسبه مثلى فيصنع به شبه ماترَوْنَه فيأخذه فى[٢] أول وَهْلَة فيقتُلُه شرَّ قِتْلة، وإنه قد قَرُبَ أجلى وضعُف عملى ، وما أحبّ أن أبتدئ أهلَ هذا المصر بقَتْل خِيارهم وسفك دمائهم فيسعدُوابذلك وأشْقَى، ويعزُّ معاوية فى الدنيا ويذلّ المُغيرة فى الآخرة . سيذكروننى إذا[٣] جربوا العُمّال (وقد جَرَّبوا فكان المغيرة خيرهم) .

ثم هلك المغيرة سنة خمسين[٤] فجُمعت الكوفة والبصرة لزياد ، فدخلها ووجَّه إلى حُجر فجاءه وكان له قبل ذلك صديقا ، فقال له : قد بلغنى ما كنت تفعله بالمغيرة فيحتَمِلُه منك وإنى والله لا أحتملك على مثل ذلك . أرأيت ما كنت تعرفنى به من حبّ على [وودّه][٥] فإن الله تعالى قد سلخه من صدرى وصيّره بغضا وعداوة ، وما كنت تعرفنى به من بغض معاوية وعداوته فإن الله تعالى قد سلخه من صدرى وجعله[٦] حبًّا ومودَّة . وإنى أخوك [الذى تعهد][٧] إذا أتيتنى وأنا جالس للناس فاجلس معى على مجلسى، وإذا أتيت ولم[٨] أخرج فاجلس حتى أخرج إليك. ولك عندى فى كل يوم حاجتان : حاجة غُدْوة وحاجة عَشِيّة . إنك إن تستقِمْ تسلَمْ لك دنياك

---

(١) فى غ : فى .
(٢) فى غ : عند .
(٣) فى غ وابن عساكر : لو قد جربوا .
(٤) فى ابن عساكر : إحدى وخمسين .
(٥) زيادة من غ لتتميم المقابلة فى الجملة .
(٦) فى غ : حوله .
(٧) تكملة من غ .
(٨) فى غ : ولم أجلس للناس .

ودِينُك ، وإنْ تأخذ يمينا وشمالا تُهْلِكْ نفسَك وتُشِيط[1] عندى دمك . إنّى لا أحب التنكيل قبل التقدِمَة ، ولا آخذ بغير حُجّة . اللهمّ اشْهَد ! فقال حُجر : لن يرَى الأميرُ منّى إلا ما يُحِبّ ، وقد نصح وأنا قابل نصحه .

ثم خرج من عنده فكان يتّقيه ويهابه . وكان زياد يُدنيه ويكرمه ويفضّله ، والشيعة تختلف إلى حُجر وتسمع منه .

وكان زياد يشتو بالبصرة ويَصِيف بالكوفة ، ويستخلف على البصرة سَمُرَة ابن جُندب ، وعلى الكوفة عَمْرو بن حُريث . فقال له عُمارة بن عقبة : إن الشيعة تختلف إلى حُجر ولا أراه عندخروجك إلّا ثائرا . فدعاه زياد فحذّره ووعظه،وخرج إلى البصرة واستعمل عَمرو بن حُريث ، فجعلت الشيعة تختلف إلى حُجر، ويجىء حتى يجلس فى المسجد وتجتمع عليه الشيعة فيأخذ[2] ثلث المسجد أو نصفه ، وتطيف بهم النظّارة ويمتلئ المسجد ، وترتفع أصواتهم بالتكبير وذمّ معاوية وشتمه وسب[3] زياد . فبلغ ذلك عَمْرَو بن حُريث ، فصعد المنبر واجتمع إليه أشراف المصر فحثّهم على الطاعة والجماعة وحذّرهم الخلاف . فوثب إليه عُنُق[4] من أصحاب حُجر يكبّرون ويشتُمون حتى دَنَوا منه فحَصَبوه وشتموه حتى نزل ودخل القصر وأغلق بابه[5] .

وكتب إلى زياد بالخبر . فلمّا أتاه أنشد يتمثّل بقول كعب [بن مالك] :

فلما غدوا بالعِرْض قال سَراتنا … علام إذا لم نمنع العِرْض يُزْرَع[6]

---

(١) أشاط دمه : عرضه للقتل .

(٢) فى غ : حتى يأخذ .

(٣) فى غ : وتقص .

(٤) عنق : جماعة من الرؤساء .

(٥) فى غ : عليه بابه .

(٦) العرض: الوادى فيه قرى ومياه ، وأعراض المدينة: بطون سوادها حيث الزروع والنخيل ورواية البيت فى البلدان لياقوت :

ولما هبطنا العِرض قال سراتنا … علام إذا لم نحفظ العِرْض نَزْرَع

ما أنا بشيء إذا لم أمنع الكوفة من حُجر وأدَعُه نَكالا لمَنْ بعده . وَيْل أمّك حُجْر ! لقد سقط بك العَشاء على سِرْحان[1] . ثم أتى الكوفة فدخل القصر وخرج وعليه قَباء سندس ومُطرَف خزّ أخضر ، وحُجْرٌ جالس فى المسجد وحوله أصحابه أكثر[2] ما كانوا. فصعد المنبر وخطب وحذّر الناس ثم قال لشدّاد بن الهَيْثم الهلالى ـ أمير الشُرَط ـ : اذهب فأْتِنى بحُجر . فذهب إليه فدعاه . فقال أصحابه : لا يأتيه ولا كرامة . وسبُّوا الشُرَط ، فرجعوا إلى زياد فأخبروه . فقال : يا أشراف الكوفة أتَشُجُّون بيَدٍ وتأسُون بأخرى ؟ ! أبدانكم عندى وأهواؤكم عند[3] هذا الجَهْجاه[4] المَذبوب[5] . أنتم معى وإخوانكم وأبناؤكم وعبيدكم[6] وعشيركم مع حُجر . فوثبوا إلى زياد فقالوا : معاذ الله أن يكون لنا ههنا إلا طاعتك وطاعة أمير المؤمنين ورضاه ، وكلّ ما ظننت أنّ فيه رضاك فمُرْنا به . فقال : ليَقُم كلّ امرئ منكم إلى هذه الجماعة التى حول حُجْر فليَدْعُ الرجلُ أخاه وابنَه وذا قرابته ومن يطيعه من عشيرته حتى يقوم[7] عنه كل من استطعتم . ففعلوا ، وجعلوا يُقيمون عنه أصحابه حتى تفرّق أكثرهم وبقى أقلُّهم . فلما رأى زيادٌ خِفَّة أصحابه قال لصاحب شرطته : اذْهَبْ فأْتِنى بحُجر ، فإن تَبِعك وإلّا فمُرْ من معك أن يشرعوا عَمَدَ السيوف ثم اشتدّوا[8] عليه حتى تأتوا به وتضربوا من حال دونه . فلما أتاه شدّاد قال له : أَجِب الأمير ! فقال أصحابُ

(١) مثل يضرب فى طلب الحاجة تؤدى إلى تلف صاحبها . وأصله أن رجلا خرج يلتمس العشاء فوقع على سرحان القريعى وكان من شياطين العرب فقتله .

(٢) ليس فى غ .

(٣) فى غ : مع .

(٤) الجهجاه : الصياح . فى غ : الهجاجة : وهو الأحمق.

(٥) فى ت : المذبذب .

(٦) ليس فى غ .

(٧) فى غ : تقيموا .

(٨) فى غ : يشدوا .

حُجر، لا ولا نَعمَةَ عين. فقال لأصحابه: على بَعَمد السيوف فاشتدّوا إليها فأقبلوا بها .
فقال عُمير بن يزيد الـكلبي : إنه ليس معك رجل معه سيف غيرى فما يغنى سيفى ؟ !
قال : فما ترى ؟ قال : قم من هذا المكان فالْحَقْ بأهلك يَمْنَعْك قومك . فقام وزيادٌ
ينظر من[1] المنبر إليهم فغَشُوا حُجرا بالعَمَد . فضرب رجل يقال له بكر بن عبيد
من الحمراء رأْس عَمْرو بن الحمق بعَمُود فوقع ، وأتاه أبو سفيان بن العُوَيمر والعجلانُ
ابن ربيعة — رجلان من الأزد — فأتيا به دار رجل من الأزد يقال له عبيدالله بن مزعل[2]
فتوارَى بها .

قال عبيد الله[3] بن عون : لما انصرفنا [عن غزوة باجُمَيْرا] قبل قتل عبد الملك
مُصْعَبا بعام، إذا أنا بالأَحْمَرِىّ الذى ضرب عَمْرو بن الحمق يسايرنى ، ولا والله ما رأيته
منذ ذلك ، وما كنت أرَى لو رأيته أن أعرِفه . فلما رأيته ظننته هو، وذلك حين نظرنا
أبيات الكوفة ، وكرهت أن أسأله : أأنت ضارِبُ عَمْرو بن الحمق فيُكابرنى ،
فقلت له : ما رأيتك منذ اليوم الذى ضربت فيه رأس عمرو بن الحمق بالعَمُود فى المسجد
فصرعته حتى يومى هذا . ولقد عرفتك الآن حين رأيتك . فقال لى: لا تَعْدَم بصَرَكَ!
ما أَثْبَتَ نظرك ! كان ذلك أمر السلطان[4]. أما والله لقد بلغنى أنه كان امرأً صالحا.
ولقد ندمت على تلك الضربة وأستغفر الله . فقلت له : الآن ترى[5] ؟! لا والله
لا نفترق أنا وأنت حتى أضربك فى رأسك مثل الضربة التى ضربتها عَمرو بن الحمق
وأموت أو تموت . قال : فناشدنى وسألنى بالله فأبيت عليه . ودعوت غلاما لى يدعى
رَشيدا[6] من سَبْىِ أصفهان معه قناة صُلبة فأخذتها منه، ثم حملت عليه فنزل عن دابّته

(١) فى غ : على .
(٢) فى غ : موعد .
(٣) عبيد الله بن عون : فى ت: عبد الله بن عوف، والتصويب من غ .
(٤) فى غ : الشيطان .
(٥) فى ت : ألا ترى .
(٦) فى غ : بشيرا .

فلحقته[١] حين استوت قدماه على الأرض فأصفقت[٢] بهـا هامته ، فخرّ لوجهه وتركته ومضيت . فبرئ بعد ذلك ، فلقيتهُ مرتين من دهرى كلّ ذلك يقول لى : اللهُ بينى وبينك . فأقول له : واللهُ بينك وبين عمرو بن الحمق .

قال : ثم إن زيادا قال وهو على المنبر : لتقُمْ هَمْدان وتميم وهَوازن وابنا بَغِيض ومَذْحج وأَسَد وغَطفان فليأتوا جَبَّانة كِنْدَة ، وليمضوا من ثَمَّ إلى حُجر فليأتونى به. ثم كره أن تسير مضر مع اليمن فيقع شَغْب واختلاف ، أو تَفْسُد الحَمِيّة فيما بينهم ، فقال : لتقَم تميم وهَوازن وأسد وغطفان ، ولتمض مَذْحج وهَمْدان إلى جَبَّانة كِندة فليأتونى بحُجر وليَسِرْ سائر[٣] أهل اليمن حتى ينزلوا جبّانة الصيداويين[٤] وليمضوا إلى صاحبهم فليأتونى به . فخرجت الأزد وبَجيلة وخَثْعَم والأنصار وقُضاعة وخُزاعة فنزلوا جبّانة كندة ، ولم تخرج حضرموت مع اليمن لمكانهم من كِنْدَة . فتشاور أهل اليمن فى أمر حُجر ، فقال لهم عبد الرحمن بن مِخنف : أنا مشير عليكم برأى فإن قبلتموه سلمتم من اللائمة والإثم ، وهو : أنْ تَلَبّثوا قليلا يكفيكم عجلةُ شباب مَذْحج وهَمْدان ما تكرهون أن تَلُوه[٥] من مساءة قومكم فى صاحبكم . فأجمع رأيهم على ذلك . فما كان إلا قليلا[٦] حتى أُتينا فقيل لنا: إن شباب مَذْحج وهَمدان قد دخلوا فأخذوا كلّ ما وجدوا فى بنى بَجيلة . قال : فرّ أهل اليمن على نواحى دور كندة مُعَذِّرين . فبلغ ذلك زيادا فأثنى على مَذْحج وهَمْدان وذمَّ أهل اليمن .

فلما انتهى حُجر إلى داره رأى قلّة من معه فقال لأصحابه : انصرفوا فما لكم طاقة

---

(١) فى غ : فألحقه .

(٢) أصفق هامته : ضربها ضربة سمع لها صوت .

(٣) ليس فى غ .

(٤) فى ت : الصائدين .

(٥) فى غ : يكون .

(٦) إلا قليلا : فى غ : إلا كلا ولا . يريد قصر الوقت الذى يتسع لكلمتى : لا ولا .

عن اجتمع عليكم من قومكم ، وما أحبّ أن أعرّضكم للهلاك . فذهبوا لينصرفوا فلحقهم أوائل الخيل من مَذْحِج وهَمْدان ، فعطف عليهم عُمَير بن يزيد وقيسُ بن يزيد وعُبَيْدَة بن عَمْرو وجماعة ، فقاتلوا ساعة فجُرحوا ، وأسروا قيس بن يزيد وأفلت سائر القوم . فقال لهم حُجر : لا أبَا لكم تفرّقوا لا تقتلوا فإنى آخذٌ فى بعض هذه الطرق . ثم أخذ نحو طريق بنى كعب[1] من كندة حتى أتى دار رجل منهم يقال له سليمان بن يزيد فأدخله داره ، وجاء القوم فى طلبه حتى انتهوا إلى تلك الدار فأخذ سليمان بن يزيد سيفه وذهب ليخرج فبكت بناتُه . فقال له حُجر : ما تريد أن تفعل لا أبا لغيرك ! قال : أريد أن ينصرفوا عنك فإن فعلوا وإلا ضاربتهم بسيفى هذا ما ثبت قائمه فى يدى دونك . فقال له حُجر : بئس والله إذًا ما دخلت به على بناتك! أمَا فى دارك هذه حائط أقتحمه أو خَوْخَةَ[2] أخرج منها عسى الله أن يسلّمنى منهم ويسلّمك ؟ فإن القوم إن لم يقدروا علىّ فى دارك لم يضرّوك . قال : بل هذه خوخة تخرجك إلى دور بنى العَنْبر من كِنْدَة . فخرج معه فِتْيَـة من الحىّ يقصّون له الطريق ويسلكون به الأزقّة حتى أفضى إلى النَّخَع . فقال : انصرفوا رحمكم الله . فانصرفوا عنه . فأقبل إلى دار عبدالله بن الحارث أخى الأشتر فدخلها، فإنه لكذلك وقد ألقى له عبد الله الفرش وبسط البُسُط وتلقّاه بالبشر إذ أُتِىَ فقيل له: إنّ الشُّرَط تسأل عنك فى النَّخَع ، وذلك أنّ أَمةَ سوداء يُقال لها أَدْماء لَقِيَتْهم فقالت : مَنْ تطلبون ؟ قالوا : نطلب حُجرا . قالت : هو ذا قد رأيته فى النَّخَع ، فانصرفوا نحو النخع . فخرج متنكرا وركب معه عبد الله ليلا حتى أتى دار ربيعة بن ناجذ الأَزْدِىّ فنزل بها فمكث يوما وليلة .

فلما أعجزهم أن يقدروا عليه دعا زيادٌ محمد بن الأشعث فقال له : أما والله لتأتينّى

(١) فى غ وابن عساكر : حرب .
(٢) خوخة : مخرج خلف الدار .

بحُجر أو لا أَدَع لك نخلة إلا قطعتُها ، ولا داراً إلّا هدمتُها ، ثم لا تسلم منى بذلك حتى أقطِّعك إرْبا إرْبا . فقال له : أمهلنى أطلبه . قال : قد أمهلتك ثلاثاً فإن جئت به وإلّا اعْدُدْ نفسك من الهَلْـكَى . وأُخرج به نحو السجن وهو ممتقع اللّون يُتَلُّ[1] تَلاًّ عنيفا . فقال له حُجر بن يَزيد الـكِندى ضمّنيه وخَلّ سبيله[2] ليطلب صاحبه ، فإنه مُخَلًّى سبيلُه أحرى أن يقدر عليه [منه] إذا كان محبوسا . قال : فتضمنه ؟ قال : نعم . قال : أما والله لئن حاص[3] عنك لأزيرنّك شعوبا[4] ، وإن كنت الآن علىّ كريما . قال : إنه لا يفعل . فخلّى سبيله .

ثم إن حجر بن يَزيد كلّمه فى قيس بن يَزيد وقد أُتِى به أسيرا فقال : ما عليه من بأس ، فإنّى قد عرفت رأيه فى[5] عثمان وبلاءه مع أمير المؤمنين بصفّين . ثم أرسل إليه فأتى به فقال : قد علمت أنك لم تقاتل مع حجر أنك ترى رأيه ، ولـكنك قاتلت معه حميّة . وقد غفرناه لك ، لِمَا نعلمه من حسن رأيك ، ولـكنى لاأدعك حتى تأتينى بعُمَير أخيك . فقال : أجيئك به إن شاء الله تعالى . قال : هاتِ من يضمنه معك . قال : هذا حجر بن يَزيد . قال حجر : نعم على أن تؤمّنه على ماله ودمه . فقال : ذلك لك . فانطلقا فأتيا به فأمر به فأُوقِرَ حديداً ، ثم أخذته الرجال ترفعه حتى إذا بلغ سُرَرَها أَلْقَوْه فوقع على وجهه ، ثم رفعوه فألْقَوْه ففعل به ذلك مرارا . فقام إليه حُجر بن يَزيد . فقال : ألم[6] تؤمّنه على ماله ودمه ؟ ! قال بلى لست أهريق له دما

---

(١) يتل : يدفع من خلف فى عنف .

(٢) فى غ : سر به .

(٣) حاص : هرب وحاد .

(٤) لأزيرنك شعوبا: لأخيفن بك غيرك . وفى غ : لأوردنك شعوب ، وشعوب : الهلـكة والموت .

(٥) فى ك : مع. والتصويب من غ.

(٦) فى غ : أولم .

ولا آخذ له مالا . قال : هذا يُشْفِى به على الموت . وقام كل من كان عنده من أهل اليمن فكلّموه فيه . فقال : أتضمنونه لى بنفسه حتى[1] إن أحدث حدثا تأتوننى به ؟ قالوا : نعم . فخلّى سبيله .

ومكث حجر فى منزل ربيعة بن ناجذ الأزدى يوما وليلة ثم بعث إلى ابن الأشعث غلاما له يدعى رشيداً من سبى أصفهان فقال له : إنه بلغنى ما استقبلك به هذا الجبار العنيد فلا يهولَنَّك شىء من أمره فإنى خارج إليك ، فاجمع نفراً من قومك وادْخُل عليه وسله أن يؤمِّننى حتى يبعث[2] بى إلى معاوية فيرى فىَّ رأيه . فخرج محمد إلى حُجر بن يزيد [وجرير بن عبد الله][3] وعبد الله أخى الأشتر فدخلوا إلى زياد فطلبوا إليه فيما سأله حجر . فأجاب . فبعثوا إليه رسوله يُعلمه بذلك فأقبل حتى أتى زياداً ، فقال له : مرحباً يا أبا عبد الرحمن ، حربٌ فى أيام الحرب ، وحربٌ وقد سالم الناس ! على نفسها تَجْنِى براقش[4] . فقال : ماخلعتُ يداً من طاعة ، ولا فارقت الجماعة ، وإنى لعلى بيعتى . قال : هيهات يا حُجر أتَشُجُّ بيدٍ وتأسُو بأخرَى وتريد إذا أمكننا الله منك أن نرضىَ منك بهذا القول ؟! هيهات والله ! قال : أو لم تؤمِّننى حتى آتِىَ معاوية ؟ قال : بلى . انطلقوا به إلى السجن . فلما مضى قال : أما والله لولا أمانه ما يبرح حتى يلفظ عصبه . فأُخْرِج وعليه بُرنس فى غداةٍ باردة وحُبس عشر ليال ، وزيادٌ ماله عملٌ غير الطلب لرءوس أصحاب حجر .

فخرج عَمْرو بنُ الحَمِق ورفاعة بن شَدّاد حتى نزلا بالمدائن وارتحلا إلى الموصل . فكمنا فى جَبل . وبلغ ذلك عبدَ الله بن أبى بَلْتَعة عامل الرُّستاق[5] خبرهما فأقبل

---

(١) فى غ : متى أحدث .

(٢) يبعث بى : فى غ : يبعثنى .

(٣) ما بين القوسين زيادة من غ وهى فى ك غير واضحة .

(٤) براقش : اسم كلب دل قوما على أربابه فهلكوا .

(٥) الرستاق : الموضع فيه زروع وقرى ولا يقال ذلك للمدن .

إليهما — إلى الجبل — ومعه أهل البلد ، فأُخْرِجا . فأما عمرو فكان بطنه قد استُسْقِىَ[1] فلم يكن عنده امتناع . وأما رفاعة فكان شابًّا قويا فوثب على فرس له جواد ، وقال لعمرو : أقاتل عنك ؟ قال وما ينفعنى أن تُقْتَل . انْجُ بنفسك ، فحمل عليهم فأفرجوا له حتى أخرجه فرسه ، وخرجت الخيل فى طلبه وكان رامياً فلم يلحقه فارس إلّا رماه فجرحه أو عقره ، فانصرفوا عنه . وأخذوا عمرو بن الحمق ، فسأله من أنت ؟ فقال : مَنْ إن تركتموه كان أسلم لكم وإن قتلتموه كان أَضَرّ عليكم . فسألوه فأبَى أن يخبرهم . فبعثوا به إلى عبد الرحمن بن عثمان الثقفى ، وهو ابن أمّ الحكم ، فلما رآه عرفه فكتب إلى معاوية بخبره . فكتب إليه معاوية : إنه زعم أنه طعن عثمان تسع طعنات، وإنا لا نتعدى عليه فاطعنه تسع طعنات كما طعن عثمان . فأخرج وطُعن تسع طعنات مات فى الأولى منهنّ أو فى الثانية ، وبُعِثَ برأسه إلى معاوية ، فكان أول رأس حُمِل فى الإسلام .

وجدّ زيادٌ فى طلب أصحاب حُجر وهم يهربون منه ويأخذ من قدر عليه منهم . فجاء قيس بن عباد الشَيْبانىّ إلى زياد فقال له : إنّ امرأً منّا يقال له صيفىّ بن فسيل من رءوس أصحاب حُجر وهو من أشدّ الناس عليك . فبعث إليه فأُتِى به فقال له : يا عدوّ الله ما تقول فى أبى تراب[2] ؟ فقال : ما أعرف أبا تراب ! قال : ما أعرفك به . أَما تعرف علىّ بن أَبى طالب ؟ قال : بلى ! قال : فذاك أَبو تراب . قال : كلّا ذاك أَبو الحسن والحسين. فقال له صاحب الشُرْطة : أَيقول لك الأمير: هو أَبو تراب وتقول: لا. قال : كذب الأمير أَفأَكذب وأَشهد له بالباطل كما شهد أَيضا؟! فقال له زياد : وهذا أَيضا مع ذَنْبِك ! علىَّ بالعِصِىّ فأُتِىَ بها فقال : ماقولك فى علىّ؟ فقال أَحسن قول أَنا قائله فى عبد من عبيد الله أَقوله فى أَمير المؤمنين . قال اضربوا عاتقه

(١) الاستسقاء : تجمع ماء فى البطن عن مرض .

(٢) أبو تراب : كنية كانت تطلق على الإمام على بن أبى طالب .

بالعِصِيّ حتى يلصق بالأرض ، فضرب حتى لصق بالأرض . قال : أقلعوا عنه . ما قولك فيه ؟ قال : والله لو شرحتني بالمُدَى والمَواسِى ما زِلْتُ عمّا سمعتَ ! قال : لَتَلْعَنَنَّه أو لأضربنّ عنقك . قال : إذًا والله تضربها قبل أن ألعنه فأسعد أنا وتشقى أنت . قال : أوقِرُوه حديدا واطرحوه فى السجن .

وجمع زياد اثنى عشر رجلًا من أصحاب حُجر بن عدىّ فى السجن ، وبعث إلى رءوس الأرباع فأحضرهم[1] وقال : اشهدوا على حُجر بما رأيتموه ، وهم : عمرو ابن حُرَيْث ، وخالد بن عُرْفُطَة ، وقيس بن الوليد ، وأبو بُرْدَة بن أبى موسى الأشعرى. فشهدوا أنّ حُجرا جمع إليه الجموع وأظهر شتم الخليفة وسبّ[2] زيادا ، وأظهر عُذْرَ أبى تُراب والترحّم عليه والبراءة من عدوّه ، وأهل حزبه ، وأنّ هؤلاء الذين معه رءوس أصحابه وعلى مثال واحد[3] . ونظر زياد فى الشهادة فقال : أظن[4] هذه الشهادة قاطعة وأحبّ أن تكونوا أكثر من أربعة .

فكتب أبو بُردة بن أبى موسى : « بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما شهد عليه أبو بُرْدَة بن أبى مُوسى لله رب العالمين أنّ حجر بن عدىّ خلع الطاعة وفارق الجماعة ولعن الخليفة ودعا إلى الحرب والفتنة ، وجمع إليه الجموع يدعوهم إلى نكث البيعة وخلع أمير المؤمنين معاوية ، وكفر بالله كفرةً صلعاء» . فقال زياد : على مثل هذه الشهادة فاشهدوا : والله لأجهدنّ فى قطع عُنق الخائن الأحمق . فشهد رءوس الأرباع الثلاثة الآخرون على مثل ذلك، ثم دعا الناس فقال : اشهدوا على مثل ما شهد عليه رءوس الأرباع، فقام عثمان بن شُرَحْبِيل التَّيْمى أول الناس فقال: اكتبوا اسمى. فقال زياد ابدءوا بقريش ثم اكتبوا اسمه . فشهد جماعة منهم إسحاق وموسى وإسماعيل

(١) فى غ: فأشخصهم.

(٢) فى غ : عيب .

(٣) مثال واحد : فى غ : مثل رأيه .

(٤) فى غ : ما أظن .

بنو طلحة بن عبيد الله ، والمنذر بن الزبير ، وعُمارة بن عُقبة[١] ، وعمرو[٢] بن سعد ابن أبى وقاص ، وشدّاد بن المنذر أخو الحصين بن المنذر . وجماعة . وكان شدّاد ابن المنذر يُدْعَى بابن بُزَيْمة فكتب شداد بن بُزيمة ، فقال زياد : أما لهذا أبٌ ينسب إليه؟ الغواهذا من الشهود . فقيل له: إنه أخو الحصين بن المنذر فقال: انسبوه إلى أبيه. فبلغ ذلك شدّاد . فقال : والهفاه على ابن الزانية ، أو ليست أمّه أعرف من أبيه . فوالله ما ينسب إلا إلى أمّه سُمَيَّة. وكان فى الشهود أسماء بن خارجة ، وشَمِر بن ذى[٣] الجوْشَن، وشَبَث[٤] بن رِبعى ، وشريح بن هانىء ، وسماك بن مَخْرمة الأسدى صاحب المسجد . ودعا المختار بن عبيدة وعُروة بن المغيرة بن شُعْبة إلى الشهادة فراغا . وشهد سبعون رجلا .

ودفع الشهادة إلى وائل بن حُجْر وكَثِير بن شهاب وبعثهما عليهم ، وأمرها أن يخرجوهم فخرجوا عشية وسار معهم أصحاب الشرط ، فلما انتهوا إلى جَبّانة[٥] عَرْزَم وإذا بنات حُجْرٍ مشرفات. فقال لوائل وكَثِير: أدنياني إلى أهلي أُوصِ . فأَدنياه فلما دنا منهنّ بكت بناتُه فسكت عنهن ساعة ثم قال : اسكتن فسكتن . فقال: اتّقين الله واصبرْن فإنى أرجو من ربى فى وَجْهِى هذا خيرا ، إحدى الحسنيين : إمّا الشهادة فهى السعادة وإما الانصراف إليكن فى عافية ، فإن الذى كان يرزقكن ويكفينى مؤنتكن هو الله عز وجل ، وهو حىّ لا يموت ، وأرجو ألا يضيعكنّ الله ، وأن يحفظنى فيكن . ثم انصرف فجعل قومه يدعون له بالعافية .

---

(١) فى نسخة : عتبة .

(٢) فى غ : عمر .

(٣) فى ك : أبى الجوشن والتصويب من غ .

(٤) فى ك : شبيب والتصويب من غ .

(٥) الجبانة : اسم يطلق عند أهل الكوفة على المقابر قال ياقوت: وبالكوفة محال تسمى بهذا الاسم وتضاف إلى القبائل، ثم عد منها جبانة عرزم، وجبانة كندة، وقد ورد ذكرها فى خبر حجر ابن عدى هنا .

وجاء شُرَيح بن هانئ بكتاب فقال : أبلغوا هذا عَنّى أميرَ المؤمنين . فتحمّله وائل بن حجر ومَضَوا بهم حتى انتهوا إلى مَرْج عَذْراء فحبسوا به ، وهم : حُجر بن عدىّ ، والأرقم بن عبد الله الكِنْدى ، وشَرِيك بن شَدّاد الحضرمىّ ، وصَيْفىّ بن قشيل[1] الشَّيْبانى ، وقَبيصة بن ضُبَيعة العَبْسِى ، وكَرِيم بن عَفيف الخَثْعَمِى ، وعاصم بن عوف البَجَلِى ، وكِدام بن حَيّان وعبد الرحمن بن حسان العَنَزِيان ، ومحرز ابن شهاب المِنْقرى ، وعبد الله بن جُوَيَّة التميمى . وأتبعهم زيادٌ بعُتبة بن الأخنس السعدى وسَعِيد بن نِمْران الهَمْدانى فكانوا أربعة عشر .

فبعث معاوية إلى وائلٍ وكَثِير فأدخلهما ، وفضّ الكتاب وقرأه على أهل الشام ، فإذا فيه :

«بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله معاوية بن أبى سفيان أمير المؤمنين من زياد بن أبى سفيان ، أمّا بعد ، فإنّ الله قد أحسن عند أمير المؤمنين البلاء ، وأذلّ[2] له الأعداء ، وكفاه مؤنة من بغى عليه . إن طوائف[3] من هذه الترابيّة[4] السابة رأسهم حجر بن عدى خلعوا أمير المؤمنين وفارقوا جماعة المسلمين ، ونصبوا لنا حَرْبا فأطفأها الله عليهم وأمكننا منهم . وقد دعوت خِيار أهل المصر وأشرافهم وذوى النُّهَى والدِّين فشهدوا عليهم بما رأوا وعلموا منهم . وقد بعثت بهم إلى أمير المؤمنين ، وكتبت شهادة صلحاء أهل المصر وخيارهم أسفل كتابى هذا» .

فقرأ الكتاب وقال : ما ترون فى هؤلاء ؟ فقال يزيد بن أسد البَجَلِى : أرى أن تفرقهم فى قرى الشام فيكفيكهم طواعيتها .

---

(١) فى غ : قسيل (بالسين المهملة) وما هنا موافق لما فى تاريخ الإسلام للذهبى (٢/٢٩٢) صيفى بن قشيل (بالقاف) أو قشيل الربعى كوفى من شيعة على قتل صبرا مع حجر .

(٢) أذل له الأعداء ، فى غ : أدال له من عدوه .

(٣) فى غ : طواغيت .

(٤) لقب كانوا يطلقونه على أتباع الإمام على لأنهم كانوا يكنونه بأبى تراب يعتبرونه نبذا .

ودفع (١) وائلٌ كتابَ شُرَيح بن هانئ إلى معاوية فقرأه وإذا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله معاوية أمير المؤمنين من شُرَيح بن هانئ ، أما بعد ، فقد بلغني أن زيادا كتب إليك بشهادتي على حُجر . وإنّ شهادتي على حجر أنه ممن يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، حرام المال والدم ، فإن شئت فاقتله وإن شئت فدعه » . فقرأ كتابه على وائل وقال : ما أرى هذا إلا قد أخرج نفسه من شهادتكم .

فحبس القوم وكتب إلى زياد :

«فهمت ما اقتصصت من أمر حُجر وأصحابه والشهادة عليهم ، فأحيانا أرى أن قتلهم أفضل ، وأحيانا أرى أن العفو عنهم أفضل من قتلهم » .

فكتب زياد إليه مع يزيد بن حُجَيَّة التَّيمى :

«قد عجبت لاشتباه الأمر عليك فيهم مع شهادة أهل مصرهم عليهم ، وهم أعلم بهم ، فإن كانت لك حاجة فى هذا المِصْر فلا تَرُدَّنَّ حُجراً وأصحابه إليه» .

فمرّ يزيد بن حُجَيَّة بحجر وأصحابه فأخبرهم ما كتب به زياد . فقال له حُجر : أبلغ أمير المؤمنين أنّا على بيعته ما نقيلها ولا نستقيلها ، وإنما شهد علينا الأعداء والأظِنَّاء(٢) . فقدم يزيد بن حُجَيَّة على معاوية بالكتاب وأخبره بقول حجر . فقال معاوية : زيادٌ عندنا أصدق من حجر .

وكتب جرير بن عبد الله فى أمر الرجلين اللذين من بَجِيلة فوهبهما له ، وطلب وائل بن حجر فى الأرقم الكندى فتركه له ، وطلب أبو الأعور فى عتبة بن الأخنس فوهبه له ، وطلب حمزة بن مالك الهمدانى فى سعيد بن نمران فوهبه له ، وتكلم

---

(١) من هنا نقص فى نسخة ك .

(٢) فى ت : الأحناء وهو تصحيف . والأظناء : جمع ظنين وهو المتهم .

حَبِيب بن مسلمة فى عبدالله بن جُوَيَّة فخَلَّى سبيله ، فقام مالك بن هبيرة فسأله فى حجر فلم يشفعه . فغضب وجلس فى بيته .

وبعث معاوية هَدِيَّة بن فيَّاض القُضاعى والحُصين بن عبـــد الله الكلابى وآخر معهما يقال له أبو صَرِيف البدرى فأتوهم عند المساء . فقال الخَثْعَمِى حين رأى الأعور : يُقْتَلُ نصفُنا وينجو نصفنا . فقال سعيد بن نمران : اللهم اجعلنى ممن ينجو وأنت عنّى راضٍ . فقال عبد الرحمن بن حسان : اللهم اجعلنى ممن تكرم بهوانهم ، وأنت عنى راض ، فطالما عرّضْتُ نفسى للقتل فأبَى الله إلا ما أراد . فجاء رسول معاوية إليهم بتخلية ستة نفر منهم وبقى ثمانية فقال لهم رسل معاوية : إنا قد أمرنا أن نعرض عليكم البراءة من علىّ واللعنَ له ، فإن فعلتم هذا تركناكم وإن أبيتم قتلناكم . وأمير المؤمنين يزعم أن دماءكم قد حَلَّت بشهادة أهل مصركم عليكم ، غير أنه قد عفا عن ذلك فابرءوا من هذا الرجل يُخَلِّ سبيلكم . قالوا : لسنا فاعلين . فأمر بقيودهم فحلّت وأُتِىَ بأكفانهم ، فقاموا طول ليلتهم يصلّون . فلما أصبحوا قال أصحاب معاوية : ياهؤلاء قد رأيناكم البارحة أطلتم الصلاة وأحسنتم الدعاء فأخبرونا ما قولكم فى عثمان ؟ قالوا : هو أول من جار فى الحكم وعمل بغير الحق . قالوا : أمير المؤمنين أعرف بكم . ثم قاموا إليهم . فقالوا : أتبرؤون من هذا الرجل ؟ قالوا : بل نتوالاه[١] . فأخذ كل رجل منهم رجلا يقتله ، فوقع قبيصة فى يد أبى صَرِيف البدرى ، فقال له قبيصة : إن الشر بينى وبين قومك [أمين][٢] فليقتلنى غيرك . فقال : برّتك رحم . فأخذه الحضرمى فقتله . وقتل القضاعىُّ صاحِبَه[٣] .

---

(١) نتوالاه : نحبه . يقال : والى فلان فلانا . وفى غ : نتولاه .

(٢) ما بين القوسين زيادة من غ يقتضيها السياق ويوائمها الجواب ــ وأمين أى آمن .

(٣) فى الأصل : صاحب قبيصة والتصويب من : غ .

ثم قال لهم حُجر : دعونى أصلّى ركعتين فإنى والله ما توضأت قط إلا صلّيت . قالوا له: صلِّ. فصلّى ثم انصرف . فقال : والله ما صلّيت صلاة قط هى أقصر منها ، ولولا أن تروا أن ما بى جزع من الموت لأحببت أن استكثر منها . ثم قال : اللهم إنا نستعديك على أمرائنا فإن أهل الكوفة قد شهدوا علينا ، وأن أهل الشام يقتلوننا . أما والله لئن قتلتمونى فإنى لأول فارس من المسلمين سلك فى واديها ، وأول رجل من المسلمين نبحته كلابها . فمشى إليه هَدِيَّة بن فياض بالسيف فأُرعدَت فرائصُه[1] فقال : كلا زعمت[2] أنك لا تجزع من الموت فإنا ندعك فتبرأ من صاحبك . فقال: مالى لا أجزع . وأنا أرى قبرا محفورا ، وكَفَنا منشورا ، وسيفا مشهورا ! وإنى والله وإن جزعت ما أقول ما يسخط الرب . فقتله .

وأقبلوا يقتلونهم واحدا واحدا حتى قتلوا ستة نفر . فقال عبد الرحمن بن حسان العَنزى ، وكريم بن عفيف الخثعمى ، ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين فنحن نقول فى هذا الرجل مثل مقالته ، فبعثوا إلى معاوية فأخبروه ، فبعث أن ائتونى بهما فالتفتا إلى حُجر فقال له العنزى : لا تَبْعُدْ يا حُجر ولا يبعُد مَثْواك فنعم أخو الإسلام كنت ! وقال الخَثْعَمىّ مثل ذلك. ثم مضى بهما فالتفت العنزى فقال متمثلاً :

كفى بشَفاة القَبْر بُعْدًا لهـالكٍ وبالموت قَطَّاعا لحَبْل القرائن

فلمّا دخلا عليه قال له الخثعمى : اللهَ اللهَ يا معاوية إنّك لمنقول من هذه الدار الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة ومسئول عمّا أردتَ بقتلنا ، وفيم سفكت دماءنا . قال : ما تقول فى علىّ ؟ قال : أقول فيه مثل قولك . أتبرأ من دين علىّ الذى كان يدين به ؟ فقام شَمِر بن عبد الله الخثعمى فاستوهبه منه . فقال : هو لك ، غير أنى

---

(١) فرائصه : فى غ : فصائله .

(٢) إلى هنا ينتهى النقص فى نسخة ك .

حابسه شهرا، فحبسه وأطلقه على ألا يدخل الكوفة ما دام له سلطان . فنزل الموصل وكان ينتظر موت معاوية ليعود إلى الكوفة، فمات قبل معاوية بشهر .

وأقبل على عبد الرحمن بن حسان فقال : يا أخا ربيعة ماتقول فى علىّ ؟ فقال : أشهد أنه من الذاكرين الله كثيرا والآمرين بالمعروف والنّاهين عن المنكر والعافين عن الناس . قال : فما تقول فى عثمان ؟ فقال : هو أول من فتح أبواب الظُلْم وأرتج أبواب الحق. قال : قتلت نفسك . قال : بل إياكَ قتلت . لا ربيعةَ بالوادى! يعنى أنه ليس ثَمّ أحد من قومه فيتكلّم فيه . فبعث به معاوية إلى زياد وكتب إليه: هذا شرّ من بعثت به فعاقبه العقوبة التى هو أهلها ، واقتله شرّ قِتْلة . فلمّا قَدِم على زياد بعث به إلى قيس النّاطِف فدفنه حيًّا . فكانت القتلَى سبعة : حُجْر بن عدىّ ، وشَرِيك بن شَدّاد ، وصيفىّ بن قشيل ، وقبيصة بن ضُبيعة، ومحرز بن شهاب ، وكدام بن حيان ، وعبد الرحمن بن حسان ، ونجا منهم سبعة[1] .

ثم إن معاوية بعث إلى مالك بن هُبَيْرة لمّا غضب بسبب حُجْر بن عدىّ مائة ألف درهم فرضى .

وكان الناس يقولون : أوّل ذُلّ دخل الكوفة قتلُ حُجْرٍ ، ودِعْوةُ زياد ، وقتل الحسين .

وكان معاوية عند موته يقول : أى يوم لى من ابن الأدبر طويل .

وكانت عائشة رضى الله عنها بعثت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام إلى معاوية فى حُجر وأصحابه فقدم عليه وقد قتلهم . فقال : أين غاب عنك حِلْمُ أبى سفيان ؟ قال حين غاب عنى مثلك من حلماء قومى! وحَمّلنى ابن سُمَيَّة فاحتملت .

---

(١) فى غ : سرد أسماء الناجين من القتل وهم : كريم بن عفيف الخثعمى، وعبد الله بن جؤية التيمى ، وعاصم بن عوف البجلى ، وورقاء بن سمى البجلى، وأرقم بن عبد الله الكندى ، وعتبة بن الأخنس السعدى من هوازن ، وسعيد بن نمران الهمدانى .

وكانت عائشة رضي الله عنها تقول : لولا أنَّا لم نغيّر شيئا قط إلّا آلت بنا الأمور إلى أشدّ مما كنا فيه لغيّرنا قَتْلُ حجر . أما والله إنْ كان لَمُسلماً ما علمتُه [حاجا] معتمرا .

وقالت امرأة من كِنْدة[1] ترثي حُجر بن عديّ رضي الله عنه :

تَرَفَّع أيها القمَرَ المُنيرُ ... لعلّك أنْ ترَى حُجْراً يَسيرُ
يَسيرُ إلى معاويةَ بنِ حَرْبٍ ... ليَقْتُله كما زَعَم الأميرُ
ألَا ياليت حُجْراً مات مَوْتاً ... ولم يُنحَر كما نُحِرَ البَعيرُ
تَرَفَّعت الجبابِرُ بعد حُجْرٍ ... وطاب لها الخَوَرْنَق والسَّدِيرُ[2]
وأصبحت البِلادُ له مُحُولًا ... كأنْ لم يُحيِها مُزْنٌ مَطيرُ
ألَا يا حُجْر حُجْر بني عَديّ ... تلقَّتك السلامة والسُّرورُ
أخافُ عليك سَطْوَةَ آلِ حَربٍ ... وشَيْخاً في دِمَشْقَ له زَئِيرُ
يرى قَتْلَ الخِيار عليه حَقّاً ... لَهُ من شَرِّ أُمَّتِه وَزيرُ
فإنْ تَهلك فكلّ زعيم قَوْمٍ ... إلى هُلْك من الدُّنيا يَصيرُ

---

(١) في تهذيب ابن عساكر : ٨٦/٤ والطبري (حوادث سنة ٥١) وقالت هند بنت زيد الأنصارية وكانت شيعية . وتروى هذه الأبيات لأخت حجر بن عدي ورواه عبد الله بن الإمام أحمد ولما رواه أبو بكر بن عياش قال : قاتلها الله ما أشعرها !

(٢) الخورنق : قصر كان بظهر الحيرة اختلف في بانيه. والسدير: قصر كان قريبا من الخورنق.

الحسين بن مُطَيْر*

هو الحسين بن مُطَيْر بن مُكَمِّل مولى بنى أَسَد بن خُزيمة، ثم لبنى سعد بن مالك ابن ثَعْلَبة بن دُودان بن أسد. وكان جدّه مُكَمِّل عبداً، فأعتقه مولاه: وقيل: كاتبه فسعَى فى مكاتبته حتى أدّاها وأعتق. وهو من مُخَضْرَمى الدولتين الأُمويّة والعبّاسية ومدحهما. وهو شاعر فصيح متقدّم فى القصائد والرَّجز. وكان من ساكنى زُبالَة، وكان زِيُّه وكلامه يُشبه مذاهبَ الأعراب وأهل البادية وذلك بين فى شعره. ومن شعره[1]:

أُحِبُّك يا سَلْمَى على غير رِيبةٍ ... وما خَيْرُ حبٍّ لا تعفّ سرائرُه[2]

أُحِبُّك حُبّاً لا أعنِّفُ بعدَه ... مُحِبّاً ولكنّى إذَا لِمَ عاذِرُه

وقد ماتَ قَبْلِى أوّل الحبِّ وانقَضَى ... ولو مِتُّ أضحى الحبُّ قدمات آخِرُه

ولمّا تناهَى الحبُّ فى القَلْبِ وارِداً ... أقام وسُدَّتْ عنه صَفْواً[3] مصادِرُه

وفد الحسين بن مطير على مَعْن بن زائدة لمّا ولى [اليمن][4] وقد مدحه. فلمّا دخل عليه أنشده:

أتيتُك إذْ[5] لم يبق غيرَكَ جابرٌ ... ولا واهبٌ يعطى اللُّهَا[6] والرَّغائبا

---

* الأغانى (بيروت): ١٥/٣٣١-٣٣٨- الأغانى (بولاق): ١٨/٣٣- تجريد الأغانى: ١٦٨٠-١٦٨٣- معجم الأدباء: ١٠/١٦٦-١٧٨ - تهذيب ابن عساكر: ٤/٣٦٤- طبقات ابن المعتز: ١١٤-١١٩.

(١) تهذيب ابن عساكر: ٤/٣٦٤ - معجم الأدباء: ١٠/١٧٣-١٧٥ باختلاف فى الترتيب

(٢) فى الأدباء: ولا بأس فى حب تعف سرائره.

(٣) فى غ: يوما. وفى التجريد: وسدت فيه عنه مصادره.

(٤) تكملة من غ ومعجم الأدباء.

(٥) إذ لم: فى غ: لما.

(٦) اللها: العطايا الجزيلة.

فقال له معن : يا أخا بَنِي أسد ، ليس هذا بمَدْح ، إنّما المدح قولُ نَهارِ بن تَوْسِعة أخي تيم الله في مِسْمَع بن مالك بن مِسمع :

قَلَّدَتْه عُرَا الأُمـــورِ نِزارٌ ... قَبْلَ أنْ تَهلِك السَّراةُ[1] البُحورُ

فغدا عليه بأرجوزة أوّلها:

حُدِّثْتُ لَيْلَى حَبَّذَا دَلَالُها[2] ... تَسْأَل عن حَالِي وما سُؤَالُها

ومدحه فيها فاستحسنها وأجزل صِلَته .

أنشد رجلٌ الأصمعيَّ لدِعْبل بن عليّ قولَه :

« أَيْنَ الشَّبابُ وأَيَّـةً سَلَـكا »

وعنده جماعة فاستحسنوا قوله منها :

لا تَعْجَبِي يا سَلْمَ منْ رَجُلٍ ... ضَحِكَ المَشِيبُ برأْسِه فبَـكَى

فقال الأصمعي : هذا سَرَقه من قول الحسين بن مُطَير :

أين أهلُ القِباب بالدَّهنـاء ... أينَ جيرانُنا عـلى الإحْساء

فارَقُونَا والأرضُ مُلْبَسَةٌ نَوْ ... رَ الأقاحِي يُجـادُ بالأَنْواء

كُلَّ يومٍ بأقْحوانٍ جَدِيـدٍ ... تَضْحك الأرْضُ من بُكاء السماء

قال المفضّل الضَّبيّ : قال لي المهديّ أسْهَرَتْني البارحةَ أبياتُ الحسين بن مُطَير الأسدي . فقلت : وما هي ؟ قال : قوله :

وقـد تَغْدِر الدُّنيا فيُضْحِي غَنِيُّها ... فَقيراً ويَغْنَى بعد بُؤْسٍ فَقِيرُها

فلا تَقْرَب الأمرَ الحرامَ فإنّـه ... حَلاوتُه تَفْـنَى ويَبْقَى مَرِيرُهـا

وكم قد رَأَيْنا من تَـكدُّرِ[3] عِيشَةٍ ... وأُخْرَى صفَى بعدا كْدِرارٍ غَدِيرُها

---

(١) السراة : جمع سرى : السيد الشريف .

(٢) في غ (بيروت): حدثتها يا حبذا دلالها . وفي غ بولاق : حديث ريا حبذا إدلالها .

(٣) في غ والتجريد : تغير .

فقال له المفضل : مثل هذا فليُسْهِرك ياأمير المؤمنين. وكان المهدى رقيقا فاستعبر.

وكان المفضّل خائفا من المهدى لخروجه مع إبراهيم بن عبد الله بن حسن وكان محتاجا وعليه عشرة آلاف درهم دينا، فقال له المهدى: كيف حالك؟ فقال: كيف حال من هو مأخوذ بعشرة آلاف درهم! فأمر له بثلاثين ألف درهم وقال : اقض دَيْنك وأصلِح شأنك. فقبضها وانصرف .

دخل الحسين بن مُطَير الأسدى على المهدى فأنشده :

لو تَعْبُدُ الناسُ يا مهدِىّ أفضلَهم ... ما كان فى الناس إلّا أنتَ مَعْبُودُ

أضحت يَمِينُك من جُودٍ مُصَوَّرَةً ... لا بَلْ يَمِينُك منها صُوِّر الُجودُ

لو أنَّ من نُورِه مِثقالَ خَرْدَلةٍ ... فى السُّودِ طُرًّا إذاً لابيضَّتِ السُّودُ

فأمر له عن كل بيت بألف درهم .

خرج المهدىّ يوما فوافقه الحسين بن مُطَير فأنشده[1] :

أضحت يَمِينُك من جُودٍ مصوَّرةً ... لا بَلْ يَمِينُك منها صُوِّرَ الُجود

فقال : كذبت يافاسق ! وهل تركتَ فى شِعرك لأحدٍ موضعا بعد قولك فى مَعْن ابن زائدة :

أَلِمَّا[2] بِمَعْنٍ ثمّ قـولا لقَبْرِهِ ... سَقَتْكَ الغَوادِى مَرْبَعاً ثمّ مَرْبَعَا[3]

فيا قَـبْرَ معْنٍ أنتَ أوّلُ حُفْرَةٍ ... من الأرْض خُطَّت للسَّماحَةِ مَوْضِعاَ

بَلَى قدوسِعْتَ الُجودَ والُجودُ مَيِّتٌ ... ولو كان حَيًّا ضِقْتَ حَتّى تَصَدَّعَا

فَتًى عِيش فى مَعْروفه بعد مَوْته ... كما كان بَعْدَ السَّيلِ مَجْرَاه مَرْتعاَ[4]

---

(١) معجم الأدباء : ١٠/١٦٨ .

(٢) فى المعجم : ألما على معن وقولا لقبره . ألم على الشىء : قصد نحوه .

(٣) مربعا : مطرا فى الربيع .

(٤) فى غ (بولاق) : ممرعا .

أَبَى ذِكْرُ مَعْنٍ أن تموتَ فَعَالُه ... وإنْ كان قد لاقى حِماماً ومَصْرَعاَ

أَخرِجُوه عنّى فأخرج[1] .

قال أحمد بن يوسف الكاتب : كنت أنا وعبد الله بن طاهر عند المأمون وهو مستلْقٍ على قفاه ، فقال لعبد الله بن طاهر : يا أبا العباس من أشعر من قال الشعر فى خلافة بنى هاشم ؟ فقال : أمير المؤمنين أعلمُ بهذا وأعلَى عَيْناً . فقال : له علَى ذلك قَوْلٌ . وتكلّم أنت [أيضا] [2] يا أحمد بن يوسف فقال عبد الله بن طاهر : أشعرهُم الذى يقول[3] :

أيا قَبْرَ معنٍ أنتَ أوّل حُفْرةٍ ... من الأرض خُطّت للسماحة مَوْضِعاَ

فقال أحمد بن يوسف: بل أشْعَرُهم الذى يقول[4]:

وَقَفَ الهوَى بى حيث أنْتَ فليس لِى ... متأَخَّر عنه ولا مُتَقَدَّمُ

فقال : أبَيْتَ يا أحمد إلّا غزَلًا أين أنتم عن الذى يقول[5] :

يا شَقِيقَ النَّفْسِ من حَكَمٍ ... نِمْتَ عن لَيْلِى ولم أَنَمِ

قيل لأبى عبيدة : ما تقول فى شعر الحسين بن مُطير ؟ قال : والله لَوَدِدْتُ أنّ الشعراء قاربُوه[6] فى قوله[7] :

---

(١) فأخرج : فى معجم الأدباء : فقال : يا أمير المؤمنين إنما معن حسنة من حسناتك وفعلة من فعلاتك. فأمر له بألف دينار .. الخ .

(٢) زيادة من غ(بيروت) لإيضاح الخطاب وتبيين المتكلم أولا ، وسقوطها يوهم توجيه الأمر إلى ابن يوسف بالبدء بالكلام .

(٣) يريد الحسين بن مطير .

(٤) يريد أبا الشيص الخزاعى .

(٥) يريد أبا نواس .

(٦) فى غ : قاربته .

(٧) معجم الأدباء : ١٠/١٧٦ـ طبقات ابن المعتز : ١١٧ـ الحماسة : ٢/٤٨ (الرافعى).

مُخصَّرة الأوساط زانَتْ عُقودَها   بأَحْسَنَ ممَّا زَيَّنَتْها عُقـودُها
فصُفرٌ تَرَاقِيها وحُمْرٌ أَكُفُّها   وسُودٌ نواصِيها وبِيض خُدودها

وَلِيَ المدينة وَالٍ فدخل إليه الحسين بن مطير فقيل له : هـذا من أشعر الناس فأراد أن يختبره[1] وكانت سحابة مكْفَهِرَّة نشأت وتتابع منها الرَّعد والبَرْق ، وجادت بمطرٍ جَوْدٍ ، فقال له : صِف هذه السحابة فقال[2] :

مُسْتَضْحِكٌ بلوَامِـع مُسْتَعْـبِرٌ   بمَدامِـعٍ لم تَمْرِها[3] الأقذاء
فلَهُ بلا حُزْنٍ ولا بمَسَرَّةٍ   ضَحِكٌ يُرَاوِحُ بيْنَه وبُـكاء
كَثُرَت لـكَثْرةِ وَدْقِه[4] أطباؤُه[5]   فإذا تَحَلَّبَ فاضَتِ الأَطْباء
وكأنَّ بارِقَهُ حَرِيقٌ تَلْتَقِي   رِيحٌ عَلَيْهِ وعَرْفَجٌ وألاء[6]
لو كان من لُجَج السواحِل مَاؤُه   لم يَبْقَ فى لُجَج السواحل مَاء

فأعجب الوالى قوله فى المعنى وأحسَن جائزته .

---

(١) فى غ : يبلوه .
(٢) غ (بيروت) : ١٥/٣٣٧ ـ طبقات: ١١٨ .
(٣) يريد تسيلها .
(٤) الودق : المطر .
(٥) الأطباء : حلمات الضرع شبه بها السحاب .
(٦) عرفج وألاء : نوعان من الشجر.

حُجْر آكل المُرار*

هو حُجْرُ بن عَمْرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثَوْر بن مُرْتع ، واسمه عَمْرو بن ثور ، وقيل ابن معاوية بن ثور ، وهو كِنْدَة بن عُفَيْر بن عَدِىّ بن الحارث ابن مُرّة[1] بن أُدَد بن زيد بن يَشْجُب بن عَرِيب بن زيد بن كَهْلان بن سبأ بن يشجب ابن يَعْرُب بن قَحْطان .

كان تُبَّع أيام سار إلى العراق نزل بأرض مَعَدّ واستعمل عليها حُجْرَ بن عَمْرو فلم يزل ملكا حتى خَرِف . وله من الولد عَمْرو ومعاوية وهو الجَوْن . وكان زِياد ابن الهَبُولَة بن عَمْرو بن عوف بن ضَجْعَم بن حَماطة بن سعد بن سَليحٍ القُضاعى[2] ، وهو مَلِكٌ فى ربيعة بن نزار ، أغار على منزلة حُجر فأخذ مالا كثيرا وسبى امرأةَ حجر ، وهى هند ابنةُ ظالم بن وَهْب بن الحارِث بن مُعاوية ، وأخذ نسوة من نساء بَكْر بن وائل . فلما بلغه مغاره وما أخذ أقبل ومعه أشراف بَكْر بن وائل فيهم : عوف بن مُحَلِّم بن ذُهْل بن شَيْبان ، وعَمْرو[3] بن أبى ربيعة وغيرهما فتعجَّلا وقالا لحُجْرٍ : إنّا متعجّلان إلى الرجل لعلّنا نأخذ منه بعض ما أصاب منّا . فلقياه دون عين أُباغ[4] فكلمه عوف بن محلِّم وقال : يا خير الفِتيان ارْدُدْ علىّ ما أخذته منى . فأعطاه إياه . وكلّه عمرو بن أبى ربيعة فى فحل إبله فقال: خذه . فأخذه عمرو وكان قويا ،

---

* الأغانى (بولاق) ١٥/٨٦–٨٩ ، (بيروت) ١٦/٢٧٧–٢٨١ – تجريد الأغانى : ١٧٧١ – ١٧٧٢ .

(١) فى الأصول : مر . والتصويب من غ وكتب الأنساب .

(٢) العبارة فى غ : ثم إن زياد بن الهبولة ... أغار عليه وهو ملك فى ربيعة بن نزار ومنزله بغمر ذى كندة، وكان قد غزا بربيعة البحرين، فبلغ زيادا غزاته فأقبل حتى أغار فى مملكة حجر ...

(٣) فى ك : عمر فى جميع مواضعها والتصويب من غ والتجريد. وفى غ : عمرو بن معاوية .

(٤) واد وراء الأنبار على طريق الفرات إلى الشام .

فجعل الفحل ينزع إلى الإبل فاعتقله عمرو فصرعه . فقال ابن الهَبُولة : أما والله يا بنى شَيْبان لو كنتم تَعْقِلون الرجال كما تعقلون الإبلَ لـكنتم أنتم [أنتم][1] فقال له عمرو : لقد وهبت قليلا وشتمت جليلا ! ولقــد جررت على نفسك شرا ، ولتجدنى عند ما ساءك . ثم ركض حتى سار إلى حُجْر فأخبره الخبر .

فأقبل حُجْر فى أصحابه حتى إذا كان بمـكان يقال له الَحفِيرُ بالبَرَدان دون عين أُباغ ، بعث نفرين من أصحابه اسمهما سَدُوس وصُلَيْع يتجسسان له الخبر ويعلمان له علم العسكر ، فخرجا حتى هجما على عسكره ، وقد أوقد نارا ونادى مناديه: من جاء بحزمة حطب فله قدره تمرا[2] ، وكان ابن الهَبُولة قد أصاب فى عسكر حُجْر تَمْرًا كثيرا، فضرب قِبابه وأَجَّج ناره ونثر التمر بين يديه ، فمن جاء بحَطبٍ أعطاه تمرا. فاحتطب سدوس وصليع[3] ثم أتيا ابن الهَبُولة وطرحاه بين يديه فناولهما من التمر وجلسا قريبا من القبة . فأما صليع[4] فقال : هذه آية وعلم ما يريد ، فانصرف إلى حُجْر فأعلمه بعسكره وأراه التمر. وأما سدوس فقال: لاأبرح حتى آتيه بأمر جلىّ.

فلما ذهب هزيعٌ[5] من الليل أقبل ناس من أصحابه يحرسونه وقد تفرق العسكر فى ناحية . فضرب سدوس يده إلى جليس له فقال : من أنت ، مخافة أن يستنكر فقال: أنا فلان بن فلان . قال: نعم . ودنا سدوس من القبة وكان حيث يسمع الـكلام. فدنا ابن الهَبُولة من هند امرأة حُجْر فقبّلها وداعبها ، ثم قال لها فيما يقول : ما ظنّك بحُجْر لو علم بمـكانى منكِ ؟ قالت : ظنى والله بأنه لا يَدَع طلبك حتى يطالع القصور الُحمْر ، فـكأنّى أنظر إليه فى فوارس بنى شَيبان يَذْمُرُهم[6] ويَذْمُرونه وهو شديد

(١) تـكملة من غ .

(٢) فى غ : من تمر — وفى ك : تمر .

(٣و٤) فى ك : ضيعة والتصويب من النص فى العبارة السابقة ومن غ والتجريد .

(٥) طائفة منه وهى تقدر بالربع أو الثلث الأول منه .

(٦) يذمرهم : يحرضهم .

الكَلَب سريع الطَّلَب ، يُزْبِدُ شِدْقاه كأنّه بعير آكل المُرار ، فسمّى [حجر] آكل المُرار من يومئذ . فرفع ابن الهَبُولة يده فلطمها ثم قال : ما قلت ما قلت إلّا من عَجَبك[1] به وحبّك له . فقالت: والله ما أبغضت ذا نسمة[2] قط بغضى له ، ولا رأيت رجلًا قط أحزم منه نائما ومستيقظا ، وإنْ كان لتنام عيناه وبعض أعضائه يقظان لا ينام . وكان إذا أراد النوم أمرنى أن أجعل عنده عُسًّا مملوءا لبنا ، فبينا هو ذات ليلة نائما وأنا قريبة منه أنظر إليه إذ أقبل أَسْوَدُ سالخ[3] إلى رأسه فنحّى رأسه، فمال إلى يديه وإحداها مقبوضة والأخرى مبسوطة فأهوى إليها فقبضها ، فمال إلى رجليه وقد قبض واحدة وبسط أخرى فأهوى إليها فقبضها ، فمال إلى العُسّ فشربه ثم مَجّه . فقلت : يستيقظ فيشرب فيموت فأستريح منه ، فانتبه من نومه فقال : علىّ بالإناء فناولته إياه فشمّه فاضطربت يده حتى سقط الإناء فأهريق . وذلك كله بأُذن سدوس. فلما نامت الأحراس خرج يسير ليلته حتى صبّح حُجْرًا فقال :

أتاك المُرْجفون برَجْم غَيْبٍ ... على دَهَشٍ وجئتُك باليَقينِ
فمَنْ يَكُ قدأتاك بأَمْرٍ لَبْسٍ[4] ... فقــد آتِى بأمرٍ مستبينِ

ثم قَصّ عليه ما سمع فأَسِفَ[5] ونادى فى الناس بالرحيل . فساروا حتى انتهوا إلى عسكر ابن الهَبُولة ، وعرفه سدوس فحمل عليه فاعتنقه وصرعه . وبصر به عمرو بن أبى ربيعة فشدّ عليه وأخذ رأسه منه ، وأخذ سدوس سَلَبه . وأخرجَ حُجْر هندا فربطها بين فرسين ثم أجراها حتى قطّعاها قطعا .

---

(١) عجبك : يريد إعجابك .
(٢) فى غ : فيشة . والنسمة : الروح، والمعنى إنسانا .
(٣) أسود سالخ : حية سلخت جلدها من شدة سمها .
(٤) لبس : فيه شك .
(٥) أسف : غضب وتغير لونه كأنه ذر عليه الرماد .

وكان ابن الهَبُولة لمّا غنم يسوق السبايا والنعم ويتصيّد فى السير ، لا يمرّ بواد يُعجبه إلّا أقام به يوما أو يومين ، حتى أتى على ضَرِيّة[1] فوجدها مُعْشبة وأعجبته فأقام بها أياما . وقالت له امرأة[2] : إنى أرى كأنّى نظرت إلى رجل أسود أدْلم[3] كأن مشافره مشافر بعير آكل المُرار قد أخذ برقبتك ، فسمى حُجْر آكل المُرار بذلك.

ويقال: إنّ عمرو بن أبى ربيعة لمّا طعن ابن الهَبُولة غضب سدوس لذلك لأنه هو الذى أَسره ، وقال له : قتلتَ أَسيرى ودِيَته دية الملوك . وتحاكما إلى حُجْر فحكم لسدوس على عمرو وقومه بدية ملك ، وأعانهم فى ذلك بماله . ويقال : إن حجرا ليس بآكل المُرار وإنما أبوه الحارث آكِلُ المُرار .

وقيل : إنّما سمى حجر آكِل المُرار لأن سدوسا لما أتاه بخبر ابن الهَبُولة ومداعبته لهند وأن رأسه فى حجرها وحدّثه بقولها ، جعل يسمع ذلك وهو يعبث بالمُرار — وهو نَبْت شديد المرارة — وكان جالسا فى موضع فيه منه شىء كثير ، فجعل يأكل من ذلك المُرار غَضَبا ، وهو مُصْغ إلى سَدوس ولا يعلم أنه يأكله من شدة الغضب ، حتّى أتى سدوس على آخر الحديث، فعلم حينئذ بذلك ووجد طعمه، فسمّى يومئذ آكِل المُرار .

وقال حُجْر فى هند :

إنَّ مَن غَرَّه النساءُ بشَىْءٍ ... بعـد هِندٍ لجاهِلٌ مَغْرُورُ
حُـلْوَةَ القَوْل واللّسان ومُرٌّ ... كُلُّ شَىْءٍ أَجَنَّ[4] منها الضَّميرُ

---

(١) ضرية : قرية عامرة قديمة فى طريق مكة من البصرة من نجد. وقيل: صقع واسع بنجد وينزل به حاج البصرة بين الجديلة وطخفة . (ياقوت) .

(٢) امرأة : فى غ : أم إياس .

(٣) أدلم : طويل أسود .

(٤) أجن : ستر وأخفى .

حارِثَة أبو دُواد الإيادى*

هو حارِثَةُ[1] بن الحَجَّاج ، وكان الحَجَّاج يُلقَّب حمران بن بَحْر بن عِصام بن مُنَبِّه بن حُذافة بن زُهير بن إياد بن نِزار بن مَعَدّ . وقيل : هو حارثة بن الحجّاج أحد بنى بُرْد بن دُعْمِىّ بن إياد بن نزار بن مَعَدّ ، شاعر قديم من شعراء الجاهلية ، وكان وصّافا للخيل ، وأكثر أشعاره فى وصفها ، ويتصرّف فى المديح والفخر وغير ذلك .

وكان قد مدح الحارث بن هَمَّام بن مرّة بن ذُهْل بن شَيبان ، فأعطاه عطايا كثيرة . ثم مات ابن لأبى دُواد وهو فى جواره فوداه الحارث فمدحه أبو دواد . فحلف الحارث أن لا يموت له ولد إلّا وداه ، ولا يذهب له مال إلا أخلفه ، فضَرَبت العربُ المثل بجار أبى دُوَاد . وفيه يقول قَيْس بن زُهَيْر :

أُطَوِّف ما أُطَوِّف ثم آوِى إلى جارٍ كجارِ أبى دُواد[2]

وقيل : إن أبا دُواد جاور كعبَ بن مامَة الإيادى فكان إذا هلك له بعير أو شاة أخلفها . وفيه يقول طَرَفة يمدح عَمْرَو بن هند :

* جارٌ كجارِ الحُذَاقِىّ الذى اتَّصَفَا[3] *

---

* الأغانى (بولاق) : ١٥/٩٥–٩٩ – الأغانى (بيروت) ١٦/ ٢٩٤–٣٠١ – التجريد : ١٧٧٨–١٧٨١ .

(١) فى غ : جارية .

(٢) شعراء النصرانية ٩٣٧ .

(٣) اللسان : ١١/ ٣٢٤ (حذق) و ١١/٢٧٢ (وصف) وصدره :

* إنّى كفانِىَ من أمرٍ هممتُ به *

والحذاقى : الفصيح اللسان ، وعنى به أبا دواد الإيادى .

وكان لأبى دواد ابنٌ يقال له دُواد شاعر ، وهو الذى يقول يرثى أباه :

فبـات فينا وأمسَى تحت هَادِيَةٍ ما بَعْدَ يَوْمِك من مُمْسَى وإصْباحِ
لا ندفع السُقْمَ إلا أَنْ تفدِّيـه ولو ملـكنا مسكنا السُّقم بالرَّاحِ

كان أبو دُوَاد تزوّج امرأة من قومه فولدت له دُوَاداً هذا ، ثم ماتت فتزوّج أخرى فأُولِعَت بدُواد، وأمرت أباه أن يَجْفُوَه ويُبعده ، وكان يحبّها . فلما أكثرت عليهقالت: أخرِجْه عنّى . فخرج به وقد أردفه خلفه إلى أن انتهى إلى أرض جَرْداء ليس فيها شىء ، فألقى سَوْطَه متعمِّدًا وقال : يا دُوَاد انزِلْ فناوِلْنى سَوْطى ، فنزل فدفع بعيرَه وناداه :

أَدُوَادُ إنّ الأمرَ أصبح ماترَى فانظرُ دُوَاد لأىّ أرضٍ تَعْمِدُ

فقال له دُوَاد : على رِسلك ، فوقف له فناداه :

وبأىّ ظَنِّك أن أُقيم ببَلْدةٍ جَرْداء ليس لِغَيْرهـا مترَدَّدُ[(١)]

فرجع إليه وقال له : أنت والله ابنى حقًّا ، ثم ردّه إلى منزله وطلّق امرأته .

وكانت له زوجة يقال لها أمّ حَبْتر فعاتبته على سماحِه بماله فلم يُعْتِبها فصرَمته[(٢)] فقال[(٣)] :

حاولت حين صرمتنى والمـرء يعجِزُ لا المَحالَه[(٤)]
والدهرُ يلعب بالفَتَى والدَّهرُ أرْوغُ من ثُعالَـهْ
والمرء يـكسِب مالَـهُ بالشُّحِّ[(٥)] يورثـه الـكَلالَهْ[(٦)]

---

(١) فى غ : ليس بغيرها متلدد . ومتلدد : تلبث .

(٢) صرمته : هجرته .

(٣) الأبيات فى ل (ح و ل) ١٣/١٩٧ عدا الرابع .

(٤) المحالة : الحيلة .

(٥) هكذا رواية اللسان وفى غ : والشح .

(٦) الـكلالة : العشيرة ليسوا من نسبه لحا .

والعبـــدُ يُقرَعُ بالعصَا والُحرُّ تــكْفيه المَقالَـهْ
والصمتُ(١) خــيرٌ للفَـتَى فى الِحين(٢) من بَعْض المَقَالَهْ

قال الأصمعى : ثلاثة كانوا يصفون الخيل فيُجيدون لا يقاربهم(٣) أحد : طُفَيْل ، وأبو دُوَاد ، والنابغة الجَعْدى . فأمّا أبو دُوَاد فإنه كان على خيل المُنْذِر بن النعمان ابن المنذر ، وأما طُفَيل فإنه كان يركبها وهو أغرل(٤) إلى أن كبر . وأما الجعدى فإنه سمع من الشعراء وأخذ عنهم .

وقال ابن الأعرابى : لم يصف أحد الخيل إلا احتاج إلى أبى دُوَاد ، ولا وصف الحمر إلا احتاج إلى أَوْس بن حَجَر ، ولاوصف النعام إلّا احتاج إلى عَلْقَمة بن عَبَدَة، ولا اعتذر أحد فى شعره إلا احتاج إلى النابغة الذبيانى .

كان أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى(٥) الله عنه يفطر الناس فى رمضان ، فإذا فرغ من العشاء تـكلّم فأوجز(٦) وأبلغ ، فاختَصم الناس إليه ليلة حتى ارتفع الصياح فى أشعر الناس ؛ فقال على رضى الله عنه لأبى الأسود الدؤلى : يا أبا الأسود : من أشعر الناس ؟ وكان يتعصّب لأبى دُوَاد وله فيه رأى ، فقال أبو الأسود : أشعرهم الذى يقول :

ولقد أغتدى يُدافِعُ رُكْنِى أَعْوَجِىٌّ ذو مَيْعَةٍ إضْرِيجُ(٧)

---

(١) فى غ : والسكت .

(٢) فى غ : فالحين .

(٣) فى ت : لا يقاويهم . وقاواه : بلغ قوته .

(٤) يريد وهو صغير لم يختن .

(٥) فى ك : عليه السلام .

(٦) فى غ : تـكلم فاقل وأوجز فأبلغ .

(٧) فى غ : أحوذى . وأعوجى: نسبة إلى فرس مشهور فى الجاهليـة اسمه أعوج ــ الميعة : أنشط جرى الفرس ــ إضريج : واسع اللبان ، أو جواد شديد العدو .

مُخْلَط مزْيَلٌ مِكَرٌّ مِفَرٌّ   مِنفَحٍ مِطْرَحٍ سَبُوحٌ خَرُوجُ[1]
سَلْهَبٌ شَرْحَبٌ كأَنَّ رماحاً   حملتــه وفى السَّراة دُمُوجُ[2]

فأقبل علىّ رضى الله عنه على الناس فقال : كلّ شعرائكم مُحْسِن ، ولو جمعهم زمان واحد وغاية واحدة ومذهب واحد فى القول لعلمنا أيّهم أسبق إلى ذلك ، وكلّهم قد أصاب الذى أراد وأحسن ، وإنْ يكن أحد فَضَلَهم فالذى لم يقل رغبة ولا رهبة امرؤ القيس بن حجر ، فإنّه كان أصحّهم بادرة وأجودهم نادرة .

وكانت الرواة لا تروى شعر أبىدواد ولا عدىّ بن زيد لمخالفتهما مذهب الشعراء.

وقيل : كان اسم أبى دُوَاد جُوَيْرِيَة[3] بن الحجّاج . وكانت له ناقة يقال لها الزبّاء وكانت بنو إياد يتبركون بها ، فلما أصابتهم السَّنةُ[4] تفرّقوا ثلاث فِرَق : ففرقة سلكت البحر فهلكت ، وفرقة قصدت اليمن فسلمت ، وفرقة قصدت أرض بكر بن وائل فنزلوا على الحارث بن همّام . وكان السبب فى ذلك أنهم أرسلوا الزبّاء وكانت ناقة ميمونة ، فأرسلوها وقالوا إنها ميمونة فخلّوها فحيث توجهت فاتبعوها — وكذلك كانوا يفعلون إذا أرادوا نُجْعَة — فخرجت تخوض العرب حتى نزلت بالحارِث بن هَمَّام ، وكان أكرمَ الناس جِوارا ، وهو جار أبى دُوَاد المضروب به المَثَل . فقال أبو دُوَاد يمدح الحارث ويذكر ناقته الزَّبَّاء :

فإلى ابن هَمَّامِ بن مُرَّة أَصْعَدَت   ظُعُن الخَلِيط بهم فَقَلَّ زِيالُها

---

(١) مزيل : فى غ (بيروت) مربذ أى خفيف القوائم فى المشى . والأنسب إلى مخلط ما هنا ، يقال فرس مخاط مزيل : يخالط ألوان الجرى ويزايلها ولا يكون ذلك إلا من فراهته ــ مطرح : بعيد طويل ــ سبوح : حسن مد اليدين فى الجرى ــ خروج : طويلة العنق تغتال كل عنان .

(٢) السلهب والشرحب : الطويلة ــ السراة : الظهر ــ دموج : تداخل واستحكام .

(٣) وعليه اقتصر الآمدى فى المؤتلف والمختلف : ١٦٦ .

(٤) السنة : الشدة والقحط .

أنعمتَ نعمة ماجدٍ ذى مِنَّةٍ نُصِبَت عليه(1) من العُلَا أظلالُها
وجعلتنا دونَ الوَلِىّ فأصبحَت زَبَّاء مُنْقَطِماً إليك عِقالُها

كانت إياد تفخر على العرب تقول : مِنّا أَجْوَد العرب كَعْبُ بن مامة ، ومِنّا أشعر العرب أبو دُوَاد ، ومِنّا أَنكح الناس ابن أَلْغَز . وكان ابن أَلْغَز أَيِّرا فكان إذا أنعظ احتكت الفِصال بأيره وكان فى إياد امرأة تستصغر أيور الرجال فجامعها ابن أَلْغَز ، فلما أُولِجه فيها قالت : يا معشر إياد أبالرُّكَب تجامعون النساء ؟ قال : فأشار بيده إلى السُّهَا . فقال : ما هذا ؟ فقالت وهى لا تعقل : هذا القمر . فضربت العرب بها المَثَل : أريها السُّها وتُرِينى القَمَرَ(2) .

كان الحجّاج منع من ذَبْح البقر خوفا من قلّة العمارة فى السواد فقيل :

شكوتُ إليه خَرَاب السَّوادِ فَحَرَّم فينا لُحومَ البَقَرْ
فكُنَّا كمن قال مَنْ قبلنا أُرِيهَا السُّهَا وتُرِينى القَمَرْ

كان(3) أبو دُواد جارًا للمُنْذِر بن ماء السماء فنازع فى الحيرة رجلا من بهراء يقال له رَقَبة بن عامر بن كَعْب بن عَمْرو ، فقال له رقبة : صالحنى وحَالِفْنى . فقال له أبو دُواد : فمِنْ أين تعيش إياد إذاً ؟! فوالله لولا ما تُصيب من بهراء لهلكت . وانصرفا على تلك الحال . ثم إن أبا دُواد أخرج بنين له ثلاثة فى تجارة إلى الشام ، فبلغ ذلك رقبة البهرانىّ فبعث إلى قومه فأخبرهم بما قال له أبو دُواد عند المنذر ، وأخبرهم أن فى القوم ثلاثة ولد لأبى دُواد ، فلقوهم فقتلوهم وبعثوا برءوسهم إلى رقبة ، فلما أتته الرءوس صنع طعاما كثيرا ثم أتى المنذر فقال له : قد صنعت لك طعاما فأنا أحبّ أن تتغدّى عندى ، فأتاه المنذر ومعه أبو دُوَاد ، فلما رأى أبو دُوَاد رءوس بنيه الثلاثة وثب وقال

---

(1) عليه : فى غ : عليك .
(2) الميدانى : 1/196 .
(3) الخبر فى الفاخر : 84 ـ الميدانى : 1/31 .

للمنذر: أبيتَ اللعن إنّى جارك وقد ترى ماصنع بى! وكان رَقَبة أيضا جارًا للمنذر . فوقع المنذر بينهما فى سَوْءة، وأمر برقبة فحبس وقال لأبى دُوَاد: أما يرضيك توجيهى بكتيبتَىَّ: الشهباء والدَّوْسَر إليهم؟ قال: بلى: قال: قد فعلت. فوجه إليهم الكتيبتين. فلما بلغ ذلك رقبة قال لامرأته: وَيْحَكِ الحقِى بأهلك فأَنْذِريهم. فعَمَدت إلى بعض إبل زوجها فركبته، ثم خرجت حتى أتت قومها، فلما قربت منهم تعرّت من ثيابها وصاحت: أنا النذير العُريان[1]، فأرسلتها مثلا . فعرف القوم ما تريد فصعدوا إلى أعالى الشام وأقبلت الكتيبتان فلم تُصِب أحدًا منهم . فقال المنذر لأبى دُوَاد: قد رأيتَ ما كان منهم، وأنا أدِى كُلَّ ابنٍ لك بمائتى بعير، وأمر له بستمائة بعير فرضى . فقال فيه قيس بن زهير العَبْسى:

سَأَفعَل ما بَدَا لِى ثم آوِى إلى جَارٍ كجارِ أبى دُوَاد[2]

(١) للمصدران السابقات ـ اللسان: ١٩ / ٢٧٦ .
(٢) شعراء: النصرانية: ٩٣٧ ـ الميدانى ١/١٠٩ برواية:

أطوّف ما أطوّف ثم آوى

حبيب أبو تمّام الطائى *

هو أبو تمّام حبيب بن أَوْس الطائى ، من أنفس[1] طَيِّئ صليبة[2] . مولده ومنشؤه بناحية مَنْبِج بقرية يقال لها جاسم بناحية دمشق .

شاعر مطبوع لطيف الفِطنة دقيق المعانى ، غَوّاص على ما يستصعب منها ويعسر متناوله على غيره ، وله مذهب فى المطابق[3] وهو كالسابق إليه جميع الشعراء ، وإن كانوا فتحوه قبله ، وقالوا القليل منه ، فإن له فضل الإكثار فيه والسلوك فى جميع طُرُقه . والسليم من شعره النادر شىء لا يتعلّق به أحد ، وله أشياء متوسطة ، ورديئه[4] رذل جدا .

قال أبو الفرج الأصبهانى : وفى عصرنا هذا من يتعصّب له فيفرط حتى يفضّله على كل سالف وخالف . وأقوام يتعمدون الردىء من شعره فينشرونه ويَطْوون محاسنه ، ويستعملون القِحَة والمكابرة فى ذلك ليقول الجاهل بهم: إنهم لم يبلغوا علم هذا وتمييزه إلا بأدب فاضل وعلم ثاقب ، وهذا مما يتكسّب به كثير من أهل هذا الدهر ، ويجعلونه وما يجرى مجراه من ثَلْب الناس وطَلَب معايبهم سببا للترفّع وطلبا للرياسة . وليست إساءة من أساء فى القليل وأحسن فى الكثير مسقطة إحسانه ، ولو كثرت

---

* الأغانى (بولاق) : ١٥/٩٩ ـ الأغانى (بيروت) : ١٦/٣٠٣ـ٣١٨ ـ تجريد الأغانى : ١٧٨٢ ـ ١٧٨٧ ـ تاريخ بغداد : ٨/٢٤٨ ـ طبقات ابن المعتز : ٢٨٣ـ٢٨٧ ـ شذرات الذهب : ٣/٧٣ . أخبار أبى تمام للصولى ـ هبة الأيام .

(١) فى غ : نفس .

(٢) صليبة : خالص النسب .

(٣) المطابق : فى غ : المطابقة وهى : الجمع بين الضدين أو اشتراك المعنيين فى لفظ واحد .

(٤) ورديئه رذل : فى غ: ورديئة رذلة .

إساءته ثم أحسن لم يُقل له عند الإحسان أسأت ولا عند الصواب أخطأت ؛ والتوسط في كل شيء أجمل.

روى بعض[1] الشعراء : أن[2] أبا تمّام أنشده قصيدة له أحسن في جميعها إلا في بيت واحد منها ، فقال له : يا أبا تمام لو ألغيت هذا البيت ما كان في قصيدتك عيب فقال له : أنا والله أعلم منه مثل ما تعلم ، ولكن مَثَلُ شعر الرجل عنده كَمَثَلِ أولاده ، فيهم الجميل والقبيح والرشيد والساقط ، وكلّهم حلو في نفسه ، فهو وإن أحبّ الفاضل لم يبغض الناقص ، وإنْ هَوِيَ بقاء المتقدّم لم يَهْوَ موتَ المتأخر .

واعتذاره بهذا ضدّ ما وصف به نفسه في مدح الواثق[3] حيث يقول :

جاءتك من نَظْمِ اللّسان وصَوْغِه[4] ... سِمطان فيها اللؤلؤ المكنونُ

أَحْذَاكها صَنَعُ الضمير يَمُدُّه ... جَفْرٌ إذا نضب الكلامُ مَعِينُ[5]

ويُسيء بالإحسان ظَنًّا لا كَمَنْ ... هو بابْنِه وبشِعْرِه مفتونُ

فلو كان يسيء بالإساءة ظنًّا ولا يفتتن بشعره كنّا في غِنًى من الاعتذار له .

وقد قضى جماعة من الرؤساء والكبراء وأكثر الرواة الاحتجاج له وعليه .

قال محمد بن عبد الملك الزيات : أشعر الناس طرًّا الذي يقول :

وما أُبالِي وخَيْرُ القولِ أَصْدَقُه ... حَقَنْتَ لي ماءَ وَجْهِي أو حَقَنْتَ دَمِي[6]

---

(١) هو محمد بن يعقوب الواسطي المعروف بمثقال (أخبار أبي تمام ومعجم الشعراء : ٤٠٣) .

(٢) أخبار أبي تمام : ١١٤ .

(٣) الديوان : ٣٣٠، ٣٣١ .

(٤) وصوغه : في غ و أخبار أبي تمام : قلادة .

(٥) أحذاكها: في غ : أهداكها ـ صنع الضمير : في غ: صنع اللسان ـ الجفر: البئر الواسعة ـ معين : غزير يجري على الأرض .

(٦) الديوان : ٢٩٠ من قصيدة بها يمدح أبا سعيد أولها :

أبا سعيد وما وصفي بمتهم ... على المعالي وما شكري بمخترم

قال الراوى: فأحببت أنْ أستَثْبِت إبراهيمَ بن العباس، وكان فى نفسى أعلم من محمد بن عبد الملك وآدب، فجلست إليه وكنت أجرى عنده مجرَى الولد، وقلت له: مَنْ أشعرُ أهل زماننا هذا؟ فقال: الذى يقول[1]:

مَطَرٌ أبوكَ أبو أهِلَّــــة وائلٍ ملأَ البسيطةَ عُــدَّةً وعَدِيدَا

نَسَبٌ كأنّ عليه من شَمْسِ الضُحَى نوراً ومِنْ فَلَقِ الصَّبَاحِ عَمُودَا

وَرِثُوا الأبوّةَ والحظوظَ فأصْبَحُوا جَمَعُوا جُدوداً[2] فى المُلا وجُدوداً

فاتّفقا على أن أبا تمام أشْعَر أهل زمانه.

قال محمد بن يزيد النحوى: قدم[3] عُمارة بن عَقِيل[4] بن بِلال بن جَرِير إلى بغداد فاجتمع الناس إليه يكتبون شعره وشعر أبيه، وعرضوا عليه الأشعار، فقال بعضهم: هاهنا شاعر يزعم قوم أنه أشعر الناس طُرًّا، ويزعم غيرهم ضد ذلك، فقال: أنشدونى له، فأنشدوه قوله[5]:

غَدَتْ تَسْتَجِيرُ الدمعَ خوفَ نَوَى غَدِ وعاد قَتاداً[6] عندها كُلُّ مَرْقَدِ

وأنقذَها من غَمْرةِ الموت أنّــهُ صُدودُ فِــراقٍ لا صُدود تَعَمُّدِ

وأجرى لها الإشفاقُ دمعاً موَرَّداً من الدَّمِ يجرِى فوق خَدٍّ مُوَرَّدِ

هى البــدرُ يُغنِيها تودد وَجْهِها إلى كل من لَاقَتْ وإن لم تَوَدَّدِ

ثم قطع المنشد. فقال له عمارة: يا هذا زِدْنا من هذا، فوصل نشيده فقال:

ولـكنّنى لم أحْوِ وَفْراً[7] مجمَّعاً ففزتُ بــه إلا بشَمْلٍ مُبَدَّدِ

---

(١) الديوان: ٨٨–٨٩.

(٢) الجدود: الأجداد – الجدود: الحظوظ.

(٣) الخبر فى أخبار أبى تمام: ٥٩ – تهذيب ابن عساكر: ٤: ٢٢، ٢٣

(٤) عمارة بن عقيل: شاعر متقدم فصيح كان النحويون بالبصرة يأخذون عنه اللغة (الأغانى).

(٥) الديوان: ١٠٠.

(٦) القتاد: شجر صلب له شوك.

(٧) الوفر: المال الكثير.

ولم تُعطِنى الأيامُ نَوْماً مسكّناً ألَذُّ بـــه إلا بنَوْمٍ مُشَرَّدِ

فقال عُمارة : لله درّه ، لقد تقدّم فى هذا المعنى مَنْ سبقه إليه على كثرة القول فيه ، حتى لقد حبّب إلىّ الاغتراب . هِيْه ! فأنشده :

وطُولُ مقام المرء فى الحىِّ مُخلِقٌ لديباَجَتَيْه فاغْــتَرِبْ تَتَجَدَّدِ

فإنّى رأيتُ الشمسَ زِيدت محبَّةً إلى الناس أنْ ليست عليهم بسَرْمَدِ

فقال عمارة : كَمُل والله ، وإن كان الشعر بجودة الألفاظ وحُسن المعانى واطّراد المراد واستواء الكلام ، فإن صاحبكم هذا أشعر الناس!!

وصف[1] على بن الجهم أبا تمام وفَضَّله وبالغ ، فقال له رجل : والله لو كان أبو تمامٍ أخاك ما زدتَ على هذا ! فقال : إن لم يكن أخًا لى فى النسب فإنه أخٌ لى بالأدب والمودَّة ! أمَا سمعتَ ما خاطبنى به حيثُ يقول[2] :

إن يُكْدِ مُطَّرِف الإخاء فإننا نَغْدُو ونَسْرِى فى إخاء تالدِ[3]

أو يَخْتَلِف ماء الوِصال فماؤُنا عَذْبٌ تَحَدَّرَ من غَمامٍ واحدِ

أوْ يفتَرِقْ نَسَبٌ يؤلِّف بيننا أَدَبٌ أَقَمْنَاهُ مقام الوَالِدِ

جرى[4] فى حَلْقة دِعْبِل ذكر أبى تمام . فقال دِعْبل : كان يتتبع معانىّ فيأخذها فقال له رجل فى المجلس : وأىّ شىء من ذلك أعزّك الله ؟ ! قال : قلت :

وإنَّ امرأً أَسدَى إلىَّ بشافِعٍ إليه ويرجو الشُّكْرَ منّى لَأَحْمَقُ

شَفِيعَك فاشكُرْ فى الحوائج إنّه يصونك عن مكرُوهها وهو يَخْلُقُ

---

(١) أخبار أبى تمام : ٦١ ، ٦٢ .

(٢) الديوان : ٨٦ من قصيدة أولها :

هى فرقة من صاحب لك ماجد فغدًا إذابة كل دمع جامـــد

(٣) يكد : يقل خيره أو ينقطع — المطرف : المستحدث — التالد : القديم .

(٤) أخبار أبى تمـام : ٦٣ ، ٦٤ .

فقال الرجل : فكيف قال أبو تمام ؟ فقال : قال[1] :

فَلَقِيتُ بين يدَيْكَ حُلْوَ عطائِه ولَقِيتَ بين يَدَيْه[2] مُرَّ سُؤالِهِ
وإذا[3] امرؤ أَسْدَى إليك صَنِيعَةً من جاهِهِ فكأَنَّها من مالِهِ

فقال الرجل : أحسنَ واللّه . فقال : كذبت قبّحك الله ، فقال : والله إن كان أخذه منك لقد أجاد فصار به أَوْلَى منك ، وإن كنت أَخذتَه منه لمَا بلَغْتَ مبلَغَه ! فغضب دِعْبل وانصرف .

قال إبراهيم بن العبّاس[4] : ما اتّكلت فى مكاتباتى قط إلا على ما جاش به صدرى وجلبه خاطرى ، إلا أنّى استحسنتُ قولَ أبى تمام[5] :

فإن باشر الإصحارَ فالبِيضُ والقَنا قِراه وأحواضُ المنـايا مناهلُه[6]
وإن يَبْنِ حِيطاناً عليـه فإنّما أولئك عُقّـالاتُه لا معاقلُه[7]
وإلّا فأَعلِمْه بأنّك ساخِطٌ عليه فإن الخوفَ لا شكَّ قاتلُهْ

فأخذت هـذا المعنى فى بعض رسائلى فقلت : فصار ما كان يُحْرِزُهم يُبْرِزهم ، وما كان يَعْقِلهم يعتَقِلهم .

---

(١) الديوان : ٢٤٠ من قصيدة أولها :

إن الأمير بلاك فى أحواله فرآك أهزعه غداة وصاله

[أهزعه : ذخره] .

(٢) فى غ : يديك . وفى الديوان : يدى .

(٣) فى ت : وإن .

(٤) أخبار أبى تمام .

(٥) الديوان : ٢٣١ من قصيدة أولها :

أجل أيها الربع الذى خف آهله لقد أدركت فيك النوى ما تحاوله

(٦) الإصحار : المكاشفة وأصله أن يبرز لعدوه فى الصحراء ـ قراه : ضيافته .

(٧) عقالاته : قيوده ـ معاقله : ملاجئه وحصونه .

ولم يكن أحدٌ من الشعراء يقدر أن يأخذ دِرْهما بالشعر في حياة أبي تمام ، فلما مات اقتسم الشعراء ما كان يأخذه .

لما قدم[1] أبو تمام إلى خُراسان اجتمع إليه الشعراء وسألوه أن ينشدهم فقال : قد وعدني الأمير عبدالله بن طاهر أن أنشده غداً وستسمعونني ، فلما دخل على عبدالله ابن طاهر أنشده :

هُنَّ عَوَادِي يُوسُفٍ وصواحِبُه فعزْماً فقِدْماً أدركَ السُّؤْلَ طَالِبُه[2]

فلما بلغ إلى قوله :

ورَكْبٍ كأطراف الأَسِنَّة عَرَّسُوا على مثلها واللَّيْلُ يَدْجُو غياهِبُهْ

لأَمرٍ عليهم قد تَتِمُّ صُدُورُه وليس عليهم أَن تَتِمَّ عواقِبُهْ

صاح الشعراء بالأمير : ما يستحق مثل هذا الشعر غير الأمير أعزه الله تعالى ! وقال شاعر يعرف بالرياحي : لي عند الأمير جائزة وعدني بها وقد جعلتُها لهذا الرجل جزاء على مدحه[3] الأمير . فقال : بل نُضْعِفُها لك ونقوم له بما يجب علينا . فلما فرغ من القصيدة نثر عليه ألف دينار فلقطها الغِلمان ولم يمسَّ منها شيئا ، فوَجَد عليه عبدُ الله وقال : ترفَّع عن بِرى وتهاون بما أكرمتُه به . فلم يبلغ ما أراده منه بعد ذلك. قال : فكان يبعث إليه بالشىء بعد الشىء كالقُوت . وقال قصيدته التي أولها[4] :

لم يَبْقَ للصَّيْف لا رَسْمٌ ولا طَلَلُ ولا قَشِيبٌ فَيُسْتَكْسَى ولا سَمَلُ

فبلغت[5] الأبيات أبا العَمَيْثَل شاعر آل طاهر فأتى أبا تمّام واعتذر إليه لعبد الله بن طاهر وعاتبه على ما عتب عليه من أجله ، وتضمّن له ما يحبُّه عنه .

---

(١) أخبار أبي تمام : ١١٥–١١٧ .

(٢) الديوان : ٤٣ والرواية فيه : أهن .

(٣) في غ : قوله .

(٤) الديوان : ٤٢٢ .

(٥) أخبار أبي تمام : ٢١٢ .

ثم قال لعبد الله بن طاهر : أيها الأمير أتتهاون بمثل أبي تمام وتجفوه ؟! فوالله لو لم يكن له من النباهة في قدره والإحسان في شعره والشائع من ذكره ما له لكان للخوف من شرّه والتوقّي لذمّه على مثلك رعايته فيه ، ومراقبته من أجله ، فكيف وله بنزوعه إليك عن الوطن ، وفراقه للسكن ، عاقداً بك أمله ، مُعْمِلًا إليك ركائبَه ، مُتعِباً فيك فكره وجسمه ، ما يُلزمك قضاء حقّه حتى ينصرف راضيا ، ولو لم يأتِ بفائدة ولا سُمِعَ منه فيك ما سُمِع ، فكيف أيها الأمير وهو القائل[1] :

يَقُولُ فى قُومَسٍ صَحْبِي وقد أخذت ... مِنَّا السُّرَى وخُطَى المَهْرِيَّةِ القُودِ[2]

أَمَطْلَعَ الشمسِ تنوِى أَنْ تَؤُمَّ بنا ... فقلت : كَلَّا ولكِنْ مَطْلَعَ الجودِ

فقال عبد الله : لقد نبَّهتَ فأحسنتَ وأَجْمَلْتَ ، وشفعت فلطفت ، وعاتبتَ فأَوْجَعْتَ ، ولك ولأبي تمام العُتْبَى ، أُدْعُه يا غلام ! فدُعِيَ لديه فنادمه يومَه ، وأمر له بألفي دينار وما يحمله من الظهر ، وخَلَع عليه خلعة من ثيابه .

قال جابر الكَرْخي : حضرت أبا دُلَفٍ القاسم بن عيسى العِجْلي وعنده أبو تمّامٍ وقد أنشده قصيدته[3] :

عَلَى مِثْلِها من أَرْبُعٍ ومَلاعِبِ ... أُذِيلَتْ مَصُوناتُ الدُّموعِ السَّوَاكِبِ

فلما بلغ إلى قوله :

إذا افتخَرت يَوْماً تميمٌ بقَوْسِها[4] ... وزادت على ما وَطَّدَتْ من مَناقِبِ

فأَنتم بذى قارٍ[5] أَمالَت سُيُوفُكم ... رُءوسَ الَّذِينَ استَرْهَنُوا قَوْسَ حاجِبِ

---

(١) البيتان من قصيدة فى الديوان : ١٣٦ ــ هبة الأيام : ١٣٧ .

(٢) قومس : صقع كبير بين خراسان وبلاد الجبل ــ المهرية نسبة إلى مهرة بن حيدان ، حى تنسب إليه الإبل ــ القود : جمع قوداء أو أقود وهو الذلول المنقاد أو الشديد العنق .

(٣) الديوان : ٤٠ ــ هبة الأيام : ١١٤ .

(٤) قوس تميم : هى القوس التى رهنها حاجب بن زرارة ضمانا لعهده فوفى بها .

(٥) ذى قار : يوم من أيام العرب انتصر فيها بنو شيبان ومعهم بنو عجل على الفرس .

مَحاسِنُ من مَجْدٍ مَتَى تَقْرِنُوا بها   مَحاسِنَ أَقوامٍ تَكُنْ كالمَعائِبِ

فقال أبو دُلَف : يا معشر رَبيعة ، ما مُدِحتم بمثل هذا الشِّعر قط ، فما عِنْدكم لقائله ؟ فبادروه بِعطارِفهم يرمونها إليه . فقال أبو دُلَف : قد قَبِلَهَا وأَعَارَكُم لُبْسَهَا . وسأنوبُ عنكم فى ثَوابه . تمِّمِ القصيدة يا أبا تمَّام ! فأتمَّها فأمر له بخمسين ألف دِرْهم، وقال: واللهِ ماهى بإزاء استحقاقك وقدرك فأَعْذِرْنا فشكره . وقام ليقبِّل يَدَه فحلف ألَّا يفعل ، ثم قال له : أَنْشِدْنا قولك فى محمد بن حُمَيْد فأنشده[1] :

وما ماتَ حَتَّى مات مَضْرِبُ سَيْفِهِ   من الضَّرْبِ واعتَلَّت عليه القَنا السُّمْرُ
وقد كان فَوْتُ الموت سَهْلًا فرَدَّه   إليه الحِفاظُ المُرُّ والخُلُق الوَعْرُ
فأثبت فى مُسْتَنْقَعِ المَوْتِ رِجْلَه   وقال لها : مِنْ تَحْتِ أَخْمُصِك الحَشْرُ
غَدا غَدْوَةً والحمدُ حَشْوُ رِدائه   فلم يَنْصَرِفْ إلَّا وأَكفانُه الأَجْرُ
كأنَّ بنى نَبْهانَ يومَ مُصابِه   نُجُومُ سماء خَرَّ من بينها البَدْرُ
يُعَزَّوْن عن ثاوٍ تُعَزَّى به العُلَا   ويَبْكِى عليه البَأْسُ والجودُ والشِّعْرُ

فلما فرغ منها قال : وددت والله لو أنها فىّ وأنا الميّت . فقال : بل أَفْدِى الأمير بنفسى وأهلى وأكون المقدَّم قبله . فقال : إنّه لم يمت من رُثِىَ بهذا الشعر .

قال الواثق لأحمد بن أبى دؤاد[2] : بلغنى أنك أعطيت أبا تمام الطائى على قصيدة مدحك بها ألفَ دينار . قال: لم أفعل ذلك ياأمير المؤمنين ، ولكننى أعطيته خمسمائة دينار رعاية للذى قاله فى المعتصم[3] :

فأَشْدُدْ بهارونَ الخلافةَ إنّه   سَكَنٌ لوحْشَتِها ودارُ قَرار

(١) الديوان : ٢٦٩ — هبة الأيام : ١٤٤، ١٤٥ .
(٢) أخبار أبى تمام : ١٤٤، ١٤٥ .
(٣) الديوان : ١٥٥ من قصيدة أولها :

الحق أبلجُ والسيوف عوارٍ   فحذار من أسد العرين حذار

ولقد علمتُ بأنّ ذلك مِعْصَمٌ ما كنت تتركه بغـير سِوارِ

فتبسّم وقال : إنك حقيق بذلك .

خرج(١) أبو تمّام إلى خالد بن يزيد بن مَزْيَد وهو بأرمينيّة فامتدحه فأعطاه عشرة آلاف درهم ونفقة لسفره وقال : تـكون العشرة آلاف موفّرة(٢) عليك . فإن أردت الخروج فعجّل ، وإن أردت المُقام عندنا فلك الحِباء والـكرامة . قال : بل أشخص . فودّعه ، ومضت أيام فركب خالد بن يزيد يتصيّد فرآه تحت شجرة وبين يديه زُكْرَة(٣) فيها شراب وغُلام يغنّيه بالطُّنبور . فقال له : أبو تمام ! فقال : خادمك وعبدك . فقال : ما فعل المال ؟ قال :

علّمني جُودُكَ السَّماح فما أبْـ ـقَيْتُ شيئاً لدىَّ من صِلَتِكْ

ما مرَّ شهرٌ حتى سَمَحْتُ بـه كأنّ لى قُدْرةً كمَقْدِرَتِكْ

تُنْفقُ فى اليوم بالهِبات وفى الســـاعة ما تَجْتَنِيهِ فى سَنَتِكْ

فلست تدرى(٤) من أيْنَ تُنفِقُ لَوْ لا أنَّ رَبِّى يَزِيدُ فى هِبَتِكْ

فأمر له بعشرة آلاف درهم أخرى .

حدَّث(٥) أبو عبد الله محمد بن سعد الرقِّى وكان يكتب للحسن بن رجاء قال : قدم أبو تمام مادحا للحسن ، فرأيت رجلا عقلُه وعِلْمُه فوق شعره . فاستنشده الحسن ونحن على نبيذ قصيدته اللامية ، التى امتدحه بها ، فلما انتهى إلى قوله(٦) :

---

(١) أخبار أبى تمام : ١٥٨ .

(٢) فى غ : موفورة .

(٣) زكرة : زقيق للماء والخمر وفى ت : ركوة .

(٤) فى غ : أدرى .

(٥) أخبار أبى تمام : ١٦٧—١٧٠ .

(٦) الديوان : ٢٤٦ .

أنامن[1] عرفتَ فإنْ عَرَتْك جهالةٌ فأنا المُقيم قِيامةَ العُذّال
عادت له أيامُـــه مسودّةً حتى توهَّم أنهنَّ ليالِ

فقال له الحسن : لا تسوَدُّ عليك بعد اليوم . فلما قال :

لا تُنْكِرِى عَطَلَ الكريم من الغنَى فالسَّيْلُ حربٌ للمكانِ العالِي
وتَنَظَّرِى خَبَبَ[2] الركابِ يؤمُّها[3] مُحْيِي القَرِيض إلى مُمِيتِ المَالِ

قام الحسن بن رجاء على رجليه وقال : والله لا أتممتها إلّا وأنا قائم. فقام أبو تمّام لقيامه وقال :

لمّا بلغنا[4] ساحةَ الحسن انقضَى عَنَّا تَمَلُّكُ[5] دولة الإمحالِ
بَسط[6] الرجاءُ لنا برغْم نوائبٍ كَثُرتْ بهنّ مصارِع الآمالِ
أغلَى عذارَى الشِّعر إنَّ مهورَها عند الكِرام وإنْ[7] رَخُصْن غَوالِ
تَرِد[8] الظنون بـه على تصديقِها ويُحَكِّم الآمالَ فى الأموالِ
أضحَى سمِىُّ أبيك فيك مُصَدَّقا بأجل فائــــدةٍ وأيْمَن[9] فَالِ[10]
ورأيتَنِى فسألتَ نفسَك سَيْبَها لى ثُمَّ جُدْتَ وما انتظرتَ سُؤالِى[11]

---

(١) فى الديوان والأخبار : ذو عرفت . وذو بمعنى الذى فى لغة طيء .

(٢) فى غ : حيث الركاب .

(٣) فى الديوان والأخبار : ينصها .

(٤) فى الديوان : وردنا .

(٥) فى الديوان : تعجرف .

(٦) فى الديوان : أحيا .

(٧) فى الديوان والأخبار : إذا .

(٨) فى غ : ترنو .

(٩) فى الديوان : وأصدق .

(١٠) فال : أصله فأل وأكثر ما يستعمل فى الخير — وسمى أبيه : يريد : الرجاء .

(١١) فى غ : زيادة بيت .

فتعانقا وجلسا . فقال له الحسن : ما أحسن ما جَلَوْتَ به هذه العروس . فقال : لو كانت من الحور العين لـكان قِيامك لها أَوْفَى مهورها . فأقام شهرين فأخذ على يدىّ عشرة آلاف درهم ، وأخذ غير ذلك على غير يدى مِمّا لم أعلم به ، على بُخْلٍ كان فى الحسن بن رَجاء .

قال الحسن[1] بن وَداع كاتب الحسن بن رجاء : حضرتُ أبا الحسين محمد بن الهيثم بالجبل وأبو تمام ينشده[2] :

أسْقَى بلادَهُم[3] أجَشّ هَزِيم وغَدَتْ عليهم نَضْرَةٌ ونَعِيمُ

فلمّا فرغ أمر له بألف دينار وخلع عليه خلعة سنية[4] . وأقمنا يومنا . فلما كان من الغد كتب إليه أبو تمام بقوله :

قد كَسانا من كُسْوَةِ الصيفِ خِرْقٌ[5] مُكْتَسٍ من مكارِمٍ ومَساعى
حُلَّةً سابِرِيَّةً ورداء كسحَا القَيْضِ أَوْ رداء الشُّجاع[6]
كالسَّرابِ الرَّقراق[7] فى الحسْن[8] إلّا أنَّه ليس مِثْلَه فى الخِداعِ
خلعة[9] من أَغرَّ أَرْوَعَ رَحْبِ الصَّـ ـدْرِ رحْبِ الفؤاد رحبِ الباعِ[10]

---

(١) فى الأخبار للصولى : الحسين بن وداع .

(٢) الديوان : ٢٩٩ .

(٣) فى الديوان : طلولهم .

(٤) فى غ : حسنة .

(٥) الخرق : السخى الكريم .

(٦) السابرية : الرقيقة — سحا القيض ، ما تحت القيض وهو القشرة الأعلى من البيضة . ورداء الشجاع : سلخه . والشجاع : الحية .

(٧) الرقراق: فى ك: الدقاق والتصويب من غ — وبعد هذا البيت أربعة أبيات فى غ .

(٨) الحسن : فى الديوان : النعت .

(٩) فى الديوان : حلة .

(١٠) فى الأخبار: الذراع.

سوف أكسوك ما يُعَفِّى عليها من ثَنَاء كالبُرْدِ بُرْد الصَّنَاعِ
حُسنُ هاتِيك فى العُيون وهذا حُسْنُه فى القُلوب والأَسْمَاع

فقال محمد بن الهيثم : مَن لا يُعْطِى [على][1] هذا مِلْكه كلّه ؟! والله لا بَقِى فى دارى ثوب إلّا دفعته لأبى تمّام . فأمر له بكل ثوب كان يملكه فى ذلك الوقت .

قال ميمون بن إبراهيم : مَرّ أبو تمام بمخنث يقول لآخر : جئتك أمس فاحتَجَبْتَ عَنِّى . فقال له : السماء إذا احتَجَبَت بالغيم رُجِّىَ خَيْرُها . فتبيّنت فى وجه أبى تمام أنه أخذ المعنى لينظمه فى شعره ، فما لبثنا إلا أياما حتى أنشدنا قوله[2] :

ليس الحِجابُ بِمُقْصٍ عنكَ لى أَمَلًا إنّ السماءَ تُرَجَّى حين تَحْتَجِب

كان أبو تمام[3] يتعشّق غلاما خَزَرِيًّا للحسن بن وهب ، وكان الحسن يتعشّق غلاما روميا لأبى تمام ، فرآه أبو تمام يوما يعبث بغلامه ، فقال له : والله لئن أَعْنَقْتَ إلى الروم لنركضنّ إلى الخَزَر . فقال له الحسن : لو شئت حكّمتنا أواحتكمت . فقال له أبو تمام : أنا أُشبِّهك بداود عليه السلام وأُشبِّه نفسى بخَصْمه . فقال له الحسن: لو كان هذا منظوما خِفْناه[4] فأما وهو منثور فلا ، لأنه عارض لا حقيقة له. فقال أبو تمام[5] :

أبا عَلِىٍّ لِصَرْفِ الدهر والغِيَرِ وللحَوادِث والأيامِ والعِبَرِ
أذكرتَنى أمرَ داوُدٍ وكُنْتَ فَتًى مُصَرَّفَ القلب فى الأهواء والفِكَر[6]

(١) زيادة من غ يقتضيها النص .

(٢) الديوان : ٢٢ من قصيدة أولها :

صبرا على المطل ما لم يتله الكذب فللخطوب إذا سامحتها عقب

(٣) أخبار أبى تمام : ١٩٤ـ١٩٦ .

(٤) خفناه : فى ترجمة الحسن بن وهب غ (بيروت): ٢٢/٥٤٨ : حفظناه .

(٥) الديوان : ٤٠٠ باختلاف فىالترتيب. فوات الوفيات : ١١/١٣٢ هبة الأيام : ٥٩ .

(٦) فى الأخبار : والذكر .

أعندكَ الشمسُ لم يحظَ المَغيبُ بها ... وأَنتَ مُضْطَرِب الأحشاء للقمَرِ[١]

إن أَنتَ لم تترك السيرَ الحثيث إلى ... جآذِرِ الرُّوم أَعنقْنا إلى الخَزَرِ

سبحان مَن سَبَّحَتْه كلّ جارحة ... ما فيك من طَمَحات الأيْرِ والنَّظَرِ[٢]

أنت المقيمُ فما تغــدو رواحِلُه ... وأيرُه[٣] أبداً منــه على سفر

إنّ الغزال[٤] له متى محلُّ[٥] هوًى ... يحلُّ متى محلّ السمعِ والبَصَرِ

ورُبّ امنع منه صاحباً[٦] وحِمًى ... أَمسَى وتِـكّتُه[٧] منه على خَطَرِ

جَرَّدتُ فيه جنودالعزْمِ فانـكَشَفَتْ ... عنه غيابتها عن نَبْـكَةٍ[٨] هَدَرِ[٩]

قال محمد بن إسحاق[١٠] : قلت لأبى تمّام : غلامك أطوعُ للحَسَن من غلام الحسن لك . قال : أَجَلْ والله ، غُلامى يجد عند الحَسَن مالّا وأنا أعْطِى غلام الحسن قِيلًا وقَالا .

مات لعبد الله بن طاهر ابنان صغيران فى يومٍ واحد ، فدخل عليه أبو تمّام فأنشده[١١] :

---

(١) لم يحظ المغيب بها : فى الديوان : قد راقت محاسنها ــ للقمر فى الأخبار بالقمر ــ وأنت مضطرب فى الديوان : مشتعل .

(٢) الرواية فى الديوان : ما فيك من طمحان العين بالنظر .

(٣) فى الديوان . وفعله .

(٤) فى الديوان : النفور وفى الأخبار : القطوب .

(٥) فى الديوان : مقر .

(٦) فى الديوان : جانبا .

(٧) وتـكته منه : فى غ : ولـكنه منى .

(٨) نبـكة (بالباء الموحدة) : الأكمة المحددة الرأس أو التل الصغير ــ ويمـكن قراءتها بالياء وفى الديوان : الفجور .

(٩) هدر : باطل .

(١٠) ليس فى غ : وفى أخبار أبى تمام : ١٩٦ .

(١١) الديوان : ٣٧٩ .

ما زالت الأيّام تُخْبِرُ سائلًا | أنْ سوف تفجع مُسْهِلًا أو عاقِلًا[1]
مجْدٌ تأرَّبَ طارقاً حتى إذا | قلنا أقامَ الدهرَ أصبح راحِلَا
نَجْمانِ شاء الله ألَّا يَطْلُعا | إلّا ارْتداد الطَّرْف حتى يأْفُلَا
إنّ الفجيعة بالرِّياض نواضِرًا | لأَجَلُّ منهـا بالرِّياضِ ذوابِلَا
لو يُنْسَآن[2] لكان هذا غارِباً[3] | للمكرُمات وكان هـذا كاهِلَا
لَهفِى على تلك المَخايِل[4] منهما | لو أُمهلت حتى تكون شمائِلَا
لَغَدا سكونُهما حِجًا وصِباهُما | حِلْماً وتلك الأريحيّة نائلَا[5]
إنّ الهلالَ إذا رأيتَ نُمُوَّهُ | أيقنْتَ أن سَيَكُونُ[6] بدراً كامِلَا

---

(١) المسهل : المقيم فى السهل ـ العاقل : من امتنع فى جبل عال .

(٢) فى غ : ينسيان . وينسآن : يؤخران .

(٣) الغارب : ما يلى السنام والعنق ـ الكاهل : مقدم أعلى الظهر مما يلى العنق .

(٤) فى الديوان : الشواهد وهما بمعنى .

(٥) الحجا : العقل ـ الأريحية : الارتياح للكرم ـ النائل : العطاء .

(٦) فى الديوان : سيعود .

حاتم الطائى*

هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحَشْرج بن امرئ القيس بن عَدِىّ بن أَخْزَم . ابن أبى أخزم واسمه هَزُومة ـ وإنّما سمّى هَزُومة لأنّه شَجَّ أو شُجَّ ـ بن رَبيعة بن جَرْول ابن ثُعَل[1] بن عَمْرو بن الغوث بن طيء واسمه جُلْهُمة ـ وإنما سمّى طيئا لأنّه أوّل من طوى المناهل ـ بن أُدد بن زَيْد بن يَشْجُب بن عريب بن زيد بن كَهْلان بن سَبأ بن يَشْجُب ابن يَعْرب بن قحطان .

وكنية حاتم أَبُو سَفَّانة وأبو عَدِىّ ، كنى بذلك بابنته سَفَّانة[2] وبابنه عدىّ ، وقد أدرك الإسلام .

وأُتِىَ النبى صلى الله عليه وسلم بسفّانة فى أسرى طيء فمَنّ عليها . وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عديّا عن أبيه فقال : يا رسول الله إنّ أبى كان يَحْمِل ويُعْطِى ويُوفِى بالذِّمَّة ويأمر بمكارم الأخلاق ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّ أباك خَشَبة من خَشَب جهنم » .

رُوِى عن على رضى الله عنه أنه قال : يا سبحان الله ما أزهد كثيرا من الناس فى الخير ، عجبت لرجل يجيئه أخوه فى حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً ، فلو كنّا لا نرجو جنّة ولا نخشى نارا ولا ننتظر ثواباً ولا عقاباً . لكان ينبغى أن نطلب مكارم الأخلاق ، فإنها تدلّ على سبيل النجاة . فقام رجل فقـــال فِداك أبى وأمى يا أمير المؤمنين ، أسمعتَه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ؛ وما هو خير

---

* الأغانى (بولاق) ـ الأغانى (بيروت) : ١٧/٢٧٨ـ٣٠٤ـ ديوان حاتم (ليزج) .

(١) ليس فى غ .

(٢) سفانة : الخزانة ١/٤٩٤ (ل : سفن : ١٧/٧٣) وأصل السفانة : اللؤلؤة .

منه . لمَّا أُتينا بسبايا طيء كانت فى النساء جارية حَمَّاء[1] حوراء لَعْساء[2] لَمْياء[3] عَيْطاء[4] شماء الأنف ، معتدلة القامة ، دَرْماء[5] الكَعْبَيْن ، خَدَلَّجة[6] الساقَيْن ، لفّاء الفَخِذين ، خميصة[7] الخَصْرَين ، ظاهرة الكَشْحَيْن[8] مصقولة المَتْنَيْن[9] ، فلمّا رأيتُها أُعجِبْتُ بها ، فقلت : لأَطْلُبَنَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعلها من فيْئى . فلمّا تكلّمَتْ نسيتُ جمالها لما سمعت من فصاحتها . فقالت : يا محمّد هلك الوَالِد ، وغاب الوافد ، فإن رأيت أن تخلّىَ عنى ولا تُشْمِت بى أحياء العرب ، فإنى بنت سيّد قوى . كان أبى يفكّ العانِى ويحمى الذِّمار ، ويَقْرِى الضيف ، ويُشْبِع الجائع ، ويفرِّج عن المكروب ، ويُطْعِم الطعام ، ويُفْشى السلام ولم يردّ طالب حاجة قط ، أنا ابنة حاتم طيء . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا جاريةُ ، هذه صفة المؤمن ، لو كان أبوكِ إسلامياً لترحَّمت عليه . خَلُّوا عنها فإن أباها كان يُحِبُّ مكارم الأخلاق » .

وأمُّ حاتم غُنَيَّة[10] بنت عَفيف بن عَمْرو بن امرىء القيس بن عدىّ بن أَخْزم .

---

(١) حماء : بيضاء .

(٢) لعساء : فى شفتيها اسوداد مستحسن .

(٣) لمياء : فى باطن شفتيها سمرة مستحسنة .

(٤) عيطاء : طويلة مربعة .

(٥) درماء الكعبين ممتلئتهما .

(٦) خدلجة : ممتلئة ضخمة .

(٧) خميصة : ضامرة .

(٨) الكشح : ما بين السرة ووسط الظهر .

(٩) المتن : الظهر .

(١٠) فى ك بدون إعجام — وفى الديوان : ٤٢ : غنية — وفى شرح القاموس : وسموا غنية وغنى كسمية وسمى . وضبطه الصاغانى على فعيلة .

وكانت فى الجود بمنزلة حاتم ، أسخى[١] الناس وأقراهم للضَّيف ، لا تدّخر شيئا ولا يسألها أحد شيئا فتمنعه . وكانت ذات يسار ، فلما رأى أخوتها إتلافَها ما لَها حجروا عليها ومنعوها ما لها ، فمكثت دهرا لا يدفعون إليها شيئا حتى إذا ظنُّوا أنها وجدت ألم ذلك أعطوها صِرْمةً[٢] من إبلها ، فجاءت امرأةٌ من هَوازن كانت تأتيها فى كل سنة تسألها ، فقالت لها :دونك هذه الصِّرْمة فخذيها ، فقد مَضَّنِى الجوعُ ولا أمنع سائلا أبدا . وقالت :

لعمرى لقِدْماً عَضَّنى الجوعُ عَضَّةً ... فآلَيْتُ أن لاأَمْنَعَ الدَّهرَ جائعـاً

فقُولا لهـــذا اللَّائِمى اليومَ أَعْفِنى ... فإنْ أنتَ لم تفعلْ فَعضَّ الأصابِعـاَ

فماذا عساكم[٣] أن تقولُوا لأُخْتِكم ... سِوى عَذْلِكم أو عَذْلِ من كان مانِعاَ

وما ذا[٤] تَرَوْنَ اليومَ إلَّا طبائعاً[٥] ... فكيف بتَرْكى يا ابنَ أُمِّ الطَّبائعـا

وكانت سَفَّانة ابنته أيضا من أجود نساء العرب ، وكان أبوها يعطيها الصِّرْمَة من إبله فتعطيها الناس . فقال لها حاتم : يا بنيّة إن القرينين[٦] إذا اجتمعا فى المال أتلفـاه ، فإمَّا أنْ أُعطِىَ وتُمْسكى ، أو أُمْسِك وتُعْطى ، فإنه لا يَبْقَى على هذا شىء !

وكان حاتم من شعراء الجاهلية ، وكان جواداً أشبَه جودُه شعرَه ، ويُصَدّق قولَه فعلُه . وكان حيثما نزل عُرِف منزله .

---

(١) فى مجمع الأمثال : غنية أجود من حاتم .

(٢) صرمة من إبلها : قطعة منها .

(٣) فى الديوان : عسيتم .

(٤) فى غ : (بيروت) : وما إن ، وفى الديوان : ولا ما ترون .

(٥) فى الديوان :طبيعة .

(٦) هكذا فى غ (بولاق) وفى غ (بيروت) : القويين . وفى ديوان حاتم : السخيين إذا اجتمعا أتلفا .

وكان مظفرًا إذا قاتل غَلَب ، وإذا غَنِم أنْهَب ، وإذا سئل وَهَب ، وإذا ضرب بالقداح فاز ، وإذا سابق سبق ، وإذا أَسَر أطْلَق . وكان يُقسم بالله ألا يقتل واحدَ أُمّه . وكان إذا أهلّ الشهر الأصمّ ـ رجب ـ الذى كانت مضر تعظّمه فى الجاهلية ينحر فى كلّ يوم عشرةً من الإبل ويطعم الناس ويأتونه من كل فجّ .

وكان ممن يأتيه من الشعراء الُحطيئة وبِشْرُ بن أبى خازم .

وكانت أمّ حاتم قد أُتِيت فى المنام وهى حُبْلَى فقيل لها : أغلامٌ سَمْحٌ ، يقال له حاتم ، أحبُّ إليك أم عشرة أغلمة كالناس ، ليوثٌ ساعة البأس ، ليسوا بأوغاد ولا أنكاس . فقالت : بل حاتم . فولدت حاتما .

فلما ترعرع جعل يخرج طعامه فإن وجد من يأكل معه أكل ، وإن لم يجد من يؤاكله طرحه . فلمّا رأى أبوه أنه يُهلك طعامه قال له : الْحَقْ بالإبل . فخرج إليها ، ووهب له جارية وفرسا وفِلْوَها ، فلما أتى الإبل طَفِقَ يبغى الناس فلا يجدهم، ويأتى الطريقَ فلا يجد عليه أحداً . فبينا هو كذلك إذ بصر بركْب على الطريق فأتاهم . فقالوا : يا فتى هل من قِرًى؟ فقال : تسألونى عن القِرَى وقد ترَوْن الإبل؟! وكان الذين بصر بهم عَبيد بن الأبرَص ، وبشر بن أبى خازم ، والنابغة الذبيانى ، وكانوا يريدون النّعمان بن المنذر . فنحر لهم ثلاثة من الإبل فقال عَبيد : إنما أردنا اللّبَن ، وكان يكفينا بَكْرة إذا كنتَ لا بد متكلِّفاً لنا شيئا . فقال حاتم : قد عرفت ولكنى رأيت وجوها مختلفة ، وألوانا متفرّقة ، فعلمت أن البُلدان غيرُ واحدة . وأردت أن يذكر كلٌّ منكم ما رأى إذا أتى قومَه . فامتدحوه بأشعار وذكروا فضله . فقال حاتم : أردت أن أحسن إليكم فصار لكم الفضل علىّ ، وأنا أعاهد الله أن أضرب عراقيب إبلى عن آخرها ، أو تقوموا إليها فتقتسموها . ففعلوا فأصاب كلُّ رجلٍ تسعة[1] وثلاثين بعيرا ، ومضوا على سفرهم إلى النعمان . وسمع أبو حاتم بما فعل

---

(١) فى غ (بولاق) : تسعة وتسعين .

فأتاه فقال : أين الإبل ؟ فقال : يا أَبَهْ طوّقتُك مجدَ الدهر طوق الحمامة ، وكرما لا يزول . قال : أبإبلى فعلت هذا ؟ والله لا أساكنك أبدا . فخرج أبوه بأهله وترك حاتما ومعه جاريته وفرسه وفِلْوَها . فقال حاتم يذكر تحوّل أبيه عنه[1] :

وإنّى لعَفُّ الفقرِ مُشْتَرَكُ الغِنَى ... وتارِكُ شَكْلى لا يوافقُه شَكْلِى

وشَكْلِىَ شَكْلٌ لا يقومُ لِمثْله ... من النّاس إلّا كل ذى نِيقَةٍ[2] مثلى

وأَجعلُ مالى دون عِرْضِىَ جُنَّةً ... لنَفْسِى وأَستَغْنِى بما كان من فَضْلِ

وما ضَرَّنى أَنْ سار سَعْدٌ بأَهْلِه ... وأَفْرَدَنى فى الدّارِ ليس معى أهلى

سيكفى ابتنائى المجد سَعْدَ بنَ حَشرج ... وأَحمل عنكم كلّ ما آد من ثقل[3]

ولى مع بذل المال والمجد صولة ... إذا الحرب أبدت عن نواجذها العُصْل[4]

وقيل : إن هذا الحديث كان مع جدّه ، وإن أباه هلك وحاتم صغير ، وبقى فى حجر جده سعد ، والشعر يشهد بذلك . فلما فتح يده بالعطاء ضيّق عليه سعد ورحل بأهله وخلّفه فى داره .

قيل : بينا حاتم نائما يوما فى منزله بعد أن أنهب ماله ووهبه إذِ انتبه وإذا حوله مائتا بعيرٍ أو نحوها تجول ويَحْطِم[5] بعضُها بعضا فساقها إلى بيته ، فقالوا : يا حاتم أبقِ على نَفْسك فقد رزقت مالًا ولا تعودَنَّ إلى ما كنتَ عليه من الإسراف. قال : فإنّها نُهْبَى بينكم . فانتُهِبت ، فأنشأ حاتم يقول :

---

(١) الديوان : ٦ .

(٢) فى الديوان : خلق — والنيقة : التجود فى الملبس والمطعم والأمور وهو اسم .

(٣) فى غ : ثقل . وفى الديوان : كل ما حل من أزل .

(٤) العصل : جمع أعصل وهو الناب المعوج .

(٥) يحطم : يزاحم .

تداركني جَـدّي بسَفْح متالع فلا ييأسن ذُو نومة[1] أن يغنَّما

ولم يزل حاتم على حاله من إطعام الطعام وإنهاب المال حتى مضى لسبيله .

مر رجل[2] يقال له أبو الخَيْبَرىّ فى نفر من قومه على قبر حاتم وحوله أنصابٌ متقابلات من حجارة كأنهن نساء نوائح[3] فنزلوا به وبات ليلته كلّهـا يُنادِى يا أبا سفّانة[4] اقرِ أضيافَك ! فيقال له : مهلا ما تُـكلّم من رِمّة بالية ! فقال : إن طيئا يزعمون أنه لم ينزل به أحد إلّا قراه . قال : فلما كان فى آخر الليل نام أبوالخيبرى، فلما كان فى السحر وثب فجعل يصيح : وَاراحِلَتاه واراحلتاه ! فقال له أصحابه : مالَكَ ؟ قال : خرج والله حاتم بالسيف وأنا أنظر إليه حتى عقر ناقتى ! فقالوا : كذبت. قال: بَلَى والله فانظروا، فنظروا إلى راحلته فإذا هى مختزلة ماتنبعث. فقالوا : قد والله قَراكَ . فنحروها وظلّوا يأكلون من لحمها ، ثم أردفوه وانطلقوا ، وساروا ما شاء الله ، ثم نظروا إلى راكب فإذا هو عدىّ بن حاتم ، راكب[5] وقارنٌ جملا أسود ، فلحقهم فقال : أيكم أبو الخيبرىّ ؟ قالوا : هو ذا . قال : جاءنى أبى فى النوم فذكر لى شتمك إيّاه ، وأنه قرى راحلتك أصحابك ، وقد قال فى ذلك أبياتا ردّدها علىّ حتى حفظتها وهى :

أبا خَيْبَرِىٍّ وأنت امرُؤٌ ظَلُوم[6] العَشِيرة شَتَّامُها

فماذا أردتَ إلى رِمَّـةٍ بداوِيَّةٍ صَخِبٍ هامُها

تبَغِّى أذاهـا وإعسارها وحولك عوفٌ[7] وأنعامُها

---

(١) فى الديوان : ذو قومه .

(٢) الخبر فى الديوان : ١٠، ١١ .

(٣) العبارة فى ك والديوان : وحوله أنصاب متقابلات نوائح كأنهن نساء، والتصويب من غ.

(٤) فى غ : يا أبا جعفر وفى الديوان : يا أبا جعد .

(٥) فى غ : راكبٍ جملا قائد جملا أسود .

(٦) فى الديوان : حسود .

(٧) عوف : فى الديوان : غوث .

وإنّا لَنُطْعِمُ أضيافَنَــا　　　من الـكُوم بالسّيف نَعْتَامُها

وقدأمرنى أن أحملك على بعير فدونــكه. فركبه وذهبوا .

جرت[١] مذاكرة عنــد معاوية فيها ذكر ملوك العرب حتى تذاكروا الزبّاء وبنت[٢] عفزر. فقال معاوية : إنى لأحب أن أسمع حديث حاتم وماويّة وهى بنت عَفْزَر فقال رجل من القوم : أفلا أُحدّثك به يا أمير المؤمنين ؟ قال : بلى . قال : ماويّة بنت عَفْزَر كانت ملـكة وكانت تتزوّج من أرادت ، وإنها بعثت غلاماً لها يأتونها بأَوْسم من يجدونه بالحيرة ، فجاءوها بحاتم . فقالت له : استقدم إلى الفراش قال : حتى أُخْبُرَكِ . وقعد على الباب وقال : إنى أنتظر صاحِبَيْن لى . فقالت : دونك استَدْخِل المِجْمَر فقال : استٌ لم تُعَوَّد المجمر . فأرسلها مَثَلا . فارتابت به وسقته خمرا ليسكر ، فجعل يُهريقه بالباب ولا تراه تحت الليــل ، ثم قال : ما أنا بذائق قِرًى حتى أنظر ما فعل صاحباى . فقالت : إنا سنرسل إليهما بقِرًى . فقال حاتم : ليس بنافعى شىء أو آتيهما . فأتاهما فقال : أتـكونان عبدين لابنة عَفْزَر ترعيان عليها أحب إليـكما أو لتقتلنـكما ؟ فقالا : كل هــذا نبغضه ، ولـكن بعض الشرّ أهون من بعض[٣] . فقال حاتم : الرحيل والنَّجاء . وقال شعرا يذكر ابنة عَفْزَر أنه ليس بصاحب ريبة .

ثم إن[٤] حاتما دعته نفسه لها بعد انصرافه من عندها فأتاها يخطبها[٥] فوجد عندها النابغة ورجلا من الأنصار من النَّبيت . فقالت لهم : انقلبوا إلى رحالـكم وليقل كل منـكم شعرا يذكر فيه فعاله ومنصبه ، فإنى أتزوّج أكرمكم وأشعركم .

(١) الخبر فى الديوان : ٣٣ــ ٤٠ .

(٢) فى الديوان : الزباء بنت عفزر .

(٣) فى غ : كل شىء يشبه بعضه بعضاً وبعض الشر أهون من بعض .

(٤) الخزانة : ٢/١٦٤ .

(٥) فى ك : فخطبها . والتصويب من غ .

فانصرفوا ونحر كلّ واحد منهم جزورا . ولبست ماويّة ثيابا لأَمَة لها واتبعتهم، فأتت النبيتيّ فاستطعمته من جزوره فأطعمها ثِيل[1] جَزوره ، فأخذته ، ثم أتت نابغة بنى ذبيان فاستطعمته فأطعمها ذَنَب جَزوره فأخذته . ثم أتت حاتما فاستطعمته وقد نصب قِدْره فقال لها : قَرِّى[2] حتى أعطيك ما تنتفعين به إذا صار إليك . فانتظرت فأعطاها من العجز والسنام ومن المُخَدَّش[3] وهو عند الحارك[4] ، فانصرفت . وأرسل كل واحد إليها ظهر جَمَله ، وأَهدَى حاتم إلى جاراتها مثل ما أرسل إليها . ولم يكن يترك جاراته إلا بهديّة . ثم إنهم صَبَّحوها . فاستنشدتهم ما قالوا فأنشدها النبيتيّ :

هلّا سألت النبيتيّين ما حَسَبِى ... عند الشتاء إذا ما هَبَّت الرِّيحُ

وردّ جازرُهم حَرْفاً مُصَرَّمَةً ... فى الرأس منها وفى الأصلاب تَمْليحُ[5]

وقال رائدهم : سيَّان مالهُم ... فى الجَدْب حَبْسٌ لمن يَرْعى وتسريحُ[6]

إذا اللِّقاحُ غدت مُلْقًى أَصِرَّتُها[7] ... ولا كريمَ من الولدان مَصْبوح

فقالت له : لقد ذكرتَ يا هذا مجهدة[8] . ثم قالت للنابغة أنشد فأنشد :

هلّا سألت بنى ذُبْيَان ما حَسَبى ... إذا الدُّخان تَغَشَّى الأَشْمَطَ البَرَما[9]

---

(١) الثيل : وعاء الذكر .

(٢) فى غ : قنى .

(٣) المخدش : مقطع العنق .

(٤) الحارك : أعلى الكاهل .

(٥) حرف : ناقة هزيلة ــ مصرمة : مقطعة ــ الأصلاب : فى غ : الأصلاء : جمع صلا وهو وسط الظهر ــ تمليح : سمن .

(٦) فى غ : مثلان مثل لمن يرعى وتسريح .

(٧) الأصرة : جمع صرار . وهو الخيط يشد به خلف الناقة لئلا يرضع .

(٨) فى الديوان : ذكرت مكرمة إن صدق قولك فعلك .

(٩) البرم : البخيل اللئيم .

وهبَّت الريح من تلقاء ذى أُرُلٍ ... تُزْجِى مع الصُّبح من صُرّادها الصِّرَمَا[1]
إنى أُتمِّم أيسارِى وأمنحُهم ... منى[2] الأيادِى وأكسوا الجفنة الأُدُمَا

فلما أنشدها قالت : ما زال الناس بخير ما ائتدموا . ثم قالت : يا أخا طَيِّءٍ أنشِدنا فأنشدها[3] :

أَماوِىّ قد طال التَّجَنُّب والهَجْرُ ... وقد عَذَرَتْنى فى طلابكم العُذْرُ
أَماوِىّ إنّ المال غادٍ ورائحٌ ... ويبقى من المالِ الأحاديثُ والذِّكْرُ
أَماوِىّ إنّى ما أَقول لسائلٍ ... إذا جاء يوماً حَلَّ فى مالنا نَذْرُ
أَماوِىّ إما مانعٌ فمُبَيِّنٌ ... وإمّا عطاء لا يُنَهْنِهه الزَّجْرُ
أَماوِىّ ما يُغْنى الثَّراء عن الفَتَى ... إذا حَشْرَجَتْ يوماً[4] وضاق بها الصَّدْرُ
إذا أنا دَلّانِى الّذين أُحِبُّهم ... بِمَلْحُودَةٍ زُلْجٍ[5] جوانبُها غُبْرُ
وَراحُوا سِراعاً[6] ينفضونَ أكفَّهم ... يَقُولون قد دَمَّى أَناملَنا الحفرْ
أَماوِىّ إن يُصْبِح صَداىَ بقَفْرَةٍ ... من الأرض لا ماء لدىّ[7] ولا خَمْرُ
تَرَىْ أنَّ ما أهلكتُ لم يَكُ ضَرَّنى ... وأَنّ يدى مما بَخِلْتُ به صِفرُ
أَماوِىّ إنّى رُبَّ واحدُ أُمِّه ... أَجَرْتُ[8] فلا قَتْلٌ عليه ولا أَسْرُ
وقد عَلِم الأقوامُ لو أَنَّ حاتِماً ... أَراد ثَراءَ المالِ كان له وَفْرُ

---

(١) الصراد : الغيم الرقيق لا ماء فيه ، أو شدة البرد ـ الصرم : قطع السحاب .

(٢) فى ك : من .

(٣) الديوان : ١٩ .

(٤) فى الديوان : نفس .

(٥) زلج : فى غ : زلخ وهما بمعنى .

(٦) فى الديوان : عجالا .

(٧) فى الديوان : هناك .

(٨) فى غ : أخذت .

وإنّىَ لا آلو بمـــالٍ صنيعةً ... فأَوَّلُه زادٌ وآخـــره ذُخْرُ
يفكّ به العـــانى ويؤكل طيِّباً ... وما إنْ يُعَرِّيه القِداح ولا القَمْرُ[١]
ولاأَلطمُ[٢] ابنَ العمّ إنْ كان إخوتِى ... شُهودًا وقد أودى بإخوانه الدّهرُ
غنينا[٣] زماناً بالتّصَعْلُك والغِنَى ... وكُلًّا سَقاناه بكأْسَيْهِما الدّهرُ
فما زادَنا بَغْياً[٤] على ذى قرابةٍ ... غِنانا ولا أَزْرَى بأَحسابِنا الفقْرُ
وما ضَرَّ جاراً يابنة القوم فاعلَمِى ... يُجاورنى ألا يكونَ له سِـتْرُ
بعَيْنِىَ عن جارات قَوْمِىَ غَفْلةٌ ... وفى السّمعِ منّى عن حَدِيثِهم وَقْرُ

فلمّا فرغ حاتم من إنشاده دعت بالغـداء وقد كانت أمرت إماءها أن يقدّمن إلى كل رجل منهم ما كان أَطعَمَها ، فقدّمن إليهم ذلك ، فنـكّس النبيتىّ والنابغة رأسيهما . فلما نظر حاتم إلى ذلك رمى بالذى قدم إليهما وأطعمهما ممّا قدم إليه فتسلّلا لِواذًا[٥] . وقالت : إنّ حاتماً أكرمكم وأشعركم .

فلما خرج النبيتىّ والنابغة قالت : يا حاتم خلّ سبيل امرأتك . فأبى . فزوّدته وردّته . فلما انصرف دعته نفسه إليها وماتت امرأته فخطبها فتزوّجته فولدت له عَدِيًّا[٦] ودامت ماوية عنده زمانا .

---

(١) العانى: الأسير ـ يعريه: يفنيه ـ القمر : المقامرة . وفى الديوان : الخمر واظر الخزانة : ٢٠/١٦٤ .

(٢) فى غ والديوان : أظلم .

(٣) غنينا : عشنا والرواية فى الديوان :

غنينا زمانا بالتصعلك والغـنى ... كما الدهر فى أيامه العسر واليسر
لبسنا صروف الدهر لينا وغلظة ... وكلاّ سقاناه بكأسيهما الدهر

(٤) فى الديوان والخزانة : بأوا . والبأو : الفخر والتكبر .

(٥) تسللا لواذا : خرج كل إثر صاحبه متدرئا فيه .

(٦) فى الخزانة : ٤/١٦٤ ، والصحيح أن عديا من امرأته نوار لا من ماوية .

ولمّا انتقلت ماوية إليه كان لحاتم ابن عم يقال له مالك ، فقال لماوية يوما : ما تصنعين بحاتم ؟ فوالله لئن وجد مالًا لينفقنّه ، وإن لم يجد ليتكلّفنّ ، وإن مات ليتركنّ ولدك عِيالًا على قومك ! فقالت له ماوية : صدقت إنه لكذلك . وكان النساء فى الجاهلية الطلاق إليهن ، وكان طلاقهنّ أنهنّ كن فى بيوت شعر فيحولن الخباء ، إن كان بابه قِبَل المشرق حوّلنه قِبَل المغرب ، وإن كان قِبَل اليمن حوّلنه قِبَل الشام ، فإذا رأى الرجل ذلك علم أنها قد طلّقته فلا يأتيها . وكانت ماويّة من أحسن الناس فقال لها مالك ابن عم حاتم طلّقى حاتما وأنا أنكحك وأنا خير لك منه وأكثر مالا ، وأنا أمسك عليك وعلى ولدك . ولم يزل بها حتى طلّقت حاتما . فأتاها حاتم وقد حوّلت باب الخباء . فقال : يا عدىّ ما ترى أمّك عدا عليها ؟ قال : لا أدرى ، غير أنها قد حوّلت ! فدعاه فهبط به بطن الوادى .

وجاء قوم فنزلوا على باب الخباء كما كانوا ينزلون حتى توافوا خمسين رجلا ، فضاقت بهم ماويّة ذَرْعاً ، وقالت لجاريتها اذهبى إلى مالك فقولى له : إن أضيافا لحاتم قد نزلوا بنا وهم خمسون رجلا ، فأَرْسِلْ بناب[1] نَقْرِهم ولبن نغبقهم[2] . وقالت لجاريتها انظرى إلى جبينه وفمه ، فإن شافهك بالمعروف فاقبلى منه ، وإن ضرب بلحيته على زوره وأدخل يده فى رأسه فأَقْبِلى[3] ودعيه. فلما أتت مالكا وجدته متوسدا وَطْباً[4] من لَبَن وتحت بطنه آخر ، فأيقظته وأبلغته ما أرسلتها به ماويّة . وقالت : إنما هى الليلة حتى يعلم الناس بمكانه . فأدخل يده فى رأسه وضرب بلحيته على زَوْره وقال : أقرئى عليها السلام وقولى لها : هذا الذى أمرتك أن تطلّقى حاتما فيه ، فما عندى من

---

(١) الناب : الناقة المسنة .

(٢) فى ك : يقنعهم والتصويب من غ . وتغبقهم : تسقيهم الغبوق وهو ما يشرب فى العشى .

(٣) فأقبلى : فى غ فاقفلى .

(٤) وطبا : سقاء .

كبيرة قد تركت الفحل[1] ، وما كنت لأنحر صفيَّة غزيرة بشحم كُلاها ، وماعندى لبن يكفى أضياف حاتم. فرجعت الجارية فأخبرتها بما رأت منه وبما قال لها . فقالت لها : فائتى حاتما فأعلميه الخبر وقولى له إن أضيافك قد نزلوا بنا الليلة ولم يعلموا بمكانك فأرسل إلينا بناب نقرهم ، ولبن نَسْقِهم وإنما هى الليلة حتى يعرفوا بمكانك . فأتت الجارية حاتما فصرخت به فقال حاتم : لبيك قريباً دعوت . فقالت : إن ماويّـة تقرئك السلام وتقول لك إن أضيافك قد نزلوا بنا فأرسل إليهم بناب ننحرها لهم ولبن نسقهم فقال : نعم بأبى أنتِ واثنين[2] وثلاثا. وقام إلى الإبل فأطلق اثنين من عقالها ثم صاح بهما حتى أتيا الخباء ثم ضرب عراقيبهما . فطفقت ماويّة تقول: هذا الذى طلقتك فيه، تترك ولدك وليس لهم شىء ! فقال حاتم عند ذلك[3]:

هل الدّهر إلّا اليومُ أو أمسِ أو غَدُ	كذاك الزّمان بَيْنَنا يتردَّدُ
يردُّ علينا ليـلةً بعد يَوْمِها	فلا نحن ما نبقَى ولا الدهرُ ينفدُ
لنا أجـلٌ إمَّا تناهَى أمامَه	فنحن عـلى آثارِه نتوَرَّدُ
بنو ثُعَلٍ قـومى فلا أنا مُدَّعٍ	سِواهُم إلى قـوم ولا أنا مُسْنِدُ
فهلَّا فِداكَ اليـوم أُمّى وخالتى	فـلا تأمرِينى بالدنِيَّة أسودُ
على حين أن أدركت[4] واشتدّ جانبى	أسام الذى أعييت إذْ أنا أمردُ
فهل تُرِكت قَبْلِى حصونٌ مَكانَها	وهل من أَبَى[5] ضَيْماً وخَسْفاً مُخَلَّدُ
ومعتسِف[6] بالرُّمح دُون صحابـه	تَعَسَّفْتَه والسيفُ والقومُ شُهَّدُ

(١) فى غ: العمل.
(٢) واثنين وثلاثا : ليس فى غ .
(٣) الديوان : ٣٩ .
(٤) فى غ : ذكيت . وذكى الرجل : أسن .
(٥) فى غ : أبى ، وأبَى أبلغ وأليق بالمعنى .
(٦) معتسف : راكب الأمر بلا تدبر .

فخرَّ على حرِّ الجبين وذَادَه ... إلى الموت مطرورُ الوقيعة مِذْوَدُ[1]
فما رُمته حتى أرحتُ عريضَه ... وحتّى عـلاه حالكُ اللَّوْنِ أَسْوَدُ[2]
فأقسمتُ لا أمشى إلى سِرِّ جارةٍ ... مَدَى الدهر مادام الحمام يغرِّدُ[3]
ولا أشْـــتَرِى مالاً بغَدْرٍ علمته ... ألا كلّ مالٍ خالطَ الغَدْرَ أنْكَدُ
إذا كان بعضُ المـال ربًّا لأهـــله ... فإنّى بحمــــد الله مالى مُعَبَّدُ
يُفَكُّ بـه العانِى ويؤكَلُ طَيِّبًا ... ويُعْطى إذا ضن البَخِيلُ المُصَرِّدِ[4]
إذا ما البخيل الخِبُّ[5] أخمد ناره ... أقـول لمن يَصْلَى بنارِىَ أوْقِدُوا

خرج حاتم الطائى فى الشهر الحرام يطلب حاجة له ، فلما كان بأرض عَنَزَة ناداه أسير : هلُمَّ يا أبا سَفّانة أهلكنى القَمْل . فقال : ويلك ما أنا ببلاد قومى ، وقد أسأت بى إذ نوّهت باسمى ، ومالى[6] مترك. فساوم به العَنَزِيّين واشتراه منهم . وقال خلّوا سبيله وأنا أقيم مكانه فى قِدِّه[7] حتى أؤدى فِداه . ففعلوا به ذلك ، فأقام حتى أتِىَ بفداه .

وكان عبد الدار بن خُفاف البُرْجُمى أتى حاتمًا الطائىَّ فى دماء حملها عن قومه فأسلموه فيها وعجز عنها ، فقال : والله لآتِيَنَّ من يحملها عنّى ! وكان شريفا شجاعا . فلمّا قدم على حاتم قال له : إنى وقعت بينى وبين قومى دماء فتوا كلوها ، وإنى حملتها فى مالى وأملى ، فقدّمت مالى وأخّرت أملى ، وكنتَ أوثق الناس لها فى نفسى ، فإن

---

(١) ذاده : دفعه — مطرور الوقيعة : محددالنصل — المذود : الرمح القصير
(٢) رمته : تركته وفارقته — عريضه : فى غ والديوان : عويصه .
(٣) إلى فى غ : على — سر : فى ت : بيت — مدى الدهر : فى غ : يدالدهر ومعناه : مد زمانه .
(٤) العانى : الأسير — المصرد : المقلل عطاءه .
(٥) الخب : الخداع — وبعد هذا البيت فى غ أربعة أبيات .
(٦) فى غ : ومالك .
(٧) فى غ : قيده . والقد : الإسار يقد من جلد .

تَحَمّلتَها فكم من حقٍّ قضيته ، وإن حال دون ذلك حائل لم أَذْمُم يومَك ولم أنس غدَك، ثم أنشأ يقول:

حَمَلْتُ دِماءً للبراجِم جَمّةً ... فجئتُك لمّا أسلمَتْنى البراجِمُ
وقالوا سِفاهاً ما حملتَ دماءنا ... فقلت لهم: يَكْفِى الحَمالةَ حاتمُ
متى آتِهِ فيها يقلْ لِيَ مَرْحَباً ... وأهلاً وسهلاً أخطأتك الأشائمُ
فيحملَها عنّى وإن شئتُ زادَنى ... زيادة من حِيزت إليه المكارم
يعيش الندى ما عاش حاتم طيِّئٍ ... فإن مات قامت بالشجاء المآتم
وقالت رجال: أنهبَ العامَ مالَه ... فقلت لهم : إنى بذلك عالمُ
ولكنّه يُعْطِى من أموال طيِّئٍ ... إذا خلف المالَ الحقوقُ اللوازمُ
فيعطى التى فيها الغِنَى وكأنّه ... لتصغيره تلك العَطِيّةَ حَارِمُ
بذلك أوصاهُ عدِىٌّ وحَشْرَجٌ ... وسَعْدٌ وعبدُ الله تلك القماقم[1]

فقال له حاتم : إن كنت لأحبّ أن يأتينى مثلُك من قومك ! وهذا مِرْباعى من الغارة على بنى تميم فخذه وافراً ، فإنْ أَوْفَى بالحَمالة وإلا أكملتها لك ، وهى مائتا بعير ، مع أنى لا أحب أن يُؤَيّس قومُك بأموالهم فضحك أبو حنبل وقال : لكم : ما أخذتم منّا ولنا ما أخذنا منكم ، وأى بعير دفعتَه إلىّ وليس ذنبه فى يد صاحبه فأنت منه برىء . فأخذها وزاده مائة بعير وانصرف إلى قومه .

قال ملحان[2] ابن أخى ماويّة امرأة حاتم : حدِّثينى ببعض عجائب حاتم . قالت : كل أمره عجب! قلت: حدثينى ماشئت . قالت : أصابت الناسَ سنة[3] فأذهبت الخفّ والظِلْف ، وإنى وإياه ليلة وقد أسهرنا الجوع . قال : فأخذ سفّانة وعديًّا

---

(١) القماقم : جمع قمقام : السيد الكثير العطاء .

(٢) قال ملحان: غ (بيروت) : ١٧/٣٠٢ وفى الشعر والشعراء نسبت هذه القصة للنوار .

(٣) سنة . مجاعة وشدة .

يعللهما[1] بالحديث حتى ناما وأقبل عليّ يعلّلني بالحديث وأعلّله بالحديث حتى نام ، فرقَقْتُ لِماَ به من الجَهْد وأمسكت عن كلامه لينام فقال لى : أنمت مرارا فلم أجبه . فسكت، فنظر فى فَتْق الخِباء فإذا بشيء قد أقبل فرفع رأسه فإذا امرأة فقال : ماهذا ! فقالت : يا أبا سفّانة أتيتك من عند صبية يتعاوَوْن كالذئاب جُوعا . قالت : فقال : أحضرى صبيانك فوالله لأُشْبِعنَّهم . فقلت : بماذا يا حاتم ؟ فوالله مانام صبيانك من الجوع إلّا بالتعليل : فقال : والله لأشبعن صبيانك مع صبيانِها . فلما جاءت قام إلى فرسه فذبحها ثم قدح نارا فأجّجها، ثم دفع إليهم شَفْرة وقال اشووا وكلوا . ثم قال : أَيقظى صبيانك . فأيقظتهم فقال : والله إن هذا للؤم ! أتأ كلون وأهل الصِّرم[2] حالُهم كحالكم ؟! فجعل يأتى الصِّرْم بيتا بيتا فيقول : انهضوا عليكم بالنار. قال : فاجتمعوا حول الفَرس . وتقنّع[3] بكسائه وقعد حَجْرَةً[4] . فما أَصبحوا وعلى الأرض من الفرس قليل ولا كثير إلا عظمٌ أَو حافِر ، وإنه لأشدّ منهم جوعا وما ذاقه .

---

(١) يعللهما : يلهيهما ويشغلهما عن التفكير فى الطعام .

(٢) الصرم : الحى (الجماعة من البيوت) .

(٣) تقنع بكسائه : غطى به رأسه وتلفف فيه .

(٤) قعد حجرة : ناحية . وفى غ : ناحية .

الحسين[1] المَسْدُود*

هو من أهل بَغداد؛ والموضع المعروف بخَراب المسدود، يُنسب إليه. وكنيته أبو عليّ، وكان أبوه قصّابا. وكان مسدودَ المَنْخَرِ الواحد[2] مفتوح الآخر، وكان يقول: لو أنّى مفتوح الآخر لأذهلت بغنائى أهلَ الأرض وذوى الحلوم والآداب، وشغلت من يسمعنى عن أمر دينِه ودُنياه ومعاشه ومعاده.

وكان المسدود أشجَى النـاس صوتاً، وأحضرَهم[3] نادرة. ولم يكسب أحد من المغنّين بطنبور ما كسبه، وكان مع يساره وقلّة نفقته يَقْرِض بالعِينة[4].

كان الواثق قد أمر جلساءه ألا يردّ أحد منهم نادرةً عن أحد ولا عنه. فغنّى الواثق ذات يوم:

نظرتُ كأنّى من وراء زجاجة ... إلى الدار من ماء[5] الصَّبابة أنْظُرُ

وقد كان النبيذ عمل فيه وفى الجلساء، فالتفت[6] إليه المسدودُ فقال: أنتَ أبداً تنظر من وراء زجاجة إن كان فى عينيك ماء الصبابة وإن لم يكن. فغضب الواثق من ذلك وكان فى إحدى عينيه بياض، فقال: خُذوا[7] برجل الماصّ بَظْر أمّه. فسُحب من بين يديه. وقال: يُنْفى إلى عُمانَ الساعة. فنُفِيَ من وقته وحُدِر ومعه

---

* الأغانى (بيروت): ٢٠/٢٥٠–٢٥٤ – الأغانى (بولاق): ٢١.

(١) فى غ (بيروت): الحسن.

(٢) فى غ: فرد منخر.

(٣) أحضرهم نادرة: فى غ: أحذره نادرة.

(٤) العينة: ضرب من الربا يأخذ فيه زيادة بسبب التأجيل.

(٥) فى ك وت: فرط الصبابة والتصويب من غ. والقصة توجيه.

(٦) فى غ: فانبعث.

(٧) فى ك: جروا والتصويب من غ.

الموكَّلون . فلمَّا سلَّموه إلى صاحب البَصْرة سأله أن يقيم عنده يوما ويغنِّيه ، ففعل . فلمّا جلسوا للشراب ابتدأ فقال: احذرونى يا أهل البصرة على حُرَمكم ، فقد دخلتُ بلدكم وأنا أزنَى خلق الله . فقال له الجمّاز قولًا أغاظه ، وقال : إنّه يعنى أنّه أَزْنَى خَلق الله أُمًّا . فضرب بطُنبوره الأرضَ وحلف ألا يغنِّى . وسأله الأمير أنْ يقيم وأخرج الجمّاز وكل من حضر : فأبى ولَجَّ . فحَدَره إلى عُمان .

ومكث الواثق لا يسأل عنه[1] ، ثم اشتاقه فكتب فى إحضاره ، فلما جاء قبّل الأرض بين يديه واعتذر من هفوته وشكر التفضّل عليه . فأمره بالجلوس ثم قال له : حدّثنى ما[2] رأيت بعدى ! فقال : حديث ليس فى الأرض أطرف منه ! فأعاد عليه حديثَه بالبصرة . فقال له الواثق : قبّحك الله ما أجهلك ! ويلك ! فأنت سُوقة وأنا مَلِك ، وكنتَ صاحياً وأنا منتشيا ، وبدأت القومَ فأجابوك ، وبلغ الغضب منك ما ذكرتَه ، وأنا ما بدأتك فتُجيبنى ، وبَدأتنى من المزاح بما لا يحتمله النظير لنظيره ، ويلك لا تعاود بعدها ممازحة خليفة وإن أذن لك ، فليس كل أحدٍ يحضره حِلمُه كما حضرنى فيك .

قال حَمْدون بن إسماعيل : لم يكن فى الخلفاء أحلَم من الواثق ولا أصبرَ على أذًى . وكان يُعجبه غناء أبى حَشيشة الطّنبُورِى[3] ، فوَجَد المسدودُ من ذلك : وكان يبلغه عنه ما يكره فيتجاوز عنه . وكان المسدود قد هجاه[4] ببيتين فكانا معه فى رقعة ، وفى رقعة أخرى حاجة لامرأة تريد أن ترفعها[5] إليه ، فغلط بين الرقعتين ،

(١) فى غ : لا يسأل عنه سنة .

(٢) فى غ : بما

(٣) لقب غلب على محمد بن على بن أمية ، ويكنى أباجعفر ، أحسن الطنبوريين غناء (نهاية الأرب ٥/٣٥) .

(٤) فى غ : هجا أبى ببيتين.

(٥) فى غ : تدفعها .

فناوله الرقعةالتى فيها الشعر ، وهو يَرَى[١] أنها رقعة المرأة . فقرأها وإذا فيها :

من المَسْـــدُود فى الأنْفِ إلى المَسْـدود فى العَـــيْن

أنا طَبْلٌ له شقٌّ فيا طَبْلًا بشقَّيْنِ

فلما قرأ الرقعة علم أنّها فيه ، فقال للمسدود : غلطت بين[٢] الرُّقعتين فهات الرقعة الأخرى وخذ هذه واحترس[٣] من مثل هذا ! ! ولا واللّهِ ما زاده على هذا القول .

تحدّث المسدود فى مجلس المنتصر بحديث، فقال له المنتصر : متى كان ذلك ؟ فقال له : ليلة لا ناهٍ ولا زاجر . يُعرِّض له بليلة قتل فيها المتوكل . فاغتاظ[٤] المنتصر واحتمله .

وقالت الذكوريّة يوما بين يدى المعتمد : غنِّ يا مسدود . قال : نعم يا مفتوحة .

وقدّم إليه طباخ المتوكل طبقا عليه رغيفان ، وقال له . أىّ شىء تشتهى حتى أجيئك به ؟ قال : خُبزاً . فأمر المتوكِّل بالطباخ فضُرِب مائتى مقرعة .

---

(١) يرى : يحسب ويظن .

(٢) بين فى غ : فى .

(٣) فى غ ، احترز .

(٤) فى غ : فأغضى .

الحارث بن وَعْلَة الجرْمى*

هو الحارث بن وَعْلة بن عبد الله بن الحارِث بن بُلَع بن سبيلة بن الهُون بن أعْجَب ابن قُدامة بن جَرْم بن زَبّان[1] وهو عِلَاف بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة. وإلى عِلاف تنسب الرِّحال العِلافيَّة .

والحارث وأبوه وَعْلة من فرسان قُضاعة وأنْجادها وأعلامها وشُعرائها .

وشهِد وَعْلةُ الكُلاب الثانى وأفلت بعد أن أدركه قيس بن عاصم ففاته ركضا وعَدْوًا . وذلك أن قيس ابن عاصم التَّميمىّ خرج يوم الكُلاب يلتمس أن يصيب رجلا من ملوك اليمن له فداء ؛ فبينا هو فى ذلك إذ أدرك وَعْلة الجَرْمى وعليه مقطّمات له . فقال : عَلَى يمينك . فقال : على يسارِى أقْصَدُ لى . فقال : هيهات منك اليمن ! قال : العراق منّى أبعد . قال : إنّك لن ترى أهلك العام . قال : ولا أهلك أراهم . وجعل وعلة يُرْكِض فرسه فإذا ظن أنها قد أُعْيَت وَثَب عنها وعدا وصاح بها فتجرى وهو يجارِيها . فإذا أعْيَا وثَبَ فركبها حتى نجا . فسأل عنه قيس فعرف أنه وَعْلَة الجرى فانصرف وتركه . وقال وعلة فى ذلك[2] :

فِدًا لكما رِجْلَىّ أُمّى وخالَتِى ... غَداةَ الكُلاب[3] إذْ تُحَزُّ[4] الدوابِرُ

نجوتُ نَجاءً لم يَرَى الناسُ مثلَه[5] ... كأنى عُقابٌ عند تَيْمَنَ[6] كاسِرُ

---

* الأغانى (بولاق) : ١٩/١٣٩-١٤١- الأغانى (بيروت): ٢٢/٢٢١ .

(١) فى ك : بدون نقط وفى غ (بولاق) : ريان بالراء المهملة والمثناة التحية ، والتصويب من (ل : ع ل ف /١١/١٦٣) .

(٢) النقائض (الصاوى) : ١/١٤١.

(٣) الكلاب: يوم كان لتميم .

(٤) فى غ : تحف .

(٥) فى النقائض والبلدان (تيمن) : ليس فيه وتيرة .

(٦) تيمن : ماء بين نجران إلى بلد تميم (بلدان) .

ولمّا رأيتُ الخَيْلَ تدعُو مُقَاعِساً ... ينازِعُنى مــن ثُغْرة النّحر حائرُ[١]

فإن أستطع لا يلتبسْ بى مُقاعِسُ ... ولا يرَنِى مَبْدامهم والمحاضِرُ[٢]

ولا يكُ لى حَدّادةٌ[٣] مضرِيّة ... إذا ما غدَت قوتَ العِيال تُبادِرُ

قوله : تحزّ الدوابر : فإن[٤] قيس بن عاصم لمّا انهزم أهل اليمن قال لقومه : لا تشتغلوا بأسْرهم — فيفوتكم أكثرهم ، ولكن اتّبعُوا المنهزمين يُجزّوا أعصابهم من أعقابهم ودعوهم فى مواضعهم ، فإذا لم يبق أحد رجعتم إليهم فأخذتموهم . ففعلوا ذلك وأهل اليمن يومئذ ثمانية آلاف عليهم أربعة أملاك يقال لهم اليزيدون وهم : يزيد بن عبدالمَدان ، ويزيد بن هَوْبر ، ويزيد بن المأبور[٥] ، ويزيد بن مُخَرِّم ، والخامس عبد يغوث بن وَقّاص . فقتل اليزيدون أربعتُهم فى الوقعة ، وأُسِرَ عبد يغوث فقتلته الرِّباب برجل منهم .

وأمّا قوله :

* ولمّا رأيتُ الخيلَ تدعو مُقاعساً *

فإنّ بنى تميم[٦] لما التقت مع بنى الحارث بن كعب فى هذا اليوم تداعت تميم فى المَمْعَمَة : يالَ كَعْب ، فنادَى أهلُ اليمن يالَ كعب ؛ وتنادوا يالَ الحارِث فتنادَى أهلُ اليمن يالَ الحارث ، فتنادوا يالَ مُقاعس وتميّزوا بها من أهل اليمن .

كتب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى الحجّاج : أمّا بعد ، فإنّ مَثَلِى ومَثَلَك ما قال القائل :

---

(١) فى غ (بولاق) والنقائض والبلدان : جائر ، وفى ك : حابر .

(٢) مبدامم : منتجعهم وفى غ : ميدانهم — المحاضر : الراجع إلى أعداد المياه .

(٣) حدادة : سجانة .

(٤) الخبر فى النقائض (الصاوى) : ١٤١/١ .

(٥) فى غ : المأمون ، وفى النقائض : المأمور .

(٦) المصدر السابق (النقائض) .

سائل مُجاوِرَ جَرْمٍ هل جنيتُ لها ... حَرْباً تُفرِّق(١) بين الجيرةِ الخُلُطِ ؟!
أَمْ هل دَلَفْتُ بجرّارٍ(٢) له لَجَبٌ ... يغشَى الأماعز(٣) بين السّهل والفُرُطِ(٤)
حتى تركت نساءَ الحيّ ضاحِيَةً ... في ساحة الدار يستوقدْن بالغُبُط

ـ الشِّعر لوَعْلَةَ الجَرْميّ ـ هذا مثلي ومثلك وسأَحْمِلك على أَصْعَبِه ، وأُريحك من مركبه .

فكتب الحجّاج بذلك إلى عبد الملك فكتب إليه جوابه :

أمّا بعد ، فإنّي قد أجبت عبد الرحمن بلا حول ولا قوة إلّا بالله ، ولَعمرُ الله لقد صدَق وخلع سلطانَ الله عزّ وجلّ بيمينه ، وطاعته بشماله ، وخرج من الدين عُريانا كما ولدته أُمّه ، وإنّ مَثَلي ومَثَلَه كما قال الحارثُ بن وَعْلة :

أَناةً وحِلْماً وانتظاراً بهم غداً ... فما أنا بالواني ولا الضَّرعِ الغُمْرِ(٥)
أظنُّ صروفَ الدهرِ والجَهْلِ منهم ... سيحملُهم منّي على مَرْكَبٍ وَعْرِ
أَلم تعلمُوا أنّي تُخاف عَرامَتي(٦) ... وأَنّ قَناتِي لا تَلِينُ على القَسْرِ(٧)
وإنّي وإيّاهم كمن نَبَّه القَطَا ... وإن لم يُنَبِّه باتت الطَّيْرُ لا تَسْرِي

فليت شعري أَسَمَا عدوُّ الله(٨) لدعائم دين الله يَهْدِمُها ، أم رام الخلافة أَنْ ينالَها

---

(١) في غ (بولاق) : تزيل .

(٢) جرار له لجب : جيش كبير .

(٣) الأماعز : جمع أمعز ، والمعزاء هي الأرض الحزنة الغليظة ذات الحجارة ـ في غ (بولاق) : المخارم .

(٤) الفرط : واحد الأفراط وهي آكام شبيهات بالجبال . ورواية البيت في (ل : مادة فرط) :

وهــــل سموتُ بجَرّار له لجب ... جم الصواهل بين السهل والفُرُط

(٥) الضرع : الضعيف ـ الغمر : الذي لم يجرب الأمور .

(٦) شدتي وصولتي .

(٧) هذا البيت والذي يليه ليسا في غ .

(٨) في غ : عدو الرحمن .

وأوشك أن يُوهن الله شوكَتَه فاستَعِنْ بالله عليه ، واعلم ﴿ إِنَّ اللهَ مع الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ .

وكانت نَهْدٌ قد قتلت أخا وَعْلة الجَرْمىّ ، فاستمان بقومه فلم يُعِينوه ، فاستمان بحُلَفاء بنى نُمَيْر وكانوا حُلفاء وإخوانا فأعانوه حتى أدرك بثأره . فقال فى ذلك :

سائل مُجاوِرَ جَرْمٍ هل جَنَيت لها حَرْباً تُفَرِّق[1] بين الجيرَة الخُلُطِ

الأبيات .

(١) فى غ : تزيل .

حَسّان بن تبَّع*

رجل أَحْوَل أَعْسَر ، بَعِيدُ الهِمَّة ، شديد البطش . دخل إليه يوماً وُجوه قومه ، وهم الأَقْيال[1] من حِمْيَر ، فلما أخذوا مواضِعَهم أنشدهم مبتدئًا :

أَيُّها النـاس إنَّ رَأْيِى يُرِينى ... وهُوَ الرَّأْىُ طَوْفَةً فى البـلادِ

بالعَـوالِى وبالقَنـابل تَرْدِى ... بالبطارِيق مِشْيَةَ القَـوَّادِ[2]

وبجَيْشٍ عَرَمْرَمٍ عَرَبِىٍّ ... جَحْفَلٍ يستجيبُ صوتَ المنادِى[3]

من تميمٍ وخِنْدِفٍ وإيادٍ ... والبَهالِيـل حِمْيَرٍ ومُرَادِ

فإذا سرتُ سارتِ السُّمْرُ[4] خَلْفِى ... ومَعِى كالجبال فى كُلِّ وَادِى

سَقِّنِى ثم سَقِّ حِمْيَرَ قَوْمِى ... كأسَ خَمْرٍ أُولِى النُّهَى والعِمادِ

ثم قال لهم : استعدُّوا لذلك ، فلم يُرَاجِعْه أحد لهيبَته . فلما كان بعد ثلاثٍ خرج وتبعه الناس حتى وطىء أرض العَجَمْ . وقال : لأبلُغَنَّ من البلاد حيثُ لم يبلغ أحدٌ من التبابِعة . فجال بهم أرض[5] خُراسان ثم مضى إلى المغرب حتى بلغ رُوميـة[6] وخلف عليها ابنَ عَمٍّ له . وأقبـل إلى العراق حتى إذا صار على شاطىء الفرات

---

* الأغانى (بولاق) ٢٠/٧-٩ ـ الأغانى (بيروت) : ٢٢/٣٤٣-٣٤٧- نهـاية الأرب : ١٥/٣٠٠ .

(١) الأقيال : جمع القيل، وهو الحاكم أو الوالى من ولاة حمير دون الملك الأعظم

(٢) العوالى : الرماح ـ القنابل : جمع قنبله وهى الطائفة من الناس ومن الخيل ـ تردى : ترجم الأرض بحوافرها ـ القواد : فى غ العواد.

(٣) عرمرم وجحفل : كثير .

(٤) السمرْ : فى غ : الناس .

(٥) فى غ : فى أرض .

(٦) فى ك: إلى رومية .

قالت وجوه حمير : مالَنا نُفنِى أعمارَنا مع هذا يطوف فى الأرض ويفرّق بيننا وبين أولادنا فما ندرى من يَخلُف عليهم بعدَنا ؟! فـكلّموا أخاه عَمرًا وقالوا : كلّم أخاك فى الرجوع إلى بلده ومُلْكه . فقال : هو أعسر من ذلك وأنكد[١] . فقالوا : اقتُلْه ونملّكك علينا فأنت أحق بالمُلك منه ، وإنك أعقل وأحسن نظراً لقومك . فقال : أخاف ألا تفعلوا ، وأكون قد قتلت أخى وخرج المُلك من يدى . فواثقوه[٢] حتى ثَلِجَ[٣] إلى أقوالهم ، واجتمع[٤] الرؤساء كلّهم على قَتْل أخيه إلّا ذو رُعَيْن فإنّه خالفهم وقال : ليس هذا رأى ، يذهب المُلك من حِمْيَر . وشجّعه الباقون على قَتْل أخيه . فقال ذو رُعَيْن : إن قتلتَه بادَ مُلْكُك .

فلما رأى ذو رُعَيْن ما أجمع عليه القوم أتاه بصحيفة مختومة فقال : يا عمرو إنّى مستودِعُك هذا الكتاب فضمه عندك فى مكان حريز ، وكتب فيه :

أَلَا مَنْ يَشْتَرِى سَهَرًا بنَوْمٍ سَعِيدٌ مَن يَبِيتُ قَرِيرَ عَيْنِ[٥]
فإنْ تَكُ حِمْيَرٌ غَدَرَتْ وخانَتْ فَمَعْذِرَةَ الإلهِ لذى رُعَيْنِ

ثم إنّ عَمْراً أتى حَسّان وهو نائم على فِراشه فقتله ، واستولى على مُلْكه ، فلم يبارَكْ له فى سلطانه ، وسلّط اللهُ عليه السهر ، وامتنع منه النوم . فسأل الأطبّاء والكُهّان والعُيّاف[٦] فقال له كاهنٌ منهم : إنّه ما قَتَلَ رجلٌ أخاه قط إلّا امتنع نومُه . فقال : هذا عَمَلُ رؤساء حِمْيَر حَمَلُونى على قَتْله ليرجعوا إلى بلادهم ولم يَنظروا لى ولا لأخى . وجعل يقتل من أشار عليه منهم بقَتْل أخيه رَجُلًا رجلا ،

(١) فى غ : أنكر .
(٢) فى ك : فوافقوه .
(٣) ثلج : ارتاح واطمأن .
(٤) فى غ : أجمع .
(٥) البيتان فى نهاية الأرب : ١٥/٣٠١ — سعيد: فى نهاية الأرب: خلى .
(٦) العياف : جمع عائف وهو المتكهن — وفى نهاية الأرب : ١٥/٣٠٠ : القياف

حتى خلَص إلى ذى رُعَيْن فأيقن بالشرّ . فقال له ذو رُعَيْن : ألم تعلم أنّى أعلمتُك ما فى قتله ونهيتك ، وبيّنت لك هذا ؟ قال : وما[1] هو ؟ قال : فى الكتاب الذى استودعتك . فدعا بالكتاب فلم يجده . فقال ذو رُعَيْن : ذهب والله دَمِى على أنّى أخذت[2] بالحَزْم فصرت كمن أشار بالخطأ . ثم سأل الملك أن يُنْعِم فى طلبه فأُتِىَ به فقرأه فإذا فيه البيتان . فلما قرأهما قال : لقد أخذت بالحَزْم . قال له : إنى خشيت ما رأيتك صنعت بأصحابى .

قال : وتشتّت مُلْك[3] حِمْيَر حين قتل أشرافها ، واختلفت عليه حتى وثب عليه لَخْنِيعة ينوف[4] فقتله واستولى على المُلْك[5] ، ولم يكن من أهل بيت المُلك ، وكان يقال له ذو شَناتِر الحِمْيَرِىّ وكان فاسقا يعمل عمل قوم لوط . وكان يبعث إلى أولاد الملوك فيلُوط بهم . وكانت حِمْيَر إذا لِيطَ بالغلام لم تملِّكه ولم ترتفع به .

وكانت له مُشْرَفة يكون فيها يُشرف على حرسه ، فإذا أتى الغلامَ[6] أخرج رأسه إليهم وفى فيه سواك فيقطعون مشافرَ ناقةِ المنكوح وذَنَبها ، فإذا خرج صِيحَ به : أرَطْبٌ أم يَباس . فمكث بذلك زمانا حتى نشأ زُرْعَة[7] ذو نُواس ، وكانت له ذُؤابة وبها سُمّى ذو نواس ، وهو الذى تهوّد وتسمّى بيوسف ، وهو صاحب الأخدود بنجران وكانوا نصارى فحرّقهم وحرق الإنجيل وهدم الكنائس ، ومن أجله غزت الحبشة اليمن لأنهم نصارى ، فلما غلبوا على أهل اليمن اعترض البحر فاقتحمه بفرسه فغرق .

---

(١) فى غ : وفيم هو .
(٢) فى غ : على أخذى .
(٣) فى غ : أمر حمير .
(٤) فى غ: لخنيعة تنوف.
(٥) فى غ : المملكة .
(٦) فى ك : أتى بالغلام والتصويب من غ .
(٧) زرعة : هو زرعة بن كعب .

فلمّا نشأ ذو نُواسٍ قيل له : كأنك بالملك قد فعل بك كذا وكذا ، فأخذ سكّينا لطيفا فسَمّه وجعل له غلافا ، فلما دعا به لَخْنيعة جعله بين أَخْمَصِه[1] ونعله ، وآتاه على ناقة له يقال لها سَراب ، وأناخها وصعد إليه . فلما قام ليجامعه كما كان يفعل انحنى زرعة فأخذ السكّين فوجأ بها بطنه فقتله واحتزّ رأسه وجعل السواك فى فيه وأطلعه من الكوّة ، ورفع الحرسُ رءوسهم فرأوه . ونزل زُرْعة فصاحوا به : زُرعة ياذا نُواس ، أرطب أم يباس . فقال : ستعلم الأحراس أإست ذى نواس ، رطب أم يباس . وجاء إلى ناقته فركبها .

فلما رأى الأحراس اطلاع الرأس صعدوا إليه فإذا هو قد قُتِل . فأتوا زُرعة وقالوا له : ماينبغى أن يملكنا غيرك بعد أن أرحتنا من هذا الفاسق . واجتمعت إليه حمير فملّكوه .

(١) أخمص القدم: ما لا يصيب الارض من باطنها .

الحَسَنُ بن وَهْب*

هو الحَسَنُ بن وَهْب بن سعيد ، كاتبٌ شاعر مترسِّل فصيح أديب ، وأخوه سُليمان بمحَلٍ من الكتّاب .

وكنيته أبو علي ؛ وهو عريق في الكتابة ، ولأولاده نجابة مشهورة .

وكانوا يقولون إنهم من بني[1] الحارث بن كعب[2] . وأصلهم نصارَى وفي بني الحارث نصارَى كثيرة .

وفي الحسن بن وهب يقول البحتري وكان مَدّاحاً له :

يا أخا الحارِث بن كَعْبِ بن عَمْرٍو ... أشُهُوراً تَصُومُ أم أيَّاما[3]

وكان الحسن أشَدَّ تمسُّكاً بالنسب إلى بني الحارث بن كعب من أخيه سليمان .

وكان سليمان يُنكر ذلك ويعاتِب عليه أخاه الحَسَنَ وابنَه أحمد بن سليمان .

وأصلهم من قرية من سواد واسط ، في خُسْرسابور[4] ، ويقال لها سارقريقا .

وكان الكتّاب يتهادَوْن في الديوان أشعار الحسن بن وهب ويتباهَوْن بحفظها .

فما كتب به إلى أخيه سُليمان من مدينة السلام وهو محبوس في أيّام الواثق قولُه :

خَطْبٌ أبا أيُّوب جَلَّ مَحَلُّه ... فإذا جَزِعْتَ من الخُطوب فمَنْ لَهَا

---

*الأغاني (بولاق) سقطت ترجمته. الأغاني (بيروت): ٢٢/٥٣٣–٥٦٥ – فوات الوفيات: ١/١٣٦

(١) في ت : ولد الحارث.

(٢) في غ : كعب بن عمرو .

(٣) أياما : في غ : أعواما .

(٤) خسر سابور في غ : خس سابور وفي ياقوت (بلدان) خسرو سابور ، والعامة تقول خسابور : قرية قرب واسط. سار قريقا : في غ سار قيقا .

إن الَّذِى عَقَد الَّذِى انعَقَدَتْ به عُقَدُ المكارِه[1] فيك[2] يُحْسِنُ حَلَّها
فاصْبِر لَعَلَّ الصبرَ يَفتَقُ ما تَرَى ولَعَلَّها أنْ تَنْجَلِى ولَعَلَّها

وقيل له وسُليمانُ محبوس ، كيف أصبحتَ ؟ قال : أصْبَحْتُ قليل النشاط ، كالَّ القريحة ، صَدِئَ الذّهن ، مَيِّت الخاطِر من سوء فعل الزمان ، وتَوارُدِ[3] الأَحزان ، وتَغَيُّر الإخوان . وآلى ألا يذوقَ طعاما [طيّبا][4] ولا يشرب ماء باردا مادام أخوه محبوسا . فوَفَّى بذلك كُلّه .

بلغ الحسن بن رجاء أنّ الحسن بنَ وهب عابَه بحُبِّ الغلمان ، وكان الحسنُ أشدَّ حُبًّا لهم منه ، فقال : مَثَلِى ومَثَلُه كما قال حسّان بن ثابت :

وإنّى لأَغنَى الناسِ عن عَذْلِ[5] صاحب
يَرَى النَّاسَ ضُلَّالًا وليس بمُهْتَدِى

كتب رجل إلى الحسن بن وهب يستَمْيِحه ، فوَقّع فى رُقْعَته :

الجُودُ طَبْعِى ولكن ليس لِى مَالُ فكيف يَحْتال من بالرَّهْن يَحْتال[6]

قال أحمدُ بن سليمان بن وَهْب : رآنى عَمِّى أبكِى لفراق بعض ألّافِى فقال :

ابْكِ فما أنْفَع ما فى البُكَا لأنّه للوَجْد تَسْهِيلُ
وهْوَ إذا أنت تأمَّلْتَه حُزْنٌ على الخدَّيْن مَحْلُول[7]

---

(١) فى ك : المكارم والتصويب من غ .

(٢) فى غ : لهو .

(٣) فى غ : تورد .

(٤) زيادة من غ يقتضيها النص .

(٥) فى غ : وصل .

(٦) تهذيب ابن عساكر : ٤/٢٥٣ — وفى معجم الأدباء ٩/٢٠٤ (ترجمة ابن خالويه) نسب هذا البيت مع آخر له ، والرواية فى معجم الأدباء : فكيف يبذل من بالقرض يحتال .

(٧) الرواية فى غ : حزن جرى فى الخد محلول — ومحلول : فى الفوات : مطلول .

كان الحسنُ بنُ وهب يهوَى بنَاتَ جاريةَ محمّد كاتب راشد ، شديدَ الشّغف بها فعادته يوماً فى علّة نالته ، فحين رآها دعا برطل فشربه على وجهها وقال: قد عُوفيت فأقيمى عندى اليوم، فأبَتْ وقالت: عند مولاى دعوة ، فأمر بإحضار مائتى دينار فقال: هذه مائة لمَوْلاكِ فأبعثى بها إليه، ومائة لك ، فقالت : أما هو فابعث إليه بمائته وأما أنا فوالله لا أخذت المائة الأخرى . ولأتصدّقَنّ بمثلها من مالى لعافيتك . ولكن اكتُبْ إليه رُقعة تقوم بعُذرى فكتب :

صُورةَ الشّمسِ والقمرْ مَتِّعينى من النَّظَرْ
مَتِّعينى بجلسةٍ منك يا أحسَنَ البَشَرْ
أشْتَريها إن بِعْتِنِيها بسَمْعِى وبالبَصَرْ
أذْهَبَ السُّقْمَ سُقْمُ طَرْ فِكِ ذى[2] الغُنْج والحَوَرْ
ليس يُبْقِى عَلَيَّ حُبُّكِ هَذَا ولا يَذَرْ
أنا مِنْهُ فانْعَمِى بمُقامٍ على خَطَرْ
وتَغَنَّىْ فِداكِ كلُّ (م) مُغَنٍّ لِكَىْ أُسَرْ
رَبْعَ سَلْمَى بذى بقر عرَصَةَ الرّيح والمَطَر

قال أحمد بن سليمان بن وهب : قال لى أبى : إنى قد عزمت على معاقبة عمك فى حبه بنات فقد شُهِرَ بها وافتضح ، فكن معى وأعِنّى عليه، وكان هواى مع عمى . فمضيت معه فقال له أبى ، وقد أطال عتابه: ياأخى جُعِلْتُ فِداكَ، الهوى ألذّ وأمْتَع ، والرأى أصوَبُ وأنفع[3]. فقال عمى متمثلا[4]:

---

(١) بنات: ورد هذا الاسم فى ترجمة العباس بن الأحنف ٨/١٧و٢١ بصورة بنان وفى تهذيب ابن عساكر بيان، وفى ك غير واضحة بدون نقط. ومحمد : هو محمد بن حماد كاتب راشد أبو عيسى (معجم المرزبانى ٣٦٦) .

(٢) فى غ : بالغنج .

(٣) فى غ : أمنع .

(٤) الزهرة : ٣٢٤ وفيها قال : أنشدنى أحمد بن يحيى .

إذا أَمَرَتْــك العاذِلاتُ بهَجْرِها   نَبَتْ كَبِدٌ عمـا يَقُلْن صَدِيعُ ![1]

وكيف أُطِيع العاذلاتِ وحُبُّهــا   يُؤَرِّقُنى والعاذِلاتُ هُجُوعُ ؟ !

فالتفتَ إلىَّ أبى ينظر ما عندى فقلت متمثِّلا :

وإنى لَيَلْحانى على فَرْطِ حُبِّها   رِجالٌ أطاعَتْهُم قلوبٌ صحائحُ[2]

فنهض أبى مُغْضَباً وضَمَّنِى عَمِّى إليه وقَبَّلنى . وانصرفت إلى بَنات فحدّثتُها بما جَرَى وعمّى يسمع. فأخذت العود وغنّت:

يَلُومك فى مَحَبَّتِهـا رِجـالٌ   لو أنَّهُمُ بدائك لَمْ يَلُومُوا[3]

أهدى الحسنُ بن وهب إلى بنات فى عِـلَّةٍ اعتلَّتها هدايا حسنة ، وأهدى معها قَفَصاً فيه شفانين[4] وكتب إليها :

لكم نَفْسُ مَنْ أهدَى الشّفانينَ عامِداً[5]   شِفــاء أنين بالشّفــانِين أوَّلَتْ

كُلوهاَ يَكِلُّ الداء عنــكم فإنّنِى   أزورُكم للشَّوْق لا زُرْت عائدا

كان الحسن بن وهب يشرب عند محمّد بن عبد الله بن طاهر ، فعرَضَتْ سحابة فبَرَقَتْ[6] وأرْعَدَتْ ومطرت فقال الحسن :

هَطَلَتْنــا السماءُ هَطْـلًا دِراكاَ   عارَضَ المِرْزَمان[7] فيها السِّماكاَ

قُلتُ للبَرْق إذْ تألّق فيها   يا زِنادَ السَّماء مَــنْ أوْرَاكاَ

---

(١) نبت : فى غ : أبت. والرواية فى الزهرة : هفت كبد مما يقلن صديع .

(٢) البيت لابن مقبل ــ الزهرة : ٢٣٦ .

(٣) البيت لصخر الغى الهذلى. الزهرة : ٣٢٤ .

(٤) شفانين : جمع شفنين، وهو طائر يعرف فى مصر بالقمرى ، واسم الشفنين هو المعروف فى العراق .

(٥) فى غ : عائدا.

(٦) فى ت : فأبرقت وأرعدت وأمطرت.

(٧) المرزمان : نجمات مع الشعريين وهما من نجوم المطر .

أَحَبِيبٌ نَأَيْتَه فبكاكا فهو العارض الذى استبكاكا
أمْ تَشَبَّهت بالأمير أبى العبَّاس فى جُوده فلستَ[1] كذاكا

ولدت بناتٌ من مولاها ولداً وسمَّتْه إبراهيم ، فأبغضها الحسن بن وهب وكتب إليها :

نَتَجَ المُهرَةَ الهجانَ[2] هَجِيناً[3] ثُمَّ سَمَّى الهَجِينَ إبراهيماَ
بخَليلِ الرَّحْمانِ سَمَّيْتَ عَبْداً أمْ قريع الفتيان ذاك الكريما

وبعث بالبيتين إليها . وكان آخرَ العهد بها .

(١) فى غ : فكنت .
(٢) الهجان : الكريمة .
(٣) الهجين : اللئيم .

حرف الخاء

خُوَيلد: أبو ذؤَيْب الهُـذَلى*

هو خُوَيْلد بن خالد بن مُحَرِّث بن زُبَيْد بن مخزوم بن صاهلة[1] بن كاهل بن الحارث[2] بن غُنْم[3] بن سعد بن هُذَيْـل بن مُدركة بن الياس بن مُضَر بن نِزار . مُخَضْرَم أدرك الجاهليّة والإسلام وأسلم ومات فى غَزاة إفريقيّة . وكان شاعرا فحلًا لا غميزة[4] فيه ولا وهن .

سئل حَسَّان بن ثابت مَنْ أشعر الناس ؟ قال : حَيًّا أو رَجُلًا[5] ؟ قالوا : حَيًّا قال : أشعر الناس حَيًّا هُذَيْـل ، وأشعرهُم رَجُلًا أبو ذؤيب غيرَ مُدافَع . وكان فصيحا كثير الغريب .

وقال محمد بن معاذ العمرى : فى التوراة مكتوب : أبو ذؤيب مؤلّف زُوراً . واسم الشاعر بالسريانية مؤلّف زوراً . وكان متمكّنا فى الشعر، تقدّم على جميع شعراء هُذَيْـل

---

* الأغانى (بولاق) : ٦/٥٨-٦٤- (دار الكتب) : ٦/٣٦٤-٣٧٩- (بيروت وثقافة) ٦/ - تجريد الأغانى : ٧٨٥-٧٨٨ - تهذيب ابن عساكر : ٥/١٧٩-١٨٣ - خزانة الأدب : ١/٢٠٣ - الاستيعاب: ٢/٦٤٦.

(١) صاهلة: فى هـ ك : بماهلة . وماهنا موافق أيضا لما فى الاستيعاب ومعجم الأدباء : ١١/٨٣

(٢) الحارث : فى خزانة الأدب : معاوية .

(٣) غنم : كذلك فى التجريد والأدباء وابن عساكر. وفى خزانة الأدب والشعر والشعراء والاستيعاب : تميم .

(٤) الغميزة : المطعن .

(٥) حيا أو رجلا فى غ : أحيا أم رجلا .

بقصيدته العينية التى يرْثِى فيها بنيه وهم خمسة أصيبوا فى عام واحد بالطاعون وهى[1] :

أمِنَ المنــون ورَيْبها تَتَوجَّع والدَّهرُ ليس بمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَع

كان أبو ذؤيب قد خرج فى جُنْد عبد الله بن سعد بن أبى سَرْح ، أحد بنى عامر ابن لؤى ، إلى إفريقية سنة ستٍّ وعشرين غازيا فِرنجة فى زمن عثمان ، فلما افتتح عبدُ الله بن سعد إفريقية وماوالاها بعث عبدَ الله بن الزبير — وكان فى جُنْده — بشيرا إلى عثمان ، وبعث معه نفرا منهم أبو ذؤيب . فلما قدموا مِصْرَ مات[2] أبو ذؤيب بها ، وقدم ابن الزبير على عثمان .

وكان سبب قدوم ابن الزبير بالبِشارة مارواه هو قال : أحاط جُرْجير وهو صاحب إفريقية ، وهو ملك فرنجة[3] ، بنا فى مائة[4] وعشرين ألفا ، ونحن فى عشرين ألفا فضاق بالمسلمين أمرُهم ، واختلفوا فى الرأى ، فدخل عبدُ الله بن سعد فُسطاطه يخلو ويفكّر . قال عبد الله بن الزبير : فرأيت عَوْرَةً من جُرْجير والناس على مصافِّهم ، رأيته على بِرْذَوْنٍ أشهبَ خلف أصحابه منقطعا منهم ، معه جاريتان تُظلّلان عليه من الشمس بريش الطواويس . فجئت فسطاط عبــد الله فطلبت الإذن عليه من حاجبه فقال : إنه فى شأنكم ، وقد أمرنى أن أُمسك الناس عنه . قال ابنُ الزبير : فدُرت فأتيت مؤخّر فُسطاطِه فرفعته فإذا هو مستَلْقٍ على فراشه . ففزع وقال : ما أدخلك علىّ يا ابن الزبير ؟ فقلت : إنى رأيتُ عورة من عدوّنا فرجوت الفُرْصة فيها[5] وخشيت فَوْتَها فاندُبِ الناسَ لى[6] قال : وما هى ؟ فأخبرته . فقال : فرصة وعورة لعمرى !

---

(١) شرح أشعار الهذليين : ٤ — ٤٠ فى ثلاثة وستين بيتا .

(٢) فى فتوح البلدان للبلاذرى : توفى بإفريقية فقام بأمره عبد الله بن الزبير حتى واراه فى لحده .

(٣) فرنجة : فى غ : إفرنجة .

(٤) فى غ : فى عشرين ألفا ومائة ألف .

(٥) فى غ : فيه .

(٦) فى غ : إلى .

ثم خرج فقال : أيها الناس انتدبوا مع ابن الزبير إلى عدوكم . فاخترت ثلاثين فارسا ، وقلتُ : إنى حامل فاضربوا عن ظهرى، فإنى سأ كفيكم مَنْ ألقى إن شاء الله تعالى . فحمَلْت فى الوجه الذى هو فيه ، وحملوا فذَبُّوا عنّى حتى خَرقْتُهم[1] إلى أرض خالية. فوالله ما حسب[2] إلّا أننى رَسُول ، ولا ظَنَّ أكثر أصحابه إلا ذاك ، حتى رأى ما بى من أثر السلاح فثنى بِرْذَوْنَهُ هاربا فأدركته فطعنته فسقط، ورَمَيْت نفسي عليه واتَّقَت عنه الجاريتان السيفَ فقطعتُ يد إحداها وأجهزت عليه ، ثم رفعت رأسه فى رمحى ، وجال أصحابه وحَمَل المسلمون فى ناحيتى وكَبَّروا فقتلوهم كيف شاءوا . وكانت الهزيمة . فقال لى عبد الله بن سعد : ما أَجِدُ أحداً أحقّ بالبشارة منك . فبعثنى إلى عثمان . فقدم مروان بَعْدُ[3] على عثمان حين اطمأنوا وباعوا المَغْنَم[4] . وكان مروان قد صَفَق[5] على الخُمس بخمسمائة ألف فوضعها[6] عنه عثمان ، وكان ذلك مما تُكلِّم فيه بسببه .

فقال عبد الرحمن بن حَنْبل بن مُلَيْل وكان[7] هو وأخوه كَلَدة أَخْوَى صَفْوان ابن أميّة بن خَلَف لأمه ، وهى صفيّة بنت معمر بن حَبِيب بن وهب بن حُذافة ابن جُمَح :

أَحْلِف بالله جَهْدَ اليَمِينِ ما ترَكَ الله أَمْراً[8] سُدَى

(١) خرقتهم : يريد خرقت صفوفهم .

(٢) فى ك : حسبت . والتصويب من غ وهو المناسب للسياق .

(٣) فى غ : بعدى .

(٤) فى غ : باعوا المغنم وقسموه .

(٥) صفق : يريد تعاقد على شراء خمس المغنم .

(٦) وضعها عنه : أعفاه من دفعها .

(٧) وكان هو وأخوه ... إلى قوله بن جمح : ليس فى ك وهو فى ت و غ .

(٨) فى ت : أميرا .

ولكن خُلِقْتَ[1] لنا فِتْنَةً ... لكى نُبتَلَى بك[2] أو تُبتَلَى
دعوتَ الطَّرِيدَ[3] فادْنَيْتَه ... خلافاً لسنة مَنْ قد مَضَى
وأَعْطَيتَ مَرْوانَ[4] خُمسَ العبا ... دِ ظُلْماً لهم وحَمَيْتَ الحِمَى
ومالًا أتاك به الأَشْعَرِىُّ ... من الفَىْء أعطيتَه من دَنَا
وإنّ الأمينَيْن[5] قد بَيَّنَا ... مَنار الطريق عليه الهُدَى
فما أَخَذَا دِرْهَماً غِيلَةً ... ولا قَسَّما دِرْهَماً فى هَوَى

والمال الذى ذكر أنّ الأشعرىّ جاء به مالٌ قدم به أبو موسى الأشعرى من العراق ، فأعطى عَبْدَ الله بن أَسيد بن أبى العيص منه مائة ألف درهم ، وقيل ثلاثمائة ألف درهم، فأنكر الناس ذلك .

وأبو ذؤيب هو القائل[6] :

أساءلْتَ رَسْمَ الدّار أم لم تُسائِلِ ... عن الحىِّ[7] أم عن عهدِه بالأوائلِ
عَفَا غَيْرَ رَسْمٍ[8] الدار ما إن تُبِينُه ... وعَفْرِ ظِباء قد ثَوَتْ فى المَنازِلِ[9]

(١) فى الاستيعاب : جعلت .

(٢) فى غ : فيك .

(٣) الطريد: هوالحكم بن العاص بن أمية أبو مروان بن الحكم، وعم عثمان بن عفان رضى الله عنه، أخرجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف فلما ولى عثمان رده إلى المدينة .

(٤) مروان بن الحكم بن أبى العاص وهو ابن عم الخليفة عثمان بن عفان ولى الخلافة بعد أولاد يزيد بن معاوية ومات سنة ٦٥ هـ .

(٥) الأمينين : هما أبو بكر وعمر رضى الله عنهما .

(٦) الأبيات فى شرح أشعار الهذليين : (ط العروبة) : ١٤٠ .

(٧) فى أشعار الهذليين : السكن .

(٨) فى الديوان : نؤى .

(٩) فى الديوان : وأقطاع طفى قد عفت فى المعاقل .

قال فى غ : وهو الصحيح . أقطاع : جمع قطع (بالكسر) : الغصن تقطعه من الشجرة — الطفى: خوص المقل واحدته طفية — المعاقل : جمع معقل حيث نزلوا فامتنعوا .

منها :

فلو أنّ ما عند ابن بُجْرَة[1] عندها ... من الخمر لم تَبْلُل لهاتى بناطِلِ[2]

فتلك التى لَمْ[3] يذهب الدهرَ حُبُّها ... ولا ذِكْرُها ما أرزَمت[4] أمٌّ حائل

منها :

وإن حديثا منك لو تبذُلينه ... جَنَى النَّحْل فى ألْبَان عُوذ مَطَافِلِ[5]

مَطافِيلُ أبكار حَديث نِتاجُها ... تُشاب بماء مثل ماء المَفاصِلِ[6]

معنى قوله : مطافيل أبكار : أى أن لبن الأبكار أطيب الألبان وهو لبنها لأوّل بطن وضعتْ ، وكذلك العسل فإن أطيبه ما كان بكر النحْل .

لما مات جعفر بن المنصور الأكبر مشى المنصور فى جنازته من المدينة[7] إلى مقابر قريش ، ومشى الناسُ أجمعون معه حتى دفنه ، ثم انصرف إلى قصره فأقبل على الربيع[8] وقال : انظُر مَنْ فى أهلى يُنشِدُنى قصيد أبى ذؤيب :

* أمِنَ المنون وريْبِها تتوجَّع *

حتى أتسلَّى عن مصيبتى . قال الربيع : فخرجت إلى بنى هاشم وهم أجمعون حضور ، فسألتهم عنها فلم أجد فيهم من يحفظها ، فرجعت فأخبرته فقال : والله لمصيبتى بأهل بيتى أن لا يكون فيهم أحد يحفظ هذه القصيدة لقلة رغبتهم فى الأدب أعظمُ وأشدّ

(١) ابن بجرة : خمار بالطائف .

(٢) الناطل : كوز يكال به الخمر ويقال : هو الجرعة مما يشرب .

(٣) فى غ : لا . والرواية فى الديوان : فتلك التى لا يبرح القلب حبها .

(٤) أرزمت : حنت — الحائل : الأنثى .

(٥) جنى النحل : العسل . عوذ : جمع عائذ : الناقة حين تضع ، فإذا تبعها ولدها قيل لها مطفل

(٦) المفاصل : جمع مفصل وهو منفصل السهل من الجبل يستنقع فيه أطيب الماء .

(٧) المدينة : يريد بغداد .

(٨) الربيع : هو الربيع بن يونس مولى المنصور .

من مصيبتي بابني ! ثم قال : انظر هل تجد من يحفظها ، فإني أحبّ أن أسمعها . فاعترضت الناس فلم أجد من يحفظها إلّا شيخا مؤدِّبا قد انصرف من تأديبه . فسألته هل تحفظ شيئا من الشعر ؟ قال : نعم شعر أبي ذؤيب . فقلت : أنْشدني فابتدأ فأنشد القصيدة العينية . فقلت : أنت بُغْيَتي. ثم أوصلتهُ إلى المنصور فاستنشده إياها فأنشده . فلما قال :

* والدهر ليس بمُعْتِبٍ[1] من يَجْزَع *

قال : صدق والله ! فأَنْشِدْني هذا البيت مائة مرة لتردّد هذا المصراع عليّ . فأنشده حتى مرّ فيها على قوله :

والدهرُ لا يبقَى على حَدَثانه   جَوْنُ[2] السَّراةِ له جَدائدُ[3] أرْبَعُ

فقال: سلا أبو ذؤيب عندهذا القول! ثم أمرالشيخ بالانصراف. واتبعته فقلت : أمر لك أمير المؤمنين بشيء ؟ فقال : نعم وأراني صُرَّة معه فيها مائة درهم .

كان أبو ذؤيب يهوَى امرأة يقال لها أم عمرو ، وكان يرسل إليها خالد بن زُهير ، فخانه فيها ، وكذلك كان أبو ذؤيب فعل برجل يقال له عُوَيْمر[4] بن مالك ابن عُوَيْمر وكان رسولَه إليها . فلما عَلِمَ أبو ذؤيب بما فعل خالد صَرَمها فأرسلت تترضّاه فلم يفعل .

وقال فيها من أبيات :

تُرِيدِين كيما تَجْمعِيني وخالداً   وهل يُجْمَع السيفان وَيْحَكِ في غِمْدِ[5]

---

(١) معتب : من أعتب بمعنى رجع إلى ما يرضى وترك ما يسخط .

(٢) جون السراة : أسود الظهر أوأبيضه ، ويريد به حمارا .

(٣) الجدائد : الأتن لا لبن لها، واحدها جدود .

(٤) في غ (بولاق) : عويم بن مالك بن عويمر .

(٥) شرح أشعار الهذليين : ٢١٩ .

خرج[١] أبو ذؤيب ومعه ابنُه وابن أخته أبو عبيد[٢] حتى قدموا على عُمَرَ ابنِ الخطاب رضى الله عنه فقال له : أىّ العمل أفضل يا أمير المؤمنين؟ قال : الإيمانُ بالله وبرسوله صلّى الله عليه وسلم . قال : قد فعلت . فما بعدهُ أفضل ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله . قال : ذلك كان عملى ، ولا أرجو جنة ولا أخاف نارا ، ثم خرج فغزا أرض الروم مع المسلمين . فلما قَفَلُوا أخذه الموتُ فأراد ابنه وابن أخته أن يتخلّفا عليه جميعا فنعهما صاحب الساقَة[٣] ، وقال : ليتخلّف عليه أحدُكما ، وليعلم أنه مقتول! فكلاهما أراد أن يتخلّف عليه . فقال لهما أبو ذؤيب اقترعا . فطارت القرعة على أبى عبيد ، فتخلّف عليه ومضى ابنُه مع الناس .

فحدّث أبو عبيد قال : قال لى أبو ذؤيب : يا أبا عُبَيد ، احْفِر ذلك الجرفَ برُمْحِك ثم اعضد[٤] من الشجر بسيفك ، ثم اجررنى إلى هذا النهر فإنك لا تفرغ حتى أفرغ ، فاغْسِلنى وكفِّنّى بكفنى ، ثم اجعلنى فى حفيرتى وأثِل[٥] الجرفَ علىّ برُمحك وألْقِ علىّ الغصون والحجارة ، ثم اتبع الناسَ فإن لهم رَهْجَةً[٦] تراها فى الأفُق إذا أمسيتَ كأنها جَهامة[٧] . قال : فما أخطأ مما قال شيئا . ولولا نعتُه لم أهْتَدِ لأثر الجيش .

---

(١) الخبر فى تهذيب ابن عساكر : ١٨٢/٥ .

(٢) فى غ (بولاق) : أبو عقيل .

(٣) صاحب الساقة : الأمير والقائد .

(٤) فى ت : اخضد ، وهما بمعنى : اقطع .

(٥) فى غ والتجريد : انثل على الجرف : أخرج ترابه فينهار علىّ . وأثل : اكسر الجرف واهدمه .

(٦) الرهجة : ما أثير من الغبار .

(٧) الجهامة : السحابة لا ماء فيها . والعبارة فى غ : إذا مشيت كأنها جهامة .

وقال : وهو يجود بنَفْسِه[1] :

أبا عُبَيْدٍ رُفع الكِتابُ ... واقترب الموعُودُ[2] والحِسابُ

وعنــد رَحْلِي جَملٌ نجابُ[3] ... أحْمَرُ فى حارِكه[4] انصبابُ

ثم مضيت حتى لحقت الناس .

وكان يقال : إن أهل الإسلام أبعدوا الأثر فى بلاد الروم ، فما وراء قبر أبى ذؤيب قبر يُعْلَمَ لأحد من المسلمين .

(١) الأبيات ليست فى أشعار الهذليين، وهى فى معجم الأدباء : ٨٩/١١ .

(٢) فى الأدباء : الوعيد .

(٣) فى الأدباء : منجاب، ولعلها نحاب بحاء مهملة مشددة : شديد السرعة .

(٤) الحارك : أعلى الكاهل .

خولة بنت منظور*

هى خَوْلة بنت مَنْظُور بن زَبَّان بن سَيَّار بن عَمْرو بن سِنان بن جابر بن عقيل ابن هِلال بن سمى ابن مازِن بن فَزارة بن ذُبيان بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان .

كان منظورُ بن زَبَّان سيِّد قومه غيرَ مدافَع ، وأمّه مُطَهَّمة[1] بنت هاشم ابن حَرْملة . وقد ولدت أيضا زهيرَ بنَ جَذِيمةَ .

وكان آخذا بأطراف الشرف فى قومه ، وهو أحد من طال حَمْلُ أمّه به ، فإنّ أمّه حملت به أربع سنين فولدته وقد جَمَع فاه ، فسمّاه أبوه منظوراً لطول ما انتظره . وقال فيه :

وما جِئْتَ حَتّى قيل ليس بوَارِدٍ فسُمِّيتَ منظوراً وجئتَ على قَدْرِ

وإنّى لأرجو أن تـكون كهـاشِمٍ وإنّى لأرجو أن تسودَ بنى بَدْرِ

وكان منظور بن زبّان تزوّج امرأة أبيه مُلَيكة بنت خارِجَة بن سِنان بن أبى حارثة المُرِّى ، فولدت له هِشاماً وعبد الجبار وخولة . ولم تزل معه إلى خلافة عمر ابن الخطاب ، وكان يشرب الخمر فرُفع أمرهما إلى عمر رضى الله عنه ، فأحضره وسأله عما قيل فيه. فاعترف وقال: ماعلمت أن هذا حرام. فحبَسه إلى قرب صلاة العصر ثم أحلفه أنه لم يعلم أن الله حَرَّم هذا[4] . فحلف أربعين يمينا . فخلَّى سبيله وفرّق بينه وبين امرأة أبيه وقال : لولا أنَّك حَلَفْت لضربتُ عُنُقَك .

---

* الأغانى (ليدن) : ٢١/١٦٠-١٦٣ - (بيروت) : ٢٣/٥٠٢-٥٠٥ .

(١) ك وت. وفى غ (بيروت) : قهطم.

(٢) جمع فاه : تم نبات أسنانه .

(٣) فى غ : أمره .

(٤) فى غ : ما فعله .

ولما طَلَّق مُلَيْكَة تزوَّجها محمّد بن طلحة . وأَسِفَ منظور عليها وقال :

أَلَا لا أُبالِى اليومَ ما صنع[1] الدَّهرُ إذا مُنِعَتْ مِنّى مُليكةُ والخمرُ

فإنْ تَكُ قد أمْسَتْ بَعيداً مَزارُها فَحَىِّ ابنةَ المُرِّىِّ ما طلَعَ الفجرُ

لَعمرُكَ ما كانت مُلَيْكَةُ سَوْءةً ولا ضُمَّ فى بيتٍ على مِثْلِها سِتْرُ

وقال فيها :

لَعَمْرُ أبى دِينٌ يُفرِّقُ بيننا وَبَيْنَكِ قَسْرًا[2] إنَّه لعظيمُ

وقيل إنّ الذى تزوَّجها طلحةُ بن عُبيد الله . وأما محمد بن طلحة فإنه تزوج خَوْلَة بنت منظور فولدتْ له إبراهيم بن محمّد ، وكان أعرج فقتل يوم الجمل ، فتزوَّجها الحسنُ بن على رضى الله عنهما ، فولدت له الحسن بن الحسن .

وكان إبراهيمُ بن محمد بن طلحة نازع بعض وَلَد الحسين بن علىّ بعضَ ما كان بينهم وبين بنى الحَسَنِ من مالِ علىٍّ رضى الله عنه ، فقال الحُسَيْنىّ لأمير المدينة : هذا الظالم الظّالع ، يعنى إبراهيم . فقال له إبراهيم : اللهُ يعلم أَنّى أبغضُك . فقال له الحُسَينى : صادق ، والله يُحِبُّ الصادقين . وما يمنعك من ذلك ، وقد قَتَل جَدّى أباك ، وناك عَمِّى أُمَّك ! لا يكْنِى . فأمر بهما الأمير فأُقِيما[3] .

ولمّا فرّق عُمَرُ رضى الله عنه بين منظور وبين مُلَيْكَة رآها منظور يوما وهى تَمْشِى فى الطريق، وكانت جميلة رائعة الحُسْن ، فقال : يا مليكة لعن الله دِيناً فرّق بينى وبينك ! فلم تكلِّمه وجازت ، وجاء بعدها زوجُها فقال له منظور : كيف رأيتَ أَثَرَ أَيْرِى فى حِرِ مُلَيْكَة ؟ قال : كما رأيتَ أثر أَيْرِ أبيك فيها . فأفحمه . فبلغ الخبرُ عمرَ رضى الله عنه فطلبه ليعاقبه فهرب منه .

(١) فى ت : فعل .

(٢) فى غ : قهرا .

(٣) فى ت : فأخرجا .

وكانت أختُ خَوْلة تحت عبد الله بن الزبير . وكانت خَوْلة قد جعلت أمرها إلى الحسن بن على رضى الله عنهما فتزوّجها ، فبلغ ذلك منظورَ بن زَبّان . فقال له : أمثلى يُفتات عليه فى ابنَتِه ؟ فقدم المدينة فركز راية سوداء فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يبق قيسىّ فى المدينة إلا دخل تحتها . فقيل لمنظور أين يُذهب بك ؟ تزوّجها الحسن بن علىّ وليس مثله أحد ، فلم يقبل . وبلغ الحسنَ رضى الله عنه ما فعل . فقال : شأنك بها . فأخذها وخرج بها ، فلما كان بقُباء جعلت خَوْلة تندِّمُه وتقول له : الحسن بن علىّ سيّد شباب أهل الجنة ! فقال: تلبّثى هاهنا فإن كان للرجل فيك حاجة فسيلحقنا هاهنا . فلحقه الحسنُ والحسين وابنُ جعفر وابنُ عباس رضى الله عنهم . فتزوّجها الحسن ورجع بها . فقال فى ذلك جَرير[1] العَبْسى:

إنَّ النَّدَى فى بنى ذُبْيان قد عَلِمُوا ... والجُودَ فى آل مَنْظُورِ بن سَيَّارِ

المَاطِرِين بأَيْدِيهم نَدًى دِيَمًا ... وكُلَّ غَيْثٍ من الوَسْمِىِّ مِدْرارِ

تَزُور جاراتِهم وَهْنًا فواضِلُهم ... وما فَتاهُمْ لهـا سِرًّا بزَوَّارِ

تَرْضَى قُرَيْشٌ بهم صِهْرًا لأنْفُسِهم ... وهُمْ رِضًى لِبَنِى أُخْتٍ وأَصْهارِ

ومات الحسن رضى الله عنه عن خولة بعد أن أسَنَّت، أوْ طَلَّقها فكشفت قِناعها وبرزت للرجال .

قال مَعْبد : فأتيتُها يوماً أطالِبُها[2] بحاجة فغنَّيْتها لحنى فى شعرٍ قاله فيها بعض بنى فزارة ، وكان خطبها فلم يُنكِحْها أبوها، فطربت لذلك وقالت : أيَا عَبْدَ بنى قَطن وأنا والله يومئذ أَحْسَنُ من النار المُوقدة فى اللَّيْلة القَرَّة فى عَيْن المَقْرور !! والأبيات :

(١) فى غ : جبير، وفى مخطوطة منه : جفير .

(٢) فى ك : اطلبها، والتصويب من غ.

(٣) فى ك، ت : أنا حينئذ عند ابن قطن ، والتصويب من غ . وفى ترجمة معبد (غ ١ : ٤٧): هو معبد بن وهب مولى ابن قطن .

قفَا فى دار خَوْلَةَ فأسألاهـا ... تَقَادم عَهْدُها وهَجَرْتُماهَـا

بِمِحْلالٍ[1] كأنَّ المِسْكَ فِيـهِ ... إذا هَبَّتْ بأَبْطَحِه[3] صَباهَـا

كأنك مُزْنَةٌ[4] بَرَقَت بلَيْـلٍ ... لِحرّانٍ يُضِىءُ لَهُ[5] سَناهَـا

فـلم تَمْطُرْ عليه وجاوَزَتْـه ... وقد أشْفَى عليها لو رَجاهَـا

وما يَمْلَأ فـؤادى فاعْلَمِيه ... سُلُوُّ النفسِ عَنْك ولا غَنَاهَـا

وتَرْعَى حَيْثُ شاءت من حِمانَا ... وتَمْنَعُنا فـلا نَرْعَى حِماهَـا

---

(١) المحلال : الأرض السهلة المرعة الخصبة يكثر الناس الحلول فيها .

(٢) فى غ : يفوح المسك منه .

(٣) الأبطح : مسيل واسع فيه رمل ودقاق حصا .

(٤) المزنة : السحابة فيها ماء .

(٥) فى نسخة من غ : لنا .

خُزَيْمَة بن نهد*

هو خُزَيْمَة بن نَهْد بن زيد بن لَيث بن سُود بن أَسْلم بن الْحاف بن قُضاعة بن مَعَدّ . شاعر مقلّ من قُدماء شعراء الجاهلية .

كان بدء تفرّق بنى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام عن تِهامة ونزوعهم عنها إلى سائر الآفاق وخروج من خرج منهم عن نسبه ، أنه كان أوّل من ظَعَن عنها وخَرج قضاعةُ بن معدّ .

فكان سبب خروجهم أن خُزَيمة بن نَهْدٍ كان مشؤوماً فاسِداً متعرّضا للنساء مفسداً لهنّ لا يُبالِى على ما قدم ، ولا يفكر فى عيب من عابه ، فعَلِق فاطمةَ بنت يَذْكر[1] بن عَنَزة بن أَسَدِ بنِ ربيعةَ بنِ نزار . واسم يذكر عامر . فشبَّب بها وقال فيها :

إذا الجَوْزاء أرْدفت الثُّرَيَّا ... ظَنَنْتُ بآلِ فاطمَة الظُّنونَا

وحالَتْ دون ذلك من هُمومِى ... هُمُومٌ تُخْرِج الشَجَن الدَّفِينَا

أَرَى ابنةَ يَذْكُرٍ ظَعَنَت فحلَّت ... جَنُوب الحَزْنِ ياشَحَطاً مُبِينا

فمكث بذلك زمنا[2] . ثم أن[3] خزيمة قال ليَذْكر : أُحبّ أن تزوّجنى ابنتك ، فقال : إنه لا يمكن ذلك . قال : ولمَ ؟ ! قال : لأنك قد شَهرْتها بمَيْلك إليها وهتكتها ، ولولا ذلك لزوّجتُك . فأقبل يُداريه بكل حيلة ويرغبه . فما أجابه إلى شيء من ذلك . فحقد ذلك فى نفسه . ومضى على هذا الحديث زمان طويل .

---

* الأغانى : (بولاق) : ١١/١٥٩-١٦٣-(دار الكتب) : ١٣/٧٨-٨٤- (بيروت) : ١٣/تجريد الأغانى : ١٤٦١-١٤٦٣ .

(١) فى ت: تذكر والتصويب من الاشتقاق لابن دريد (أسماء بنى ربيعة بن نزار): ٣٢١ .

(٢) فى غ : زمانا .

(٣) من قوله ثم إن خزيمة قال ليذكر أحب أن تزوجنى إلى قوله زمان طويل : ليس فى غ.

فلما كان يوم من الأيام قال خُزَيْمة ليَذْكر : أحبّ أن تخرج معى حتى نأتى بقَرظ ، فخرجا جميعا . فلما خلا خزيمة بيَذْكر شدّ عليه ليقتلَه[1] فمانع يَذْكر عن نفسه ساعة . وكان خزيمة أشدَّ منه بأساً فقتل خزيمة يَذْكر لما كان فى نفسه منه من أجل أنه منعه ابنتَه . فلما رجع إلى حيِّه وحده سأله أهلُ يَذْكر عنه فقال : لستُ أدرِى ، إنه فارقنى ببعض الطريق ولا أدرى أيْنَ سلك . [2]فاتّهموه بقَتْله فأنكر ذلك وتكلّموا فأكثروا[2] . وكان فى ذلك شرّ بين قضاعة ونزار ابنَىْ معدّ ، ولم يصحّ على خزيمة شىء يطالبونه[3] به فكان[4] قومه يقولون : يا قوم هذا رجل خرج مع رجل فى سفر وفارقه فى بعض الطريق وقد يفعل هذا الناس ، فأىّ شىء يلزمه ؟! فلا يستوى لأهل يَذْكر عليه شىء حتى قال خزيمة بن نَهد :

فَتاةٌ كأنَّ رُضابَ العَبِيرِ ... بفِيها يُعَلُّ بـه الزَّنْجَبيلُ
قَتَلْتُ أباهَا على حُبِّها ... فتَبْخَل إنْ بَخِلَتْ أوْ تُنيلُ

فلما قال هذين البيتين ثار[5] الحيَّان فاقتتلوا . وكانوا[6] أحزابا .

ويذْكُر بن عَنَزة أحد القارِظَيْن اللّذَين قال فيهما الهُذَلى[7] :

وحَتَّى يَؤُوبَ القارظان كلاهُما ... ويُنْشَرَ فى القَتْلى كُلَيْبُ بن وائل

والآخر من عَنَزة أيضا ، يقال له أبورُهْم ، خرج يجمع القَرَظ فلم يرجع ولم يُعرف له خبر .

---

(١) فى غ : قبله والعبارة من قوله فمانع يذكر إلى قوله فلما رجع : ليست فى غ .

(٢–٢) من قوله: فاتهموه إلى قوله وكان : ليس فى غ .

(٣) فى غ : يطالبون .

(٤) العبارة من قوله: فكان قومه يقولون . إلى قوله: حتى قال خزيمة : ليست فى غ .

(٥) فى غ : تناور .

(٦) فى غ : وصاروا .

(٧) أبو ذؤيب : والبيت فى أشعار الهذليين : ١٤٧ .

ثم إنّ نزارا قالوا اليوم كما بيننا: إن خزيمة قتل يَذْكُرَ فسلموه إلينا حتى نقتله وقد انقضى الشر ــ فيما بيننا ــ أوْ لا فليس غير الحَرْبِ!! فقالوا لهم : كيف علمتم أنّ خُزيمة قتل يَذْكر ؟ قالوا : بقوله :

* قتلتُ أباها على حُبِّها *

فقالوا : ما قال من هذا شيئا . وأنكر خزيمة هذا القول . قالوا لهم : بَلَى والله لقد قالَه وسمعه منه جماعة ، وليس غير قتله بصاحِبنا . فزاد الشر بينهم، ودخل الناس بينهم فى الصلح فأَبَوْا إلا قتل خزيمة أو الحرب . فاقتتلوا قتالا شديدا صعبا . وهُزمت قضاعة وقُتِلَ خزيمة بن نهد . وخرجت قضاعة متفرقين فى البلاد ؛ فسارت تَيْمُ[2] اللات بن أسد وفرقة من رُفَيْدة بن ثور بن كَلْب وفرقة من الأشعريّين نحو البَحْرين حتى وَرَدُوا هجر ، وبها يومئذ قوم من النَّبَط فنزلت عليهم هذه البطون وأجلتهم وأخرجتهم من البلاد وأخذوا ما كان لهم . فلما نزلوا هجر قالوا للزرقاء بنت زُهَيْر ــ وكانت كاهنة ــ : ما تقولين يا زرقاء؟ فقالت : سَعَفٌ وإهان[3] ، وتَمْرٌ وأَلْبان ، خير من الهَوان . ثم قالت :

وَدِّع تِهامة لاوَداعَ مُخالِفٍ[4] ... بذِمامِهِ لكن قِلًى ومَلَامِ
لا تُنْكِرى هَجَراً مُقام غَرِيبَةٍ ... لن تَعْدَمى من ظاعنين تَهَامِ

فقالوا لها : فما تَرَيْن يا زَرْقاء ؟ قالت: مُقامٌ وتَنوخٌ ، ما وُلد ولد[5] وأُنْقِفَتْ[6]

---

(١) ثم إن نزارا . إلى قوله : فاقتتلوا قتالا شديدا : ليس فى غ. والعبارة فى غ : فلما ظهرت نزار على أن خزيمة بن نهد قتل يذكر بن عنزة قاتلوا قضاعة أشد قتال فهزمت قضاعة .

(٢) فى ك: تيم الله. والتصويب من غ .

(٣) الإهان : العرجون .

(٤) فى غ : مخالق .

(٥) فى غ: مولود .

(٦) أنقفت : ثقبت عن نفسها وخرجت .

فُروخ، إلى أن يجيء غرابٌ أبقَع، أصْمَع[1] أنزع، عليه خلخالا ذهب، فطار فألْهَب[2] ونَعَق فَنَصَب، يقع على النَّخْلة السَّحُوق[3]، بين الدُّور والطريق، فسيروا على وتِيرَة، ثم الحِيْرةَ الحيرة.

فسمّيت تلك القبائل تَنُوخ لقول الزرقاء (مقام وتُنوخ). ولحق سائرَ قضاعة ومهرة موتٌ ذريع. ولحق بهم قوم من الأزد فصاروا فى تنوخ.

وخرجت فرقة من بنى حُلْوان بن عِمْران بن الحاف بن قضاعة يقال لهم بنو تَزِيد[4]، فنزلوا عَبْقَر من أرض الجزيرة. فنسج نساؤهم الصوف وعملوا منه الزرابى[5] فهى التى يقال لهـا العبقرية، وعملوا البُرود التى يقال لها التَّزِيدِيَّة[6]. وأغارت عليهم الترك فأصابتهم وسبت منهم وهرب الباقون. وذلك قول عمرو بن مالك[7]:

أَلا لِلّهِ لَيلٌ لمْ أَنَمْهُ ... على ذَاتِ الخضاب مُجَنَّبِينا[8]

ولَيْلَتُنا بآمِدَ لم نَنَمْهـا ... كلَيْلَتِنا بميَّافارِقينا[9]

وأقبل الحارث بن قُراد البَهْرانى ليغيث[10] بنى حلوان، فعرض له أُباغ بن سُليح صاحب العين فاقتتلا، فقُتل أباغ ومضت بَهْراء حتى لحقوا بالترك فهزموهم واستنقذوا

---

(١) أصمع: صغير الأذن — أنزع: منحسر الشعر من جانبى رأسه.

(٢) ألهب: اشتد فى طيرانه.

(٣) السحوق: الطويلة.

(٤) فى غ (بولاق) وت: بنويزيد. وفى ك: غيرمنقوطة. والتصويب من غ (دار) والاشتقاق لابن دريد (أنساب قضاعة): ٥٣٧.

(٥) الزرابى: الوسائد والبسط.

(٦) فى ت: اليزيدية، والتصويب مما سبق.

(٧) هو التزيدى.

(٨) البيتان فى معجم البلدان (آمد) ١/٦٢.

(٩) آمد وميا فارقين: من أشهر مدن ديار بكر.

(١٠) فى غ: ليعيث فى بنى حلوان.

بنى تَزيد منهم ، وَسَبوا منهم خلقا كثيرا ، فقال الحارث بن قُراد فى ذلك :

كأنَّ الدهرَ جُمِّعَ فى لَيالٍ ثَــلاثٍ بِتْهُنَّ بشَهرَ زُورِ
صففــنا للأعاجم من مَعَــدٍّ صُفوفاً بالجزيرة كالسَّعــيرِ

ثم نزلت تَنُوخ فى البحرين سنتين ، ثم أقبل غراب فى رِجْليه حَلْقتيا ذهب ، وهم فى مجلسهم ، فسقط على نَخْـلَة فى الطريق فنعق ثم طار فعجبوا منه . فذكروا قول الزرقاء وقالوا[1] : أرأيتم إلى إصابة هذه المرأة وإلى علمها ! ثم قالوا : اعزموا على الرحيل. فقال بعضهم: ولِمَ؟ قالوا: لقول الزرقاء قالوا: وماتدرى الزرقاء ما يكون؟! إنما هذا على طريق التَّخْمِين ولا يعلم أحدٌ ما يكون إلا الله ، والوجه أن تقيموا ولا تنزعجوا ولا تدرون ما يكون فى رحيلكم . فقال أكثرهم : إن الزرقاء قد وعدتنا بأشياء رأيناها كفلق الصبح ، منها : أمرُ هذا الغراب الذى وعدتنا به فما أخطأت فيه ، ولا بد من الخروج إلى الحيرة . فقال الباقون : ما نحن بارحون . فارتحل أكثر تنوخ .

فلما مضوا ندم الباقون فرحلوا فلحقوهم بالحيرة فاختطوا فيهـا وبنوا الأبنية وعَمَرُوها ، فهم أول من اختط[2] الحيرة، منهم مالك بن زهير . واجتمع إليهم لما ابْتَنَوا المنازلَ ناس كثير من القُرى[3] ، فأقاموا بها زمانا طويلا .

ثم أغار عليهم سابور[4] الأكبر ، وذلك[5] أنه بلغه عنهم بَأْسٌ وغَناء وقوة ، فقاتلوا قتالا شديدا صعبا . وكان شعارهم يومئذ يا آل عباد الله فسُمُّوا العبادَ .

---

(١) هذه العبارة إلى قوله «فلحقوهم بالحيرة» ليست فى غ .

(٢) اختط الحيرة : وضع أساسها وبنى فيها .

(٣) فى غ : من سقاط القرى .

(٤) سابور الأكبر : أحد ملوك الفرس .

(٥) هذه العبارة إلى قوله : غناء وقوة ليست فى غ .

ووافى سابور رَجيشٌ آخر فضعفُوا وهزمهم سابور أشد هَزيمة. فصار معظمهم ومن فيه نهوض إلى الحضَر من الحيرة يقودهم الضَّيْزن بن معاوية التَّنُوخى حتى نزل الحضْر ، وهو بناء بناه الساطرون[١] الجَرْمَقانى ، فأقاموا به .

وأغارت حِمْيَر على بقيّة قُضاعة ، فخيّروهم بين أن يقيموا على خَراج يدفعونه إليهم أو يخرجوا عنهم[٢] . فقالوا[٣] لهم : لا تفعلوا بنا هذا ، قد ملكتم فأحسنوا ، ولا تأخذوا الخراج منا فما تدرون ما يكون ، وعلينا فى هذا عار ما بقينا واللهَ اللهَ . فقالت حِمْيَر : ليس عن الخراج أو الخروج . فقالوا لهم : أَنْظِرونا حتى نفكّر فى أمرنا. فأنظروهم أياما وخرجوا وهم : كَلْب ، وجَرْم ، والعلاف بنو زَبَّان بن تُعَل ابن حُلْوان ، وهو أوّل من عمل الرِّحال العِلافيّة ، وعِلافٌ لقبُ زَبّان فلحقوا بالشام فأغارت عليهم بنو كِنانة بن خزيمة بعد ذلك بدهر ، فقتلوا منهم مَقْتَلَةً عظيمة ، وانهزموا فلحقوا بالسَّماوَة[٤] فهى منازلهم إلى اليوم .

---

(١) الساطرون : أحد ملوك الفرس قتله سابور ذو الأكتاف .

(٢) بعد هذه العبارة جملة مقحمة لاتتفق والسياق وهى (فخرجوا لأنهم ملكوا البلاد دونهم).

(٣) هذه العبارة إلى قوله: فأنظروهم أياما وخرجوا : ليست فى غ .

(٤) السماوة : موضع بين الكوفة والشام .

الخنساء*

هى الخنساء بنت عَمْرو بن الحارث بن الشَّريد بن رِياح[1] بن يَقَظة بن عُصَيَّة ابن خُفاف بن امرئ القيس بن بُهْثَة بن سُلَيم بن منصور بن عكرمة بن خَصَفة ابن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر بن نزار .

والخنساء لَقَبٌ عليها[2] . واسمُها تُماضِر .

وفيها يقول دُرَيْد بن الصِّمَّة ، وكان قد خَطَبها فردَّته ، وكان رآها تهنأ بعيرا لها ثم نَضَت ثيابَها واغتسلت . فقال :

حَيُّوا تُماضِرَ وارْبَعُوا[3] صَحْبِي ... وقِفُوا فإنَّ وقوفَكم حَسْبِي

أَخُناس قد هام الفؤادُ بكم ... وأصابَه تَبْلٌ[4] من الحُبِّ

ما إنْ رأيتُ ولا سَمِعتُ به ... كاليوم طالِيَ أَيْنُقٍ جُرْبِ

مُتَبَذِّلًا تبدُو محاسِنه ... يَضَعُ الهِنَاءَ مَواضِعَ النُّقْبِ[5]

ولمّا خطبها دُرَيْدٌ قال له أبوها : مرحباً بك أبا قرة ، إنّك لكريم لا يُطعن فى حَسَبه ، والسيّد لا يُردّ عن حاجته ، والفَحْل لا يُقْرَع أنفُه . ولكن لهذه المرأة

---

* الأغانى : (بولاق) : ١٣/١٣٥–١٥٠ : – (دارالكتب) : ١٤/٧٦–١٠٤ – (بيروت الثقافة) : ١٤/٦٠–٨٢ تجريد الأغانى : ١٦١٦–١٦٢٢ .

(١) فى الإصابة : رياح بموحدة. وفى الخزانة : ١/٢٠٨ وغ : الدار وبيروت : كما أثبتنا ، وفى ك : بدون نقط. وفى جمهرة أنساب العرب : الشريد : اسمه عمرو بن يقظة .

(٢) عليها : تجريد : لها .

(٣) اربعوا : انتظروا .

(٤) التبل : السقام .

(٥) الهناء : القطران – النقب : الجرب .

فى نفسها ماليس لغيرها ، وأنا ذا كَرِهٌ لها ، وهى عاقلة . فدخل إليها فقال : ياخَنْساء أتاكِ فارس هَوازِن وسيدٌ بنى جُشَم ، دُرَيْد بن الصِمَّة ، يَخطُبك ، وهـو مَنْ تَعْلَمِين . فقالت له : يا أَبَتِ أَنْظِرْنى حتى أشاور نفسى فى أمره . ثم بعثت خادما لها وقالت: انْظُرِى إليه إذا بال ، فإن كان بولُه يَخْرق الأَرضَ ويخدُّ فيها ففيه بقيَّة ، وإن كان بولُه يَسيح فيها فلا بقيَّة فيه . فأتته ثم عادت إليها وقالت : وجدتُ بَوْلَه قد ساح على وجه الأرض . فقالت: لا بقيّة فى هذا ، وأرسلت إليه : ما كنتُ لأَدَعَ قومِى وبَنِى عمِّى وهم مِثْلُ عَوالِي الرِماح ، وأتزوَّجُ شَيْخاً هَرِماً هامةً اليوم أو غد . وكان دريد يسمعُ قولَها فقال من أبيات :

وَقاكِ اللهُ يا ابنَةَ آلِ عَمْرو ... مِن الفِتيانِ أَمْثَالِى[1] ونَفْسِى
وقالت : إنّنى شيخ كـبير ... وما نبَّأتُها[2] أنّى ابنُ أمْسِ
فلا تلدى ولا ينـكحك مثلى ... إذا ما ليـلة طرقت بنَحْسِ
تريد شرنبث الـكفين شثنا ... يباشر بالعشيَّة كل كِرْسِ[3]

فقالت الخنساء تُجيبه :

مَعاذَ اللهِ يَنْـكِحُنى حَبَرْكَى[4] ... يُقال أبوه من جُشَمِ بن بَـكْرِ
ولو أَصْبَحْتُ فى جُشَمٍ هَدِيًّا[5] ... إذاً أصبحتُ فى دَنَسٍ وفَقْرِ

وقيل : إنها هى البادئة بهذا الشعر ، وإنّ دريداً أجابها بالسينية .

---

(١) فى غ : أشباهى .

(٢) فى ت : أنبأتها .

(٣) الشرنبث: الخشن ــ الـكفين : فى غ : القدمين ــ الشثن : الغليظ ــ الـكرس : ما تلبد فى الدار من أبوال الإبل والغنم وأبعارها .

(٤) الحبركى: الطويل الظهر القصير الرجلين، فهو دميم الخلقة .

(٥) هديا : عروسا .

وللخنساء فى أخيها صَخْر مراثٍ كثيرة لمَّا قُتل، قتَلَه ربيعة[١] بن ثور الأسدى يوم ذى[٢] الأَثْل . وذلك أنّ صخراً وأنَس بن عَبّاس أصابا فى بنى أسد بن خُزَيمة غنائم وسَبْيا ، وأخذ صخر بُدَيْلَةَ زوجته[٣]، فأصابت صخرا يومئذ طعنةٌ طعنه بها ربيعةُ بن ثَوْر فأدخل جَوْفَه حَلَقاً من الدِّرع فاندمل عليه حتى شُقَّ عنه بعد أربع سنين ، فكان ذلك سببَ موته .

وقيل : بل وَرَد هو وبَلْعاء بن قَيْسٍ الكِنانى وكانا أجملَ رَجُلَين فى العرب فشربا عند يهودِىّ خمّار فحسدهما لِماَ رأى من جمالها وهَيْئتِهما فقال : إنى لأَحسد العربَ أن يكون فيهم مثلُ هذين ! فسقاهما شربة حَربا[٤] منها .

قال: فمرّ طبيب بصخر بعد ماطال مرضه فأراه مابه فقال : أَشُقّ عنك فتُفيق . فعمَد إلى شِفارٍ فجعل يُحمِيها ويشُقُّ بها عنه فلم يَنْشَب أن مات .

وقيل: إنّ صخراً لمّا طُعِنَ مرض حولًا كاملا حتى ملَّه أهلُه ، فسمع صخرٌ امرأةً وهى تسألُ سَلْمَى امرأته : كيفَ بَعْلُك ؟ قالت : لا حَىٌّ فيُرْجَى ولا ميْتٌ فيُنْعَى . لَقِينا منه الأَمَرَّيْن !

وقيل : إن بُدَيْلَة زوجته التى كان سباها من بنى أسد هى التى قالت ذلك . وأنشدوا له :

أَلَا تِلْكُمُ عِرْسِى بُدَيْلَةُ أَوْجَست ... فِراقِى ومَلَّت مَضْجَعِى وَمكانِى

وأمّا من قال إنها سَلْمَى امرأته فأنشد له :

أَرَى أُمَّ صَخْرٍ لا تَمَلُّ من البُكَا[٥] ... ومَلَّت سُلَيْمَى مَضْجَعِى وَمكانِى

---

(١) فى غ: زيد بن ثور. وفى الاستيعاب : قتله ثور
(٢) فى ياقوت : ذات الأثل : فى بلاد تيم الله بن ثعلبة كانت بها وقعة مع بنى أسد (أثل).
(٣) زوجته: فى غ: امرأته. وفى رواية أخرى : امرأة .
(٤) حربا منها: فى غ: جويا منها. حربا: قالا: واحرباه! من شدة ماأصابهما. وجوبا: أصابهما جوى وحرقة .
(٥) من البكا . فى غ : عيادتى.

وما كُنتُ أخشى أن أكُون[1] جِنازَةً عليكِ ومَنْ يَغْتَرَّ بالحَـــدَثانِ ؟
أَهُمُّ بأمرِ الحَزْمِ لو استَطِيعُـه وقد حِيلَ بين العَـيْرِ والنَزَوانِ
لَعَمْرِي لقـد نَبَّهْتُ من كان نائِمًا وأسمعتُ من كانت لـــه أُذُنانِ
وللْمَوت خَـيْرٌ من حَياةٍ كأنَّها مَحَلَّةُ يَعْسُوبٍ[2] برأس سنـانِ
وإنَّ[3] امْرأً ساوَى بأُمٍّ حَليلَةً فـلا عاش إلَّا فى شَقًا وهَـوَانِ

فلما طال عليه البَلاء وقد نتأت قطعةٌ مثل اليَد[4] فى جَنْبه فى موضع الطعنة فقالوا له : لو قطعتَها لرجونا أن تبرأ فقال : شأنـكم . فأشفق عليه بعضهم فنهاهم فأبى وقال: الموت أهون علىّ مما أنافيه. فأَحْمَوْا له شَفْرَةً وقطعوها فيئس من نفسه . قال: وسمع صخرٌ أُخته الخنساء تقول : كيف كان صبرُه ؟ فقال صخر فى ذلك :

أجارَتَنا إن الخُطـوبَ تَنُوب على النَّاسِ كُـلَّ المخطئين تُصِيب
فإن تسألِينى هـل صَبَرْتُ فإنَّنى صَبُورٌ على رَيْبِ الزَّمانِ صَلِيبُ
كأنّى وقد أَدْنَوْا إلىَّ شِفارَهُمْ من الصَّبْرِ دامى الصَّفْحَتين[5] رَكُوبُ
أجارَتَنا لستُ الغَداة بظاعِنٍ ولـكن مُقِيمٌ ما أقام عَسِيبُ[6]

ثم مات. فقَبْرُه هناك مُعلما قريب من عَسِيب .

فقالت الخنساء تَرثيه :

قَذًى بعَيْنِك أم بالعَيْنِ عُوَّارُ[7] أم أقفرت إذْ خَلَت من أهلِها الدَّارُ

---

(١) فى ك : تـكون ، والتصويب من جميع نسخ الأغانى ــ جنازة : ثقلا وغما .
(٢) اليعسوب : ذكر النحل .
(٣) فى غ : وأى امرئ .
(٤) فى غ : الـكبد . وفى نسخة منه : اليـد
(٥) فى ك : الشفرتين والتصويب من ه، ك ومن غ .
(٦) عسيب : جبل بأرض بنى سليم الى جنب المدينة .
(٧) عوار : وجع مثل الرمد .

تَبْكِي لصَخْرٍ هي العَبْرَى وقد ثَكِلَتْ[1]
ودُونه من جَدِيد الأَرْض أَسْتَارُ

منها :

وإنّ صَخْراً لوالينا[2] وسَيّدُنا — وإنّ صخراً إذا نَشْتُو لنحّارُ
وإن صخرا لتأْتَمُّ الهُداةُ به — كأنّه عَلَمٌ[3] في رأسه نارُ
لم تَرَه[4] جارةٌ يَمْشِي بساحَتِها — لِريبَةٍ حين يُخْلِي بيتَه الجارُ
مثلُ الرُّدَيْنِي[5] لا[6] تَنْفَدُ شبيبتُه — كأنّه تحت طَيِّ البُرْدِ أُسْوارُ

وقالت فيه أيضا :

بَكَتْ عَيْنِي وعاودها قَذَاها — بعُوّارٍ فما يَقْضِي كَرَاها[7]
عَلَى صخرٍ وأيّ فتًى كصَخْرٍ — إذَا ما النّابُ لم تَرْأَمْ طَلاها[8]
فَتَى الفِتيان ما بَلَغُوا مَداهُ — ولا يُكْدِي إذا بلغَت كُداها[9]
حَلَفتُ بربِّ صُهْبٍ معملاتٍ — إلَى البيت الُمحَرَّم مُنْتهاها[10]
لئن جَزِعت بنو عَمْرٍو عليه — لقد رُزِئت بَنُو عَمْرٍو فَتَاها
له كَفٌّ يَشُدُّ بها وكَفٌّ — تَجُود فما يَجِفُّ ثرى نَداها

---

(١) في غ (بيروت) : ذرفت .

(٢) في ت والتجريد: لمولانا. وما هنا موافق لنسخ الأغاني.

(٣) العلم : الجبل : يريد أنه مشهور .

(٤) هكذا في ك وفي التجريد أيضا — وفي ت و غ : لم ترأه.

(٥) الرديني : الرمح المقوم منسوب إلى ردينة مقومة الرماح .

(٦) في غ : لم .

(٧) الكرى : النعاس .

(٨) لم ترأم : لم تعطف — الطلا : ولد الظبية واستعير للحوار .

(٩) لا يكدى : لا يعجز أمام الصعاب — الكدى : جمع كدية وهي الأرض الصلبة الغليظة ويمكن أن يراد أنه لا يبخل حين شدة الزمان فهو لا يمسك العطاء إذا قطع غيره وأمسك .

(١٠) البيت ليس في غ .

تَرَى الشُّمَّ الجَحاجِحَ من سُلَيْمٍ ... يَبُلُّ نَدَى مَدامِعِها لِحاها[1]

وخَيْلٍ قد كَفَفْتَ بجَوْلِ خَيْلٍ ... فدارت بين كَبْشَيْها رَحاها[2]

تَرفّع فَضْلَ سابِغَةٍ دِلاصٍ ... على خَيْفانَةٍ[3] خفقٍ حَشاها

وتَسْعَى حين تَشْتَجِر العَوالِي[4] ... بكأسِ الموت ساعةَ مُصطلاها

محافَظَةً وَمَحمِيَةً[5] إذا ما ... نَبا بالقوم من جَزَعٍ لَظاها

فتتركها قد اشتَجَرت بطَعْنٍ ... تضَمَّنه إذا اختلفت كُلاها

هنالك لو نزلتَ بآل صَخْرٍ ... قِرَى الأَضيافَ شحما من ذُراها[6]

فمَنْ للضَّيْف إنْ هَبَّتْ شَمَالٌ ... مُزَعْزِعة يجاوبها صَباها[7]

أُمْطِعمَكم وحاميكم[8] تركتم ... لدى غَبْراءَ مُنْهَدِم رَجاها

لِيَبْكِ عليك قَوْمُك للمَعالِي ... وللهَيْجاء إنّك ما[9] فتاها

وقد وردت طُلَيْمَةُ[10] فاستراحَتْ ... فلَيْتَ الخَيْلَ فارِسُها يَراها

وقالت فيه أيضا :

أَعَيْنَيَّ جُودَا ولا تَجْمُدَا ... أَلَا تَبْكِيانِ لصَخْرِ النَّدَى

أَلَا تَبْكِيانِ الجَرِيءَ الجَمِيلَ ... أَلَا تَبْكِيانِ الفَتَى السَّيِّدَا

---

(١) الشم الجحاجح : الأباة الأشراف ــ يبل ندى مدامعها : فى غ وقد بلت مدامعها .

(٢) كففت : فى الديوان: دلفت ــ بجول: بجولان ــ كبشيها : قائديها .

(٣) الخيفانة : الفرس الخفيفة السريعة، شبهت بالخيفانة من الجراد .

(٤) العوالى : يريد الرماح .

(٥) محمية : حمية وغضبا وأنفة .

(٦) شحما : فى غ (دار) : سخنا ــ ذراها : أسنمتها .

(٧) فى غ : صداها .

(٨) فى غ : حاملكم .

(٩) ما فتاها : ما هنا زائدة للتأكيد .

(١٠) طليمة : اسم فرسه وفى غ : وقد فوزت طلعة .

طَويلُ النِّجـاد رَفِيـعُ العِما ... دِ ساد عشـيرتَه أَمْرَدا
إِذَا القَوْمُ مَدُّوا بأَيْدِيهمُ ... إِلَى المَجْـدِ مَدَّ إِلَيْهِ يَدَا
فنـال الَّذِى فَوْق أَيْدِيهمُ ... من المَجْـد ثُمَّ مَضَى مُصْعِدا
يُحَمِّله القَـومُ ما عَالَهم(١) ... وإن كان أصغرهم مولدا
ترى المَجْـدَ يَهْـوِى إلى بَيْتِهِ ... يَرَى أفضلَ الكسب(٢) أن يُحْمَدَا
وإن ذُكِرِ المجـد أَلْفَيْتَه ... تأزَّر بالمجـد ثم ارتدَى

وأما مقتل معاوية أخيها فالسبب فيه أنه وَافَى يومَ عكاظ فلقى أسماء المُرِّيّة وكانت جميلة ، وقيل : كانت بَغِيًّا ، فدعاها إلى نفسه فامتنعت عليه وقالت : أما علمت أنّى عند سيّد العرب هاشم بن حَرْمَلة؟! فأغاظته(٣) وقال : أما والله لَأُقَارِعَنَّه عنك . فقالت : شأنَك وشأنَه . ورجعت إلى منزل هاشم فأخبرته بما قال معاوية وما قالت له . فقال هاشم : لعمرى لا أريم(٤) أبيَاتَنَا حتى أنظر(٥) ما يكون من جَهْده . فلما خرج الشهر الحرام وتراجع الناس عن عكاظ خرج معاوية بن عَمْرٍو غازيا يريد بنى مُرّة وبنى فزارة فى فرسان أصحابه من بنى سليم، حتى كانوا بمكان يُدْعى الحَوْزَة دوَّمت(٦) عليه طير وسنَحَ له ظبى فتَطَيَّر منهما ورجع فى أصحابه . وبلغ ذلك هاشم بن حَرْمَلة فقال : ما منعه من الإقدام إلّا الجبن .

فلما كان فى السنة المُقبلة غزاهم حتى إذا كان فى ذلك المكان سنح له ظبى وغراب فتطيَّر منهما ورجع إلى بلاده . ومضى أصحابه وتخلف فى تسعة عشر فارِسا لا يريدون

(١) عالهم : ثقل عليهم وأهمهم .
(٢) فى غ : المجد .
(٣) فى غ : فأحفظته، وكذلك فى التجريد .
(٤) فى غ : لا يريم .
(٥) فى غ : تنظر .
(٦) دومت : حلقت .

قتالا ، فوردوا ماء وإذا عليه بيت شَعَرٍ فصاحوا بأهله فخرجت إليهم امرأة فقالوا : مَنْ أنتِ ؟ قالت : أنا امرأة من جُهينة أحلاف لبنى سَهْم بن مُرّة بن غَطفان ، فوردوا الماء يسقون. فانسلّت وأتت هاشم بن حَرْمَلة وأخبرته أنهم غير بعيد ، وعرّفته عِدّتهم وقالت : لا أرى إلّا معاوية فى القوم . فقال : يا لَكاع معاوية فى تسعة عشر رجلا ، شَبّهت وأبْطَلت[١] . قالت : بل قلت الحق ، وإن شئتَ لأصفنهم لك رجلا رجلا قال : هاتى . قالت : رأيت فيهم شابًّا عظيم الجُمّة جبهته قد خرجت من تحت مِغْفره، صبيحَ الوجه عظيمَ البطن على فرس غَرّاء . قال: نعم هذه صفة معاوية وفرسه الشَّمّاء. قالت: ورأيت رجلا شديد الأُدمة شاعرا ينشدهم. قال : ذلك خفاف بن عمير . قالت : ورأيت رجلا لا[٢] يبرح وَسَطهم إذا نادَوْه رفعوا أصواتهم . قال: ذلك عَبّاس الأَصَمّ قالت : ورأيت رجلا طويلا يكنونه أبا حبيب ورأيتهم أشد شىء له توقيرا . قال : ذلك نُبَيْشَة بن حبيب . قالت : ورأيت رجلا شابًّا جميلا له وفرة حسنة . قال : ذلك العبّاس بن مرداس السُّلَمِى . قالت : ورأيت شيخا له ضفيرتان سمعته يقول لمعاوية : بأبى أنت أطلت الوقوف ! قال: ذلك عبد العُزّى زوج الخنساء أخت معاوية.

فنادى هاشم فى قومه وخرج . وقيل : إنه لم يخرج إليهم إلّا فى مثل عِدّتهم من بنى مُرّة فلم يشعروا[٣] حتى طلعوا عليهم فَلَقُوهم . فقال لهم خُفاف : لا تُنازِلوهم رجلا رجلا فإنّ خَيْلهم تَثْبُت للطِّراد وتحمل ثِقْل السلاح وخيلكم قد أنهكها الغزْو وأصابها الحفاء . فاقتتلوا ساعة . وانفرد هاشم ودُرَيد ابنا حَرْمَلة المُرِّيَّان فخرج إليهما معاوية فاستطردَ له أحدُهما ، وشَدّ عليه معاوية فشغَلَه واغترّه الآخر فطعنه فقتله . وكانت بالذى استطرد له طعنة طعنَه إياها معاويةُ . وتنادَوْا بينهم : قُتِل معاوية

---

(١) فى غ : أو أبطلت .

(٢) فى غ : ليس .

(٣) فلم يشعروا : يريد السلميين .

فقال خُفاف : قتلنى الله إن رمت حتى أَثْـأَر به ، فشَدَّ على مالك بن حمار سيّد بنى فزارة فقتله .

وقال خُفاف فى ذلك، وهو خُفاف بن نَدْبَة ،ونَدْبة[1] أُمّه وهى أَمَةٌ سوداءسباها الحارثُ بن الشَّريد حين أغار على بنى الحارث فوهبَها لابنه عُمَيْر فولدت له خُفافا ، وهو خُفاف بن عُمَيْر بن الحارث بن الشَّريد[2] :

أقولُ له والرُّمح يَأْطِرُ[3] مَتْنه	تأَمَّل خُفافًا إنَّنِى أنا ذَلِـكا
وقفت له عَلْوَى[4] وقدخام[5] صُحْبَتِى	لأبنىَ مَجْـدًا أو لأثأر هالِـكا
لَدُن ذَرَّ قرنُ الشَّمْس حتى رأيتهم	سِرَاعاً على خَيْـلٍ تؤم المسالِـكا
فلما رأيتُ القـــومَ لا وُدَّ بينهم	شريجين شَتَّى طالبا ومُواشِـكا[6]
تيمَّمتُ كبشَ القوم لمّا[7] عرفتُه	وجانبت شُبَّان الرِّجال الصعالِـكا
فجادت له مـنّى[8] يمينى بطَعْنَةَ	كست مَتْنَه من أَسْوَد اللَّوْن حالِـكا
أنا الفارِسُ الحامِى الحقيقةَ والّذى	به أدركَ الأبْطال قدْما كذلـكا
فإن يَنْجُ منهـا هاشم فبطَعْنَةٍ	كسَتْه نَجيعاً من دمِالجَوْف صائِـكا[9]
فإن تَكُ خيلى قد أصيبت صميمها	فعمداً على عينى[10] تيممْتُ مالـكا

فحقق خُفاف فى شعره أنّ الذى طعن معاوية هو هاشم بن حَرْمَلة .

---

(١) ندبة : ويقال : هى ابنة الشيطان بن بنان من بنى الحارث بن كعب (غ) .

(٢) الأبيات فى الخزانة : ٢/ ٤٧٠ـ٤٧٢ .

(٣) يأطر : يعطف ويثنى .

(٤) علوى : اسم فرسه وفى غ (دار) : جلوى وما هنا يتفق ورواية اللسان مادة (علا) ١٩/ ٣٢٨ .

(٥) فى ك : نام والتصويب من غ واللسان وخام : نـكص .

(٦) شريجين : ضربين وفريقين ـ المواشك : السريع السير .

(٧) فى غ : حتى .

(٨) منى يمينى فى غ : يمنى يدى .

(٩) صائـكا : جامداً لازقا .

(١٠) فى غ : عين ـ مالـكا : هو مالك بن حمار الشمخى سيد فزارة .

وقالت الخنساء ترثى أخاها معاوية :

ألا لا أَرَى فى النَّاس مثلَ مُعاويه … إذا طرقت إحدى اللَّيالِى بداهِيَهْ

فأقسمتُ لا أَنفَكّ أَبْكِى بعولة … عليك وحُزْنٍ ما دَعَا اللهَ داعِيَهْ(١)

وقالت أيضا ترثيه :

أَلَا ما لعَيْنيك أمْ ما لهـــا … لقد أَخْضَلَ(٢) الدمعُ سربالَها

أَبَعْد ابنِ عَمْرٍو مِنَ آل الشرِ … يدِ حَلَّت به الأرْضُ أثقالَهــا

فأقسمتُ آسى على هــالِكٍ … وأسألُ نائحــةً مــا لَهَــا

سأَحْمِل نفسى على آلةٍ(٣) … فإمَّا علَيْهـا وإمَّا لَهـــا

تُهِينُ النفوس وهَوْنُ النفُو … سِ يومَ الكريهة أبقَى لهَا

فإنْ تَصْبر النفس تَلْقَى السرورَ … وإنْ تجزَع النفسُ أَشْقَى لها(٤)

وقافِيَةٍ مثل حَدّ السِّنا … نِ تبقَى ويَذْهَبُ(٥) منْ قالها

نطقتَ ابنَ عمرٍو فسَهَّلْتَها … ولم يَنْطِق الناسُ أمثالَها

فإن تَكُ مُرَّةُ أودَتْ به … فقد كان يُكْثِرُ تَقْتالَها

فزالَ الكواكبُ منْ فَقْدِه … وجُلِّلَت الشمسُ أَجْلالَهــا

ولما دخل الأشهر(٦) الحرم من السنة المقبلة خرج صخر أخو معاوية حتى أتى بنى مُرَّة فوقف على ابنَىْ حَرْملة فإذا أحدُهما به طعنة فى عَضُده فقال : أيّكما قتل أخى

---

(١) الرواية فى غ :

فأقسمت لا ينفك دمعى وعولتى … عليك بحزن ما دعا الله داعِيَه

(٢) أخضل : ندى وبلل .

(٣) آلة : حالة .

(٤) البيت ليس فى غ .

(٥) فى غ : ويهلك .

(٦) فى غ : الشهر الحرام .

معاوية ؟ فسكتا ولم يُحِيرا[1] جوابا. فقال الصحيح للجَرِيح : ما لك لا تُجيبه فقال : وقفت له فطعنَني هذه الطعنة فى عَضُدِى وشَدّ عليه أخى فقتله، فأيّنا قتلت أدركت بثأرك . إلّا أننا لم نسلُبْ أخاكَ : قال : فما فعلت فرسه الشَّمَّاء قال : ها هى تلك خُذْها. فأخذها ورجع .

فلما أتى صخرٌ قومَه قالوا له : اهجُهم قال : إن ما بيننا أجلُّ من القذَع ولو لم أكففْ إلّا رغبة بنفسى عن الخنا لفعلت .

وقال صخر فى ذلك :

وعاذِلَةٍ هَبَّتْ بلَيْلٍ تلومُنِى ... ألَالا تلومِينِى كَفَى اللَّوْم ما بِيَا
تَقولُ ألا تَهْجُو فوارس هاشِمٍ ... ومَا لِىَ إذ أَهْجُوهم ثم ما لِيَا
أبَى الشَّتْمَ أنّى قد أصابُوا كريمتى ... وأنْ ليس إهداء الخنا من فَعَالِيا[2]
إذا ذكر الإخوان رَقْرقت عَبْرةً ... وحَيَّيْتُ رَمساً عند لِيَّة[3] ثاوِيَا
إذا ما امرؤٌ أهدى لمَيْتٍ تحيَّةً ... فحيَّاك ربُّ العَرْشِ[4] عنّى مُعاوِيَا
وهوّن وَجْدِى أنَّنِى لم أقُلْ له ... كَذَبْتَ ولم أَبْخَلْ عليه بمَالِيَا[5]

وقيل : إنه زاد فيها بيتا بعد أن أوقع بهم فقال :

وذى إخوَةٍ قَطَّعْتُ أقران[6] بَيْنِهم ... كما تَركُونى واحداً لا أخَالِيَا

فلما كان فى العام المقبل غزاهم وهو على فرسه الشمّاء، فقال : إنى أخاف أن يعرفونى

---

(١) فى غ : ولم يخبراه شيئا. وفى رواية : ولم يحيرا إليه شيئا .

(٢) فى غ : شماليا ، يريد شمائلى. وفى غ (بولاق) والعقد : ٣/٧٤ : سماتيا .

(٣) لية: موضع بالطائف .

(٤) فى غ : الناس .

(٥) فى غ : أورد بعده بيتا .

(٦) أقران: حبال، عنى بها الصلات وهى كناية عن القتل . وفى غ (بولاق) : أفراق، وهو تحريف .

ويعرفوا غُرَّة الشماء فيتأهبوا فحمَّم غُرَّتها[١] . فلما أشرف على أدانى[٢] الحىّ رأوها فقالت فتاة منهم : يا أبه هذه والله الشماء ، فنظر فقال : الشَّمَّاء غَرّاء وهذه بَهِيم . فلم يشعر إلَّا والخيل دواس[٣] فاقتتلوا فقتل صخر دُرَيْدًا وأصاب بنى مُرَّة فقال :

ولَقَد قتلتُكم ثُناء[٤] ومَوْحَدًا وتركتُ مُرَّةَ مثل أمسِ المُدْبِرِ

ولقد دَفَعْتُ إلى دريدٍ طعنةً نَجْلاءَ تُزْغِلُ[٥] مثل عَطِّ[٦] المَنْحَرِ

وقال صخر أيضا فيمن قتل من بنى مُرَّة :

قَتلتُ الخالِدَيْن به وبِشْراً وعَمْراً يوم جَوْزَة وابنَ بِشْرِ

ومِنْ شَمْخٍ قتلتُ رجالَ صِدْقٍ ومن بَدْرٍ فقد أوفيتُ نَذْرِى[٧]

ومُرَّةُ قد صبحتاها المَنايا وروَّيْنا الأَسِنَّة غيرَ فَخْرِ

ومن أفناء ثَعْلَبَة بنِ سَعْدٍ قتلت وما أبيئهم بوَتْرِ[٨]

ولكنَّا نريد هلاكَ قَوْمٍ فنقتُلُهم ونَشْرِيهم بكَسْرِ[٩]

ثم إنّ هاشم بن حَرْمَلة بن صِرمة بن مرَّة خرج غازيا، فلما كان ببلاد جُشَم بن بكر ابن هوازن نزل منزلا وأخذ معه أداوةً[١٠] وخلا لحاجته بين شجر ، فرأى غفلته

---

(١) حم غرتها : سودها .

(٢) فى غ : أدنى .

(٣) فى غ (دار) و (بيروت) : دوائس وهما بمعنى .

(٤) فى ك : مثنى ، والتصويب من غ . وثناء ومثنى لا ينونان لأنهما مما صرف عن جهته .

(٥) تزغل : تخرج الدم قطعا قطعا .

(٦) فى غ: غط المنخر . وماهنا موافق لما فى نهاية الأرب ٥ /٣٦٧ والخزانة/ ٤٧٤ و غ (بولاق).

(٧) شمخ وبدر : قبيلتان .

(٨) أفناء القبائل : أخلاطها ــ أبيئهم: فى ك : أبيتهم والتصويب من غ . وأبأت فلانا بفلان قتلته به: أى وما قتلتهم بثأر لى .

(٩) بكسر : بأخس شىء قليل .

(١٠) الإداوة: خريطة (عيبة) يضع فيها المرء أداته ومتاعه ، وفى غ : صفنا وفى نسخة صفنته: وهى كالأداوة .

قَيْسُ بن الأمرار[١] الجُشَمى فتبعه وقال: هذا قاتل معاوية، لا وألَتْ نفسى إن وأل[٢]، فلما قعد على حاجته تَقَتَّر[٢] له بين الشَّجَر، حتى إذا كان خلفه أرسل[٣] مِعْبَلَةً فقتله. فقالت الخنساء فى ذلك:

فِدًى للفارِس الجُشَمِىّ نفسى ... وأفْدِيه بمَنْ لِىَ من حَمِيمِ

أُفَدِّيه بكل بنى سُلَيْم ... بظاعِنِهم وبالأَنَسِ المُقِيمِ

كما مِنَ هاشمٍ أقرَرْتُ عَيْنِى ... وكانت تَنامُ ولا تُنِيمُ[٤]

وكان هاشم أسْوَدَ[٥] العرب وأشدَّهم وله يقول الشاعر[٦]:

أَحْيَا أَبَاهُ هاشِمُ بن حَرْمَلَهْ ... يوم الهَباتَيْن ويَوْمِ اليَعْمَلَهْ

يَقْتُلُ ذا الذَّنْبِ ومنْ لا ذَنْبَ لَهْ ... تَرَى المُلوكَ حَوْلَه مُغَرْبَلَهْ

* وسَيْفه[٧] للوالِدات مَثْكَلَهْ *

قال الأصمعى: مررت بأعرابى يَخْضِدُ شجرة وقد أعجبه سَماحتها[٨] وهو يرتجز ويقول:

لو كُنْتِ إنسانا لكُنْتِ حاتِماَ ... أو الغُلاَمَ الجُشَمِىّ هاشِماَ

فقلت: ومن هاشم هذا؟ قال: ألا تعرفه؟ فقلت: لا. قال: هو والله الذى يقول:

---

(١) فى غ: الأصور.

(٢) وأل: نجا ـ تقتر: اختبأ واستتر بين الشجر وجعله قترة له.

(٣) معبلة: نصل طويل عريض.

(٤) فى هذا البيت إقواء، وهو اختلاف حركة الروى ما لم تسكن القافية.

(٥) أسود: من السيادة.

(٦) الفاخر: ٢٣٤ ـ ل (غربل): ١٤/٣ ـ الطبرى: ٧/١٠ والاشتقاق: ٢٩٠ لعامر الخصفى.

(٧) فى ل (غربل): ورمحه.

(٨) سماحتها: ضخامتها ونضارتها.

وعاذِلَةٍ هبَّت بلَيْلٍ تلومُنى كأنى إذا أنفقْت مالى أَضِيمُها[١]
دَعِينى فإنَّ الجود لن يُتْلِفَ الفَتَى ولن يُخْلِدَ النفسَ اللَّئيمة لُؤْمُها
وتُذْكَر أخلاقُ الفتى وعظامُه مغَيَّبَةٌ[٢] فى اللَّحْدِ بَالٍ رَمِيمُها
سَلى كُلَّ قَيْسٍ هل أُبارِى[٣] خِيارَها ويُعْرِضُ عنّى وغْدُها ولئيمُها
وتذكُر فِتْيانِيَّتى[٤] وتَكَرُّمِى إذا ذُمَّ فِتيانِيُّها وكَرِيمُا

قلتُ : لا أعرفه . قال: لا عَرَفْتَ! هو الذى يقول فيه الشاعر :

* أَحْيَا أباهُ هاشِمُ بنُ حَرْمَلَهْ *

---

(١) أضيمها : أظلمها وأنقصها حقها .

(٢) مغيبة : فى غ : مفرقة . بال : فى غ: باد .

(٤) أبارى: من المباراةوهى المفاخرة وهى رواية غ(دار) وفى غ (بيروت): إبائىمن الإباء.

(٤) فى غ (بيروت) : وتذكر قيس منتى ـ وما هنا موافقلرواية غ (دار) .والفتيانية مصدر صناعى من الفتوة : السخاء والكرم .

خُلَيْدَة المَكِّيَّة*

مولاة ابن شَمَّاس ، كانت هي وعَقِيلة ورُبَيْحة يُعْرَفن بالشمَّاسِيَّات .

وكانت خُلَيْدة سوداء وفيها يقول الشاعر :

فَتَنَتْ كاتِبَ الأمير رباح[1]   بالقَوْهِي خُلَيْدَةُ المَكِّيَّهْ

كان محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان[2] أرسل إلى خُلَيْدة المكية أبا عَوْن مولاه يخطُبها عليه ، فاستأذن فأذنت له وعليها ثِيابٌ رِقاق لا تسترها . ثمّ وثبت فقالت : ظننتك بعض سفهائنا ، ولكن ألبس لك ثِيابَ مثلك ثم أخرج إليك . ففعلت وقالت : قل . قال : أرسلني إليك مولاى ، وهو مَنْ[3] تعلمين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن[4] علىّ ومن عثمان وهو ابن عمّ أمير المؤمنين ، يخطبك .

قالت : قد نَسَبْته فأبلغْت ، فاسمع نسبي أنا بأبي أنت . إنّ أبي بِيع على غير عَقْد[5] الإسلام ولا عَهْده ، فعاش عبداً ومات وفي رِجْله قيد وفي عُنقه سلسلة على الإباق والسرقة ، وولدتني أُمِّي منه على غير رِشدة ، وماتت وهي آبِقة ، وأنا مَنْ تعلم ، فإن أراد صاحبك نِكاحاً مُباحا أو زِناً صُراحا فهَلُمَّ إلينا فنحن له . فقال : إنه لا يدخل في الحرام . فقالت : ولا ينبغي أن يُسْتَحَى من الحلال ، فأمّا نكاح السِرّ فلا والله لا فعلتُه ولا كنتُ عاراً على القِيان أبدا .

---

* الأغاني (بولاق) : ١٥/١٠ (بيروت) : ١٣٣/١٦ ــ تجريد الأغاني ــ نهاية الأرب : ٦٤/٥ .

(١) في غ (بولاق) : رباحا ، وما هنا متفق مع رواية نهاية الأرب : ٦٤/٥ .

(٢) في غ : عثمان بن عفان .

(٣) في غ (بولاق) : ممن .

(٤) في غ (بولاق) : وبين علي وبين عثمان.

(٥) في غ (بولاق) : عقدة .

قال : فأتيته فأخبرته فقال : ويلك أتزوّجها معلِناً[1] وعندى بنتُ طلحة بن عُبَيْد الله ! لا . ولكن ارجع إليها فقل لها تختلف إلىّ أُرَدِّد بصرى فيها لعلّى أسلو . فأبلغتها الرسالة فضحكت وقالت : أمّا هذا فنعم [و] لسنا نمنعه منه .

(١) فى نهاية الأرب : مغنية .

خَالِد بن يزيد بن مُعاوية*

هو خالد بن يَزِيد بن معاوية بن أبي سُفيان بن حَرْب بن أُمَيَّة بن عَبْد شَمْس ابن عبد مناف .

كان من رِجالات قريش سَخاء وعارِضَةً وفصاحة . وكان قد شَغَل نفسَه بطلب الكيمياء فأفنى عُمْرَه وأسقط نَفْسَه .

وأمّ خالدٍ أمّ[1] هاشم بنت هاشِم بن عُتْبَة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبدمناف . وكان موصوفاً بالحكمة يقول الشعر .

وزعموا أنه هو الذى وضع ذكر السفيانى وكثّره[2] وأراد أن يكون للناس فيه طمع حين غلبه مروان بن الحكم على الملك وتزوج أمّه أم هاشم على ماقيل .

ولمّاولدت أمّ هاشمٍ خالدا اكْتَنَتْ به وتركت كُنْيَتها حُبًّا لخالدٍ وشفقة عليه . فقال فيها يزيد بن معاوية :

ومانحن يوم استعبَرتْ أمُّ خالد بمَرْضَى ذَوِى داء ولا بِصِحاحِ

ولها يقول وقد قدم من المدينة وقد تزوّج أم[3] مسكين بنت عمر بن عاصم بن

---

* الأغانى : (بولاق) : ١٦/٨٧–٩٠– (بيروت) : ١٧/٢٥٨–٢٦٦– (معجم الأدباء : ١١/٣٥–٤٢– تهذيب ابن عساكر : ٥/١١٦–١٣٠ .

(١) أم هاشم : بنت هاشم . فى أنساب البلاذرى : تزوج يزيد بن معاوية فاختة وهى حية بنت أبى هاشم بن عتبة بن ربيعة . وقال فى مكان آخر : وكنيت : أم هاشم ثم كناها يزيد أم خالد بخالد ابنها (٨٥٦ مخطوطة) وفى تاريخ الإسلام : ٣/٨٣ : وأمه أم هاشم بنت أبى هاشم .

(٢) فى غ: وكبره (بالموحدة من تحت) .

(٣) أم مسكين بنت عمر بن عاصم : فى المعارف لابن قتيبة : ٨١ هى بنت عاصم بن عمر ابن الخطاب .

عمر بن الخطاب فحملت إليه إلى الشام[١] فأعجب بها وجفا أم خالد، فدخل عليها يوما وهى تبكى فقال[٢] :

مَالَكِ أُمَّ خَالِدٍ تَبْكِينْ ... مِنْ قدَرٍ حَلَّ بِكم تَضجِّينْ

بَاعَتْ على بَيْعِك أُمُّ مِسْكِينْ ... مَيْمُونَة مِنْ نِسْوَةٍ مَيَامِينْ

حَلَّت مَحَلَّكِ الَّذِى تَحُلِّين ... زَارَتْك من يَثْرِبَ فى حَوارِين

فى مَنْزِلٍ كُنْتِ به تكُونِين

وكانت زوجةُ خالد رَمْلَة بنت الزُّبَيْر بن العَوَّام أخت مُصْعب لأبيه[٣] ، أمّها الرَّباب[٤] بنت أُنيف بن عُبَيد بن مَصَاد بن كَعْب بن عُلَيْم بن جَناب بن ذُهْل[٥] ابن كَلْب . وكانت قبل خالد عند عُثمان بن عبد الله بن حَكِيم بن حِزام بن خُوَيْلد ابن أَسَد بن عبد العُزَّى فولدت له عبد الله بن عثمان وهو زوج سُكَيْنَة بنت الحُسَيْن ابن علىّ رضى الله عنهما .

لمّا[٦] قُتِل عبدُالله بن الزبير حَجَّ خالد بن يزيد فخطب رَمْلَة فأرسل إليه الحجّاجُ حاجِبَه عُبَيْدَ بن موهب وقال له : قُلْ له : ما كنتُ أراكَ تخطب إلى آل الزُّبير حتى تشاوِرَنى . وكيف تخطُب إلى قومٍ ليسوا بأكفائك ، وهم الذين قارعوا أباكَ على الخِلافة ورَمَوْه بكلّ قبيحة ، وشهدوا عليك[٧] وعلى جدِّك بالضلالة ؟ فنظر إليه خالدٌ طويلا وقال : لولا أنّكَ رسول ، والرسول لا يُعاقَب ، لقطّعتك إِرْبًا إِرْبًا

(١) فى غ : بالشام .

(٢) الأبيات فى نسب قريش : ١٥٥ — أنساب البلاذرى : ٨٥٧ مخطوط .

(٣) فى غ : لأمه ، وسيأتى فى النص فى الأغانى . فخطب رملة بنت الزبير بن العوام وفى نسب الأشراف للبلاذرى أخت مصعب لأبيه وأمه وأمهما الرباب .

(٤) الرباب : فى غ : أم الرباب . والصواب ما هنا وهو الموافق أيضا لما فى كتب الأنساب .

(٥) هكذا فى أصول الأغانى ، وفى كتب الأنساب : ابن هبل .

(٦) أنساب الأشراف للبلاذرى (مخطوطة : ٨٥٧) .

(٧) فى غ عليه .

ثم طرحتك على باب صاحبك . ارجع إليه وقل له : ما كنتُ أرَى أنَّ الأمورَ بلغت بك إلى أن أُؤَامِرَكَ[1] فى خِطْبة النساء ! وأما قولُك قارعوا أباكَ وشهدوا عليه بكلّ قبيحة ، فإنها قريش يقارع بعضُها بعضا ، فإذا أقرّ اللهُ الحق قراره كان تقاطُعهم[2] وتراجمهم على قدر أحلامهم وعُقولهم وفَضْلهم ، وأما قولك : ليسوا بأكفاء ، فقبَّحك الله يا حَجَّاج ما أقلّ عِلْمَك بأنساب قريش ! ! أيكونُ العوّام بنُ خُوَيْلد كُفْؤاً لعَبْدِ المُطَّلب بن هاشم حتى يزوِّجه صَفِيَّة ويتزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلَّم خديجة بنت خُوَيْلدٍ ، ولا تَراهم أكفاء[3] لأَبى سُفْيان ؟ ! فرجع الحاجب إليه فأعلمه بذلك .

ومن شعر خالد فيها[4] :

أليْسَ يَزِيدُ السَّيْرُ فى كلِّ لَيْلَةٍ	وفى كل يَوْمٍ من أَحِبَّتِنــا قُرْبَا
أَحِنُّ إلى بنت الزُّبَيْرِ وقد عَلَتْ	بنا العِيسُ خَرْقاً من تِهامَةَ أو نَقْبا[5]
إذا نَزلَتْ أرضاً تُحَبِّبُ أهلَهَا	إلَيْنا وإنْ كانت منازِلُها حَرْبَا[6]
وإن نَزلَتْ ماءً وإنْ كان قَبْلَهَا[7]	مَليحاً[8] وجَدْنا ماءه بارِداً عَذْبا
تَجُولُ خَلاخِيلُ النّساء ولا أَرَى	لِرَمْلَةَ خَلْخَالاً يَجُول ولا قُلْبَا[9]

(١) فى غ : أشاورك .

(٢) فى ك تعاطفهم ، والتصويب من غ .

(٣) فى غ أهلا .

(٤) الأبيات فى معجم الأدباء: ٤١/١١ ـ وفى الكامل (رغبة الآمل) : ٢٢/٤ ثلاث أبيات. المختار من شعر بشار : ١٥١ باختلاف فى الترتيب .

(٥) الخرق : الفلاة الواسعة ـ النقب : الطريق فى الجبل .

(٦) فى غ جدبا .

(٧) فى ك : قبله والتصويب من غ والأدباء .

(٨) المليح : الملح : ضد العذب .

(٩) القلب : سوار المرأة وهو ما كان قلدا واحدا . ويريد أن ساقها ملئة ويدها عبلة فلا سبيل إلى الجول .

أَقِلُّوا عَلَيَّ اللَّوْمَ فيها فإنَّنِي تَخَيَّرْتُها منهُم زُبَيْرِيَّةً قَلْبَا[1]
أُحِبُّ بني العَوَّام طُرًّا لِحُبِّهَا ومن أَجْلِها أَحْبَبْتُ أَخْوالَها كَلْبَا

وزادوا فى الأبيات فقالوا[2] :

فإنْ تُسْلِمى نُسْلِمْ وإنْ تَتَنَصَّرِى يَخُطُّ رِجالٌ بين أَعْيُنِهم صُلْبَا

فقال له عبد الملك بن مَرْوان: تنصَّرْتَ يا خالد . قال: وما ذاك؟ فأنشده هذا البيت فقال خالد : عَلَى مَن قاله وعلى مَن نَحَلَنِيه لعنةُ الله تعالى .

قدم الحَجّاج بن يوسف على عبد الملك بن مروان فمرّ بخالد بن يزيد بن معاوية ومعه بعضُ أهل الشام. فقال الشامىُّ لخالد: ياخالد مَنْ هذا ؟ فقال خالد كالمستهزئ به : هذا عَمْرو بن العاص[3] . فعدل إليه الحَجّاج وقال : والله ما أنا بعَمْرِو بن العاص ، ولا وَلَدْتُ عَمْرًا ولا وَلَدَنِى ! ولكنّى ابنُ العَطارِيف من ثَقِيف ، والعَقائل من قُرَيش . ولقد ضربتُ بسَيْفِى هذا أكثرَ من مائةِ ألفٍ كُلُّهم يَشْهَد أَنَّك وأَبَاك وجَدَّك كلّهم فى النار[4] ، ثم لم أجد لذلك عندك أجراً ولا شُكرا . وانصرف عنه وهو يقول : عَمْرُو بن العاص ! عمرو بن العاص !!

كان[5] محمد بن عَمرو بن سعيد بن العاص قدم الشامَ غازِياً ، فأتى عَمَّتَه آمِنَةَ بنتَ سَعِيد ، وهى عند خالد بن يزيد بن معاية ، فدخل خالد فرآه فقال : ما يقدم علينا أَحَدٌ من الحجاز إلا اختار المُقام عندنا على المدينة ؟ فظن محمّد أنه يعرِّض به . فقال له : ما يمنعهم من ذلك وقد قَدِم قومٌ من المدينة على النَّواضح[6] فنكَحوا أُمَّك وسَلَبُوكَ

(١) زبيرية قلبا : يريد خالصة النسب .
(٢) فى المختار من شعر بشار رواية تشير إلى أن عبدالملك بن مروان هو الذى عمله ونحله إياه .
(٣) فى غ : العاصى .
(٤) فى غ : من أهل النار .
(٥) الخبر فى أنساب الأشراف : (٨٥٩ مخطوطة) ــ العقد : ٢/١٤٢ .
(٦) النواضح : جمع ناضح وهو البعير يستقى عليه .

مُلْكَك وفرّغوك لطلب الحديث وقراءة الكتب وطَلَب[1] الكيمياء ، الذى لا تقدر عليه .

لمّا[2] تزوّج مروانُ بن الحكم أمّ خالد بن يزيد قال مروان يوما لخالد ، وأراد أن يصغّر[3] به فى شىء جرى بينهما ، يا ابن الرَّطبة[4] العِجان . فقال له خالد : إنّك لأمينٌ مختبرٌ وأنت بهذا أعلم. ثم أتى أمّه فقال : أنتِ صنعتِ بى هذا . وأخبرها الخبر . فقالت : دعه فإنه لا يقولها لك بعد اليوم . فدخل مروان عليها فقال : هل أخبَرك خالدٌ بشىء ؟ فقالت يا أمير المؤمنين خالد أشدُّ تعظيماً لك من أن يذكر لى شيئا عنك مما يجرى بينك وبينه . فلما أمسى وضعت مِرْفَقَةً على وجهه وجلست عليها هى وجواريها حتى مات .

وكان عبد الملك أراد قتلها، وبلغها ذلك فقالت : إنْ أشد ما عليه أن يعلم الناس أن أباه قتلته امرأة ! فكفّ عنها .

نَشَزَتْ سُكَيْنَةُ على زوجها عبد الله بن عثمان — وأمّه رَمْلة بنت الزبير — فدخلت رملة على عبد الملك فقالت : يا أمير المؤمنين لو أنّ لنا من يدبر[5] أمرنا ما كان لنا رغبة فيمن لا يرغب فينا ! سُكينة بنت الحسين قد نشزت على ابنى . فقال : يارَمْلةُ إنها سكينة! قالت : وإنْ كانت سكينة ! فوالله لقد ولدنا خَيْرَهم ونكحنا خيرهم، وأنكحنا خَيْرَهم . تعنى وَلَدُوا فاطمة الزهراء رضى الله عنها ، ونكحُوا صفيَّة بنت عبد المطلب ، وأنكحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة . فقال : يا رَمْلَة

---

(١) فى غ وعمل الكمياء .

(٢) الطبقات لابن سعد: ٥/٢٩ـ تاريخ ابن الأثير : ٤/٨٠ـ تاريخ الإسلام٣/٧٤ .

(٣) فى غ : يضع منه، وفى نسخة : يقصر به .

(٤) الرطبة العجان : فى غ : الرطبة ـ وفى الطبرى : ٧/٨٤ الرطبة الاست .

(٥) من يدبر أمرنا : فى غ (بولاق) : لولا أن يبتز أمرنا . وفى مخطوط آخر: لولا أن نبذ أمرنا

غَرَّنى منك عُروة بن الزبير . قالت : ما غَرَّك ولكنَّه نصحك . لأنَّك قتلتَ أخى مُصْعَبا فلم يَأْمَنِّى عليك .

وقيل : إنَّ خالد بن يزيد تزوَّجَ بنتَ[1] عبد الله بن جَعْفر بن أبى طالب .

دخل[2] عبد الله بن يزيد بن معاوية على أخيه خالد يوماً فقال : لقد هممتُ اليومَ بقَتْلِ الوليد بن عبد الملك . فقال خالد : بئسَ ما هَمَمْتَ به فى ابنِ أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين ! فقال : إنه لَقِيَ خيلى فنفَّرها وتلاعب[3] بها . فقال له خالد : أنا أكفيكه . ثم دخل خالد على عبد الملك وعنده الوليد فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إن وَلِيّ عهد المسلمين الوَليد ابن أمير المؤمنين لقى خَيْلَ ابنِ عَمّه عبد الله بن يزيد فَنَفَّرها وتلاعب بها . فشقّ ذلك على عبد الملك ونكّس رأسَه وقرع الأرض بقضيب كان فى يده ، ثم رفع رأسه إليه وقال : ﴿ إنَّ المُلُوكَ إذا دَخَلُوا قريةً أَفْسَدُوها وجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِها أَذِلَّةً وكذلك يَفْعَلُونَ ﴾[4] فقال خالد : ﴿ وإذا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قريةً أَمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فيها فَحَقَّ عليها الْقَوْلُ فَدَمَّرْناها تَدْمِيرا ﴾[5] فقال له عبد الملك : أتكلِّمنى فيه وقد دخل علىّ لا يُقيم لسانَه لَحْناً ! فقال له خالد : يا أمير المؤمنين أفَعَلَى الوليد يُعَوَّل[6] فى اللَّحن . قال: إنْ يكن لَحَّاناً فأخوه سليمان. قال خالد : وإن يكن عبدُ الله لَحَّاناً فأخوه خالد . قال الوَليد لخالد : أتكلِّمنى ولست

(١) وهى أم كلثوم بنت عبد الله (رغبة الآمل شرح الكامل للمبرد) : ٥/١٩ .

(٢) الخبر فى أنساب الأشراف للبلاذرى (مخطوط) : ٨٥٨ــ الكامل (رغبة الآمل) : ٣/٢٣٥ــ ابن عساكر : ٥/١١٨ــ معجم الأدباء : ١١ /٣٧ .

(٣) فى الأنساب : وتلعب ؛ وفى الكامل : فعبث بها .

(٤) الآية : سورة النمل : ٣٤ .

(٥) الآية : سورة الإسراء : ١٦ .

(٦) فى غ : تقول ، وفى مخطوط: أعلى الوليد تعول فى اللحن .

فى العِيرِ ولا فى النَّفِيرِ . قال : ألا[1] تسمع يا أمير المؤمنين ما يقول هذا ؟ أنا والله ابنُ العِيرِ والنَّفير ، سيِّد العير جَدِّى أبو سُفيان ، وسيِّد النَّفِير جَدِّى عُتْبَة بن ربيعة . ولكن لو قُلْتَ حُبَيْلات وغُنَيْمات والطائف قلنا: صدقت . ورحم الله عثمان . الُحبَيْلات التى عيّره بها حَبَلة العنب[2] . والطائف يعيّره بأمّه لأنها من الطائف . ورحم الله عثمان : يعيّره بنفى الحكم لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرده إلى الطائف فرده عثمان .

كان معاوية بن مروان ضعيفا فقال له خالد بن يزيد : يا أبا المُغيرة ، ما أهوَنَك على أخيك! أَلَا[3] يولِّيك ولاية ؟ قال : لو أردتُ لفعل . قال : كلّا فسله أن يولّيك بيت لهيا . قال : نعم . فغدا على عبد الملك فقال له : يا أمير المؤمنين ، أَلَسْتُ أَخاك ؟ قال : بَلَى ! والله إنّك لأخى وشَقِيق . قال : فوَلِّنى بَيْت لِهْيا. فقال له : متى عهدُك بخالد ؟ قال : عشيّة أمس . قال : إيّاك أن تكلّمه . ثم دخل خالد فقال : كيف أصبحتَ أبا المُغيرة ؟ قال : قد نهانا هذا عن كلامك. فغلبَ عبدَ الملك الضَّحِك وقام. فتفرّق الناس .

ومعاوية هذا هو الذى أفلت له بازٌ فصاح : أَغْلِقوا باب المدينة لئلا يخرج .

وقال له رجل : أنت الشريف ابنُ أمير المؤمنين وأخو أمير المؤمنين ، وابنُ عم أمير المؤمنين عثمان وأمّك عائشة بنت معاوية . قال : فأنا إذًا كما قال الأوّل :

* مردَّد فى بنى اللَّخْناء تَرْديدا *

---

(١) فى الكامل : اسمع ياأمير المؤمنين .

(٢) حبلة العنب : يريد الكرمة . وذلك أن الحكم حين طرده الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الطائف كان يرعى غنيات ويأوى إلى الكرمة.

(٣) فى غ : لا .

خُفاف بن نَدْبَة*

هو خُفاف بن عُمَيْر[1] بن الحارث بن الشَّريد بن راح بن يَقَظَة ، هو ابن عَمّ الخَنْساء وقد مضى نسَبه مع نَسَبها . وندبة أُمّهُ وهي أَمَةٌ سَوْداء .

وكان خُفاف أسودَ أيضاً . شاعر من شعراء الجاهلية ، وفارس من فرسانهم، جعله ابن سلام[2] في الطبقة الخامسة مع الفرسان مع مالك بن نويرة، ومع ابني عمّه صخر ومعاوية ابني عمرو بن الشريد ، ومالك بن حماد الجشمي . وهو أحـدُ أغربة[3] العرب .

وكان قد أغار هو ومعاوية بن عمرو أخي[4] الخنساء على بني ذبيان[5] ، فلما قُتِل معاوية قال خُفاف : لا أريم حتى أقتلَ به سيِّدهم وحمل على مالك بن حِمار[6] وهو يومئذ فارسُ بني فَزارة وسيِّدُهم فطعنه فقتله . وقال :

فإنْ تَكُ خَيْلي قد أُصِيب صَمِيمُها فَعَمْدًا على عَيْنِي تَيَمَّمْتُ مالِـكا

وقد ذُكِرت الأبيات والقصة في تَرجمة الخنساء .

---

* الأغاني : (بولاق) ١٦/١٣٩-١٤٦ (بيروت ثقافة) ١٨/٢٢-٣٨ .

(١) في (بولاق): بن عمرو وما هنا موافق لما في بيروت والخزانة: ٢/٤٧٢ والشعر والشعراء ٣٠٠ .

(٢) لا يوجد هذا النص في المطبوع من طبقات ابن سلام .

(٣) أغربة العرب :هم : عنترة بن شداد، وخفاف بن عمير بن ندبة ، وأبو عمير بن الحباب السلمي وسليك بن السلكة ، وهشام بن عقبـة بن أبي معيط وهؤلاء هم في الجاهلية . ومن الإسلاميين : عبد الله بن خازم (بالمعجمة والزاي) وعمير بن أبي عمير بن الحباب السلمي المتقدم ذكره ، وهمام بن مطرف، ومنتشر بن وهب الباهلي، ومطر بن أوفى المازني، وتأبط شرا، والشنفرى ، وحاجز (ل : مادة غ رب) .

(٤) في غ : عمرو بن الحارث بن الشريد .

(٥) على بن ذبيان : وذلك يوم حوزة (انظر نهاية الأرب : ١٥/٣٦٥ و٣٦٧) ـ العقد الفريد : ٣/٧٢ (بولاق) .

(٦) في غ (بولاق) وت : حماد والتصويب من غ(بيروت) والشعر والشعراء : ٣٠٠ .

وكان بَدْء ما بين خُفاف بن ندبة والعبّاس بن مرداس أنّ خُفافا كان فى ملأ من بنى سُلَيْم فقال لهم : إن عبّاس بن مرداس يريد أن يبلغ فينا مبلغ عبّاس ابن أنس ، وتأبى ذلك عليــه خِصالٌ قَعَدْنَ به . قال فَتًى من رَهْط العبّاس ابن مِرْداس : وما تلك الخصال يا خُفاف؟ فقال خُفاف : اتقاؤه بخَيْـله عند الموت ، واستهانته بسبايا العرب ، وقتله الأسرى ، ومكالبته الصماليك على الأسلاب ، ولقد طالت حياته حتى تمنَّينا موتَه . فانطلق الفتى إلى العبّاس فحدّثه[1] الحديث . فقال العبّاس : يا ابن أخى إلّا[2] أكُن كالأَصَمّ فى فَضْله فلست كخُفاف فى جَهْله . وقد مضى الأصمّ بما فى أمس ، وخلّفنى لما[3] فى غد . فلمّا أمسَى تغَـنّى وقال :

خفاف أما[4] تَزال تجرّ ذَيْـلًا إلى الأمر الفُارِقِ للرَّشادِ
إذا ما عايَنَتْك بنو سُلَيْمٍ تَنَبّتَ[5] لهم بداهيــةٍ نآدِ[6]
وقد علم المعاشِرُ من سُلَيْم بأنّى فيهمُ حَسَنُ الأَيادِى
فأَوْرِدْ يا خُفافُ فقد بُليتمُ بَنِى عَوْفٍ بحَيَّة بَطْن وادِ

ثم أصبح فأتى خفافاً وهو فى ملأ من الناس ، فقال : قد بلغتنى[7] مقالتك يا خُفاف ، وإنى والله لا أشتم عِرْضَك ولا أسبُّ أباك وأمّك ، ولـكنى رامٍ سوادَك بما فيك ، وإنك لتعلم أنّى أحمِى المصافَّ[8] ، وأتــكرّم[9] على السَّلَب، وأطلق الأسير،

(١) فحدثه الحديث : فى غ : فأخبره الخبر .

(٢) فى غ : إن .

(٣) فى غ: بما .

(٤) فى غ: ما .

(٥) فى مخطوط : تبيث وما هنا موافق لما فى غ (بيروت) .

(٦) نآد : شديدة .

(٧) فى غ : بلغنى .

(٨) المصاف : جمع مصف : وهو موقف القتال .

(٩) وأتــكرم على السلب : فى غ: وأتــكلم على السبى .

وأصون السَّبِيَّة . وأما زعمُك أنى أتقى بِخَيْلِى الموتَ ، فهاتِ من قومك رجلا اتَّقيت به. وأما استهانتى بسبايا العرب فإنى أحْذُو القوم فى نسائهم فعالهم[1] فى نسائنا. وأما قَتْلِى الأسرَى فإنى قتلت الزُّبَيْدِى بخالك إذ عجزت عن ثأرك . وأما مكالبتى الصعاليك على الأسلاب ، فوالله ما أتيت على مسلوب قط إلا لُمْتُ سالبَه . وأما تمنِّيك موتى فإنْ مِتُّ قبلَك فأغنِ غَنائى ، وإنَّ سُلَيْماً لتعلم أنى أخفُّ عليهم مَئُونةً وأثقل على عدوّهم وطأة منك . وإنك لتعلم أنى أبحتُ حِمَى بنى زُبَيْد وكسرت قَرْنَى الحارث ، وأطفأتُ جَمْرة خَثْعَم ، وقلّدت بنى كِنانة قلائد العار . ثم انصرف.

فقال خفاف : [أبياتا][2] لم يحفظ منها إلا قوله :

ولم تَقْتُلْ أسـيرَك من زُبَيْدٍ بخَالِى بل غَدَرْت بمُسْتقَادِ
فزَنْدُك فى سُلَيْمٍ شَرُّ زَنْدٍ وزَادُك فى سُلَيْمٍ شَرُّ زادِ

فأجابه العباس فقال :

ألا مَنْ مُبْلِغٍ عنِّى خُفافاً فإنى لا أحاشِى من خُفـاف
نَكَحْتَ وليدةً ورضعْتَ أخْرَى وكان أبوكَ تَحْمِلُه قَطـافِ[3]
فلستُ لحاصنٍ إن لم نَزُرْهَا تُثيرُ النَّقْع فى ظَهْر النِّعافِ[4]
سَوَاهِمُ قد طَواها الأَيْنُ دُهْمٌ وكُمْتٌ لَوْنُها كالوَرْسِ صافِى[5]

ثم[6] إنّ رهط خفاف لاموه وقالوا : اكفف عن الرجل . فقال : كيف أكف

(١) فعالهم: فى غ: بفعالهم .
(٢) زيادة من غ ليستقيم النص .
(٣) قطاف : علم على الأمة .
(٤) لحاصن : فى ت : حاضن. والحاصن: العفيفة وهو المناسب هنا، أما الحاضن فهى الموكلة بالصبى ترعاه ـ النعاف : جمع نعف ، وهو المكان المرتفع فى اعتراض .
(٥) سواهم : فى غ : سراعا ، وسواهم : جمع ساهم : الضامرة ـ الأين : الإعياء ـ دهم وكمت : فى غ دهما وكمتا .
(٦) ثم إن رهط ... إلى قوله قولا جميلا : ليس فى غ (بولاق) .

عن رجل يريد أن يبتزنا أمرنا بغير فضل . وقال رهط العباس: اكفف أيها الرجل فقال قولا جميلا . ثم كفّ العبّاس وخُفاف حتى أتى ابن عمّ للعباس يُكْنى أبا عَمْرو ابن بدر ، وكان غائبا فقال : يا عبّاس ما نقول فيك خيرا إلا وهو باطل . قال : وكيف ذلك؟ ويحك! قال : أخبرنى عنك: أكُلّ الذى أقررت به من خُفاف ــ فى نَفْيه أباك وتهجينه عِرْضك ليأس من نصر قومك أو ضعفٍ من[1] نفسك ؟ قال : لا . ولا واحدة منهن ولكنّى أحببت البقيا . قال : فاسمع ما قلته . قال: هات فأنشأ يقول :

أَرَى العَبّاس يَنْفُض مِذْرَوَيْه[2] ... دَهِينَ الرأسِ تَقْلِيه النِّساء

وما أزْرَى بوالِده خُفاف ... ولكن نسلُه الداء العياء[3]

فلا تُهْدِ السِّبابَ إلى خُفافٍ ... فإنّ السَّبَّ تُحْسِنُه الإماء

ولا تَكْذِبْ وأَهْدِ إليه حَرْباً ... مُعَجَّلَةً فإن الحربَ دَاء

أَذَلَّ الله شَرَّكُما قَبِيلًا ... ولا أَسْقَت له رَسْماً سَمَاء

فقال العباس : قد آذنتُ خفافا بحرب . ثم أصبحا فالتقيا بقومهما فاقتتلوا إلى الليل ، فكان الفضل للعباس على خُفاف . فركب إليهم مالك بن عوف ، ودُرَيْد ابن الصِّمَّة الجُشَمِى ، فى وجوه هوازن . وقام دُرَيْد خطيبا فقال : يا معشرَ بنى سُلَيم إنّنى أعجلنى إليكم صَدْرٌ وادٌ[4] ورَأْىٌ جامع ، وقد ركب صاحبا كم شَرَّ مطيَّة ، وأَوْضَعا[5] إلى أصعب غاية ، فالآن قبل أن يندم الغالِبُ ويَذِلّ المَغْلُوب . ثم جلس .

---

(١) فى غ : فى .

(٢) المذروان : طرفا الألية ، ويقال : جاء ينفض مذرويه : جاء باغيا يتهدد .

(٣) البيت فى غ :

وقد أزرى بوالده خفاف ... ويحسب مثله الداء العياء

(٤) فى ك : وارد .

(٥) أوضعا : أسرعا .

فقام مالك بن عَوْف فقال : يا معشر بنى سُلَيْم : إنكم نزلتم منزلا بَعُدَتْ منكم فيه هوازن ، وشسعت[1] منكم فيه بنو تميم . ومالت عليكم فيه بكر بن وائل ، ونالت منكم فيه بنو كنانة ، فانزعوا وفيكم بقية قبل أن تَلْقَوْا عدوَّكم بقَرْنٍ أَعْضَب وكَفٍّ جَذْماء[2] . فلما أمسى تغنَّى دُرَيْد بن الصِّمَّة فقال :

سُلَيْمُ بنَ مَنْصورٍ أَلَمَّا تُخَبَّرَا ... بما كان فى[3] حَرْبَى كُلَيْبٍ ودَاحِسِ

وما كان فى حَرْب اليحابر من دَمٍ ... مُباحٍ وجَدْعٍ مُؤْلِمٍ للمَعاطِسِ

وما كان من[4] حَرْبَى سُلَيْم وقبلهم ... بحَرْبِ بُعاثٍ من هَلاكِ الفَوارِس

تسافهت الأحلامُ فيها جهالةً ... وأُضْرِم فيها كلّ رَطْبٍ ويابِس

فكُفُّوا خُفافاً عن سفاهَةِ رأْيِه ... وصاحِبَه العَبَّاسَ قبل الدَّهارِسِ[5]

وإلّا فأنتم مثل من كان قَبْلَكم ... وما[6] يَعْقِل الأَمثالَ غيرُ الأكايِس

وقال مالك بن عَوْف النصرى :

سُلَيم بنَ مَنْصورٍ دَعُوا الحربَ إنَّما ... هى الهُلْك للأقصَيْن أو للأَقارِبِ

ألمْ تعلَموا ما كان من[7] حَرْبِ وائلٍ ... وحَرْبِ مُرادٍ أو لُؤَىّ بنِ غالِبِ

تفرَّقت الأحياءُ منهم لَجاجَةً ... وهُمْ بين مَغْلوبٍ ذَليلٍ وغالِبِ

فما لِسُلَيْمٍ ناصرٌ من هَوازِنٍ ... ولو نَصَرُوا لم تُغْنِ نُصرةُ غائِبِ

---

(١) فى غ : شبعت ، وشسعت : انقطعت وبعدت .
(٢) أعضب : مكسور ــ جذماء : مقطوعة .
(٣) فى غ : من .
(٤) فى غ : فى .
(٥) الدهارس: الدواهى ، واحدها : دهرس .
(٦) فى غ : ومن .
(٧) فى غ : فى .

ثم أصبحا[1] واجتمعت بنو سُلَيم ، وجاء العبّاس وخُفاف . فقال لهما دُرَيْد ، ولمن حضر من قوْمهما : يا هؤلاء إنّ أوّلكم كان خَيْرَ أوّل ، وكلّ حَيّ سَلَف خيرٌ من الخَلَف ، فكفّوا صاحبَيْكم عن لِجاج الحرْب[2] . فاستحيا العباس وقال : فإنا نكفّ عن الحرب ونتهادى[3] الشعر . فقال دُرَيْد : فإن كنتما لا بد فاعلَيْن فاذكرا ما شئتما ودعا الشّتم ، فإن الشتم طَرَف[4] الحرب . فانصرفا على ذلك .

ولما طال الأمر بينهما من الحرب والتهاجى قال العباس : إنى والله ما رأيت[5] لخُفاف مثلا إلا شِبام بنى زُبَيْد ، فإنه كان يلقى [من][6] ابنُ عَمّه ثَرْوان بن مرّة من الشتم والأذى ما ألقَى من خُفاف . فلما لجّ ثروان فى شتمه تركه وما هو فيه وقال :

وهَبْتُ لثَرْوانَ بنِ مُرّةَ نَفْسَه ... وقد أمْكَنَتْنى من ذُؤابَتِه يَدى
وأحْمِلُ مافى اليَوْم من سُوءِ رأيِه ... رَجاءَ الّذى يأتى به اللهُ فى غَدِ

فقال خُفاف : إنّى والله ما وجدت[7] لعبّاس مثلًا إلّا ثَرْوان بنى زُبيد فإنّه كان يَلْقى من شِبام ما ألقَى من العباس من الأذَى ، فقال ثروان :

رأيتُ شِباما لا يَزال يَعِيبُنى ... فلله مــا بَالِى وبالِ شِبـام
فقصرُك منّى ضربة مازِنيّة ... بكفّ فتًى فى القوم غَيْرِ كَهامِ[8]
فتَقْصِر عنّى يا شِبامُ بنَ مالك ... وما عَضّ سَيْفى شاتمى بحرام[9]

(١) فى مخطوط غ : ثم اصطبحا .
(٢) فى غ زيادة : وتهاجى الشعر .
(٣) فى ت : ونتبادل .
(٤) فى غ : طريق .
(٥) فى غ وجدت .
(٦) زيادة من غ ليتسق المعنى .
(٧) وجدت فى ت : رأيت .
(٨) كهام : لا غناء عنده .
(٩) فى مخطوط غ : وما غض منى شاتمى بحرام .

فقال عبّاس : جزى الله عنى خُفافا شرًّا ، فقد كنت أخفّ بنى سُلَيم من دمائها ظَهْرا ، وأخْمَصها من أموالها بَطْنا، وأصبحت العرب تميّرنى بما كنت أعيب عليها من احتمال الدماء وأكل الأموال، وصرت ثقيل الظهر من دمائها منفضِج[1] البطن من أموالها وأنشأ يقول :

أَلَمْ تَرَ أَنِّى تَرَكْتُ[2] الحُرُوبَ ... وأنّى نَدِمْتُ على ما مَضَى

نَدَامَةَ زارٍ على نَفْسِهِ ... لِتِلْكَ التى عارُها يُتَّقَى[3]

فلم أُوقِدِ الحَرْبَ حتى رَمَى ... خُفافٌ بأسْهمه من رَمَى

فإنْ تَعْطف القومَ أحْلامُهم ... ويَرْجِع مِنْ وُدِّهم ما نَأَى

فلستُ فقيراً إلى حَرْبِهم ... وما بِىَ عن سِلْمِهم من غِنَى

وقال خُفاف :

أَعبّاس إمّا كرهت الحروبَ ... فقد ذُقْتَ من عَضِّها ما كَفَى

أأَلْقَحْتَ حَرْباً لها حِدّةٌ[4] ... زماناً[5] تُسَعِّرُها باللَّظَى

فلمّا تَرَقَّيْتَ فى غَيِّها ... دَحَضْتَ وزَلَّ بك المُرْتَقَى

فأقْبَلْتَ تَبْكِى على زَلّةٍ ... وماذا يَرُدُّ عليك البُكا

فإنْ كنتَ أخطأْتَ فى حَرْبِنا ... فلَسْنا نُقِيلُك ذاك[6] الخطا

وإنْ كُنْتَ تَطْمَعُ فى سِلْمِنا ... فزاوِلْ ثَبيرًا ورُكْنَى حِرَا[7]

---

(١) منفضج البطن : متفخها .

(٢) فى الشعر والشعراء (العباس بن مرداس) ٧٢٣ : كرهت — ابن عساكر : ٧/٢٦٦ .

(٣) بعد هذا البيت فى الشعر والشعراء أربعة أبيات لم تذكر فى غ .

(٤) فى غ : شدة ، وفى الشعر والشعراء : درة .

(٥) فى غ : زبونا .

(٦) فى غ : هذا .

(٧) ثبير وحراء : جبلان .

وقال خُفاف فى عبّاس : والله إن أباه لرابط السهم ، وإنّ أمّه لَخفيّة الشخص ، وإن طلب مسماتى ليعلمَنّ أنه قصير الخطوة أجذم الكف ، وما ذنبنا إليه إلّا أننا استنقذناه من عصِيّ بنى حزام ، وكالحنا دونه يوم بنى فراس ، ونصرنا أباه على حرب بنى[1] أُمَيّة .

فبلغ ذلك العبّاس فقال : والله ما كنت إلى دَمِه بالعَيْمان، ولا إلى لحمه بالقَرِم، وإنى أخفّ منه على بنى سُلَيْم مَؤُونة، وأثقَلُهم على عدوّهم وطأة .

(١) فى غ : ابن أمية .

خالد الكاتب*

هو خالدُ بن يزيد ، وكُنيته أبو الهَيْثم ، من أهل بغداد ، وأصله من خُراسان ، كان أحد كُتّاب الجيش . ووُسْوِس[1] فى آخر عمره ، وقيل : غلبت السوداء عليه ، وقيل : بَلْ كان يهوَى جاريةً لبعض وجوه بغداد فلم يَقْدِر عليها . وولّاه محمد بن عبد الملك الإعطاء بالثُّغور ، فخرج فسمع فى طريقه منشدا يُنْشِد[2] .

مَن كان ذا شَجَنٍ بالشام مَطْلَبُه[3] ... فنى سِوى الشَّام أمسى الأهْلُ والوَطَن[4]

فبكى حتى سقط على وجهه مغشيًّا عليه ، ثم أفاق مختلطا . واتصل به ذلك حتى توسوس[5] وبطل .

وكان قد اتّصَل بعلىّ بن هشام ، وذلك أنه صحبه فى وقت خُروجه إلى قُمّ ، فى جملة كُتّاب الإعطاء ، فبلغه وهو فى الطريق أن خالدا يقول الشعر فأَنِس به وأحضره ، واستنشده فأنشده قوله :

يا تاركَ الجِسْم بلا قَلْبِ ... إنْ كنتُ أهواكَ فما ذَنبى

يا مُفردًا فى[6] الحُسْنِ أَفردْتَنى ... منك بطُول الهَجْرِ والعَتْبِ

إنْ تَكُ عينى أَبصَرَتْ فِتْنَةً ... فهلْ على قَلْبِيَ مِنْ ذَنْبِ ؟[7]

* الأغانى : (ليدن) : ٣١/٤٤ـ٥٤ـ (بيروت الثقافة): ٢٠/٢٣٤ـ٢٤٩. معجم الأدباء ١١/٤٧ـ٥٣ تاريخ بغداد : ٨/ .

(١) وسوس : أصيب فى عقله وتكلم بغير نظام .

(٢) فى غ زيادة : ومغنية تغنى .

(٣) فى غ والأدباء : يطلبه .

(٤) فى غ والأدباء : الشجن .

(٥) فى غ : وسوس .

(٦) فى غ: بالحسن.

(٧) فى غ : عتب .

حَسِيبُك اللهُ لِمَا بِى كَمَا أنَّك فى فِعلك بِى حَسْبِى

فجعله علىّ بن هشام من ندمائه إلى أن قتل ، ثم صحب الفضلَ بن مَرْوان فذكره للمعتصم وهو بالماحوزة(١) قبل أن يبنى سُرَّ مَنْ رَأَى ، فأمر بإحضاره واستنشده شيئا من غزَله فأُعجِبَ به . ولما بُنِيَت سُرَّ مَنْ رَأَى قال خالد فيها :

عَزَم السُّرُورُ على المُقا م بِسُرَّ مَنْ رَا للإمامِ
بَلَدُ المَسَرَّة والفتــو ح المُسْتَنِيرات العِظامِ
وتَراه أَشْبَه مَنْزِلٍ فى الأرضِ بالبَلَدِ الحَرامِ
فاللهُ يَعْمُره بمَنْ أضحَى به عِزُّ الأنامِ

فاستحسنها الفضْــلُ بن مروان وأوصلها إلى المعتصم قبل أن يقال فى بِناء سُرَّ مَنْ رَأَى شىء ، فكانت أوّل ما أنشد فى هذا المعنى من الشعر ، فتبرّك بها وأمر لخالد الكاتب بخمسة آلاف درهم .

قال خالد الكاتب : دخلت على إبراهيم بن المَهْدِى فاستنشدنى فقلت : أيها الأمير أنا غلام أقول فى شُجون نفسى لا أكاد أمدح ولا أهجو . قال: ذاك أشدّ لدواعى البلاء . فأنشدته :

عاتَبْتُ نفسى فى هوا ك فلم أَجِدْها تَقْبَـلُ
وأَطَعْتُ دَاعِيها إلَيْـ ك ولم أُطِـعْ مَنْ يَعْـذِلِ
لا والَّذِى جعل الوُجُو هَ لحسن وَجْهِك تَمْثُلُ
لا قلتُ إن الصبر عنـ ك من التَّصابِى أَجْمَل

فبكَى إبراهيم وصاح : وَىْ عليك يا إبراهيم . ثم أنشدته قولى :

عِشْ فحُبِّيك سريعاً قاتِلِى والضَّنَى إن لم تَصِلْنى وَاصِلِى

(١) الماحوزة : موضع قرب سامرا (معجم البلدان : الجعفرى) .

ظَفِرَ الشَّوق بقَلْبٍ دَنِفٍ فيك والسُّقْم بجِسْمٍ ناحِلِ
فهما بين اكتِئابٍ وضَنًى تَرَكانِي كالقَضِيبِ الذَّابِلِ
وبَكَى العاذِلُ لى من رَحْمَةٍ فبُكائى لِبُكاء العاذِلِ

فقال إبراهيم : يا رَشِيق ! كم معك من العَيْن ؟ قال : سِتّمائة وخمسون دينارا . فقال : اقسمها بينى وبين الفتى واجعل الكَسْرَ صحيحا له . فأعطانى ثلاثمائة وخمسين دينارا ، فاشتريت منها منزلى بساباط[1] الحسن ، فوارانى إلى يومى هذا .

ولمّا بويع إبراهيم بن المهدى بالخلافة طلب خالداً، وقد كان متصلا ببعض أسبابه فأُدخل إليه فقال : أنشدنى شيئا من شعرك . قال : فقلت يا أمير المؤمنين ليس شعرى من الشعر الّذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً »[2] وأنا أَمْزَح وأهزل. فقال : لا تقلْ هذا فإن هَزْل الأدب جد ، فأنشِدْنى فأنشدته[3] .

قال خالد : قال لى علىّ بن الجَهْم : بالله هب لى بيتك الذى هو[4] :

لَيْتَ ما أَصْبَحَ مِنْ رِقَّةِ خَدَّيْكَ بِقَلْبِك

فقلت له : يا جاهل أرأيت أحداً يَهَبُ ولَده ؟

كان خالد مُغْرَما بالمُرْد يُنفق عليهم كُلَّ ما يكسبه[5] ، فهوِىَ غلاماً يقال له عبدُ الله ، وكان أبو تَمَّام الطائىّ أيضاً يهواه ، فقال فيه خالد :

---

(١) ساباط : سقيفة بين دارين تحتها طريق نافذ ، وساباط الحسن : موضع مسمى بهذا . وفى غ : ساباط الحسن والحسين .

(٢) فى غ لحكما . والمعنى : إن من الشعر كلاما نافعا يمنع من الجهل والسفه وينهى عنهما. فإن هزل الأدب جد : فى غ: فإن جيد الأدب وهزله جد .

(٣) فى غ : فأنشدته : عش فحبيك سريعا قاتلى ... الأبيات قد سبقت فى الخبر قبله وكان ذلك قبل الخلافة فقد كان يخاطبه أيها الأمير، ففى الخبرين تداخل .

(٤) غ: الذى تقول فيه.

(٥) فى غ : يفيده .

قَضيب بانٍ جَناه وَرْدُ ... تَحْمِلُه وجَنَّةٌ وخَـدُّ
لَمْ أَثْنِ طَرْفِى إِلَيْهِ إِلَّا ... ماتَ عَزاءٌ وعاشَ وَجْدُ
مُلِّكَ طَوْعَ النفُوسِ حتَّى ... عَلَّمَه الزَّهْو كيف[١] يَبْدُو
واجتمع الصَّدُّ فيه حَتَّى ... لَيْسَ لِخَلْقٍ سِواه صَدُّ[٢]

وبلغ ذلك أبا تمام فقال فيه أبياتاً منها :

شِعْرُكَ هذا مُفرِطٌ كُلُّه[٣] ... فى بَرْدِه يا خَالدُ البَارِدُ

فعَلِقَها[٤] الصبيانُ وما زالوا يَصيحون به : يا خالد البارد ، حتَّى وَسْوَس .

وقيل: إنّ ذلك كان بينه وبين غير أبى تمام . وكان خالد قد هجا أبا تمام، وقال فيه:

يا مَعْشَرَ المُرْدِ إنّى ناصِحٌ لَـكُمُ ... والمرء فى القول بين الصِّدْق والـكَذِبِ
لا يَنْكِحَنَّ حبيباً منكمُ أَحَـــدٌ ... فَدَاه[٥] وجْعائِه أَعْدَى من الجَرَبِ
لا تَأْمَنُوا أن تَحُولُوا بعــد ثالِثَةٍ ... فتركبوا عُمُــداً ليست من الخَشَبِ

قال حمزة بن أبى سلالة الشاعر الـكوفى : دخلت بغــداد فبينا أنا مارٌّ إذا رجل عليه مبطّنة نظيفة ، وعلى رأسه قَلَنْسُوَةٌ[٦] سوداء ، وهو راكب قصبة والصبيان يضحكون[٧] عليه ويصيحون خلفه : ياخالد البارد[٨] فإذا آذوه حَمَل بالقصبة عليهم.

---

(١) فى غ والأدباء : حين .
(٢) فى ك : ضد والتصويب من غ والأدباء .
(٣) الرواية فى غ : شعرك هذا كله مفرط .
(٤) فى غ والأدباء : فعلمها .
(٥) فى غ : فإن .
(٦) فى غ : قلنسية .
(٧) يضحكون عليه : هذه العبارة ليست فى غ .
(٨) فى غ : يا بارد .

فلم أزل أطردهم عنـــه حتى تفرّقوا(١) وأدخلته بستانا هناك ، فجلس واستراح واشتريت له رُطَبا فأكل واستنشدته فأنشدنى :

قد حازَ قلبي فصار يَملِكُه … فكيفَ أسلُو وكيفَ أترُكُهُ ؟!

رَطِيب جسم كالماء تَحْسَبُه … يَخْطِر فى القَلْبِ منه مَسْلَكُهُ

يكاد يَجرِي مع القميص من النَّـــــعْمَة(٢) لولَا القَمِيصُ يُمسِكُهُ

فاستزدته فقال : ولا(٣) حرف .

قال أبو الفضل الكاتب : دعوت خالداً ذات يوم فأقام عندنا وخلعت عليـه . فما استقرّ به المجلس حتى خرج ، فأتبعتُه رسولا ليتعرّف(٤) خبره . فإذا هو قد جاء إلى غلام أمرد كان يحبّه فسأل عنه ، فوجده فى دار القِمار ، فمضَى إليه وخلع عليه تلك الثياب وقبّله وعانقه وعاد إلينا . فلما جاء خالد(٥) أعطيتُ الغلام الذى عرّفنا خَبره دنانير ليجيء بالغلام ، فجاء به إلينا . وأمرناه بإخفائه ففعل . وسألنا خالدا عن خبره فكتمه وجمجم(٦) علينا . وغَمزنا الرسول فأخرجه إلينا(٧) . فلما رآه دهش وبكى . فقلنا له : لا ترُع فإن من القصّة كيت وكيت ، وإنما أردنا أن نعرف خبرك لا أن نسوءك . فطابت نفْسُه وأجلسه إلى جانبه وقال : قد بُلِيتُ بحبّه كما بُلِى هو بحبّ القِمار . ثم أنشدنا لنفسه فيه :

---

(١) فى مخطوط غ : نفروا .

(٢) فى ت: اللطف .

(٣) فى غ : لا ولا حرف .

(٤) فى غ : ليعرف .

(٥) العبـارة فى غ : فلما جاز خالد أعطاه الغلام الذى وجهنا به دنانير ودعاه فجاء به إلينا وأخفيناه .

(٦) جمجم : لم يبين .

(٧) فى غ : علينا .

مُحِبٌّ شَفَّهُ أَلَمُهْ وخامرَ جِسْمَه سَقَمُهْ

وباح بما يُجَمْجِمُه من الأسْرار مُكْتَتِمُهْ

أما تَرْثى لِمُكْتَئِبٍ يُحِبُّك لَحْمُه ودَمُهْ

يَغارُ على قَميصك حِيـ ـن تَلْبَسُـــه ويتَّهِمُهْ

قال محمد [بن][1] السرى : أطلت الغيبة عن بغداد ثم قدمتها وقد وَسْوس خالد، فمررت به بالرُّصافة والصبيان يصيحون به : يا غلام الشُّرَيْطيّ يا بارد . فيرجع إليهم ويضربهم ويرميهم بالحجارة فقلت : كيف أنت يا أبا الهَيْثم ؟ قال : كما ترَى . فقلت له : مَنْ تعاشر اليوم؟ فقال : من أحذره . فعجبت من جوابه مع اختلاله فقلت له ما قلت بعدى من الشعر ؟ قال : ما حفظه الناس وأُنسيته وعلى ذلك فقولى :

كَبِدٌ شَفَّهـا غَلِيلُ التَّصـابِى بين هَجْرٍ وسَخْطةٍ وعِتابِ[2]

كلّ يَوْمٍ تَدْمَى بجُرْحٍ من الشَّوْ قِ ونَزْعٍ مُجَدَّد من عَذابِ[3]

يا سَقِيم الجفون أسْقَمْتَ جِسْمِى فاشْفِنِى كيف شِئْتَ لا بِكَ ما بى

أن أكُنْ مُذْنِبًا فكن حَسَنَ العَفْـ ـوِ أوِ اجْعَلْ سِوَى الصُّدود عِقابى

ثم قال لى: يا أبا جعفر ! جننت بعدك . فقلت : ما جعلك الله مجنونا وهـذا كلامك[4] فى نثرك ونظمك .

روى أبو الفرج عن عمّه قال : مرّ بنا خالد الكاتب والصبيان يصيحون به ، فجلس إلىّ وقال : فرِّق هؤلاء عنّى . ففعلت . وألحّت عليه جارية تصيح به :

---

(١) زيادة من غ .

(٢) فى الأدباء : بين عتب وجفوة وعذاب .

(٣) فى الأدباء : عتاب .

(٤) فى غ: كلامك لى ونظمك.

ياخالد يا بارد ، فقال لها : مُرِّى يا مُنْتنة الكُسّ ، يا من كُسُّها رَس(١)

فقلناله : ياأباالهيثم إيش معنى رس ؟ قال: تشتهى الأيرِ الكبير والصغيروالوسط، لا تكره شيئا . فأقبل الصبيان يصيحون بتلك الجارية مثل ما قال لها خالد ، وهى ترميهم وتهرب منهم حتى غابوا معها عنا، فأقبل خالد علىّ متمثلا فقال :

وما أنا فى حَقّى(٢) ولا فى خُصومَتى ... بمُهْتَضَمٍ حَقّى ولا(٣) قَارِعٍ سِنِّى

فاحتبسته يومَه عندى وشربنا. فلما طابت نفسُه أنشدنا لأبى تمام(٤) :

أحْبَابَهُ لِمَ تَفْعَلُون بقَلْبِه ... ما ليْس يَفْعَلُه به أعداؤُهُ

مَطرٌ من العبرات خَدِّى أرضُه ... حتّى الصباح ومُقْلَتاى(٥) سَمَاؤُهُ

نَفْسِى فداءُ محمَّدٍ ووقَاؤهُ ... وكذبتُ ما فى العالَمِين فِداؤُهُ

أزعمتَ أنّ البدر يَحْكِى وجْهَه ... والغُصْنَ حين يميد(٦) فيه ماؤُهُ

أَقْصِرْ(٧) فأين جَماله وكَمالُه ... وبهاؤه وحياؤه وضياؤه

لا تقرَ أسماء المَلاحة باطِلاً ... فيمن سواه فإنها أسماؤه

ثم قال : وقد عارضه أبو الهَيْثم يعنى نفسه :

فَدَيْتُ محمداً من كلّ سوء ... يُحاذر فى رَواحٍ أو غَدُوّ

---

(١) فى غ : دس وقد أورد العبارة على أنها بيت ورواه هكذا :

مُرّى يا منتنة الكُسْ ... ويا من كُسُّها دَسْ

(٢) فى غ : فى أمرى .

(٣) فى مخطوطة غ : ولا سالم خصمى .

(٤) ديوان أبى تمام : ٤٢٨ باختلاف فى ترتيب الأبيات .

(٥) فى ت : ومقلتى .

(٦) فى ت : حين عد . والرواية فى الديوان :

أزعمت أن الظبي يحكى طرفه ... والغصن حين يجول فيه ماؤه

(٧) فى غ: اسكت وكذا فى الديوان والبيت فى الديوان :

اسكت فأين ضياؤه وبهاؤه ... وذكاؤه ووفاؤه وحياؤه

أيا قمَرَ السماء سَفُلت حَتَّى ... كأنَّك قد ضَجِرْت من العُلُوِّ
رأيتُك من مُحِبِّك[1] ذا بِعادٍ ... ومِنْ مَنْ لا يُحِبُّك ذا دُنُوِّ
وحَسْبُك حسرةً لك من حَبِيبٍ ... رأيت[2] زمامَه بيد العَدُوِّ

وتروى هذه الأبيات أيضا لأبى تمام[3] .

قال الهلالى : مررت بخالد الكاتب وحَوْلَه جماعة ينشدهم ، فقلت له : ياأبا الهيثم سَلَوْتَ عن صديقك فلان[4] ؟ فقال : لا والله . قلت : فإنه عليل وما عُدْته . فسكت ساعة ثم رفع رأسه إلىّ وقال :

زَعَمُوا أنَّنى مَلَلْتُ[5] وكَلَّا ... أُشْهِد الله أنَّنِى لن أَمَلَّا
كيف صَبْرِى عَمَّن[6] إذا ازْدَاد تيها ... أبدًا زدتُه خُضوعا وذُلَّا

ثم قال: احفظ وأبلغه عنى:

بِجِسْمى لا بِجِسْمِك يا عَليلُ ... ويكفينى من الأَلَمِ القَلِيلُ
تَعَدَّاك السَّقام إلىَّ إنِّى ... على مابى لعادِيه[7] حَمُول
إذا ما كنتَ يا أملى صحيحا ... فخالَفنِى وسالَمك النُّحول
أَلَسْتَ شقيق ما ضمَّت ضُلوعى ... عَلَى أنِّى لعِلَّتِك العَلِيلُ

دعا علىّ بن المعتصم خالداً يوما وهويشرب، وقد أخرجت له وصيفةٌ من وَصائف حَظِيّةٍ له تفاحةً مُغلَّفة بغالِية معضُوضة بعثَتْ بها إليه سِتُّها فقال خالد :

---

(١) فى غ : حبيبك .

(٢) فى ت : يكون .

(٣) هى فى الديوان : ٤٦٦ .

(٤) فلان : ليس فى غ .

(٥) فى غ : صحوت .

(٦) عمن : فى مخطوط : يا من .

(٧) فى غ : لعادته :

تُفَّاحةٌ جُرِحت بالدُّرِّ من فيها أشْهَى إليَّ من الدُّنيا وما فِيها

بَيضاءُ في حُمْرَةٍ عُلَّت بغَالِيَـةٍ كأنَّما قُطِفت من خدِّ مُهْدِيها

جاءت بها قَيْنَةٌ من عندغَانِيَةٍ رُوحي من السُّوءوالمكروهتَفْدِيها

لو كُنْتُ مَيْتاً ونادَتْني بنَغْمَتِها إذاً لأسْرَعْتُ من لَحْدِي أُلَبِّيها

فاستحسنها عليّ بن المعتصم وغُنِّيَ فيها، وأمر له بتَخْت ثِياب وخمسين دِينارا.

الخليل المُعَلِّم*

هو الخليلُ بن عَمْرو ، مكيٌّ ، موْلَى لبنى عامِر بن لؤَىّ ، وكان يُلَقَّب خُلَيْلان .

وكان يؤدِّب الصبيان ويعلِّمهم القرآن والخطّ ، ويعلّم الجوارىَ الغِناء فى موضع واحد .

حدَّث من حضره قال : كنتُ يوماً عنده وهو يُرَدِّد على صبيٍّ يقرأ بين يديه ﴿ ومن النّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الحَدِيثِ لِيُضلَّ عَنْ سَبِيل الله بغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[1] ثم يلتفت إلى صبية بين يديه فيردِّد عليها :

عادَ[2] لهذا القلب بَلْباله أنْ قَرُبَت لِلْبَيْن أجماله

فضحكت لما فعله ضحكا مُفرطا . فالتفت إلىّ فقال : ما يُضْحِكك ويلك ؟! فقلت : أتنكر ضحكي مما فعلت ؟! والله ما سبَقَك إلى هذا أحدٌ . ثم قلت: انظر إلى أىّ شىء أخذت على الصبىّ من القرآن ، وأىّ شىء تُلقى على الصبية . وإنّى لأَظُنُّك ممّن يشترى لَهْوَ الحديث لِيُضِلّ عن سبيل الله . فقال : أرجُو ألا أكون كذلك إنْ شاء الله عزّ وجلّ .

---

* الأغانى (ليدن) : ٢١/٧٠-٧٢- (بيروت : الثقافة) : ٢١/٢١٩-٢٢٣ .

(١) الآية : سورة لقمان : ٦ .

(٢) فى غ : اعتاد هذا .

خُوَيْلد الهُذَلى*

(أبو خِراش)

هو أبو خِراش خُوَيْلد بن مُرَّة أحد بنى قِرْد ، واسم قِرْد : عَمْرو بن معاوية ابن سعد بن هُذَيْل بن مُدْرِكة بن الياس بن مُضَر بن نزار .

شاعرٌ فَحْل من شعراء هُذيل المذكورين الفصحاء ، مُخضْرَم أدرك الجاهليّة والإسلام ، فأسلَمَ وعاش بعد النبيّ صلى الله عليه وسلم مدّة ، ومات فى خلافة عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ، نهشته أفعَى فمات . وكان يَعْدُو فيسبق الخيلَ فى غارات قومه وحروبهم .

خرج أبو خِراش الهذلى من أرض هُذَيْل يريد مكّة ، فقال لزوجته[1] أمّ خِراش: وَيْحَك إنى أريد مكّة لبعض الحاجة ، وإنّكِ من أَفَكِّ[2] النساء وإن بنى الدِّيل يطلبوننى بتِرات فإيّاكِ أنْ تذكرينى لأحد حتى أصدر عنها . فقالت : أعوذ بالله أن أذْكُرك لأحد من أهل مكّة ، وأنا أعرف السبب . قال : فخرج بأمّ خِراش وكَمَن لحاجته ، وخرجت إلى السوق تشترى عِطْرًا أو بعض ما تشتريه النساء من حوائجهن ، فجلست إلى عطّار ، فمرّ بها فتيان من بنى الدِّيل فقال أحدُهما لصاحبه: أمّ خِراشٍ وربِّ الكعبة وإنها لمن أَفَكّ النساء ، وإن كان أبو خِراشٍ معها فستدلّنا عليه . قال : فوقفا عليها فسلّما وأَحْفيا[3] فى السّلام والمسألة فقالت : مَن أنتما بأبى أنتما ؟ قالا : رجلان من أهلك[4] ، قالت : بأبى أنتما فإن أبا خِراش معى

* الأغانى (ليدن) : ٢١/٥٤ــ٧٠ (بيروت الثقافة) ٢١/٢٣٠ــ٢٥٣ .

(١) لزوجته : فى الديوان : ٢/٦١ : خرج بزوجة أبيه مرة .

(٢) أفك النساء : أحمقهن وأضعفهن رأيا وأفلتهن لسانا .

(٣) أحفيا : بالغا .

(٤) فى غ: من أهلك من هذيل .

فلا تذكراه لأحد ونحن رائحون المشيّة . فخرج الرجلان فجمعا جماعة من فِتيانهم وأخذوا مولًى لهم يقال له مَخْلد وكان من أجود الرجال عَدْوًا ، فكمنوا له فى عَقَبة على طريقه ، فلمّا رآهم قد لاقوه فى عين الشمس قال لها : قتلتِنى وربِّ الكعبة ، لمن ذكرتنى ؟ قالت : ما ذكرتك إلّا لفتيين من هُذيل . فقال لها : والله ما هما من هُذيل ، ولكنهما من بنى الديل وقد جلسا وجما علىّ جماعة من قومهما ، فإذا جُزْت عليهم فإنهم لن يعرضوا لك لئلا أستوحش فأفوتهم فأَرْكِضِى بعيرَك وضَعِى عليه العصا . والنجا النجا . قال : وهى على قعود عُقَيْلى يسابق الرِّيح[1] . فلما دنا منهم وقدتلثّموا ووضعوا تَمْرًا على طريقه على كساء، فوقف قليلا كأنه يُصْلِح شيئا وجاوزتهم[2] أم خِراش فلم يعرضوا لها لئلا ينفر منهم ، ووضعت العصا على قَعُودها . ومرّ بهم فتواثبوا عليه[3] ووثب يعدو، فزاحمه على المَحَجّة التى يسلك فيها على العقبة ظَبْىٌ فسبقه أبو خِراش، وتصايح القوم : يا مَخْلد يا مَخْلد أَخْذاً أَخْذاً فقال : فات الأَخذ. فقالوا : ضَرْباً ضَرْباً. فقال : فات الضرب ، فصاحوا : رَمْياً رَمْياً فقال: سبق الرَّمى . وسبقت أمّ خراش إلى الحى فنادت : ألا إنّ أبا خراش قد قُتل . فقام أهل الحى إليها . وقام أبوه فقال : ويحك ما كانت القصّة ؟ قالت : إن بنى الديل عرضوا له الساعة فى العَقَبة. قال: فما رأيتِ ؟ وما سمعتِ ؟ قالت : سمعتهم يقولون يا مَخْلد أَخْذاً أَخْذاً . قال : ثم سمعتِ ماذا ؟ قالت : سمعتهم يقولون ضَرْباً ضَرْباً . قال : ثم سمعتِ ماذا ؟ قالت : سمعتهم يقولون رَمْياً رَمْياً . قال : فإن كنتِ سمعتِ رَمْياً رَمْياً فقد أفلت وهو منّا قريب . ثم صاح : يا أبا خِراش . فقال أبو خِراش :

---

(١) فى غ : الرياح .
(٢) فى غ : وجازت بهم .
(٣) فى غ : إليه .

يا لبيك ، وإذا هو قد وافاهم على إثرِها . وقال أبو خِراش فى ذلك[1] :

رَفونى وقالوا يا خُوَيْلد لا تُرَعْ ... فقلتُ وأنكرتُ الوُجوهَ هُمُ هُمُ

منها :

تقول ابنَتِى لمَّا رأتنِى عَشيَّةً ... سَلِمْتَ وما أنْ كِدْتَ بالأمْسِ تَسْلَمُ

فقلتُ وقد جاوزت صارَى[2] عَشيَّةً ... أجاوزتُ أولى القوم أم أنا أحْلُمُ

ولولا دِراكُ الشَّدِّ أمستْ[3] حَليلَتِى ... تُخَيَّرُ فى خُطَّابها وهْى أيِّمُ

فَتَسْخَط أو تَرْضَى مَكانِى خَليفَةً ... وكاد خِراشٌ عند ذلك يَيْتَمُ

دخل أبو خِراش مكّة وللوليد بن المغيرة فرسان يريد أن يرسلهما فى الحَلْبة فقال للوليد : ما تجعل لى إنْ سبقتهما؟ قال: إن فعلتَ فهما لك . فأُرْسِلا وعَدَا بينهما فسبقَهما وأخذهما .

قال الأصمعى: إذا فاتَك الهُذَلِىّ أن يكون شاعراً أو ساعياً أو رامياً فلا خير فيه .

أقفر أبو خِراش الهُذَلى من الزاد أيَّاما ، ثم مرّ بامرأة من هذيل جَزْلَة شريفة ، فأمرت له بشاة فذُبِحت وشُوِيت ، فلما وجد بطنُه ريحَ الطّعام قرقر ، فضرب بيده على بطنه وقال : إنك لتقرقر لرائحة الطعام ؟! والله لا طعمت منه شيئا . ثم قال : يا ربّة البيت أما عندك شىء من صَبِر أو مُرّ ؟ قالت : تصنع به ماذا ؟ قال : أريده. فأتته منه بشىء فاقتَمَحه[4] ثم أهوَى إلى بعيره فركبه . فناشدته المرأة فأبَى . فقالت له : يا هذا هل رأيت إنسانا فعل هكذا[5] ؟ أرأيتَ بأسا أو أنكرت شيئا ؟

---

(١) ذكرت القصة مع تغيير فى بعض الألفاظ وزيادات فى ديوان الهذليين ج ٢/٦٢). رفونى: سكنونى وقالوا : لا بأس عليك .

(٢) صارى: جبل قبلى الدينة . والبيت ليس فى الديوان .

(٣) فى غ : قاظت ، ومعناها : أتت عليه قيظة أى صيفية.

(٤) اقتمحه : سفه فى ك : اقتحمه وهو تصحيف .

(٥) هل رأيت إنسانا فعل هكذا : ليس فى غ .

قال : لا والله . ثم مضى . وأنشأ يقول :

وإنّى لَأُثوى[١] الجوعَ حتى يَمَلَّنِى فأحيا[٢] ولم تَدْنَس ثِيابِى ولا جِرْمِى[٣]

وأَصْطَبِح[٤] الماء القَراح فأ كْتَفِى[٥] إذا الزادُ أَضْحَى للمزَلَّج[٦] ذا طَعْمِ

أَرُدُّ شُجاعَ[٧] البَطْن قد تَعْلَمِينَه وأُوثِر غَيْرِى من عِيالِك بالطُّعْمِ

مخافة أن أحيا بِرَغْمٍ وذِلّةٍ وَلَلْمَوْتُ خير من حَياةٍ على رُغْمِ

وكان بنومُرَّة عشرة : أبو خِراش ، وأبو جُندب ، وعروة ، والأبَحّ ، والأسْوَد ، وعمرو ، وزُهَيْر ، وجُنادة[٨] ، وسُفيان ، وأبو الأسود ، وكانوا جميعاً شعراء دُهاة سِراعاً لا يُدْرَكون إذا عَدَوْا . فأمّا الأسود بن مُرّة فإنه كان — على ما مر — داهية وهو غلامٌ شاب فوردت عليه إبل رئاب بن ناضرة بن المؤمل اللِّحْيانى ، ورئاب شيخ كبير فرمَى الأسود ضرع ناقة من الإبل فعقرها ، فغضب رئاب فضربه بالسيف فقتله .

وكان أبو جُندب أشدّهم فعرف خبر أخيه فغضب غضباً شديداً وأَسِف ، فاجتمعت رجال هُذَيل إليه فكلّموه ، فقالوا: خذ عَقْلَ[٩] أخيك واستَبْقِ ابنَ عَمّك فلم يزالوا به حتى قال نعم اجمعوا العقل . فجاءوه به فى مرة واحدة. فلمّا أراحوا عليه صَمَت فأطال صَمْتَه ، فقالوا له : أَرِحْنا ، اقبض منّا . فقال : إنى أريد أن أَعْتَمِر فاحْتَبِسُوه

(١) أثوى : أحبسه وأطيل مكثه ، وهو يريد أتحمله وأصبر عليه .

(٢) فى الديوان : فيذهب لم .

(٣) الجرم: الجسد.

(٤) فى الديوان : أغتبق .

(٥) فى الديوان : فأنتهى .

(٦) المزلج : المزعزع لا قوة له على احتمال المكروه والصبر عليه .

(٧) شجاع البطن : يعنى ألم الجوع ، وتوهموه حية أو ثعبانا يعض حين لا يجد طعاما .

(٨) فى غ والديوان : جناد .

(٩) العقل : الدية .

حتى أرجع ، فإن هلكت فلامٍّ ما أنتم . وهـــذه لغة هذيل يقولون إمّ بالكسر ولا يستعملون الضم ، وإن عشت فسترون[1] أمرى. فولى ذاهبا نحو الحرم فدعا عليه رجال من هُذيل وقالوا: اللهم لا تردّه . فخرج فقدِم مكة فواعَد كلّ خَليع وفاتك فى الحرم أن يأتوه يوم كذا وكذا ، فيصيب بهم قومه ، فخرج صادِراً[2] فما رام حتى أخذته الذُّبحة فى جانب الحرم ، فمات قبل أن يرجع .

وأمّا زُهير فخرج معتَمِراً فقتلَه قومٌ من ثُمالة على موضع يقال له ذات الأُقَيْر من نَعمان ، فلم يزل أبو خِراش حتى قتل به أهل حلّتين من ثُمالة .

وأمّا عُروة بن مُرّة وخِراش بن أبي خِراش فأخذهما بَطْنان من ثُمالة يقال لهما بنو رِزام وبنو بلال وكانوا متجاورين ، فخرج عروة وخِراش مُغيرَيْن عليهم طمعاً أن يظفروا بشىء من أموالهم ، فظفر بهما الثُّمالِيُّون . فأمّا بنو رِزام فنهوا عن قتلهما وأمّا بنو بلال، فأبوا إلّا قتلهما حتى كاد يكون بينهم شر . فألقى رجل[3] من القوم ثوبه على خِراش حين شُغِل القوم بقتل عُروة . ثم قال له : أُنْجُ . وانحرف القوم بعد قتل عُروة إلى الرجل وكانوا سلّموه إليه فقالوا : أين خِراش ؟ قال : أفلت منى . فسعى القوم فى أثره فأعجزهم .

فقال أبو خراش فى ذلك يرثى عروة أخاه ويذكر خلاص ابنه خراش[4] :

حَمِدْتُ إلٰهِى بَعْدَ عُرْوَةَ إذ نَجَا ... خِراشٌ وبَعْضُ الشَّرِّ أهْوَنُ من بَعْضِ
فواللهِ لا أَنْسَى قَتِيــلًا رُزِئْتُهُ ... بجانِبِ قَوْسَى[5] ماحَيِيتُ[6] على الأَرْضِ

(١) فى غ : فسوف ترون .
(٢) فى غ : مبادرا .
(٣) فى شرح الديوان : هذا الرجل من أسد شنوءة .
(٤) الشعر والشعراء (ترجمة أبى خراش) ــ ديوان الهذليين : ٢ / ٦٨ (ليزج) .
(٥) قوسى (بالفتح ثم السكون وسين ثم ألف مقصورة) : بلدة بالسراة ، وبها قتل عروة أخو أبى خراش .
(٦) فى الديوان : مشيت .

بلَى إنّها تعفو[١] الكُلوم وإنما يُوَكَّلُ[٢] بالأَدْنَى وإنْ جَلَّ مايمضِي

ولم أَدْرِ من أَلْقَى عليه رداءه سِوَى أنّه قد بُزَّ[٣] عن ماجدٍ مَحْضِ

وأما أبو الأَسْوَد فقتلته فهمٌ بياتاً تحت الليل .

وأما جُنادة[٤] وسفيان فماتا قبل أن يُقتل عمرو ، وقتل عمرو أيضا . وأُمُّهم جميعاً لُبْنَى ، إلّا سُفيان فإن أمّه أمّ عمرو القردية وكان أمير[٥] القوم وأميزَهم مالا .

دخلت أُميمة[٦] على أبي خراش وهو يُلاعب ابنه فقالت له : يا أباخراش تناسيت عُروة وتركت الطلب بثأره ولهوت مع ابنك. والله لو كنت المقتول ما غَفَل عنك ، ولطلب قاتلك حتى يقتله !!

فبكى أبو خراش وأنشأ يقول :

لَعَمْرِي لقد راعت أميمةَ طلعتِي وإنَّ ثَوائِي عندها لقَلِيلُ

وقالت أُراه بعد عُرْوةَ لاهِياً وذلك رُزْءٌ لو عَلِمْتِ جَلِيلُ

فلا تَحْسَبِي أنِّي تناسيت عَهْدَه ولكنَّ صَبْرِي يا أُمَيْم جَمِيلُ

ألمْ تعلَمِي أنْ قد تَفَرَّق قبلَنا خَلِيلَا صفاء مالكٌ وعَقِيلُ[٧]

أبَى الصَّبْرَ أَنِّي لا أَزال بهُجَتِي مَبيتٌ له فيها خَلَا ومَقِيلُ[٨]

وأنِّي إذاما الصبحُ آنستُ ضوءه يُعاودني قُطْعٌ عليَّ ثَقِيلُ

---

(١) تعفو الكلوم : تبرأ وتندمل .

(٢) يوكل بالأدنى : يحزن على الأقرب فالاقرب ومن مضى ينسى وإن كان عظيما .

(٣) في غ والديوان : سل .

(٤) في غ : جناد .

(٥) في غ : أيسر .

(٦) أميمة : امرأة عروة .

(٧) مالك وعقيل : هما ابنا فارح نديما جذيمة وهما من قضاعة .

(٨) رواية البيت في الديوان : ٢/٤٩ :

أبى الصبر أنى لا يزال يهيجني مبيت لنا فيها خلا ومقيل

هاجر خراش فى أيام عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه وغزا مع المسلمين وأَوغل فى أرض العدو، وقدم أبوخراش المدينة فجلس بين يدى عمر وشكا إليه شوقه إلى ابنه وأنّه رجل قد انقرض أهلُه وقتل إخوته ولم يبق له ناصر ولا معين غير ابنه خراش ، وقد غزا وتركه . فكتب عمر رضي الله عنه بأن يُقفل خراش إلى أبيه وأن لا يغزو من له أب شيخ إلّا بعد أن يأذن له .

قدم نفر من أهل اليَمامة من اليمن حُجَّاجا فأتَوْ أبا خِراس فقال لهم يا بنى عَمِّى الماء منا غير بَعيد وما أمسَى عندنا ماء . ولكن هذه بِرمة وشاة وقِرْبة فرِدُوا الماء ثم كُلوا شاتَكم ودعوا قِرْبَتَنا وبُرْمتنا على الماء حتى نأخذها ، فقالوا لا والله ما نحن بسائرِين فى ليلتنا هذه وما نحن ببارحين حيث أمسينا . فلما رأى أبو خراش ذلك أخذ قربته وسَعَى نحو الماء تحت الليل حتى استقى وأقبل صادِراً فنهشته حَيَّه قبل أن يصل إليهم، فأقبل مسرعا حتى أعطاهم الماء وقال اطبخوا شاتكم وكلوا ولم يُعلمهم بماأصابه، فباتوا على شاتهم يأكلون حتى أصبحوا وأصبح أبو خراش فى الموتى ، فلم يبرحوا حتى دفنوه .

وقال وهو فى الموت[1] :

لَعَمْرُكَ والمَنايا غَالِباتٌ ... على الإنسان تَطَلَّع كُلَّ نَجْدٍ
لقد أَهْلَكتِ حَيَّة بطن أَنْفٍ ... على الأصحاب ساقاً ذات فَقْد

وقال أيضا :

لقد أَهْلَكَت حَيَّة بَطْن أَنْف ... على الأصحاب ساقاً ذاتَ فَضْلِ
فما تَركَتْ عَدُوًّا بين بُصْرَى ... إلى صنعاء يطلُبه بذَحْلِ

(١) الديوان : ٧٥ .

(٢) بطن أنف : ويروى بطن قو ، وهو منزل للقاصد إلى المدينة من البصرة وهو بين فيد والنباج . وأنف : بلد من بلاد هذيل .

ولما بلغ خبرُه عُمَرَ بن الخطاب رضي الله عنه غضب غضبا شديدا وقال : لولا أن تكون سنّة لأمرت أن لا يضاف يَمانٍ أبدا ، ولكتبت بذلك إلى الآفاق . إن الرجل ليُضيف أحدهم فيبذل له مجهودَه فيسخطه ولا يقبله ويطالبه بما لا يقدر عليه ، كأنه يُطالِب بدَين أو بتبعة ليفضحه ، فهو يكلّفه التكاليف حتى أهلك ذلك من فِعلهم رجلًا مسلما . وقتله .

وكتب إلى عامله باليمن أن يأخذ النّفر الذين نزلوا بأبي خراش فيُغرمهم دِيَتَه ويؤدّبهم بعد ذلك بعقوبة يمسّهم بها جزاء لفعلهم .

خالد القسري*

هو خالد بن عبدالله بن يَزِيد بن أسد بن كُرْز بن عامر بن عبد الله بن عبد شمس بن غَمْغَمة بن جَرِير بن شِقّ بن صَعْب ـ وشقّ بن صعب هذا هو الكاهن المشهور ـ ابن يَشْكُر بن رُهم بن أفرك[1] وهو سعد الصّبح ، ابن زيد بن قَسْر بن عَبْقَر بن أنْمار ابن إراش بن عَمْرو بن لحيان بن الغَوْث بن القرز ويقال الفرز بن نبت بن مالك ابن زيد بن كَهْلان بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان .

فأما غلبة بجيلة على هذا النسب وشهرته بها فإن بجيلة ليست برجل ، وإنما هى امرأة اختُلف فى نسبها فقال ابن الكلبى : هى بَجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة وتزوّجها أنمار بن إراش فولدت له الغوث ، ووادعة ، وصهيبة ، وحزيمة[2] وأشهل وشهلاء، وطريفا ، والحارث، ومالكا، وفهما ، وشيبة .

ويقال إن بجيلة امرأة حبشية حضنت بنى أنمار جميعا غير خَثْم فإنه انفرد فصار قبيلة على حدته ، ولم تحضنه ، واحتج من قال هذا بقول شاعرهم :

وما قربت بَجيلَةَ منك دونى ... بشَىْءٍ غير أنْ دُعِيَت بَجيلَهْ

وما لِلْغَوْث عندكَ أن نُسِبْنـا ... علينـا بالقَرابة من فَضِيلَهْ

ولكنّا وإياكم كَثُرْنَا ... فصِرْنا فى المَحلِّ على جَدِيلَهْ

جديلة هاهنا موضع لا قبيلة .

---

* الأغانى : (بولاق) : ١٩/٥٢ـ٦٢ـ (بيروت الثقافة) : ٢٢/٥ـ٣٨ ـ تهذيب ابن عساكر : ٥/٦٧ـ٨٠ .

(١) فى ك، ت ، غ (بولاق) أفزل، والتصويت من الاشتقاق لابن دريد : ٥١٨ وابن خلكان والنسب فيه هكذا : ابن أفرك بن أفصى بن نذير بن قسر وهو مالك بن عبقر بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد .

(٢) فى غ (بولاق) : جذيمة ، وما هنا موافق لما فى الاشتقاق .

وهم أهل بيت وشرف فى بجيلة لولا ما يقال فى عبد الله بن أسد ، فإن أصحاب المثالب ينفونه عن أبيه ، ويقولون فيه أقوالا تنافى الشرف .

وكان يقال لكُرْز كُرْز الأَعِنّة .

وكان أسدُ بن كُرْز يدعى فى الجاهليّة ربّ بَجِيلة . وكان ممّن حرّم الخمر فى جاهليته تنزُّهاً عنها، وله يقول القائل:

فأَبْلِغْ ربَّنا أَسَدَ بنَ كُرْزٍ بأنَّ النأى لم يَكُ عن تقال

وأدرك أسد بن كرز وابنهُ يزيد الإسلام فأسلما. فأمّا أسد فلم يَرْو عن رسول الله صلّى الله عليه وسلم شيئا . وأما يزيد ابنهُ فروى عنه يسيرا .

وذكر جَرِير بن عبد الله أنّ أسدَ بن كُرز أسلَم ومعه رجل من ثقيف ، فأهدَى إلى النبي صلّى الله عليه وسلم قوساً فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : من أين لك هذه النَّبعة؟ فقال : يارسول الله : تنبُت بجبالنا بالسَّراة ، فقال الثَّقَفِىّ يارسول الله الجبل لنا أو[1] لهم؟ فقال : بل الجبل جَبَل قَسْر ، [به][2] سمى أبوه قسر بن عبقر . فقال أسد : يا رسول الله أدعُ لى . فقال اللهم اجعلْ نصرَكَ ونَصْر دِينك فى عَقبِ أَسَدِ ابن كُرْز .

قال أبو الفرج الأصبهانى : ما أدرى ما أقول فى هذا الحديث! وأكره أن أكذِّب من رَوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن ظاهر الأمر يُوجِب أن لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا بهذا الدّعاء لم يكن ابنهُ مع معاوية بصفّين على أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، ولا كان ابن ابنه خالد يلعنهُ على المِنبر ويتجاوز ذلك إلى ما ذكرته[3] فى ترجمته من شنيع أخباره! قَبَّحه الله ولعنه .

---

(١) فى غ : أم .

(٢) زيادة يقتضيها السياق . والعبارة فى غ : به سمى إبراهيم قسر بن عبقر

(٣) ما ذكرته فى ترجمته : فى غ : إلى ما ساء ذكره من شنيع أخباره .

خرج يزيد بن أسد في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه في بعوث المسلمين إلى الشام، وكان مطاعا في اليمن عظيمَ الشأن .

ولما كتب عثمان إلى معاوية حين حُصِر يستنجده بعث معاوية إليه يزيد[1] بن أسد في أربعة آلاف من أهل الشام ، فوجد عثمان رضي الله عنه قد قُتِل ، فانصرف إلى معاوية ولم يُحْدِث شيئا .

ولما كان يوم صفِّين قام في الناس فخطب وعليه عِمامة خزٍّ سوداء وهو متَّكِئ على قائم سيفه ، فقال بعد حمد الله تعالى والصلاة على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وقد كان من قضاء الله عزّ وجل أن جمعنا وأهلَ ديننا في[2] هذه البقعة[3] من الأرض، والله يعلم أنّي كنت لذلك كارها ، ولكن لم يبلِعُونا ريقَنا ولم يدعونا نرتاد لديننا أو ننظر لمعادنا ، حتى نزلوا في حريمنا وبيضتنا ، وقد علمنا أنّ في القوم حُلَماء وطَغاما ، ولسنا نأمن من طغامهم على ذرّياتنا ونسائنا ، وقد كنا لا نحب أن نقاتل أهلَ ديننا فأحرجونا[4] حتى صارت الأمور إلى أن يصير قتالنا غداً حميّة! فإنّا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين. ووالله الذى بعثَ محمّدا صلى الله عليه وسلم بالحق إني لوَدَدْت أنّي مت قبل هذا ، ولكنّ الله تبارك تعالى إذا أراد أمراً بلغه ، ولم تستطع العبادُ ردّه ونستعين بالله العظيم . ثم انكفأ راجعا .

ولم يكن لعبد الله بن يزيد نباهة مَنْ ذُكر من آبائه، وأهلُ الثالب يقولون إنّه دعيّ ، وكان مع عمرو بن سعيد الأشدق على شرطته أيام خلافه على عبد الملك بن مروان . فلما قُتِل عمرو هرب حتى سألت اليمانية فيه عبدَ الملك لمّا أمَّن الناسَ عام الجماعة . فأمّنه .

---

(١) في غ : يزيد .

٢) في ت : على .

(٣) في غ : الرقعة .

(٤) في مخطوط غ : فأحوجونا .

ونشأ خالد بن عبد الله بالمدينة ، وكان فى حداثته يتخنّث ويتبع المغنين والمخنثين ويمشى بين[1] عمر بن أبى ربيعة وبين النساء فى رسائلهن إليه ورسائله إليهن . وكان يقال له خالد الخرّيت . وكل ما ذكره عمر بن أبى ربيعة فى شعره فقال أرسلت الخرِّيت أو أرسلت الجرىّ[2] فإنما يعنى به خالدا القسرىّ .

قال محمد بن مكرّم جامع هذا المختصر : العجب من أبى الفرج الأصبهانى المؤلّف رحمه الله كيف يقول فى هذه الترجمة متقدما إنه يكره أن يكذّب من روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّه دَعا لأسد بن كُرز فقال : اللهم اجعل نصرك ونصر دينك فى عقب أسد بن كرز ، ويعجب من ذلك لكون خالد كان على أمير المؤمنين علىّ عليه السلام بصفّين ، وأنه كان يلعنه على المنبر ، ثم روى هاهنا عن خالد أنه كان يتخنّث ويتبع المخنثين والمغنّين وأنه كان أجبن الناس ، كما ذكر عنه فيما بعد ، ويمشى بين عمر بن أبى ربيعة وبين النساء فى رسائله إليهن ولا يعلم ويقطع أن من يتخنث ويتبع المخنثين والمغنين ويمشى فى رسائل الفواجر يبعد منه نصر دين الله عز وجل ، وأن دعوة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إن صح الخبر لم تنحصر فى خالد بعينه ، فما بقى إلّا أن يكون الخبر فى الدعاء ليس بصحيح عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو أنْ تكون الدعوة إن كان الخبر صحيحا قد خصّ بها غيرَ خالد من ولده . أو هى مذخورة لأحد سوى خالد من عقبه . والله أعلم .

وكان كُرز بن عامر جدّ خالد بن عبد الله القسرى عَبْداً وكان آبقا على[4] مواليه عبد القيس من هجر .

---

(١) فى غ : مع .

(٢) الخريت : الماهر بالدلالة .

(٣) الجرى : الرسول .

(٤) فى غ : عن .

ويقال إن أصله من يهود تيماء ، وكان أبق وظفرت به عبدُ شمس فكان فيهم عند غَمْغمة ابن شق الكاهن ، ثم وهبوه لقوم من بنى طُهيَّة فكان فيهم حتى أدرك ، فهرب . وأخذته بنو أسد بن خزيمة وكان فيهم فتزوج مولاة لهم يقال لها زرنب ، ويقال إنها كانت بغيًا[1] فأصابها فولدت له أسد بن كرز فسماه باسم[2] أسد بن خزيمة لرقة كانت فيهم . ثم أعتقوه . ثم إن نفرا من أهل هجر مرُّوا به فعرفوه ، فلما صاروا إلى هجر أخذوا فداه وصاروا إلى مواليه فاشتروه وابنه . فلم يزل فيهم حتى خرج فى تجارة إلى الطائف فلما رأى دار بجيلة أعجبته فاشترى نفسه وابنه وجاء فنزل فيهم ، وأقام مدة ثم ادّعى إليهم وعاونه على ذلك حَىٌّ من أحْمس يقال لهم بنو[4] منبّه ، فنفاهم أبو عامر ذو الرقعة ، وسمّى ذا الرقعة لأن عينه أصيبت فكان يغطيها برقعة من خِرَق — وهو ابن عبد شمس بن جوَين بن شق ، فنزل كرز فى بنى سُحمة هاربا من ذى الرقعة ، ثم وثب على ابن عمّ القتّال[5] بن مالك السُّحْمِى فقتله وهرب إلى البحرين مع التجار فأقام مدة ثم مات . ونشأ ابنه يزيد بن أسد يُدْعى فى بَجيله ولا تُلحِقهُ إلى أن مات . ونشأ ابنه عبد الله بن يزيد فمضى[6] إلى حبيب بن مسلمة الفِهْرى فكتب له — وكان كاتبا مفوّها — وكان[7] فى إمارة عثمان رضى الله عنه ، وكان يقال له خَطيب الشيطان . ونال حظًّا وشرفا . ووسم خيله القسرىّ ثم تدسس ليملك أرضا فى بلاد قَسْر فمنعته بجيلة ذلك أشد المنع ، فلم يقدر عليه حتى عظم أمره ونشأ ابنه خالد ، ومات هو فكان خالد فى مرتبته ثم ولى العراق .

---

(١) فى ك : بغية .

(٢) فى ك : اسم .

(٣) لرقة كانت فيهم : هكذا أيضا فى غ ، ولعل العبارة : لرقه كان فيهم .

(٤) فى مخطوطة غ : بنو أمية .

(٥) فى غ : للقتال .

(٦) فى غ : ثم مضى .

(٧) فى غ : وذلك .

وكان أسد أكذب الناس . ثم نشأ ابنه عبد الله فسلك منهاجه فى الكذب ، ثم نشأ خالد ففاق الجماعة ، إلا أن الرياسة والسخاء كانا فيه فسترا ذلك من أمره .

وكان خالد أجبن الناس ، فلما خرج عليه عُرِف ذلك منه وهو على المنبر فدهش وتحيّر وقال : أطعمونى ماء .

قال ابن الكلبى : أول كذبة كذبتها فى النسب أنّ خالدَ بن عبد الله سألنى عن جدّته أمّ كرز وكانت بغيًّا[1] لبنى أسد يقال لها زِرنب ، فقلت له : هى زرنب بنت عرعرة بن جذيمة بن نصر . فسرّ بذلك ووصلنى .

وكانت أم خالد رومية نصرانية فبنى لها كنيسة فى ظهر قبلة الجامع[2] بالكوفة ، وكان إذا أراد المؤذن أن يؤذن فى المسجد ضرب لها بالناقوس ، وإذا قام الخطيب على المنبر رفع النصارى أصواتهم بقراءتهم[3] .

وكان الناس فى الكوفة فى ذلك الوقت إذا ذكروه قالوا : ابن البظراء . فأنف من ذلك ، فقيل إنه ختن أمّه كارهةً ، فقال أعشى هَمْدان يهجوه ويعيّره بأمه[4] :

لَعَمْرُكَ لا أدرى وإنّى لصادقٌ[5] … أَبَظْراء أمْ مَخْتُونَــةٌ أمُّ خــالِدِ

فإن كانت المُوسَى جَرت فوق بَظْرِها … فمــا خُتِنَت إلا ومَصّــانُ قاعِـدُ

يرَى سَوْءَة من حيث يَطْلُع[6] رَأْسُه … تمرّ عليها مرهفات الحدائد

---

(١) فى غ : أمة بغيا .

(٢) فى غ : المسجد الجامع .

(٣) بقراءتهم : فى ت : بقرآنهم .

(٤) ديوان الأعشين : ٣٢٢ (ط. لندن) وقد نسب البيت الثانى فى ل مادة (م ص ص) إلى زياد الأعجم يهجو خالد بن عتاب بن ورقاء . والرواية فيه : فإن تكن الموسى .

(٥) فى الديوان : لسائل .

(٦) فى الديوان : أطلع رأسه .

وقال فيه أيضا يرميه باللّواط[1] :

ألم ترَ خالداً يختار ميماً وبكره فى النكاح مَشقّ صادِ
ويبغض كُلّ آنسةٍ لَعُوبٍ وينكح كُلّ عبدٍ مُستفادِ[2]
ألا لعن الإله بنى كُرْزٍ فكرز من خنازير السواد

قتل خِداش الكندىّ رجلًا من بنى أسد ، وكان الكندىّ عاملا لخالد القَسْرىّ ، وطولب بالقَوَد وهو على المنبر فقال : والله لئن أقَدْتُ من عاملى لأقيدنَّ من نفسى ، ولئن أقدتُ من نفسى لِيُقيدَنَّ أميرُ المؤمنين من نفسه ، وإن قاد أمير المؤمنين من نفسه لَيُقيدَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفسه ، هاه هاه يعرض بالله عز وجل .

قال ابنُ شهاب : قال لى خالد القَسْرىّ : اكتُب لى النسب . فبدأت بنسب مضر ، فمكثت فيه أياما ثم أتيته ، فقال: ماصنعت؟ فقلت : قد بدأت بنسب مضر وما أتْمَمْته . قال : اقطع قطعه الله مع أصولهم ، واكتب لى السيرة . فقلت له: إنه يمرّ بى الشىء من سيرة علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فأذكره ؟ فقال : لا . إلّا أن تراه فى قعر جهنم[3] .

حدّث من سمع خالداً وقد لعن علياً رضى الله عنه ، فقال : على بن أبى طالب ابن عم محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب ، وزوج ابنته فاطمة ، وأبو الحسن والحسين. هل كَنَيْت ؟

وصعد خالد المنبر فقال: إلى كم يغلب باطلُنا حقّكم، أما آن لربكم أن يغضب لكم؟!

وكان خالدٌ زنديقا . وكان يولّى النصارى والمجوس على المسلمين ويأمرهم بامتهانهم وضربهم .

---

(١) الديوان (ط لندن) : ٣٢٣ .

(٢) فى الديوان : مستعاد .

(٣) فى غ: الجحيم .

وكان أهلُ الذمّة يشترون الجوارِى المسلمات[1] فيُطلِق ذلك لهم ولا يغيّره عليهم.

وكان خالد قد أخذ بعض[2] التابعين وحبسه فى بعض دور الحضْرَمىّ ، فأعظم الناس ذلك وأنكروه فقال : قد بلغنى ما أنكرتم من أخْذِى عدوّ أمير المؤمنين ومن حاربه ، ووالله لو أمرنى أمير المؤمنين أن أنقضَ الكعبة[3] لنقضتُها حجراً حَجَراً ، ونقلتها إلى الشام . والله لأمير المؤمنين أكرم على الله من أنبيائه عليهم السلام .

وقال يوما وقد ذُكر النبىّ صلى الله عليه وسلم : أيُّما أكرم عندكم على الرجل ؟ رسولُه فى حاجته أم خَلِيفَتُهُ فى أهله ، يعرّض بأن هشاما خيرٌ ممن لا أذكرهاهنا .

ودخل عليه فِراس بن جَعْدة بن هُبيرة وبين يديه نبق ، فقال له : الْعَنْ علىّ ابن أبى طالب ولك بكل نبقة دينار . ففعل ، فأعطاه بكل نبقة دينارا !

وكان يسمّى زمزم أمّ الجُعْلان . وكان له عامل يقال له خالد ألمى[4] ، فكان يقول : والله لخالدُ ألْمى أفضل إمامة من علىّ بن أبى طالب .

قال يوما : أيّما أعظم : ركيّتنا أم بئر زمزم ؟ فقيل له: أيها الأمير من يجعل الماء العذب النقاخ مثل الأجاج ؟ !

وخطب يوما فقال : إن إبراهيم خليل الله استسقى فسقاه الله ملحا أجاجا ، وإن أمير المؤمنين استسقى فسقاه الله ماء نقاخا .

وكان الوليد حفر بئرا بين ثنيّة ذى طُوَى وثنية الحجون[5] ، فكان خالد ينقل ماءها فيوضع فى حوض إلى جنب زمزم ليُظهر للناس فضلها . فغارت تلك البئر فلا يُدْرى أين هى .

---

(١) فى غ : المسلمات ويطئونهن .

(٢) بعض التابعين : فى تهذيب ابن عساكر : ٥/٧٩ : سعيد بن جبير وطلق بن حبيب .

(٣) فى غ: هذه الكعبة.

(٤) هكذا فى ك وت . وفى غ : بن آمى .

(٥) فى ك وت : الجون ، والتصويب من غ .

وكان خالد أميرا بمكة فأمر رأسَ الحجَبة أن يفتح الباب له فأبى ، فضربه مائة سَوْط ، فخرج الشَّيْبِيّ إلى سليمان بن عبد الملك يشكو ، فصادف الفرزدق بالباب فاسترفده ، فلما أذن للناس ودخلا شكا الشَّيبي ما لَحِقه من خالد، فوثب الفرزدق فقال[1] :

سَلُوا خالداً لا أكرم الله خالداً … متى وَلِيَتْ قَسْرٌ قريشاً تَدِينُهَا
أَقَبْلَ رسولِ اللهِ أم ذَاكَ بَعْدَه[2] … فتلكَ قُرَيْش قد أَغَثَّ[3] سَمِينُهَا
رَجَوْنا هُداه لا هَدَى اللهُ خالدًا … فما أمُّه بالأمِّ يُهْدَى جَنِينُهَا

فحَمِيَ سليمان وأمر بقطع يد خالد . وكان يزيد بن المهلّب عنده فما زال يُفَدِّيه ويقبِّل يده حتى أمر بضربه مائةَ سوط ويُعفَى عن يمينه .

فقال الفرزدق فى ذلك[4] :

لَعَمْرِى لقد صُبَّت على ظَهْرِ خالدٍ … شآبيبُ ما اَستَهْلَلْن من سُبُل القَطْرِ[5]
أَيُضْرَب فى الإسلام من كان طائعاً … ويَعْصَى أميرَ المؤمنين أخُو قَسْرِ[6]
فنَفْسَك لُمْ فيما أتيتَ فإنما … جُزِيت جزاءً بالمُحَدْرَجة السُّمْرِ[7]
وأنت ابن نصرانيّة طَالَ بَظْرُها … غَذَتك بألْبان[8] الخنازيرِ والخمْرِ

---

(١) ديوان الفرزدق (الصاوى) : ٨٧٤ .

(٢) أم ذاك بعده : فى الديوان : أم بعد عهده .

(٣) أغث : هزل وضعف .

(٤) ديوان الفرزدق (الصاوى) : ٣٧٢ .

(٥) صبت : فى الديوان : صابت : ـ الشآبيب: الدفعات من المطرينهل مرة بعدمرة واحدها شؤبوب .

(٦) الروايةفى الديوان :

أتضرب فى العصيان تَزعم من عصى … وتعصى أميرَ المؤمنـين أخا قسر

(٧) المحدرجة : السياط . وهذا البيت مؤخر فى الديوان وروايته فيه :

فخذ بيديك الحتف إنك إنما … جزيت قصاصا بالمحدرجة السمر

(٨) فى غ والديوان : بأولاد .

فلولا يزيدُ بن المهلَّب حَلَّقَتْ ... بكَفِّك فَتْخاءُ إلى الفَرْخ فى الوَكْرِ[1]

لعَمْرِى لقد صال ابنُ شَيْبَةَ صَوْلَةً ... أرَتْك نُجومَ اللَّيلِ ظاهرةً تَسْرِى[2]

فحقدها خالد على الفرزدق .

فلما ولى العراق وحفر المبارك بواسط . قال الفرزدق يهجوه من أبيات[3] :

وأهْلَكْتَ مالَ الله فى غير حقِّه ... على النَّهَرِ المَشْئُوم غيرِ المُبَارَكِ

وتَضْرِب أقواما صحاحاً ظُهورُهم ... وتترك حَقَّ الله فى ظَهْر مالكِ

فأخذ خالد الفرزدق وحبسه واعتلّ بهجائه إياه فى حفر المبارك ، فقال الفرزدق يهجوه فى السّجن[4] :

ألا أبْلغ أميرَ المؤمنين رسالةً ... تَعَجَّل[5] هداك الله نَزْعَك خالدا

بَنَى بَيْعَةً فيها الصَّليبُ لأُمِّه ... وهَدَّم من بُغْضِ الإله[6] مَساجدَا

فبعث هشام إلى خالد رسولا يأمره بإطلاق الفرزدق فأطلقه فقال يهجوه[7] :

ألا قطع الرَّحْمٰن ظهرَ مَطِيَّةٍ ... أتَتْنا تَخَطَّى[8] من بَعيدٍ بخَالدِ

وكَيْفَ يؤُمُّ المُسْلِمين وأُمُّه[9] ... تَدِين بأنَّ اللهَ ليس بواحدِ

---

(١) الفتخاء : اللينة الجناح ـ الفرخ ، فى الديوان : الفتخ ، وهو بمعناه .

(٢) صال : فى الديوان : سار . صولة ، فى الديوان : سيرة .

(٣) الديوان : ٦٠١ .

(٤) الديوان : ١٨٩ .

(٥) فى الديوان : فعجل .

(٦) فى الديوان : الصلاة .

(٧) الديوان : ١٨٩ .

(٨) فى الكامل: تهادى .

(٩) الرواية فى الكامل :

وكيف يؤم الناس من كانت أمه

وكان خالد قريبا من هشام بن عبد الملك مَكيناً عنده ، وكان إذا ذُكِرَ هشام قال : ابن الحمقاء ! فقال مولى[1] لهشام يوماً : إن هـذا البَطِر الأَشِر الكافر نعْمَتك ونعمة أخيك[2] ونعمة أبيك يذكرك بأسوإ الذِكْر . قال : ماذا يقول ؟ لعلّه يقول الأحول ! قال : لا والله ولكن يقول ما لاتلتق[3] به الشفتان . قال : لعلّه قال ابن الحَمْقاء ! فأمسك عنه . فقال : لقد بلغنى ذلك عنه .

واتّخذ خالد ضياعا كثيرة حتى بلغت غلته عشرة آلاف ألف درهم ، فدخل عليه دِهْقان كان يأنس به فقال له : إن النـاس يحبُّون جسمك وأنا أحب جِسْمَك وروحَك . وقد بلغت غلّتك عشرة آلاف ألف درهم سوى غلّة ابنك ، وإن الخلفاء لا يصبرون على هذا . فقال خالد . إنّ أخى أسـد بن عبد الله كلّمنى بمثل هذا ، فأنت[4] أخبرته ؟ قال : نعم . قال : ويحك دعـه فربّ يوم كان يطلب فيه الدرهم فلا يجده .

وكان خالد بخيلا على الطعام ، فكان لبعض التجار دين على رجل فأراد استعداء خالد عليه ، فلاذ الرجل ببوّاب خالد وَبرَّه ، فقال له سأحتال لك فى أمر هـذا بحيلة لا تدخله عليه أبدا قال : افعل . فلما جلس خالد للأكل أذن البوّاب للتاجر ، فدخل وخالد يأكل سَمَكا فجلس وأكل أكلا شنيعا . فغاظ ذلك خالدا ، فلما خرج قال خالد لبوّابه فيم أتانى هذا ؟ قال : يستعدى على رجل فى دين له يدَّعيه عليـه . قال : والله إنى أعلم[5] أنه كاذب ، فلا يدخل علىّ ! وتقدّم إلى صاحب الشرطة بقبض يده عن خصمه .

---

(١) فى غ : رجل من أهل الشام .
(٢) فى غ : إخوتك .
(٣) فى غ (بولاق) : تنشق .
(٤) فى غ : أفأنت .
(٥) فى غ : لأعلم .

وقال خالد يوما فى خطبة وكان لُحَنَة ، وكان له مؤدب يقال له الحسين بن رحمة الكلبي فكان يجلس بإزائه فإذا شك فى شىء أومأ إليه . فقال فى خطبته : والله ما إمارة العراق مما يشرفنى! فبلغ ذلك هشاما فغاظه جدا . ولم تزل أفعاله به حتى عزله هشام وعذّبه. وقتل ابنه يزيد بن خالد ، فرُئى فى رجله شريط قد شدّ به والصبيان يَجُرُّونه .

قال خالد بن صفوان بن الأهتم: دخلتُ على هشام يوما فحدّثته فأطلتُ فتنفَّس وقال: ياخالد : ربّ خالدٍ كان أحبّ[1] إلىّ حديثا منك، وألذّ قربا إلىّ ! يعنى خالدا القسرىّ. فانتهزتُها ورجوت أن أشفع له وتكون لى عند خالد يداً ، فقلت : يا أمير المؤمنين ما يمنعك من استئناف الصّنيعة عنده ؟ فقد أدّبته بما فَرط منه . فقال: هيهات ، إنّ خالدا أَوْجَف فأَعْجَف ، وأدَلّ فأمَلّ ، وأفرط فى الإساءة فأفرطنا فى المكافأة ، فحَلِم[2] الأديم ، ونغَل الجرح ، وبلغ السَّيل الزُّبى ، والحِزام الطُّبْيَين ، فلم يبق فيه مستصلح ولا للصّنيعة عنده موضع . عد إلى حديثك .

---

(١) العبارة فى غ : أحب إلى قربا ، وألذ عندى حديثا منك .

(٢) حلم الأديم : فسد وتثقب مما وقع فيه من دود ، وهو هنا كناية عن تيئيسه مما يسعى فى إصلاحه فقد تم فساده ، والجمل بعده بهذا المعنى .

خنث[1]*

هى جارية أبى الخطَّاب النَّخَّاس المعروف بقَرِن ، مولى العبَّاسية بنت المهدى . وكانت تُعرف بذاتِ الخال ، كان لها خال فوق شَفَتِها العُليا ، وكانت من أجمل النساء وأكملهن . وكان إبراهيم الموصلىّ يَهْوَاها . وفيها وفى سيدها يقول :

مابَالُ شمس أبى الخطاب قدحُجِبتْ	يا صاحِبَىَّ لعلّ الساعةَ اقترَبتْ[2]
أوْلا فما بالُ رِيحٍ كنتُ آلَفُها[3]	عادت علىّ بصِرٍّ بعد ما جَنَبَتْ[4]
إليك أشكُو أبا الخطّاب جارِيَةً	غَرِيرةً بفؤادِى اليومَ قد لعِبتْ
وأنت قَيِّمُها فانظرْ لعاشِقِها	ياليتَها قربتْ منّى وما بعدتْ

واشتهرت بشعره وغنائه فيها. فبلغ الرشيدَ خبرُها فاشتراها بسبعين ألف درهم . فقال لها ذات يوم أسألك عن شىء فإن صدَقْتِنِى وإلَّا صَدَقنى غيرك وكذبتك ، قالت : أنا[5] أَصْدُقك . قال : هل كان بينك وبين إبراهيم الموصلى قط شىء ؟ وأنا أُحَلِّفه أن يصدقنى . قال : فسكتت ساعة ثم قالت : نعم مرة واحدة ! فأبغضها .

وقال يوما فى مجلسه: أيّكم لا يُبالى أن يكون كَشْخانا حتى أهب له ذاتَ الخال . فبدره حَمُّوَيه[6] الوصيف فقال : أنا . فوهبها له . وفيها يقول إبراهيم :

---

* الاغانى (بولاق) : ١٥/٧٩-٨٥ ، (بيروت) : ١٦/٣٦٥-٣٧٥ .

(١) خنث : اختلف فى ضبطه ، ففى القاموس ولسان العرب (خنث) : خنث (بضم فسكون) : اسم امرأة. والجارى على ألسن الأدباء بفتح الخاء والنون فتكون مسماة بالمصدر من خنث (كفرح) خنثا : تثنت وتكسرت .

(٢) فى غ (بيروت) : أظن ياصاحبي الساعة اقتربت . وما هنا موافق لما فى (غ بولاق).

(٣) فى غ : آنسها.

(٤) جنبت : هبت جنوبا .

(٥) فى غ : بل .

(٦) حمويه : ضبط فى نهاية الأرب : ٥/٩٢ (بفتحات وسكون الياء وآخره هاء) .

أَتَحْسَبُ ذاتَ الخالِ راجيةً رَبًّا وقد سَلَبَتْ قَلْباً يهيم بها حُبًّا
وما عُذْرُها نفسى فداها ولم تَدَعْ على أَعْظُمِى شَحْماً[1] ولم تُبْقِ لى لُبًّا

واشتاقها الرشيد يوما بعد ما وهبها لَحمُّويه فقال له ، ويلك يا حَمُّويه وهبنا لك الجارية على أن تسمع غناءها وحدك؟! فقال يا أمير المؤمنين : مُرْ فيها بأمرك . قال : نحن عندك غدا . فمضى فاستعد لذلك ، واستعار لها من بعض الجوهريين بَدَنَةً[2] وعقُودا ثمنها اثنا عَشَر ألف دينار ، فأخرجها إلى الرشيد وهو عليها . فلما رآه أنكره . وقال : ويلك ياحَمُّويه من أيْنَ لك هذا ، وما وليَّتك عملا تَكْسب فيه مثله ؟! ولا وصل إليك منّى هذا القدر ! فصَدَقَه عن أمره . فبعث الرشيد إلى أصحاب الجوهر فأحضرهم واشترى الجوهر منهم ووهبه لها . وحلف أن لا تسأله فى يومه ذلك حاجة[3] إلّا قضاها . فسألته أن يولِّىَ حَمُّويه الخراج والحرب بفارس سبع سنين ، ففعل ذلك وكتب له عهدا به ، وشرط على ولى العهد أن يُتِمَّها له إن لم تتم فى حياته.

دعت ذات الخال يوما مولاها الرشيد إليها فوعدها أن يصير إليها ، وخرج يريدها فاعترضته جارية غيرها، فسألته أن يدخل إليها فدخل وأقام عندها ، فشقّ ذلك على ذات الخال وقالت : والله لأطلبن شيئا أغيظه به . وكان على خَدِّها خال لم ير الناس أحسنَ منه فى موضعه فدعت بمِقْراض فقصَّت الخال الذى فى خَدِّها ، وبلغ الرشيدَ ذلك فشقّ عليه . وبلغ منه ، فخرج من موضعه وقال للفضل بن الرَّبيع : مَنْ بالباب من الشعراء ؟ فقال: الساعةَ رأيت العبَّاس بنَ الأحنف، فقال : أدْخِله . فأدخلَه فعرّفه الخبر ، وقال : اعمل فى هذا شيئا على معنى رسمه له فقال :

---

(١) فى غ : لحما .
(٢) البدنة : قميص لا كمين له تلبسه النساء .
(٣) فى غ : شيئا .
(٤) فى غ : أعطاها .

تخلَّصتُ ممَّنْ لم يكن ذَا حَفيظَةٍ　　ومِلْتُ إلى من لا يُغيِّره حالُ
وإن كان قطعُ الخال لمّا تعطَّفَتْ　　على غيرها نَفْسِى فقد ظُلِمَ الخالُ

فنهض الرشيد إليها مسرعا مسترضيا لهـا ، وجعل هذين البيتين سبباً ، وأمر للعباس بألفى دينار .

وكان محمد بن موسى ينشد للعباس بن الأحنف :

ألَا لَيْتَ ذاتَ الخالِ تلقى من الهوَى　　عَشِيرَ[1] الذى أَلْقَى فيلتَئِمُ الشَّعْبُ
إذا رضيتْ لم يَهْنَنِى ذلك الرِّضَا　　لِعلْمى به أنْ سوفَ يتبَعُه عَتْبُ
وأَبكى إذا ماأَذْنَبَت[2] خوفَصَدِّها　　وأَسْألها مرضاتَها ولها الذَّنْبُ
وِصالُكم صَرْمٌ وحُبُّكم قِلًى　　وعَطْفُكم صَدٌّ وسِلْمُكم حَرْبُ

وكان يعجبه التقسيم فى الشعر ، فكان يقول : أحسن ما قُسِّم هذا . جعل إزاء كل شيء ضدّه ، وإن هذا لأحسن من تقسيمات إقليدس .

وكانت ذات الخال إحدى الثلاث الجَوَارى[3] اللَّواتى كان الرشيد يهواهُنَّ ويقول :

إنَّ سِحْرًا وضِياءً وخُنُثْ　　هُنَّ سِحْرٌ وضِياءٌ وخُنُثْ
أَخَذَت سِحْرٌ ولا ذَنْبَ لها　　ثُلُثَىْ قَلْبى وتِرْباها الثُّلُثْ

وفيهن يقول أيضاً ، وقيل : إن العبّاس بن الأحنف قالها على لسانه :

مَلَكَ الثلاثُ الآنساتُ عِنانِى　　وحَلَلْنَ من قَلْبى أَعَزَّ[4] مكانِ
مالِى تُطاوِعُنِى البريَّةُ كُلُّها　　وأُطِيعُهُنَّ وهُنَّ فى عِصْيانى
ما ذَاكَ إلّا أنَّ سُلطانَ الهوَى　　وبه قَوِينَ أَعَزُّ من سُلْطانِى

---

(١) عشير : عشر ، وهو الجزء من عشرة أجزاء يقسم إليها الشيء .
(٢) فى غ : إذا أذنبت خوف صدودها .
(٣) فى ك وت : جوارى .
(٤) فى غ : بكل .

وجّه الرشيد يوما إلى جاريته سِحْر لتصير إليه ، فاعتلّت عليه ذلك اليوم بعلّة ، ثم جاءته من الغد فقال :

أيا مَن رَدَّ وُدّى أمْـ ـسِ لا أُعْطيكَه اليَوْمَا
ولا والله لا أُعطِيـ ـكَ إلّا الصَّدَّ واللَّوْمَا
وإن كان بقَلْبِي مِنْـ ـكَ حُبٌّ يمنع النَّوْمَا
أيا مَن مُنِحَتْه الوَصْـ ـلَ فأَغْلَى المَهْرَ والسَّوْمَا

قال إسحاق : وجّهَ الرشيدُ إلىّ ليلة وقد مضى شطرُ اللَّيل فجئت[1] فجلست ، فأخرج[2] جارية كأنّها لؤلؤة فأجلسها فى حُجْرَة ثم قال لها : غَنِّنِى فغنَّته :

جِئْنَ من الرُّوم وقَالِيقَلَا يَرْفُلْن فى المِرْط ولِين المُلَا
مُقَرْطَقات بصُنوف الحُـلَى يا حَبَّذا البِيضُ وتلك الحُلَا

فاستحسنه وشرب عليه . ثم استؤذن للفضل بن الربيع فأذن له ، فلما دخل قال : ماوراءك فى هـذا الوقت . قال : خير[5] يا أمير المؤمنين ، ولـكن جرى لى الساعة شىء[6] لم يَجُزْ كتمانه . قال : وما ذاك ؟ قال : أخرج إلىّ فى هذه الساعة[7] ثلاث جوارٍ[8] مكيّة ومدنيّة وعراقيّة ، فقبضت المدَنيَّة على ذَكَرِى . فلمّا قام[9]

(١) فجئت فجلست : فى غ : فأحضرت
(٢) فى غ : فخرجت .
(٣) فى غ : المهاة .
(٤) ثم قال لها : غنى فغنته : فى غ : ثم قال : غننى فغنيته .
(٥) فى غ : كل خير .
(٦) فى غ : سبب .
(٧) فى غ : الوقت .
(٨) فى غ : جوار لى .
(٩) فى غ: أنعظ.

وثبت المكيّة فقعدت عليه فقالت لها المدنيّة : ما هذا التعدى ؟ ألم تعلمى أنّ مالكا حدّثنا عن الزُّهْرِىّ عن عبد الله بن ظالم[1] عن سعيد بن زَيْد أنّ النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَهِىَ لَهُ » . فقالت لها الأُخْرى : أوَ لم[2] تعلمى أنّ سفيانَ حدّثنا عن أبى الزّناد[3] عن الأَعْرَج عن أبى هُرَيْرَةَ أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الصَّيْدُ لِمَنْ صَادَهُ لا لِمَنْ أثَارَهُ » . فدفعتهما العِراقية عنه ووَثبت عليه وقالت : هذا لى وفى يدى حتى تصطلحا أنتما[4] . فضحك الرّشيد وأمر بحَمْلِهنّ إليه. فحُمِلوا[5] إليه وحَظِينَ عنده . وفيهن يقول :

* ملك الثلاث الآنساتُ عنانى *

ولمّا حَجّ الرشيد آخر حجّةٍ حَجَّها كان الناس يتناشدون له فى جواريه :

ثلاثٌ قد حلَلْنَ حِمَى فُؤادِى ... ويُمْطِيْنَ الرغائبَ فى[6] ودادِى
نظمت قلوبَهُنّ بخَيْطِ قَلْبِى ... فهُنّ قرابتى حتّى التّنادِى
فمَنْ يَكُ حَلَّ من قَلْبٍ مَحَلًّا ... فهُنّ مع النواظر والسَّوادِ

---

(١) فى غ : طاهر .
(٢) فى ك : أو ما والتصويب من غ .
(٣) فى غ : أبى الزناد الأعرج ،و أبو الزناد هو عبدالله بن ذكوان، وهو يروى عن الأعرج.
(٤) ليست فى غ .
(٥) فى غ : ففعل .
(٦) فى غ : من .

حرف الدال

داود بن سَلْم*

مَوْلَى بنى تَيْم بن مُرَّة ، وقيل : إنّه مولَى أبى بكر رضى الله عنه ، وقيل : إنّه مولى آل طَلْحة . مُخضْرَم من شُعراء الدولتين الأموية والعباسيّة من ساكِنى المدينة . يُقال له داودُ الأَدْلَم(١) ، وداود الأَرْمَك(٢) .

وكان من أقبح الناس وجها وأشدّهم بُخْلًا . ولُقِّب بالأدْلَم(٣) لشدّة سواده . وأبوه رجل من النَّبَط ، وأمه بنت خَوْط مولى عُمَر بن عُبَيْد الله بن مَعْمَر . فانتسب لولاء أمِّه .

طرقه قومٌ وهو بالعَقِيق فصاحوا به : العَشاء والقِرَى يا ابن سَلْم . فقال لهم : لا عَشاء لكم عندى ولا قِرَى . قالوا : فأين قولُك فى قصيدتك :

عَوَّدْتُ نَفْسِى إذا ما الضَّيْف نَبَّهَنى ... عَقْرَ العِشارِ عَلَى يُسْرِى وإعْسارِى(٤)

قال : لستم من أولئك الذين عَنَيْتُ .

كان الحسن بن زيد قد أحضر إسحاقَ بن إبراهيم بن طلحة بن عمر بن عُبَيْد الله

* الأغانى (بولاق) : ٥/١٣٥-١٤١ ، (دار الكتب) : ٦/١٠-٢٠ ، (بيروت) : ٦/ معجم الأدباء : ١١/٩٥-٩٨ .

(١) فى غ ومعجم الأدباء : الآدم ؛ وهما بمعنى .

(٢) الأرمك : الأسود ، وفى ك : الأدمك وهو تحريف والتصويب من غ (دار) .

(٣) فى غ : الآدم .

(٤) الرواية فى غ والأدباء :

عُوِّدت فيها إذا ما الضيف نبهنى ... عَقْر العِشار على يُسْرٍ وإعسار

العشار : ما أتى على حملها عشرة أشهر ، واحدتها عشراء .

ابن معمر التَّيمى أيّام كان يَلِى المدينة ودعاه إلى ولاية القضاء ، فأبَى عليـه فحبسه ، فدعا مشبرقين يشبرقون[1] له مُغتَسَلًا[2] فى السجن ، وجاء بنو طلحة بن عمر فانسجنوا معه . وبلغ ذلك الحسنَ بن زيد ، فأرسل إليه فأبَى . فقال: إنّك تلاجَجْتَ عَلَىَّ ، وقد حلفتُ أَلّا أُرسِلَك حتّى تعمل لى ، فأَبْرِرْ يَمِينى! ففعل . فأرسل معه جُنْدًا حتى جلس مجلس القضاء والُجنـد على رأسه . فجاءه داودُ بن سَلْم فوقف على رأسه ثم قال :

طَلَبُوا العِلْمَ والفُتُوَّةَ والِجْدَ م وفيـك اجتمعن ياإسْحَاقُ

فقال : ادفعوه . فدفعوه ونُحِّى عنه . وجلس ساعة وقام عن مجلسه ، وأعفاه الحسَن ابن زيد من القضاء . فلما صار إلى منزله أرسلَ لداود بن سَلْم بخمسين دينارا ، وقال للرسولِ : قل له ، يقول لك مولاى : ما حملك على ما أكرهه من مَدْحِى ؟ استعن بهذا على أمرك .

كان سَعْدُ[3] بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف فى مسجد النبى صلّى الله عليه وسلم يقضى بين الناس ، إذ دخل زَيْدُ بن إسماعيلَ بن عبـد الله بن جعفر ومعه داودُ ابن سَلْم مولى التَّيميِّين ، وعليهما ثيابٌ ملوَّنة يجرّانها ، فأومأ أن يُؤْتَى بهما . فجاءا إليه ، فأشار إلى زيد وأجلسه بالقرب منه ، وأومأ إلى الآخر أن اجلس فجلس حيث يجلس مثله ، ثم قال لعَوْنٍ من أعوانه : ادْعُ لى نوحَ بن إبراهيم بن محمد بن طلحة ابن عُبَيد الله ، فدُعِيَ به[4] فجاء أحسن النـاس سَمْتًا وتشميراً ونَقاء ثياب . فأشار إليه فجلس . ثم أقبل على زيدٍ فقال : يا ابن أخِى تَشَبَّه بشيخك هذا وسَمْتِه

---

(١) يشبرقون :

(٢) فى غ : مغسلا .

(٣) فى ك : سعيد والتصويب من غ .

(٤) فى غ : له .

وتَشْمِيره ونَقاء ثوبه ، ولا تَمُدَّ إلى هذا اللّبس . قُم فانصرف . ثم أقبل على ابن سَلْم وكان قبيحا وقال: هذا ابنُ جعفر : أَحْتَمِل هذا منه[1] ، أنت لأىّ شىء احتمالُك[2] ؟ أَلِلُؤم أصلك أم لسماجة وجهك ؟ ! جرِّده يا غلام . فجُرِّد وأخذته[3] السياط . فقال ابن رُهَيْمة[4] :

جَلَدَ العادِلُ سَعْدٌ ابْنَ سَلْمٍ فى السَّماجَهْ
فقَضَى اللهُ لِسَعْدٍ من أميرٍ كُلَّ حَاجَهْ

قالت ظَبْيَةُ مولاة فاطمة بنت عمر بن مُصْعَب : أرسلتنى مولاتى فى حاجة ، فررت بِرَحْبَة القضاء فإذا بضُبَيْعَة العَبْسىّ خليفة جَعْفر بن سليمان يقضى بين الناس ، فأرسل إلىّ فدعانى ، وقد كنت رَجَّلْت[5] شَعَرِى وربَطْت فى أطرافه من ألوان العِهْن. فقال : ما هذا ؟ فقلت : شىء أتَمَلَّح به . فقال : ياحَرَسِىّ قَنِّعها[6] بالسوط . قالت : فتناولتُ السوط بيدى وقلتُ: قاتلك الله ما أَبْيَنَ الفَرْق بينك وبين سَعْد بن إبراهيم، ذلك يجلد فى السماجة وأنتَ تَجْلِد فى المَلاحة . وقد قال [الشاعر][7] :

جَلَدَ العادِلُ سَعْدٌ ابْنَ سَلْمٍ فى السَّماجَة

قالت : فضحك حتى ضَرَب بيديه ورجليه الأرضَ . وقال : خَلِّ عنها .

قالت : وكان [جعفر][8] يَسُوم بى ، وكانت مولاتى تقول : لا أبيعها إلّا أن تَهوَى ذلك . وأقول : لا أريدُ بأهلى بدَلًا ، إلى أن مررت يوماً بالرَّحْبَة فإذا جعفر

---

(١) فى غ : له .
(٢) فى غ : احتمل لك .
(٣) وأخذته السياط : فى غ : فضربه أسواطا .
(٤) هو محمد بن عبد الله مولى عثمان بن عفان . حجازى أدرك الدولة العباسية .
(٥) رجلت : سرحت ومشطت ، وهى فى غ : رطلت : أى لينته بالدهن ومشطته .
(٦) قنعها : اضربها على رأسها حيث القناع .
(٧) زيادة من غ لتوضيح المعنى ، والشاعر هو ابن رهيمة كما سبق .
(٨) زيادة يقتضيها الخبر مع سابقه .

ابن سليمان فى مَنْظَرَة دارِ مروان ينظر ، فأرسل إلىّ فدعانى وهو من وراء كِلّةٍ وأنا لا أشعرُ به ، وحازِمٌ وجَرِيرٌ جالسان . قال حازم : الأمير يريدُك . فقلت : لا أريد بأهلى بدَلًا . فكُشِفَت الكِلَّة عن جعفر بن سليمان فارتعدتُ لذلك ، وقلت : آه آه . فقال : مالَك ؟ فقلت :

سمعتُ بذِكْرِ النّاسِ هِنْدًا فلم أزَلْ أخَا سَقَمٍ حتى نظرتُ إلى هِنْد

قال : فأبصَرْتَ ماذا وَيْحك ! فقلت :

فأبصَرْتُ هِنْداً حُرَّةً غير أنَّها تَصَدَّى لِقَتْلِ المُسْلِمين على عَمْدِ

قال : فضَحِك حتّى استلْقَى . وأرســل إلى مولاتى ليبتاعنى . فقالت : والله لا أبيعها حتى تستبيعنى فقلتُ : والله لا أستَبِيعُك أبدا .

كان داودُ بن سَلْم قد خرج إلى حَرْب بن خالد بن يَزِيد بن معاوية ، فلما نزل به حَطَّ غِلمانه متاعَ داود وحَلُّوا عن راحلته . فلمّا دخل عليه أنشأ يقول[1] :

ولَمّا دفعتُ لأَبْوابِهِمْ ولاقَيْتُ حَرْبا لَقيتُ النَّجاحَا
رَأَيْناه يَحْمدُه المُجْتَدُو نَ[2] ويأْبَى عن العُسْرِ إلّا سَماحَا
ويُغْشَوْنَ حَتّى تَرَى[3] كَلْبَهم يَهابُ الهَرِير ويَنْسَى النُّباحَا

فأجازه بجــائزة عظيمة . ثم استأذنه فى الخروج فأذن له وأعطاه ألف دينار ، ولم يُعِنْه أحد من غِلمانه ولم يَقوموا إليه . فظنّ أنّ حَرْبا ساخطٌ عليه . فرجع إليه فأخبره . فقال له : سَلْهُم لِمَ فعلوا هذا[4] . فسألهم فقالوا : إنا نُنْزِل من جاءنا ولا نُرْحِل من خَرَج عنا . قال : فسمع الناضِرىّ حديثَه فأتاه فحدّثه فقال : أنا يَهُودِىٌّ إن لم يكن الّذى قال لك الغلمانُ أحسنَ من شِعْرِك .

---

(١) معجم الأدباء : ١١/٩٦ .
(٢) المجتدون : جمع مجتد : طالب العطاء .
(٣) فى غ : يرى .
(٤) فى غ : بك هذا .

وكان داودُ بن سَلْم منقطعا إلى قُثَم بن العباس وفيه يقول[1] :

يا ناقُ إن أدْنَيْتِنِي[3] من قُثَمْ   عَتَقْتِ من حَلٍّ[2] ومنْ رِحْلَتِي

حالَفَنِي اليُسْرُ وماتَ العَدَمْ   إنّكِ إنْ أَدْنَيْتِ[4] منه غَدًا

بَحْرٌ وفى العِرْنِين منه شَمَمْ[5]   فى وَجْهِهِ بَدْرٌ وفى كَفِّهِ

وما عَنِ الخَيْرِ به من صَمَمْ   أَصَمُّ عن قِيلِ الخَنَا سَمْعُه

فمافَهَا واعتاضَ عنها[6] نَعَمْ   لَمْ يَدْرِ ما « لا » و « بَلَى » قَدْ دَرَى

(١) معجم الأدباء : ١١/٩٧ — والأبيات فى الكامل للمبرد: ٣٦٩ لسليمان بن قتة مع اختلاف فى بعض الألفاظ .

(٢) حلى : فى الأدباء : نجوت من حل ومن رحلة .

(٣) فى الأدباء . قربتنى .

(٤) فى الأدباء : بلغتنيه .

(٥) شمم : ارتفاع ، والمراد علو النفس .

(٦) فى غ والأدباء : منها .

وقعة دُولاب*

دُولاب من عَمَل الأهْواز بينها وبينها أربعة فراسخ . كان بها حربٌ بين الأزارقة وبين ابن عُبَيس بن كُرَيز بن خليفة بن الحارث بن نَوْفل بن الحارث بن عبد المطّلب فى أيام ابن الزُّبَيْر .

كان نافع بن الأزرق لمّا تفرّقت آراء الخوارج ومذاهبُهم فى أصول مقالتهم أقام بسوق الأهواز وأعمالها يحرّض الناس . وقد كان مُتَشكِّكا فى ذلك، فقالت له امرأته: إن كنت قد كفرت بعد إيمان وشككت فدع نِحْلَتك ودعوتك، وإن كنت قد خرجت من الكفر إلى الإسلام فاقتُل الكفّار حيث لقيتَهم وأثْخِن فى النساء والصبيان كما قال نوح : ﴿ رَبِّ لا تَذَرْ على الأَرْضِ من الكافِرِين دَيَّاراً ﴾[1] . فقتل الرجال والنساء والولدان ، وجعل يقول : إن هؤلاء إذا كبروا كانوا مثلَ آبائهم ، فإذا وَطِئ بلداً فعل هذا بأهله إلّا أن يُجيبَه أهله جميعا ويدخلوا فى[2] مِلّته فيرفع السيفَ ويضع الجباية ، فيَجْبِى الخَرَاج . فعظُم أمره واشتدّت شوكته ، وفشا عُمّاله فى السواد فارتاع لذلك أهل البصرة ، ومَشَوْا إلى الأحنف بن قيس فشكوا إليه أمرهم، وقالوا : ليس بيننا وبين القوم إلّا ليلتان ، وسيرتُهم ما ترى ! فقال لهم الأحنف : فإن[3] سيرتَهم فى مصركم إن ظفروا مثل سيرتهم فى سوادكم ، فخذوا فى جهاد عدوّكم. وحرّضهم الأحنف فاجتمع إليه عشرةُ آلاف رجل بالسلاح . فأتى[4] عبد الله

---

* الأغانى (بولاق) ٦/٣-٥- (دار الكتب) : ٦/١٤٢-١٥١- (بيروت ثقافة) : ٦/

(١) الآية : سورة نوح : ٢٦ .

(٢) فى غ : ويدخلوا ملته .

(٣) فى غ : إن .

(٤) فى غ : فأتاه .

ابن الحارث بن نوفل وسأله أن يؤمّر عليهم أميرا ، فاختار لهم مسلم[(١)] بن عُبَيْس ابن كرِيز بن ربيعة، وكان فارسا شجاعا دَيِّنا، وأمّره عليهم وشيّعه . فلما تقدّم من جسر البصرة أقبل على الناس وقال : إنى ما خرجت لامتيارِ ذهب ولا فضة ، وإنى لأحارب قوما إنْ ظفرت بهم فما وراءهم إلا سيوفهم ورماحهم ، فمن كان شأنه الجهاد فلينهض ومن أحب الحيـاة فليرجع . فرجع نفر يسير ، ومضى الباقون معه .

فلما صاروا بدُولاب خرج إليهم نافع فاقتتلوا قتالا شديدا حتى تـكسّرت الرِّماح وعُقِرت الخيل، وكَثُرت الجِراح فى القتلى ، وقُتِل فى المركة ابن عُبَيْس وهو على البصرة ، وذلك فى جمادى الأولى سنة خمس وستين . وقُتل نافع بن الأزرق يومئذ أيضا . وعجب الناس من ذلك . وتصابر الفريقان حتى قُتِل منهم خلق كثير . وقتل رؤساء العسكرَيْن ، والشُّراة يومئذ سِتمائة رَجُل .

وأُتِىَ بابن عُبَيْس وهو يجود بنَفْسه فاستخلف على الناس الرَّبيعَ بن عَمْرو الغُدَانى[(٢)] ،وكان يقال له الأجذم ، وكانت إحدى يديه أصيبت بكابُـل، وعبدالرحمن[(٣)] ابن سَمُرَة .

واستخلف نافع بن الأزرق عبد الله بن بَشير [بن][(٤)] الماحُوز أحد بنى سَلِيْط ابن يربوع . واتصلت الحرب بينهم عشرين يوما .

وادّعى قتلَ نافع رجلٌ من باهِـلَةَ يقال له سَلامة . وتحدّث بعد ذلك ، قال : كنت لمّا قتلتهُ على بِرْذون[(٥)] وَرْدٍ، فإذا أنا برجل ينادى وأنا واقف فى خُمْس بنى تميم ، فإذا برجُلٍ يعرض علىّ المبارزة . فلما أكثر خرجت إليه فاختلفنا ضربتين

---

(١) فى ك : مسلمة بن عنبس والتصويب من غ والطبرى : ٧/٨٥ (حوادث سنة ٦٥) .

(٢) فى ك : العدوانى ، والتصويب من غ والطبرى .

(٣) فى غ : مع عبد الرحمن .

(٤) تـكملة من غ والطبرى .

(٥) البرذون : ما كان من غير نتاج خيل العرب .

فضربته فصرعتهُ ونزلت فأخذت برأسه[١] وإذا هو امرأة قد رأتنى حين قتلتُ نافعا فخرجت لتثأر به .

ولم يزل الربيع بن عمرو يقاتل الشراة نيفا وعشرين يوما . ثم أصبح ذات يوم فقال لأصحابه : إنى مقتول لا محالة ! قالوا : وكيف ؟ قال : إنى رأيت البارحة كأن يدى التى أصيبت بكابُل انحطّت من السماء فاستنشلَتْنِى[٢] ، فلما كان الغد قاتلهم إلى الليل ، ثم غاداهُم[٣] للقتال فقُتِل يومئذ .

فلما قُتل الربيع تدافع أهلُ البصرة الرايةَ حتى خافوا العطب ؛ إذ لم يكن لهم رئيس . ثم اجتمعوا على الحجّاج بن بابٍ الحِمْيَرِىّ ، وقد اقتتل الناس ذلك اليوم وقبله بيومين قتالا لم يقتتلوا مثله قط ، حتى تطاعنوا بالرِّماح حتى تقصّفت ، ثم تضاربوا بالسُّيوف والعَمَد حتى لم يبق لأحد منهم قوة . كان الرجل يضرب الرجلَ فلا يُغْنِى شيئا من الإعياء ، حتى تَرَامَوْا بالحجارة وتكادَموا[٤] بالأفواه .

فلما اتفقوا على الحجّاج بن باب امتنع من أخذ الراية ، فقال له كُرَيبُ بن عبد الرحمن : خذها فإنها مَكْرُمة . قال : إنها مشئومة ما أخذها أحد إلّا قُتل ! فقال له كُرَيب : يا أعور تقارعت العرب عن[٥] أمرها ثم صيّروها إليك فتأباه خوف القتل ! خذ اللواء وَيْحَك ، فإن حضر أجلك قُتِلْتَ كان مَعك أو لم يكن . فأخذ اللواء ثم ناهضهم فاقتتلوا حتى انتقضت الصفوف وصاروا كراديس[٦] ، والخوارج أقوى عُدّة بالدّروع والجواشِن[٧] . فجعل الحجّاج يُغمِض عينيه ويحمل

(١) فى غ : فأخذت رأسه وسلبته .
(٢) استنشله : رفعه ، وأخذه إليه .
(٣) غاداهم : باكرهم .
(٤) تكادموا : تعاضوا .
(٥) فى غ : على .
(٦) كراديس : كتائب .
(٧) الجواشن : جمع جوشن ، وهو زرد يلبس على الصدر .

حتى يغيب فى الشُّراة ويطعن فيهم ويقتل حتى يُظَنّ أنه قد قتل . ثم يرفع الراية تقطر دما ، ويفتح عينيه فيرى الناس كرادِيس يُقاتل كلٌّ قوم فى ناحية .

ثم التقى الحجّاج بن باب وعِمران بن الحارث الراسبى فاختلفا ضربتين ، قتلَ كلٌّ واحدٍ منهما صاحبَه .

وجال الناس جَوْلة ثم تحاجزوا ، فأصبح أهـلُ البصرة قد هرب عامّتهم . وأمّروا حارِثةَ بن بدر الغُدانى عليهم[1] وسلّموا إليه الراية ، فنادى فيهم أن يَثْبتُوا فإنْ فتح الله عليهم فللعرب زيادةُ فريضتين ، وللموالى زيادةُ فريضة . فندبَ الناسَ والتقوا وقد فشت الجِراحات ، وما تطأ الخيل إلّا على القتلى . فبينا هم كذلك إذ أقبل من اليَمامة جمعٌ من الشُّراة — يقول المُكْثِرُ إنهم مائتان والمُقِلّ أربعون رجلا — فاجتمعوا وهم مُرِيحون من[2] أصحابهم، واجتمعوا فى ليلة واحـدة فحملوا على المسلمين، فلما رآهم حارثة بن بدر نـكص برايته[3] وانهزم وقال :

كرنبـوا ودوْلِبـوا وحيث شئتم فاذهبوا[4]

وقال :

أيرُ الحمـــار فريضة لعبيدكم والخصيتان فريضة الأعراب

وتتابع الناس على أثره منهزمين ، وتبعتهم الخوارج فألقوا أنفُسَهم فى دُجَيْل[5] وغرق منهم خلق كثير . وغرق فى ذلك اليوم دَغْفَل النسّابة أحد بنى عمرو بن شيبان فقال شاعر الأزارقة :

يَرَى مَنْ جاء ينظرُ فى[6] دُجَيْلٍ شُيوخَ الأزْد طافيــةً لِحاهَا

(١) فى غ : أمرهم .
(٢) فى غ : مع .
(٣) فى ك : رايته والتصويب من غ .
(٤) كرنبوا : انزلوا كرنبى وهى موضع بالأهواز — دولبوا : انزلوا دولاب .
(٥) دجيل : نهر بالأهواز .
(٦) فى الكامل وغ : من دجيل .

وكانت الشُّراة والمسلمون يتواقفون ويَتَساءلون بينهم عن أمرِ الدِّين وغير ذلك على أمان وسكون ، لا يَهِيج بعضُهم بعضا ، فتواقف يوما عُبَيْدة بن هلال اليَشْكُرى وأبو حُزَابَة[1] التَّميمى وهما فى الحرب ، فقال عُبيدة : يا أبا حُزابة إنى سائلك عن أشياء أفتَصْدُقنى فى الجواب عنها ؟ قال : نعم إن ضمنت[2] لى مثل ذلك . قال : قد فعلت . قال : قل ما بدا لك . قال : ما تقول فى أئمتكم ؟ قال يُبيحون الدَّمَ الحرام والمال الحرام ، والفرجَ الحرام . قال : ويحك ! وكيف فِعْلُهم فى المال ؟ قال يجبُّونه من غير حِلّه وينفقونه فى غير حِلِّه[3] . قال : فكيف فِعلُهم فى اليتيم ؟ قال : يظلمونَه مالَه ، ويمنعونه حقَّه ، ويَنيكون أمَّه . قال : ويلك يا أبا حُزَابة أفمثلَ هؤلاء تَتَّبِع ؟ قال : أجبتُ فاسمع سؤالى ، ودع عنك عتابى على رأيى . قال : قل : قال : أىّ الخمر أطيب، أخمر السهل أم خمر الجبل ؟ قال : ويلك أمِثْلى يُسْأل عن هذا ؟ قال : أنت أوجبت على نفسك أن تجيب ! قال أما إذْ أبيت فإن خمر الجَبَل أقوىَ وأسكَر ، وخمر السهل أحسَنُ وأسلس . قال أبو حُزابة : أىّ الزوانى أفْرَه ، أزوانى رَامَ هُرْمز[4] أم زوانى أرَّجان[5]؟ قال : ويلك إن مثلى لا يُسْأل عن هذا ! قال : لابد من الجواب . قال : أما إذْ أبيت فزوانى رَامَ هُرْمز أحسن[6] أبْدانا . قال : فأىّ الرجلين أشْعَر : أجرير أم الفرزدق ؟ قال : عليك وعليهما لعنة الله، أيهما الذى يقول :

---

(١) أبو حزابة : هو الوليد بن حنيفة أحد بنى ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم شاعر من شعراء الدولة الأموية (تاج حزب) وله ترجمة فى الأغانى .

(٢) فى غ : تضمنت .

(٣) فى غ : حقه .

(٤) رام هرمز : مدينة بنواحى خوزستان والعامة تنطقها اختصارا رامز (ياقوت) .

(٥) أرجان : مدينة كبيرة وبينها وبين سوق الأهواز ستون فرسخا (ياقوت) .

(٦) فى غ : فزوانى رامهرمز أرق أبشارا ؛ وزوانى أرجان أحسن أبدانا .

وَطَوَى الطِرادُ مع القِيادِ بُطُونَها ... طَيَّ التِجارِ بِحَضْرَموتَ بُرودَا[1]

قال : جَرير . قال هو أشعرهما .

وكان الناس قد تحادثوا فى أمر جرير والفرزدق حتى تواثبوا فصاروا إلى المهلّب محكّمين له فى ذلك ، فقال : أردتم أن أحكم بين هذين الكلبين المتهارشين فيمتضغانى ، ما كنت لأحكم بينهما ، ولكنّى أدلكم على من يحكم بينهما ، ثم يهون عليه سِبابُهما ، عليكم بالشُّراة فاسألوهم إذا توافقتم ، فلما تواقفوا سأل أبو حُزَابة عُبيدةَ ابنَ هلال عن ذلك فأجابه هذا الجواب .

وكانت مع الخوارج امرأة مع قَطَرِىّ بن الفجاءة يقال لها أمّ حكيم ، من أشجع الناس وأجملهم وَجْها ، وأحسنهم بدينه تمسّكا . وخطبها جماعة منهم فردّتهم ولم تُجِبْ إلى ذلك ، فكانت تحمل على النّاس وترتجز :

أَحْمِلُ رأساً قد سَئِمْتُ حَمْلَهُ ... وقد مَلِلْتُ دَهْنَه وغَسْلَهُ

* أَلَا فَتًى يَحْمِلُ عَنِّى ثِقْلَهُ *

وهم يُفدُّونها بالآباء والأمهات ، فلم يُرَ قبلها ولا بعدَها مثلُها .

وكان عُبَيْدة بن هلال إذا تكافّ الناس ناداهم : ليَخْرُجْ إلىّ بعضكم . فيخرج إليه فتيان من العسكر فيقول : أيّما أحبّ إليكم ، أن أقرأ عليكم القرآن أو أُنْشِدكم الشعر ، فيقولون : أما القرآن فقد عرَفْناه مثل معرفتك ، فأنشدنا . فيقولُ : يافَسَقَه ، قد والله علِمْتُ أنكم تختارون الشِّعْرَ على القرآن . ثم لا يزال ينشدهم ويستنشدهم حتى يَمَلُّوا ثم يفترقون .

---

(١) ديوان جرير من قصيدة مطلعها :

أهوًى أراكَ برامتين وقودا ... أم بالجنينة من مدافع أودا

دُرَيْد بن الصِّمَّة*

هو دُرَيْد بن الصِمَّة . واسم الصِمَّة معاوِيةُ الأصغر بن الحارث بن معاوِيَة الأكبر بن بكر بن عَلَقَة وقيل عَلْقَمة بن خزاعة بن غَزِيَّة بن جُشَمَ بن بَكْر ابن هَوازن .

ودُرَيد . شاعرٌ فارس شُجاع فَحْل ، جعله ابن سَلّام أول الفُرسان الشُّعراء . قال : كان أعظم[1] الفرسان غَزْواً وأبعدَهم أثراً ، وأكثرَهم ظَفَرا ، وأيْمَنَهم نقيبةً عند العرب . وأشعرهم .

وكان سيد بنى جُشَم وقائدهم . وغزا نحو مائة غَزاة ، ما أخفق فى واحدة منها .

وأدرك الإسلام فلم يُسلم . وخرج به[2] قومه يوم حنين مُظاهِراً للمشركين ، ولا فضل فيه للحرب ، وإنما أخرجوه تيمُّنا به وليقتبسوا من رأيه فمنعهم مالكُ بن عَوْف من قبول مَشُورته وخالفه لئلا يكون له ذِكْر ، فقُتِل دريد يومئذ على شِرْكه .

وكان لدريد إخوة وهم : عبدُ الله قتلته غَطَفان ، وعبدُ يغوثَ قتله بنو مُرَّة ، وقَيْسٌ قتله بنو أبى بكر بن كلاب ، وخالد قتله بنو الحارث بن كعب .

وأُمُّهم جميعا رَيْحانة بنت مَعْدِى كَرِب الزُّبَيدِى أخت عمرو بن معدى كرب . كان الصِمَّة سباهــا ثم تزوَّجها فأولدها بنيه . وإيّاها عنى[3] أخوهــا عمرو بن معدى كرب بقوله :

---

* الأغانى : (بولاق)٩/٢ـ٢٠ـ (دار الكتب) : ٣/١٠ـ٤٠ (بيروت : الثقافة): ١٠/ تهذيب ابن عساكر : ٥/٢٢٣ـ٢٢٧ .

(١) فى غ : أطول .

(٢) فى غ : مع .

(٣) فى غ : يعنى .

أَمِنْ رَيْحانَةَ الدّاعِي السَّمِيعُ ... يُؤَرِّقُنِى وأصحابى هُجُوعُ
إذَا لم تَسْتَطِع شَيْئًا[1] فدَعْهُ ... وجَاوِزْه إلى ما تَسْتَطِيعُ

وكان لدريد ابنٌ يقال له : سَلَمَة ، وكان شاعرا ، وهو الذى رَمَى أباعامر[2] الأشْعَرِيّ بسَهْم فأصاب ركبته فقتله وارتجز وقال :

إنْ تسألوا عنّى فإنّى سَلَمَهْ ... ابْنُ سمادِيرَ[3] لِمَن تَوَسَّمَهْ
* أضرب بالسيف رءوس المُسْلِمَهْ *

وكانت لدرَيْد ابنة أيضا شاعرة يقال لها عَمْرة .

قال أبو عمرو بن العلاء : أحسنُ شعر قيل فى الصَّبْر على النوائب قولُ دريد ابن الصمة :

تَقُولُ ألَا تبكِى أَخاكَ وقد أرَى ... مكان البُكا لكنْ بُنِيتُ على الصَّبْرِ
لِمَقْتَلِ عبدِ الله والهالكِ الّذى ... على الشَّرَف الأعلَى قتيلُ أبى بَكْرِ
وعَبْدِ يَغُوثَ أو خَليلى خَالِدٍ ... وعَزَّ مُصاباً حَثْوُ قبرٍ على قَبْرِ
أبَى القتلُ إلّا آلَ صِمَّةَ إنهم ... أبَوْا غَيْرَه والقَدْرُ يَجْرِى إلى القَدْرِ
فإمّا تَرَيْنا لا تَزال[4] دِماؤُنا ... لَدَى معشرٍ يسعَى بها آخِرَ الدَّهْرِ
فإنّا لِلَحْمِ السيفِ غيرَ نكِيرَةٍ ... ونَلْحَمُه[5] طَوْرًا وليس بذِى نُكْرِ
يُغارُ علينا واتِرِين فيُشْتفَى ... بِنا إن أُصِبْنَا أو نُغِيرُ على وِتْرِ
بذاكَ قَسَمْنا الدَّهرَ شَطْرَيْنِ بيننا[6] ... فما يَنْقَضِى إلّا ونحن على شَطْرِ

---

(١) فى عدة مخطوطات (غ) : أمرا .
(٢) فى هـ ك : عمرو تصويبا لأبى عامر ؛ وأبوعامر الأشعرى هو ابن عم أبى موسى الأشعرى.
(٣) سمادير : اسم أم سلمة وهى امرأة دريد بن الصمة .
(٤) فى غ : ما تزال .
(٥) نلحمه : نطعمه اللحم .
(٦) فى غ : قسمة .

فأمّا عبــدُ الله بن الصِمَّة فـكان سبب مقتله أنه غزا غَطَفَان ومعه بنو جُشَم وبنو نَصْر ابنى معاوية فظفر بهم وساق أموالهم فى يوم يقـال له يومُ اللِّوَى[١] ومضى بِها . فلما كان غيرَ بعيد قال : انزلوا بنا . فقال أخوه دُرَيْد: يا أبا فُرعان — وكان لعبد الله ثلاثُ كُنَى : أبو فُرْعان ، وأبو دُفافة[٢] ، وأبو أَوْفَى[٣] وثلاثة أسماء: عبدالله، ومعبد، وخالد[٤] . فقال له أخوه دُرَيْد : نَشَدْتك بالله لا تنزل . فإن غطفان ليست بغافلة عن أموالها ، فأقسم لا يَرِيم حتى يأخذ مِرْبَاعَه[٥] وينتقع نقيعته[٦] ويأكل ويطعم ، ويقسم البقيّة بين أصحابه .

فبينا هم فى ذلك وقد سطعت الدواخن إذا بغُبار قد ارتفع أكثر من دخانهم ، وإذا عَبْسٌ وفزَارة وأَشْجَع قد أقبلوا ، فقالوا لربيئتهم[٧] : انظر ما تَرَى قال : أرى قوماً جِعادا كأنّ سرابيلهم غُمِسَت فى الجادِى[٨] . قال: تلك أشجع ليست بشىء، ثم نظر فقال: أرى قوماً كأنهم الصبيان ، أسنّتهم عند آذان خَيْلِهم ، قال: تلك فزارة. ثم نظر فقال : أرى قوماً أُدْماً[٩] كأنما يحملون الجبل بسوادهم ، يخُدُّون[١٠] الأرض بأقدامهم خَدًّا ويَجُرُّون رماحهم جَرًّا . قال : تلك عبس والموت معهم . فتلاحقوا بالمُنْعَرَج من رُمَيْلَة اللِّوى .

(١) اللوى : واد من أودية بنى سليم ، ويوم اللوى : وقعة كانت فيه لبنى ثعلبة على بنى يربوع
(٢) فى غ : ذفافة (بالمعجمة) .
(٣) فى نهاية الأرب : أبو وفاء — وعبارة ثلاثة أسماء : لم ترد فى غ وذكرت فى نهاية الأرب ١٥/٣٦٩ .
(٤) فى ك : خلاد ، وفى هامش ك : خالد . والتصويب منه ومن نهاية الأرب .
(٥) المرباع : ربع الغنيمة ، وهو حظ الرئيس فى الجاهلية .
(٦) النقيعة : ناقة ينحرها من وسط الإبل فيصنع منها طعاما لأصحابه ويقسم ما أصاب عليهم.
(٧) الربيئة : الطليعة .
(٨) الجادى : الزعفران .
(٩) فى غ : أدمانا . وأدما : جمع آدم وهو من الناس : الأسمر .
(١٠) يخدون : يشقون .

فَقَتَلَ رجلٌ من بنى قارب ـ وهم من بنى عبس ـ عبدَ الله بن الصِّمَّة ، فتنادَوْا : قُتِل أبو دُفافَة[1] . فعطف دُريد عليهم فذَبَّ عنه فلم يُغْنِ شيئا ، وجُرح دُريد وسقط فكَفُّوا عنه وهم يَرَوْن أنّه قد قُتِل. واستنقذوا المالَ ونجا من هَرَب . فمر الزَّهْدَمانِ وهُمَا من بنى عَبْس ، وهما : زَهْدَم وقيس ابنا حَرْب بن وهب بن رَواحة ، وإنما قيل لهما الزَّهدمانِ تغليبا لأشهر الاسمين ، كما قيل : العُمَران لأبى بكر وعُمر رضى الله عنهما ، والقمران للشَّمْس والقمر. قال دريد : فسمعت زَهْدَماً العَبْسِىَّ يقول لكَرْدَم الفَزارىّ : إنى لأحسبُ دُرَيْدًا حَيًّا فانزل فأجْهِز عليه . قال : قد ماتَ ، قال : فانزل فانظر سَبَّتَه[2] هل تَرَمَّزُ[3] . قال دريد : فشددت من حِتارِها[4] أى من شَرَجِها. قال : فنظر فقال : هيهات ، قد مات . فولّى عنى. ومال بالزُّجِّ فى شَرَجِ دريد فطعنه فسال دم كان قد احتبس[5] فى جوفه . قال دريد : فعرفت الخِفَّةَ حينئذ ، فأمهلتُ حتى إذا كان اللّيل مشيت وأنا ضعيف قد نَزَفَنى[6] الدم ما أكاد أبصر . فمرت بى جماعة تسير فدخلت فيهم ، فوقعت بين عرقوبى بعير ظعينة من فزارة[7] فنفر البعير فقالت : أعوذ بالله منك ! فانتَسَبْتُ لها فأعلمت الحىّ مكانى ، فغُسِل عنّى الدم وزُوِّدت زادا وسقاء ، فنجوت .

ثم حجَّ كَرْدم بعد ذلك فى نَفَر من بنى عبس ، فلمّا قاربوا دِيار دُريد تنكّروا خوفا . ومرَّ بهم دُريد فأنكرهم فجعل يَمْشِى فيهم ويسألُ من هم ، فقال له كَرْدم :

---

(١) فى غ : ذفافه .

(٢) السبة (بالفتح) : الاست .

(٣) ترمز : تضطرب وتتحرك .

(٤) الحتار : ما أحاط بها .

(٥) فى غ : أحتقن .

(٦) نزفه الدم : سال منه بكثرة حتى أضعفه .

(٧) من فزارة : ليست فى غ . وفى نهاية الأرب : ١٥/٣٦٩ : من هوازن .

عمّن تسأل ؟ فعرفه[1] دريد ، فقال : أما عنك وعمّن معك فلا أسأل أبدا . وعانقه وأهدَى له فرسا وسلاحا ، وقال : هذا بما فعلت معى يوم اللِّوَى . وقال يرثى أخاه :

أَرَثَّ جَدِيدُ الحَبْلِ من أمِّ مَعْبَدِ — بعاقبة[2] وأخلفت كُلَّ مَوْعِدِ

وبانَتْ ولم أَحْمَد إليك جِوارَها — ولم تَرجُ منّا رِدَّةَ اليومِ أو غَدِ

أعاذلتى كلّ امرئٍ وابن أُمِّه — متاعٌ كزاد الرّاكِب المُزَوَّدِ

أعاذِلَ إنّ الرُّزْءَ أَمْثَالُ خَالِدٍ — ولا رُزْءَ ممّا أهلَكَ المَرْءَ عن يَدِ

أَمَرْتُهم أَمْرِى بمُنْعَرَجِ اللِّوَى — فلم يستَبينوا النُّصْحَ إلّا ضُحَى الغَدِ

فلمّا عَصَوْنى كنتُ مِنهم وقد أَرَى — غوايَتَهم أو أننى[3] غير مُهْتَدِى

وهَلْ أنَا إلّا من غَزِيَّة[4] إنْ غَوَتْ — غَوَيْتُ وإنْ تَرْشُد غَزِيَّةُ أَرْشُدِ

دَعانِى أخى والخَيْلُ بَيْنِى وبينه — ولمّا دَعانِى لم يَجِدْنى بقُعْدُدِ[5]

تنادَوْا فقالوا أَرْدَتِ الخَيْلُ فارساً — فقُلْتُ : أعبدُ اللهِ ذَلِكُم الرَّدِى ؟

فإنْ يَكُ عبدُ اللهِ خَلَّى مكانَه — فما كان وَقّافاً ولا طائِشَ اليَدِ[6]

نظرت إليهِ والرِّماحُ تَنُوشُه — كوَقْعِ الصَّياصِى فى النَّسِيجِ المُمَدَّدِ[7]

وطاعَنْت عنه الخَيْلَ حتّى تبدَّدَتْ — وحتّى علانِى كل أشْقَر مُزْبِدِ[8]

فما رِمْتُ حتّى خرَّقتْنى رماحُهم — وغُودِرْت أَكْبُو فى القَنا المُتَقَصِّدِ[9]

---

(١) فى غ : فدفعه .

(٢) بعاقبة : بأخرة .

(٣) فى ك و غ : وأنى .

(٤) غزية : قبيلة من هوازن وهى رهط الشاعر .

(٥) القعدد : الجبان القاعد عن المكارم .

(٦) بعد هذا البيت فى غ بيت آخر .

(٧) تنوشه : تتناوله ـ الصياصى : جمع صيصية : شوكة الحائك يسوى بها السداة واللحمة .

(٨) فى غ : أشقر اللون مزبد .

(٩) المتقصد : المتكسر .

قِتالَ امْرِئٍ آسَى أخاهُ بنَفْسِهِ ... ويعلم[1] أنّ المرء غَيرُ مُخلَّدِ

صَبورٌ على وقع المَصائب حافِظٌ ... من اليوم أعقابَ الأحاديثِ فى غَدِ

تمثّل أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام عند منصرفه من صِفّين بهذا الشعر لمّا اختلفت كلمة أصحابه فى أمر الحَكَمين وتفرّقت الخوارج ، وقالوا له : ارجع عن أمر الحَكَمين وتُبْ واعترف أنّك كفرت إذ حَكَّمت ، فلم يقبل ذلك منهم وفارقوه ، فتمثّل :

أمرتُهم أمرِى بمُنْعَرَج اللِّوَى ... فلم يَسْتَبِينُوا النُّصْحَ إلّا ضُحَى الغَدِ

الأبيات .

وكان يُقال: أفضل بيتٍ قالته العرب فى الصبر على النوائب قول دُرَيْد بن الصمّة:

قليلُ التَّشَكِّى للمُصيبات حافِظٌ ... من اليومِ أعقابَ الأحاديث فى غَدِ[2]

وأمّ مَعْبَدٍ التى ذكرها فى قصيدته هى زوجته ، وكانت قد عاتبته لمّا رأت جزعه وشِدّة حزنه على أخيه، وصغّرت شأنَ أخيه وسبّته ، فطلّقها وقال الأبيات . فلما قال:

وبانَتْ ولم أَحْمَد إليك جِوارَها ... ولم تَرْجُ مِنّا رِدَّةَ اليوم أو غَدِ

قالت أم معبد : بئس والله ما أثنَيْتَ علىّ ، لقــد أطعَمْتُك مأدُومى ، وأبثثتك[3] مكتُومى، وأتيتُك باهلا[4] غيرَ ذاتِ صِرارٍ ، وما استفرمت[5] قبلك إلّا من حِيض .

وقال فى ذلك أيضا :

أَعَبْدَ اللهِ إنْ سَبَّتْك عِرْسِى ... تقدَّم بعضُ لَحْمِى قبل بَعْضِ

(١) فى غ : وأيقن .

(٢) سبق رواية البيت بغير هذا .

(٣) فى غ : بثثتك .

(٤) فى ك: ياهذا والتصويب من غ ، والباهل : الناقة لاصرار عليها، وهى تريد أنها أباحته نفسها .

(٥) وما استفرمت الخ : تريد أنها لم تتضيق لغير حيض، فلم يسبق دريدا غيره فى الاستمتاع بها، فهى نقية العرض.

إذا عِرْسُ امرئٍ شَتَمَتْ أخاهُ ... فليس فُؤادُ شانِيه بحَمْضٍ[1]
مَعاذ الله أن يَشْتُمْنَ رَهْطِى ... وأن يَملِكْن إمرارى[2] ونَقضِى

ثم أغار دُرَيْد بعد مقتل أخيه عبد الله على غَطفان يطلبهم بدمه ، فاستقراهم[3] حيًّا حيًّا. وقتل من بنى عَبْس ساعدةَ بن مرّة ، وأسر ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب، أسره مُرّةُ بن عوف الجُشمى، فقالت بنو جشم: لو فاديناه[4]! فأَبَى ذلك دُريد عليهم، وقتله بأخيه . وقتل من بنى فزارة رجلا يقال له حِزَام[5] وإخوةً له ، وأصاب جماعة من بنى مرّة ومن بنى ثعلبة بن سعد ، ومن أحياء غطفان ، وذلك فى اليـوم الذى يقال له: يوم الغدير.

وقال دُريد فى ذلك قصائد منها :

جَزَيْنـا بنى عَبْس جزاءً مُوَفَّرا ... بِمَقْتَلِ عبد الله يومَ الذّنائبِ
ولولاَ سَوادُ اللّيْل أدركَ رَكْضُنا ... بذى الرِّمْثِ[6] والأَرْطَى عِياضَ بنَ ناشبِ
قَتَلْنا بعبد الله خَـيْرَ لِداتِه ... ذُؤابَ بن أسماء بن زَيْدِ بن قَارِبِ

قالت ريحانة أختُ عمرِو بن معدى كرب لابنها دريد بن الصِّمَّة ، بعد حَوْل من مَقْتل أخيه : يا بنىّ إن كنت عَجَزْت عن طلب ثأر أخيك فاستعن بخالك وعشيرته من زُبَيْد . فأنِف من ذلك وحلف ألا يكتحل ولا يَدَّهن ولا يمس طيبا ، ولا يأكل لحما ولا يشرب خمرا حتىّ يدرك ثأرَه . فغزا هذه الغزوة[7] وجاءها بذؤاب بن أسماء وقتله بفنائها وقال : هل بلغتِ ما فى نفسك! فقالت له : نعم مُتّعت بك.

---

(١) بحمض: بفاسد متغير .
(٢) إمرارى : فى غ : إبرامى .
(٣) فاستقراهم : تتبعهم .
(٤) فى ك: فديناه والتصويب من غ وفاداه : أطلقه وأخذ فديته
(٥) فى ك : حذام والتصويب من غ .
(٦) ذو الرمث : موضع ـ والرمث والأرطى : نبتان .
(٧) فى غ : الغزاة .

وأما قتيل أبى بكر الذى ذكره فى قصيدته الرائية أوّلا فهو أخوه قَيس بن الصِّمَّة ، قتله بنو أبى بكر بن كلاب لأنه غزا فى قومه بنى خُزاعة من جُشَم فأغاروا على إبلٍ لبنى كعب بن أبى بكر وانطلقوا بها ، وخرج بنو أبى بكر فى طلبها حتى إذا دَنَوا منها قال عمرو بن سُفْيان الكلابى ، وكان حازما عاقلا : امكثوا، ومضى متنكّراحتى أتى[1] رجلامن بنى خُزاعة فسلَّم عليه واستسقاه وانتسب له هلاليًّا[2] ، وسأله عن قومه وأين مَراعى إبلهم ، وأعلمه أنه جاء رائداً لقومه يريد مجاورَتَهم ، فخبّره الرجل بكل ما أراد فرجع إلى قومه وقد عرف بُغْيته . فصبَّح القومَ فظفرت بهم بنو كلاب وقتلوا قيس ابن الصّمة ، وذهبوا بإبل بنى خزاعة وارتجعوا أموالهم[3] .

وكان يقال لعمرو بن سُفْيان: ذوالسيفين ، لأنه كان يلقى الحربَ ومعه سيفان خوفا من أن يخونه أحدهما، وإيّاه عَنَى دريد بن الصّمة بقوله من أبيات :

إنَّ امرأً باتَ عَمْرٌو بين صِرْمَتِه[4] عَمْرُو بن سفيان ذو السَّيْفَيْنِ مَغْرُورُ

وأما عبد يَغُوث بن الصِّمَّة فكان ينزل بين أَظْهرِ بنى الصارد[5] فقتلوه ، قتله مُجَمِّع بن مُزَاحِم.

وأما قوله: أو خليلى[6] خالد فى الأبيات الرائية المتقدمة فإنه يعنى أخاه خالد بن الصّمة ، فإن بنى الحارث بن كعب قتلوه فى غارة أغاروها على بنى جُشَم .

وقيل: إن الذى عناه دريد هو عمه خالد بن الحارث أخو الصِّمة قتلته أَحْمَسُ بطن من أَزدشنوءة[7] وكان دريد بن الصمة أغار عليهم فى قومه وظفر بهم واستاق أموالهم ،

---

(١) فى غ : لقى .

(٢) فى ك : خزاعيا والتصويب من غ وهامش ك .

(٣) فى غ: إبلهم وما هنا موافق لنسخة فى هامش غ .

(٤) الصرمة (بكسر الصاد) : القطيع من الإبل والغنم (مختلف فى عدده) .

(٥) فى غ : بنى الصادر وهو تحريف (انظر الاشتقاق : ٢٨٩ تحقيق هارون) .

(٦) فى غ : أو نديمى .

(٧) فى غ : بطن من شنوءة .

وسَبَي نساءهم وملأ يده وأيدىَ أصحابه . ولم يُصَبْ أحد ممن كان معه إلا عمّة خالد بن الحارث، رماه رجل منهم بسهم فقتله ورماه دريد .

وقيل: إن خالد بن الصِّمَّة قُتِل في غارة أغارتها بنو الحارث بن كعب على بنى نصر ابن معاوية في يوم يقال له: يوم ثيل[1] فأصابوا أناسا من بنى نَصْرٍ وبلغ الخبر بنى جُشَم فلحقوهم، ورئيس بنى جُشَم يومئذ مالك بن حَزْن، فاستنقذُوا ما كان فى أيديهم من غنائم بنى نصر، وأصابوا ذا القَرْن الحارثى أسيراً، وفَقَأُوا عينَ شهاب بن أبَانِ الحارثى بسهم . وقتل يومئذ خالد بن الصّمة ، وكان مع مالك بن حزن .

فلمّا رجعوا قتلوا ذا القَرْن الحارثى بخالد بن الصِّمَّة .

ولما قُدِّم لتُضْرَب عنُقه صاح بأوْس بن الصمّة ، وكان له صديقا ، ولم يكن أوْسٌ حاضرا فلم ينفعه . ولمّا قَدِم أوسٌ غضب وقال: قتلتم رجلا استجار باسمى!

فقال عوْفُ بن معاوية :

نُبِّئتُ أَوْساً بكَى ذا القَرْن إذْ شربا ... على عُكاظ بكاءً غَالَ مَجْهُودى[2]

إنّى حلفتُ بما جمَّعت من نَشَبٍ ... وما ذبَحتُ على أنصابك السُّودِ

لتبكيَنّ قتيلاً منك مُقْترناً ... إنّى رأيتك تبكى للأباعيدِ

تزوّج دريد بن الصمة امرأة قيل له إنها بكر فوجدها ثَيِّباً، فقام عنها قبل أَنْ يصل إليها ، وأخذ السيف ليضربها فتلقته أمها لتدفعه ، فوقَفَ يدَيْها أى حَزَّهما ولم يقطعهما . فنظر إليها بعد مدة وهى مَعْصُوبة فقال :

أَقَرَّ العينَ أنْ عَصَبَتَ يدَيْها ... وما إنْ تُعْصَبان على خِضَاب

فأبقاهُنَّ أنَّ لهنَّ جَدًّا ... وواقِية كواقية الكلابِ

يريد أن الكلب يُصيبه الجرح فيلحس نفسه فيبرأ .

---

(١) يوم ثيل : هكذا أيضا فى غ. والذى فى ياقوت ثيتل بفتح ثم سكون وهو ماء قرب النباج كانت به وقعة مشهورة . وانظر نهاية الأرب : ١٥/٣٨١ .

(٢) غال مجهودى : فى ك : حال تجسيد . والتصويب من غ .

وكان دريد قد أسرَ عياضاً الثَّعلبي أحدَ بنى ثَعلَبة بن سعد بن ذُبيان فأنْعَم[1] عليه . ثم إنْ دريدا أتاه يستثيبه ، فقال : إيتِ رَحْلَكَ حتى أبعثَ إليك بثوابك . فانصرف دريد فبعث إليه بوَطْبٍ[2] نصفهُ لبن ونصفه بول ، فغضب ولم يلبث حتَّى أغار على بنى ثعلبة ، واستاق إبلَ عِياض، وأفلتَ عياضٌ ، منه جريحا.

فقال دريد من أبيات :

فإنْ تَنْجُ يدْمَى عارِضاكَ فإنَّنا ... تَرَكْنا بَنِيكَ للضِّباع وللرَّخْمِ[3]

كان دريد بن الصِّمَّة قـد هجَا عبدَ الله بن جُدْعان التَّيمىّ ، فلقيه عبدُ الله بن جُدْعان بعُكاظ فحيَّاه وقال : هل تعرفني يادريد ؟ قال : لا . قال : فلِمَ هجوتني ؟ قال : ومن أنت ؟ قال : عبد الله بن جُدْعان . قال : هجوتك لأنك كنتَ امرأً كريما ، فأحببت أن أَضَع شِعْرى فى موضع[4] . فقال عبد الله : لئن كنت هَجَوْت لقـد مدحت ! وكساه وحمله على ناقة برَحْلها .

فقال دريد من أبيات :

إليـكَ ابنَ جُدْعانَ أَعْمَلْتُها ... مُخَفَّفةً للسُّرَى والنَّصَبْ

فلا خَفْضَ حتَّى تُلَاقِى امْرَأً ... جَوادَ الرِّضا وحَليمَ الغَضَبْ

وجُلْتُ[5] البلادَ فماَ إنْ أرَى ... شَبِيهَ ابنَ جُدْعانَ وَسْطَ العَرَبْ

سِـوَى مَلِكٍ شامخٍ مُلْكُه ... لَهُ البَحْرُ يَجْرِى وعينُ الذَّهَبْ

ولما أسنَّ دريدٌ جعل له قومه بيتا منفردا عن البيوت ووكلوا به أمة تخدُمه .

---

(١) أنعم عليه : أطلقه .

(٢) الوطب : سقاء اللبن يتخذ من جلد .

(٣) يدمى : يسيل دما ــ الرخم : جمع رخمة وهى طائر أبقع على شكل النسر خلقة إلا أنه مبقع بسواد وبياض يقال له الأنوق .

(٤) فى غ : موضعه .

(٥) فى غ : رحلت .

فكانت إذا أرادت أن تبعد فى حاجته قيَّدته بقيد الفرس . فدخل إليه رجل من قومه فقال له : كيف أنت يادُرَيْد ؟ فأنشأ يقول:

أصبحت أقذف أهْدَاف المِئين[1] كما ... يَرْمِى الدَرِيئَةَ أَدْنَى فُوقَةِ الوَتَرِ

فى مَنْصَفٍ[2] من مَدَى تسعين من مائة ... كَرَمْيَة الكاعِب العَذْراء بالحَجَر

فى مَنْزِلٍ نازحٍ م الحىّ مُنْتَبِذٍ ... كمَرْبَط العَيْرِ لا أدعَى إلى خبر

كأنَّنى خَرَبٌ[3] حُصَّت[4] قَوادِمُه ... أوجُثَّةٌ من بُغاثٍ فى يَدَىْ خَصِر

يُمْضُون أمرَهم دونى وما فَقَدُوا ... مِنّى عَزِيمَةَ أمرٍ ما خلا كِبَرِى

ونَوْمَة لست أقضيها وإن مَتَعَتْ[5]

وما مَضَى قَبْلُ من شَأْنِى[6] ومن عُمُرِى

وإنّنى رَابَنِى قَيْدٌ حُبِسْتُ به ... وقد يكون[7] وما يُمْشَى على أثَرِى

إنّ السنين إذا قَرَّبْن من مائة ... لَوَيْنَ مِرَّةً[8] أحوالٍ على مِرَرِ

قالت امرأة دريد له: قد كَبِرْتَ[9] وضَعُفَ جسدك ، وقُتِل أهلك وفَنِىَ شبابك، ولا مال لك ولاعدّة، فعلى أى شىء تعوّل إن طال بك العمر ؟ أو على أى شىء تُخَلِّف أهلكَ إن قتلت ؟ فقال دريد :

---

(١) فى غ : السنين . وما هنا يوافق قراءة مخطوطة من مخطوطات الأغانى .

(٢) منصف : وسط ،

(٣) الخرب : ذكر الحبارى .

(٤) حصت : فى غ: قصت.

(٥) فى ك : منت (بالنون) ومتعت بالتاء المفتوحة : طالت ، وبالتاء المضمومة : طابت.

(٦) فى غ وهك: شأوى.

(٧) فى غ : أكون .

(٨) المرة : طاقة الحبل .

(٩) فى غ: أسننت .

أعاذِلَ إنمـــا أفنَى شَبـابى ... رُكوبى فى الصَّرِيخ إلى المنادِى
مع الفِتيـانِ حَتَّى كَلَّ جِسْمى ... وأقرَح عاتِـقى حَمْلُ النِّجادِ
أعاذِلَ إنّه مال طَرِيـــفٌ ... أحبّ إلىّ من مالٍ تِـلادِ
أعاذِلُ عُـدَّتِى بَدَنى ورُمْحِى ... وكُلُّ مُقلّص سلس القِيـــادِ (١)
ويبقَى بعـد حِـلْم القَوْم حِلْمِى ... وينفَد قبـل زَادِ القومِ زَادِى
أريـدُ حيـاتَه ويُرِيد قَتْلِى ... عَـذِيرَكَ مِنْ خَلِيلك مِنْ مُرادِ (٢)
ولَوْ لاقيتنى ومَعِى سِـلاحى ... تَـكَشَّفَ شَحْمُ قلبكَ عن سَوادِ

قال أبو عبيدة : قتَلَتْ بنو يَرْبوع الصِّمَّة أبا دُريد غَدْراً وأسروا ابنَ عمّه فنزام دريد بنى نصر ، فأوقع ببنى يَرْبوع وبنى سعد جميعا ، فقتلَ منهم . وكان ممّن قتل عمّار بن كَعْب . وقال فى ذلك :

دعوتُ الحىَّ نصراً فاستهلُّوا ... بشُبّانٍ ذَوِى كَرَم وشِيبِ
عَـلَى جُرْدٍ كأمثـال السَّعالِى ... ورَجْلٍ مثل أَهْيلة (٣) الـكَثِيبِ
فما جَبُنوا ولـكنّا نصَبْنـا ... صدُورَ الشَّرْعَبِيَّة (٤) للقُلُوبِ
فـكَمْ غادرنَ من كابٍ (٥) صريعٍ ... يَمُجُّ نَجِيعَ جائفةٍ (٦) ذنُـوبِ
وتِلْـكم عـادةٌ لبنى رِبابٍ ... إذا ما كان مَوْتٌ من قَرِيب
فأجْلَوْا والسَّوام لنـا مُباحٌ ... وكُلَّ كريمةٍ خَوْدٍ عَرُوبِ

---

(١) بدنى : المراد هنا درعى — مقلص : يريد فرسا طويل القوائم منضم البطن — سلس : فى غ : شكس .
(٢) البيت والذى بعده لعمرو بن معـد يكرب . وفى غ : وخلط المغنون بهذا الشعر قول عمرو بن معد يكرب وأورد البيتين .
(٣) فى غ: أهمية . وأهيلة : جمع هيال وهو ما انهال من الرمال .
(٤) الشرعبية : الطويلة ، يريد الرماح .
(٥) كاب : متغير اللون .
(٦) الجائفة : الطعنة تنفذ إلى الجوف .

وقد تُرِكَ ابنُ كَعْبٍ فى مَكَرٍّ ... خَلِيساً(١) بين ضِبْعان وذِيبِ

وكان الصِّمَّة أبو دريد شاعرا، وهو القائل فى حرب الفجار(٢) التى كانت بينهم وبين قريش(٣):

لاقَتْ قريشٌ غَداةَ العَقِيـ ... ـقِ أمرا لها وَجَدَتْه وَبِيلَا

وجئنا إليهم كموج الأتـ ... ـىِّ(٤) يعلو النجادَ(٥) ويَمْلَا المَسِيلَا(٦)

وأعددت للحَرْب خَيْفانةً(٧) ... ورُمحا طويلا وسَيْفاً صَقِيلَا

ومُحْكَمَةً(٨) من دُروع القيُو ... نِ تَسْمَع للسيفِ فيها صَلِيلَا

وكان دريد قد تحالف هو ومعاوية بن عَمْرو بن الشريد وتوافقا(٩) على أنَّ من هلك منهما رثاه الباقى، وإنْ قُتِل طلب بدَمِه.

فلما قتل معاوية بن عمرو، قتله هاشم بن حرملة بن الأشعر المرّى، رثاه دريد بقصيدته التى أولها:

ألَا هَبّت تلوم بغير قَدْرٍ ... فقد أحفظتِنى وهتكتِ سِتْرِى

فإنَّ الرُّزْءَ يوم وقفتُ أدْعُو ... فلم أسْمَع معاوِيَةَ بنَ عَمْرِو

ولو أسْمَعْتَهُ لأتاكَ يَسْعَى ... حثيثَ السَّعْى أوْلاقاكَ(١٠) يَجْرِى

---

(١) فى غ: حبيسا: والخليس: المنتزعة روحه، يريد صريعا هالكا.

(٢) سميت الفجار لأنها كانت فى الأشهر الحرم، وهى فجاران: الفجار الأول ثلاثة أيام، والفجار الثانى خمسة أيام فى أربع سنين وانتهت سنة ٥٨٩ م.

(٣) فى المؤتلف والمختلف للآمدى: ٢١٣ بيتان.

(٤) الأتى: السيل لا يدرى من أين أتى.

(٥) فى ك: النجا.

(٦) المسيلا: فى هـ ك: السيولا.

(٧) الخيفانة: الفرس الخفيفة الضامرة، وهى تكون سريعة.

(٨) فى المؤتلف: مترصة، وهى بمعناها.

(٩) فى غ: تواثقا.

(١٠) فى غ: لأتاك.

ولما افتتح[١] رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكّة فى عشر ليال بَقِين من شهر رمضان ، أقام بها خمس عشرة ليلة يُقْصِر[٢] الصلاة . وكانت هوازن لما سمعت به دعاها مالك بن عمرو بن عوف النَّصْرى[٣] فاجتمعت إليه ثقيف مع هوازن ، ولم يجتمع إليه من قيس إلّا هوازن وناس قليل من بنى هلال ، وغاب[٤] عنها كَعْبٌ وكلاب ، فجمعت نصر وجُشَم وسعد بنو بكر ، وثقيف واحتشدت ، وفى بنى جُشَم دريد ابن الصمَّة شيخ فانٍ ليس فيه شىء إلّا التيمّن برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شيخا مجرّبا. وفى ثقيف فى الأحلاف قارب بن الأسود بن مسعود بن معروف ، وفى بنى مالك ذو الخمار سُبَيْع بن الحارث ، وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف . فلما أجمع مالك على المسير حط مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم . فلما نزلوا بأوطاس اجتمعت إليه الناس وفيهم دُريد بن الصمة يقاد به[٥] فقال لهم دريد : بأى واد أنتم فقالوا : بأَوْطاس[٦] . قال نِعْمَ مجال الخَيْل ليس بالحَزْن الضَّرِس[٧]، ولا السَّهل الدَّهِس[٨] مالىَ أسمع رُغاء البعير ونُهيق الحمير وبكاء الصغير وثغاء الشاء ؟! قالوا : ساق مالك ابن عوف مع الناس نساءهم وأموالهم وأبناءهم . فقال : أين مالك ؟ فدُعِى له فقال : يا مالك إنّك قد أصبحت رئيس قومك ، وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام ، مالى

---

(١) فى غ : فتح .

(٢) يقصر الصلاة: يترك من ذوات الأربع ركعتين ويصلى ركعتين تخفيفا عن الناس فى ظروف خاصة تذكر فى كتب الفقه .

(٣) فى ك : النضرى، والتصويب من سياق الخبر و غ.

(٤) فى غ : غابت .

(٥) فى غ : فى شجار له يقاد به . والشجار : مركب أصغر من الهودج .

(٦) أوطاس : واد بديار هوازن .

(٧) الضرس : الصعب .

(٨) الدهس : اللين السهل .

أسمع رُغاء البَعير[1] ونَهيق الحمير وبكاء الصغير وثُغاء الشاء ؟ قال سقت مع الناس نساءهم وأموالهم وأبناءهم . قال : ولم ؟ قال أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنه . قال فانقضّ به ووبخه ولامه ثم قال : رَاعِي ضأْنٍ والله ! أى أحمق . وهل يردّ المنهزم شيء ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلّا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فضحت نفسك فى أهلك ومالك . ثم قال : ما فعلت كعب وكلاب ؟ قالوا : لم يشهدها أحد منهم ، قال : غاب الحد والجد ، لو كان يوم علاء ورفعة لم يغب عنه كعب وكلاب ولوددت أنكم فعلتم مثل ما فعلوا ! فمن شهدها منهم؟ قالوا : بنو عمرو بن عامر ، وبنو عوف بن عامر . قال: ذاك الجَذَعان[2] من عامر لا يضران ولا ينفعان! ثم قال لمالك : إنك لم تصنع بتقديم البيضة[3] بيضة هَوازن إلى نُحور الخيل شيئا . ارفعهم إلى علياء[4] بلادهم وعلياء قومهم ، ثم الْقَ القوم بالرجال على متون الخَيْل ، فإن كانت لك لحق بك مَنْ وراءك ، وإن كانت عليك كنت قد أحرزت أهلك ومالك ، ولم تُفْضَح فى حُرَمك[5] . فقال : لا والله لا أفعل ذلك أبدا . وقد خَرِفت وخَرِف رأيُك وعلمك ! والله لَتطيعُنَّنِي يا معشر هوازن أو لأتّكِئَنَّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهرى . ونَفِس على دريد أن يكون له فى ذلك اليوم ذكر ، فقالوا له : أطعناك وخالفنا دريدا . فقال دريد : هذا يوم لم أشْهَدْه ولم أغب عنه :

يا لَيْتَنِي فيها جَذَعْ أَخُبُّ فيها وأَضَعْ
أَقودُ وَطْفاء الزَّمَعْ كأنَّها شاةٌ صَدَعْ

فلما لَقِيَهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم انهزم المشركون ، فأتوا الطائف ومعهم مالك

(١) فى غ : الإبل .

(٢) الجذع : الشاب الحدث .

(٣) بيضة القوم : أصلهم ومجتمعهم .

(٤) فى غ : أعلى بلادهم . وفى السيرة : متمنع بلادهم .

(٥) فى غ : حريمك .

ابن عوف وعسكر بعضهم بأَوْطاس ، وتوجه بعضهم نحو نَخْلة[1] . وتبعت خيلُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من سلك نخلة فأدرك ربيعةُ بن رفيع السُّلَمى أحدُ بنى يربوع بن سَمّال بن عوف دريدَ بن الصِّمَّة فأخذ بخطام جَمَله وهو يظنُّ أنه امرأة لأنه كان فى شِجار[2] له ، فأناخ به فإذا رجل شيخ كبير ولم يعرفه الغلام . فقال له دريد : ما ذا تريد ؟ قال : أقتلك . قال : ومن أنت ؟ قال : أنا ربيعة بن رُفَيْع السلمىّ. فأنشأ دريد يقول:

وَيْحَ ابن ثكمة[3] ماذا يُرِيـد ... مِن المُرْعِش الذّاهِبِ الأدْرَدِ
فأُقْسِم لو أنَّ بِى قُوَّةً ... لَولّت فَرائِصُه تُرْعَد
ويا لَهْف نفسِىَ أن لا تَـكون ... مَعِى قُوّة الشارِخِ[4] الأَمْرَدِ

ثم ضرَبه السُّلَمى بسيفه فلم يُغْنِ شيئا . فقال له : بئس ما سَلَّحَتْك أمّك ! خذ سيفى هذا من مؤخَّرة الرّحل فى القِراب فاضرب به ، وارْفع عن العِظام ، واخْفِض عن الدّماغ ، فإنى كنت كذلك أضرب الرجال . ثم إذا أتيت أمّك فأخْبِرها أنّك قتلت دُرَيْدَ بن الصِّمَّة ، فرُبَّ يومٍ قد منعتُ فيه نساءك ! ولما ضربه سقط فتكشّف وإذا عجانه[5] وبطن فَخِذيه مثلُ القراطيس أعراهن ركوبُ الخيل.

فلما رجـع إلى أمه أخبرهـا بقتله إيّاه فقالت : لقد أَعْتَق[6] قتيلك ثلاثا من أمّهاتك !!

---

(١) نخلة : واد عسكرت به هوازن يوم حنين وبه مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعرف بنخلة اليمانية .

(٢) شجار : هودج صغير .

(٣) فى غ : أكمة .

(٤) الشارخ : الشاب الفتى .

(٥) العجان : ما بين الدبر والقبل .

(٦) فى ك : عتق والتصويب من غ .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آثار من توجّه قِبَل أوْطاس أبا عامرٍ الأشعرى ، ابن عم أبى موسى الأشعرى ، فهزمهم الله عز وجل وفتح عليه .

ويزعمون أن سَلَمة بن دُرَيد بن الصمّة رماه بسهم فأصاب ركبته فقتله ، يعنى أباعامر . وقالت عَمْرَة بنت دُريد ترثى أباها :

جَزَى عنّـا الإلهُ بنى سُلَيْمٍ وعَقَّتهم[1] بما فَعَلوا عَقـاقِ
وأسْقانا إذا سِرْنا إليهم دِماء خِيارهم يومَ التَّلاقِ
فرُبَّ منوّهٍ بـك من سُلَيْمٍ أُجِيبَ وقد دعاكَ بلا رِماقِ[2]
ورُبَّ كريمة أعتقْتَ منهم وأُخرَى قد فككت من الوَثاق

خرج دريد بن الصِّمَّة فى فوارس من قومه فى غَزاة فلقيه مُسْهِر بن يزيد الحارثى ـ الذى فقأ عينَ عامر بن الطفيل ـ يقود بامرأته أسماء بنت حَزن الحارثية ، فلما رآه القوم قالوا : الغنيمة . هذا فارس واحد يقود ظعينة ، وخليق أن يكون الرجل شريفا[3] .
فقال دُرَيد : هل منكم رجل يمضى إليه فيقتله أو يأتينا به وبالظعينة ، فانتدَب له رجل من القوم فحمل عليه ولقيه مسهر ، فاختلفا طعنتين بينهما فقتله مُسْهِر ، ثم حمل عليه آخر فكانت سبيله سبيل صاحبه ، حتى قتل منهم أربعة نفر ، وبقى دريد وحده فأقبل إليه . فلما رآه ألقى الخطام من يده إلى المرأة وقال: خُذى خطامك فقد أقبل إلىّ فارس ليس كالفرسان الذين تقدموه ! ثم قصده[4] وهو يقول :

أما تَرَى الفارسَ بعد الفارِس أرْداهُمُ صاحبُ رُمْـح نائس[5]

---

(١) فى غ : أعقبهم : وما هنا موافق لما فى السيرة لابن هشام ـ عقاق : العقوق .
(٢) الرماق : القليل من العيش يمسك الرمق .
(٣) فى غ : قرشيا .
(٤) فى غ : قصد إليه .
(٥) فى غ : يابس .

فقال دريد : من أنتَ لله أبوك ؟! قال : رجل من بنى الحارث بن كعب . قال : أنت الحصين ؟ قال : لا . قال: فالمحجل ابن هَوْذَة ؟ قال : لا. قال : فمن أنت ؟ قال : أنا المُسْهِر بن يزيد . فانصرف دريد عنه وقال شعرا[1] .

(١) جاء فى غ بعد ذكر أخبار دريد هذه العبارة : قال مؤلف الكتاب : « هذه الأخبار التى ذكرتها عن ابن الكلبى موضوعة كلها والتوليد بين فيها وفى أشعارها، وما رأيت شيئا منها فى ديوان دريد بن الصمة على سائر الروايات، وأعجب من ذلك الخبر الأخير، فإنه ذكر فيه ما لحق دريدا من الهجنة والفضيحة فى أصحابه وقتل من قتل معه وانصرافه منفردا . ثم أعتذر لنفسه فى روايتها فقال: « وإنما ذكرته على ما فيه لئلا يسقط من الكتاب شىء قد رواه الناس وتداولوه » .

دُقاق المغنّية*

جارية ليَحْيَى بن الرَّبيع ، مغنّية محسنة مجملة جميلة الوجه . ولدت ليحيى بن الربيع ابنَه أحمد ، وعُمِّرَ عمرا طويلا . ومات عنها يحي بن الربيع فتزوجت بعده بعِدَّة من القوّاد والكتّاب ، وماتوا وورثتهم . وكانت قد انقطعت إلى حَمْدُونة بنت الرشيد ثم إلى غَضِيض . وكانت مشهورة بالظَّرف والمُجون والفتوّة . وهجاها عيسى ابن زَيْنَب لما مات عنها ثلاثة أزواج بعد سيدها :

قلتُ لمّا رأيتُ دار دُقاقِ ... حُسْنُها قد أضرَّ بالعُشّاقِ

حَذِّرُوا الرابعَ الشّقِيَّ دُقاقاً ... لا يكونَنَّ نجمُه في مُحاقِ[1]

الهَ عن بَضْعِها[2] فإنّ دُقاقا ... شُؤمُ حِرها قد شاع في الآفاقِ

لم تُضاجعْ بَعْلًا فهبَّ سَليما ... بَلْ جَرِيحاً وجُرْحُه غيرُ رَاقِ[3]

قال ابن حَمْدُون: كتبت دُقاق إلى أبي تصفُ له هَنَها[4] صفةً أعجزه الجواب عنها. فقال له صديق له : ابعث إلى بعض المخنَّثين حتى يصفَ متاعك فيكون جوابَها . فأحضر مخنّثا فأخبره الخبر فقال : اكتب إليها : عندي البُوق القُوق[5] ، الأصْلَع الزبُوق[6] ، الأقرع المفروق ، المنتفِخُ العُروق ، يسدُّ البُثوق[7] ، ويملأُ الشقوق ،

---

* الأغاني : (بولاق) : ١١/٩٨-١٠٠- (دار الكتب) : ١٣/٣٨٢-٣٨٥- (بيروت الثقافة) : ١٣/ .

(١) في محاق : في أفول. والمحاق: آخر الشهر ويكون شديد الظلمة .

(٢) البضع : التزوج .

(٣) راق : مسهل راقئ من رقأ الدمع : جف .

(٤) هنها : فرجها .

(٥) البوق القوق : في غ : القوق البوق ، والقوق : الفاحش الطول .

(٦) الزبوق : المنتوف ، وفي ك: المرتوق.

(٧) البثوق : الشقوق .

ويفتق الفتوق ، ويَرُمُّ[1] الخروق ، ويقضى الحقوق ، أسد بين شِبْلَيْن ، بغلٌ بين حِمْلين ، منارةٌ بين صخرتين ، رأسه رأس كلب ، وأصلُه مِتْرَسٌ[2] دَرْب ، إذا دخل حَفَر ، وإذا خرج قَشَر ، لو نطح الفيلَ كَنْدَره ، ولو دخل البحر كدَّره ، وإذا رق الـكلام ، وتقاربت الأجسام ، والتفَّتِ الساق بالساق ، ولُطخ باطنُها بالبُصاق ، وقُرِعَ البَيْضُ[3] بالذُّكور ، وجعلت الرِّماحُ تمور ، بطَعْنِ الفِقاح[4] ، وبشَقِّ الأحراح[5] ، صبرنا فلم نجزع ، وسلّمنا طائعين فلم نُخْدَع قال : فقطعها .

قال أحمد بن عليّ بن جعفر : حضرت مجلسا فيه ابن دُقاق ، وفيه النصرانى المعروف بأبى الجاموس اليعقوبىّ البَزَّاز ، فعبث به ابنُ دقاق ، فلما أكثر عليه قال: اسمعوا منى ، ثم حلف[6] أنه لا يكذب ، وحدّثنا قال : مضيت وأنا غلام مع أستاذى إلى باب حَمْدُونة بنت الرشيد ، ومعنا بَزٌّ نعرضه للبيع ، فخرجت إلينا دُقاق أمُّ هذا تُقاوِلُنا[7] فى ثمن المتاع ، وفى يدها مِرْوَحة على أحد وجهيها منقوشٌ : الحِرُ إلى أيْرَيْن أحْوَجُ من الأيْرِ إلى حِرَيْن . وعلى الوجه الآخر : كما أن الرَّحا إلى بغلَيْن أحوج من البَغْلِ إلى رَحَوَيْن[8] . قال : فأسكته سكوتاً علمنا منه أنه لو خَرِس لـكان الخرس أهون عليه ، وأصوَنَ لعِرضه مما جرى .

---

(١) يرم : يصلح .
(٢) المترس : خشبة توضع خلف الباب .
(٣) البيض : الخوذ تلبس على الرأس ـ الذكور : السيوف من حديد غير أنيث .
(٤) الفقاح : جمع فقحة : حلقة الدبر .
(٥) الأحراح : الفروج : جمع حرح .
(٦) فى غ : ثم حلف بالحنيفية .
(٧) تقاولنا : تفاوضنا .
(٨) فى ك : رحاين ، وهو خطأ .

وكان لدُقاقِ غلامان خِلاسيّان[1] يروّحانها فى الخَيْش . فقالت لواحــد منهما أن ينيكها فعجز عنها ، فقالت له : ويلك نِـكْنى وأنت حر ، فقال لها : نِيكينى أنتِ وبيعينى فى الأعراب . فقال عيسى بن زينب فيها :

أَحْسَنُ مَنْ غَـنَّى لنا أو شَدَا ... دُقاقُ فى خَفْضٍ من العَيْشِ

لها غُلامانِ يَنيكانِهـــا ... بعِلَّةِ التَّرْوِيحِ فى الخَيْشِ

كانت دُقاق تُوَاصِل جماعةً يميلون إليها وتُرِى كلّ واحد منهم أنها تهواه . وكانت أحسنَ أهلِ عصرها وَجْها ، وأشأمهم على مَن رَابَطها[2] أو تزوَّجها . فقال فيها إبراهيم بن المهدى :

عَدِمْتُك ياصديقةَ كلِّ شَخْصٍ[3] ... أَكُلَّ النَّاسِ وَيْحَكِ تَعْشَقِيناَ؟

وكيف إذا خلَطْتِ الغَثَّ منهم ... بلَحْمِ سَمِينِهم لا تَبْشَمِيناَ؟[4]

وكان يحيى بن الربيع قد خرج إلى بعض النواحى وتركها فى داره ، فعملت بعده الأوابد[5] ، فقال موسى الأعمى يهجوه :

قُلْ ليحْـيَى نَمْ صَبَرْتَ على المَوْ ... تِ ولم تَخْشَ سَهْمَ رَيْبِ المَنُونِ

كيف قُلْ لى: أَطقْتَ وَيْحَك يا يَحْـ ... ـيَي على الضَّعْفِ منك حملَ القرُونِ

وَيْحَ يحْـيَى ما مرّ باسْتِ دُقاقٍ ... بعــد ما غابَ من سِياط البُطونِ

---

(١) الخلاسى : الذى ولد بين أبوين أبيض وأسود .

(٢) رابطها : اتصل بها علاقة ولازمها .

(٣) فى ت : يا حليفة كل وغد وفى ك : خلق .

(٤) بشم : أتخم ، وفى مخطوطة : تسمنينا .

(٥) الأوابد : الأفعال المنكرة الشديدة ، واحدها آبدة .

داحِس والغَبْراء*

دَاحِس والغَبْراء فرسان . أمّا داحِس فإنّ أمّه كانت لقِرْواش بن عَوْف بن عاصم ابن عُبَيْد بن ثَعْلَبة بن يَرْبوع ، يقال لها : جَلْوَى ؛ وكان أبوه يسمى ذا العُقّال ، وكان لحَوْط بن أبي جابر بن أوس بن حُمَيْر[1] بن رباح .

والسبب فى تسميته داحِساً أن بَنِي يَرْبوع احْتَمَلُوا سائرين فى نُجْعَة ، وكان ذو العُقّال مع ابنتي حَوْط تَجْنُبانه ، فمرّتا به على جَلْوَى فرس قِرواش ، فلمّا رآها الفرس صَهَل ووَدَى . فضحك فِتيان[2] من الحيّ لِمَا رأوه . فاستحت ابنتا حَوْط فأرسلتاه فنزا على جَلْوَى ووافق قَبُولَها فأَقْضَت له[3] ، ثم أخذه لها بعض الحيّ . فلحق بهما حَوْط وكان رجلا شرّيرا سيّئ الخُلُق ، فلما رأى عينَ فرسه قال : والله لقد نَزَا فرسي ، فأخبرانى ما شأنه ! فأخبرتاه الخبر . فقال : يا آل رباح والله لا أرضَى أبدا حتى آخذ[4] ماء فرسي . فقال له بنو ثعلبة : والله ما استكرهنا فرسك وإنما كان مُنْفَلِتاً . فلم يزل الشر بينهما حتى عَظُم . فلما رأى ذلك بنو ثعلبة قالوا : دونكم ماء فرسكم . فسطا عليها وأدخلَ يده فى ماء وتُراب وأدخلها فى رحمها حتى ظنّ أنه قد أخرج الماء . واشتملت الرحم على ما فيها[5] فنتجها قِرْواش مهراً

---

* الأغانى : (بولاق):١٦/٢٦- (بيروت ثقافة) : ١٧/١٢٣-١٤٠ - النقائض : ٨٣- الميدانى: ٢/٣٨.

(١) حمير : فى غ حميرى .

(٢) فى غ وك : شبان .

(٣) أفضت له : مكنته من المباشرة . وفى غ: أقضت وهو بمعنى حملت .

(٤) فى غ : أخرج .

(٥) فى غ : ما كان فيها .

فسمّاه داحِسا لذلك . وخرج كأنّه أبوه ذو العُقّال ، وفيه يقول جرير[1] :

إنّ الجِياد يَبِتْن حول قِبابِنا من آلِ أعْوَج أو لِذِى العُقّال

وأعْوَج فرس لبنى هلال .

فلما تحرّك المهر مشى[2] مع أمّه وهو فِلْوٌ يتبعُها ، وبنو ثعلبة سائرون فرآه حَوْط فأخذه . فقالت بنو ثعلبة : يا بنى رياح ألم تفعلوا فيــه أوّل مرة ما فعلتم . ثم هذا الآن ! فقالوا : هو فرسُنا ولن نترككم أو نقاتلكم عليه أو تدفعوه لنا[3] . فلما رأى ذلك بنو ثعلبة قالوا : لا نقاتلكم إذاً ، أنتم أعزُّ علينا ، هو فداؤكم فدَفعوه إليهم . فقال بنو رياح: والله لقد ظلمنا إخوتنا مرّتين، ولقد حَلُموا وكَرُموا. فأرسلوا به إليهم مع لقوحين . فمكث عند قِرْواش ما شاء الله عز وجل . وخرج أجودَ خُيول العرب .

ثم إن قيس بن زهير بن جَذِيمة العبسى أغار على بنى يَرْبوع فلم يُصِب أحدا غير ابنتى قِرْواش بن عوف ومائة من الإبل ، وأصاب الحىَّ وهم خُلوف ، ولم يشهد من رجالهم أحد غير غلامَيْن من بنى أَزْنَم بن عُبيــد بن ثعلبة بن يربوع ، فجالا فى متن الفرس مُرْتَدِفَيْه وهو مقيّد ، وأعجلهما القوم عن حلّ قيده ، واتّبعهما القوم فَضَبر[4] بالغلامين ضَبْرا حتى نجيا به ، ونادتهما إحدى الجاريتين أنّ مفتاح القَيْد مدفون فى مِذْوَد الفرَس بمكان كذا وكذا ، أى لا تنزلا عنه إلا فى ذلك المكان، فسبقا إليه حتى أطلقاه . فلما رأى ذلك قيسُ بن زهير رغب فى الفرَس . فقال لهما : لكما حُكْمُكما وادفَعا إلىَّ الفرَس. فقالا: أوَ فاعلٌ أنت؟ قال : نعم . فاستوثقا منه

(١) النقائض : ٣٠٣ .

(٢) فى غ : سام .

(٣) فى غ : إلينا .

(٤) ضبر : جمع قوائمه ووثب .

على أن يَرُدَّ ما أصاب من قليل وكثير ، ثم يرجع عَوْدَه على بدئه ، ويُطلِق الفتاتين ويخلّى عن الإبل وينصرف عنهما راجعا . ففعل ذلك قيس ، ودفعا إليه الفرَس .

فلما رأى ذلك أصحابُ قيس قالوا : لا نصاحبك أبداً ، أصبنا مائة من الإبل وفتاتين فعمدت إلى غنيمتنا فجعلتَها فى فرس لك تذهب به دوننا ! فعظُم فى ذلك الشرُّ حتى اشترى غنيمتَهم بمائة من الإبل .

فلما جاء قِرْواش قال للغلامين: أين فرسى ؟ فأخبراه ، فأبى أن يرضَى إلّا أن يُدفَع إليه فرسه . فعظّم ذلك فى[1] الشرّ حتى تنافروا فيه . فقُضِىَ بينهم أن تُرَدَّ الفتاتان والإبل إلى قيس بن زُهير ، ويردَّ عليه الفرس . فلما رأى ذلك قِرواش رضى بعد شرّ . وانصرف قيس بن زهير ومعه داحس فمكث ما شاء الله تعالى .

فزعم بعضهم أنّ الرِّهان إنما هاجه بين قيس بن زهير وحُذَيفة بن بَدْر بن عمرو ابن جُوَيَّةَ بن لَوْذان بن عدىّ بن فَزارة بن ذُبيان بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان ابن سعد بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضر بن نِزار ، أنّ قيسا دخل على بعض الملوك وعنده قَيْنة لحُذيفة بن بدر تغنّيه بقول امرىء القيس :

دَارٌ لهنــد والرَّباب وفَرْتَنَا ... ولَمِيس قبل حَوادِث الأيّامِ

وهُنَّ فيما يُذكَر نِسْوة لبــنى عَبْس ، فغضب قيسُ بن زُهَــيْر وشَقَّ رِداءَها وشتمها . فغضب حذيفةُ وبلغ ذلك قيسا ، فأتاه ليسترضيَه ويُزيل ما خامَر قلبــه ويستصلحه ، فوقف عليه فجعل يكلّمه وهو لا يعرفه من الغضب ، وعنده أفراسٌ له ، فعابها وقال : ما يرتَبِـط مثلُك مثلَ هذه يا أبا مُسْهِر . فقال حذيفة : أتعيبها ؟ قال : نعم . فتجاريا حتى تراهنا .

وقيل إن الذى هاجَ الرِّهان أنّ رجـلا من بنى عبد الله بن غَطفان ثم أحد بنى جَوْشن ، وهم أهل بيت شُؤم ، أتى حذيفة زائرا ؛ ويقال إن الذى أتاه الوَرْدُ

---

(١) فى غ وك : فعظم فى ذلك الشر .

العَبْسى أبو عُروة بن الوَرْد ، فلما أتاه عرض عليه خَيْله فقال : ما أرى فيها جَوادا مُبِرًّا ! والمُبِرُّ: الغالب . فقال له حذيفة : فعند مَن الجوادُ المُبِرُّ ؟ فقال : عند قَيْس بن زُهير . فقال : هل لك أن تُراهِنَنى عنه ؟ قال : نعم . قال : قد فعلت . فراهنه على ذَكَرٍ من خيله وأنثى ، وأوجبا الرهان .

ثم إن العبدىّ[1] أتى قيسَ بن زهير فقال : إنّى قد راهنت على فرسين من خيلك ذَكَرٍ وأنثى ، وأَوْجَبْتُ الرهان . فقال قيس : ما أبالى من راهنت غير حُذَيْفة . قال : ما راهنت غيره . قال قيس : إنك ما علمتُ لأَنْكَد . ثم ركب قيس حتى أتى حذيفة فوقف عليه فقال : ما غدا بك ؟ فقال : غدوت لأواضِعك الرهان . قال : بل غدوتَ لتُغْلِقَه[2] . قال : ماأردت ذلك . فأبَى حذيفة إلّا الرهان . فقال له قيس : أُخيِّرك ثلاث خلال[3] ، فإن بدأتَ فاخترتَ قَبْلى فلى خَلَّتان ولك الأولى ، وإن بدأتُ فاخترتُ قبلك فلك خَلّتان ولى الأولى . قال حُذيفة : فابدأ . قال قيس : الغاية مائة[4] غَلْوة — والغلوة : الرَّميةُ بالنُّشَّابة — قال حذيفة : والمِضْمار[5] أربعون لَيلة ، والمَجْرَى من ذات[6] الإصاد . ففعلا ووضعا السَّبَقَ[7] على يدى غَلَّاق أو ابن غَلَّاق ، أحد بنى ثَعلبة بن سعد بن ثعلبة . فزعموا أن حذيفة أجرى قُرْزُلًا[8] والَحنْفاء ، وقيل الَخطّار والَحنْفاء . وأجرى قيسٌ دَاحِساً والغَبْراء .

---

(١) فى غ العبسى .

(٢) لتغلقه : لتوجبه .

(٣) فى ت : ثلاثا .

(٤) فى غ : من مائة غلوة .

(٥) المضار : وقت وأيام التضمير وذلك أن تشد على الخيل سروجها وتجلل بالأجلة حتى تعرق تحتها فيذهب رهلها ويشتد لحمها فيؤمن بهرها عند حضرها ولا يقطعها الشد .

(٦) ذات الإصاد : موضع ببلاد فزارة .

(٧) السبق : الرهان الذى يوضع بين أهل السباق فمن سبق أخذه .

(٨) أجرى قرزلا والحنفاء : هذا قول بنى فزارة ـ وقيل: الخطار والحنفاء : هذا زعم بنى عبس.

وقيل : إن الذى هاج الرهان أن رجلا من بنى المُعْتَمِر بن قُطَيْعة بن عبس يقال له سُراقة راهن شبَّانا[1] من بنى بدر وقيسٌ غائب على أربع جزائر[2] من خمسين غَلْوة . فلما جاء قيس كره ذلك وقال : لم ينته رهان قط إلّا إلى شر ، ثم أتى بنى بدر فسألهم المُواضعة فقالوا : لا حتى نعرف سَبْقَنا ، فإن أخذنا فحقّنا وإن تركْنا فحقنا . فغضب قيس ومحك[3] وقال : أمّا إذْ أبيتم فأَعْظِموا الخطَر وأبعِدُوا الغاية . قالوا : فذلك لك . فجعلوا الغاية من واردات إلى ذات الإصاد ، وذلك مائة غلوة والثَّنِيَّة فيما بينهما . وجعلوا القصبة[4] فى يد رجل من بنى ثعلَبة بن سعد يقال له حُصين ، ويقال رجل من بنى العُشَراء من بنى فَزارة ، وهو ابن أختٍ لبنى عبس ، وملئوا البركة ماء وجعلوا السابق أوّل الخيل يكرع فيها .

ثم إنّ حذيفة بن بدر وقيس بن زهير أتيا المَبْدَا[5] الذى أرسلْن منه ينظران إلى الخيْل كيف خُروجها منه ، فلما أرسلت عارضاها ، فقال حُذيفة : خدعْتك ياقيس . فقال قيس : ترْك[6] الخداع من أجْرَى من مائة . فأرسلها مثلا . ثم ركضا ساعة فجعلت خيلُ حذيفة تبرّز[7] ، وخيل قيس تقصّر . فقال حذيفة : سبقتُك يا قيس . فقال قيس : جرى المُذَكِّيات غِلاب[8] فأرسلها مثلا . ثم ركضا ساعة

---

(١) فى غ : شابا .

(٢) جزائر : جم جزور وهى الناقة .

(٣) محك : نازع فى الكلام ولاج .

(٤) القصبة : ما تركز عند منتهى الغاية ، فمن سبق إليها حازها واستحق الرهان .

(٥) فى ك : المندى وهو تصحيف المبدأ . وفى غ : المدى.

(٦) ترك الخداع : الميدانى : ١/٨١ـ العسكرى : ١/١٨٨ ـ الفاخر : ٢٢٠ .

(٧) تبرز : تسبق وفى ك : تنزو ، وفى غ : تبر .

(٨) فى الفاخر : غلاء وفى الميدانى ول ١٨/٣١٥ (ذكا) غلاب، ويروى بدون تشديد المذكيات وانظر الميدانى : ١/١٠٦ .

فقال حذيفة : إنك لا تَركض مَرْكَضا . سبقتْ خيلك يا قيس! فقال قيس : رويداً يَعْلُون[1] الجَدَدُ. فأرسلها مثلا .

وقد جعل بنو فزارة كمينا بالثَّنِيَّة ، فاستقبلوا داحسا فعرفوه فأمسكوه وهو السابق ، ولم يعرفوا الغبراء وهى خلفه مُصَلِّيَة[2] حتى مضت الخيل واستهلّت من الثنيّة ، ثم أرسلوه فتمطّرَ فى آثارها ، أى أسرع ـ فجعل يبدُرُها فرساً فرساً حتى سبَقها إلى الغاية مصلِّيا ، وقد طرح الخيل غيرَ الغبراء ، ولو تباعدت الغاية سبقها . فاستقبلها بنو فزارة فلطَمُوها ثم حَلَّئُوها[3] عن البِركة ، ثم لطموا داحسا وقد جاءا متواليين . وكان الذى لطمه عُمَيْرَ بن نَضْلَةَ فجَسّت[4] يده فسمّى جاسئا .

فجاء قيسٌ وحذيفة فى آخر[5] الناس وقد دفعتهم بنو فَزارة عن سبقهم ولطموا فرَسَيهم ، ولو[6] يطيقهم بنو عبس لقاتلوهم ، وإنما كان من شهد ذلك من بنى عبس أبيات غير كثيرة . فقال قيس : ياقوم إنه لا يأتى قومٌ إلى قومهم شَرًّا من الظلم ، فأعطونا حقّنا[7]. فأبت بنو فزارة أن يُعطوهم شيئا ، وكان الخَطَر عشرين من الإبل . فقال بنو عبس: أعطونا بعض حقنا . فأبَوْا . فقالوا : أعطونا جَزُوراً واحدة ننحرها ونُطعمها أهلَ الماء فإنا نكره القالة فى العرب . فقال رجل من بنى فزارة : مائة جَزُورٍ وجَزُورٌ واحد سواء . والله ما كنا لنُقِرَّ لكم بالسبق علينا ولم نُسْبَق .

---

(١) فى ك : يعلمون، والتصويب من غ.

(٢) مصلية : تالية .

(٣) حلئوها : منعوها وطردوها .

(٤) فى غ : فجسأت وهما بمعنى : يبست .

(٥) فى ك : أخرى الناس والتصويب من غ .

(٦) ولو يطيقهم بنو عبس لقاتلوهم : فى غ : ولم تطقهم بنو عبس ليقاتلوهم . وما هنا يوافق ما فى النقائض .

(٧) فى غ : سبقنا .

فقام رجل من بنى مازن بن فزارة فقال : يا قوم إن قيسا كان كارهاً لأوّل هـذا الرهان ، وقد أحسن فى آخره ، وإنّ الظلم لا ينتهى إلّا إلى شر[١] ، فأعطوه جزورا من نَعَمكم ! فأبوا. فقام إلى جزور من نَعَمه فعقلها ليعطيها قيسا ويرضيه بها ، فقام ابنُه فقال : إنّك لكثير الخطأ ، تريد أن تخالف قومك وتُلحق بهم خزَايَةً بما ليس عليهم ؟! وأطلق عقالها فلحقت بالنَّعم . فلما رأى قيس ذلك احتمل عنهم هو ومن معه من بنى عبس . فأتى على ذلك ما شاء الله تعالى .

ثم إن قيسا أغار فلقى عوفَ بن بدر فقتَله وأخذ إبلَه، فبلغ ذلك بنى فزارة فهمّوا بالقتال وغضبوا . فحمل الربيع بن زياد أحد بنى عَوْذ بن غالب بن قُطَيعة بن عبس ، ديةَ عوف بن بدر مائةً عُشَراء مُتْلِية ــ والعشراء: الّتى قد أتى على حملها عشرة أشهر من ملقحها ، والمُتْلية : التى قد نتج بَعْضها ، والباقى يتلوها فى النتاج . وأمّ عوف وأم حذيفة: ابنة نضلة بن جُوَيَّة بن لَوْذان بن ثعلَبة بن عدىّ بن فزارة . واصطلح الناس فمكثوا ما شاء الله .

ثم إن مالك بن زهير أتى امرأة يقال لها مُلَيكة بنت حارثة من بنى عَوْذة ابن فزارة فابتنَى بها باللُّقاطة[٢] قريباً من الحاجر، فبلغ ذلك حذيفة بن بدر ، فأرسل[٣] له فرسانا على أفراس من مَسَانّ خيله ، وقال : لا تُنظِرُوا مالكا إن وجدتموه أنْ تقتلوه .

وكان الربيع بن زياد بن عبد الله بن سُفيان العَبْسى مجاورا حذيفةَ بن بدر ، وكانت معاذةُ بنت بدر تحت الربيع بن زياد . فانطلق القوم إلى مالك فقتلوه ثم انصرفوا عنه . وجاءوا عشيّة وقد أجهد[٤] القوم أفراسهم فوقفوا على حذيفة

---

(١) فى غ : الشر .
(٢) اللقاطة : من منازل فزارة .
(٣) فى غ : فدس .
(٤) فى غ : جهدوا فراسهم .

والربيع بن زياد عنده ، فقال حذيفة : أَقَدرْتم على حمارِكم ؟ قالوا : نعم وعقرناه . فقال الربيع ما رأيت كاليوم قط ؟ أهلكتَ أفراسك من أجلِ حمار ؟ فقال حذيفة : لما أكثر عليه من الملامَة له وهو يحسب أن الذى أصابوه حمارا ، لم نقتل حِمارا وإنما قتلنا مالك ابن زهير بعوف بن بدر . فقال الربيع : بئس لعمرُ الله[1] القتيل قتلت ! أما والله إنى لأظنه سيبلغ ما يُكْرَه . فتراجعا شيئا من كلام ثم تفرقا .

فقام الربيع يطأ الأرض وَطْئاً شديدا . وأخذ يومئذ حملُ بن بدر ذا النون سيفَ مالك بن زهير .

فزعموا أن حذيفة[2] لما قام الربيع بن زياد أرسل أَمَةً مولَّدة له فقال : اذهبي إلى معاذةَ امرأة الربيع فانظرى ماذا ترينَ الربيع يصنع . فانطلقت الجارية حتى دخلت البيت فاندست بين الكِفاء والنَّضَد ـ والكِفاء : شقَّة فى آخر البيت ، والنَّضَد : المَتاع يُجْعل على حمار من خشب ـ فجاء الربيع فنفذ البيتَ حتى أتى الفرس فقبض بعرفته ثم مسح متنه حتى قبض بعُكْوة ذنبه ـ العُكوة : أصل الذنب ـ ثم رجع إلى البيت ورمحه مركوز بفنائه فهزّه هزّاً شديدا ثم ركزه كما كان . ثم قال لامرأته : اطرَحى لى شيئا ، فطرحت له فاضطجع ، وكانت قد طَهُرَت تلك الليلة فدنت منه فقال : إليك عنى فقد حدث أمر ، ثم تغنّى[3] :

نام الخَلِيُّ وما أغمِّض حَارِ ... مِنْ سَيِّئ النبأ الجَليل السَّارِى[4]

مِنْ مِثله تُمْسِي النساء حَواسراً ... ويَقُمْن معولة مع الأسحارِ[5]

---

(١) فى غ: ما فعلت. وما هنا موافق لما فى النقائض .

(٢) فى الفاخر : ٢٢٣ أن الذى دس الأمة هو قيس بن زهير .

(٣) الأبيات فى النقائض: ٨٩ ـ حماسة أبى تمام: ٢٩٨/١ باختلاف فى الترتيب ـ شعراء النصرانية : ٧٩٢ ـ الفاخر: ٢٢٣ .

(٤) الرواية فى الفاخر : منع الرقاد فما أغمض حار ... جلل من النبأ المهم السارى

(٥) تمسى : فى ك : تمشى والتصويب من غ ـ ويقمن فى غ : وتقوم .

من كان مَسْرُوراً بِمَقْتَل مالك ... فليَأْتِ نسوتنا بوَجْه نَهـارِ[١]
يَجِد النساء حواسراً يندُبْنَه ... يَبْكِين قَبْـل تَبَلُّج الأسحـارِ[٢]
قد كُنَّ يَخْبَأْن الوجوهَ تَسَتُّراً ... فاليومَ حينَ بَرَزْن للنُّظَّارِ
يَخْمُشْنَ[٣] حُرَّ وجوهِهِنَّ على فتًى ... سَهْـل الخليقة طيِّب الأَخْبـارِ
أفبَعْدَ مَقْتل مالكِ بن زُهَيْر[٤] ... تَرْجُو النِّساء عواقِبَ الأطْهارِ
ما إنْ أرَى فى قَتْله لذَوِى الحِجَـا ... إلّا المَطِىَّ تُشَدُّ بالأكْوارِ
ومُجَنَّبات ما يَذُقْن عَذُوفَة[٥] ... يَقْذِفن بالمُهَرات والأمْهَارِ
ومَساعِراً[٦] صَدَأُ الحديد عليهم ... وكأنَّما طُلِىَ الوُجُوهُ بقَارِ
يا رُبَّ مسرُورٍ بمَقْتلِ مالكٍ ... ولسوفَ نَصْرِفُه بشر مصار[٧]

فرَجَعت الأمةُ فأخبرت حُذَيْفة الخبَر . فقال : هذا حين اجتمع أمر إخوانكم وقع الحرب . وقال الربيع لحذيفة وهو جاره يومئذ : سَيِّرْنى فإنى جاركم، فسيّره ثلاث ليال ، ومع الربيع فَضْلَة من خمر . فدسّ حذيفة فى أثره فوارس وقال : اتبعوه فإنّ معه فضلة خمر ، فإن وجدتموه قد هَراقها فهو جادّ وقد مضى ، فانصرفوا ، وإن لم تجدوه قد هراقها فاتبعوه فإنكم تجدونه قد مال لأدنى منزل فأرتع[٨] وشرب فاقتلوه . فتبعه القوم فوجدوه قد شق الزِّقّ ومضى . فانصرفوا .

---

(١) فى الفاخر : بضوء نهار .
(٢) الرواية فى الفاخر : يندبن بين عوانس وعذارى .
(٣) فى غ : يخمشن حرات الوجوه، وما هنا يوافق مخطوطة من مخطوطات غ .
(٩) فى هذا البيت عيب يسمى القطع .
(٥) فى ك: عذوبة ، والتصويب من غ . والعذوفة : مايؤكل .
(٦) فى ك : مشاعر والتصويب من غ . ومساعر : جمع : مسعر : مثير حروب .
(٧) فى غ : محار . والمحار : المرجع .
(٨) فى غ : فرتع .

فلما أتى الربيع قومَه وقد كان بينه وبين قيس شحناء ، وذلك أن الربيع ساوم قيس بن زهير بدرع كانت عنده فلما نظر إليها وهو راكب وضعها بين يديه ثم ركض بها فلم يردّها على قيس ، فعرض قيس لفاطمة بنت الخُرْشب الأنمارية أم الربيع وهى تسير فى ظعائن من قيس ، فاقتاد جملها يريد أن يرهنها بالدّرع حتى تُرَدَّ عليه ، فقالت له : ما رأيت كاليوم فِعْلَ رجل قط[1] . أَضَلَّ حِلْمك ؟! أترجو أن تصطلح أنت وبنو زياد وقد أخذت أمّهم فذهبت بها يمينا وشمالا ، فقال الناس فى ذلك ماشاءوا ؟ وحسبك من شر سماعُه . فأرسلتها مثلا . فعرف قيس بن زهير ما قالت له فخلَّى سبيلها .

وقيل: إنه قال لها أذهب بك حتى ترعى على إبلى. فلما أيقنت أنه ذاهب بها رمت نفسها من على البعير على رأسها فماتت خوفا من أن يلقى بنوها عاراً فيها . فطرد[2] إبلا لبنى زياد فقدم بها مكة فباعها من عبد الله بن جُدْعان بن عَمْرِو بن سعد بن كعب ابن تَيم بن مُرَّة القرشى، فقال فى ذلك قيس بن زهير[3] :

ألم يَبْلُغْك والأنباء[4] تَنْمِى ... بما لَاقَتْ لَبُونُ بنى زِيادِ
وَمَحْبِسُها على القرشىِّ تُشْرَى ... بأَدْراعٍ وأسيافٍ حِدادِ
كما لاقيْتَ من حَمَلِ بنِ بَدْرٍ ... وإخوته على ذات الإصادِ
هُمْ فَخَرُوا علىَّ بغير فَخْرٍ ... ورَدُّوا[5] دُون غايَتِه جوادِى
وكنتُ إذا رميتُ[6] بِخَصْمِ سوء ... دَلَفْتُ له بداهيةٍ نآدِ[7]

---

(١) فى غ : أى قيس .

(٢) فى غ : فأطرد .

(٣) الأبيات فى النقائض : ٩١ــ شعراء النصرانية : ٩٢٦ .

(٤) فى غ : والأنباء .

(٥) فى غ : ذادوا .

(٦) فى غ : منيت .

(٧) نآد : شديدة .

بداهيـة تدقُّ الصُّلْبَ منـه فتقصِم أو تَجُوبُ[1] عن الفؤادِ
وكنت إذا أتانِى الدهرَ رِبقٌ[2] بداهيةٍ شَدَدْتُ لها نِجادِى
ألم تَعلَمَ بنـو المِيقابِ[3] أنِّى كريمٌ غير مُفتَلَث[4] الزِّنادِ
أُطَوِّف ما أُطَوِّفُ ثمَّ آوِى إلى جَارٍ كجارِ أَبِى دُوادِ

جارُه[5] يعنى ربيعة الخَيْر بن قُرْط بن سَلَمة بن بَشِـير[6] [وجار أبى دُواد يقال له الحارث بن همام بن مرة بن ذُهل بن شيبان][7] وكان أبو دُواد فى جواره وكان صبيان الحىّ خرجوا يلعبون فى غدير ماء فغمسوا ابن أبى دُواد فيـه فقتلوه . فخرج الحارثِ[8] فقال : لا يبقى صبىّ فى الحىّ إلّا غُرِّق فى الغدير ، فوُدِىَ ابن أبى دُواد بعِدّة [ديات][9] فذلك قول أبى دُوَاد :

[إبلى الإبْلُ لا يحوزها الرا عى ومجّ الندى عليها المُدام][10]
إليك ربيعـةَ الخَيْر بن قُرْط وَهُوباً للطَّرِيف وللتِّـلادِ
كَفانى ما أخافُ أبو هِـلالٍ ربيعةُ فانتهتْ عنِّى الأعادِى
تظلُّ جِيادُه يَجْمِزْن[11] حَوْلِى بذات الرِّمث كالحِدَأ الغَوادِى

(١) تجوب : تشق وتمزق .

(٢) الربق : مايتقلد، والأصل فيه : الحبل فيه عدة عرا يشد به البهم .

(٣) الميقاب: التى تلد الحمق، ومن معانيها:الواسعة الفرج فهو يسبهم بهذا وهو أشبه بأسلوب إقذاعهم فى السب .

(٤) فى غ : منغلث .

(٥) فى ك : جار أبى دواد. والتصويب من غ.

(٦) فى غ : قشير وكذا فى النقائض .

(٧) زيادة من غ لإقامة النص.

(٨) فى ك : ربيعة وهو خطأ سببه سقوط ما بين القوسين السابقين .

(٩) زيادة من غ .

(١٠) زيادة من غ ليستقيم النص .

(١١) كذا فى النقائض وفى غ : يجرين وفى الفاخر : يسرين أى يتجمعن فى جماعات ذاهبات جائيات .

كأنّي إذْ أُنختُ إلى ابنِ قُرْطٍ عَقَلْتُ إلى يَلَمْلَمَ أو نَضَادِ[1]

يلملم ونضاد : جبلان . وقال قيس بن زهير :

إنْ تَكُ حَرْباً فلم أجْنِهـا جَنَتْها خِيـارُهم[2] أو هُمُ

حَذارَ الرَّدَى إذ رأوا خَيْلَنا مُقَدَّمُهـا سابِحٌ أدْهَمُ

عليـه كَمِيٌّ وسِرْباله مُضاعفةٌ نسجُها مُحْكَمُ

فإنْ شَمَّرَتْ لك عن ساقِها فَوَيْهاً ربيـعُ ولا تسأمُوا[3]

نَهَيْتُ ربيعاً فلم يَزْدَجِـر كما ازدَجَر[4] الحارثُ الأَضْخَمُ

الحارث الأضخم رجلٌ من بنى ضُبَيْعة بن رَبيعة بن نِزار ، وهو صاحب المِرْباع.

فكانت تلك الشَّحْناء بين بنى زياد وبنى زُهير . فكان قيس بن زُهير يخاف خِذلانهم إياه ، فزعموا أنّ قيساً[5] دسّ غلاماً له مُوَلَّدا فقال : انطلق كأنّك تطلب إبلا ، فإنهم سيسألونك ، فاذكر لهم مقتل مالك ثم احفظ ما يقولون .

فأتاهم العبدُ فسمعَ الربيعَ يتغنّى :

أَفَبَعْدَ مَقْتَل مَالِكِ بن زهيرٍ ترجُو النساءُ عواقِبَ الأَطْهارِ

فلما رجع العبدُ إلى قيس أخبره بما سمع من الربيع بن زياد ، فعرف قيس أنه قد غضب . فاجتمعت بنو عبس على قِتال بنى فَزارة . فأرسلوا إليهم أن رُدُّوا علينا إبلنا التى وَدَيْناها عوفاً أخا حذيفة بن بدر لأمّه ! فقال : لا أعطيكم دية ابن أمّى ، وإنما قتل صاحِبَكم حَمَلُ بن بدر وهو ابن الأسدية ، وأنتم وهو أعلم . وقيل : إن حذيفة بن بدر أراد أن يردّ عليه إبله بأعيانها وقد مضَى عليها أربعُ سنين بنتاجها ،

---

(١) نضاد : كذا أيضا فى غ وفى مخطوطة أخرى لـ غ : مصاد وهو جبل أيضا .

(٢) فى النقائض : صبارتهم .

(٣) فى غ : ولم يسأموا .

(٤) ازدجر : فى غ : انزجر .

(٥) تقدم أن حذيفة دس جارية ليتعرف خبر الربيع وأنها سمعت الربيع يتغنى بهذه الأبيات .

فقال له سنان بن خارجة المرّى: أتريد أن تُلْحِق بنا خزاية فنعطيهم أكثر ممّا أعطونا فتسبّنا العرب بذلك ؟ ! فأمسكها حذيفة وأبَى بنو عبس أن يقبلوا إلّا إبلهم بعينها . فمكث القوم ما شاء الله .

ثم إنّ مالك بن بدر خرج يطلب إبلًا له فرّ على بنى رواحة ، فرماه جُندب[1] بسهم فقتله . فقالت ابنةُ مالك بن بدر فى ذلك[2] :

لله عَيْنا مَنْ رأى مثلَ مَالِكٍ	عَقِيرَةَ قومٍ أَنْ جَرَى فَرَسانِ
فلَيْتَهُما لم يَشْرَبا قَطّ شَرْبَةً[3]	ولَيْتَهُما لم يُرْسَلَا لِرِهانِ
أُحِلّ به من جُندب أمس نَذْرُه[4]	فأىّ قتيلٍ كان فى غَطَفانِ
أأنْ[5] سجَعت بالرَّقْمَتَين حمامَةٌ	أو الرسّ تبكى[6] فارس الكَتِفانِ[7]

ثم إن الأسلع بن عبد الله بن ناشب بن بدر بن هِدْم بن أدّ[8] بن عَوْذ بن غالب ابن قُطَيْعة بن عبس مشى فى الصلح، ورهن ثلاثةً من بنيه وأربعةً من بنى أخيه حتى يصطلحوا ، وجعلهم على يد سبيع بن عمرو أحد بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان . فمات سُبَيْع وهم عنده . فلما حضرته الوفاة قال لابنه مالك بن سبيع : إنّ عندك مكرمةً لا تبيد ، إن أنت احتفظت بهؤلاء الغلمة[9] ، وكأنّى بك لوقدْ مِتُّ وأتاك

---

(١) جندب : فى غ: جنيدب .

(٢) النقائض : ٩٣ وفى شعراء النصرانية ٨٧٠ — نسب بعض أبيات هذه القصيدة لعنترة وروى شارح الحماسة البيتين الأخيرين لبشر بن أبى حام العبسى ، وانظر الفاخر : ٢٢٨ .

(٣) فى غ : قطرة .

(٤) الرواية فى غ : أحل به أمس الجنيدب نذره . وما هنا متفق مع مخطوط للأغانى .

(٥) فى غ : إذا .

(٦) فى غ : فابكى .

(٧) الكتفان : اسم فرس (تاج كتف ٦/٢٣٠)

(٨) فى ك : أدم ، والتصويب من غ . وفى النقائض : لدم .

(٩) فى غ : الأغيلمة وكذلك فى الفاخر : ٢٢٥ .

حُذَيفةَ خالُك ـ وكانت أمّ مالك بن سُبَيع هذا ابنة بدر ـ فعصَر عينيه ثم قال: هَلَك سيدُنا ، ثم خَدَعك عنهم حتى تدفعهم إليه فيقتلهم ، فلا شرف لك بعدها . فإن خفت ذلك فاذهب بهم إلى قومهم. فلما ثَقُل جعل حذيفة يبكى ويقول: هَلَك سيدنا. فوقع ذلك فى قلب مالك . فلما هلك سُبَيْع أطاف بابنه مالك فأعظمه ثم قال له : يا مالك إنّى خالك وأنا أسنّ منك ، فادفع إلىّ هؤلاء الصبيان ليكونوا عندى إلى أن ننظر فى أمرنا . ولم يزل به حتى دفعهم إليه باليَعْمُرِيّة ـ وهو ماء بوادٍ من[1] بطن نخل من الشَّرَبَّة لبنى ثعلبة ـ فلما دفع مالك إلى حذيفة الرُّهُنَ جعل[2] كلّ يوم يبرزُ غلاما فيجعله[3] غَرَضًا ثم يرميه بالنَّبل ويقول : نادِ أباكَ ، فينادى أباه حتى يُخرِّقَه بالنَّبل . وقال لابن جُندب : نادِ أباكَ ، فجعل ينادى : ياعمراه[4] خلافاً عليهم ويكره أن يأبِسَ أباه بذلك ، والأبْس : القهر والحَمْل على المكروه . وقال لابن الأسلع : ناد حُبَيّنَة[5] لقب لأمه[6] ، فجعل ينادى : ياعمراه باسم أبيه حتى قتله . وقتل عتبة بن قيس بن زهير .

ثم إنّ بنى فَزارة اجتمعوا هم وبنو ثَعلبة[7] فالتقوا هم وبنو عبس فقتلوا منهم مالكَ بن سُبَيع بن عمرو الثعلبى ، قتله مَرْوان[8] بن زِنْباع العبسى وعبد العُزّى ابن حُذار الثعلبى والحارث بن بدر الفزارى ؛ وهَرِم بن ضَمْضَم المُرّى ـ قتله وَرْدُ بن حابس العبسى ـ ولم يشهد ذلك اليوم حُذَيْفة بن بدر ، فقالت ناجيةُ أخت هَرِم بن ضَمضم:

---

(١) فى غ : بوادى بطن نخل وما هنا متفق مع رواية الفاخر : ٢٢٦.

(٢) فى الفاخر : فجعل يبرز كل غلام منهم .

(٣) فى غ والفاخر : فينصبه .

(٤) فى غ : يا عماه .

(٥) فى غ : جنيبة وما هنا موافق لرواية النقائض .

(٦) فى غ : لأبيه .

(٧) فى غ : زيادة بعدها : وبنو مرة .

(٨) فى النقائض : قتله الحكم بن مروان بن زنباع .

يا لَهْفَ نفسى لَهفَةَ المَفْجُوعِ ... أَلَّا أَرَى هَرِماً على مَوْدُوعِ [1]

من أَجْلِ سيِّدِنا ومَصْرَعِ جنبه ... عَلِقَ الفؤادُ بحَنْظَلٍ مَصْدُوعِ

ثم إنّ حُذيفة بن بدر جَمَع وتَهيّأ [2] وأجمع معه بنو ذُبيان بن بغيض ، فبلغ بنى عبس أنهم قد ساروا إليهم . فقال قيس : أطيعونى فوالله لئن لم تفعلوا لأتّكئنّ على سيفى حتى يخرجَ من ظهرى . قالوا : فإنا نطيعك . فأمرهم فسرحوا السّوام والضعفاء بليل ، وهم يريدون أن يظعنوا من منزلهم ذلك ، ثم ارتحلوا فى الصُّبح وأصبحوا على ظهر العقبة ، ومضَى سوامُهم وضعفاؤهم . فلمّا أصبحوا طلعت عليهم الخيل من الثنايا فقال : خُذوا غيرَ طريق المـال ، فإنه لا حاجةَ بالقوم أن يقعوا فى شوكتكم ، ولا يريدون [3] بكم فى أنفسكم شرًّا من ذهاب المال . فأخذوا غير طريق المال ، فلما أدرك حُذيفة الأثر وراءهم [4] : قال : أبعدهم الله وما خيرهم بعد ذهاب المال . واتّبع المال .

وسارت ظُعُن بنى عبس والمُقاتِلة من ورائهم . وتبع حذيفةُ وبنو ذبيان المالَ فلما أدركوه رَدُّوا أوّله على آخره ، ولم يُفلِت منه شىء . وجعل الرجل يَطْرُد ما قدر عليه من الإبل فيذهب بها ، وتفرّقوا . واشتدّ الحرّ ، فقال قيس بن زهير : ياقوم إن القوم قد فَرّق بينهم المَغْنم فاعْطِفوا الخيل فى آثارهم ، فلم يشعر بنو ذُبيان إلّا والخيل دوائس [5] فلم يقاتلهم كبير أحد . وجعل بنو ذُبيان إنّما هِمَّةُ الرجل فى غنيمته يحوزُها ويمضى بها ، فوضعت فيهم بنو عَبْس السلاح حتى ناشدهم بنو ذبيان

(١) مودوع : اسم فرس هرم .

(٢) فى غ (بولاق) : تأهب .

(٣) فى ك : ولا يريدونكم ، والتصويب من غ .

(٤) فى غ : ورآه .

(٥) فى ك : دواس .

فى البَقِيَّة ، ولم يكن لهم هَمٌّ غير حذيفة . فأرسلوا خيلهم مجتهدين فى أثره ، وأرسلوا خيلا تَقُصُّ[1] الناس ويسألونهم حتى سقط خَبَرُ حذيفة من الجانب الأيسر على شدّاد بن معاوية بن ذُهل بن قُراد بن مَخزوم بن مالك بن عَبْس ، وعمرو بن الأسلع ، والحارث بن زهير، وقِرْواش بن هُنَىّ بن أنس ، وجندب. وكان حُذيفة قد استَرْخى حِزام فرسه فَنَزل عنه فوضع رِجْله على حَجَر مخافة أن يُقتَصّ أثرُه ثم شَدَّ الحزام ووضع صدر قَدَمِه على الأرض . فعرفوه وعرفوا حَنَف فرسه ـ والحَنَف أن تُقْبل إحدى يدَيْه على الأخرى ، وفى الناس أن تُقبل إحدى رجليه على الأخرى ، وأن يطأ الرجل وَحْشِيَّهما[2] ، وجمع الأحنف : حُنُف ـ فاتبعوه ومضى حتى استغاث بجَفْر[3] الهَباءة وقد اشتدّ الحرُّ فرمى بنفسه ومعه حَمَل بن بدر، وحَنَشُ ابن عمرو، وورْقاء بن بلال وأخوه ، وهَمَّام بن عَدِىّ بن فزارة ، وقد نَزعوا سروجهم وطرحوا سلاحَهم ووقعوا فى الماء وتمعّكت دوابهم ، وقد بعثوا ربيئة لهم فجعل يطّلع وينظر فإذا لم يرَ شيئا رجع ، فنظر نظرة فقال : إنى قد رأيتُ شخصا كالنعامة وكالطائر فوق القتادة من قِبلَ مجيئنا . فقال حذيفة : هَنًا وهَنًا ، هذا شَدّاد على جِرْوة ـ وجروة : فرس شداد ـ والمعنى دع ذكر شَدّاد عن يمينك وشمالك واذكر غيره ، لمَا كان يخاف من شداد . فبينا هم يتكلّمون إذاهم بشدّادبن معاوية واقفا عليهم . فحال بينهم وبين الخيل . ثم جاء عمرو بن الأسلع، ثم جاء قِرْواش بن هُنَىّ حتى تتاموا الخمسة . فحَمل جُندب على خيلهم فاطَّردها ، وحمل عمرو بن الأسلع وشدّاد عليهم فى الجَفْر فاقتحموه، فقال حذيفة : يا بنى عَبْس ، وأين العقول والأحلام . فضرب حَمَل بن بدر بين كَتِفَيْه وقال : اتق مأثورَ الكلام بعد اليوم . فأرسلها مثلا . وقتَل

---

(١) فى غ : تنفض تبعا لرواية النقائض .

(٢) الوحشى: الجانب الأيمن من كل شىء ، والوحشى فى الرجل : ظهرها ضد الإنسى .

(٣) جفر الهباءة : مستنقع فى بلاد غطفان .

قِرْواش بن هُنَىّ حُذَيْفة بن بدر . وقَتَل الحارث بنُ زُهير حَمَل بن بَدْر ، وأخذ منه ذا النون سيف مالك بن زُهير ، وكان حَمَل أخذه من مالك بن زهير يوم قتلَه . فقال الحارث بن زُهَيْر فى ذلك :

تَركتُ عـلى الهباءة غير فَخْرٍ حُذَيْفَةَ حَوْلَه قِصَدُ[1] العَوالِى
سيُخْبِر عنهـمُ حَنَشُ بن عَمْرٍو إذا لاقاهُم وابنَا بِـلال
ويُخـبرهم مكان النُّونِ مِنّى وما أُعْطِيتُه عَـرَقَ الخِلال

العَرق: المكافأة والمَوَدَّة، والخِلال: الخلّة . يقول: لَمْ يُعطونى السيفَ عن مودّة ، ولكنى قتلتُ وأخذت . فأجابه حَنَشُ بن عمرو أخو ثعلبةَ[2] بن سعد بن ذُبيان :

سيُخْبِرك الحديثَ به خَبِيرٌ يجاهِـرُك العَداوةَ غـيرَ آلِى
بُداءَتُها لِقِرْواشٍ وعَمْرٍو وأنتَ تَجُول جَوْبَكَ[3] فى الشِّمالِ

يقول : بُداءة الأمر لقِرواش وعَمْرو بن الأسلع ، وهما اقتحما الجَفْر وقتلا من قتلا وأنت تُرسُك فى يدك تجول لم تُغْنِ شيئا . ويقال: لك البُداءة ولفلان العُوَادة .

وقال قيس بن زهير[4] :

تَعلَّمْ أنَّ خيرَ النَّاس مَيْتٌ على جَفْر الهَباءة لا[5] يَرِيمُ
ولولا ظُلْمُهُ ما زلتُ أبكِى عليه الدَّهْرَ ما طلع النُّجومُ
ولكنَّ الفَتَى حَمَلَ بنَ بَدْرٍ بَغَى والبَغْىُ مصرعه[6] وَخِيمُ

---

(١) قصد : جمع قصدة وهى القطعة مما يكسر . والعوالى : الرماح .

(٢) فى غ : بنى ثعلبة .

(٣) الجوب : الترس .

(٤) النقائض: ٩٦ (الصاوى): ٨٨ـ حماسة أبى تمام (الرافعى): ١/١١٩ـ الفاخر: ٢٢٧ـ الخزانة : ٣/٥٣٨ .

(٥) فى الفاخر : ما .

(٦) فى غ والفاخر /٢٢٧ : مرتعه .

أظُنُّ الحِلْمَ دَلَّ علىَّ قومِى ... وقد يُسْتَجْهَل الرجلُ الحليمُ
فلا تَغْشَ الظالمَ أن تَراه[1] ... تَمتّع بالغِنَى الرجلُ الظَّلُومُ

وقال فى ذلك شَدَّاد العبسى[2] :

مَن يَكُ سائلاً عنى فإنِّى ... وجِرْوَةُ لا تَرُود[3] ولا تُعارُ
مُقَرَّبَة النَّساء[4] ولا تَراها ... أمامَ الحىِّ يَتْبَعُها المِهَارُ
لهَا بالصيف آصِرَةٌ وجُلٌّ ... وسِتٌّ من كرائمِها غِزارُ

آصرة : حشيش — وست أى ستّ أينُق تُسْقَى لبنَها :

ألا أبْلغ بنى العُشَراء عنّى ... عَلَانيةً ولا يُغنِى السِّرارُ
قَتَلْتُ سَرَاتَكم وحَسَلْتُ منكم ... حَسِيلًا مثلما حُسِلَ الوِبارُ

حُسالة الناس وجُفالتهم ورَعاعهم[5] وشَرَطُهم وحُثالتُهم وخُشارتُهم وعُفافتهم[6] واحد ، وهم : السفلة يقول : قتلت سَراتكم وجعلتكم من بعدهم حُسالة ، وكان ذلك اليوم يوم ذى حُساً .

وقيل : إنّ حُذيفة كان أصاب ذلك اليوم من بنى عبس تُماضِرَ بنت الشريد السُّلَميّة أمّ قيس فقتلها وكانت فى المال فقال :

ولم أقْتُلهم سِرًّا ولكن ... عَلانيةً وقد سَطَع الغُبارُ

---

(١) فى غ : لن . وبعد هذا البيت أربعة أبيات فى غ .
(٢) النقائض (الصاوى) : ٨٩ .
(٣) ترود : تختلف فى المرعى مقبلة ومدبرة .
(٤) فى النقائض : الشتاء .
(٥) بعد هذه الكلمة فى غ : وخمانهم .
(٦) فى غ : وغثاؤهم . وهى بمعناها .

دَنانِير البَرْمكيّة*

هي مَوْلاة يحيي بن خالد البَرْمكي ، صفراء مولَّدة ، صادقة المَلاحة ، من أحسن الناس وجها وأظرفهم وأكملهم أدبا ، وأكثرهم رواية للغناء والشعر . وكان الرشيد لشغفه بها يكثر مسيره إلى مولاها ويُقيم عنده ، ويَبَرّها ويُفرط في ذلك . ووهب لها في ليلة عِقْداً قيمتُه ثلاثون ألف دينار ، وردّته[1] عليه في مصادرة البرامكة .

وكانت زُبيدة شكت ذلك إلى أهله وعمومته فعاتبوه في[2] ذلك ، فقال : أنا ما لي أَرَبٌ في الجارية نفسها ، وإنما أَرَبي في غنائها فاسمعوها ، فإن استحقت أن يُؤلَف غناؤها وإلا فقولوا ما شئتم ! فأقاموا عنده ونقلهم إلى يحيي فسمعوها عنده فعذروه ، وعادوا إلى أم جعفر وأشاروا عليها ألا تلحّ في أمرها ، فقبلت ذلك . وأهدت إلى الرشيد عشر جوارٍ[3] ، منهن ماردة أمّ المعتصم ، ومراجل أمّ المأمون ، وفارد[4] أمّ صالح .

ولها كتاب مجرّد في الغِناء[5] ، وكان اعتمادها على ما أخذته من بَذْل ، وهي خرّجتها .

وكانت لرجل من أهل المدينة خَرَّجها وأدّبها ، فلما رآها يحيي وقعت بقلبه فاشتراها ، وكانت أروى الناس للغناء القديم .

---

* الأغاني : (بولاق) : ١٦/١٣٦-١٣٩- (بيروت : الثقافة) : ١٨/١٤-٢٠ .

(١) في غ : وردّ .

(٢) في غ : على .

(٣) في ك : جواري .

(٤) في غ : فاردة وما هنا موافق لمخطوطة في هامش غ (بيروت) .

(٥) في غ : في الأغاني المشهورة .

قال عَبَّاد النَّسوى[١] : مررت بمنزل من منازل طريق مكة يقال له النِّباج وإذا على الحائط مكتوب ما صورته : النَّيك أربعة : فالأول شَهْوة ، والثانى لَذَّة ، والثالث شِفاء ، والرابع دَوًى[٢] وحِرٍ إلى أَيْرَيْنِ أحوج من أَيْرٍ إلى حِرَيْن . وكتبت دنانير جارية البرامكة بخطها .

وكانت قد أصابتها العِلَّة الكَلْبية فكانت لا تصبر عن الأكل ساعة[٣] واحدة . وكان يحيى يتصدّق عنها فى كل يومٍ من شهر رمضان بألف دينارٍ لأنها كانت لا تصوم[٤] .

وكانت قد حكت غناء إبراهيم حتى لا يكون بينهما فرق ، فكان إبراهيم يقول ليحيى : متى فقدْتَنِى ودنانيرُ باقية فما فقدتنى .

وكان الرشيد قد دعا دنانير بعد قَتْله البرامكة وأمرها أن تغنّى ، فقالت : يا أمير المؤمنين إنى آليت أن لا أغنّى بعد سيّدى أبدا . فغضب وأمر بصَفْعِها . فصُفعت وأقيمت على رجليها وأُعْطِيت العود فأخذته وهى تبكى أحرّ بكاء واندفعت تغنى :

يا دارَ سَلْمَى بنازح السَّنَدِ بين الثَّنايا ومَسْقط اللَّبَدِ
لمّا رأيتُ الديارَ قد دَرَسَت أيْقَنْتُ أن النعيم لم يَعُدِ

فرقّ لها الرشيد وأمر بإطلاقها فانصرفت .

وكان عَقِيدٌ مولى صالح بن الرشيد قد هَوِى دنانير وشُغِفَ بها فخطبها فردّته ، فاستشفع إليها[٥] بمولاه صالح بن الرشيد وببذل وبالحسين بن محرز[٦] فلم تجبه وأقامت على الوفاء لمولاها ، فكتب إليها عَقِيد :

(١) فى غ : البشرى . وفى مخطوط غ : النشوى .
(٢) فى غ : داء . وهما بمعنى .
(٣) فى مخطوط غ : مرة .
(٤) فى غ : تصومه .
(٥) فى غ : عليها .
(٦) فى غ : المحرز .

يا دَنانيرُ قد تَنكَّر عَقْلِى ... وتَحَيَّرتُ بين وَعْدٍ ومَطْلِ
شَفِّعِى شَافِعِى[1] إليك وإلّا ... فاقتُلِينى إنْ كنت تَهْوَين قَتْلِى
أنا[2] بالله والأمير وما آ ... مل من موعد الحُسَيْن وبذل
لا[3] أُحِبُّ الحياة يا حِبُّ إنْ لَمْ ... يَجْمَعِ الله عاجلًا بك شَمْلى

فلم يعطفها ذلك ، ولم تزل على حالها حتى ماتت .

وفى دنانير يقول أبو حَفْص الشِّطْرَنجى :

أَشْبَهَكِ المِسْكُ وأشْبَهْتِه ... قائمةً فى لَوْنه قاعِدَهْ
لا شَكَّ إذ لَوْنُكما واحد ... أنَّكما من طِينَةٍ واحِدَهْ

قال مخارق : مرّت بى ليلة ما مرّ بى مثلها قط . جاءنى رسول الأَمِين وهو خليفة فأخذنى وركض بى إليه ركضا ، فحين وافيتُ أُتِيَ بإبراهيم الموصلى[4] على مثل حالى ، فنزلنا فإذا هو فى صَحْن دار لم أرَ مثلَه وقد ملئ شَمْعًا من الشمع الكِبار[5] ، وإذا بالأمين[6] قد دخل فى الخدم ، والدار مملوءة بالوصائف يضربْن[7] بالطُّبول والسرنايات[8] ومحمد فى وسطهم يرقص[9] فى الكرح فجاءنا رسوله فقال : قوما فى هذا الباب ممّا يلى الصحن وارفعا أصواتكما مع السرناى أين بَلَغ ،

---

(١) فى غ : شافعا .
(٢) فى ك : أنا لله والتصويب من غ .
(٣) فى غ : ما .
(٤) فى غ (بولاق): بإبراهيم بن المهدى وما هنا رواية غ (بيروت) .
(٥) فى غ : من شمع محمد الأمين الكبار .
(٦) فى غ : محمد .
(٧) فى غ : يغنين وفى ك : يضربون وهو خطأ .
(٨) السرنايات : من آلات الصفير (كلمة فارسية) .
(٩) فى غ يرتكض .

وإيا كما أن أسمع فى أصواتكما تقصيرا عن السرناى . قال : فقمنا فإذا الجوارى والمخنثون يضربون ويزمرون :

هَذِى دنانير تَنْسانِى وأذكُرها ... وكيف تَنْسَى مُحِبًّا ليس يَنْساها[1]

أعوذُ بالله من هِجرانِ جارِيَةٍ ... أصبحتُ من حُبِّها أَهْذِى بذِكْراهَا

قد أَكْمَلَ الحُسْن فى تَرْكِيب صُورَتِها ... فارتَجَّ أسفلُها واهتَزَّ أعلاهَا

قامَتْ تَمشّى فليتَ اللهَ صَيَّرَنِى ... ذاكَ التُّرابَ الَّذى مَسَّتْه رِجلاهَا

واللهِ واللهِ لو كانت إذا بَرَزَتْ ... نفسُ المتيَّم فى كَفَّيْه أَلْقاهَا

فما زلنا نشقُّ حلوقَنا مع السرناى ونتبعه ، حَذَراً من أن نخرج عن مذهبه[2] أو نقصّر عنه إلى الغداة والأمين[3] يجول فى الكرح ما يَرِيمُه[4] ، ندنو[5] إليه مرّة فى جولانه ونتباعد[6] عنه مرة ، وتحول الجوارى بيننا وبينه حتى أصبحنا !!

---

(١) الأبيات للموصلى عدا البيت الأول فليس له .

(٢) فى غ : طبقته .

(٣) فى غ : محمد .

(٤) فى غ : يسأمه .

(٥) فى غ : يدنو إلينا .

(٦) فى غ : يتباعد عنا .

دِعْبِل الخُزاعى*

دِعْبِل[1] بن علىّ بن رَزِين بن سُلَيمان بن تَمِيم بن نَهْشَل وقيل بيهس[2] ابن خراش[3] بن خالد بن عبد بن دِعْبِل بن أنس بن خزيمة بن سلامان بن أسلم ابن أَفْصَى بن حارثة بن عمرو بن عامر . كان يقال : اسمه محمد[4] وكنيته أبو جعفر ، ودعبل لقب غلب عليه ، وقيل كنيته أبو علىّ .

شاعر متقدّم مطبوع هجّاء خبيث اللسان ، لم يسلم منه أحد من الخلفاء ولا من وزرائهم ولا من أولادهم ، ولا ذو نَباهة أحسن إليه أو لم يحسن ، ولا أفلت منه كبير أحد .

وكان شديد التعصّب على النِّزارية للقحطانية . وناقض الكميت بن زيد فى قصيدته المذهبة التى هجا بها اليمن وهى :

* أَلَا حيّيتِ عنّا يامَدِينَا[5] *

فرُوِى أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم ينهاه عن ذِكْر الكميت بسوء . وناقضه أبو سعيد المخزُومى فى قصيدته وهاجاه ، وتطاول الشر بينهما ، فخاف

---

* الأغانى (بولاق) : ١٨/٢٩-٦٠ (بيروت) : ٢٠/٦٨-١٤٥-طبقات الشعراء: ٢٦٤ تاريخ بغداد: ٨/٣٨٣- معجم الأدباء: ١١/٩٩-١١٣- تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٥/٢٢٧-٢٤٢ .

(١) قال الخطيب البغدادى فى تاريخه : هو دعبل بن على بن رزين بن عثمان بن عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى . وجرى على هذا ابن عساكر .

(٢) فى غ : بهنس .

(٣) فى غ : خداش وكذا فى الأدباء .

(٤) فى تاريخ بغداد : ٨/٣٨٣ : الحسن وقيل عبد الرحمن .

(٥) فى غ : مرينا والبيت فى الخزانة : ١/٨٦ وقوله : يا مدينا أراد يا مدينة فرخم .

بنو مخـزوم لسان دعبل وأن يعمهم بالهجاء فنفَوْا أبا سعيد عن نَسَبهم وأشهدوا بذلك على أنفسهم .

وكان دِعْبِلٌ من الشيعة المشهورين بالمَيل إلى على عليه السلام ، وقصيدته التى أولها :

مَدارِسُ آياتٍ خَلَتْ من تِلَاوةٍ ومَنْزِلُ وَحْى مقفر العَرَصات

من أحسن الشّعر ، وفاخر المدائح المقـولة فى أهل البيت عليهم السّلام . وقصد بها على بن موسى الرضا بخراسان ، فأعطاه عشرة آلاف درهم من الدراهم المضروبة باسمه ، وخلع عليه خلعة[1] من ثيابه فأعطاه بها أهل قُمّ ثلاثين ألف درهم فلم يَبِعْها ، فقطعوا عليه الطريق فأخذوها ، فقال لهم : إنها تراد لله وهى محرّمة عليكم ، فدفعوا إليه ثلاثين ألف درهم ، فحلف ألا يبيعها أو يعطوه بعضها ليكون فى كفنه ، فأعطوه كُمًّا منها[2] فكان فى أكفانه .

ولما قدم العراق اشترى الشيعة من الدراهم التى أعطاها له على بن موسى الرضا كل درهم بعشرة دراهم ، فحصلت له مائة ألف درهم

وكتب[3] هذه القصيدة على ثوب وأحرم فيه ، وأمر بأن يكون فى أكفانه . ولم يزل مرهوبَ اللسان يخاف الخلفاء من هجائه لهم ، فهو دهره كله خائف متوارٍ[4] .

قال إبراهيم بن المهدى يوما للمأمون قولًا فى دِعْبل يحرّضه عليه فضحك المأمون وقال : إنّما تحرّضنى عليه لقوله فيك :

يا مَعْشَر الأَجنـاد لا تَقْنَطُوا وارْضَوا بما كان ولا تَسْخَطُوا

---

(١) فى الأدباء : بردة .

(٢) فى غ : فرد كم .

(٣) معجم الأدباء : ١١/١٠٣ .

(٤) فى غ : متوار هارب .

فسوف تُعطَون حُنَيْنِيَّـةً[١] يـَلَذُّهـا الأمردُ والأشْمَطُ
والمَعْبَدِيّات[٢] لقُوّادِكم لا تُدْخل الـكِيسَ ولا تُرْبَطُ
وهَـكَذا يَرْزُق قُوّادَه خَليفةٌ مصحفُـه البَرْبَطُ[٣]

فقال له إبراهيم . فقد والله هَجاكَ أنت أيضا يا أمير المؤمنين . فقال له : دع هذا عنك، فقد عفوت عن هجائه إياى لقوله هذا. وضحك .

ثم دخل أبو عَبَّاد ، فلما رآه المأمون من بُعْد قال لإبراهيم : دِعْبِـل يجْسُر على أبى عَبَّادٍ بالهجـاء ، ويُحْجِم عن أحد . فقال له : وكأنّ[٤] أبا عباد أبسط يدا منك ياأمير المؤمنين! قال: لا . ولـكنه حَدِيدٌ[٥] جاهل لا يؤمَنُ ، وأنا أحلُم وأصفح! والله ما رأيت أبا عبّاد قط مُقْبِلًا إلّا أضحكنى قولُ دِعْبِلٍ فيه[٦] :

أَوْلَى الأمور بضَيْعَةٍ وفَسادِ أمـرٌ يدَبِّره أبو عَبَّـادِ
وكأنّه من دَيْرِ هِزْقِلَ مُفْلِتٌ حَرِدٌ يَجُرُّ سلاسِلَ الأَقْيادِ

قال دِعْبل : قال لى أبى علىُّ بن رَزِين : ما قلتَ شيئا من الشعر قط إلّا هذه الأبيات :

خَلِيلىَّ ما ذا أرْتَجِى من غَدِامْرِئٍ طوَى الـكَشْحَ عَنّى اليومَ وهومَـكِينُ[٧]
وإنّ امرأً قد ضَنّ عنـه بمَنْطِقٍ يَسُـدُّ به فَقْرَ امرئٍ لضَنِـينُ

---

(١) حنينية : نسبة إلى حنين المغنى ، يريد أغنية مما يغنيها حنين .

(٢) المعبديات : نسبة إلى معبد المغنى .

(٣) البربط : العود والمزهر .

(٤) فى ت : أو كان أبو عباد .

(٥) حديد جاهل : شديد الغضب سريع إليه .

(٦) البيتان مع آخر فى معجم البلدان (دير هزقل) ١٨١/٤ ودير هزقل كان بين البصرة وعسكر مكرم (ياقوت) ويبدو من قول دعبل أنه كان يتخذ مستشفى أو معقلا لمرضى العقول .

(٧) معجم الأدباء : ١١١/١١ .

وبيتين آخرين وهما :

أقولُ لما رأيتُ الموتَ يطلُبُنِى ... يا لَيْتَنِى دِرْهَمٌ فى كِيس مَيَّاحِ
فياله دِرْهَما طالت صِيانَتُه ... لا هالِكٌ ضَيْعَةً يوماً ولا ضاحِى

قال أبو زيد الأنصارى : الدِّعْبل: الناقة[1] التى معها ولدها ، وقيل : البَعير[2] المُسِنّ ، وقيل : الشىء[3] القديم . وكان يقال : خُتِم الشِّعر بدِعْبل . وكان يقال أيضا : خُتِم الشعر بعُمارة بن عَقِيل .

ولم يزل دِعْبَلٌ عند الناس جليلَ القَدْر حتى رَدَّ على الكُميت فوضع ذلك منه .

قال دِعْبل : صُرِع مجنونٌ مرّة فصحت فى أذنه دِعْبِل دِعْبِل دِعْبل ثلاث مرات فأفاق من جنونه .

وكان سبب خُروج دِعْبل من الكوفة أنه كان يتشَطَّر ويصحب الشُّطّار ، فخرج هو ورجل من أَشْجَع فيما بين العشائين ، فجلسا على طريق رجل من الصيارفة كان يروح كلّ ليلة بِكِيسه[4] إلى منزله : فلمّا طلَع مقبلا عليهما وثبا عليه فجرحاه وأخذا ما فى كُمِّه فإذا هى ثلاث رُمَّانات فى خِرْقة ولم يكن كيسُه ليلتئذ معه . ومات الرجل فى مكانه واستتر دِعبلٌ وصاحبه . وجدّ أولياء الرجل فى طلبهما ، وجدّ السلطان فى ذلك ، وطال على دعبل الاستتار واضطر إلى أن هرب من الكوفة فما دخلها حتى كتب إليه أصحابه أنّه لم يبق من أولياء الرجل أحد .

قال أبو خالد الخُزاعى الأسلمى : قلتُ لدعبل وَيْحَكَ قد هَجَوْت الخلفاء والوزراء والقواد ، ووَتَرْت الناس جميعا ، وأنت دهرَكَ كلَّه شريد طريد خائف هارب ، فلو كففت

---

(١) هذا قول أبى زيد .

(٢) هذا قول أبى عمرو الشيبانى .

(٣) سماع عن حذيفة بن محمد الطائى .

(٤) فى غ : بكسبه .

عن هذا وصرفت هذا الشر عن نفسك . فقال : إنى تأملت ما تقول[1] فوجدت أكثر الناس لا ينتفع بهم إلا على الرَّهْبَةِ ولا يبالى بالشاعر وإن كان مجيداً إذا لم يخف شره ، ولَمَنْ يتّقيك على عِرْضه أكثر ممّن يرغب فى تشريفه . وعيوب الناس أكثر من محاسنهم ، وليس كل من شرَّفْتَه بِشِعْرٍ شَرُفَ ، ولا كل من وصفته بالجود والمجد والشجاعة ولم يكن ذلك فيه ينتفع[2] بقولك ، فإذا رآك قد أوجعت عِرْض غيره وفضحته أبقَى[3] على نفسه وخاف مثل ما[4] جرى على الآخر . ويحك يا أبا خالد : إنّ الهجاءَ القذع آخِذٌ بضَبُع الشاعر من المديح المُضرع .

فضحكت من قوله هذا وقلت : هذا والله مقال من لا يموت حَتْفَ أنفه !

كان دعبل يقول : أنا ابن قولى :

لا تَعْجَبِى يا سَلْمُ من رَجُلٍ ضَحِكَ المَشِيبُ برأسِهِ فبَكَى

وكان أبو تمام يقول : أنا ابن[5] قولى :

نَقِّل فؤادك حيثُ شئتَ من الهوَى ما الحبُّ إلَّا للحَبيبِ الأوّلِ[6]

وكان الحَمْدُونى يقول : وأنا ابنُ قولى فى الطيلسان :

طَالَ تَرْدادُه إلى الرَّفْوِ حَتَّى لو بَعَثْناه وَحْدَه لتهَدَّى[7]

ومعنى قَوْلهم أنا ابنُ قولى أى أنّى عُرِفتُ به . وقول دعبل[8] :

* لا تعجبى يا سَلْمُ من رجل *

---

(١) فى غ : (بيروت) ما أقول .

(٢) فى غ : انتفع .

(٣) فى غ : اتقاك .

(٤) فى غ : من مثل .

(٥) فى أخبار أبى تمام للصولى/٢٦٣ : أنا كقولى ..

(٦) الصناعتين: ١٥٢ ـ المنتحل: ١٧٧ ـ الشريشى : ١/١٥ .

(٧) تهدى : اهتدى إلى طريقه واسترشد .

(٨) الصناعتين بدون عزو : ٢٣٩ وتمام البيت : ضحك المشيب برأسه فبكى .

مأخوذ من قول مُسْلِم بن الوليد[1] :

مُسْتَعبِرٌ يبكِى على دِمْنَــةٍ ورَأْسُه يَضْحَك فيه الشَيبْ

فجاء دعبل به أجودَ من مسلم ، فهو أحق به منه .

كان دعبل فى شَهْرَزُور[2] ، فدعاه رجل إلى منزله وعنده قَيْنة مُحْسِنة مُجِيدة فغنّت الجارية فى شعر دعبل :

أينَ الشبــاب وأيَّة سَلَكا لاأيْنَ يُطْلَبُ ضَلّ[3] بَلْ هَلَكا

لا تَعْجَبِى يا سَلْمُ من رَجُلٍ ضَحِك الشيبُ برأسه فبَكَى

يا لَيْتَ شِعْرى كَيف يَوْمكما يا صاحِبَىَّ إذا دَمِى سُفِكا

لا تَأْخُذا بظُلامَتِى أَحدًا قَلْبِى وطَرْفِى فى دَمِى اشْتَرَكا

فارتاعَ[4] دعبــل لهذا الشعر وقال : قد قلت هذا الشعر منذ سبعين سنة ! !

قال أحمد بن أبى كامل : كان دعبل يُنْشِدُنى كثيرا من أهاجيه فأقول له : فى مَنْ هذا ؟ فيقول : ما يستحقه[5] من أحدٍ بعينه ، وليس له صاحب ، فإذا وَجَدْتُ[6] على رجل جعلت ذلك فيه وذكرت اسمَه فى الشعر .

قال إبراهيم بن المدبّر : لقيت دعبل بن علىّ فقلت له : أنت أجسرُ الناس عندى حيث تقول[7] :

إنِّى من القـــوم الذين سُيوفهم قَتَلَتْ أخاكَ وشَرَّفَتْكَ بمَقْعَد

(١) ديوان صريع الغوانى :
(٢) شهرزور : بين إربل وهمذان . (ياقوت) .
(٣) فى ك : منك والتصويب من غ ومعجم الأدباء وتهذيب ابن عساكر .
(٤) فى غ : فارتاح وهما بمعنى .
(٥) فى غ : استحقه .
(٦) وجد عليه : غضب .
(٧) البيتان مع أبيات فى تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٣٠/٥ وهما فى المأمون .

رَفَعُوا مَحلَّكَ بعـــد طُول خُمولِه
واستَنْهَضُوكَ[1] من الحَضِيض الأَوْهَدِ

فقال لى : ياأباإسحاق أنا أحمِلُ خشبتى منذ أربعين سنة فلا أجد أحداً يصلبنى عليها!!

كان دعبل يخرج فيغيب سنين يدور الدنيا كلهاويرجع وقد أفادَ وأَثْرَى . وكانت الشُّراة[2] والصعاليك[3] يلقَوْنه فلا يؤذُونه ويوا كلُونه ويشاربونه . وكان إذا لقيهم وضع طعامه وشرابه ودعاهم إليه ودعا بغلامين[4] له مغنيين فيغنّيانهم ويَسْقِيهم ويشرب معهم ويُنشدهم ، وكانوا قد عرفوه وألِفُوه لكثرة أسفاره. فكانوا يواصلونه ويَصِلونه .

ومن شعر دعبل فى بُعدِ سفره :

حَلَّتْ محلاً يَقْصرُ البرقُ دُونَه ويعجِز عنه الطَّيْف أن يتَجَشَّمـا

كان البحترىّ يقول : دعبل أشعَرُ عندى من مُسلم بن الوليد ، فقيل له : وكيف ذلك ؟ قال : لأن كلام دعبل آخَذُ فى كلام العرب من كلام مسلم ، ومذهبه أشبه بمذاهبهم . وكان يتعصّب له .

قال محمّد بن الأشعث : سمعت دِعبلا يقول : ما كانت لأحد قطّ عندى مِنَّة إلّا تمنيت موته .

دخل دِعْبل الرَّىَّ فى أيّام الربيع ، فجاءهم ثلج لم يُرَ[5] مثلُه فى الشتاء . فجاء شاعر من شعرائهم فكتب هذا الشعر فى ورقة ورماها فى دهليز دعبل:

---

(١) فى غ وابن عساكر : استنقذوك .

(٢) الشراة : فرقة من الخوارج .

(٣) الصعاليك : جمع صعلوك ، وهم الذين خلعهم قومهم حذر مايجنونه من شر ومايثيرون من غارات .

(٤) فى غ : بغلاميه ، ثقيف وشغف .

(٥) فى غ : لم يروا .

جاءنا دِعْبِلٌ بِثَلْجٍ من الشِّعْـ ـرِ فجادَت سماؤُنا بالثُّلوجِ
نَزَل الرّيَّ بعد ما سكَنَ البَرْ دُ وقد أينَعت رِياضُ المُروجِ
فكسانا بِبَرْدِه لا كساه اللّـ ـه ثوْباً من كُرْسُفٍ[1] مَحْلُوجِ

فلما قرأها دعبل ارتحل من الريّ .

نخر قوم من خُزاعة على دِعْبل يقال لهم بنو مكلِّم الذئب[2] . فقال دعبل يهجوهم[3] :

تِهْتم علينا بأنَّ الذِّئب كَلَّمَكم وقد لعَمْرِي أبوكُم كَلَّمَ الذِّيبا
فكيف لَوْ كَلَّمَ اللَّيْث الهَصُورَ إذاً أفْنَيْتم الناسَ مأكُولاً ومَشْرُوبَا
هذا السُّنَيْدِيُّ لا أَصْلٌ ولا طَرَفٌ[4] يكلِّم الفيلَ تَصْعِيداً وتَصْوِيبَاً

كان جدّ هؤلاء القوم قد جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فحدّثه أن الذئب أخذ من غنمه شاة فلمّا تبعه غَشِيَهُ بالسيف فقال له : مالى ولك تمنعنى رزقَ الله . قال : فقلت: يا عجباً الذئب يتكلَّم ؟! فقال : أعجب من هذا أن محمّدا صلى الله عليه وسلم نبيٌّ قد بعث بين أظهُركم وأنتم لا تتبعونه . فَبنُوه يفخرون بتكليم الذئب جَدَّهم .

قال دعبل: لمَّا هربتُ من الخليفة بتُّ ليلة بنَيْسَابور وحدى وعزمت أن أعمل قصيدة فى عبد الله بن طاهر فى تلك الليلة ، فإنِّى لفى ذلك ، والباب مردود علىّ ، إذ سمعتُ قائلا يقول : السلام عليكم ورحمة الله، أَلِجُ[5] رَحِمَكَ الله ؟ فاقشعرَّ بدَنى من ذلك ، ونالَنى أمرٌ عظيم ، فقال : لا تُرَعْ فإنى رجل من إخوانك من الجِنِّ المسلمين من ساكنى اليمن طرأ إلينا طارئٌ من أهل العراق فأنشدنا قصيدتك :

(١) كرسف : قطن .
(٢) بنو مكلم الذئب : هم بنو أهبان ، وهم بنو عم دعبل (ابن عساكر : ٥/٢٣٨) .
(٣) الأبيات فى ابن عساكر : ٥/٢٣٨ .
(٤) لا أصل ولا طرف : فى ابن عساكر : لا يسوى أثاوية .
(٥) فى ك : أَعِ والتصويب من غ .

مدارِسُ آياتٍ خلَت من تِلاوةٍ ومنزلُ وَحْيٍ مُقْفِر العَرَصاتِ

فأحببتُ أَنْ أسمعها منك . فأنشدته إياها فبكى حتى خَرَّ ، ثم قال : يرحمك الله ألَا أُحَدِّثك حديثا يزيد فى دِينك ويُعينُك على التمسُّك بمذهبك ؟ ! فقلت : بَلَى . قال : مكثت حينا أسمع بذكر جعفر بن محمد عليهما السلام، فصرت إلى المدينة فسمعته يقول : سمعتُ أبى عن أبيه عن جَدِّى[1] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : علىٌّ وشيعته هم الفائزون. ثمّ ودَّعنى وانصرف. فقلت : يرحمك الله إنْ رأيت أن تخبرنى باسمك فافعل . فقال : أنا ظَبْيان بن عَمّار[2] .

قال إسحاق بن محمّد النَّخَعى : كنت جالسا مع دِعْبِل بالبصرة وعلى رأسه غلامُه ثقيف، إذ مرّ به أعرابى يرفل فى ثياب خز، فقال لغلامه : ادع لى هذا الأعرابى . فأومأ الغلام إليه فجاء. فقال له دعبل : ممَّن الرجل؟ فقال من بنى كِلاب ، قال : من أى ولد كلاب أنت ؟ قال من بنى[3] أبى بكر . فقال له دعبل أتعرف القائل[4] :

ونُبِّئْت كَلْباً من كلابٍ يَسُبُّنِى ومَحْضُ[5] كلابٍ يقطع الصَّلَوات

فإنْ أنَا لم أُعْلِم كِلاباً بأنَّها كِلابٌ وأنِّى باسِلُ النَّقِمات

فكان إذاً من قَيْسِ عَيْلانَ وَالِدِى وكانت إذًا أُمِّى من الحَبَطاتِ[6]

وهذا الشعر يقوله دعبل فى عَمْرو بن عاصم الكلابى . فقال له الأعرابى: ممّن أنت؟

(١) فى غ : جده .

(٢) فى غ : عامر .

(٣) فى غ : ولد .

(٤) تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٥/٢٣٩ .

(٥) فى ابن عساكر : ومر .

(٦) الحبطات : ابناء الحارث بن عمرو بن تميم ، سمى بذلك لأنه أكل صمغا كثيرا فحبط جلده أى ورم (اشتقاق : ٢٠٢) .

فكره أن يقول من خزاعة فيهجوهم . فقال : أنا أنتمى إلى القوم الذين يقول فيهم الشاعر[١] :

أناسٌ علىٌّ الخيرِ منهم وجعفرٌ ... وحمزةُ والسجّادُ ذو الثفِناتِ

إذا فخروا يوماً أتوا بمحمّدٍ ... وجبريلَ والفرقانِ والسُّوراتِ

فوثب الأعرابى وهو يقول: ما إلى[٢] محمد وجبريل والفرقان والسورات مرتقى .

كان المعتصم يبغض دِعْبِلا لطول لسانه ، وبلغ دعبلا أنه يريد اغتياله وقتله ، فهرب إلى الجبل وقال يهجوه :

بَكَى لشَتاتِ الدِّينِ مكتئبٌ صبٌّ ... وفاضَ بفرْطِ الدَّمعِ من عَيْنِه غَرْبُ

وقام إمامٌ لم يكن ذا هدايةٍ ... فليس له دِينٌ وليس له لُبُّ

وما كانت الأنباء تأتى بِمِثْلِهِ ... يُملَّكُ يوماً أو تدين له العُرْبُ

ولكن كما قال الذين تتابعوا ... من السَّلَفِ الماضين إذْ عَظُمَ الخطْب

ملوكُ بنى العباس فى الكُتْبِ سَبْعةٌ ... ولم تأتِنا عن ثامنٍ لهمُ الكُتْبُ[٣]

كذلك أهلُ الكَهْفِ فى الكَهْفِ سَبْعَة ... خيار إذا عُدُّوا وثامنُهم كَلْبُ[٤]

وإنّى لأُعْلِى كَلْبَهم عنك رِفْعَةً[٥] ... لأنّك ذو ذَنْبٍ وليس له ذَنْبُ

لقد ضاعَ مُلْكُ النّاسِ إذْ ساسَ مُلْكَهم ... وَصِيفٌ وأشناسٌ وقد عَظُمَ الخطْبُ[٦]

---

(١) البيتان فى ابن عساكر : ٥/٤٢٠ .

(٢) فى غ : مالى إلى .

(٣) هذا البيت والأبيات التى تليه فى تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٥/٢٣٦ .

(٤) رواية الشطر الثانى فى تهذيب ابن عساكر : غداة ثووا وثامنهم كلب .

(٥) فى تهذيب ابن عساكر : وإنى لأزهى كلبهم عنك رغبة .

(٦) وصيف وأشناس: غلامان اجتلبهم المعتصم وصاروا قودا . ورواية البيت فى ابن عساكر :

فقد ضاع أمر الناس حين تسوسهم ... وحل بهم عسر وقد عظم الخطب

وفَضْل بن مروانٍ تَثلَّم[1] ثُلْمَةً   يظلُّ بها الإسلام ليس له شَعْبُ[2]

قال محمد بن يزيد : سألتُ دِعْبلا عن هـذه الأبيات فأنـكر أن تـكون له ، فقلت : فمن قالها ؟ قال : من حشا الله قبرَه ناراً إبراهيم بن المهدى ، أراد أن يُغرِيَ بي المعتصم فيقتلني لهجائى إياه .

لمّا ورد نَعْيُ المعتصم وقيام[3] الواثق قال دِعْبلٌ بديها :

الحمد لله لا صَـبْرٌ ولا جَلَدُ   ولا عَزاءٌ إذا أَهْلُ البَلا رَقَدُوا

خَليفةٌ ماتَ لم يحزن له أَحَدٌ   وآخرٌ قامَ لَمْ يفرَح به أَحَدُ

فمرَّ هـذا ومرَّ اللؤمُ يتبَعُه   وقامَ هذافقام الظُّلْمُ والنَّـكَدُ[4]

وكان المتوكّل يُرمَى بالأُبْنة ، فمن هجائه ما أنشده عبد الله[5] بن يعقوب عن دعبل :

فلستُ بقائـلٍ قَذَعاً ولـكنْ   لأَمْرٍ ما تعَبَّدَكَ العَبِيدَ

غضب دِعْبل على جَعْفَرِ بن محمد بن الأشعث لشيء بلغه عنه فقال يهجوه :

ما جَعْفَرُ بن محمد بن الأَشْعَثِ   عِنْدِى بخير أُبُوَّةٍ من عَثْعَثِ

عَبَثاً تمرَّس بى فارَس حَيَّةً[6]   سوَّارةً إنْ هِجْتَها لم تَلْبثِ

لم يَعْلَمَ المَغْرورُ ماذا حازَ مِنْ   خِزْيٍ لوالده إذا لم يَعْبَثِ

فلقيه عثعث فقال : عليك لعنـةُ الله . أى شيء كان بيني وبينك حتى ضربت بى المثل فى خِسَّه الآباء؟! فضحك وقال : لا شيء والله إلّا اتفاق اسمك واسم الأشعث فى قافية ! ألا ترضى أن أجعل أباك فى قافية وهو أسود خيرا من الأشعث بن قيس ؟

---

(١) فى غ : سيثلم .

(٢) شعب : اجتماع والتئام .

(٣) قيام الواثق : ولايته .

(٤) ليس فى غ .

(٥) فى غ : عبيد الله .

(٦) روايه غ : عبثا تمارس بى تمارس حية .

قال دعبل : كان لى صديق متخلّف يقول شعراً فاسدا مَرْذولا وأنهــاه عنه ، فأنشدنى يوما :

إنَّ ذا الُحبَّ شَدِيــدٌ ليس يُنْجِيهِ الفَرارُ
ونَجَا من كان لا يَهْـ شق مِنْ ذُلِّ المَخازِى

فقلت له : هذا لا يجوز . البيت الأول على الراء والبيت الآخر على الزاى . فقال : لا تَنْقُطه[1] . قلت : فالأوّل مرفوعٌ والثانى مخفوض . فقال : أنا أقول لا تنقطه وهو يشكله !!

قال محمد بن زكريا بن ميمون الفَرْغانى : سمعتُ دِعْبلا يقول فى كلام جرى : لَيْسَك ، فأنــكرتُه عليه ، فقال : دخل زيد الخَيْل على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم فقال له : « يا زيد ماوُصِفَ لى رجل إلا رأيته دون وصفه لَيْسك » يريد غيرك .

قال دِعْبل وقد أُنْشِدَ قصيدة بكْر بن خارِجة فى عيسى بن البراء النصرانى :

زِنَّارهُ فى خَصْرِه مَعْقُودُ كأنَّه من كَبِـدِى مَقْدُودُ

فقال : ما أعلمنى واللهِ حسدتُ أحداً على شعر كما حسدت بَكْراً على قوله : كأنه من كَبِـدى مقدود.

قال الجاحظ سمعتُ دِعْبلًا يقول : مكثت نحو ستين سنة ليس من يَوْمٍ ذَرَّ شارِقُه إلّا وأنا أقول فيه شعرا .

حضر أبو دُلَف يوماً عند المأمون ، فقال له المأمون: أىَّ شىء تَرْوِى لأخى خُزاعة ياقاسم؟ قال: وأى أخى[2] خزاعة يا أمير المؤمنين ؟ قال : ومَنْ تعرف فيهم[3] شاعرا ؟

(١) نقط الحرف : وضع عليه نقطة أو أكثر لتمييزه .
(٢) فى غ : إخوة .
(٣) فى غ : منهم .

قال : أمّا من الصميم[١] فأبو الشِّيص ودِعْبل[٢] ، وأما من مواليهم فطاهر وابنُه عبد الله . قال: ومن عسى فى هؤلاء أن تُسأل عن شعره سوى دِعْبل ؟ هات أىّ شىء عندك فيه . قال : وأىّ شىء أقول فى رجل لم يُسلِّم عليــه أهلُ بيته حتى هجاهم ، فقرن إحسانَهم بالإساءة ، ونائلَهم[٣] بالمنع ، وكرمهم باللؤم[٤]؟! قال : حين[٥] يقول ماذا ؟ قال : حين يقول فى المطَّلب بن عبد الله وهو أصدق الناس إليه وأقربهم منه ، وقد وفد إليه إلى مصر فأعطاه العطايا الجزيلة ، وولّاه ولم يمنعه ذلك من أن قال فيه :

اضْرِبْ نَدَى طَلْحة الطَّلَحات مبتديا[٦] ... بلــؤم مُطَّلب فينا وكُنْ حَـكَما

تَخْرُجْ خزاعةُ من لُؤْمٍ ومنْ كَرَمٍ ... ولا تُحِسَّ[٧] لها لؤما ولا كَرَما

فقال المأمون لله[٨] درّه ما أغوصه وألطفه وأذْهاه ! وجعل يضحك .

ولم يزل دعبل مائلا إلى مسلم بن الوليد مقرًّا بأستاذيته حتى ورد عليه جرجان فجفاه مسلم ، وكان فيه بُخْل . فهجَرَه دعبل وهجاه ، وتهاجرا . فلم يلتقيا بعد ذلك .

قال دِعْبل[٩] : حججت أنا وأخى رُزَيْن وأخذنا كُتبًا إلى المطّلب بن عبد الله ابن مالك وهو بمصر يتولاها فصرنا من مكّة إلى مصر ، فصحبنا رجل يعرف بأحمد

---

(١) فى غ : أقسمهم .

(٢) فى غ : دعبل وابن أبى الشيص وداود بن رزين .

(٣) فى غ : وبذلهم .

(٤) فى غ : وجودهم بالبخل .

(٥) فى غ (بيروت) : حيث .

(٦) فى غ : متئدا ، والرواية فى ابن عساكر :

اضرب بذى طلحة الطلحات مبتدئا ... ببخل مطلبها فينا وكن حكمـا

(٧) فى غ : وابن عساكر : فلا تعد .

(٨) لله دره : فى غ : قاتله الله .

(٩) الخبر والأبيات فى طبقات ابن المعتز : ٣٠١ـ٣٠٣ (ترجمة أحمد بن الحجاج) .

ابن فلان السرّاج[1] ، فما زال يحدّثنا ويؤنسنا طول طريقنا ويتولّى خدمتنا كما يتولّاها الرفقاء والأتباع . فرأيناه حسنَ الأدب ، وكان شاعرا ولم نعلم ، وكَتَمنا أمرَه[2] ، وقد عَلِمَ ما قصدنا به فعرضنا عليه أن نقول فى المطّلب قصيدة ننحله إياها . فقال : إن شئتم ، وأرانا سرورا بذلك ، وتقبّلا له . فعملنا له قصيدة وقلنا له تنشدها المطلب . فلما وافيناه أوصلنا إليه كتبا كانت معنا وأنشدناه فسرّ بموضعنا ، ووصفنا له أحمد السراج وذكرنا له أمره فأذن له ، فدخل ونحن نظن أنه سينشده القصيدة التى نحلناه إياها . فلما مثل بين يديه أنشد :

لم آتِ[3] مُطّلباً إلّا بمُطّلَبِ ... وهِمَّة بلغت بى غايةَ الرُّتَبِ

أفْرَدْتُه برجاءٍ[4] لن يُشارِكَه ... فيه[5] الوسائل أو ألقاه بالكُتُبِ

قال وأشار إلى كتبي التى أوصلتها إليه وهى بين يديه . فكان ذلك أشدّ علىّ . ثم مرّ فى إنشاده :

رَحَلْتُ عِيسِى إلى البيت الحرام على ... ما كان من وَصَبٍ[6] فيها ومِنْ نَصَبِ[7]

أَلْقَى بها وبوَجْهِى كلَّ هاجِرَةٍ ... تكاد تقدح بين الجِلْد والعَصَبِ

حتى إذا ماقضَت[8] نُسْكِى ثَنَيْتُ[9] لها ... عِطفَ[10] الزِّمام فأمَّتْ سيِّدَ العَرَبِ

---

(١) السراج : هو أحمد بن الحجاج كما فى طبقات ابن المعتز ، وهو مولى من موالى المنصور ، وفى غ : قال : نسى عبد الله بن أبى الشيص (وهو راوى الخبر) اسم أبيه .

(٢) فى غ : قصه .

(٣) فى الطبقات : ما زرت .

(٤) فى الطبقات : ببيانى .

(٥) فى الطبقات : فى .

(٦) فى الطبقات . تعب .

(٧) فى الطبقات : دأب .

(٨) فى الطبقات : انقضى .

(٩) فى الطبقات : ثنى .

(١٠) فى الطبقات عطفت .

فَيَمَّمَتْك وقد ذابتْ مفاصِلُها   من طُول ما تَعَبٍ لاقَتْ ومن وَصَبِ
إنى استجرتُ[1] بإستارَيْن[2] مُستَلِماً   رُكْنَيْن مُطَّلبا والبَيْتَ ذا الحُجُبِ
فذاكَ للآجِــل المأمول أَلْمَسُه   وأنتَ للعاجل المرجُوّ والطَّلَبِ[3]
هذا ثَنائِى[4] وهذى مصر سانحة   وأنتَ أنتَ وقد ناديتُ من كَثَبِ

قال : فصاح المطّلب : لبّيك لبّيك . ثم قام إليه وأخذ بيده وأجلسه ثم قال : يا غلمان البدَر . فأحضرت، ثم قال: ياغلمان الخِلَع فنُشرت، ثم قال: الدّوابّ فقِيدَت، وأمر له من كل ذلك بما ملأ عينه وأعيننا وصدره وصدْرنا وحسدناه عليه. وكان حسدنا له لما اتفق له من القول[5] وجودة الشعر ، وغيظنا بكتمانه إيانا نفسه واحتياله علينا أكبر وأعظم . فخرج بما أمر له به وخرجنا صفرا . فمكثنا أياما ثم ولّى دِعبل على أسوان .

وكان دعبل قد هجا مُطّلبا غيظا منه فقال :

تُعَلِّق[6] مصرُ بك المُخْزِيات   وتَبْصُق فى وجْهك المَوْصِــلُ
وعاديتَ قومــاً فما ضَرَّهم   وشَرَّفتَ قوماً فلم يَنْبُلوا
شِعارُكَ عند الحروبِ النَّجَــاءُ   وصاحِبُك الأَخْوَرُ الأَفْشَلُ
فأنتَ إذا ما الْتَقَوا آخِرٌ   وأنتَ إذا انْهزمــوا أوّلُ

---

(١) فى الطبقات : اعتصمت .
(٢) الإستار : الستر .
(٣) الرواية فى الطبقات :
فالبيت للآجل المرجو آجله   وأنت للعاجل المرجوّ للرغب
(٤) فى الطبقات : رجائى .
(٥) فى غ : القبول .
(٦) فى طبقات ابن المعتز : تنوط .

وكانت قصيدة دعبل التى مدح المُطّلب بها :

أَبَعْدَ مِصْرٍ وبعد مُطّلِبٍ ... تَرْجُوا الغِنَى إنّ ذا من العَجَبِ
إنْ كاثرونا جِئْنا بأُسْرَتِه ... أو وَاحَدُونا جِئْنا بِمُطّلبِ

بلغ المُطّلبَ هجاءُ دعبلٍ إياه بعد أن ولّاه فعزله عن أسْوان وأنفذ إليه كتاب العزل مع مولًى له ، وقال : انتظره حتّى يصعد المِنْبر يوم الجمعة ، فإذا علاه فأوصِلْ الكتاب إليه وامنعه من الخُطْبة وأنْزِله عن المنبر ، واصْعَد مكانه . فلمّا علا المنبر وتنحنح ليخْطُبَ ناوله الكتاب . فقال له دعبل : دعنى حتى أخطب وإذا نزلت قرأتُه . فقال له : لا قد أمرنى أن أمنعك الخُطْبَةَ حتى تقرأه فأنزله عن المنبر معزولا .

قال أحمدُ بن مَرْوان : دخلتُ على أبى سعد المخزومى يوماً وهو يقول : وأىّ شىء ينفعنى؟ أُجوِّدُ فلا يُرْوَى ويُرْذِلُ فيُرْوَى ، ويفضحنى رَديئه ولا أفضحه بجَيّدى ! فقلت : مَنْ تَعنِى يا أبا سعد ؟ قال : ومَنْ ترانى أعنِى إلّا من عليه لعنة الله دعبل . قلت فيه :

ليس لُبْس الطيالِسِ[1] ... مِنْ لِبـاس الفوَارِسِ
لا ولا حَوْمَـةُ الوَغَى ... كصُدُور المجـالِس
ضَرْبُ أوتارِ نَقْنَقٍ[2] ... غيْرُ ضرب القَوانِسِ[3]
وظُهُـور الجِياد غيْــ ... ــر ظُهُــورِ الطّنافِسِ
ليس من مارَسَ[4] الحُرُو ... بَ كمَنْ لم يُمارِسِ

---

(١) الطيالس : جمع طيلسان ، وهو ضرب من الأوشحة يلبس على الكتف أو يحيط بالبدن خال من التفصيل والخياطة .

(٢) نقنق : غلام دعبل وكان مغنيا له .

(٣) فى ك : النواقس ، والتصويب من غ ورجحنا هذه القراءة لأنها مناسبة لمقابلاته فى الحرب وما إليها . والقوانس جمع قونس وهو أعلى البيضة الحديد أو مقدمها .

(٤) فى غ : ضارس . وضارس : جرب وعرف ؛ وهما بمعنى .

بأبى غرسُ فتيةٍ من كرام المغارس
فتيةٍ من بنى المغيرة شُمٍّ[1] المعاطس
يُطعِمون السَّديف[2] فى كلّ شهباء دامس[3]
فى جفانٍ كأنّها من جفان العرائس
ثم يمشون فى السَّنوَّر مشىَ القناعس[4]
ويخوضون باللّوا ء دماء الأبالس
نحن خيل الأيام عِنْ د قياس القايس

فوالله ما التفت إليه من مِصْرنا إلّا علماء الشعر . وقال هو فىّ :

يا أبا سَعْدِ قَوْصَرَهْ زانىَ الأُخْتِ والمَرَهْ[5]
لو تراهُ مُجَبِّيًا[6] خلفه عقد قنطرهْ
أو ترى الأيرَ فيه قُلْتَ ساقٌ[7] بقنطرهْ

فوالله لقد رواها صبيان المكتب ومارّة الطرق والسّفل . فما أجتاز بموضع إلّا سمعته من سِفْلة يهُذّه[8] هذًّا فمنهم من يعرفنى فيعنينى به ، ومنهم من لا يعرفنى فأسمعه منه لسهولته على لسانه.

---

(١) شم المعاطس : أباة أعزة .

(٢) السديف : شحم السنام .

(٣) دامس: كذا فى غ، وفى مخطوطة: جامس، والجامس: الجامد.

(٤) السنور : جملة السلاح ـ القناعس : فى غ: العنابس والقناعس: جمع قنعاس : الضخم العظيم الطويل من الإبل ـ أما العنابس : فهو جمع عنبس وهو الأسد .

(٥) المره : المرأة يعنى الزوجة .

(٦) فى الطبقات : جاثيا. ومجبيا : واضعا يديه على ركبتيه أو على الأرض كما يفعل فى السجود من قولهم جبى تجبية .

(٧) فى ك : شياف وفى طبقات ابن المعتز : بيت ولعلها يبب والتصويب من غ .

(٨) يدارك فيه ، ويقوله بسرعة .

قال إسماعيل بن إبراهيم بن ضمرة الخزاعي : سألت دِعْبلا أن أقرأ عليه قصيدته التي يناقض فيها الكميت[1] :

أفيقي من ملامكِ يا ظعينا . كفاكِ اللَّوْمَ[2] مَرُّ الأربعينا

فقال له : يا أبا الحسن فيها أخبار وغريب ، فليكن معك رجل يقرؤها عليّ وأنت معه ، فيكون أهون عليّ منك . فقلت له : قد اخترتُ صديقا لى يقال له علىّ . فقال : أمن العرب هو ؟ قلت : نعم . قال : من أيّ العرب هو ؟ قلت : من بنى شَيْبان . قال: شيبان كندة أو شيبان ربيعة ؟ قلت : شيبان ربيعة ـ فقال لى : ويحك تأتينى برجل أُسْمِعُه ما يكره فى قومه؟! فقلت له : إنه رجل يحتمل ويحب أن يسمع مالَه وما عليه . فقال : فى مثل هذا رغبة[3] فأتِنى به . فلما صِرنا إليه قال : قد أخبرنى عنك أبو الحسن بما سُررت به إذ[4] كنت رجلا من العرب تسمع ما لَك وما عليك . فقرأنا عليه الشعر حتى إذا انتهَيْنا فى القصيدة إلى هذا البيت :

مِنَ ايّ ثَنِيَّةٍ طلعت قُرَيْشٌ وكانُوا مَعْشراً مُتَنَبِّطينا

فقال دعبل : معاذ الله أن يكون هذا البيت لى . ثم قال : لعنه الله قد انتقم منى[5] ، يعنى أباسعيد[6] المخزومى ، ودسّه والله فى الشعر . وضرب بيده إلى سكين كانت معنا فجرَد البيت بحدّها ، ثم قال لنا : أحدثكم بظريفة :

جاءنى يوما أبو سعد المخزومى هذا ببغداد أشد ما كان بينى وبينه الهجاء وبين يدىّ صحيفة ودواة وأنا أهجوه فيها ، إذ دخل علىّ غلام فقال لى: أبو سعد المخزومى على الباب.

(١) تهذيب ابن عساكر : ٥/٢٤٠ .

(٢) فى ابن عساكر : الشيب .

(٣) فى غ : أريحية .

(٤) فى غ: أن.

(٥) قد انتقم منى : فى غ : وانتقم منه .

(٦) فى ك : سعيد ، والتصويب من غ .

فقلت له: كذبت . فقال : بلى والله يامولاى . فأمرته فرفع الدواة والجِلْد الذى كان بين يدىّ ، وأذنت له فى الدخول وجعلت أحمد الله فى نفسى وأقول : الحمد لله الذى أصلح ما بينى وبينه من هتك الأعراض وذكر القبيح . وكان الابتداء منه . فقمت إليه وسلّمت عليه وهو ضاحك مسرور ، فأبديت له مثل ذلك من السرور به ، ثم قلت له: أصبحت والله حاسدا لك! قال: على ماذا ياأباعلى ؟ قلت : لسبقك إياى بالفضل . فقال : أنا اليوم فى دعوة[1] عندك . فقلت : قل ما أحببت . فقال : إن كان عندك ما نأكله وإلّا ففى منزلى شىء معدّ . فسألت الغلمان فقالوا : عندنا قدور إمْسِيَّة[2] ، فقال : غاية واتفاق جيد ! فهل عندك شىء نشربه وإلّا وجهت إلى منزلى ففيه شراب معدّ ؟ فقلت له : عندنا مايشرب. فطرح ثيابَه وردّ دابّته وقال : أحب ألا يكون معنا غيرُنا . فتغدينا وشربنا. فلما أن أخذمنا الشراب قال : مر غلاميك يغنّيانى، فأمرت الغلامين فغنّياه فطرب وفرح واستحسن الغناء حتى سرنى وأطربنى معه . ثم قال: حاجتى إليك يا أبا على أن تأمرهما أن يغنيانى فى هجائك لى . وكان الغلامان لكثرة مايسمعانه منّى فى الهجاء له قد حفظا منه أشياء ولَحناها . فقلت له: سبحان الله يا أبا سعد ، قد طُفِئت النائرة[3] وذهبت العداوة بيننا وانقطع الشر فما حاجتك إلى هذا ؟ فقال : سألتك بالله إلّا فعلت ، فليس يشقّ ذلك علىّ ، ولو كرهته ما سألته . فقلت فى نفسى أرى أبا سعد يتماجَنُ[4] علىّ ، يا غِلمان غنّوه بما يريد . فقال غنوا :

يا أبا سَعْد قَوْصَرَه زَانِى الأُخْتِ والمَرَهْ

فغنَّوْهُ وهو يحرّك رأسه وكتفيه ويطرب ويصفّق . فما زلنا يومنا مسرورين ،

---

(١) فى ك : دعوى ، والتصويب من غ . وفى مخطوطة غ : أنا عندك وفى دعوتك .

(٢) فى غ : قدر إمسية . منسوبة إلى الأمس ، ولعلها رمسية ؟ منسوبة إلى الرمس وهو الدفن فى الرماد الحار .

(٣) النائرة : العداوة والشحناء .

(٤) يتماجن : يتمازح ويخلط الجد بالهزل .

فلما تَمِلَ وَدَّعنى وقام وانصرف ، فأمرت غلمانى فخرجوا معه إلى الباب . وإذا غلام منهم قد انصرف إلىّ بقطعة قِرطاس وقال : دفعها إلىّ أبو سعد وأمرنى أن أدفعها إليك ، فقرأتها فإذا فيها :

لدِعْبل مِنَّـــة يعتُّ[1] بها ۔۔۔ فلستُ حتَّى المَماتِ أَنْساها

أَدْخَلَنا بيتَــه وأَكْرَمَنا ۔۔۔ ودَسَّ إمْراته[2] فنِكْناها

فقلت : ويلى على ابن الفاعلة : هاتوا جِلْدًا ودَواة فردّوها علىّ . فعدت إلى هجائه . ولَقِيتُهُ بعد[3] يومين أو ثلاثة فما سلّم علىّ ولا سلّمتُ عليه .

قال دعبل : لمّا هجوت أبا سعد[4] أخذت معى جَوْزًا كثيراً ودعوت الصبيان ففرّقته عليهم وقلت لهم : صِيحوا :

يا أبا سَعْد قَوْصَرَهْ ۔۔۔ زانى الأُخْتِ والمَرَهْ

فصاحوا به وعطعطوا[5] عليه فغلبته .

ومن شعر دعبل يعرّض بإبراهيم بن المهدى[6] :

أَنَّى يكونُ ولا يكونُ ولم يَكُنْ ۔۔۔ يَرِثُ الخِلافَةَ فاسِقٌ عن فاسقٍ

إن كان إبراهيم مُضْطَلِعاً بهـا ۔۔۔ فَلَتَصْلُحَنْ من بَعْدِه لِمُخَارِقِ

دخل دعبل على عبد الله بن طاهر ببغداد فأنشده :

جئت بلا حُرْمَةٍ ولا سَبَبِ ۔۔۔ إلَيْكَ إلَّا بحُرْمَةِ الأَدَبِ

فاقْضِ ذِمامِى فإنَّنى رَجُلٌ ۔۔۔ غير مُلِحٍّ عليك فى الطَّلَبِ

---

(١) فى غ . يعن .

(٢) إمراته : امرأته (بتسهيل الهمزة لضرورة الشعر) .

(٣) فى غ (بيروت) : بعد ذلك بيومين . وما هنا موافق لما فى غ (بولاق) .

(٤) فى ك : سعيد : والتصويب من غ .

(٥) عطعطوا : صاحوا فى ضجة واختلاط .

(٦) الشعر والشعراء : ٨٢٧ .

فانتقل[1] عبدُ الله ودخل إلى دار الحرم ووجّه إليه بصرّة فيها ألف درهم وكتب إليه :

أعجلتنا فأتاك عاجلُ برِّنا ولو انتظرتَ كثيره لم يَقْلِلِ
فخُذ القليل وكن كأنَّك لم تَسَلْ ونكون نحن كأنّنا لم نفعَلِ

هجا دِعبلُ مالكَ بنَ طوق فقال :

سألتُ عنكم يا بني مَالِكٍ في نازح الأَرْضِين والدَّانِيَه[2]
طُرًّا فلم تُعْرَف لكم نِسْبَةٌ حتى إذا قلتُ : بنو الزانيَهْ
قالوا: فدع دَارًا على يَمْنَةٍ[3] وتلك ها دارُهم الشانيَه[4]

ومما قال فيه أيضا :

لا حَدَّ[5] أخشاهُ على مَن قال أُمُّك زَانِيَهْ
يا زانيَ ابن الزانى ابـن الزانى ابن الزّانيَهْ
أنت المُرَدَّد فى الزّنا ء على السّنين الخاليَهْ
ومُرَدَّدٌ فيه على كَرِّ السنين الباقيَهْ

وبلغت الأبياتُ مالكا فطلبه فهرب ، فأتى البصرة وعليها إسحاق بن العباس وكان بلغَه هجاء دعبل وعبد الله بن أبى عيينة نزارا .

فأمّا ابن أبى عيينة فإنّه هرب . فلم يظهر بالبصرة طول أيّامه ، وأمّا دعبل فإنه لمّا دخل البصرة قبض عليه ودعا بالنِّطع والسيف ليضربَ عنقه ، فحلف بالطلاق على جَحْدها وبكل يمين أنّه لم يَقُلْها ، وأنّ عدوًّا له قالها ، إمّا أبو سعد أو غيره ،

(١) فى غ (بولاق) : فانتقل .
(٢) فى غ: (بيروت) نازح الأرض، وفى الدانية وما هنا متفق مع (غ بولاق) .
(٣) فى غ : يمنة .
(٤) فى غ : ثانية .
(٥) حد : عقوبة .

ونسبها إليه لِيُغْرِىَ بدمه ، وجعل يتضرّع إليه ويقبّل الأرض ويبكى بين يديه . فرقّ له فقال: أما إذْ أعفيتُك من القتل فلابد أن أشهرك . ثم دعا بالعصىّ فضربه بها حتى سَلَح ، وأمر به فأُلْقِىَ على قفاه وفُتِح فمُه فرُدَّ ساحه فيه ، والمَقارع تأخذ رِجْلَيْه ، وهو يحلف أن لا يكفّ حتى يستوفيه ويبلعه أو يقتله ، فما رُفعت عنه حتى بلع سَلْحه كله ، ثم خلّاه . فهرب إلى الأهواز .

وبعث مالك بن طوق رجلا مِقداما وأعطاه سُمًّا وأمره أن يغتاله كيف شاء ، وأعطاه على ذلك عشرة آلاف درهم ، فلم يزل يطلبُه حتى وجده فى قرية من قرى[1] السُّوس . فاغتاله بعد صلاة العتمة ، فضرب ظهر قَدَمِه بعكّاز لها زُجّ مسموم فمات من غَدٍ ، ودفن فى[2] تلك القرية . وقيل : حُمِل إلى السُّوس فدُفِن بها[3] .

وأمر إسحاق بن العباس شاعراً يقال له الُحسين بن زيد ويكنى أبا الدلفاء فنقض قصيدتى دِعْبل وابن أبى عُيَيْنَة بقصيدة أوّلها :

أَمَا تَنفَكُّ متبــولًا حَزِينَا تُحِبُّ البِيضَ تَعْصِى العاذِلينا

يهجو بها قبائلَ اليمن ويذكُر مثالبهم ، وأمر بتفسير ما تضمّنته وذِكْر الأيام والأحوال ، ففعل ذلك وسمّاها الدّامِغَة وهى موجودة .

(١) فى غ : نواحى .
(٢) فى غ : بتلك .
(٣) فى غ : فيها .

حرف الذال

وَقعة ذِي قَار*

كان كسرى أَبْرَوِيز بن هُرْمُز قد غضب على النُّعمان بن المنذر ، فأتى النعمانُ هانئ بن مسعود بن عامر بن عَمْرِو بن ربيعة[1] بن ذُهل بن شَيْبان فاستودعه ماله وولده وأهلَه وألف شِكَّة أو أربعة آلاف شِكَّة، والشِّكَّة: السلاح كله . ووضع وضائع[2] عند أحياء العرب ثم هرب ، فأتى طيِّئًا لصهره فيهم . وكانت عنده فرعة بنت سعيد ابن حارثة بن لأم[3] وزينب بنت أوس بن حارثة بن لأم ، فأبوا أن يُدْخلوه جَبَلَهم . وأتته بنو رَواحة بن ربيعة بن عبس . فقالوا له : أبيتَ اللَّعْن ، أقم عندنا فإنّا مانعوك ممّا نمنع منه أنفسنا . فقال: ماأحب أن تَهْلِكُوا بسببي ، فجزيتم[4] خيراً . ثم خرج حتّى وضع يده فى يد كسرى ، فحبسه بساباط[5] .

فلما هَلَكَ النُّعمانُ جعلت بكر بن وائل تُغير فى السواد ، فوفد قيس بن مسعود ابن قيس بن خالد[6] ذى الجدين بن عبد الله بن عمرو إلى كسرى ، فسأله أن يجعل له أكلا وطُعمة، على أن يضمن له على بكر بن وائل أن لا يدخلوا السواد ولا يفسدوا فيه ،

---

* الأغانى (بولاق) ٢٠/١٣٢ـ١٤٠ (بيروت) : ٢٣/٢٢٠ـ٢٤١ـ نهاية الأرب : ١٥

(١) فى ك : أبى ربيعة والتصويب من غ

(٢) فى غ : ودائع .

(٣) لأم : ليس فى غ (بولاق) .

(٤) فى غ : وجزاهم ، وما هنا موافق لمخطوطة بهامش غ .

(٥) ساباط : موضع بالمدائن لكسرى أبرويز .

(٦) فى غ : خالد بن ذى الجدين . وماهنا موافق لما فى الاشتقاق لابن دريد : ٣٥٩ (هارون)

فأقطعه الأُبُلَّةَ وما والاها ، وقال : هي[1] تكفيك وتكفي أعراب قومك .

وكانت له حُجْرة[2] فيها مائة من الإبل للأضياف إذا نُحرت ناقة ردّ مكانها[3] أخرى ، وإيَّاه عنى الشمَّاخ بقوله[4] :

ارفع بألبانها عنكم كما رفعَتْ عنهم لِقاحُ بنى قَيْسِ بن مَسْعُودِ

وكان يأتيه من أتاه منهم فيعطيه جُلَّة[5] تمر وكِرْباسة[6] ، حتى قدم الحارث ابن وَعْلَةَ بن مُجالد بن يثربى بن الديّان بن الحارث بن مالك بن شيبان بن ذُهل بن ثعلبة ، والمكسر[7] بن حنظلة بن ثعلبة[8] بن سيار بن حي بن حاطبة بن الأسعد[9] بن خزيمة ابن سعد بن لجيم[10] فأعطاهما جُلَّتى تمر وكِرْباسين فأَبَيا أنْ يقبلا ذلك وغضبا، فخرجا فاستَغْوَيا أناساً من بنى بكر بن وائل ، ثم أغارا على السواد، وأغار الحارث على أسافل[11] رودمَيْسان، وأغار المكسر على الأنبار ؛ فلما بلغ ذلك كسرى اشتدّ حنقه على بكر بن وائل، وبلغه أن حَلْقة النُّعمان وولده وأهله عندهم ، فأرسل إلى قيس بن مسعود وهو بالأُبُلّة فقال : لقد غررتني من قومك فزعمت أنك تكفينيهم[12] ، وأمر به فحُبس بساباط. وأخذ كسرى فى تعبئة الجيوش إليهم . فقال قيس بن مسعود وهو محبوس من أبيات:

(١) فى غ : هل .
(٢) الحجرة : حظيرة الإبل .
(٣) رد مكانها : فى غ (بولاق) : أقيدت أخرى .
(٤) الديوان :
(٥) الجلة : القفة الكبيرة .
(٦) الكرباسة : ثياب خشنة .
(٧) فى مخطوطة غ : المكشر .
(٨) فى غ : حنظلة بن حي بن ثعلبة .
(٩) فى غ : اسعد بن جذيمة .
(١٠) فى غ : سعد بن عجل بن لجيم .
(١١) فى هامش ك : أعالى .
(١٢) فى ت : تكفهم .

أَلَا أَبْلغ بنى ذُهْــلٍ رَسُـولًا ... فمَنْ هــذا يكون لـكم مَكانِى
أَيأ كُلُها ابنُ وَعْلَة فى ظَلِيفٍ[1] ... ويأمن هَيْثَمٌ وابنـا سِنانِ[2]

ثم بعث كسرى إلى هانئ يقول له : إنّ النعمان إنّما كان عاملى وقد استودعك مالَه وأهله والَحلْقة ، فابعث إلىّ بها ولا تـكلّفنى أن أبعث إليك وإلى قومك بالجنود فتقتل المقاتِلَة وتسبى الذريّـة . فبعث إليه هانئ : إن الذى بلغك باطل ، وما عندى لا[3] قليل ولا كثير ، وإن يكن الأمر كما قيل فإنّما أنا أحـد رجلين : إمّا رجل استودع أمانة فهو حقيق على أن يردّها على من استودعها ، ولن يسلّم الُحرّ أمانته ، أو رجل مكذوب عليه ، وليس ينبغى للملك أن يأخذه بقول عدو أو حاسد . وكانت الأعاجم لهم قوّة وحلم ، وكانوا قد سمعوا بعض حِكَم[4] العرب وأن المُلْك كائن[5] فيهم . فلما ورد عليه كتاب هانئ بهذا حملته الشفقة أن يكون ذلك قد اقترب ، فأقبل حتى قطع الفرات ـــ فنزل غَمْر بنى مُقاتل ، وقد أحنقه ما صنعت بكر بن وائل فى السواد ، ومنعُ هانئ إياه ما منعه .

ودعا كسرى إياسَ بنَ قَبِيصَة الطائى وكان عاملَه على عين التّمْر وما والاها إلى الحيرة ، وكان كسرى قد أطعمه ثمانين قرية على شاطئ الفرات ، فأَتَى فى صنائعه من العرب الذين كانوا بالحيرة ، فاستشاره فى الغارة على بكر بن وائل ، فقال له : ماذا ترى ؟ وكم ترى أن نُغْزِيهم من الناس ؟ فقال له إياس : إنّ المَلِك لا يصلح

---

(١) فى ظليف : بغير حق ، يقال : ذهب به ظليفا (ل: ظلف) وأورد البيت بدون نسبة .
(٢) هيثم وابنا سنان يريد الهيثم بن جرير بن يساف بن ثعلبة بن سدوس بن شيبان بن ذهل ابن ثعلبة ، وأبو علباء بن الهيثم .
(٣) فى غ : قليل .
(٤) فى غ : علم .
(٥) كائن فيهم : فى مخطوطة غ : واصل إليهم .

أن يغضبه[1] أحدٌ من رعيته وإن تطمئن لم تُعلم أحداً لأىّ شىء عَبَرت وقطعت الفرات ، فيرون أن أمر[2] العرب قد كَرَبَك . ولكن تَرجع وتضرب عنهم ، وتبعث عليهم العيون حتى ترى منهم غِرّة ، ثم ترسل حينئذ كتيبة[3] من العجم فيها بعض القبائل التى تليهم فيوقعون بهم وقعة الدهر ، ويأتونك بطَلِبَتِك . فقال له كسرى : أنت رجل من العرب ، وبكرُ بن وائل أخوالك فأنت تتعصّب لهم لا تألُوهم نصحا — وكانت أمّ إياس أمامة بنت مسعود أخت هانىء بن مسعود — فقال إياس : الملك[4] أفضل رأيا .

فقام عمرو بن عدىّ بن زيد العبادى وكان كاتبه وتَرْجُمانة بالعربية فى أمور العرب ، فقال له : أقم أيها الملك وابعث إليهم بالجنود يكفوك . وقام إليه النعمان بن زُرعة من ولد السفّاح التغلبى فقال له : أيها الملك إنّ هذا الحىّ من بكر بن وائل إذا قاظوا[5] بذى قار[6] تهافتوا تهافت الجراد فى النار . فعقد للنعمان ابن زُرعة على تَغْلب والنمر ، وعقد لخالد بن يزيد البَهْرانىّ على قُضاعة وإياد ، وعقد لإياس بن قبيصة على جميع العرب ومعه كتيبتاه : الشَهباء والدَّوسر ، فكانت العرب ثلاثة آلاف، وعقد للهامَرْز على ألف من الأساورة ، وعقد لخُنَازِرِين[7] على ألف ، وبعث معهم باللّطيمة وهى عِيرٌ كانت تخرج من العراق فيها البز والعطر والألطاف توصل ذلك إلى باذام عامله باليمن ، وقال : إذا فرغتم من عدوّكم فسيروا بها إلى اليمن .

---

(١) فى غ : يعصيه . وفى ك بدون نقط .

(٢) أمر العرب : فى غ : شيئا من العرب .

(٣) فى غ : حلبة ، وفى مخطوطة : خيلة .

(٤) الملك أفضل رأيا : فى غ : رأى الملك أفضل .

(٥) فى غ (بولاق) : أحاطوا .

(٦) ذوقار : ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط .

(٧) فى غ: لخنابرين . وفى مخطوط غ : لخنابورين . وفى معجم البلدان (قار) : وخنابر .

وأمر عمرو بن عدى أن يسير بها . وكانت العرب تخفرهم[1] حتى تبلغ اللطيمة إلى اليمن .

وعهِدَ كسرى إليهم إذا شارفوا بلاد بكر بن وائل ودنوا منها أن يبعثوا إليهم النعمان بن زُرعة ، فإنْ أتوكم بالحلْقة ومائة غلام منهم يكونون رُهُناً بما أحدث سفهاؤهم فاقبلوا منهم ، وإلا فقاتلوهم .

فلما بلغ بكرَ بن وائل الخبرُ سار هانئ بن مسعود حتى نزل[2] بذى قار ، وأقبل النعمان بن زرعة حتى نزل على ابن أخته مرّة[3] بن عبد الله بن معاوية بن عبد[4] بن سعيد بن قيس بن سعد بن عجل ، فحمد النعمانُ اللهَ وأثنى عليه ثم قال : إنكم أخوالى وأحد طرفىّ ، وإن الرائد لا يكذب أهله ، وقد أتاكم مالا قِبَل لكم به من أحرار فارس وفرسان العرب والكتيبتان الشهباء والدَّوسر ، وإن فى الشر خيارا ، ولأن يفدىَ[5] بعضكم بعضا خير من أن تُصطَلَموا . انظروا هذه الحلقة فادفعوها وادفعوا رُهُناً من أبنائكم إليه بما أحدث سفهاؤكم . فقال له القوم : ننظر فى أمورنا ، وبعثوا إلى من يليهم من بكر بن وائل ، وبرزوا ببطحاء ذى قار بين الجَلْهتَين ، وجلهة الوادى مقدمة مثل جَلْهة الرأس إذا ذهب شعره ، يقال رأس أَجْلَه .

وجعلت بكر بن وائل حين بعثوا إلى من حولهم من قبائل بكر لا تُرْفع لهم جماعة إلا قالوا سيِّدنا فى هذه الجماعة ، إلى أن رُفعت لهم جماعة فيها حَنْظَلة بن ثعلبة ابن سيّار[6] بن حيى بن حاطبة بن الأسعد بن خزيمة[7] بن سعد بن عجل ، فقالوا

---

(١) فى غ : تخفرهم وتجيزهم .

(٢) نزل بذى قار : فى غ : انتهى إلى ذى قار فنزل به .

(٣) فى غ : مرة بن عمرو بن عبد الله .

(٤) فى غ : عبد الله .

(٥) فى غ : يفتدى .

(٦) فى ك : سنان ، والتصويب مما تقدم .

(٧) فى غ : جذيمة .

يا أبا مَعْدان : لقد طال انتظارنا وقد كرهنا أن نقطع أمراً دونك ، وهذا ابن أختك النعمان بن زُرعة قد جاءنا ، والرائد لا يكذب أهله . قال : وما الذى أجمع رأيكم عليه ؟ قالوا : قلنا اللَّخْىُ[١] أهونُ من الوَهْى، وإنّ فى الشر خيارا ، ولأن يُفدى بعضُنا بعضا خير من أن نُصْطَلم جميعا . فقال حنظلة : قبّح الله هذا رأيا! لا يجر أحرار فارس غُرَلها ببطحاء ذى قار ، وأنا أسمع صوتا[٢]!!

ثم أمر بقبّته فضربت بوادى ذى قار ونزل ، ونزل الناس فأطافوا به . ثم قال لهانئ بن مسعود : يا أبا أمامة إنّ ذمتكم ذمتنا عامّة ، وإنه لن يوصل إليك حتى تفنى أرواحنا ، فأخرج هذه الحَلْقة ففرّقها بين قومك ، فإن نَظْفر فستردّ عليك ، وإن نهلك فأهون مفقود . فأمر بها فأخرِجَتْ ففرّقها بينهم. ثم قال حنظلة للنعمان: لولا أنك رسول لما أُبْتَ إلى أهلك[٣] سالما . فرجع النعمان إلى أصحابه فأخبرهم بما ردّ عليه القوم، فباتوا ليلتهم يستعدّون[٤] للقتال ، وباتت بكر بن وائل يستعدّون[٥] للحرب .

فلما أصبحوا أقبلت الأعاجم نحوهم ، وأمر حنظلة بالظُّعن جميعا فَوقَفَها خلف الناس ، ثم قال : يامعشر بنى[٦] بكر بن وائل قاتلوا عن ظُعنكم أَوْ دعوا . وأقبلت الأعاجم يسيرون على تعبئة ، فلما رأتهم بنو قيس بن ثعلبة انصرفوا فلحقوا بالخباء[٧] فاستخبوا[٨] فيه فسمى خباء بنى قيس بن ثعلبة، وهو موضع خفى، ولم يشهدوا ذلك اليوم.

(١) فى ك : اللحى بالمهملة، ومعناه إن الموت خير من الضعف. يقال لحيته لحيا : قشرته. واللخى بالمعجمة ، يراد منه : إعطاء المال وما يطلبه كسرى من الحلقة .

(٢) وأنا أسمع صوتا : يريد وأنا حى .

(٣) فى غ : قومك .

(٤) فى غ : مستعدين .

(٥) فى غ : يتأهبون .

(٦) فى غ : بكر .

(٧) فى غ : بالحى .

(٨) فى غ : فاستخفوا .

وكان ربيعة بن غَزالة السكونى ثم التُّجِيبىّ هـو وقومه يومئذ نُزُولًا فى بنى شيبان ، فقال : يا بنى شيبان أما إنى لو كُنتُ منكم لأشرت عليكم برأى مثل عروة العِكْم[1]. قالوا : وأنت والله من أوسطنا ، أشِرْ علينا . قال : لا تستهدفوا لهذه الأعاجم فتهلككم بنُشَّابها ، ولكن تكَرْدَسوا[2] لهم كراديس فيشدّ عليهم كُرْدُوس ، فإذا أقبلوا عليه شدّ الآخر . قالوا : فإنك قد رأيت رأياً ففعلوا .

فلما التقى الزحفان وتقارب القوم قام حنظلة بن ثعلبة فقال : يا معشر بكر بن وائل إن النشّاب الذى مع الأعاجم يعرفكم ، فإذا أرسلوه لم يُخْطِئكم ، فعاجلوهم اللقاء[3] وابدأوهم[4] . ثم قام هانئ بن مسعود فقال : يا قوم مَهْلك معذور خير من مَنْجًى[5] مغرور ، إنّ الحذر لا يدفع القَدَر ، وإن الصبر من أسباب الظفر ، المنيّة ولا الدنيّة ، واستقبال الموت خير من استدباره ! يا قوم جدّوا فما من القوم[6] بدّ ، فتحٌ لو كان له رجال ، أسمع صوتاً ولا أرى قوما[7] يا آل بكر شدُّوا واستعدُّوا ، وإلّا تَشُدُّوا تُرَدُّوا .

ثم قام شريك بن عمرو بن شراحيل بن مرّة بن همام فقال : يا قوم إنما تهابونهم أنكم ترونهم عند الحفاظ أكثر منكم ، وكذلك أنتم فى عيونهم[8] ، فعليكم بالصبر فإن الأسنَّة تُرْدِى الأَعِنَّة ! يا آل بكر قُدُماً قُدُماً .

---

(١) العكم : العدل ، أو ما يشد به الشيء ويجمع .
(٢) تكردسوا : تجمعوا على هيئة كراديس . والكردوس : الطائفة من الخيل وهى الكتيبة
(٣) فى غ : باللقاء .
(٤) فى غ : وابدأوهم بالشدة .
(٥) فى غ : نجاء معرور .
(٦) فى غ : الموت .
(٧) فى ك : فوتا (ولعلها غوثا) والتصويب من غ .
(٨) فى غ : أعينهم .

ثم قام عمرو بن جبلة بن باعث بن صريم اليشكرى فقال :

يا قومُ لا تَغْرُرْكُم هذِى الِخرَقْ ولا وَمِيضُ البِيضِ فى الشَّمسِ بَرَقْ

مَن لم يُقاتِلْ منكمُ هذى العُنُقْ[١] فجنّبوه اللحم[٢] واسقوه المَرَقْ

ثم قام حنظلة بن ثعلبة إلى وَضِين[٣] امرأته فقطعه ثم تتبّع الظُّعن يقطّع وُضُنَهُنّ لئلا يفرّ عنهنّ الرجال ـ الوضين بطان الناقة ـ فسمى يومئذ مُقطِّع الوُضُن . فكانت بنو عجل فى الميمنة بإزاء خنازرين[٤] ، وبنو شيبان فى الميسرة بإزاء كتيبة الهامَرز ، وأفناء بكر بن وائل فى القلب .

فخرج أُسوار[٥] من الأعاجم مُسَوّر مشنَّف[٦] فى أذنيه دُرَّتان من كتيبة الهامَرْز يتحدّى الناس للبراز ، فنادى فى بنى شيبان ، فلم يبارزه[٧] أحد ، حتى إذا دنا من بنى يشكر برز له يزيد بن حارثة أخو بنى ثعلبة ، فشدّ عليه بالرمح فطعنه فدقّ صلبه ، وأخذه وحليته[٨] وسلاحه . ثم اقتتلوا صدر نهارهم أشد قتال رآه الناس إلى أن زالت الشمس ، فشد الحوفزان واسمه الحارث بن شريك على الهامرز فقتله . وقتلت بنو عجل خنازرين[٩] . وضرب الله وجوه الفرس فانهزموا ، وتبعتهم بكر ابن وائل ، فلحق مَرْثدُ بن الحارث بن ثور بن حَرْملة بن عَلْقمة بن عمرو بن سَدُوس

---

(١) العنق : يريد هنا الجماعات .

(٢) فى غ : الراح .

(٣) فى غ : وضين راحلة امرأته ـ والوضين : بطان الناقة وهو للهودج مثل الحزام للسرج .

(٤) فى غ : خنابرين وهى هكذا حيثما وردت .

(٥) أسوار : فارس أو قائد .

(٦) مسور : لابس أسورة ـ مشنف : يلبس شنفا وهو الحلق .

(٧) فى غ : يبرز له .

(٨) فى غ : وأخذ حليته .

(٩) خنازرين : فى غ : خنابرين .

النعمانَ بن زُرعة فأهوَى له طعناً فسبقه النعمان بصدر فرسه فأفلته . فقال مَرْثَد في ذلك :

وَخَيلٍ تنادَى[1] للطِّعان شهدتُها ... فأغرقتُ فيها الرمحَ والجمعُ مُحْجِمُ
وأفلتَــنِى نُعمانُ فَوْتَ[2] رِماحِنا ... وفَوقَ قَطاةِ المُهْرِ أزرقُ لَهْـذَمُ[3]

ولحق أسودُ بن بُجَيْر بن عائذ بن شريك العجليّ النعمانَ بن زُرْعة فقال له : يا نعمان هَلُمَّ إلىّ فأنا خير آسر، أنا خير لك من العطش . قال : ومَنْ أنت ؟ قال : أنا الأسود بن بُجَيْر . فوضع يده فى يده فجزّ ناصيته وخَلَّى سبيله ، وحمله الأسود على فرس له ، وقال له : انجُ على هذه فهى خير[4] من فرسك ؛ وجاء الأسود بن بُجير على فرس النعمان بن زُرعة .

وأفلت إياس بن قبيصة على فرس كانت له عند رجل من بنى تيم الله يقال له أبو ثور تعرف بالحمامة . فلما أراد إياس أن يغزوهم أرسل إليه أبو ثور بها فنهاه أصحابه أن يفعل . فقال : والله ما فى فرس إياس ما يعزّ رجلا ولا يذلّه ، وما كنت لأقطع رحمه فيها .

وأتبعتْهم بكر بن وائل يقتلونهم بقيّة يومهم حتى أصبحوا من الغد ، وقد شارفوا السواد ودخلوه ، فلم يفلِت منهم كبير أحد .

وأقبلت بكر بن وائل على الغنائم فقسموها بينهم وقسّموا تلك اللطائم ، بين نسائهم .

وكان أوّل من انصرف إلى كسرى بالهزيمة إياسُ بن قبيصة ، وكان لا يأتيه أحد بهزيمة جيش إلّا نزع كتفيه، فلما أتاه إياس سأله عن الخبر فقال: هزَمْنا بكرَ بن وائل

(١) فى غ : تبارى :
(٢) فى غ : قاب .
(٣) قطاة المهر : عجزه — ولهذم : حاد قاطع .
(٤) فى غ : أجود .

وأتيناك بنسائهم . فأعجب ذلك كسرى وأمر له بكسوة ثم إنّ إياسا استأذنه عندذلك فقال : إنّ أخي مريض بعين التمر فأردت أن آتيه ، وإنما أراد أن يتنحّى عنه ، فأَذِنَ له كسرى. فترك فرسه الحَمامة وهي التي كانت عند أبي ثور ، وركب جَنِيبَته[1] فلحق بأخيه .

ثم أتى إلى كِسْرَى رجل من أهل الحِيرَة فسأل هل دخل على الملك أحد ؟ فقالوا: نعم إياس . فقال : ثَكِلت إياساً أمّه . وظن أنه قد حدّثه بالخبر فدخل عليه فحدّثه بهزيمة القوم وقتلهم . فأمر به فنُزِعت كتفاه .

وكانت وقعة ذِي قار بعد وقعة بدرٍ بأشهُر ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة . فلما بلغه ذلك قال : « هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبي نُصِرُوا » .

وروى أنّه قال : إيهاً بني ربيعة ، اللّهم انصرهم . فهم إلى الآن إذا حاربوا نادَوْا بشعار النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته لهم ، وقال قائلهم : يا رسول الله وَعْدَكَ ، فإذا دَعَوا بذلك نُصروا .

وقيل : إن الوقعة مُثِّلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة ، فرفع يده فدعا لبني شيبان أو لجماعة ربيعة بالنصر ، ولم يزل يدعو لهم حتى أُرِيَ هزيمة الفرس .

ومن الأشعار في وَقْعة ذي قار قول أبي كَلْبة التَّيْمِيّ :

لَوْلَا فوارسُ لا مِيلٌ[3] ولا عُزُلٌ ... من اللَّهــــازِمِ ما قِظْتُم بذي قارِ

---

(١) الجنيبة : الفرس يجنب إلى الفرس لتركب عند الشدة أو الحاجة . وفي غ : نجيبة ، أي فرس فاره .

(٢) في غ : دعوا .

(٣) الميل : جمع أميل وهو الجبان .

ما زِلْتُ مفترِشاً[1] أحشاء دامِيَــةٍ ... يشــير أعطافهــا منهـــا بآثــارِ

إنّ الفوارسَ مـــن عِجْـل هُمُ أَنِفُوا ... بأن يُخَلُّوا لِـكِسْرَى عَرْصةَ الدّارِ

لولا فوارسُ من عجل بشِكَّتِهـــا ... ليسوا إذا قَلّصت حربٌ بأغْمـــارِ[2]

قد أحسنَتْ ذُهْل شيبانٍ وما عَدَلَتْ ... فى يَوْم ذى قَارَ فُرسانُ ابنِ سَيَّارِ

هُم الّذين أتوهم عن شمائلِهم ... كما تَلَبَّسَ وُرّادٌ بصُدّارِ

فأجابه الأعشى فقال :

أَبلِـغْ أبا كَلْبةَ التَّيْمِىّ مَأْلُـكَةً[3] ... فأنتَ من مَعْشَرٍ واللهِ أَشْرَارِ

شيبانُ تدفع عنك الحَرْبَ آوِنةً ... وأنت تَنْبَحُ نَبْحَ الـكَلْبِ فى الدّارِ

وقال الأعشى[4]:

فِدًى لبنى ذُهْلِ بن شَيْبانَ نَاقَــتِى ... ورَاكِبُها يوم اللّقاء وقَلّتِ

هُمُ ضَرَبُوا بالحِنْو[5] حِنْوِ قُرَاقِرٍ ... مُقَدّمةَ الهامَرْز حتّى تولّتِ

ولم يزل قَيْس بن مسعود فى سجن كسرى بساباط حتى مات فيه :

---

(١) مفترشا أحشاء : فى غ : مفترسا أجساد .

(٢) قلصت : شمرت . ـ أغمار : جمع غمر ، وهو غير المجرب أو الجاهل .

(٣) المألكة : الرسالة .

(٤) ديوان الأعشين (ط. لندن) : ١٧٩ رقم / ٤٠ ـ معجم البلدان (حنو) : ٣/٣٥٢ .

(٥) الحنو : بطن الوادى ـ حنو قراقر : هو حنو ذى قار الذى كانت به الوقعة .

حرف الرّاء

الرَّمَّاح بن مَيَّادة *

هو الرَّمَّاح بن أبْرَد بن ثَرْبان(1) بن سُراقة بن قيس بن سَلْمى بن ظَالِم بن جَذيمة ابن يَرْبُوع بن غَيظ بن مُرَّة بن عَوف بن سَعْد بن ذُبيان بن بَغِيض بن ريث [ابن زيد](2) بن غطفان بن سعد بن قَيْس بن عَيْلان بن مضر .

وأمه ميّادة أم ولد بربرية . وقيل إنها صَقْلَبيَّة(3) . وكنيته أبو شَراحيل، وقيل: أبو شُرَحْبيل . وكان هو يزعم أنها فارسية ، وذكر ذلك فى شعره فقال :

أنا ابنُ أبى سَلْمى وجَدِّىَ ظَالِمُ ... وأُمِّى حَصانٌ أحصَنَتْها الأعاجِمُ

أليس غلامٌ بين كِسْرَى وظَالِمٍ ... بأَكْرَمَ مَنْ نِيطت عليه التَّمائِمُ

قال مُوسَى بن سَيَّار : لما أنشدنا ابن مَيَّادة هذا الشعر ، قلت له : لقد أشحطت بدَارِ العجوز وأبعدت بها النُّجْعة ، فهلّا غَرَّبْتَ ! يريد أنها صَقْلَبيَّة من الغَرْب . فقال : من جاع انْتَجَع ، فدعها تَسِرْ فى النَّاس ، فإنَّ من يَسْمَع(4) يَخَلْ .

---

* الأغانى (بولاق): ٢/ ٨٩ـ١٢٠ـ (الساسى): ٢/ ٨٥ـ١١٦ (دار الكتب): ٢/ ٢٦١ـ٣٤٠ ـ(بيروت): ٢/ ٢٢٧ـ٣٠٠ تجريد الأغانى : ٢٥٦ـ٢٧٥ .

(1) فى غ : ثوبان ، وما هنا موافق لنسخة من مخطوطات غ .

(2) زيادة من غ والتجريد .

(3) فى ك : صقلية، والتصويب من غ. وصقلب : من بلاد الأندلس من أعمال شنترين (معجم البلدان) .

(4) من يسمع يخل: هذا مثل معناه من يسمع أخبار الناس ومعايبهم يقع فى نفسه عليهم المكروه (ل : خيل) ـ الميدانى .

ولما قال ابن ميّادة هذه الأبيات الميمية ردّ عليه الحكم الخضْرى فقال :

وما لَكَ فيهم من أبٍ ذى دسيمة[١]   ولا وَلَدَتْك المحْصنات الكرائمُ

وما أنتَ إلاَّ عَبْدُهم إنْ تُرِبْهُمُ   من الدَّهْر يوماً تَسْتَرِبك المَقاسِمُ

رَمَى نهْبَلٌ فى فرج أمّك رَمْيَـةً   بجَوْقاء تسقيهـا العُروقُ الثّواجِمُ[٢]

ونَهْبَل عبدٌ لبنى مرّة ، كانت ميّادة تزوّجته بعد سيّدها .

وابن مَيَّادة شاعر متقدم[٣] يحتج بشعره ، فصيح من مخضرمى شُعراء الدّولتين ، وجعله[٤] ابن سلّام فى الطبقة السابعة ، وقرن به عَمْرو[٥] بن لَجأْ ، والعُجَيْف[٦] العَقيلىّ ، والعُجَيْر[٧] السّلولىّ ، وغيرهم .

وكان عِرِّيضا للشرّ طالباً مُهاجاة الشعراء ومسابّة الناس ، وكان يضرب بيـده على جَنْب أُمّه ويقول :

اعْرَنْزِى[٨] مَيَّادَ للقَوافِى   واسْتَمْعِيهِنّ[٩] ولا تَخَافِى

ستجدين ابنَكِ ذا قِذاف[١٠]

أى أنِّى سأهجو الناس فيهْجُونَكِ .

---

(١) الدسيعة : الكرم والشرف .

(٢) الثواجم : جمع ثاجم وهو الدائم الانصباب .

(٣) فى غ : مقدم .

(٤) ليس فى طبقات الشعراء المطبوع .

(٥) هو من تيم الرباب ، عده ابن سلام فى الطبقة الرابعة .

(٦) لم يرد ذكره فى الطبقات .

(٧) عده ابن سلام فى الطبقة الخامسة .

(٨) اعرنزى : اشتدى واصمدى .

(٩) فى غ : واستمعيهن .

(١٠) ذاقذاف : ذا نضال ومراماة .

قال داود بن عَلْقَمَة[1] الأسدى : جاورتِ امرأةٌ من اُلخضْر ـ رهط الحكم اُلخضْرِى ـ عند أبياتِ ابن مَيّادة ، فجاءت ذات يوم تطلب رَحًا وثِفالًا[2] لتطْحن، فأعاروها إياهما، فقال لها ابن مَيَّادة : ياأخت اُلخضْر، أتَرْوِين شيئاً مما قاله الحكم لنا، يريد بذلك يُسْمِع أمَّه ، فجعلت تأبى ، فلم يزل حتى أنشدته :

أَمَيَّادَ قَدْ أَفْسَدْتِ سَيْفَ ابن ظالمٍ ببَظْرِكِ حتى عَادَ أَثْلَمَ بالِيَا

ومَيَّادةُ تسمع . فضحك الرمّاح وثارت إليها مَيَّادة بالعَمُود تضربها به وتقول : يا زانِيَة إيَّاىَ تَمْنِين ! وقام ابن مَيَّادة يخلّصها فبعد لَأْيٍ[3] ما أنقذها ، وقد انتزعت منها الرَّحا والثِّفال .

وقيل إنّ مَيَّادة كانت أَمَةً لرجل من كَلْب ، زوّجها لعبدٍ له يقال له نَهْبَل ، فاشتراها بنو ثَرْيان[4] بن سُراقة فأقبلوا بها من الشام ، فلمّا قَدِموا بها المُلَيْحَة ـ ماء لبنى سُلَيْم[5] ورَحْل ابنى[6] ظالم بن جَذِيمة ـ نظر رجل من سُلَيم[7] إليها وهى ناعِسَة تمايَلُ على بعيرها فقال : ما هـذه ؟ فقالوا : اشتراها بنو ثَرْيان . فقال : وأبيكم إنها المَيَّادة تَميد على بعيرها ! فغلب عليها مَيَّادة .

وكان أَبْرَدُ ضِلَّة[8] من الضِّلَل ، ورِثّة[9] من الرِّثث ، جِلفاً لا تخلص

---

(١) فى غ : علفة .

(٢) الثفال : جلد يبسط تحت الرحا ليسقط عليه الطحين .

(٣) لأى : شدة وجهد .

(٤) فى غ : ثوبان وهى فيه هكذا حيثما وردت .

(٥) سليم : فى غ : بنى سلمى .

(٦) فى غ : ابن ظالم .

(٧) فى غ : بنى سلمى .

(٨) ضله : لا خير فيه .

(٩) الرثة : خشارة الناس (سفلتهم) وضعفاؤهم .

إحدى يديه من الأخرى ، يرعى[1] على إخوته وأهله . وكان[2] إخوتُه ظرفاء كلهم غيره . وأرسلوا مَيَّادة ترعَى الإبل معه ، فوقع عليها فلم يشعروا بها إلّا حُبْلَى . فقالوا : لمن ما فى بطنك ؟ قالت : لأبرد . فسألوه فجعل يسكُت ولا يجيبهم ، حتى رمَت بالرمّاح ، فرأوا غلاماً نجيباً ، فأقرَّ به أبرد . وقالت بنو سَلْمَى[3] ويلكم يا بنى ثَريان ابْتَطِنُوه[4] لعلّه يُنجِب . فقالوا : ما له غيرُ مَيَّادة فبَنَوْا له[5] بيتا وأقعدوها فيه ، فجاءت بعد الرمَّاح بثريان وخَليل وبَشِير بنى أبْرَد . وكانت أول نسائه وآخرَهنّ . وكانت امرأةَ صِدْق ما رُمِيَتْ بشىء ولا سُبَّتْ إلّا بتَهَبُّل .

ومما هُجِىَ به الرمَّاح بن مَيَّادة قولُ عبدِ الرحمن بنِ جُهَيْم الأَسَدى :

لعمرى لئن شابت حَلِيلَةَ نَهبَلٍ ... لبئس شَبابُ المَرْءِ كان شَبابُها

ولم تَدْرِ حَمْرَاء العِجان[6] أنَهْبَلٌ ... أَبُوهُ أم المُرِّىّ تَبٌّ تَبابُها

وكان ابنُ مَيَّادة هَجَا بنى مازِن بن فَزارة بن ذُبيان ، وذلك أنهم ظَلَموا بنى الصارِد ، والصارِد بن[7] مرّة ، فأخَذُوا مالَهم وغلبوهم عليه حتّى الساعة .

فقال ابن مَيَّادة :

فَلأُورِدَنَّ على جَماعةِ مَازِنٍ ... خَيْلًا مُقَلَّصةَ الخُصَى ورجالا

ظَلَمُوا بذى أُرُكٍ[8] كأنّ رُءوسَهم ... شَجَرٌ تَخَطّاه الرَّبيعُ فطالا

---

(١) يرعى على أخوته : يرعى لهم ماشيتهم .

(٢) وكان : فى غ : وكانت .

(٣) موافق لما فى غ ، وقد ورد قبل : بنو سليم .

(٤) ابتطنوه : زوجوه .

(٥) فى غ : لها .

(٦) العجان : الدبر أو ما بين القبل والدبر ، وكان العرب يسبون الأعجمى بابن حمراء العجان .

(٧) فى غ : من مرة .

(٨) ذو أرك : موضع بين تيماء والمدينة .

وقال رَجُلٌ من بنى مازن يَرُدّ عليه :

يا ابنَ الخبيثةِ يا ابنَ طَلَّة[1] نَهْبَلٍ ‏ ‏ ‏ ‏ هَـلَّا جمعتَ كما زعمتَ رِجالا

أَ بِبَظْرِ مَيْدَةَ أم بِخُصْيَي نَهْبَلٍ ‏ ‏ ‏ ‏ أمْ بالفُساةِ تُنـــازِلُ الأَبْطالا

ولئن وَرَدْتَ على جماعةِ مازنٍ ‏ ‏ ‏ ‏ تَبْغِى القِتـــالَ لَتَلْقَيَنَّ قِتالا

وبنو مرّة يسمَّون الفُساة لكثرة امتيارهم التمر . وكانت منازلهم بين فَدَكَ وخَيْبر ولُقِّبوا بذلك لأكلهم التمر .

وكان يقال : إنّ الشعر أتى ابن مَيّادة عن أعمـــامه من قِبَل جَدّهم زهير ، لأنّ أمّ بنى ثَرْيان وهم : أَبْرَد أبو الرمّاح ، والموثبان وقريض وناعضة ، سَلْمَى بنت كعب ابن زُهَير بن أبى سُلْمى .

وقال ابن ميادة يفخر بأمه :

أنا ابنُ مَيَّادةَ تَهْوِى نُجُبِى ‏ ‏ ‏ ‏ صَلْتُ[2] الجبينِ حَسَنٌ مُرَكَّبِى[3]

تَرفَعُنى أُمِّى وينْمِينى[4] أَبِى ‏ ‏ ‏ ‏ فوق السحاب ودُوَيْنَ الكَوْكَبِ

وكان ابن مَيَّادة أحمرَ سَبْطاً[5] عظيمَ الخَلْق طُوالاً[6] ، طويل اللّحية لَبَّاسًا عَطِرًا ، ما خولط رجل أطيب عَرْفاً منه .

وقال شيخ عالم من غَطَفان : كان الرمّاح أشعر غَطفان فى الجاهلية والإسلام ، وكان خيراً لقومه من النابغة ، ولم يمدح غيرَ قريشٍ وقيس . وكان النابغة إنّما يهذى[7] باليمن مضلّلا حتى مات .

---

(١) طلة الرجل : امرأته .

(٢) صلت الجبين : واضحه .

(٣) مركبى : جسمى .

(٤) ينميني : يرفعنى .

(٥) سبطا : طويلا حسن القد .

(٦) ليس فى غ .

(٧) فى ك : يهد .

وبنو ذبيان يزعمون أن الرمّاح كان آخر الشعراء .

قال أبو صالح : قال القاسم بن جندب : قلت لابن مَيَّادة : لقد جُدِدْتَ(١) بشعرك وذُكِرْتَ به ، وإنى لأراه كثير السَّقَط ! فقال ابنُ مَيَّادة : إنما الشعر كنَبْلٍ فى جَفِيرٍ(٢) يرمى به الغَرَض ، فطالعٌ وواقع ، وعاضدٌ(٣) وقاصد .

وكان ابن مَيَّادة حديث العهد ، لم يُدرِك زمانَ قُتَيْبَة بن مُسْلم ولا دخل فيمن عَناه حين قال : أشعر قيسٍ المُغَلَّبون من بنى عامر والمنسوبون إلى أمهاتهم من غطفان ، ولكنّه شاعر مُجيد كان فى أيام هشام بن عبد الملك ، وبقى إلى زمن المنصور ، ومدحه ومدح جعفر بن سليمان ، وعبد الواحد بن سليمان .

قال طمّاح ابن أخى الرمّاح : قال لى عمى الرمّاح : ما علمت أنّى شاعر حتى واطأت(٤) الحطيئة فإنه قال :

عَفا من سُلَيْمَى مُسْحُلَانُ فَحَامِرُهْ ... تَمَشَّى به ظِلْمَانُه وجَآذِرُهْ

ووالله ما سمعتهُ ولا رأيته فواطأته بطبعى فقلت :

فَذُو العَشِّ والمَمْدُورُ أصبح قاوِيًا(٥) ... تَمَشَّى به ظِلْمَانه وجَآذِرُهْ

فلما أنشدتها قيل لى : قد قال الحطيئة :

* تَمَشَّى به ظِلْمانه وجآذره *

فعلمتُ حينئذ أنّى شاعر .

---

(١) جددت : صرت به محظوظا مبخوتا . وفى غ : لو أصلحت شعرك لذكرت به .

(٢) الجفير : ما توضع فيه السهام .

(٣) العاضد : الملتوى الذى لا يصيب الهدف .

(٤) واطأته : وافقته .

(٥) ذو العش : موضع ببلاد بنى مرة دون حرة النار (معجم ما استعجم : ٦٨٤) ـ الممدور : موضع فى ديار غطفان ـ قاويا : مقفرا خاليا .

وكان الرمّاح يَنْسُب بأمّ جَحْدر بنت حسّان المُرِّيَّة إحدى نساء بنى جَذِيمة ابن يربوع، وهى من بنى رَحْل بن ظالم ، فحلف أبوها ليخرجنّها إلى رجل من غير عشيرته ولا يزوّجها بنَجْد ، فزوّجها برجل من الشام ، فلَقِىَ عليها ابنُ مَيَّادة شِدَّة ، ولم يكن جمالها بارعا ولا حُسنها مشهورا .

قال زياد بن عثمان الغطفانى : كنّا بباب بعض وُلاة المدينة فغَرِضْنا[1] من طول الثَّواء ، وإذا أعرابى يقول : يا معشر العرب ، أما منكم أحد يأتينى أُعَلِّله[2] إذْ غرضنا من هذا المكان ، وأخبره عنّى وعن أمّ جحدر ؟! فجئت إليه وقلت له : مَن أنت ؟ فقال : الرمّاح بن أبرد . قلت : أخبرنى ببدوّ[3] أمركما . قال : كانت أمّ جحدر من عشيرتى فأعجبتنى ، وكان بينى وبينها خَلَّة ، ثم إنّى عتبت عليها فى شىء بلغنى عنها ، فأتيتها فقلت : يا أمّ جحدر إنّ الوصل عليك مردود . فقالت : ما قَضَى الله خير . فبقيت على تلك الحال سنة ، وذهبت بهم نُجْعَة فتباعدوا ، واشتقت إليها شوقا شديدا ، فقلت لامرأة أخ لى : والله لئن دنت دار بأمّ جحدر لآتينها ولأطلبنّ أن تردّ الوصل بينى وبينها ، وإن ردّته لا نَقَضْتُه أبدا .

ولم يكن يومان حتى رجعوا . فلما أصبحتُ غدوت عليهم، فإذا أنا ببيتين نازلين إلى سندٍ[4] أبرق طويل، فإذا امرأتان جالستان فى كساء واحدٍ ، بين البيتين . فجئت فسلّمت ، فردّت إحداهما ولم تردّ الأخرى . فقالت: ما جاء بك يارمّاح إلينا بعد أن انقطع ما بيننا وبينك ؟! فقلت : إنى جعلت نذرا لئن دنت بأم جحدر دار لآتينّها

(١) فغرضنا : ضجرنا وقلقنا .

(٢) أعلله : أشغله وأسليه .

(٣) فى غ : بدء .

(٤) السند : ما ارتفع من الأرض فى قُبل الجبل أو الوادى — الأبرق: ما كان له لونان من سواد وبياض وقيل: هو المخلوط برمل .

وأطلبن أن تردّ الوصل بيني وبينها ، ولئن هي فعلت لانقضته أبدا . وإذا التي تكلمني امرأة أخيها، والساكتة أمّ جحدر. فقالت امرأة أخيها : فادخل مقدّم البيت فدخلت، وجاءت فدخلت من مؤخّره فدنت قليلا فإذا هي قد برزت ، فساعة برزت جاء غُراب فنعب على رأس الأبرق فنظرتْ إليه وشهقت وتغيّر لونها. فقلت : ماشأنك؟ قالت : لا شيء ! قلت : بالله إلّا أخبرتني . قالت : أرى هذا الغراب يخبرني أنّا لا نجتمع بعد هذا اليوم إلّا ببلد غيرهذا البلد. فتقبّضتْ نفسي ثم قلتُ : جارية وماهي في بيت عِيافةٍ[1] ولا قِيافةٍ . فأقمت عندها ثم تروّحت[2] إلى أهلي ، ثم أقمت يومين وأصبحت إليها غاديا . فقالت لي امرأة أخيها : ويحك يا رمّاح أين تذهب ؟ قلت : إليكم. قالت: وماتريد ؟ قد تزوجت[3] أمّ جحدر البارحة . فقلت: بمن[4] وَيْحك ؟! قالت : برجل[5] من أهل الشام من أهل بيتها جاءهم من الشام فخطبها فتزوّجها[6] وقد حملت إليه . فمضيت إليه وإذا هو قد ضرب لها سرادقات ، فجلست إليه فأنشدتُه وحدّثته وعدتُ إليه أيّاما، ثم إنه احتملها وذهب بها فقلت :

أجارَتَنا إنّ الخطوب تَنُوب ... علينا وبعضَ الآمنينَ تُصيبُ

أجارَتَنا لستُ الغَداة بنازحٍ ... ولكن مُقيمٌ ما أقام عَسِيبُ[7]

---

(١) العيافة : زجر الطير والتفاؤل بأسمائها ومرها ـ القيافة : تتبع الآثار ومعرفتها، والمعروف بها من العرب بنو مدلج قبيلة من كنانة .

(٢) تروحت : سرت .

(٣) في غ : زوجت .

(٤) في ك : لمن .

(٥) في ك : لرجل .

(٦) في غ : فزوجها .

(٧) عسيب : جبل بعالية نجد .

فإنْ تسأليني هـل صبرت فإنّـني ... صَبُورٌ على رَيْب الزمان صَلِيبُ

جَرى بانبتات[1] الحَبْل من أمّ حجدر

ظِباء وطـــير بالفراق نَعُوبُ

نظرتُ فـلم أعتَف وعافَت فبَيَّنت ... لها الطيرُ قَبْلِى واللَّبِيبُ لَبِيبُ

فقالت حرام أن نُرَى بَعْدَ هـذه ... غَرِيبَيْن إلّا أن يُلِمَّ غرِيبُ

أجارَتَنا صَــبْراً فيا رُبَّ هالِكٍ ... تَقَطَّعُ من وَجْـدٍ عليه قلوبُ

هذه الأبيات أغار الرمّاح فيها على امرئ القيس ، فأخذ الأوّلَيْن بأعيانهما والبيت الثالث لشاعر من شعراء الجاهلية تمثّل به أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فنقله الرمّاح نقلا .

قال: ثم انحدرتُ فى طلبها وطمعت فى كلّتها ألّا نجتمع إلّا فى بلد غـير هذا . فدرت فى الشام زمانا فتلقّانى زوجها فقال لى : مالك لاتغسل ثيابك هذه ؟ أرسلها إلى الدار تغسل . فأرسلتها ثم وقفت أنتظر خروج الجارية بالثياب . فقالت أمّ حجدر لجاريتها: إذا جاء فأعلميني . فلما جئت وأمّ حجدر وراء الباب ، فقالت : ويحـك يا رمّاح ! قد كنت أحسب أن لك عقلا ، أما ترى أمراً قد حيل دونه وطابت أنفُسنا عنه؟! انصرف إلى عشيرتك فإنى أستحى لك من هذا المقام . فانصرفت وأنا أقول :

عَسَى إنْ حَجَجْنا نلتَقِي أمّ حَجْدَرٍ ... ويَجْمعنا من نَخْلَتَيْنِ[2] طَرِيقُ

وتَصْطَكُّ أعضـادُ المَطِيِّ وبيننا ... حَديثٌ مُسَرٌّ دون كُلِّ رَفِيقٍ[3]

---

(١) انبتات الحبل : انقطاع الود .

(٢) النخلتان : واديان عن يمين بستان ابن عامر وشماله ، ويقال لهما النخلة الشامية والنخلة اليمانية .

(٣) فى هذا البيت إقواء وهو اختلاف حركة الروى . وقد نسب ياقوت هذين البيتين فى مادة (نخلتين) إلى القأفاء بن برمة من بنى عوف بن عمرو بن كلاب .

ومكثت أمّ جَحْدر عند زوجها زمانا، ثم مات زوجها ومات ولدها منه ، فقدمت نجدا على إخوتها وقد مات أبوها .

قال سيّار بن يحيى[(١)] : لقيت ابن مَيّادة وهو يبكى ، فقلت : ويحك ! مالك ؟ قال : أخرجتنى أمّ جحدر وآلت يمينا لا[(٢)] تكلّمنى ، فانطلق فاشفع لى إليها . فخرجت حتى غَشِيتُ رِواقَ بيتها فوجدتها تَدْمُك[(٣)] جَرِيراً[(٤)] بين الصَّلاية[(٥)] والمِدَقّ تريد أن تَخْطِم به بعيراً تَحُجّ عليه . فقالت : إن كنتَ جئتَ شفيعا لابن ميّادة فبيتى حرام عليك من الله أن تُلْقِىَ فيه قدَمك . قال: فجئت ، ولا والله ما كلّمته ولا رآها ولا رأته .

وكان ابن ميّادة والحَكَم الُخضْرى قد تهاجيا زمانا ثم كَفّ ابن ميّادة وسأله الصلح ، فصالحه الحكم الخضرى ، والُخضْر ولد مالك بن طريف سُمّوا بذلك ، لأن مالكا كان شديد الأُدْمة ، وكذلك كان ولده فسموا الخضران .

وكان أوّل ما بدأ الهجاء بينهما أنّ الرمّاح مرّ بالحكم بن معمر وهو يُنْشد فى مصلّى النبىّ صلى الله عليه وسلم فى جماعة من الناس قوله :

لِمَن الدّيار كأنَّها لم تُعْمَرِ   بين الكِناس[(٦)] وبين بُرْقِ[(٧)] مُحَجَّرِ

(١) فى غ : نجيح المزنى .
(٢) فى غ : ألا تكلمنى .
(٣) تدمك : تلين وترقق .
(٤) جريرا : حبلا من أدم ملين يخطم به البعير .
(٥) الصلاية : حجر عريض يدق عليه .
(٦) الكناس : موضع من بلاد غنى (ياقوت) .
(٧) برق : أرض غليظة مختلطة بحجارة ورمل. والغالب على حجارتها البياض.

حتى انتهى إلى قوله :

ياصاحِبِيَّ ألم تَشِيما بارِقاً نُضِحَ المزاد[١] بهِ فهضب[٢] المَنْحَر
قد بِتُّ أرقُبه وبات مُصَعِّدا نَهْضَ المُقيَّدِ في الدَّهاسِ[٣] المُوقَر

فقال ابن ميّاده : ارفع إليّ رأسك أيها المنشِد مَنْ أنت ؟ قال : أنا حَكَم بن مَعْمَر الخُضْرىّ . قال : فوالله ما أنت ببيت حَسَب ولا أُرُومة شعر . فقال له حكم : وماذا عبت من شعرى ؟ قال : عبت أنك أدهست وأوقرت . فقال له الحكم : ومن أنت ؟ قال : ابن ميّادة . قال: ويحك ولِمَ رغبت عن أبيك وانتسبت إلى أمك؟ قبح الله والدين خيرهما ميادة ! أما والله لو وجدت فى أبيك خيرا لما انتسبت إلى أمك راعية الضأن ؟ وأما إدهاسى وإيقارى فإنى لم آتِ خيبر إلا ممتاراً لا مُتحاملًا[٤] ، وما عدوتَ أن حكيتَ حالَك وحال قومك . فلو سكتَّ عن هذا لكان خيراً لك وأبقى عليك . فلم يفترقا حتّى[٥] تهاجيا .

وقيل : إنّ أول ذلك أنّهما اجتمعا فأقبل ابنُ ميّادة إلى الحكم ليعرِضَ عليه شعره ويسمع[٦] من شعره ، وكان الحكم أسنّهما ، فأنشدا جميعا ثم قال ابن ميّادة : لقد أعجبنى بيتان قلتَهما ياحكم . قال : وما[٧] أعجبك من شعرى غير بيتين ؟ ! قال :

---

(١) المزاد : فى غ الصراد وهو موضع تلقاء يأجج (معجم ما استعجم) وما هنا موافق لنسخة من مخطوطات غ .

(٢) هضب المنحر : هضاب حمر فى أرض بنى ثعلبة (معجم ما استعجم ص ٣٩٨) .

(٣) الدهاس : المكان السهل تغيب فيه القوائم ويثقل المشى — الموقر : المثقل . وهو صفة المقيد .

(٤) متحاملا : متكسبا عن طريق الحمل بالأجر . وفى ك : مجاملا ، والتصويب من غ .

(٥) حتى تهاجيا : فى غ : إلا عن هجاء .

(٦) فى غ : وليسمع .

(٧) فى غ : أوما .

والله لقد أعجبانى ، يردد ذلك مرارا لا يَزِيدُ عليه . فقال له حكم : وأىُّ بيتين هما ؟ فقال : حين تُساهم بين ثوبيها وتقول[1] :

فو اللهِ ما أدرى أزيدت مَلاحَةً وحُسْناً على النِّسوان أم ليس لى عَقْلُ

تَساهَم بُرداها فـى الدِّرع غادةٌ وفى المِرط لفّاوان رِدفهما عَبْلُ[2]

فقال له حكم : أوما أعجبك غيرهذين البيتين ! فقال له ابن ميّادة: لقد أعجبانى . فقال له حكم: أَوما أعجبك غيرها ؟! قال : لقد أعجبانى . فقال له حكم: فإنى سوف أعيب عليك قولك :

ولا بَرِح المدُور رَيّان مُخْصِباً وجِيـدَ[3] أعالى شِعْبه وأسافلُهْ

فاستسقَيْتَ لأعلاه وأسفله ، وتَرَكتَ وسطَه وهو خير موضع . فقال : وأىّ شىء تريد ؟ تَركتُه ريّانَ[4] مُخصِبا ! وتَهاترَا . فغضب حَكَم وارتحل ناقته وهدر[5] ، وقال :

* إنّه يومُ قَرِيضٍ ورجز *

فقال رجل من بنى مرّة : اهْدِر كما هدر يا رمّاح . فقال : إنّما يَغِطّ[6] البَكْر . ثم قال الرمّاح :

---

(١) الحماسة (الرافعى) : ٢/٨٦ باختلاف فى الترتيب .

(٢) برداها : فى غ: ثوباها ــ الدرع : الثوب الصغير تلبسه الفتاة فى البيت عادة . فى بعض نسخ غ : رأدة وهى الشابة الحسنة الشاب ، والغادة بمعناها ــ المرط : كساء يؤتزر به ــ لفاوان : يريد بهما فخذيها ــ عبل : ممتلىء ضخم .

(٣) جيد : سقى مطرا جودا غزيرا .

(٤) فى غ : لا يزال .

(٥) هدر : رجع صوته فى صدره من غيظه .

(٦) يغط : يهدر فى شقشقته ــ البكر : الفتى من الإبل .

إنّه[1] يومُ قَرِيضٍ ورَجَزْ   مَن كانَ منكم ناكِزاً فقد نَكَزْ
وبيّنَ الطِّرْفُ النَّجيب فبرَزْ

يريد بقوله ناكزاً غائضاً قد نَزَف .

قال الزبير : سمعت رجلا من البادية ينزع على إبل له كثيرة من قَليبٍ ويرتجز :

قد نَكَزَتْ أنْ لم يكن خسيفا[2]   أو يكُنِ البَحْــرُ لها حَليفا

وهذا أوّل ما هاج التّهاجي بينهما .

وكان ابن مَيّادة وحَكَم وعَمَلّس بن عقيــل وعُلَّفة[3] متجاورين مُتخالّين وكانوا جميعاً يتحدّثون إلى أُمّ جَحْدر بنت حسّان المرّية ، وكانت أمّها مولاة ، ففضّلت ابن مَيّادة على الجميع[4] . وهجاها الحَكَم وعَمَلّس وعُلَّفة . فما قال عُلَّفة يهجوها ويعرّض بابن مَيّادة قوله :

فلا تَضَما عنهــا الطَّنافِسَ إنّما   يُقَصِّر بالمِرْماةِ[5] مَن لم يكن صَقْرا
مُنَعَّمَة لم تَلْقَ بُؤْساً وشِقْوَةً   بنَجْدٍ ولم يَكْشِف هَجينٌ لها سِتْرا

يعرّض بقوله : ـ مَن لم يكن صَقْراً ـ بابن مَيّادة أنّه هجين ليس من أبوين متشابهين كالصقر[6] . فقال ابن مَيّادة يهجوه بقوله :

أعلّفَ إن الصقر ليس بمُدْلِجٍ   ولكنّه باللّيْل مُتَّخِذٌ وَكْرَا
ومُفْتَرِشٌ بين الجناحَيْن سَلْحَةً   إذا الليل ألقَى فوق خُرْطومه كِسْرَا[7]

---

(١) فى غ : فإنه .

(٢) فى ك : حليفا والتصويب من غ . والخسيف : بئر تحفر فى الحجارة فلا ينقطع ماؤها كثرة .

(٣) فى غ : عقيل بن علفة .

(٤) فى غ : على الحكم وعملس .

(٥) المرماة : سهم يتعلم به الرامى وفى بعض نسخ غ : للوماة وهى المفازة الواسعة .

(٦) فى غ : كما الصقر .

(٧) الكسر : الغطاء والستر ، وهو فى الأصل الشقة السفلى من الخباء .

فإنْ يكُ صَقْرا بعــد ليلة أمّه ... ولَيْـلة جَحَّافٍ فأُفٍّ له صَقْرَا

تَشُدّ بكفّيها على جِذْلِ أَيْرِه ... إذا هي خافَتْ من مطيَّتِها نَفْرَا

يريد أن أمّ عُلَّفَة من بني أنمار ، وكان أبوه عقيل بن عُلَّفة ضربها فأرسلت إلى رجل من بني أنمار يقال له جَحَّاف فأتاها ليلا فاحتملها على جمل فذهب بها .

ويُقال : إنّ جحّاف بن إياد رجل من بني قتال[1] بن يربوع بن غَيظ بن مرّة وكان يتحدّث إلى امرأة عقيل بن عُلَّفة بن عقيل ويُتّهم بها ، وهي امرأة من بني أنمار ابن بغيض بن رَيْث بن غَطفان يقال لها سُلافة، وكانت من أحسن الناس وجها. وكان عَقِيل من أَغْير الناس فربطها بين أربعة أوتاد ـ ودَهَنها بإهالة[2] وجعلها في قَرْية[3] نمل، فمرّ بها جَحَّاف بن إياد ليلا فسمع أنينها فاحتملها حتى طرحها بفَدَك ،فاستَعْدَت واليها على عَقِيل .

وقام عَقيل من جوف اللّيل فأوقد عُشْوة[4] ونظرها فلم يجدها ، ووجد أثر جَحّاف فعرفه ، فتبعه حتى صبّح القرية . وخنس جَحَّاف عنها فأتى الوالي فقال : إنّ هذه رأتني وقد كبرت وذهب بصري فاجترأت عليّ . وكان عَقِيل رجلا مهيبا فلم يعاقبه الوالي بما صنع لمَوْضعه من صهر بني مروان .

قال : فعيَّر ابنُ ميّادَة عُلَّفة بن عقيل بأمر جحّاف هذا في شعره ولَجّ الهجاء بينهما، فغلب ابن ميّادة عُلّفة، وانقطع عنه عُلَّفة مغلوبا مفضوحا . وماتت أمّ جَحْدر وهما يتهاجيان، ونُعيت إليه فلم يصدّق حتى أتاه رجل يقال له عمّار من بني رَحْل فنعاها له فقال:

ما كُنْتُ أحسَبُ أنّ القوم قد صَدَقُوا ... حتى نَعَاهـا لِيَ الرَّحْلِيُّ عمّارُ

---

(١) في ك : هلال، والتصويب من غ وهامش ك .

(٢) إهالة : شحم مذاب .

(٣) قرية النمل : جحره وموطن سكناه .

(٤) عشوة : نار يستضاء بها .

ومن شعر ابن ميّادة فى أمّ جَحْدر من قصيدة :

وما أَنْسَ مِ الأشياءِ لا أَنْسَ قولَها   وأَدْمُعُها يُذْرِينَ حَشْوَ المَكاحِلِ

تَمَتَّــعْ بذا اليَوْمِ القَصِــيرِ فإنَّه   رَهِــينٌ بأيَّامِ الشُّهورِ الأَطاوِلِ

إذَا حَلَّ بَيْتِى بين بَدْرٍ ومــازِنٍ   ومُرَّةَ نِلْتَ الشمسَ واشتدَّ كاهِلِى

يعنى بدر بن عوف بن جُؤَيّة بن لَوْذان بن ثعلبة بن عدىّ بن فزارة بن ذُبيان ، ومرّة ابن عوف بن سعد بن ذبيان ، ومازن[1] بن فزارة . وفيها يقول :

فضلنا قريشاً غيرَ رَهَطِ محمّدٍ   وغَيْرَ بَنِى مَرْوانَ أهلِ الفضائلِ

فقال له الوليد بن يزيد : قدّمت آل محمّد قبلنا ! فقال : يا أمير المؤمنين ما كنت أظنّ[2] يمكن غير ذلك . فلمّا أفضت الخلافة إلى بنى هاشم وفد ابن ميّادة إلى المنصور ومدحه . فقال أبو جعفر . لمّا دخل عليه[3] : كيف قال لك الوليد ؟ فأخبره بما قال ، فجعل المنصور يتعجّب .

ولمّا سمع إسحاق الموصلىّ قولَ ابن ميّادة نِلْتَ الشمسَ واشتدّ كاهلى فقال :

عَطَستُ بأَنْفٍ شامخٍ وتناولت   يَداىَ الثُّرَيَّا قاعداً غيرَ قائمِ

وللحَكَم الخضرى فى ابن ميّادة مناقضات كثيرة وأراجيز طوال ، على أن الحكم كان قد شفع الرمّاح إلى بعض الولاة فى أن يُرْعِيَه عُرَيْجَاء[4] لا يعرض له فيها . فأرعاه إياها فأقبل رمّاح على حَكَم وقال : جزاك الله خيرا يا أبا مَنِيع ، فوالله لقد كان ورائى من يتمنى أن يرعَى عُرَيْجاء بنصف ماله ! ولمّا عزما على الانصراف ودّع كل منهما صاحبَه وانصرفا راضيين .

---

(١) فى غ : ومرة بن فزارة ومازن بن فزارة .

(٢) فى غ : أظنه .

(٣) فى غ : إليه .

(٤) عريجاء : ماءة بحمى ضرية وقد أقطعها ابن ميادةمن المرى بنى ذبيان .

وانصرف ابن مَيّادة إلى قومه فوجد بعضَهم قد ركب إلى ابن هشام واستصعبه[1] على حكم فى قوله :

وما وَلَدت مُرِّيّة ذات لَيْلَةٍ   من الدَّهْر إلا ازدَادَ لُؤماً جَنِينُها

فأَطْرَدَه[2] فقال رمّاح وقد ساءه ما صنعوا : عمدتم إلى رجل قد صلَح ما بينى وبينه وأُزْعيتُ بوجهه فاستعديتم عليه وجئتم بإطراده ! فلما بلغ الحكم الخبر صار[3] إلى الشام فلم يبرح بها حتى مات غرقا فى بعض أنهارها ، لأنه لم يكن يحسن العوم . وهو وَجْهه[4] الذى كان مدح فيه الأسود بن بلال المحاربى فى القصيدة التى يقول فيها :

واستَيْقنت أَلَّارواح[5] من السُّرَى   حتّى تُناخَ بأَسْوَد بن بِلال

قَرْمٌ إذا نَزَل الوفودُ ببابِه   سمت العيون إلى أَشَمَّ طُوالِ

ولما قال الحكم فى هجاء ابن ميّادة :

وما حَمَلتْ مريّة قطُّ ليلةً   من الدّهرِ إلا ازْدادَ لُؤْماً جَنِينُها

وما حَمَلت إلّا لِأَلْأَمِ من مَشَى   ولا ذُكِرَتْ إلّا بأمرٍ[6] تشينها

وبلغ إبراهيمَ بن هشام قولُه فى نساء بنى مُرَّة فغضب ونذَر[7] دمَه فهرب من الحجاز إلى الشام ومات بها . وقال:

لقد سَبَقَتْك اليومَ عيناكَ سَبْقَةً   وأبكاكَ من عهد الشباب ملاعبُهْ

---

(١) فى غ : استغضبه، واستصعبه فى جميع نسخ المختار، ولعل معناها طلب منه أن يكون صعبا شديدا عليه. ويمكن أن تكون محالة عن استعصبه أى أثار عصبيته لقومه .

(٢) فأطرده : أمر بإخراجه وطرده .

(٣) فى غ : فطار .

(٤) وجهه : قصده ورحلته .

(٥) فى غ : براح .

(٦) فى غ : بأمر .

(٧) نذر دمه : أباحه — وفى نسخة غ : هدر دمه .

فوالله ما أدْرِى أيغلِبُنِى الهـوَى   إذا جَدَّ جِدُّ البَيْنِ أمْ أنا غَالِبُـهْ
فإنْ أسْتَطِعْ أغْلِبْ وإنْ يَغلِبِ الهوَى   فمثلُ الذى لاقيتُ يُغْلَبُ صاحبُـهْ
لقد طال حَبْس الوَفْد وفد مُحارِبٍ   عن المَجْدِ لا يَأْذَنْ لهم بعدُ حَاجِبُهْ
وقال لهم كُرُّوا فلست بآذِنٍ   لكم أبداً أو يُحْصِى التُّرْبَ حاسِبُهْ

لَقِى ابن مَيّادة صَخْرَ بن الجَعْد فقال له : يا صخر أعَنَتَ علىَّ الحكم بن مَعْمَر ابنَ عمّك . فقال له صخر : والله ما أعنته عليك ، ولكن خُيِّل إليك ما كان بُخَيِّل إلىَّ . ولقد هاجيتُه فكنتُ أظنُّ شَجَر الوادِى يُعِينه على .

قال الرمّاح : وصلت أنا والشعراء إلى الوليد بن يزيد وهو خليفة ، وكان مولًى من موالى خَرَشَة يُقال له شُقْران يعيب ابن ميّادة ويحسُده على مكانته من الوليد ، فلما اجتمعت الشعراء قال الوليد لشُقران : ما عِلْمك بابن[1] مَيَّادة ؟ فقال : علمى فيه يا أمير المؤمنين أنّه :

لَئِيمٌ يبارِى فيه أبْرَدُ نَهْبَلًا   لَئِيمٌ أتاه اللُّؤْمُ من كُلِّ جانِبِ

فقال الوليد : يا ابنَ مَيّادة ، ما علمك فى شُقْران ؟ قال : علمى يا أمير المؤمنين أنه عبدٌ لعجوز من خَرَشَة كاتبته على أربعين درهما ، [ووعدها][2] أو قال : وعدته أن تُجيزه بعشرين درهما فقبّضته إياها ، فأغْنِه عنى يا أمير المؤمنين ، فليس له أصل أحتقره ولا فرع أهتصره[3] . فقال له الوليد : اجتنبه يا شُقران فقد أبلغ إليك فى الشتيمة . فقصَر شُقران صاغراً . ثم أنشدتُه وأقيم الشعراء غيرى ، وأمر لى بمائة لِقْحَة وفَحْلها وراعيها وجارية بِكْرٍ وفرسٍ عربى عَتيق فقلت :

---

(١) فى غ : فى ابن .
(٢) تكملة من غ ليستقيم النص .
(٣) أهتصره : أكسره .

أعطَيْتَـنِى مائةً صُفْرا مَدامِعُها ... كالنَّخْلِ زيَّنَ أعلَى نَبْتِه الشَّرَبُ[1]

يَسوقها يافِعٌ جَعْدٌ مَفـارِقُه ... مِثْلُ الغُرابِ غَذَاهُ الصَّرُّ والحَلَبُ

وذَا سبيبٍ[2] صُهَيْبِيًّا لَهُ عُرُف ... وهامَةٌ ذاتُ فَرْقٍ مَا بِها[3] صَخَبُ

ومنها :

قِسْنِى إلى شعراء النَّـاسِ كلِّهم ... وادْعُ الرُّواةَ إذا ماغُبَّ ما احتلبوا[4]

إنِّى وإن قال أقوامٌ مديحهم ... فأَحْسنوه وما حابوا[5] وما كَذَبُوا

أجْرِى أمامَهُم جَرْىَ امْرِئٍ فَلَجٍ ... عِنانُهُ حين يَجْرِى ليس يَضْطَرِبُ

أقبل شُقْران مولى بنى سَلامان من اليمامة معه تمرٌ قد امتارَه لأهله ، فلقيه ابنُ مَيّادة فقال له : ما هــذا الذى معك ؟ فقال : تمرٌ امترتُه لأهلى يقال له : زُبٌّ رُبَّاح[6] فقال ابن مَيّادة يمازحه :

كأنَّك لم تَقْفُلْ لأهْلِكَ تَمْرَةً ... إذا أنت لم تَقْفُلْ بِزُبِّ رُبَاحِ

فقال له شُقران :

فإن كان هـــذا زبُّه فانطلق به ... إلى نِسْوَةٍ سُودِ الوُجوه قِباحِ

فغضب ابن مَيّـادة وأمَضّه[7] وضربه بالسوط ضربات وانصرف مُغْضَبا .

وكان ذلك سبب الهجاء بينهما .

---

(١) الشرب : جمع شربة ، وهى مايحفر حول النخلة أو الشجرة ويملأ ماء فتروى منه. ويروى الشطر :

كأنها النخل روّى نبتها الشـرَب

(٢) السبيب : شعر الذنب والناصية .

(٣) فى غ: نابها.

(٤) فى غ : إذا ما غب ما اجتلبوا .

(٥) فى ك : خانوا .

(٦) زب رباح : من تمور البصرة، وقد خففت باؤه فى البيت بعد الضرورة .

(٧) أمضه : آلمه وآذاه .

اجتمع ابن مَيّادة وشُقران مولى بنى سَلامان عند الوليد بن يزيد ، فقال ابن مَيّادة : يا أمير المؤمنين، أتجمع بينى وبين هذا العبد وليس مثلى فى حَسَبى ولا نسبى ولا لسانى ولا منصبى ؟ فقال له شُقران :

لَعَمْرِى لئن كُنْتَ ابن شَيْخَىْ عَشِيرَتَىْ ... هِرَقْلٍ وكِسْرَى ما أُرانِى مُقَصِّرَا

وما أَعَنَّى أَنْ أَكُونَ ابْنَ نَزْوَةٍ[١] ... نَزَاها ابنُ أَرْضٍ[٢] لم يجد مُتَمَهَّرَا

على حائلٍ تلوى الصِّرارَ بكَفِّها ... فجاءت بخَوَّارٍ إذا عُضَّ جَرْجَرا[٣]

واستأذن ابنُ مَيّادة يوما على الوليد بن يزيد وعنـده شُقران مولى قُضاعة ، فأدخله فى صندوق وأذن لابن مَيّادة ، فلما دخل أجلسه على الصندوق واستنشده هجاء شُقران فأنشده . ثم أمر بفتح الصُّندوق فخرج عليه شُقران فجعل يَهْدِر كما يهدر الفحلُ ويقول :

سأَعْـكِم[٤] من قُضاعَةَ كلبَ قَيْسٍ ... على حجَرٍ فيُنْصِت للعِكام

أسـير أمام قيس كلَّ يوم ... وما قيس بسـائرة أمامى

وقال :

إنّى إذا الشعراء لاقَى بعضُهم ... بعضاً بيَلْقَعَةٍ تُرِيدُ نِضـالَها

وقفوا لمرتجز الهَدِيرِ إذا دَنَتْ ... منـه البِكارة قطّعت أبوالها[٥]

وتركتهم زُمَراً ترمّزُ باللِّحَى ... منهـا عنافِق قد حلقت سبالها[٦]

---

(١) فى ك : ثروة وهو تحريف . والنزوة : الوثبة عند السفاد .

(٢) ابن أرض : كناية عن الغريب أو المسافر أو الضيف .

(٣) الحائل : غير الحامل — الصرار : خيط يشد فوق خلف الناقة لئلا يرضعها ولدها — خوار : ضعيف — جرجر : صوت .

(٤) سأعكم : فى غ سأ كعم، وما بمعنى أى أشد فه بالعكام ، وهو مايشد به .

(٥) مرتجز : متابع الصوت — البكارة : جمع بكرة وهى الفتية من الإبل .

(٦) ترمز : تتحرك — العنافق : جمـع عنفقة وهى الشعرات بين الذقن وطرف الشفة السفلى — سبالها : جمع سبلة (بالتحريك) : وهى الدائرة فى وسط الشفة العليا وقيل: مجتمع الشاربين .

فقال : يا أمير المؤمنين ، اكفف عنى هذا الذى ليس له أصل فأختصره ولا فَرْعٌ فأحتقره ، فقال الوليد : أشهد أنك قد جرجرت كما قال شُقران :

* فجاءت بخَوَّارٍ إذا عُضَّ جَرْجرا *

قال ابن مَيّادة : قلت وأنا عند الوليد بن يَزيد بأبانٍ، وهو موضع كان الوليد ينزله فى الربيع :

لَعَمْرُكَ إنّى نَازِلٌ بأَبانٍ لصوأر[1] مُشْتَاقٌ وإنْ كنت مُكْرَما
أبيتُ كأنّى أَرْمَدُ العَيْنِ ساهِرٌ إذا باتَ أَصحابى من الليل نُوَّما

فقال الوليد : يا ابن مَيّادة كأنك غَرِضْتَ[2] من قُرْبِنا . قال : ما مثلُك يا أميرَ المؤمنين يُغْرَضُ من قُرْبِه ، ولكن :

أَلَا ليت شِعْرِى هل أَبيتَنَّ ليلةً بحَرَّةِ ليلَى حيثُ رَبَّتَنى[3] أَهْلى
بِلادٌ بها نِيطَتْ علىَّ تَمائِمى فقُطِّعْنَ عَنِّى حين أدركَنى عَقْلى
وهل أَسْمَعَنَّ الدَّهْرَ أصواتَ هَجْمَةٍ تُطالع من هَجْلٍ خَصِيبٍ إلى هَجْلِ[4]
فإنْ كنتَ عن تلك المواطِنِ حابِسِى فأَيْسِرْ علىَّ الرِّزْقَ واجْمَعْ إذًا شَمْلى

فقال : كم الهَجْمة ؟ قلت : مائة ناقة . قال : قد صَدَرَتْ [بها][5] كُلُّها عُشَراء[6]. قال ابن ميادة : فذكرت له وِلدانًا لى بنجد إذا استطعموا الله أطعمهم وإياى[7] ، وإذا استسقوه سقاهم وإياى ، وإذا استكسوه كساهم وإياى . فقال :

---

(١) صوأر : ماء لكلب على مسافة من الكوفة مما يلى الشام .

(٢) غرضت : ضجرت ومللت .

(٣) ربتنى : ربانى .

(٤) الهجمة : القطيع الكبير من الإبل، وهو ما بين الثلاثين إلى المائة ــ الهجل : المطمئن من الأرض

(٥) زيادة من غ .

(٦) العشراء : الناقة أتى على حملها عشرة أشهر ، وجمعها عشار .

(٧) فى غ : وأنا .

يا ابن ميادة وكم وراءك[1] ؟ فقلت : تسعة[2] عشر ، منهم عشرة نفر وتسع[3] نسوة. . فقال : ياابن ميّادة قد أطعمهم الله وأمير المؤمنين وسقاهم الله وأمير المؤمنين ، وكساهم الله وأمير المؤمنين! أما النساء فتسع[4] حُلَل مختلفات الألوان ، [وأما الرجال فثلاث حلل مختلفات الألوان][5] وأما السَّقْى فلا أرى مائة لِقْحة إلّا ستَرْوِيهم ، فإن لم تُرْوهم زدتّهم عينين من الحجاز . قلت : يا أمير المؤمنين لسنا بأصحاب عيون يأ كلنا بها البعوض وتأخذنا الحُمّيات . فقال : وقد أخلفها الله ، كل عام لك مثل ما أعطيتك العام : مائة لِقحه وفحلها وجارية بِكر ، وفرس عتيق .

أمر الوليد بن يزيد لابن ميادة بمائة من الإبل من صدقات بنى كلب ، فلما أتى الحول أرادوا أن يبتاعوا له من الطرائد ، وهى الغرائب ، وأن يمسكوا التِلاد[6] فقال ابن ميّادة :

أَلَمْ يبلغك أنّ الحىَّ كَلْبـا ... أرادُوا فى عَطِيَّتك ارتـدادا
وقالوا إنّهـا صُهْبٌ وزُرْقٌ ... وقـد أَعْطَيتَها دُهْماً جِعادا[7]

فعلموا أن الشعر سيبلغ الوليد ويُغضبه فقالوا : انطلق فخذها صُفْرا جِعادا .

روى زُهَير بن مضرّس قال: أخصب جَناب الحجاز الشامى فالت لذلك أُخضر[8]

---

(١) فى غ : ولدانك .

(٢) فى غ : سبعة عشر .

(٣) فى غ: سبع.

(٤) فى غ : فأربع .

(٥) تكملة من غ يقتضيها النص .

(٦) التلاد : القديم مما ولد أو نتج عند صاحبه .

(٧) الصهب : جمع أصهب أو صهباء وهى التى فى ظاهر شعرها حمرة وفى أصوله اسوداد — زرق: جمع أزرق أو رزقاء ، وتروى ورق بالواو وهى السود فى غبرة — الدهم: جمع أدهم أو دهماء وهى السوداء — الجعاد : المتقبضة الوبر ليس فيه استرسال أو انبساط .

(٨) فى غ : لذلك الخصب بنو فزارة .

وبنو فَزارة وبنو مُرَّة فتحَالَفُوا جميعا به . قال : فإنى ذات يوم أنا وابنُ ميّادة جالسان على قارعة الطريق عَشِيًّا ، إذا راكبان يُوجِفان[1] براحلتين . حتى وقفا علينا ، وإذا عثمان بن عمرو بن عفّان معه مولى له ، وقد كان ابنُ ميّادة يُعلّلنى[2] بشِعْرِه . فلما انقضى كلامنا مع القرشىّ ومولاه استعدت ابن ميّادة ما كنّا فيه ، فأنشدنى فخراً له يقول فيه :

وعَلَى المُلَيْحَةِ من خُزاعةَ[3] فِتْيةٌ يتمارَضُون تمارض الأُسْـــد
وتَرَى الملوكَ الغُرَّ تحتَ قِبابهم يَمْشُون فى الحَلَقات والقِدِّ[4]

فقال القرشى : كذبت . فقال ابنُ مَيّادة : أفى هذا وحده ! أنا فى غير هذا أَكْذَب . فقال له القرشىّ : إن كنت تريد فى مديحك قريشا فقد كفرت بربك ، ودفعت قوله ﴿ لإيلافِ قُرَيْش ﴾[5] حتى أتى على آخرها . ونهض هو ومولاه وركبا راحلتيهما . فلمّا سارا بعيدا من أبصارنا قال ابن ميّادة :

سَمِينُ قُرَيْشٍ مانعٌ منك نَفْسَهُ وغَثُّ قريشٍ حَيْثُ كان سَمِينُ

كان ابن ميّادَة قد هاجَى سنانَ بن جابر أحد بنى حُمَيْس بن عامر بن جُهَيْنة بن زيد بن لَيث بن سُود بن أَسْلم فكان ممّا قاله يهجوه :

وتُبْدِى الحُمَيسِيّاتُ فى كُلِّ زِينةٍ فُروجاً كآثارِ الصِغار من البَهْمِ

ثم خرج ابنُ ميّادة يبغى إبلًا له حتى ورد جُباراً[6] ، وهو ماء لُحمَيْس بن عامر ، فأتى بيتا فوجد فيه عجوزا أسنّت ، فنَشَدها إبله فذكرتهاله وقالت: ممّن أنت ؟

(١) يوجفان : يحثان السير .
(٢) يعللنى : يشغلنى ويلهينى .
(٣) فى غ : جذيمة .
(٤) القد : سيور تقد من جلد غير مدبوغ يشد بها الأسير.
(٥) سورة قريش .
(٦) بين المدينة وفيد .

قال : رجل من سُلَيم بن منصور ، فأذِنَتْ له وقالت: ادخل حتى نَقْرِيَك وقد عرفته وهو لا يدرى . فلمّا قرته قال ابن ميّادة . وجدت ريحَ المسك[1] قد نَفَحَ على[2] البيت وإذا[3] بِنْتٌ لها قد هتكت السِّتر ثم استقبلتنى وعليها إزارٌ أحمر وهى مؤتزرة به ، فأطلقته وقالت : انظر يا ابن ميّادة الزانية أهذا كما وصفت[4] ؟ قال : فلم أرَ امرأةً أضخم قُبُلًا منها . وقالت : أهذا كما قلت :

وتُبْدِى الُحمَيْسِيّات فى كُلِّ زينةٍ ... فُروجاً كآثار الصِغار من البَهْم

قال : قلت : لا ياسيدتى ، ماهكذا قلت ، ولكنى قلت :

وتُبْدِى الُحميسيّات فى كلِّ زينة ... فُروجاً كآثار المُقَيْسِرةِ[5] الدُّهْمِ

وانصرف يَنْسُبُ[6] بها فذلك حين يقول :

نَظَرْنا فهاجَتْنا على الشوقِ نَظْرَةٌ[7] ... لزَيْنَبَ نارٌ أُوقِدت بجُبَارِ

كأنَّ سناها لاح لى من خَصاصةٍ ... على غير قَصْدٍ والمَطِىّ سَوَارِى

حُميسيّة بالرَّمْلَتَيْن محلُّها ... تَمُتُّ[8] بحِلْفٍ بيننا وجِوارِ

وكانت بنو حُميس حلفاء لبنى سهم بن مُرَّة[9] بن الُحصَيْن بن الُحمام ، وكانت هذه الُحميسية زينب بنت مالك .

---

(١) فى غ : الطيب .

(٢) فى غ : على من البيت .

(٣) فى غ : فإذا .

(٤) فى غ : نعت .

(٥) المقيسرة : الإبل المسان .

(٦) فى غ : يتشبب .

(٧) فى غ : والهوى .

(٨) فى غ : تمد وما يعنى .

(٩) بن مرة بن الحصين بن الحمام : فى غ : بن مرة ثم الحصين بن الحمام .

كان ابن ميّادة قد مدح أبا جعفر المنصور بقصيدته التى يقول فيها :

* طلعت علينا العِيس بالرمّاح *

ثم إنه خرج من عند أهله يريد المنصور ، فمرّ على إبله فحُلِبت له ناقة منها ، وراح عليه راعيهِ بلبنها فشربه ، ثم مسح على بطنه وقال : سبحانَ الله ، إنّ هذا لشَرَهٌ[1] ! يكفينى لبن بَكْرَة وأنا شيخ كبير ، ثم أخرج أغترب فى طلب المال ؟ ! ثم رجع ولم يخرج . وهذه القصيدة من جيّد شعر ابن ميّادة وأولها :

وكَواعبٍ قدقلن يَوْمَ تَواعُدٍ[2] قولَ المُجِـدِّ وهنّ كالمُزّاحِ

يـا لَيْتَه فى غير أمرٍ نائرٍ[3] طلعتْ علينا العِيسُ بالرّمّاح

قال أبو أيوب[4] بن سَلَمة : اعتمرتُ فى رجب سنة خَمْسٍ ومائة فصادفنى ابنُ ميّادة بمكّة وقدمها معتمرا ، فأصابنا مطرٌ شديد تهدّمت منه البيوت وتوالَتْ فيه الصواعق . فجلس [إلىّ][5] ابن مَيّادة الغد من ذلك المطر، فجعل يأتينى قوم من قومى وغيرهم فأستخبرهم عن ذلك الغيث فيقولون : صُعِق فلان وهُدِم منزل فلان . فقال ابن ميادة: هذا هو العَيْثُ[6] لا الغَيْثُ . قلت : فما الغَيْثُ عندك ؟ . فقال .

سَحائبُ لا من صَيِّبٍ ذى صَواعِقٍ ولا مُحْرِقاتٍ مـاؤُهُنّ حَمِـيمُ

إذا ماهَبَطْن الأرضَ قدداءَعُودها[7] بكَيْنَ بهـا حـتى يَعيشَ هَشيمُ

(١) فى غ : لهو الشره .

(٢) ورد هذا الشطر فى الكامل للمبرد ١/٣٥ برواية : ونواعم قد قلن يوم ترحلى.

(٣) فى غ : فادح .

(٤) فى غ : إسحاق بن أيوب .

(٥) تكملة من غ .

(٦) العيث (بالمهملة) : الفساد .

(٧) فى غ : مات. وداء العود : أصابه داء أو آفة.

قال أبو العلا بن وثّاب : قدم ابن ميّادة المدينة زائراً لعبد الواحد بن سليمان ابن عبد الملك وهو أميرُها ، وكان يسمر عنده فى الّليل ، فقال عبد الواحد لأصحابه : إنّى أَهُمُّ أن أتزوّج فابْغُوا(١) لى أيِّماً . فقال ابن ميّادة : أنا أدُلُّك . قال : على مَنْ ياأباالشُّرَحْبيل ! قال : قدمت عليك أيّها الأمير حيث جئت ، فدخلت مسجدكم فإذا أشبه شىء به وبمن فيه الجنة وأهلها، فبينا أنا أمشى فيه إذ قادتنى رائحة عطر رجُل حتى وقفَتْ بى عليه ، فلمّا وقع بصرى عليه استلهانى(٢) حسنُه ، فما أقلعت عنه حتى تكلّم ، فخلته لمّا تكلم يتلو زَبُوراً أو يدرس إنجيلا أو قرآنا حتى سكت . فلولا معرفتى بالأمير ما شككت أنّه هو قد خرج من داره إلى مُصَلّاه . فسألتُ منْ هو ، فأخبرت أنه لِلحَيَّين وبين الخليفتين، وأَنْ قد نالته ولادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لها [نور] ساطع من غُرَّته فى ذؤابته . فنِعْم المُنْكِح ونعم حَشْو الدرع الرجل وابن العشيرة ! وإذا اجتمعت أنت وهو على وَلَدٍ ساد العباد وجاب ذكره البلاد . فلما قضى ابن مَيَّادة كلامَه قال عبد الواحد لمن حضره : ذاك محمد بن عبد الله بن عمرو ابن عثمان ، وأمّه فاطمة بنت الحسين . فقال ابن ميّادة :

لَهُمْ ميزةٌ(٣) لم يُعطِها اللهُ غيرَهم ... وكُلُّ عطاء الله رِزْقٌ مُقَسَّمُ

وممّا مدح به عبدَ الواحد قولُه :

مَنْ كان أخطأه الرَّبيعُ فإنّما ... نُصِرَ(٤) الحجازُ بغَيْثِ عبدِ الواحدِ

إنّ المدينةَ أصبحت مَعْمُورةً ... بمتوَّجٍ حُلْو الشمائل ماجدِ

ولقد بلغتَ بغير أمر تكلُّفٍ ... أعْلَى الحظوظِ(٥) برَغْم أنفِ الحاسدِ

---

(١) فى غ : فابغونى .

(٢) فى نسخة من مخطوطة غ: استهالنى .

(٣) فى غ : نبوة . والنبوة : ما ارتفع من الأرض، وهى هنا كناية عن العلو والارتفاع .

(٤) نصر : سقى .

(٥) فى ك : الخطوب وهو تحريف .

وملكتَ ما بين العراقِ ويثربٍ ... مُلكاً أجار لمُسْلِم ومُعاهِدِ
ماليهما ودَمَيْهما من بعدِ ما ... غَشَّى الضعيفَ شُعاعُ سيفِ المارِدِ

قال أبو حُذافة السَّهْمِيُّ : سبّ رجل من قريش فى أيامِ بنى أُميَّة بعضَ ولد الحسَن بن علىّ رضى الله عنهم وأغلظ له وهو ساكت ، والناس يعجبون من صبره . فلما أطال أقبل الحسنىّ عليه متمثِّلا بقول ابن ميَّادة وهو :

أَظَنَّت سَفاهاً من سَفاهَة رَأْيِها ... أَنَ اَهْجُوَها[1] لمَّا هَجَتْنى مُحارِبُ
فلا وأَبيها إنَّنى لعَشِيرتى[2] ... وقَوْمِىَ عن ذاكَ المَقامِ لَراغِبُ

فقام القرشىُّ خَجِلًا وما ردّ عليه جوابا .

وكان ابنُ ميّادة قد هجا بنى أسد وبنى تميم فقال :

بنى أَسَدٍ إنْ تَغْضَبوا ثم تَغْضَبوا ... وتَغْضَبْ قُرَيْشٌ يَحْمِ قيساً غِضابُها
فأحْقَرُ محقورٍ تميمٌ أخوكُم ... وإنْ غَضِبت يَرْبُوعها[3] ورِبابُها[4]
ألا ما أُبالِى أنْ تُخَنْدِفَ[5] خِنْدِفٌ ... ولستُ أُبالِى أن يَطِنَّ ذُبابُها
ولو أنَّ قيساً قيسَ عَيْلان أقسمت ... على الشَّمسِ لم يَطْلُع عليك[6] حِجابُها
ولو حاربتْنا الجِنُّ لم نَرْفَع القنَا ... عن الجِنِّ حتَّى لا تَهِرَّ كِلابُها
لنا المُلْك إلّا أنَّ شيئاً تَعُدُّه ... قريشٌ ولو شئْنا لذَلَّت رِقابُها
وإنْ غَضِبَتْ من ذا قُرَيْشٌ فقل لها ... مَعاذَ الإلهِ أَنْ أَكونَ أَهابُها

---

(١) الرواية فى ك : بأن اهجها .

(٢) فى غ : بعشيرتى .

(٣) يربوع : هو يربوع بن حنظلة بن مالك بن عمرو بن تميم ؛ ويربوع بن غيظ بن مرة أبو بطن من مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان .

(٤) الرباب : قبائل سموا بذلك لأنهم جاءوا برب فأكلوا منه وغمسوا فيه أيديهم وتحالفوا عليه ، وهم: تيم ، وعدى، وعكل . (راجع ل مادة ربب) .

(٥) تخندف : تهرول .

(٦) عليك : فى غ : عليكم .

وإنّى لقوّال الجوابِ وإنّنى ... لمُفْتَجِر[1] أشياءَ يُعْيِى جوابُها
إذا غضبت قَيْسٌ عليك تقاصَرَتْ ... يداكَ وفاتَ الرِّجْلَ منك رِكابُها

ولمّا دخل ابنُ مَيّادة على عبد الصمد بن علىّ وسلّم عليه بالإمْرة قال له : لا سلّم الله عليك يا ماصَّ بَظْرَ أُمّه . فقال ابنُ مَيّادة : ما أكثر الماصّين ! فضحك وقال له أنت القائل :

لنا المُلْك إلا أنّ شيئاً تَعُدُّه ... قريشٌ ولو شئنا لذَلّت رِقابُها

قال : نعم . قال : أفكنت أمنتَ أن ينقضّ عليك بازٌ من قريش فيضرب رأسك ؟ فقال : أو كان ذلك البازى آمِناً أنْ يَلقاه بازٌ من قيس وهو يسير فيرميه فتَشُول رجلاه ؟ فضحك عبد الصمد ، ثم دعا له بكسوة فكساه .

وقد رَدَّ عبدُ الرحمن بن جُهَيْم الأسدى أحد بنى الحارث بن سعد بن ثَعْلبة ابن دُودَان بن أسد على ابن مَيّادة بأبيات أوّلها :

لقد كَذَبَ العبدُ ابنُ مَيَّادَةَ الّذِى ... رَبَا وهْى وَسْطَ الشَّوْل تَدْمى كِعابُها

منها :

لعَمْرِى لئن شابَتْ حَليلةُ نَهْبَلٍ ... لبئسَ شَبابُ المرءِ كان شَبابُها
ولم تدر حمراء العِجان[2] أنَهْبَلٌ ... أبوه أم المُرِّىّ تَبَّ تَبابُها

ومات ابن مَيّادة فى صدر خلافة المنصور ، وقد كان مدحه ، ولم يَفِدْ إليه ولا أنشده لما بلغه من قِلّة رغبته فى مدائح الشعراء وقِلّة ثوابه لهم . والله تعالى أعلم .

---

(١) مفتجر : منشىء ومستحدث من غير سابق تعلم .

(٢) حمراء العجان : هو سب كان يجرى على ألسنة العرب يسب به الأعجمى فيقال له : (ياابن حمراء العجان) .

ربيعة المرقش الأصغر*

هو رَبيعة بن سُفيان بن سعد بن مالك بن ضُبَيْعة ، وهو عمّ طَرفَة بن العبد . وهو أشْعَر المُرَقِّشَيْن وأطولُهما عُمرا . وهو الذى عشق فاطمة بنت المُنْذِر . وكان لها وليدةٌ يقال لها بنتُ عَجْلان ، وكان لها قصر بكاظِمَةَ[1] وعليه حرس يجرون كل ليلة حوله الثيابَ فلا يطَـؤه أحدٌ إلّا بنت عَجْلان .

وكان لبنت عَجْلان كل ليلة عشية رجل يُعْجبها فيبيت معها . [2][فقال عمرو ابن جناب[3] بن مالك لمرقّش : إنّ بنت عَجْـلان تأخذ كلّ عشية رجلا يعجبها فيبيت معها][2] وكان مرقِّش لا يفارق إبله، فأقام بالماء وترك إبله ظِماء[4] ، وكان من أجمل الناس وأحسنهم شَعْرا .

وكانت فاطمة بنت المنذر تقعُد فوق القصر فتنظر إلى الناس، فجاء مرقّش فبات عند ابنة عَجْلان ، حتى إذا كان من الغد تجرّدت عند مولاتها فاطمة ، فقالت : ماذا بفخذيْك ؟ وإذا نُـكَتٌ كأنها آثار السِّياط من شدّة حَفْزِه إياها عند الجماع ، قالت: آثار رجل بات عندى الليلة .

وكانت فاطمة قالت لها : رأيتُ رجلًا جميلا راح نحوَنا عشيَّةً[5] لم أرَه قبل !

---

* الأغانى (بولاق) : ٥/١٩٣ـ١٩٥ (دار الكتب) : ٦/١٣٦ـ١٣٩ (بيروت) : ٦/ ـتجريد الأغانى :٧٥٦ـ٧٥٩ .

(١) كاظمة : على سيف البحر فى طريق البحرين من البصرة بينها وبين البصرة مرحلتان . وفيها آبار كثيرة .

(٢) مابين القوسين فى نسختى ت ، ز، آثرنا إثباته .

(٣) ورد فى جميع المواضع حباب، والتصويب من غ والتجريد .

(٤) فى غ : ظمأى .

(٥) فى غ : بالعشية .

قالت : إنّه فتى قَعد عن إبله وكان رِعاها ، وهو الفتى الجميل الذى رأيتِه بات معى ، فأثّر فىّ هذه الآثار .

فقالت لها فاطمة : فإذا كان من الغد[1] وأتاك فقدِّمى إليه مِجْمَراً ومُرِيه أن يجلس عليه ، وأعطيه سواكا ، فإن استاك به أو ردّه فلا خيرعنده ، وإن قعد على المِجْمَر أو ردّه فلا خير عنده . فأتته بالمِجْمَر فقالت له : اجلس[2] عليه فأبَى ، وقال : أَدْنيه منّى فبخَّر لحيتَه[3] وجُمَّته وأبَى أن يقعد عليه، وأخذ المِسْواك[4] فقطَع رأسه واستاكَ به . فأتتْ بنتُ[5] عجلان فاطمةَ فأخبرتْها بما صنع، فازدادت له عشقا وبه عُجبا، وقالت : ائتِنِى به، فتعلّقت به كما كان يتعلّق فمضى معها وانصرف[6]. فقال القوم[7] : لشَدَّ ما عَلِقت بنتُ عجلان المرقّش ! .

وكان الحرس ينثرون التُّرابَ حول قُبَّة فاطمة ، ويجرُّون عليه الثياب حتّى يستوى[8] ، ويحرسونها فلا يدخل عليها إلّا ابنةُ عَجْلان ، فإذا كان الغد بعث الملك بالقافة فينظرون أثر من دَخل عليها[9] ويعودون فيقولون : لم نر إلّا أثر ابنة عجلان . فلما كان[10] تلك الليلة حملت بنتُ عَجْلان مرقّشاً على ظهرها وحزَمته إلى بطنها بثوب ، فأدخلته فبات معها .

---

(١) من الغد ، فى غ : غد .

(٢) فى غ : اقعد .

(٣) فى غ : فدخن .

(٤) فى غ : السواك .

(٥) فى غ : ابنة .

(٦) فى غ : وانصرف أصحابه .

(٧) فى غ : فقال القوم حين انصرفوا .

(٨) حتى يستوى : فى غ : حين تمسى .

(٩) فى غ : إليها .

(١٠) فى غ : كانت .

فلما أصبح الملك بعث بالقافة فنظروا وعادوا إليه فقالوا: رأينا[١] أثر ابنة عَجْلان وهي مُثْقَلة . فلبث كذلك[٢] حيناً يدخل عليها .

وكان عمرو بن جَناب بن عوف يرى ما يُفعل ولا يعرف مذهبَه ، فقال له : ألم تكن عاهدتني عهدا لا تكتمني شيئا ولا أكتمك ، ولا نتكاذب ؟! فأخبره مرقِّش الخبر. فقال له : لا أرضى عنك ولا أكلِّمك أبدا أو تُدْخِلَني عليها . وحلف على ذلك .

فانطلق مرقِّش إلى المكان الذى كان يواعد فيه ابنةَ[٣] عَجْلان فأجلسه فيه وانصرف ، وأخبره كيف يصنع . وكانا متشابهين ، غير أن عمرو بن جناب كان أشعر . فأتَتْه بنتُ عَجْلان فاحتملته وأدخلته إليها ، وصنع ماأمره مرقِّش. فلما أراد مباشرتَها وجدت مسّ شعر فَخِذيه فاستنكرته ، وإذا هو يُرْعَد ، فدفعته بقدميها في صَدْره وقالت : قبّح الله سِرًّا عند المُعَيْدى .

ودعت بنت عَجْلان فذهبت به . فلما رآى صاحِبَه قد أسرع الكرّة ولم يلبث إلا قليلا علم أنه قد افتضح ، فعضّ على إصبعه فقطعها . ثم انطلق إلى أهله وترك إبله[٤] التى كان مُقيما فيها حياء مما صنع، وقال شعرا فيها منه[٥] :

ألا فاسْلَمِي[٦] لاصَبْرَ[٧] لي اليوم فَاطِماَ ... ولا أبداً ما دام وَصْلُك دائمَا
أفاطِمُ لو أنّ النســاء ببَلْدَةٍ ... وأنت بأُخرَى لاتبَّعْتُك[٨] هائمَا

---

(١) فى غ : نظرنا .

(٢) فى غ : بذلك .

(٣) فى غ : بنت .

(٤) فى غ : المال .

(٥) المفضليات ٢/٤٤ رقم ٥٦ (تحقيق شاكر وهارون) .

(٦) فى غ : يا اسلمى .

(٧) فى غ : صرم .

(٨) فى غ : لابتغيتك ، وما هنا موافق لما فى المفضليات .

منها :

فآلَى[1] جَنَابُ حِلْفَةً فأطَعْتَه ... فنفْسَكَ وَلِّ اللومَ إن كنتَ نادِمَا

فمَنْ يلقَ خيراً يَحْمَدِ الناسُ أمرَه ... ومَنْ يَغْوَ[2] لا يَعْدَم على الغَيِّ لائِمَا

(١) آلى : حلف . وجناب : يريد عمرو بن جناب ، سماه باسم أبيه ، وهو شيء نادر في العربية ، ولعله أراد ابن جناب فحذف المضاف للشعر .

(٢) يغوى : يضل ويخيب .

رَبِيعة المُخَبَّل[1] السعدى*

هو رَبِيعةُ بن مالك بنِ رَبيعةَ بنِ عَوف بن قتال بن أَنْفِ الناقة بن قُريع بن عَوْف بن كَعْب بن سَعْد بن زَيْد مَناة بن تَميم .

شاعرٌ فَحْلٌ مخضرم أدركَ الجاهلية والإسلام . وقيـل : اسمُه كعب بن ربيعة ، وكنيته أبو يزيد وإياه عنى الفرزدق بقوله[2] :

وَهَبَ القصائدَ لىَ النوابغُ إذْ مَضَوا ... وأبو يَزِيد وذُو القُروح وجَرْوَل

ذو القُروح : امرؤ القيس ، وجَرْول : الحطيئة ، وأبو يزيد : المُخَبَّل .

وجعله[3] ابن سَلّام فى الطبقة الخامسة من فُحول الشعراء ، وقَرَنه بخداش بن زُهير ، والأسود بن يعفر ، وتميم بن مُقْبل . وهو من المقلّين ، وعُمِّرَ فى الجاهلية والإسلام عمراً طويلا[4] ، وأحسبه مات فى خلافة عمر أو عثمان وهو شيخ كبير .

وكان له ابن يقال له شيبان خرج مع سعد بن أبى وقّاص لحرب الفرس فجزع عليه المخبَّل جزعا عظيما ، وكان قد أسنّ وضعف ، وكان قد[5] قال له قبل خروجه : يابنى لا تفقِدْنى وجهك ، فإنّ من المصاب مفارقتى لك ! فلم يقبل . فلما خرج افتقر إليه أبوه ولم يملك الصبر عنه ، وكاد أن يُغلَب على عقله . فعمد إلى إبله وسائر ماله

* الأغانى(بولاق) : ١٢/ ٤٠ـ٤٥ـ(دار الكتب): ١٣/ ١٨٩ـ١٩٨ (بيروت): تجريد الأغانى . ١٤٩٦، ١٤٩٧.

(١) المخبل (بفتح الباء المشددة): فى الشعراء ثلاثة غير هذا هم : المخبل الزهيرى ، والثمالى وكعب المخبل (المؤتلف والمختلف للآمدى : ١٧٧) .

(٢) ديوان الفرزدق .

(٣) فى غ : وذكره .

(٤) فى غ : كثيرا .

(٥) من قوله : وقد قال له قبل خروجه إلى قوله : افتقر : ليس فى غ .

فمرضه ليبيمه ويلحق بابنه ، وكان به ضنينا ، فنمه علقمةُ بن هَوْذَة من[1] ذلك ، وأعطاه مالًا وفرساً وقال : أنا أ كلّم أمير المؤمنين عُمَر فى ردّ ابنك ، فإن فعل غَنِمْتَ مالَك وأقتَ فى قومـك . وإن أبَى فإن[2] الذى أعطيتُك يكفيك لنفقة الطريق ولَحِقْتَ به ، وخلّفت إبلَك لعيالك . ثم مضى إلى عمر فقال[3] له : يا أمير المؤمنين ، إن المخبّل شيخ كبير وقد كان ابنـه عُدّتَه ، وقد بان عليه فقده ، وأشرف على الوَسْواس ، وهمّ بالخروج خَلْفه ، وأنا أخشَى عليه، وأنشده قوله من أبيات :

أيُهْلِكُنى شيبانُ ، فى كلّ ليـلةٍ ... لقَلْبِي مِنْ خَوْفِ الفِـراق وَجيبُ[4]

أشَيْبانُ ما أدراكَ أَنْ رُبَّ[5] لَيْلَةٍ ... غَبقْتُك فيهـا والغَبُوق[6] حَبِيبُ

فإنْ يَكُ غُصْنِى أصبحَ اليومَ ذَاوِياً ... وغُصْنُك من ماءِ الشَّباب رَطِيبُ

فإنّى حَنَتْ ظهرى خُطوبٌ تتابعتْ ... فمَشْيِى ضَعيفٌ فى الرجال دَبِيبُ

إذا قال صَحْبِى يا رَبيعُ أَلَا تَرَى ... أَرَى الشَّخْصَ كالشَّخْصَيْن وهْوَ قَرِيبُ

ويخــبرنى شيبان أنْ لن يَعُقَّنى ... تعُـقّ إذا فارَقْتَنى وتَحُــوبُ[7]

فلا يَدْخُلَنّ الدهرَ قبرَك حَوْبَةٌ[8] ... يقومُ بهـا يوماً عليك حَسِيبُ[9]

---

(١) من ذلك : فى غ : بن مالك .

(٢) فى غ : وإن أبى استنفقتك ما أعطيتك .

(٣) من قوله : فقال له يا أمير المؤمنين إلى قوله : أخشى عليه : ليس فى غ .

(٤) الوجيب : الخفقان .

(٥) فى غ ، ت ، ز : كل .

(٦) الغبوق : الشرب فى العشى .

(٧) تحوب : تأثم .

(٨) الحوبة : الذنب .

(٩) حسيب : يريد الله عز وجل ويمكن قراءة البيت :

فــلا تُدْخِلَنّ الدهر قبرك حَوبـةً

فلما أنشد عمرَ رضى الله عنه هذه الأبيات بكى ورَقّ له وكَتب إلى سعد بن أبى وقّاص يأمره أن يُقْفِلَ شيبانَ بنَ المُخَبّل ويردَّه على أبيه . فلما ورد الكتابُ أعلمَ شيبانَ وردّه ، فسأله الإعفاء عنه وقال: لا تحرِمَنّى الجهاد . فقال له : إنها عَزْمَةٌ من عمر ولا خيرَ لك فى عِصيانه وعقوقِ شيخك . فانصَرَف إلى أبيه وهو كاره[1] لذلك . فلما دخل عليه سُرَّ سرورا شديدا ، وقال له : يا بنىّ حلّ لك ما صنعته بى ؟ قال : خرجت فى سبيل الله ! قال : إنك لو عقلت لعلمت أن مقامك عند أبيك خير لك ممّا خرجت فيه . قال : فأنا مقيم عندكَ ما أفارقك إلى الموت[1] .

خطب المخبّل السعدى إلى الزِّبرقان بن بدر أختَه خُلَيْدَةَ فمنعه إياها وردّه لشىء كان فى عقله ، وزوّجها من غيره ؛ فهجاه المخبّل وتهاجيا حتى تواقفا للمهاجاة ، واجتمع الناس عليهما . فاجتمعا لذلك ذاتَ يوم ، وكان المخبّل أشعرهما ، وكان الزبرقان أسودَهُما ، ولم يكن المخبّل أثنى فأنشد المخبّل :

أَفَلَا تُفاخِــرُنى ليُعْلَمَ أَيُّنا ... أَدْنَى لأَكْرَم سُؤْدَدٍ وفَعالِ
وأبوكَ بَدْرٌ كان مُشْتَرِطَ[2] الْخُصَى ... وأَبِى الجَوادُ رَبيعــةُ بن قِتَالِ

فلما أنشد المُخَبّل :

وأبوكَ بدر كان مُشْتَرِطَ الْخُصَى ... وأبى . . . .

انقطع كلامُه إمّا بشَرَقٍ أو لانقطاع نَفَس . فما علم الناس ما يريد أن يقول بعد قوله (وأبى) ، فسبقه الزِّبرقان قبل أن يُتِمَّ ويُبِين وقال : صدقتَ ، وما فى ذلك أن كان شيخانا قد اشتركا فى صنعة ؟! فغلبه الزِّبرقان وضحك الناس من قوله ، وتفرّقوا وانقطع المخبّل .

---

(١) من قوله : وهو كاره إلى قوله : إلى الموت : ليس فى غ .

(٢) مشترط الخصى : قاطعها . والخصى : جمع خصية .

وإنما[١] ضحك الناس من المخبّل لأنهم أرادوا أن يُبينوا الزّبرقان لأنّه أسمحُ وأسْوَد . فترادُّوا على المخبّل وهم يعلمون أنه أشعر منه[١] .

كان زُرارة بن المُخَبَّل يَليطُ[٢] حوضَه فأتاه رجل من بنى عِلْباء بن عوف ، فقال له : صارِعْنى . فقال : إنى عن صِراعك لمشغول . فجذب بحُجْزَته وهو غافل فسقط ، فصاح به فِتيانُ الحىّ : صُرِع زُرارةُ وغُلِب . فأخذ زرارةُ حجراً فشدخ[٣] به رأسَ العِلْباوى . فسأل المُخَبَّل بغيضَ بن عامِر بن شمّاس أن يتحمّل عن ابنه الدِّيَة فتحمّلها وخلّصه[٤] ، وكسا المخبَّل حُلّة حسنة وأعطاه ناقة نجيبة فقال المخبَّل يمدحه :

لعَمْرُ أبيكَ لا أَلْقَى ابنَ عَمٍّ ... علَى الحدَثانِ خَيْراً من بَغيضِ

أَقَلَّ ملامــةً وأعزُّ نصراً ... إذا ما جئت بالأمرِ الرِيضِ

كَسانِى حُــلّةً وحَبَا بِعَنْسٍ ... أَبُسُّ بها إذا اضطربت غُروضِى[٥]

غَداةَ جَنَى بُنَىَّ علىَّ حَرْباً[٦] ... وكيف يَداىَ بالحَرْبِ العَضُوضِ[٧]

وقد سَــدَّ السبيلَ أبو حُمَيْدٍ ... كما سَدَّ المخاطَبــةَ ابنُ بِيْضِ[٨]

أبو حُميد هو بَغيض بن عَامر ، وأما قوله : كما سدّ المخاطَبة ابنُ بِيْض ، فإن ابن بيض من بقايا قــوم عاد كان تاجرا ، وكان لقمان بن عاد يُجيزُ له تجارةً فى كل

---

(١) من قوله : وإنما ضحك الناس إلى قوله أشعر منه : ليس فى غ .

(٢) يليط : يطين .

(٣) فى غ : فأخذ .

(٤) فى غ : وتخلصه .

(٥) العنس : الناقة الصلبة ــ أبس : أسوقها سوقا لينا ــ الغروض : جمع غرض (بالفتح) وهو للرحل كالحزام للسرج .

(٦) فى غ : جرما .

(٧) العضوض : الشديدة .

(٨) البيت فى الميدانى : (سد ابن بيض الطريق) .

سنة بأجرٍ معلوم ، فأجازه سنة من[1] السنين وعاد التاجر ولقمان غائب ، فأتى قومَه فنزل بهم[2] ولقمان فى سفره. وحضرت التاجرَ الوَفاةُ فخاف لقمانَ على بَنيه وماله فقال لهم : إن لقمان صائر إليكم وإنى لأخشاه[3] إذا علم بموتى على مالى فاجعلوا مالَه قِبَلى فى ثَوْب وضعوه فى طريقه إليكم، فإن أخذه واقتصر عليه فهو حقه، فادفعوه إليه .

ومات الرجل فأتاهم لقمان وقد وضعوا له حقّه على طريقه ، فقال : سَدَّ ابنُ بِيضٍ الطريق . فأرسلها مثلا وانصرف وأخذ حقه .

وذكرت الشعراء ذلك فقال بشامةُ بن عَمْرو :

كثَوْبِ ابنِ بيضٍ وقَاهُمْ بـه   فسَدَّ على السالِكين الطَّرِيقا

وحشدت بنو عِلْباء للمطالبة بدمِ صاحبهم ، وحَشَدت بنو قُرَيع مع بَغيض لنصْر المُخَبَّل . ومشت المشيخة فى الأمر وقالوا : هذا قَتِيلُ خطأٍ[4] ، فارْفعوا[5] الفتنة واقبلوا الدية ، فقبلوها . فقال زُرارةُ بنُ المُخَبَّل يفخر بذلك :

قال[6] المخالسُ لما أنْ جَرى طَلَقا   أَمَّا حُطَيم بن عِلْبـاء فقَد غَلَبَا

إنّى رَمَيْتُ بجُلْمُودٍ عـلى حَنَقٍ   مِنّى إلَيْه فـكانت ضَرْبَةً[7] غَرَبَا

اجتمع الزّبرقان بن بدر والمخَبّل السعدى ، وعَبْدة بن الطَّبِيب ، وعمرو بن الأهتم، قبل[8] الإسلام وبَعْثة النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فنحروا جَزُورا واشتروا

---

(١) فى غ : سنة وسنتين .

(٢) فى غ : فيهم .

(٣) فى ت : لأخاف .

(٤) فى غ : قتل خطأ .

(٥) فى غ : فلا تواقعوا .

(٦) فى غ : فاز .

(٧) ضربة غرب : لا يدرى من رماها أو هى غير مقصودة .

(٨) قبل الإسلام وبعثة النبى : فى غ : قبل أن يسلموا وبعد مبعث النبى .

خَمراً وجلسوا يأكلون(١) ويشربون . فقالوا : لو أنّ قوما طاروا من جودة شعرهم لطرنا . فتحاكموا إلى أوّل من يَطْلُعُ عليهم ، فطلع عليهم ربيعة بن حُذار الأسدى، وقيل: رجل من بنى يَربوع يسأل عنهم فدُلّ عليهم وقد نزلوا بطن وادٍ وهم جلوس يشربون . فلما رأوه سرّهم وقالوا(٢) : أخبرنا عمّا نسألك عنه . قال : قولوا . قالوا : اعلم أنّا تشاجرنا فى الشعر ، فقال كل واحد منا: أنا أشعر ، فتراضينا بأول من يطلع علينا ، وقد طَلَعْت ورضيناك ، فاحكم بيننا بالحق ، فإنا راضون به .

فقال لهم : يا إخوتى لقد عرضتمونى لما أكره . قالوا له : وكيف ؟ قال : لأنى لمن حكمت منكم عادانى الباقون ، وتكلّموا فىّ بما لاأحبه . فقالوا له : قد أمّنك الله من أن نقول فيك شيئا ، حكمت لنا أو حكمت علينا ، فقل ما عندك . فقال : هاتوا ما عندكم. فأنشده كل واحد منهم على حِدَة .

فلما فرغوا قال : أما عمرو فشعرُه بُرودٌ يَمَنِيَّة تُنْشَر وتُطْوَى .

وأما أنت يا زِبْرِقانُ فكأنك رجل أتى جَزُوراً قد نُحِرت فأخذ من أطايبها وخلطه بغير ذلك. وقيل: إنه قال له : وأما أنت يا زبرقان فإن شعرَك كلحمٍ لم ينضج فيؤكَل ، ولم يُترك نِيئاً فيُنْتَفَع به .

وأما أنت يا مُخَبّل فشعرك شُهُبٌ من نار الله يلقيها على من يشاء .

وأما أنت ياعَبْدَة فإن شعرك كَمَزَادةٍ(٣) قد أُحْكِم خَرْزُها فليس يقطر منها شىء.

مَرّ المخبل — بعد ما أسن وضعف بصره — بخُلَيْدة بنت بدر أخت الزِّبرقان ، فأنزلَتْه وقرّبته وأكرمته ووهبت له وليدة وقالت له : إنى قد آثرتك بها يا أبا يزيد

---

(١) فى غ : يشوون ويأكلون .

(٢) من هنا إلى قوله : أما عمرو فشعره برود : ليس فى غ .

(٣) المزادة : الراوية ، وقيل : لا تكون إلا من جلدين بينهما ثالث لتتسع .

فاحتفظ بها . فقال لها : ومن أنت عرّفيني نفسك صانك الله حتى أشكرَكِ ؟ قالت : لا عَلَيْك. قال : بل[١] والله أسألك فإنّ[٢] مثلك لا يغفل عن شكره . فقالت: يامخبل أنا بعض من هتكتَ بشعرك ظالما ! أنا خُليدة بنت بدر. فقال: واسوأتاه منكِ، فإنى[٣] أستغفر الله تعالى وأستقيلهُ مما جرَى ، والمعذرة إلى الله وإليك من خطئى . فقالت[٤] له : ما فعلنا معك إلا وقد غفرنا لك ذنبك . فقال لها : أنت والله كريمة . وكان الزبرقان قد مات فذكره وقال : رحمه الله ! ولقد حملنى من أمرك على عظيم لأنى خطبتك إليه وكنت فيك من أرغب الناس فتركنى وزوّج سواى ، فحملنى ما كان فى نفسى من رغبتى إليك على أن قلت ما قلت، وأنا أستغفر الله وأعتذر إليك . فقبلت عذره وزادت فى كرامته[٤] فقال :

لقد ضَلَّ حِلمى فى خُلَيْدة إنَّنِى ... سأعتِبُ نفسى بعدها وأَتوبُ
فأُقْسِم بالرحْمَن إنِّى ظَلَمْتُها ... وجُرتُ عليها والهِجاء كَذُوبُ

فلما[٥] قال هذا ودار فى الدنيا وبلغ الناسَ خبر خُلَيْدة ، قال الناس : لقد احتالت هذه الحرة الكريمة لنفسها فأحسنت الحيلة . فلله أبوها !

وكان المُخَبّل يقول : ما ندمت على شىء كندمى على هجائى خُلَيْدة أخت الزبرقان، فإنِّى كلّما ذكرتُ إحسانها إلىّ وإساءتى إليها لم تَسَعْنى الأرضُ !! وأنا أستغفر الله عزّ وجل[٥] .

---

(١) فى غ : بلى .
(٢) فإن مثلك لا يغفل عن شكره : ليس فى غ .
(٣) فى غ : فإنى أستغفر الله عز وجل وأستقيلك وأعتذر إليك .
(٤) من قوله : فقالت إلى قوله وزادت فى كرامته : ليس فى غ .
(٥) من قوله: فلما قال .. إلى قوله عز وجل : ليس فى غ .

فهرست تراجم الكتاب

